الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة–

كلية: الآداب والحضارة الإسلامية

قسم: التاريخ

رسائل الخلـفاء الأمــويّين

41 – 99 هـ / 661 – 717 م

- جمـعا ودراسة وتحـلـيلا-

أطروحة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التّاريخ الإسلامي الوسيط.

تخصص: المشرق الإسلامي – تاريخ وحضارة– إلى غاية القرن السابع الهجري

إعداد الطالب:

مــــراد لكـحل

تحت إشراف:

أ.د/ محمد فرقـاني

لجنة المناقشــة

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة	المؤسسة الأصلية	الصفة
01	أ.د/ يوسف عابد	أستاذ	جامعة الأمير عبد القادر–قسنطينة–	رئيسا
02	أ.د/ محمد فرقاني	أستاذ	جامعة الأمير عبد القادر–قسنطينة–	مشرفا ومقررا
03	أ.د/رشيد باقة	أستاذ	جامعة الحاج لخضر – باتنة–	عضوا مناقشا
04	أ.د/مفتاح خلفات	أستاذ	جامعة محمد بوضياف – المسيلة –	عضوا مناقشا
05	د/رابح أولاد ضياف	أستاذ محاضر– أ –	جامعة 8 ماي 1945 – قالمة –	عضوا مناقشا
06	د/إبراهيم بن مهية	أستاذ محاضر– أ –	جامعة الأمير عبد القادر–قسنطينة–	عضوا مناقشا

السنـة الـجامعية: 1438–1439هـ/2017–2018

مـقـــــــدّمة :

تُعتبر فترة حكم الدّولة الأمويّة من أهمّ فترات التاريخ الإسلامي، فإحدى وتسعون سنة تربّع فيها الأمويّون على منصب الخلافة و القيادة كانت تجربة تاريخية للأمّة بجميع فئاتها، من الأمويّين أصحاب الدّولة، ومن رجالات الدولة من أهل الشّورى والولّاة والقادة و القضاة وعمال الخراج والإداريين و الكُتّاب، ومن عامة الناس تجّارا وصنّاعا وزرّاعا ومهنيّين، ومن أنصار الدّولة ومعارضيها وخصومها، ومن المتردّدين بين المشاركة وإيثار الحياد والصّمت، وإشراك هؤلاء جميعا في التّجربة وتوزيع الأنصبة فيهم لا يعني بَخس القيادة الأموية حقّها من الفضل فيما أُنجز، أو تقليل مسؤوليتها عمّا وقع و تبرئتها منه.

فالدّولة في الإسلام ليست وحدات مُؤسّسية منفصلة، تتباين المسؤولية بينها، وإنّما هي سلطانٌ يمارسه الخليفة بتفويض الأمّة إيّاه، و البيعة له على العمل بالكتاب و السّنة ورعايتها بهما، فالخليفة – أي القيادة الأموية– والأمّة بجميع فئاتها شركاء في العقد و المسؤوليّة، ولكن عِظم المسؤولية يقع على عاتق الدّولة، أي على القيادة الأموية التّي كانت تُباشر التّخطيط و التّنفيذ ابتداء، وتضع الوسائل التّي توصل إلى الأهداف والأغراض المرسومة، ولذلك كانت مسؤوليتها أكبر جسامةً وأكثر خطورة .

ولعل الدّارس لتاريخ هذه الدّولة مُحتاج إلى تمحيص وتدقيق ومقارنة، بين النّصوص التاريخية التي حوتها المصادر المتعلّقة بهذه الفترة، ولذلك وطّنتُ النّفس على جمع رسائل خلفاء الدّولة و دراستها وتحليلها، وتقصّي هذه الرسائل في مضانّها المتعددة ليس بالمهمة السهلة على الباحث، بل هي من الصعوبة بمكان، ورغم ذلك فإننا سعينا جاهدين دون أن ندّخر أيّ جهد في سبيل جمع هذه الرسائل و الوصول إلى الحقائق المتعلقة بالفترة المدروسة، بعد مدّة زمنيّة عشتها مع النّصوص جمعا وترتيبا ومقارنة ودراسة وتعليقا وتحليلا.

فتجيبنا هذه الرسائل عن موقف الأمويّين من الخلافة ونظرتهم إليها؟ وهل نظروا إلى أنفسهم وإلى آل بيتهم كباقي الرّعية؟ وهل كان لهم برنامج عمل وخطة إصلاح عملوا بها وحملوا أعوانهم على تنفيذها؟ وما هو موقفهم من الحريات الخاصة و العامّة للأفراد و الجماعات المناوئين لحكم بني أمية؟ وكيف استطاعوا إعادة الحقوق إلى أصحابها، وإنصافهم من الولّاة الذين يتجاوزون أحيانا القواعد المرسومة؟

كما تجيب هذه الرّسائل عن مَوقفهم من الولاة الظالمين، أولئك الذّين أساؤوا إلى المسلمين أو لطخوا أحيانا أيديهم بدمائهم؟ ثمّ هل عملوا على جعل جهاز القضاء جهازا مستقلا يمارس صلاحياته بكل حرية؟ وكيف أعطوا لهذا القضاء حرمته ومهابته؟ ثم كيف عملوا على إقامة الحدود؟ وهل كان لذلك دور في تطهير المجتمع وتربيته؟

وكيف عملوا على إصلاح الجهاز الإداريّ ومراقبته؟ وما هو موقفهم من التيّارات و العصبيات القبلية التي شهدتها الدّولة؟ وهل لاهتمامهم بالعبادات وإقامتها على وجوهها الشرعية دور في إضفاء مزيد من الشّرعية على حكمهم؟ ثمّ كيف عملوا على توسيع رقعة الإسلام على كل الجبهات والدفاع على ما فتح وما لم يفتح؟ وهل تبنّوا سياسة عسكرية واضحة المعالم في ذلك؟ وكيف حافظوا على أصول الموارد المالية؟ وكيف عملوا على الإنفاق في السّبل المشروعة؟

ذلك ما تجيب عنه هذه الرسائل، وتوضّح لنا أيضا موقفهم من آل البيت وكيف تعاملوا معهم ومع من شايعهم وتعصّب لهم؟ وكيف استطاعوا إخماد نار الخوارج و المعارضين الذين سلّوا السيوف في وجه خلفاء بني أمية وولاتهم، وأراقوا في سبيل تحقيق أهدافهم الكثير من الدّماء؟ وما هي الأسس و الضّوابط التّي أقاموا بها علاقاتهم مع الملوك المجاورين وخصوصا الرّوم المتاخمين لبلاد الشام ؟

لكلّ هذا و أهداف أخرى تالية كان اختيارنا لهذا البحث الممتدة فترته من سنة 41هـ -661م إلى99هـ -717م ، وعلى مساحة جغرافية شاسعة تمتد من غرب الصين إلى الأندلس، ومن جبال القوقاز و أذربيجان شمالا إلى السّند و اليمن و النوبة في جنوب مصر إلى الأطراف الشمالية للصحراء الكبرى في إفريقيا الشمالية من الجهة الجنوبية.

ولعلّ أهم الأهداف الأخرى التي دفعتنا إلى اختيار هذا البحث:

أنّنا نحاول أن نستعرض نماذج فذّة وراقية في حكم الإسلام والمسلمين، فمن أراد من الدّول ورجال السّياسة أن يُنير دربه أو يُصلح حال أمّته أن يتأسّى في كثير من المواقف بهؤلاء الذين حافظوا على الإدارة، وأرسَوا قواعد الدولة ونشروا الإسلام ودكّوا حصون العدو، ولعل كثيرا من الرّسائل المجموعة تضعنا في الموقف الحقّ و الصورة الصحيحة لمواقفهم وإنجازاتهم.

أما بالنّسبة للباحثين و المؤرخين فسنضع بين أيديهم مادّة وفيرة من نصوص تاريخية تمكّنهم هم أيضا من تقويم نظرتهم وتعميقها و مراجعة الأحكام العامة التّي أطلقت على الدولة وخلفائها، فقبول التاريخ الأموي كما يُعرض علينا في جلّ كتابات القدماء و المحدثين يضعنا أمام تساؤلات ملحّة تفرضها عدّة تناقضات حادة، فنحن أمام دولة حقّقت إنجازات كبرى في مجالات الفكر و العلم

والأدب، وشهدت قفزات هائلة لم تتكرّر في مجال الفتوح ونشر الإسلام، وقدّمت شخصيات فذّة تركت آثارا ضخمة في ميدان السياسة و الحرب و الإدارة، واستمرت تقود المسلمين آنذاك على اختلاف أجناسهم و ألوانهم و توجهاتهم وطموحاتهم، وعلى امتداد جغرافي شاسع، غير أنّ كثيرا ممّا وصلنا من تاريخ تلك الدولة لا يتّفق مع عظمة إنجازاتها السّالفة الذّكر، فقد ذاع عن ذلك العصر أنّه كان عصر مؤامرات سياسية، وردّة خُلقية واضطراب إجتماعي، وخلل إقتصادي، واستهانة بمقدسات المسلمين؟! فتولّدت عن ذلك ثورات كثيرة، وسالت دماء غزيرة، وهو العصر الذّي شهد -كما استقر في أذهان كثير من المسلمين- ثورات الحكم بعد أن كان شورى، وتَبديد أموال الدّولة على هوى حكامها بعد أن كانت مَصونة، وهو العصر الذّي شهد قتل الحسين وصلب ابن الزبير وضرب الكعبة بالمجانيق، وانتهاك حرمة المدينة وظلم الموالي، إلى آخر ما يشاع عن بني أمية، وما أصبح يشكّل في ذهن الكثيرين صورة عن عصر قاتم.

وبالتّالي الهدف أيضا من جمع هذه الرّسائل ودراستها هو دحض كثير من الشبهات و الأحكام الخاطئة التّي أُطلقت على الأمويين، والتّي تعبّر عن حقد وعداء دفينين تجاه الدولة و خلفائها، فهذه الرّسائل تعرض لنا كثيرا من الحقائق، وتفنّد العديد من الشبهات التّي وضعت خلفاء الدّولة في قفص الإتّهام.

ومهما يكن فجمعنا للرّسائل ليس بجديد في مجال البحث العلمي، بل سبقنا إليه علماء و باحثون قدماء ومعاصرون، كلّ واحد منهم عكف على جمع رسائل شخصية معينة أو فترة زمنية محدّدة، ومن ذلك أنّ أبا جعفر الدّيبلي الهندي - ق3- قام بجمع رسائل الرسولﷺ التّي جاءت في كتاب ابن طولون: إعلام السائلين من كتب سيد المرسلين، وكذا ما قام به الشريف الرّضى بجمعه لرسائل الإمام علي وخطبه في كتابه المعروف بنهج البلاغة.

ومن المعاصرين الذّين خاضوا هذا الميدان الدكتور محمّد حميد الله الذي قام بجمع رسائل الرّسولﷺ والعديد من رسائل الخلفاء الراشدين، إضافة إلى ما قام به أحمد زكي صفوت بجمعه لرسائل حقبة زمنية تمتد من العهد الراشدي إلى خلافة المأمون، و التّي تحمل عنوان "جمهرة رسائل العرب"، وما جمعه الدكتور محمد ماهر حمادة لعصور متعاقبة في المشرق و الأندلس بجمعه لوثائقها السياسية والإدارية، وكذا عمل مشرفي الدّكتور محمّد فرقاني بجمعه لرسائل الخليفة عمر بن عبد العزيز ودراستها وتحقيقها، ولا شكّ أن جهودا أخرى غير هذه إهتمّت بهذا الجانب مما وصلنا وما لم يصلنا.

أمّا مجموع الرّسائل التّي تضمّنها بحثنا فيبلغ عددها خمسمائة وأربع وثلاثين (534) رسالة، أمّا المكررة فيقدر عددها بمائة وستّ وخمسين (156) رسالة، فمنها الطّويلة ومنها دون ذلك، ومنها القصيرة جدّا كما هو واضح من النّصوص المعروضة.

وقد قمت بعرض المادّة العلمية وفق خطة عمل متكونة من تمهيد بسطت فيه الأوضاع العامة للفترة المدروسة، وستة أبواب، كل باب مقسم إلى فصول يبلغ عددها الإجمالي خمسة عشر(15) فصلا.

أما الباب الأول فيتعلق برسائل الخلفاء الخاصة بالصّراع حول الخلافة وبشخصياتهم وأفراد أسرتهم وآل بيتهم، قسّمته إلى فصلين كبيرين: الفصل الأول عرضت فيه رسائل الخلفاء الخاصة بالبيعة وشخصياتهم و أفراد أسرتهم، و كذا حاجاتهم الشّخصية، وأما الفصل الثاني فعرضت فيه رسائلهم إلى آل بيتهم، و أوامرهم ونصائحهم وتوجيهاتهم، أما الباب الثّاني فبسطت فيه رسائلهم المتعلقة بالقضاء و المظالم و الشفاعة و الوساطة، وقسمته بدوره إلى ثلاثة فصول: الأول يتعلق بالرسائل التّي لها صلة بمعالجة مظالم العمال والنّظر فيها وردّ الحقوق على الرعية، والثاني يتعلق برسائل الأمان والشفاعة و الوساطة، و أفردت الفصل الثالث بالحديث عن الرسائل المتعلقة بالحدود والقصاص و أحكام السّجون والقضاء.

أما الباب الثّالث فكان مخصّصا للرسائل المتعلقة ببيان منهجهم السياسي و الإداري، وقسمته إلى فصلين: الفصل الأول عرضت فيه الرّسائل المتعلقة بمنهجهم الإداري وتوجيه الولاة، وكذا الرسائل المتعلقة بالموازنة بين التيّارات و العصبيات، و الفصل الثاني عرضت فيه الرّسائل المتعلقة بتولية الولاة والعمال و عزلهم أو إقرارهم على أعمالهم.

أما الباب الرّابع فكان مخصّصا للرّسائل التربوية التعليمية، وكذا رسائل الجهاد و الفتوح، مقسّما مادّته إلى فصلين بداية برسائل التعليم و الرسائل التربوية و المتعلقة منها بالعبادات، ثم الرسائل المتعلقة بالجهاد والفتوح على جميع الجبهات.

ثم كان الباب الخامس للسّياسة الإقتصاديّة والمالية لخلفاء الدولة، فكان الفصل الأول فيه خاصًّا برسائل الإقتصاد و المال من موارد و نفقات، وكان الفصل الثاني خاصا بخدمة الأرض و البناء والتعمير، أمّا الباب السادس والأخير فعرضت فيه رسائل الخلفاء الخاصة بموقفهم من التيّارات الفكرية و السياسية المعارضة، وكذا رسائلهم إلى الملوك المجاورين، فكان الفصل الأوّل مخصّصا للرّسائل المتعلقة بسياستهم تجاه آل البيت و حلفائهم، وكان الفصل الثاني مخصّصا للرسائل المتعلقة بسياستهم تجاه

الخوارج، وخصّصت الفصل الثالث للـرسائل المتعلقة بموقفهم وسياستهم تجاه الممتنعين عن البيعة والمعارضين ممن لا يحملون فكر الشيعة والخوارج، كأصحاب وقعة الحرّة وابن الزّبير و حلفائه، و كذا حركة ابن الأشعث ومنهج التعامل معهم، أما الفصل الرابع فخُصّص لرسائل الخلفاء إلى الملوك المجاورين، و كيف كانت سياساتهم في التّعامل معهم، و خصّصنا في الأخير مُلحقا بالرّسائل الضّعيفة والمشبوهة والموضوعة المتعلّقة بدراستنا.

هذا وقد تحكّمت المادّة العلمية وعدد الرّسائل في تحديد عدد الصّفحات في كلّ فصل، لذا تفاوتت الصّفحات من فصل إلى آخر ومن باب إلى آخر، بحسب ما عثرنا عليه.

أمّا المصادر التّي استعنت بها في إنجاز هذا البحث فلم تقتصر على المصادر التّاريخية المعروفة عن هذه الفترة، بل تعدّدت اختصاصاتها وتنوّعت مشاربها وفق تخصّصاتها كما يلي:

أوّلا- المصادر التاريخية: ومنها الشاملة في عرضها للأحداث زمانا ومكانا، و تتفاوت أهميتها من مصدر إلى أخر، بحسب أقدميّتها و قربها من الفترة المدروسة، ومن أهمها : تاريخ الطبري الذّي نقل لنا جملة وفيرة من هذه الرسائل المسندة، وأحيانا من وجهات نظر مختلفة، محمّلا الرّواة مسؤولية الرّواية، وملتزما الحياد في كثير من المواقف، وقد عبّر عن منهجه هذا في مقدّمة كتابه إذ قال: «وليعلم النّاظر في كتابنا هذا أنّ اعتمادي في كلّ ما أحضرت ذكره فيه ممّا اشترطتُ أنّي راسمه إنّما هو على ما رويتُ من الأخبار التّي أنا ذاكرها فيه، والآثار التّي أنا مسندها في روايتها فيه، دون ما أُدركَ بحجج العقول واستُنبط بفكر النّفوس، إلّا اليسير القليل منه...فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين ممّا يستنكره قارئه أو يستشنعه سامعه، من أجل أنّه لم يعرف له وجها في الصّحة ولا معنى في الحقيقة، فليعلم أنّه لم يؤتَ في ذلك من قِبَلنا، وإنما أُتيَ من قِبل بعض ناقليه إلينا، وإنّا إنّما أدّينا ذلك على نحو ما أُدّي إلينا»[1]، كما اعتمدنا على كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير، وتاريخ ابن خلدون والبداية و النّهاية لابن كثير، ثم فتوح مصر لابن عبد الحكم، و تاريخ خليفة بن خياط.

هذا بالإضافة إلى بعض المصادر التّي تساهلت في تمحيص الرّوايات و تدقيقها، و نقلت لنا الغثّ و السّمين، ومنها الفتوح لابن أعثم الكوفي، والإمامة و السياسة لابن قتيبة، و مروج الذهب للمسعودي و تاريخ اليعقوبي، ممّا دفع بنا إلى التّحقيق والوقوف بالنّقد و الردّ على صحة هذه الرّوايات بالشّواهد التاريخية الصحيحة.

---

[1] _ تاريخ الطّبري ، ج1، ص7، 8.

ثانيا– مصادر التراجم و الطبقات: وفى مقدّمتها كتاب الطبقات الكبير لابن سعد و هو مصدر خصب و ثرى بنصوص الرسائل الصّحيحة التّي تمتاز بالدقة و الإيجاز، ذلك لأنّ أغلب رواياته كانت عن المحدّثين الثّقات، ثمّ حلية الأولياء و طبقات الأصفياء لأبي نعيم الذّي نقل لنا جملة وفيرة من هذه الرسائل، ثمّ تاريخ دمشق لابن عساكر الذّي استقينا منه أيضا مادّة وفيرة من هذه الرّسائل وجدناها في سياق ترجمته للخلفاء أو عمالهم، أو شخصيات أُرسلت لها هذه الرسائل، وقد ساعدنا إسناد هذه الروايات في الوصول إلى الكثير من المصادر المتقدمة عنه والتّي أخذ منها رواياته .

ثمّ كتاب أنساب الأشراف للبلاذري، و هو مصدر قيّم لإنفراده بذكر الكثير من المعلومات والنّصوص التّي لا تتوفر في غيره من المصادر.

ثالثا– مصادر الحديث و الآثار: كمصنّف عبد الرزاق الذي يعتبر مصدرا مهما في هذا الجانب لقربه من فترة حكم الدّولة الأموية، ومصنف ابن أبي شيبة، وموطأ مالك الذّي أخذنا عنه العديد من الرّسائل المتعلقة بالأحكام الفقهية و القضاء.

إضافة إلى ما ذكرنا استفدنا من الإستذكار لابن عبد البر، وسنن البيهقي ومعجم الطّبراني وغيرهم، إذا قد يتوهّم غير المطّلع عليها أنه ليس لها صلة بالبحث التاريخي، ولكن الأمر غير ذاك فهي تحوي مادة وفيرة من الرّوايات التاريخية التّي لها صلة بالعهدين الأموي و الراشدي .

بالإضافة إلى هذا كانت كتب السُّنة حاضرة أيضا في هذا البحث أثناء تخريج الأحاديث النّبوية.

رابعا– مصادر الفقه و الأقضية والأحكام: التّي كان أغلبها أيضا غنيا وخصبا و ثريا في معلوماته عن هذه الفترة، و نذكر منها كتاب الخراج لأبي يوسف القاضي الذّي عكس حالة المجتمع الاقتصادية والاجتماعية و الزراعية أثناء هذه الفترة، من خلال النصوص التّي أوردها عنها، و يليه في الأهمية كتاب الخراج ليحيى بن آدم القرشي.

ومن أهم المصادر في هذا المجال أيضا كتاب الأموال لأبي عبيد القاسم، خاصّة و أنه أسهب في الحديث عن موارد بيت المال و نفقاته، وكذا كتاب الأموال لحميد بن زنجويه.

ولكتاب الولاة و كتاب القضاة للكندي مكانة مرموقة، لما تضمّنه من نصوص لرسائل الخلفاء الأمويّين لم نعثر عليها في غيره من المصادر، و كذلك بالنّسبة لكتاب أخبار القضاة لوكيع.

خامسا– المصادر الأدبية: و تتفاوت أهميتها من مصدر إلى آخر، منها: الأخبار الموفّقيات للزّبير بن بكّار، و المحاسن و المساوئ للبيهقي، و كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة، و البيان و التبيين

للجاحظ، و الكامل في اللّغة و الأدب للمبرّد، والأغاني للأصفهاني، و العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي، و غيرها من المصادر و الدّواوين الشعرية التّي احتجنا إليها في مواضعها.

سادسا – المصادر الخاصة بالأنساب: و التّي ذكرت جملة لا بأس بها من الرسائل في خلال الحديث عن شخصيات في الدّولة الأموية و بسط أحداثها، كنسب قريش لمصعب الزبيري الذّي لم يقتصر على ذكر نسب الرجل بل يتوسّع في عرض أعماله و مواقفه السّياسية و الدينية، وكذا جمهرة أنساب العرب لابن حزم.

سابعا– المصادر الخاصّة بالفرق: و التي استعنّا بها في توضيح الأصول الفكرية والأهداف السّياسية التّي سعت الفئات المعارضة إلى تحقيقها، و موقف هذه الفرق من الدولة الأموية، و منها الملل والنّحل للشّهرستاني، و الفرق بين الفرق للبغدادي ،و كذا كتاب الفصل في الملل و الأهواء و النّحل لابن حزم الظاهري.

ثامنا – مصادر تفسير القرآن: فهي الأخرى كانت حاضرة بما أوردته من نصوص في سياق تفسيرها للآيات القرآنيّة، ونخصّ بالذّكر جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي.

تاسعا – المراجع الحديثة: وهي كثيرة استعنا بها وبما جاء فيها من نقد وتفسير و تحليل و ترجيح وتأويل للآراء و الرسائل ولسياسة الخلفاء ، فتفاوتت أهميتها بتفاوت و اختلاف مضامينها.

ونشير هنا أنّنا قد اظطررنا أحيانا إلى استخدام طبعتين مختلفتين لمصدر واحد، كما هو الحال في كتاب الأغاني بطبعة الجزائر التّي كانت رئيسيّة في البحث و طبعة دار الفكر التّي كانت فرعية، فأشرت في الهامش إلى طبعة دار الفكر، وما لم أشر إليه فهو من طبعة الجزائر، و كذلك الحال بالنسبة لكتاب شرح نهج البلاغة بطبعة المكتبة العصرية التّي كانت رئيسية، وطبعة دار إحياء التراث التّي كانت فرعية و أشرت إليها في الهامش، وكذا كتاب محاضرات الأدباء للأصبهاني بطبعة دار مكتبة الحياة الرئيسية، ومطبعة الهلال الفرعية التّي أشرت إليها.

المنهج المتّبع في عرض الـرّسائل و دراستها وتحليلها :

لقد كان تعامُلنا في هذا البحث مع رسائل إمّا كاملة المضمون بعباراتها الأصليّة، وإمّا منقوصة من كلمات أو مضافا إليها كلمات وعبارات ليست منها، وكذا روايتها بالمعنى أحيانا، وكلّ هذا لتساهل المؤرّخين والرّوّاة في الزيادة والإنقاص من هذه النّصوص، أو التّقديم والتّأخير فيها، كما هو الحال عند ابن الأثير في كتابه الكامل في التّاريخ، وابن الجوزي في كتابه المنتظم، ومسكويه في تجارب الأمم،

وهذا مادفع بنا إلى بذل الجهد في الوقوف على مدى تطابق النّصوص والاختلافات بينها، ومدى صحّة مضامينها، وتصنيفها.

وكان ذلك قائما على المزج بين منهج المحدثين في جزء يسير من عرض الروايات ونقدها وتصحيحها، وبين منهج البحث عند المؤرخين في الكشف عن الحقيقة وإبرازها، مركّزين في ذلك على الرّاوي الأول الذّي روى الرسالة، بغض النظر عن معاصرته لها والتأكّد من صحة نسبة هذه الرّسائل إلى أصحابها، وتحديد الجهة التّي أرسلت إليها، و إطارها الزّماني، محاولين الوصول إلى صحة النّص أو زيفه.

فكان عملنا على جمع الرسائل من المصادر و تصنيفها وفق روّاتها، وكأننا نحقّق كتابا مخطوطا يتضمن هذه الرّسائل مع التفاوت بين الدراستين في الدقة والصعوبة، وذلك أنّني اعتبرت الروايات المتعددة للرسالة الواحدة من طرف راو واحد بمثابة نسخة واحدة، مُثبتا في المتن الرواية الكاملة والسليمة في أسلوبها وتكامل مضمون معلوماتها، حتّى لو جاءت في مصدر متأخر، وتجري مقارنة بقية نصوص هذه الرواية للراوي نفسه معها، فنكمل منها ما نقص في الرواية المعتمدة في المتن، وننبه على ما زاد عنها في بقية الروايات، ولا نثبت من اختلاف بين الروايات في الهامش إلا ما يخدم النص ويوضّح معانيه، وإذا جاءت الرواية بالمعنى اكتفينا بذكر مصدرها في الهامش بعد مصادر الرواية الكاملة، وعلى هذا قد لا تأتي المصادر أحيانا مرتّبة ترتيبا زمنيّا في الهامش وإنما نبدأ بالمصدر صاحب الرّواية الأكمل حتّى ولو كان متأخرا عن غيره.

أمّا إذا تعدّد الرّواة للرسالة الواحدة فنكرّر الرواية في المتن إذا لم يكن هناك تطابق بينهما، ويجرى عملنا معها كما جرى في الرواية الأولى، أما إذا تطابقت الروايات واختلف الرواة فنشير في الهامش إلى هذا الاختلاف في الراوي دون تكرار الرواية.

وهكذا اعتبرنا الروايات كالنسخ المتعددة لكتاب مخطوط مع الفرق بين العملين، مع الإشارة إلى أننا أعطينا الرسالة الرئيسية رقما أساسيا متسلسلا و المكرّر منها برقم فرعي، فمثلا الرسالة الأساسية الأولى تحمل رقم 5 و المكرر من رواياتها تحمل رقم 5 – أ– ، 5 –ب– ... كما هو واضح في الرسائل، وهذا العمل ليس جديدا عندنا، بل هو منهج المحدّثين كالإمام مسلم و غيره في عرض الحديث ورواياته المتعددة.

فكانوا قدوتنا في هذا العمل إذ عمدنا إلى تكرار الروايات ولم نهملها بحجة أنّها مكررة أو ضعيفة أو لا قيمة لها بجانب غيرها، فترك ذلك يُعدّ إضاعة لثروة علمية كبيرة، ثم قد يكون هذا

الاختلاف مفتاحا لحلّ مشكلات غامضة أو عالقة في رواية أخرى، كتحديد الجهة أو الشخص الذّي أرسلت إليه كما هو واضح في بحثنا.

فتكرار الروايات ساهم في توسيع دائرة البحث على غيرنا، وأبعدنا عن فرض وجهة نظرنا وانتقاء ما يتوافق مع توجّهنا، وترك ما سواه، وقدوتنا في ذلك هو الإمام الطبري في تاريخه، إذ عمد –كما سبق وأن أشرنا– إلى تكرار الروايات لأحداث تاريخية من زوايا و خلفيّات و انتماءات فكرية وسياسية مختلفة، مع الفرق بين ما قام به وبين ما جاء في بحثنا.

أمّا إذا لم يكن لنصوص الرّسائل إسناد ورواة فإننا أثبتنا اسم مؤلف المصدر في بداية الرسالة على أساس أنه الرّاوي لها، كما لم نعمد إلى سرد سلسلة السّند بتمامه و إنما اقتصرنا على ذكر الرّاوي الأول الذّي يتصدر السلسلة، بغضّ النظر على اتصال السند أو انقطاعه، متدخلين أحيانا في صياغة مقدّمة السياق و الظروف التّي كُتبت فيها المراسلة بما يخدم النّص، دون أن تخرج من المعنى العام، كما سعينا جاهدين إلى ترتيب نصوص الرسائل بما يتلاءم و التّرتيب المنطقيّ و التاريخي للأحداث، وكلّ ذلك حتّى نقف على سيرورة الحدث والمتغيّرات التّي صاحبته، وكذا مدى تطابق سياسات الخلفاء أوتباينها في التّعامل مع المواقف والأحداث والأشخاص.

و أما إذا لم تذكر المصادر نصّ الرسالة واكتفت بالإشارة إلى وجود رسالة من أحد الخلفاء إلى جهة معنية أو مجهولة، فإنّنا أثبتنا هذه الإشارة في المتن وأعطيناها رقما و كأنها رسالة كاملة، إذ لعلها موجودة في بعض المصادر التّي لم نعثر عليها أو لم نتمكّن بجهدنا المتواضع من الوصول إليها، وهناك عديد النماذج عن ذلك في هذا البحث، وبعدها عملنا على استكمال التحقيق و الدراسة والتحليل على النّحو التالي :

رقّمت الرسائل من أول رسالة إلى آخرها بما في ذلك تلك التّي نسبت إلى أحد الخلفاء.

قمت بتخريج الأحاديث الواردة في متون الرسائل من أمهات كتب الحديث، دون الإطالة في التخريج إلّا بما تتطلبه الضرورة العلمية، كما قمت بتخريج الآيات القرآنية بذكر اسم السورة ورقم الآية.

أمّا الأشعار فنسبتُها إلى قائليها بالرّجوع إلى دواوينهم ،فإن لم يكن هناك دواوين فمن المصادر التّي أشارت إليها.

عرّفتُ بالأماكن و البلدان التّي وردت في الرسائل و التّي تحتاج إلى تعريف بها من كتب البلدان، خاصة معجم البلدان لياقوت الحموي.

عرّفت بأسماء الرجال والأعلام الذّين ورد ذكرهم في الرسائل، والذّين يستدعي الأمر التّرجمة لهم، أمّا المشهورون فلم أعرّف بهم، ومن لم أجد عنه ترجمة فنبهت على ذلك في الهامش.

قمت بشرح الكلمات الصعبة شرحا لغويا بما يوضّح معناها ومفهومها .

أشرت في الهامش إلى ملاحظات و تنبيهات محقّقي بعض المصادر التّي ذكروها في الهامش على بعض الكلمات الغامضة و الناقصة أو المضطربة، لما في ذلك من أهمية في الوقوف على اختلافات بعض النسخ وتصحيح التّصحيفات.

بعد هذا وقفت على الرسائل بالنّقد والتّحليل و الدّراسة و التحقيق، ووضّحت بعض الأحكام الفقهية التّي دعت الضرورة إليها في بعض الرسائل، دون أن أتوسع في ذلك، وذلك لبلورة الدّوافع والغايات التّي كانت وراء كتابة الخلفاء بما كتبوا، وتتبّعت مسار هذه الرسائل و الأوامر وما آلت إليه بعد الكتابة بها، معرّجا بالذّكر على ردود من أُرسلت إليه.

ذلك هو عملي في عرض الرسائل و توثيقها وتحقيقها و دراستها.

وقبل الحديث عن الصّعوبات التّي اعترت طريقي في إنجاز هذا البحث لا بدّ أن أعترف أوّلا بأنّي لا أشكو قلّة المادّة العلميّة، بل وجدت مادة خصبة ووفيرة تفي بإنجاز بحث مُتكامل، وزّعتها على الأبواب والفصول ومحاور البحث، إلّا أنّ كثيرا من الرّسائل واجهتنا معها مشكلة التّنظيم والتصنيف على الفصول والأبواب، ذلك أنّ كثيرا منها كانت مُتنوعة المضامين ومتعدّدة الموضوعات، فعمدنا إلى وضعها في الباب أو الفصل المتعلّق بالموضوع الغالب عليها، ثمّ الإشارة إليها في الفصول والأبواب التّي لها صلة بها، إضافة إلى تعدّد الروايات للنّص الواحد، واختلاف فقراته، واقتصار بعض المصادر على ذكر جزء من الرّسالة وإهمال الباقي منها والذي لا يتعلق بالمدروس أو الشّاهد، وهذه أحد الأسباب التي دفعتنا إلى تكرار الرّوايات للرسالة الواحدة.

وكذا الحصول على عديد الرّسائل مُجرّدة من إطارها الزّماني أو الجهة التّي أُرسلت إليها ممّا يصعّب علينا أحيانا تتبّع سَيرورة بعض الأحداث وتطوّراتها، وتتبّع مواقف الخلفاء، ويُبقي لدينا الكثير من الإبهام.

ومن الصعوبات التي واجهتنا وسعيت بكل جهد إلى تخطّيها ما يتعلق بالمصادر التي خلت في معظمها من المفاتيح الموصلة بسهولة إلى الرّسائل كفهرس الأعلام والأماكن والمصطلحات، ممّا اضطرني في كثير من الأحيان إلى تصفّح جميع صفحات الكتاب، وهذا ما تطلب مني جهدا ووقتا.

ومن الصّعوبات أيضا ما يتعلّق بالبحث عن ترجمة علم من الأعلام، إذ قد نجد تراجما غير كافية عن علم من الأعلام، وأحيانا لا نجد له ترجمة مما يُبقي الأمر غامضا في بعض المواقف .

والصّعوبة الأخرى أنّنا أحيانا لا نجد ما نرمّم به النّص أو نجد الرّسالة بغير نصّها، أو يُشار إليها فحسب- كما سبق وأن ذكرنا -، ممّا يبقي الغموض على بعض المواقف، ويدفعنا إلى البحث والاستقراء أكثر.

أمّا بخصوص رسالة عبد الملك إلى الحسَن البصري يسأله عن القَدر ورأيه فيه، وجواب الحسن عن ذلك فقد تعسّر علينا نقلها من مصدرها في مصورة دار الكتب المصرية المأخوذة عن مخطوطة أيا صوفيا، واضطررنا إلى نقلها عن كتاب محمّد عمارة رسائل العدل والتوحيد.

ورغم كلّ ما سبق فقد وطّنتُ النفس على إكمال هذا البحث والوصول إلى نهايته، ومع ذلك لا ندّعي بلوغ الكمال فيه، بل يبقى محاولة معرّضة للقُصور والنّقص الذّي يعتري كلّ عمل بشري، وأسأل الله أن يتقبل منّا، ويوفقنا لكلّ صواب وخير.

تمهيد:

الخُلفاء الأمويّون الأوائل:

"41-99هـ/661-717 م"

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1-إنتقال الحكم إلى بني أميّة:

لمّا قُتل عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ حرّض معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أهل الشّام على الطّلب بدمه فبايعوه على ذلك، وكان عليّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قد بويع بالمدينة خليفة للمسلمين[1]، وقد أشار أصحاب عليّ عليه أن يعزل معاوية عن الشّام فعزله فلم ينعزل وامتنع عليه، وقال: «لا أبايعه حتى يسلمني قتلة عثمان فإنه قُتل مظلوما»[2]، وقد قال لوفد الصّلح الذّي قدم عليه :«أما بعد فإنّكم دعوتم إلى الطّاعة والجماعة فأمّا الجماعة التّي دعوتم إليها فمعنا هي، وأما الطاعة لصاحبكم –يقصد عليّا- فإنّا لا نراها، إنّ صاحبكم قتل خليفتنا وفرّق جماعتنا وآوى ثأرنا وقتَلَتنا، وصاحبكم يزعم أنّه لم يقتُله، فنحن لا نرّد ذلك عليه، أرأيتم قتلة صاحبنا؟ ألستم تعلمون أنهم أصحاب صاحبكم؟ فليدفعهم إلينا فلنقتلهم به ثمّ نحن نجيبكم إلى الطاعة والجماعة»[3].

والحقيقة أنّ عليّا كان يرى ما لا يراه معاوية، وإنّ القول بأخذ القصاص من قتلة عثمان والمحاربين للّه تعالى واجب هو أمر صحيح، وما خالفهم قط عليّ في ذلك، ولا في البراءة منهم، ولكنهم كانوا عددا ضخما جمًّا لا طاقة له عليهم، فقد سقط عن عليّ ما لا يقدر عليه، كما سقط عن كل مسلم ما عجز عنه من صوم وصلاة وحج، «ولو أنّ معاوية بايع عليًّا لقويَ به على أخذ الحق من قتلة عثمان، فصحّ أنّ الإختلاف هو الذي أضعف يد عليّ عن إنفاذ الحق عليهم ولو لا ذلك لأنفذ الحق عليهم»[4].

والحق أنه ما كان لمعاوية وهو والٍ ليس من المهاجرين ولا الأنصار أن يفرض رأيه على من بايعه أهل المدينة ،وماشترطه على الإمام علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ حق يريد به تحقيق أهداف سياسية ، بعد أن رأى التفاف الناس من أهل الشّام عليه ،وتأكد من طاعتهم له ،ذلك أنّ الأمر ليس أمر نزاع قبلي حتّى يطلب ما يطلب من الإمام .

ولقد جرت بين عليّ ومعاوية بعد ذلك كُتب ورسائل، ثمّ أجمع عليّ على الخروج من الكوفة يريد معاوية بالشّام، وبلغ ذلك معاوية فخرج في أهل الشام يريد عليًّا، فالتقوا بصفّين[5] لسبع ليال بقين من المحرم سنة 37هـ، فلما كان هلال صفر نشبت الحرب بينهم، فاقتتلوا أيّام صفّين قتالاً شديداً[6].

---

[1] _ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج56، ص117.

[2] _ابن كثير: البداية والنهاية، ج8، ص19 ، محمدأمحزون: تحقيق مواقف الصّحابة من الفتنة، ص 454

[3] _ تاريخ الطبري ، ج5، ص6.

[4] _ابن حزم: الملل والنحل، ج3، ص87.

[5] _صفّين: موضع بقرب الرّقة على شاطئ الفرات من الجانب الغربي بين الرقة وبالس، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج3، ص414.

[6] _ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، ج25، ص21، 22.

ثم جرى بعدها ما جرى من أمر التحكيم [1]واختيار أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص ،ثم خروج الخوارج على عليّ، ولم يزل أمر عليّ على اختلاف مع أصحابه الذّين أوهنو صفّه حتى قتله ابن ملجم المرادي [2] سنة 40هـ[3].

إنّ هذه الأحداث وتطوراتها دفع ثمنها عليّ بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، إذ كلفه ذلك حياته كاملة فقُدّمت مهرا غاليا للحفاظ على الأمة وتماسكها ، ولا ينبغي هنا نشدد الحكم على عليّ ولا على معاوية، فكلاهما اجتهد ورأى الأمور بميزانه، يقول ابن حزم: «كان عليّ على حق ومعاوية مع الفئة الباغية، وكلاهما مجتهد، والمجتهد المخطئ إذا قاتل على ما يرى أنه الحق، قاصداً إلى اللّه تعالى بنيّة، غير عالم بأنّه مخطئ، فهو فئة باغية وإن كان مأجوراً ولاحد عليه إذا ترك القتال ولا قود»[4].

بل معاوية نفسه كان يعترف بفضل عليّ عليه، إذ لما سئل عن عليّ قال: والله إني لأعلم أنّ عليّا أفضل منّي، وإنّه لأحقّ بالأمر منّي، ولكن ألستم تعلمون أنّ عثمان قُتل مظلوماً ، وأنا ابن عمّه، وإنّما أطلب بدم عثمان، فأتوه فقولوا له فليدفع إليّ قتلة عثمان وأسلّم له[5].

وهذا ليس من حقّه ، وإنّما ذلك للإمام الشرعي الذي يجب له إقامة الحدّ على من قتل عثمان ، فالدّولة هنا هي من تتولّى ذلك ممثّلة في خليفة المسلمين، إضافة إلى أنّ عثمان له أبناء فهم الأولى بالمطالبة بدم أبيهم من الإمام.

وبعد وفاة عليّ بايع الناس ابنه الحسن بالخلافة فسار الحسن يطلب الشام، فنزل المدائن[6] وأقبل

---

[1] _لمعرفة المزيد عن التحكيم والحروب بين علي ومعاوية انظر: ابن سعد: الطبقات، ج3، ص30، الطبري: المصدر السابق، ج5، ص19 وما بعدها، ابن كثير: المصدر السابق، ج8، ص19، محمدأمحزون: المرجع السّابق، ص515.

[2] _هو عبد الرحمان بن مُلجم المرادي أحد بني مدرك من حي مراد، شهد فتح مصر، كان عابدا قانتا لكن خُتم له بشرّ، فخرج وقتل أمير المؤمنين عليًّا، متقرّباً إلى اللّه بدمه بزعمه، قتل بالكوفة سنة 40هـ بعدما قُطعت أربعته ولسانه. ابن حجر: لسان الميزان، ج5، ص141، الذهبي: تاريخ الإسلام، ج2، ص232، 233.

[3] _الطبري: المصدر السابق، ج5، ص143، الأصفهاني: مقاتل الطالبيّين، ص22، ابن الجوزي: صفة الصفوة، ج1، ص333، 334، وقد كان ابن ملحم قال لعليّ حين التقاه: أشدُد حيازيمك للموت فإن الموت لاقِيكَ

ولا تجزع مـــن القتـــــلِ إذا حـــلَّ بواديكَ

فطعنه بالكوفة لثلاث عشر بقيت من رمضان. ابن الجوزي: المصدر السابق، ج1، ص334.

[4] _ابن حزم: المصدر السابق، ج3، ص86، 87، وانظر: الباقلّاني: مناقب الأئمّة الأربعة، ص 91.

[5] _ابن منظور: المصدر السابق، ج25، ص32.

[6] _المدائن: تقع على مصب الفرات بنهر دجلة، وهي مدينة سميّت بالجمع لأنها سبع مدائن، فُتحت على يد سعد بن أبي وقاص سنة 16هـ، أيام عمر بن الخطاب. ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج5، ص74، 75.

معاوية في أهل الشّام، فلمّا تواجه الفريقان سعى الناس بينهما في الصلح، ثم حصل أن تفرّق أصحاب الحسن ونهبوا متاعه، حتى نازعوه بساطاً كان تحته وطعنوه، بل إقترح المختار بن أبي عبيد[1] وهو غلام على عمه سعد بن مسعود[2] أن يوثّق الحسن ويسلمه معاوية فأبى[3].

لمّا رأى الحسن تفرّق أصحابه وضُعف جانبه، ودرس الوضع من كل جوانبه بعين بصيرة ورؤيا بعيدة، قرّر عندها عدم المضيّ في حرب خاسرة، فانتسابه لبيت النّبوة لا يكفي وحده لقيادة المسلمين، ولا يجلب إليه النصر، فأبوه رغم شجاعته وسابقته وتقواه عجز عن ترويض أهل العراق، وحشدهم لنصرة الخلافة الراشدة، فكيف وهو دونه؟ !.

لمّا رأى الحسن كلّ هذا أرسل إلى معاوية يطلب الصلح، وخطب في أصحابه قائلا: «يا أهل العراق إنّه يسخى بنفسي عنكم ثلاث: قتلكم أبي، وطعنكم إيّاي، وانتهابكم متاعي»[4]، وأرسل إلى معاوية يطلب الصّلح فاجتمع معه بمسكن [5]بأرض السواد[6] من ناحية الأنبار[7]، فاصطلحا وسلّم الحسن إلى معاوية بالخلافة في شهر ربيع الآخر سنة 41هـ[8].

وأقدّر أنه وجد أنّ معاوية خير لهذا العصر منه، ومعه من الأصحاب من يثق بهم، فيستطيع أن يشق بهم طريقة، فكان في نفس الحسن أن يسلّم الأمر لمعاوية، ولم يكن في نفسه أن يقاتل؛ إنّ نظرة الحسن غير

---

(1) _المُختار بن أبي عبيد كذاب من كبراء ثقيف، وذوي الرأي الفصاحة والشجاعة والدهاء، وقلة الدين قال: عنه النبي ﷺ "يكون في ثقيف كذاب ومبير" فكان الكذّاب هذا، أدعى أنّ الوحي يأتيه، وادّعى المهدوية لمحمد بن الحنفية، وتردد كثيرا على ابن الزبير وابن الحنيفة، خرج على عبد الملك فقتل في رمضان سنة 67هـ. تاريخ خليفة بن خياط، ص164، 165، 168، الذهبي: سير اعلام، ج3، ص538-544.

(2) _سعد بن مسعود الثقفي عمّ المختار بن أبي عبيد قيل له صحبة، كان مع علي والحسن في قتالهم لمعاوية. الرازي: الجرح والتعديل، ج4، ص94، ابن الأثير: أسد الغابة، ص477.

(3) _الطبري: المصدر السابق، ج5، ص159، ابن الجوزي: المنتظم، ج5، ص183، ابن كثير: المصدر السابق، ج8، ص19.

(4) _الطبري: المصدر السّابق، ج5، ص159.

(5) _مَسكن: موضع قريب من دير الجاتليق بالعراق على نهر دجيل، وبه أيضا كانت الوقعة بين عبد الملك بن مروان ومصعب بن الزبير. ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج5، ص128.

(6) _أرض السّواد: رستاق العراق وضياعها التي افتتحها المسلمون على عهد عمر بن الخطاب سميّ كذلك لسواده بالزروع والنخيل والأشجار، لأنه تاخم جزيرة العرب التي لا زرع فيها، فكانوا لما يخرجون من جزيرتهم رأوا خضرة كثيرة فقالوا سواد، وحد السواد من الموصل إلى عبادان ومن القادسية إلى حلوان، ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج3، ص272.

(7) _الأنْبار: مدينة على الفرات في غربي بغداد، ، وكانت الفرس تسميتها فيرز سابور، وكان أوّل من عمّرها سابور بن هرمز، وسميت الأهراء ثم عربها العرب إلى أنبار ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج1، ص257.

(8) _تاريخ خليفة، ص123، تاريخ الطبري، ج5، ص129، ابن الجوزي: المنتظم، ج5، ص183.

نظرة عليّ، إذ كان أصغر منه في السن، وألزم لحوادث العصر، وكان ينظر إليها بمنظار رجال ذلك الجيل، وهكذا وجد أنّه لا قِبل له بتولي الخلافة، ذلك أن شروط العصر كانت لا تلائم نفسه، ورأى أنه ينبغي له ألاّ يثق بأصحابه وقد عرفهم، وعرف ما قاساه والده عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ منهم، وهكذا آثر أن يترك الخلافة لغيره على أن يبتلى بهم[1]، وتحقق فيه قول النبي ﷺ: « ابني هذا سيّد ولعلّ الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين» [2].

ودخل معاوية الكوفة فخطب الناس بها وبايعه الناس أكثرهم على كره، وسمي هذا العام عام الجماعة لاجتماع الكلمة على أمير واحد بعد الفُرقة[3].

هذا وإنّ الصّلح بين معاوية والحسن كان وفق شروط اشترطها الحسن وقبل بها معاوية، وهذه الشروط هي:

-أن يسلّم إليه ولاية أمر المؤمنين على أن يعمل فيهم بكتاب اللّه وسنة نبيه محمد ﷺ، وسيرة الخلفاء الصالحين.

-ليس لمعاوية بن أبي سفيان أن يعهد لأحد من بعده، بل يكون الأمر بعده شورى بين المسلمين.

-إن أصحاب علي وشيعته آمنون على أنفسهم، وأموالهم ونسائهم وأولادهم، وعلى معاوية بن أبي سفيان بذلك عهد اللّه وميثاقه.

-أن لا يبغي معاوية للحسن بن علي ولا لأخيه الحسين، ولا لأحد من أهل بيت النبي ﷺ غائلة سرّا وعلانية[4].

-ألا يذكر عليّا إلا بخير، وألاّ يشتمه، فلم يجبه إلى ذلك.

-أن يأخذ الحسن لنفسه من بيت مال الكوفة خمسة آلاف ألف درهم.(5000.000 درهم) [5].

على أنّ عام الجماعة، وانتقال الخلافة إلى الأمويّين لم يقضِ على كل المشاكل، فإن روح الخلافة الراشدية استمرت عند علماء الدين في شكلها الحقيقي متصدّية معارضة، واستمرت عند الخوارج في شكلها المبالغ

---

(1) _يوسف العش: الدولة الأموية، ص126.

(2) _رواه البخاري في الصحيح ،كتاب فضائل الصحابة ، باب مناقب الحسن والحسين ، ص 921، رقم 3746، عن أبي بكرة.

(3) _ابن كثير: المصدر السابق، ج8، ص19، رضوان السّيّد: رؤية الخلافة وبنية الدّولة، ص27.

(4) _ابن اعثم : الفتوح، ج4، ص290، 291.

(5) _ الأصفهاني: المصدر السابق، ص41 ، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج3، ص203- 272.

المتطرّف مصارعة مقاتلة، ووقف العراق والحجاز يتحسّران على ضياع الحكم منهما، فحاول رجال الإقليمين مصارعة معاوية لاستعادة مكانتهما وقيادتهما للأمّة على يد قيادات مختلفة في العراق، وعلى يد الحسين سنة61هـ، وأصحاب موقعة الحرّة في المدينة المنورة سنة 63هـ ،وابن الزبير 64-73هـ ،إلاّ أنّ هذه المحاولات باءت بالفشل.

وبهذه الطريقة قامت الدولة الأمويّة معبّرة عن روح العصر الجديد وحاجاته، ثم صادفت من المصاعب ما قدمته لها الأحداث التي أسلمتها الحكم، فهي مدينة لتلك الأحداث ببؤسها ونعيمها معاً[1].

وبتنازل الحسن وتولّي معاوية أُسدل السّتار على مرحلة هامة من مراحل التاريخ الإسلامي وانتقلت الأمّة من مرحلة خلافة وحكم راشد إلى مرحلة الملك ، بعد توريث الحكم من معاوية لابنه يزيد[2].

وليس عيبا إذا قلنا أنّ بني أميّة ومعاوية بالتحديد كان أوّل الخلفاء الملوك، بل لا ينقص ذلك من قدره ولا من إنجازاته، إذ أنّ انقلاب الخلافة إلى الملك واقع بحسب ضغط الواقع الذّي أصبحت الدّولة تعيشه ، لا يخلّ بما قصد بها في الجملة، بل الحاجة إلى الملك –إذ ذاك- هي أرفع مراتب الإعتبار به، وذلك لأن الوازع في أيام وجود الخلافة إنما كان دينا محضا يجده كل واحد في نفسه، وبعد انقلاب الخلافة إلى ملك «ضعف ذلك الوازع وكاد يفقد –غالبا- فاحتاج إلى مزيد رهبة هي منازع الملك ومراسم موضوعه»[3].

كانت الخلافة الأمويّة وليدة الأوضاع التي أفرزها مقتل الخليفة عثمان، والخلاف الذي دار بين مرشّحي الخلافة، وتطوّر في مرحلة ثالثة إلى نزاع بين الخليفة عليّ ومعاوية بن أبي سفيان، وانكشف عن اعتلاء معاوية كرسي الخلافة[4]، هذا ويجدر بنا القول أنّ حكم الراشدين حكم سبّاق لزمنه بشكل عجيب وقد كان فريداً في ذلك العصر بمفهومه، فهو حكم الشّورى والدّين، ورغم ذلك ما كان بوسع حكم الرّاشدين أن يستمرّ طويلا، فالمجتمع الجديد بجيله الجديد وعقليته الجديدة، لم يكن مؤهلاً للإستفادة من ذلك الحكم والانطباع به، فكان لابدّ أن يحلّ حكم جديد، بعقلية تُشابه عقلية الجيل الجديد، واتجاهه ومفهومه للحياة، فكان لهذا الإتجاه الجديد أن يسلّم الحكم إلى رجل من رجال أسرة كانت في الجاهلية مقاربة في عقليتها ومفهومها للصفّة التي كان يتطلّبها ذلك المجتمع الجديد، لقد كان معاوية حقّا يمثّل هذا

---

(1) _يوسف العش: المرجع السابق، ص134، 135.

(2) _الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج3، ص157.

Patricia Crone:Good's rule, p45 Hamid Dabashi: Authority in islam,p88

(3) _ابن الأزرق: بدائع السلك، ج1، ص94. وانظر الجابري: العصبيّة والدولة، ص208.

(4) _محمد ضيف الله بطاينة: دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين، ص415.

الجيل في مفهومه وعقليته ورغباته في الحياة، وكانت بلاد الشام أهلا لأن تكون مركزا وعاصمه لهذا المجتمع الجديد[1].

على أنّ ثمّة فارقا كبيرًا بين جيل صنعت منه العقيدة إنسانا جديدًا، ومتمحورًا حول قضية مصيريّة، وبين جيل آخر أفرزته الحروب الأهليّة بكل ما رافقها من مؤامرات وانهيار في السّلوك، واهتزاز في الإيمان، وقد جاء ذلك كله لمصلحة التيّار الذي تزعمّته الأسرة السّفيانية وعلى رأسها معاوية، الذي كرّس مفاهيم جديدة في العمل السّياسي لم تكن على انسجام كبير مع ذهنية وسلوك مجتمع الخلفاء الرّاشدين الذّي بدأ يتضاءل بفعل دخول أقوام آخرين في الإسلام [2].

كانت الأمور قبل تولي معاوية بحاجة إلى إدارة قديرة تدير أمرها، وتوفّر الأمن والاستقرار للنّاس، وكان معاوية آنذاك هو الشخص الذي يملك القابليّات للقيام بهذه المهمّة بعد التجربة التي اكتسبها من خلال حكمه للشّام لمدّة عشرين سنة ، وقد كان صبوراً على المكروه، وحليما لدرجة كبيرة، وأطول باعاً من غيره في السياسة، إنّ قابليات معاوية وصفاته هي التي مكنّته من أن يخضع له أبناء المهاجرين والأنصار وكل من يعتقد أنه أولى منه بالخلافة[3].

أليست حقيقة هذا المنصب لا تتم إلاّ لمن تمكّن بقهر يده من ترويض الرعيّة وجباية الأموال وبعث البعوث وحماية الثغور؟[4].

إن سائس الأمة دون بصيرة بالأحوال والأوضاع المحيطة بها لا ريب أنه يجلبُ إليها الويلات والمصائب، كما حدث ويحدث في شتّى الأزمان، فالعامل على غير بصيرة كالسّائر على غير طريق، فتسلّم قيادة الجماعة إلى من لا يعرف شؤون الإدارة والسيّاسة معرفة كافية وشاملة كمن يعطى قيادة مركبته إلى جاهل بقيادتها، لقد أكّد الاسلام على هذا الشرط وأكّد عليه بدرجة كبيرة، لأنه يبغي من وراء ذلك صيانة الأمّة الإسلامية من التّورّط في المشاكل أو تقع فريسة للمؤامرات الأجنبيّة[5].

وإن اعترفنا أنّ المحور الذي كانت تدور عليه سياسة بني أمية والغرض الذي كانوا يرمون إليه إنّما هو إحراز الخلافة والرجوع إلى السيادة التي كان لهم نصيب منها في الجاهلية –بقطع النظر عن وعورة المسالك

---

(1) _يوسف العش: المرجع السابق، ص133، محمد أعزون: المرجع السابق، ص585، برهان غليون: أصل السّلطة في الاسلام، ص29.

(2) _إبراهيم بيضون: الدولة الأموية والمعارضة، ص22.

(3) _جاسم صبكان علي: تاريخ صدر الغسلام، ص86.

(4) _ابن الأزرق: المصدر السابق، ج1، ص107.

(5) _حسن الحاج حسن: النظم الإسلامية، ص232، patricia crone:opcit, p46.233

المؤدية إلى ذلك أوشرعية الأسباب التي تمسكوا بها- إلّا أننا نعترف بإنجازاتهم فقد اتسعت الدولة في أيامهم واشتدت شوكتها ما لم تبلغ دولة العباسيين بعدها[1].

كما لا ننكر أكثرهم وصف بالورع والتّقوى والعبادة، وكانوا مسلمين قادوا الفتوح، وأضافوا الكثير من البلاد إلى دار الإسلام، وزيّنوا وشجّعوا دخول النّاس في الاسلام، وأجازوا على القرآن، وأنفقوا على نشره وتثقيف الناس به، وأسْدوا بتدوين السنّة النّبويّة خدمة جليلة إلى الشّريعة الإسلامية وأهلها، وأنشؤوا المدن، وبنوا المساجد ودور العبادة، وأحسنوا إلى النّاس جميعا ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، وكانت آثارهم في تنظيم الإدارة وتطويرها وتعريبها مشهودة، وخططهم في الإقتصاد وتنميته واستقلاله وإصلاح العملة والمكاييل والموازين رائدة، وجهودهم في خفض النّزعات الفردية والقبليّة، وإعلاء يد الدّولة وبناء صرحها الشامخ جادّة وكبيرة، وكانت دولتهم امتداداً لعزّ الإسلام ومجده[2].

2-إطلالة عامّة عن حياة الخلفاء الأمويّين وجهودهم في خدمة الإسلام 41-99هـ:

2-1-نسَب الأمويّين:

ينتسب الأمويّون إلى عبد مناف بن قصي، وكان من ولده عمرو وهو هاشم وعبد شمس[3]، فولد هاشم عبد المطلب[4] وولد عبد شمس أميّة الأكبر، ومن ولد أمّية أبو العاص وحرب بن أميّة، ومن أولاد حرب أبو سفيان واسمه صخر[5] ومن ولده معاوية بن أبي سفيان ويعرف هذا الفرع بالفرع السفياني.

ومن ولد أبي العاص الحكم بن العاص، ومن ولده مروان بن الحكم وعبد الرحمان وعبيد اللّه[6] ويعرف بالفرع المرواني، ومن ولد أبي العاص أيضا عفّان وابنه عثمان بن عفان، لذلك كان معاوية وعثمان من أبناء عمومة وكلاهما من ولد أمية بن عبد شمس.

لقد كان إذن عبد شمس وهاشم إخوة، ولقد اتّفق أن حال هاشم رقّت فاستبدّ عبد شمس بالتجارة،

---

(1) _جرجي زيدان: تاريخ التمدّن الإسلامي، ج2، ص336.

(2) _محمد ضيف الله بطانية: المرجع السابق، ص416.

(3) _مصعب الزبيري: نسب قريش، ص14، ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص14، عمر فروخ: تاريخ صدر الإسلام، ص110.

(4) _مصعب الزبيري: المصدر السابق، ص14، ابن حزم: جمهرة أنساب، ص14.

(5) _مصعب الزبيري: المصدر السابق، ص97.

(6) _المصدر نفسه، ص159، ابن حزم: جمهرة أنساب، ص87.

ثم استبدّ ابنه أمية بالحرب، وهكذا أصبحت السيادة العسكرية والمالية في بني عبد شمس على حساب بني هاشم [1] .

وبعد ظهور الإسلام ولمّا أُصيب يوم بدر كفار قريش جاء أقرباؤهم إلى أبي سفيان بن حرب ومن كانت له في تلك العير تجارة، فجمع المال للثأر فأنز الله تعالى قوله: [2] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ اللهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُون وَالَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [3] فاجتمعوا لقتال الرسول ﷺ [4]، وكان أوّل من أجاب إلى قتال النبي ﷺ في أحد هو أبو سفيان وبنو عبد مناف فاجتمعت عندها قريش لحربه ﷺ [5].

ولفهم سبب عداوة بني حرب للإسلام في بادئ أمره لابّد أن نعرف أنّه لمّا جاء الإسلام كان بنو هاشم ضعفاء إقتصاديّا وعصبيّا، وكان بنو أميّة أقوياء جدّا، من أجل ذلك كان كل تبديل في حياة قريش السائدة يومذاك يضرّ بني أميّة حتما، وقد ينفع بني هاشم.

فلم يكن من المستغرب إذن أن يسرع أغلب بني هاشم إلى إعتناق الإسلام، وأن يقاوم أكثر بني أميّة الاسلام ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، ثمّ لا ننسى ما كان بين الفريقين من سباق نحو المفاخرة وعلو الذّكر، إذ لمّا نزل القرآن ظنّت قريش أن بني هاشم ذهبت بالمفاخر، وأخيراً عمّ الاسلام شبه الجزيرة العربية، ولم يجد المعارضون من بني أميّة مفرّا من الدّخول فيه، ولكنّهم دخلوا أقوياء يحاولون الإحتفاظ بجميع الإمتيازات التي كانت لهم قبل إسلامهم، ولقد استطاعوا ذلك لمكان ثروتهم وعصبيتّهم واتجاههم الدنيوي والمادّي الذي تعوّدوه منذ جاهليّتهم، إلاّ أنّ هذا أغاظ بني هاشم لأنّهم كانوا يرون أنّهم هم من نصر الاسلام[6].

2-2-خلفاء الفَرع السّفياني:

أ-معاوية بن أبي سفيان مُؤسّس الدولة:

هو أبو عبد الرحمن معاوية بن صخر- أبو سفيان- بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد

---

[1] _عمر فرّوخ: المرجع السابق، ص110.

[2] _ سورة الأنفال الآية 36.

[3] _ ابن سّيد الناس: عيون الأثر، ج2، ص6.

[4] _ سيرة ابن إسحاق ،ص330، سيرة ابن هشام ،ج1،ص606، السهيلي: الرّوض الأنف،ج3،ص241.

[5] _ سيرة ابن هشام ،ج2،ص60.

[6] _عمر فروخ: المرجع السابق، ص11.

مناف[1]، يلتقي بالرسول ﷺ في النّسب وأمّه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس[2]، كان أبوه –أبو سفيان– سيّداً من سادات قريش في الجاهليّة ورأسا من رؤوس الأحزاب، قاد قريشا في حروبها على الرسول ﷺ[3]، وكان من كبار تجّار قريش[4]، أسلم يوم فتح مكة، وشهد الفتح مع رسول الله ﷺ[5] ويومها قال العباس لرسول الله: إنّ أبا سفيان هذا يحبّ الفخر فاجعل له شيئا، فقال الرسول ﷺ من دخل دار أبي سفيان فهو آمن[6]، ولاه الرسول ﷺ صدقات الطائف وولاه نجران، توفي بالمدينة سنة 30هـ وهو ابن ثلاث وسبعين[7].

أمّا معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقد أسلم مع أبيه وأمّه يوم الفتح، وكان يقول: أسلمت يوم عمرة القضاء سنة 7هـ، ولكنّي كتمت إسلامي خوفا من أبي[8] وقيل أسلم قبيل الفتح وعمره 18 سنة[9].

كان معاوية طويلا أجلح[10]، أبيض الرّأس واللّحية[11]، سمنا عريض الصّدر وافر اللّحية[12]،شهد حنينا مع النبّي ﷺ ، وأعطاه الرّسول ﷺ من غنائمها مائة من الإبل حيث كان هو وأبوه وأخوه من المؤلفة قلوبهم ثم حسن إسلامهم بعد[13]، كان أحد كتّاب رسول الله، يكتب إلى الملوك ورؤساء القبائل ويكتب الصّدقات[14].

---

(1) _الفسوي: المعرفة والتاريخ، ج1، ص305، القضاعي: عيون الأنباء، ص323، ابن الأثير: الكامل، ج3، ص272، ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ج1، ص282.

(2) _البلاذري: أنساب الأشراف، ج5، ص12، القضاعي: المصدر السابق، ص323، ابن الأثير: أسد الغابة، ص1145.

(3) _البلاذري: المصدر السابق، ج5، ص12، أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ج5، ص2257، ابن تيمية: منهاج السنّة، ج4، ص474.

(4) _أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ج5، ص2257.

(5) _سيرة ابن اسحاق، ص524 ،السهيلي: المصدر السابق، ج4، ص157.

(6) _سيرة ابن اسحاق، ص524، السهيلي: المصدر السابق، ج4، ص157.

(7) _البلاذري: المصدر السابق، ج5، ص12.

(8) _المصدر نفسه، ص21، تاريخ الطبري، ج5، ص328، ابن عساكر: المصدر السابق، ج56، ص55، الذهبي: سير أعلام، ج3، ص120.

(9) _ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، ج24، ص400.

(10) _أجلَح: من الجلح وهو ذهاب الشعر من مقدّم الرأس، وقيل هو الذي زاد قليلا عن النزعة، وبعد الجلح يأتي الصلع. ابن منظور: لسان العرب، مج1، ص651، مادة جلح ، مرتضى الزبيدي: تاج العروس، ج6، ص342، مادة جلح.

(11) _ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج56، ص57، ابن منظور: مختصر، ج24، ص400، ابن كثير: البداية والنهاية، ج8، ص102.

(12) _المسعودي: التنبيه والاشراف، ص301، الذّهبي :سير أعلام ،ج3 ،ص120 .

(13) _ابن عساكر: المصدر السابق، ج56، ص67، أبو طاهر أحمد بن محمد: الأربعين البلدانية، ص154.

(14) _السّمعاني: أدب الإملاء، ص172، ابن الجوزي: المنتظم، ج5، ص185، ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ج1، ص285.

وبعد وفاة النبّي ﷺ وتولّي أبي بكر سار معاوية إلى الشّام مع أخيه يزيد في عداد الجيش الذّي سيّره أبو بكر، واستعمل عمر يزيد بن أبي سفيان على دمشق، فلمّا مات يزيد أُمّر معاوية مكانه، ثمّ أقرّه عثمان أيضا بعد عمر، وجمع له الشّام كلّه[1].

فبقي أميراً عليها عشرين سنة، افتتح خلالها جزيرة قبرص[2] سنة 25هـ، وسكنها المسلمون قريبا من ستين سنة[3]، ولم تزل الفتوحات والجهاد قائمة على ساقه في أيّامه في بلاد الرّوم وبلاد المغرب والمشرق وغيرها[4].

وفي عهد عثمان تبوّأ معاوية منزلة كبيرة حتّى غدا أعظم وال في الدولة الإسلاميّة، فقد توسّعت حدود إمارته، حيث جمع له عثمان الشّام كلها، وضمّ إليه إقليم الجزيرة الفراتية.

لقد كان معاوية على قدر تلك المسؤوليّة الضّخمة التي ألقاها عثمان على عاتقه، بل كان معاوية أكبر من تلك المسؤوليّة، فقد واجهها بعزم وحزم، وتلقّاها بهمّة ونشاط لا ينقطع، حتى استطاع أن يجعل من إقليم الشّام مركز ثقل في الدولة الإسلامية، ولذلك نجد أنّنا أمام والٍ كبير يشق طريقه بجدارة من بين الولاّة إلى ما هو أبعد من الولاية، حتى لقد استطاع معاوية بقدراته تلك وذلك النّجاح الكبير إقناع غيره بأنّه الجدير لقيادة أمّة وليس إقليماً فحسب[5].

لقد أطمع معاوية في الخلافة أنّه حاكم على الشّام منذ زمن، وأنّه مُقدّمٌ عند أهل الشّام، عظيم النّفوذ هناك، إذ ساسهم بالحِلم والرفق ووسّع عليهم في الأعطيات والهبات، وكان أعوانه من بني أميّة ليسوا قلّة[6]، وعاضدته قبيلة كلب اليمنية بعد أن أصهر منها بزواجه بميسون الكلبية[7] .

بايع أهل الشّام لمعاوية بالخلافة سنة38هـ في ذي القعدة، حين تفرّق الحكمان، وكانوا قبل بايعوه

---

(1) _أبو طاهر أحمد بن محمد: المصدر السابق، ص154، ابن تيمية: الخلافة والملك، ص79، السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص197.

(2) _قال ياقوت: قبرس معناها بالعربية النحاس الجيّد، وهي جزيرة في بحر الروم ، معجم البلدان، ج4، ص305.

(3) _تاريخ أبي زرعة، ص40، ابن عساكر: المصدر السابق، ج56، ص67، ابن العبري: مختصر تاريخ الدول، ص96. وقيل اقتتحها سنة 27هـ وقيل 28هـ. انظر: ابن كثير: المصدر السابق، ج8، ص103، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج1، ص108.

(4) _ ابن كثير: المصدر السابق، ج8، ص103.

(5) _عبد الله بن عبد الرحمان الخرعان: أثر العلماء في الحياة السياسية، ص65.

(6) _أحمد محمد الحوفي: أدب السيّاسة في العصر الأموي، ص14.

(7) _ هي ميسون بنت بحدل بن أنيف بن دلجة الكلبية، زوجة معاوية وأمّ يزيد، طلقها معاوية وهي حامل بيزيد، توفيت نحو سنة 80هـ. ابن عساكر: المصدر السابق، ج70، ص130-134، الزركلي: الأعلام، ج7، ص339.

للطلب بدم الخليفة عثمان[1]، فدخل في صراع مع عليّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فتمكن من تحقيق مطامحه، وكان يقول: «أُعنت على عليّ بثلاث: كان رجلا يُظهر سرّه وكنت كتوما، وكان في أخبث جند وشرّه، وكنت في أطوع جند وأقلّه خلافاً، وكنت أحّب إلى قريش منه»[2].

ثم صالحه الحسين- كما ذكرنا سابقا- وسلّم له الأمر سنة 41هـ، فقيل عام الجماعة لاجتماع الأمّة فيه على خليفة واحد[3]، وبتنازل الحسين تكون مشكلة الشّرعية بالنّسبة لمعاوية قد انحلّت حلاّ إيجابيّا تماما، الأمر الذّي وفّر له أفضل الشّروط لتطبيق نهجه وسياسته على جميع الأمّة، وترتيب شؤونها وأمورها وفق رؤيته للخلافة والسّياسة، لقد خرج معاوية من المعركة منتصراً، وفي انتصاره هذا تجلّت بوضوح ما بعده وضوح الهزيمة التّاريخية الكبرى للنّموذج السياسي الإجتماعي الذي حاول عليّ الدفاع عنه حتى النّهاية، بهذا أصبح معاوية في موقع القوّة، وأصبحت المبادرة حصراً به دون سواه[4].

صحيح أنّه كان في زمن معاوية من يفوقه علماً وفضلاً، ولكنّه كان أجدر منهم بالخلافة، وتسيير شؤونها، بل هو نفسه أقّر بذلك حين قال: «أيها النّاس ما أنا بخيركم وإنّ فيكم من هو خير منّي عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو وغيرهما من الأفاضل، ولكنّي عسيت أن أكون أنكأكم في عدوّكم، وأنعمكم لكم ولاية ، وأحسنكم خلقا»[5].

وفي هذا الصّدد يقول الماوردي عن اختيار الخليفة: «فإن كان أحدهما أعلم، والآخر أشجع نظرت، فإن كانت الحاجة إلى فضل الشّجاعة أدعى لانتشار الثغور وظهور البغاة كان الأشجع أحق، وإن كانت الحاجة إلى فضل العلم لسكون الدهماء، وظهور أهل البدع، كان الأعلم أحق»[6].

أليس معاوية بهذا هو رجل المرحلة؟ أليس هو الرجل الذي تنتظره الدّولة لحماية الثغور وقهر البغاة؟ لقد توفّرت في معاوية صفات أهلته لقيادة سفينة الأمّة، وتأمّل لما سُئل أحد أصحاب معاوية عن سبب اختياره لمعاوية قال: «إني رأيته أطوى لسرّه، وأملك لعنان أمر جيشه، وأفطن لما في نفس عدوّه»[7].

---

(1) _الطبري: المصدر السابق، ج5، ص324، ابن الأثير: الكامل، ج3، ص368.

(2) _الأصبهاني: محاضرات الأدباء، ج4، ص480.

(3) _الطبري: المصدر السابق، ج5، ص324، القضاعي: المصدر السابق، ص324، ابن تغري بردي: المصدر السابق، ج1، ص157، السيوطي: المصدر السابق، ص197.

(4) _أيمن إبراهيم: الإسلام والسلطان، ص290.

(5) _ابن منظور: مختصر، ج25، ص48، ابن كثير: المصدر السابق، ج8، ص117، وزاد فيه "وأدّركم حلباً".

(6) _ الأحكام السلطانية، ص35، الفراء: الأحكام السلطانية، ص24، وللتوسع أكثر انظر: ابن تيمية: السياسة الشرعية، ص24، 25.

(7) _الأصبهاني: محاضرات الأدباء، صج4، ص480.

إنّ دور معاوية البارز في تاريخ صدر الإسلام يعود إلى كونه الإمام الأوّل الذي تمكّن من حسم التناقض التطوّري الأساسي لمرحلة التكوّن الأولي في التاريخ الإسلامي، حسماً نهائيا لصالح اتّجاهات التطور الإجتماعي والسّياسي التي أفرزتها الفتوحات واستقرار حياة المسلمين في أوطانهم الجديدة، لقد أنهى معاوية الإنقسام في حياة الأمّة السّياسة، بتصفيته التّامة للدور الأوّل الحاسم الذي كانت تلعبه المنظومة العرفيّة، والقيمة القبلية في ترتيب المصالح والإدارة العامّة للأمة[1].

هذا مع ملاحظة أن معاوية عندما غدا خليفة أبقى على مركز خلافته في الشّام، بين أنصاره من العرب، فكرّس بذلك العمل على إضعاف الجزيرة [2]، واستعمل في سنة تولّيه-41هـ- المغيرة بن شعبة على الكوفة على صلاتها وحربها، واستعمل على الخراج عبد الله بن درّاج[3] مولاه، واستعمل على البصرة عبد الله بن عامر بن كريز[4]، واستعمل على المدينة أخاه عتبة بن أبي سفيان ثم عزله واستعمل مروان بن الحكم سنة 42هـ ، واستعمل عمرو بن العاص على مصر، وأقرّ فضالة بن عبيد[5] على قضائه[6].

أما بالنّسبة للغزو، فمنذ مقتل عثمان لم تكن للنّاس غازية تغزو حتّى عام الجماعة، فأغزا معاوية أرض الرّوم سرية تذهب بالصّيف وتشتوا بأرض الرّوم، ثم تقفل وتعقبها أخرى، وكان في جملة من أغزى ابنه يزيد ومعه خلق من الصحابة، فجاز بهم الخليج، وقاتلوا أهل القسطنطنية على بابها، ثم قفل بهم راجعاً إلى الشام[7].

وحجّ معاوية بالنّاس في أيّام خلافته مرّتين الأولى سنة 44هـ والثانية سنة 51هـ[8]، يقول ابن منظور: «ملك معاوية الناس عشرين سنة يسوسهم بالملك، يفتح الله به الفتوح ويغزو الرّوم، ويقسم الفيء والغنيمة،

---

(1) _أيمن إبراهيم: المرجع السابق، ص291.

(2) _كلود كاهن: الإسلام منذ نشوءه، ص57.

(3) _وقيل اسمه عبد الرحمان بن دراج كتب لمعاوية على الخراج والرسائل. الجهشاري: الوزراء والكتّاب، ص15، ابن عساكر: المصدر السابق، ج34، ص340.

(4) _هو عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة القرشي، ابن خال عثمان بن عفّان، ولد بمكة عام 4هـ، أعاد فتح سجستان في عهد عثمان، وولي البصرة سنة 29هـ، وولاه معاوية عليها أيضا، ثم عزله سنة 45هـ، وولى الحارث بن عمرو الأزدي كان شجاعا سخيّا توفي سنة 59هـ. تاريخ خليفة، ص124، 126، ابن الأثير: الكامل، ج3، ص49.

(5) _هو فضالة بن عبيد بن نافذ بن قيس أبو محمد الأنصاري من أصحاب رسول الله، ولاه معاوية على الغزاة ثم القضاء بدمشق، وكان خليفة معاوية بدمشق إذا غاب عنها توفي سنة 53هـ وقبره في باب الصغير. ابن عساكر: المصدر السابق، ج48، ص290 -307.

(6) _المصدر نفسه، ج56، ص119، الذهبي: سير أعلام، ج3، ص137.

(7) _ابن كثير: المصدر السابق، ج8، ص116.

(8) _القضاعي: المصدر السابق، ص326، ابن عساكر: المصدر السابق، ج56، ص460، ابن كثير: المصدر السابق، ج8، ص116.

ويقيم الحدود، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا»[1].

ومن الملاحظ أنّه طوال فترة خلافة معاوية بن أبي سفيان لم يقع بين المسلمين في الأمصار أية خلافات تثير القلق-باستثناء بعض ثورات الخوارج بالجناح الشرقي للدولة -، ممّا يدل على حنكة وخبرة معاوية السياسية، وأيضا قوة شخصيّته ودهائه السياسي، ممّا حافظ على وحدة المسلمين وتماسكهم طوال تسعة عشر عاماً ويزيد[2]، يقول عنه الذهبي: «وكان محببّا إلى رعيته...ولم يهجه أحد في دولته بل دانت له الأمم ، وحكم على العرب والعجم وكان ملكه على الحرمين ومصر والشام والعراق وخراسان وفارس والجزيرة واليمن والمغرب»[3].

فلم يقم في بني أمية رجل مثل معاوية في الدّهاء والتعقّل، ممّا يعبّر عنه أهل هذا الزّمان بالسّياسة، وإذا قسنا أعماله بأعمال أعاظم رجال السياسة من أهل هذا العصر وغيره لرأيناه يفوق أكثرهم تعقّلا وحكمة ودهاءً ، وخصوصا إذا اعتبرنا موقفه إزاء طلاب الخلافة، ومع هذا غلب عليهم جميعا فقبض على أزمّة الحكم وجعله إرثا في نسله، ولم يسفك في سبيل ذلك دماً كثيراً ، وإنّما كانت عمدته سعة الصّدر والدهاء وبذل المال[4].

كان معاوية رجل حلم[5]، وهي كلمة معقّدة وشاملة في معناها، لا تسهل ترجمتها، لكنها الكلمة الفضلى إن لم نقل الوحيدة لوصف مقدرته كقائد، فمهما اشتدّت الضغوط أو مهما بلغت رهبتها، فإن معاوية كان كرجل حلم يحتفظ برباطة جأش مطلقة، ويتّخذ المقرّرات الحاسمة، وكان عند المستطاع يرفض استخدام القوّة حلاّ لقضاياه، كان ذا عقلية واقعيّة وسياسيّة إلى حد بارز، فمثل هذا القائد بالضبط هو الذي كان مطلوبا آنذاك[6].

وقد خلف معاوية خلق كثير يحبّونه ويتغالون فيه، فقد ملكهم بالكرم والحلم والعطاء، كما قد ولدوا في الشّام على حبّه، وتربّى أولادهم على ذلك، وفيهم جماعة من الصحابة، وعدد كبير من التّابعين

---

(1) _مختصر تاريخ دمشق، ج24، ص401.

(2) _عبد اللّطيف السّيد: العصر الأموي، ص103.

(3) _ سير أعلام النبلاء، ج3، ص133.

(4) _جرجي زيدان: تاريخ التمدّن، ج2، ص349.

(5) _كان معاوية يقول:"إني لأرفع نفسي أن يكون ذنب أعظم من عفوي، وجهل أكبر من حلمي، وعورة لا أواريها بستري وإساءة أكبر من إحساني".البلاذري: أنساب، ج5، ص32، وكان يقول: "فما قتَل السّفاهة مثل حلمٍ يعود به على الجهل الحليم". ابن عساكر: المصدر السابق، ج56، ص186.وانظر ديوان معاوية، ص 11.

(6) _محمد عبد الحي: صدر الإسلام، ص90.

الفضلاء[1].

ولقد نجح معاوية في إقامة الدّولة القوّية لموهبته السّياسية في الحكم، ولقدرته على صناعة العلاقات الإجتماعية، واستقطاب الأنصار والحلفاء، فقد قرّب دهاة عصره كعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وزياد بن أبيه، الذين تمكّنوا من أن يوّطدوا له الأمور بشتّى الطّرق، بالبطش والعنف حينا، وبالعطاء والسّياسة والحيلة حينا آخر، فاستطاع هؤلاء تدجين المعركة أو كبحها، فحقّق هؤلاء تطويع الأنصار وبخاصة المغيرة وزياد، بمنطقة من أكثر مناطق الدّولة قلقا واضطرابا، ففرضوا الإستقرار الذي قوّي مكانة الدّولة وأضعف الخصوم[2].

ولمّا احتضر معاوية رضي الله عنه أوصى بنصف ماله أن يرّد إلى بيت المال، كأنّه أراد أن يطيب له لأنّ عمر بن الخطاب قاسم عمّا له، وذكروا أنه في آخر عمره اشتدّ به البرد، فكان إذا لبس أو تعظى بشيء ثقيل نقمه، ثم ثقل عليه بعد ذلك فقال: «تبًّا لك من دار، ملكتك أربيعن سنة، عشرين أميراً وعشرين خليفة، ثمّ هذا حالي فيك ومصيري منك، تبّا للدنيا ولمحبّتها»[3]، وخطب قبل مرضه وقال: إنّي كزرع مستحصد، وقد طالت إمرتي علكيم حتّى مللتكم ومللتموني، وتمنيّت فراقكم، وتمنيتم فراقي، ولن يأتيكم بعدي إلّامن أنا خير منه، كما أنّ من قبلي كان خيراً منّي، وقد قيل من أحب لقاء الله، أحبّ الله لقاءه، اللهمّ إنّي أحببت لقاءك فأحببت لقائي[4]، فلم يمض غير قليل حتّى ابتدأ مرضه.

وكان لما ثقل وتحدث الناس بموته قال لأهله: أحشوا عيني اثمداً، وأوسعوا رأسي دهنا، ففعلوا[5]، ثمّ مُهّد له مجلس وقال أسندوني، ثمّ قال ايذنوا للناس فليسلّموا عليّ قياماً، ولا يجلس أحد، فجعل الرّجل يدخل فيسلّم قائما، فيراه مكتحلاً مدّهنا فيقول القائل منهم: إنّ أمير المؤمنين أصحّ الناس فلماّ خرجوا من عنده قال معاوية[6]:

وتجلّدي للشّامِتين أريهمُ أنّي لريب الدهر لا أتضعضعُ

---

(1) _الذهبي: سير أعلام، ج3، ص128.

(2) _شحادة الناطور: تجديد الدّولة الأموية، ص3.

(3) _ابن كثير: البداية والنهاية، ج8، ص123.

(4) _ابن الأثير: الكامل، ج3، ص386، الذهبي: سير أعلام، ج3، ص162.

(5) _تاريخ الطبري، ج5، ص326، ابن عساكر: المصدر السابق، ج56، ص231، ابن الاثير: الكامل، ج3، ص369.

(6) _ البيتان لأبي ذؤيب الهذلي من قصيدته العينيّة. انظر ديوانه ص 49، 50.

وإذا المنيّة أنشبت أظفارها ألفيْتَ كلّ تميمةٍ لا تنفع[1]

وكان عنده قميص رسول الله ﷺ وإزاره ورداءه وشعره وقلامة أظفاره، فأوصاهم عند موته أن يكفّنوه في قميصه، ويدرجوه في ردائه، ويوزروه بإزاره، ويحشوا منخره بشعره، وأن يذروا القلامة في عينه[2]، وتمثل قائلا عند موته: هو الموت لا منجي من الموت...والذي نحاذر بعد الموت أدهى وأفضع، ثم قال: اللهمّ أقِل العثرة، واعف عن الزلّة، وتجاوز بحلمك عن جهل من لم يَرجُ غيرك، فإنّك واسع المغفرة، ليس لذي خطيئة من خطيئته مهرب إلاّ إليك[3].

مات معاوية سنة 60هـ بدمشق، قيل قبل منتصف رجب، وقيل لثمان بقين منه، وعمره ثمانية وسبعون سنة وقيل 82وقيل 85 سنة، ودفن بباب الجابية[4]، أو باب الصغير، توفي وملكه تسعة عشر سنة وثلاثة أشهر ويزيد[5].

وبعد وفاته خرج الضحاك بن قيس[6] لا يكّلم أحداً، والأكفان معه حتّى دخل المسجد الأعظم فنودي في الناس، فصعد المنبر وقال: «إنّ معاوية كان عبداً من عبيد الله، أطفأ الله به الفتن، وبسط به الدّنيا، فقد قضى نحبه، ونحن رائحون به مُدرجا في أكفانه، ومُدخلوه في قبره، ومُخلّون بينه وبين ربه وعلمه، فإن شاء رحمه وإن شاء عاقبه، فمن كان منكم يريد أن يشهده فليحضر عند الأولى»[7].

ثمّ نزل وبعث البريد إلى يزيد بن معاوية يعلمه ويستحثّه على المجيء وكان يزيد بحواريّين[8]، فأتاه الرسول يخبره، فجاء وقد دفن معاوية، فلم يدخل منزله حتّى أتى قبره، فترحّم عليه ودعا له ثمّ انصرف إلى منزله[9].

---

(1) _الطبري: المصدر السابق، ج5، ص326، ابن كثير: المصدر السابق، ج8، ص123.

(2) _البلاذري: أنساب الأشراف، ج5، ص159، ابن عساكر: المصدر السابق، ج50، ص231.

(3) _ابن كثير: المصدر السابق، ج8، ص124.

(4) _الجابية: هي قرية من أعمال دمشق، قرب مرج الصفر في شمال حوران، وقربها تل يسمى تل الجابية، وباب الجابية بدمشق منسوب إلى هذا الموضع، ويقال لها جابية الجولان أيضا. ياقوت الحموي:معجم البلدان، ج2، ص91.

(5) _تاريخ خليفة، ص140، الطبري: المصدر السابق، ج5، ص323، القضاعي: عيون الأنباء، ص224 ، ابن عساكر: المصدر السابق، ج56، ص237 ،ابن الأثير: الكامل، ج3، ص369.

(6) _هو الضحّاك بن قيس بن خالد أبو عبد الرّحمان الفهري: قيل له صحبة، شهد فتح دمشق، وشهد صفين مع معاوية، أمّه أميمة بنت ربيعة، كان على شرطة معاوية، قتل يوم مرج راهط سنة 64هـ، ابن عساكر: المصدر السابق، ج24، ص280-290.

(7) _البلاذري: المصدر السابق، ج5، ص162، ابن كثير: المصدر السابق، ج8، ص124.

(8) _حواريّين: من قرى حلب معروفة، ويطلق اسمها أيضا على حصن من ناحية حمص، ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج2، ص315.

(9) _البلاذري: المصدر السابق، ج5، ص161.

وهكذا أُسدل الستار على حياة رجل عظيم من رجال بني أمية أقلّ ما يقال عنه أنه من طراز السهل الممتنع، كانت تدور عليه رحى حكمهم وسلطانهم، ولا أدّل على ذلك من قول، ابن الزبير لمّا بلغه خبر وفاة معاوية فقد قال:«رحم الله ابن هند، لوددت أنّه بقي لنا، ذهب والله عزّ بني أميّة»[1].

ب-يزيد بن معاوية: عهد الفتنة الأهلية، "صغير في سنّه صغير في كفاءته":

هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن صخر أمير المؤمنين أبو خالد الأموي، أمة ميسون بنت بحدل الكلبيّة، ولد سنة ست وعشرين، هو وعبد الملك بن مروان، بويع له بالخلافة في حياة أبيه ليكون وليّ العهد من بعده، ثمّ أكدّ ذلك بعد موت أبيه، في النصف من رجب سنة 60هـ، وعمره آنذاك ثلاث وستّون سنة[2].

كان يزيد ضخما كثير اللّحم والشّعر، وكان جميلا طويلا بوجهه أثر جدري[3]، وكان قويّا، شجاعا ذا فطنة وفصاحة وله شعر جيّد[4]، وكان يزيد من الغزاة في حياة أبيه معاوية فقد غزى القسطنطينية سنة 49هـ وسنة 54 هـ، وكان معه فيها وجوه النّاس منهم أبو أيوب الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ [5].

ثمّ حج بالنّاس في تلك السنة بعد مرجعه من هذه الغزوة من أرض الرّوم[6]، وحجّ أيضا بالناس سنة اثنين وخمسين، وثلاث وخمسين[7].

وكنّا ذكرنا أنّ معاوية أخذ البيعة من النّاس لإبنه يزيد عندما قدم مكة والمدينة، وخطب الناس فبويع

---

(1) _ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، ج25، ص92.

(2) _ القضاعي: عيون المعارف، ص 328، ابن عساكر: المصدر السابق، ج65، ص397، الذهبي: سير أعلام، ج4، ص36 ،ابن الجوزي: المنتظم، ج5، ص322 ،ابن كثير: المصدر السابق، ج8، ص127،193، ابن طولون: قيد الشّريد، ص23 ، وعند ابن عساكر أند بويع في جمادى الأخرة.

(3) _ البلاذري: المصدر السابق، ج5، ص302، ابن عساكر: الصدر السابق، ج65، ص398، ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، ج28، ص119.

(4) _ الذهبي: سير أعلام، ج4، ص37.

(5) _ ابن كثير: المصدر السابق، ج8، ص194، ابن عساكر: المصدر السابق، ج65، ص404، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج1، ص182.

(6) _ ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، ج28، ص24، ابن كثير: المصدر السابق، ج8، ص194.

(7) _ابن كثير: المصدر السابق، ج8، ص195.

ليزيد[1]، ولمّا توفي معاوية كان يزيد غائبا، فكتب إليه الضحّاك بن قيس يعلمه بذلك، وكتب له: إذا قرأت كتابي هذا فالعجل العجل لتأخذ النّاس بيعة أخرى محدودة والسلام، فلمّا ورد الكتاب على يزيد صاح وبكى، وأمر بإسراج دوابّه، وسار يريد دمشق، فصار إليها بعد ثلاثة أيام من دفن معاوية[2]، وأخذ البيعة من الناس سنة 60هـ للنصف من رجب[3].

وخطب عليهم فقال: «إنّ معاوية كان عبداً من عبيد الله أنعم الله عليه ثمّ قبضه الله وهو خير ممّن بعده، ودون من قبله، ولا أزكّيه على الله، هو أعلم به، إن عفا عنه فبرحمته وإن عاقبه فبذنبه، وقد وُلّيت الأمر من بعده ولست آسى على طلب ولا أعتذر من تفريط، وإذا أراد الله شيئاً كان»[4].

وقال لهم: «إنّ أبي كان يغزيكم البحر ولست حاملكم في البحر، وإنّه كان يُشتيكم بأرض الرّوم، فلست أشتي المسلين في أرض العدوّ، وكان يُخرج العطاء ثلاثا وإني أجمعه لكم» فافترقوا يُثنون عليه[5] وبويع بالخلافة.

بعد بيعة يزيد ، أقرّ عمال أبيه، ولم يكن له همّ بعد تولّيه الخلافة إلاّ بيعة النّفر الذين عارضوا معاوية في تولية العهد[6]، وعلى رأسهم عبد الله بن الزبير والحسين بن علي ، فأرسل إلى واليه على المدينة يطلب منه أخذ البيعة، منهما فخرجا إلى مكة رافضين ذلك ومعارضين [7].

وبذلك تجدّد الصّراع الذي حاول معاوية إخماد ناره أيام خلافته، فيظهر الحجاز من جديد مناوئاً لبني أميّة ممثّلا في ابن الزبير، ويظهر أهل العراق مجدّداً ممثلين في الحسين مناوئين لهم أيضا، محاولين إعادة الإعتبار للإقليم، متّخدين من آل البيت وسيلة لتحقيق ذلك، وهكذا خرج ابن الزبير والحسين على يزيد.

لمّا سمع أهل الكوفة من شيعة آل البيت بخروج الحسين أرسلوا إليه يدعونه للإلتحاق بهم ومبايعته، فتحرّك إليهم[8]، رغم نصح النّاصحين له من آل بيته وغيرهم ألّا يفعل، وعندها أرسل عبيد الله بن زياد

---

(1) _تاريخ خليفة بن خياط، ص131.

(2) _ابن أعثمّ: الفتوح، ج5، ص5-9.

(3) _تاريخ الطبري، ج5، ص338، ابن الأثير: الكامل، ج3، ص377.

(4) _ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، ج25، ص88.

(5) _الذهبي: سير أعلام، ج4، ص37.

(6) _الطبري: المصدر السابق، ج5، ص338، 339، وقد عارض هؤلاء النّفر معاوية لما عهد إلى يزيد في حياته . انظر تاريخ الطبري، ج5، ص303، وسنفصّل في ذلك في الباب الأول.

(7) _المصدر نفسه، ج5، ص339 وما بعدها، وجيه لطفي: ولاية لعهد، ص55.

(8) _ابن الأثير: الكامل، ج3، ص266.

جيشا لملاقاة الحسين، فكانت النّتيجة أن قُتل الحسين، وقطع رأسه، وأرسل مع النّساء إلى يزيد[1].

إنّ هذه الحادثة الأليمة لطّخت سمعة يزيد، وحجبت ما كان له من حسنات، وأفشلت سياسته الدّاخلية فشلا وخيما، كما أنّ هذه الحادثة أُعتبرت الميلاد الحقيقي للحركة الشّيعيّة، إذا اتّخذتها الطّوائف المناوئة ذريعة للكيد للإسلام، متّخذين من آل البيت وسيلة لتحقيق أطماعهم، ثّم لم تقف المصائب التّي لحقت بالمسلمين عند قتل الحسين، بل حدثت حادثة لا تقلّ شناعة عن الأخرى، هي إنتهاك حرمة المدينة فكيف حصل ذلك؟

ذكر ابن الزبير يزيد عند أهل المدينة فقال لهم: يزيد الخمور، يزيد الفجور، ويزيد القرود، ويزيد الكلاب، وذكره بصفات قبيحة، ثمّ دعا الناس إلى إظهار خلعه وجهاده، وكتب إلى أهل المدينة بذلك وهو بمكة، فاجتمع أهل الحجاز على أمر ابن الزبير وطاعته، وأخذ البيعة له على أهل المدينة عبد الله بن مطيع[2]، فسمع بذلك يزيد فطلب وفداً إليه فلما جاؤوه أكرمهم، وأمر لهم بمائة ألف درهم[3]، وأعظم جوائزهم، فلمّا رجعوا إلى المدينة كان مقتل الحسين قد تمّ، فهاج الناس جميعا خاصة أهل الحجاز، واستغلّ رجال الوفد ذلك، فشهروا على يزيد بأنه مسرف في المعاصي، بل قال عبد الله بن حنظلة[4] أحد رجال الوفد: والله ما خرجنا على يزيد حتّى خفنا أن يُرمى بالحجارة من السّماء، إنّه رجل ينكح أمهات الأولاد والبنات والأخوات، ويشرب الخمر ويدع الصلاة[5].

صحيح أن يزيد كان فيه نوع من المجون واللهو والغناء[6]، ولكن ليس بالشّكل الذي بالغ فيه أهل

---

[1] _ ابن الأثير: الكامل، ج3، ص380 وما بعدها، ابن كثير: البداية والنهاية، ج8، ص148 وما بعدها.

[2] _هو عبد الله بن مطيع بن الأسود الكعبي القريشي، من رجال قريش جلد وشجاع، ولد في حياة النبي، وكان على قريش يوم الحرّة، فلما انهزم أصحابه توارى في المدينة، ثم سكن مكة بعدها، واستعمله ابن الزبير على الكوفة، فأخرجه المختار فعاد إلى مكة، فلبث بها إلى أن قتل مع ابن الزبير سنة 73هـ . ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج2، ص435، الزركلي: المرجع السابق، ج4، ص139.

[3] _البلاذري: أنساب الأشراف، ج5، ص337.

[4] _هو عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر أبو عبد الرّحمان الأوسي المدني، من أهل المدينة، وفد على يزيد بن معاوية وخرج في فتنة الحرّة، قتل أبوه مع الرسول ﷺ يوم أحد، وقتل عبد الله يوم الحرّة سنة 63هـ. ابن عساكر: المصدر السابق، ج39، ص417-426، الذهبي: سير أعلام، ج3، ص321-326.

[5] _السيوطي: المصدر السابق، ص211، ابن طولون: المصدر السابق، ص42.

[6] _كان يزيد أوّل من أظهر الشّراب والغناء والصيد، واتخاذ القيان، وآوى المغنين، وكان يقول: ومن عرف الأيام معرفتي بها يبادر باللّذات قبل العوائق، ولمزيد من ذلك انظر: البلاذري: أسباب الأشراف، ج5، ص299، أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ج13، ص6097، الراغب الأصفهاني: محاضرات الأدباء، ج2، ص674.

المدينة، فقد كان فيه خصال محمودة من الكرم الحِلم والفصاحة والشّجاعة، وحسن الرّأي في الملك[1].

لقد كانت هذه الإتّهامات شرارة أخرجت أهل المدينة من طاعة يزيد، فأخرجوا عامله على المدينة، وأخرجوا معه بني أميّة بعد أن حاصروهم، فاستغاث بنو أميّة بيزيد فقال:

لقد بدّلوا الحِلم الذي في سَجيتّي فبدّلت قومي غلظة بليانِ.

وبعث إليهم مسلم بن عقبة المرّي[2]، وانتدب معه اثنا عشر ألفا، فلمّا وصل مسلم إلى مشارف المدينة أرشده مروان إلى كيفيّة دخول المدينة المحصّنة، ودلّه على مواطن ضعفهم، وأرشده أن يأتيهم من جهة المشرق حتّى تطلع الشّمس في أعينهم فيعجزون عن الرؤّية، فأجّل مسلم القوم ثلاثا ثمّ دخلوا عليهم من جهة الحرّة[3]، واستباحوا المدينة ثلاثة أيام، وتجاوزوا الحدّ في الإستباحة والقتل والشّرب[4]، وكان ذلك للنّصف من المحرّم سنة 63هـ[5].

وفي الحقيقة أنّ هذا الإسراف والتطرّف من هذا القائد لا مبرّر له بأي حال من الأحوال، وإنّ الإنسان يتحسّر عن هذا التهوّر من كلا الجانبين، خاصة من جانب السّلطة الأمويّة التي لم تُراع حرمة المدينة، فكان الأَولى أن يضرب عليها الحصار حتى تسقط دون مقاومة، إلاّ أنها سياسة يزيد التّي كانت تسير من فشل إلى فشل، لاعتمادها على الإرتجال في إصدار القرارات التي تحكمت فيها العاطفة، مع طغيان سلطة الولاة والقادة على سلطته[6].

ولم تتوقف الأمور عند هذا الحدّ، بل سار جيش الشّام إلى مكة لحرب ابن الزبير الذي كان متحصنّا بها، لكنّ الموت أدرك في الطّريق قائدهم مسلم بن عقبة، فولّوا عليهم الحُصين بن نُمير السُّكوني[7]، فخرج

---

(1) _ابن كثير: المصدر السابق، ج8، ص196.

(2) _مسلم بن عقبة المرّي: ويقال أبو عقبة المرّي المعروف بمسرف، أدرك النبي ﷺ ولم يُحفظ أنّه رآه، شهد صفيّن مع معاوية، وهو صاحب وقعة الحرّة وكان معاوية قد ولاه خراج فلسطين، توفي بعد وقعة الحرّة في طريقه لقتال ابن الزبير بمكة سنة 64هـ. ابن عساكر: المصدر السابق، ج58، ص102-114، الزركلي: المرجع السابق، ج2، ص287، 288.

(3) _الحُرة: اسمها حرّة واقم تقع شرق المدينة، وفيها كانت الوقعة المشهورة أيام يزيد سنة 63هـ، سميت برجل من العماليق اسمه واقم، والحرة هي الأرض ذات الحجارة السّود، كأنها أحرقت بالنار. ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج2، ص245.

(4) _الطبري: المصدر السابق، ج5، ص482-488، ابن الأثير: الكامل، ج3، ص467 وما بعدها.

(5) _البلاذري: المصدر السابق، ج5، ص350.

(6) _محمد الخضري: الدّولة الأمويّة، ص329.

(7) _الحُصين بن نمير بن نائل أبو عبد الرحمان المدني السكوني، من أهل حمص، خرج مع معاوية في صفين، وولي الصّائفة ليزيد بن معاوية، وكان في جيش وقعة الحرّة، أمّره مسلم بن عقبة على الجيش قبل وفاته، وقاتل ابن الزبير، قتله إبراهيم بن الأشتر هو وعبيد الله بن زياد سنة 66هـ . ابن عساكر: المصدر السابق، ج14، ص382-389.

حصين إلى ابن الزّبير فقدم مكّة وقد بايعه أهلها وأهل الحجاز، فحاصروه أربعة وستّين يوماً، وكان القتال في هذه المدّة شديدًا، ورُميت الكعبة بالمنجنيق، وفي هذه الأثناء جاءهم نعي يزيد بن معاوية، فقال الحصين لابن الزبير: إن كان هذا الرّجل قد هلك -يعني يزيد- فأنت أحقّ بهذا الأمر، قم فلنبايعك، ثّم اخرج معي إلى الشّام، فوالله لا يختلف عليك اثنان، قال ابن الزبير: لا أفعل، فقال الحصين: قد كنت أظنّ أن لك رأيا، أنا أدعوك إلى الخلافة وأنت تعدني بالقتل[1]، واستغلّ ابن الزبير شغور منصب الخلافة ليوسّع نفوذه نحو العراق واليمن ومصر.

تلك هي ثالث هذه الحوادث التّي وقعت في عهد يزيد، والتي دّلت دلالة قاطعة على فشله في سياسته الدّاخليّة في العراق والحجاز، لقلة خبرته وتجاربه، إضافة إلى عدم تقريبه للرجال الأكفاء الذّين كان ينبغي أن يستشيرهم فيما يقبل عليه من أعمال وما يتّخذه من قرارات.

وكان سبب موت يزيد أنّه ركب فرسا فسقط عنه، فمات بعدها بحواريين من قرى دمشق في النصف من ربيع الأوّل سنة 64هـ، وكان مولده في سنة 26هـ، وكان آخر ما تكلّم به: اللهمّ لا تواخذني بما لم أحبّه ولم أرده، واحكم بيني وبين عبيد الله بن زياد، ثمّ حُمل بعد موته إلى دمشق، وصلّى عليه ابنه معاوية بن يزيد أمير المؤمنين يومئذٍ، وكانت خلافته ثلاث سنين وتسعة أشهر[2].

لا شك أنّ موت يزيد قد خلّف موقفا صعباً جدّا للخلافة الأمويّة، إذ قد ظفر ابن الزبير بمبايعة أهل الحجاز واليمن والعراق ومصر، وولّى عليها عمّالا من قِبله، وزاد الأمر صعوبة أنّ معاوية بن يزيد تنازل عن الخلافة[3].

ج -معاوية بن يزيد الرجل الزّاهد في الخلافة:

هو معاوية بن يزيد بن معاوية أبو عبد الرحمان ويقال أبو ليلى القرشي الأموي، أمّه أم هاشم بت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة[4]، ولد سنة 43هـ، كان أبيض شديد البياض كثير الشعر كبير العينين جعد

---

[1] _ابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص22.

[2] _البلاذري: المصدر السابق، ج5، ص380 ، الطبري: المصدر السابق، ج5، ص499، القضاعي: عيون المعارف، ص329، ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، ج28، ص29، ابن كثير: المصدر السابق، ج8، ص200، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج1، ص286.

[3] _صالح حمارنة: النّاس والأرض، ص74.

[4] _أم هاشم بنت أبي هاشم، اسمها حيه ويقل فاختة بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة القرشّيّة العبشميّة، زوج يزيد وأم خالد ومعاوية. ابن عساكر: المصدر السابق، ج69، ص111.

الشّعر، أقنى[1] الأنف، مدّور الرّأس، جميل الوجه وكثيف اللحية[2].

بويع له بعد موت أبيه يزيد، وكان وليّ عهده، إذ لما مرض يزيد بعد ولايته بعامين قال لحسان بن مالك[3] إني أريد البيعة لمعاوية ابني، قال: فافعل، فدعاه يزيد فصافقه بولاية العهد، وبايع له حسّان والنّاس[4].

بويع له بالخلافة في ربيع الأوّل سنة 64هـ، وكان رجلاً صالحاً[5]، لذلك قيل في حقّ أبيه يزيد شرٌّ بين خيرين، يعنون بذلك بين أبيه معاوية وابنه معاوية[6]، ولي وعمره اثنان وعشرون سنة ، وقيل تسعة عشر سنة بالشام [7].

ولمّا تولّى معاوية أقرّ عمّال أبيه ولم يوّل أحدًا[8]، وخطب في النّاس فقال –بعد أن حمد الله وأثنى عليه–: «أما بعد فإنّي قد نظرت في أمركم، فضعفتُ عنه، فابتغيتُ رجلاً مثل عمر بن الخطّاب رحمة الله عليه حين فزع إليه أبو بكر فلم أجده، فابتغيت لكم ستة الشّورى مثل ستّة عمر فلم أجدها، فأنتم أولى بأمركم، فاختاروا له من أحببتم»[9]، ثمّ دخل منزله ولم يخرج إلى النّاس، وتغيّب حتّى مات[10].

لقد عرف معاوية قدره وقدر ماولي عليه، فرأى أن ينجو من تبعاتها لا له ولا عليه، كما عرف صعوبة اختيار رجل صالح ليتولّى أمر الأمة بعد أن حضرت في ذهنه تجربة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما في اختيارهما لوليّ العهد، وبذلك أصبح منصب الخلافة شاغرا وذهب أدراج الرّياح مافعله معاوية الجد وأطلّت

---

(1) _أقنى: يقنأ قنوءا أي شديد الحمرة. ابن منظور: لسان العرب، مج5، ص3746، مادة قنأ.

(2) _ابن عساكر: المصدر السابق، ج56، ص296،299، ابن كثير: المصدر السابق، ج8، ص201،202، ابن تغري بردي: المصدر السابق، ج1، ص213، السيوطي: المصدر السابق، ص213.

(3) _هو حسّان بن مالك بن بحدل بن أُنيف أبو سليمان الكلبي، زعيم بني كلب ومقدمهم، شهد صفّين مع معاوية وقام بأمر البيعة لمروان بن الحكم، تولّى الأردن وفلسطين ليزيد، كما قام بشؤون الخلافة قبل تعيين مروان وسلّمها له. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج12، ص448، 449.

(4) _البلاذري: أنساب الأشراف، ج5، ص380، ابن كثير : المصدر السابق،ج8،ص201.

(5) _ابن عساكر: المصدر السابق، ج56، ص269، السيوطي: المصدر السابق، ص213.

(6) _ابن تغري بردي: المصدر السابق، ج1، ص213.

(7) _ابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص32.

(8) _تاريخ خليفة، ص158، البلاذري: المصدر السابق، ج5، ص379.

(9) _الطبري: المصدر السابق، ج5، ص530، 531. وجاءت الخطبة بروايات أخرى تختلف عن رواية الطبري، انظر في ذلك: ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص98، ابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص32، ابن كثير: المصدر السابق، ج8، ص308.

(10) _الطبري: المصدر السابق، ج5، ص531.

من جديد الفتنة التّي حاول معاوية وقاية الناس منها.

ومع هذاكان معاوية يختلف كلّية عن والده، فقد كان رجلا يحبّ الألفة للمسلمين، ويكره الفرقة بينهم والخلاف، عازفا عن تولّي الحكم وأموره، زيادة على أنّه كان مريضا عليما بقدر نفسه، وبقدر ما تولى عليه، وثقل ما حمل من أمانة المسؤوليّة على أمّة محمد ﷺ ، وعجزه عن لمّ شعثها وإصلاح أمرها، ويبدو أنّه كان يرى أنّه ليس من حقّ بني أميّة أن تكون الخلافة فيهم، خاصّة وأنّه كان يدرك أبعاد ذلك الصّراع الذّي كان يرقبه، والدّائر بين تلك التيّارات المتواجدة على السّاحة، فلم يخرج إلى النّاس وبقي ملازمًا لبيته مريضا، والضّحاك يصلّي بالنّاس[1].

فلما ثقل قيل له لو عهدت، فقال: والله لا تنفعني حيّاً، أفأتحّملها ميتا، والله لا يذهب بنو أميّة بحلاوتها القليلة، وأتحمّل مرارتها الطّويلة[2]، وإذا متّ فليصلّ عليّ الوليد بن عتبة[3]، وليصلّ بالنّاس الضّحاك بن قيس، حتى يختاروا لأنفسهم رجلاً مرضيّاً عندهم، وبقي في منزله حتّى مات سنة 64هـ ، وكانت مدّة ملكه 40 يوما، وقيل شهرين، وصلى عليه الوليد بن عتبة[4].

هذا وإنّ مروان بن الحكم قد جهد أن يجعل له معاوية بن يزيد عهدًا، فأبى عليه، فلمّا دفن معاوية قال مروان: أتدرون من دفنتم؟ قالوا: نعم، معاوية بن يزيد، فقال مروان: هذا أبو ليلى الذي قيل فيه:

هذا أبو ليلى قد ذهبْ فالملك بعد أبي ليلى لمن غلبْ[5].

وبموت معاوية أصبح الطّريق ممهّدًا لمروان بن الحكم، الذّي بات هو المرشّح الأول –ولا نقول الوحيد– في هذه المرحلة لبني أمية، وأهل الشام، فكيف سارت الأمور واتجهت الأحداث حينئذٍ؟[6].

---

(1) _البلاذري: المصدر السابق، ج5، ص379، ابن عساكر: المصدر السابق، ج56، ص299.

(2) _في تاريخ دمشق: "لا أتزرّد مرارتها، وأترك لبني أميّة حلاوتها". ج56، ص297، ابن منظور، مختصر، ج25، ص110.

(3) _هو الوليد بن عتبة بن صخر بن حرب ابن أخي معاوية بن أبي سفيان، ولي المدينة لعمّه معاوية، ولابن عمّه يزيد، وكان جواداً حكيما، حج بالنّاس سنة 56، 57، 61، 62هـ، ثمّ عزل سنة 62هـ، ولما مات معاوية بن يزيد أرادوه على البيعة فأبى ومات في تلك السنة –64هـ– قيل لإصابته بالطاعون. ابن عساكر: المصدر السابق، ج23، ص206-212.

(4) _البلاذري: المصدر السابق، ج5، ص379،380، ابن عساكر: المصدر السابق، ج56، ص300، ابن كثير: المصدر السابق، ج8، ص201، السيوطي: المصدر السابق، ص213.

(5) _ابن عساكر: المصدر السابق، ج56، ص303، وفي البداية والنهاية:

إني أرى فتنة تغلي مراجلها والملك بعد أبي ليلى لمن غلبا، ج8، ص202.

(6) _صالح حمارنة: المرجع السابق، ص80.

2-3-خلفاء الفرع المرواني:

أ-مروان بن الحكم شيخ بني أميّة:

هو مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أميّة بن عبد شمس، يكنّى أبو عبد الملك، ويقال أبو القاسم أمّه آمنة بنت علقمة بن صفوان، ولد بمكة في عهد النبي ﷺ، في السنّة الثانية للهجرة، وقيل يوم الخندق[1]، وهو صحابي عند طائفة كبيرة[2] وهذا لا يصح، توفي الرسول ﷺ وعمره ثمان سنوات[3] أظهر أبوه الحكم إسلامه يوم فتح مكّة، ونفاه الرسول ﷺ إلى الطّائف لأنه كان يتجسّس عليه، ويفشي أحاديثه، ولم يزل طريدا حتّى ردّه عثمان رضي الله عنه [4].

كان مروان قصيرًا، أحمر الوجه أوقص[5]، دقيق العنق كبير الرأّس واللّحية طويلاً، كان كاتبا لعثمان بن عفان، مقرّبا لديه[6]، وقيل أن مروان كان من أكبر الأسباب في حصار عثمان، لأنه زوّر على لسانه كتابا إلى مصر بقتل أولئك الوفد[7]، وقد قاتل يوم الدّار قتالاً شديداً[8].

ولمّا قتل عثمان رضي الله عنه صار مع طلحة والزّبير يطالبون بدمه[9]، وشهد موقعة الجمل[10]، وبعد استخلاف معاوية رضي الله عنه ولاّه المدينة مرّتين، ثم جمع له مكّة والمدينة والطّائف[11]، وكان بالمدينة حتى مات

---

(1) _ البلاذري: أنساب، ج6، ص255 ،ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ج6، ص305، ابن منظور: مختصر، ج24، ص172، ابن الأثير: الكامل، ج4، ص14، الذهبي: سير أعلام، ج3، ص276، ابن كثير: البداية والنهاية، ج8، ص217

(2) _ابن عساكر: المصدر السابق، ج57، ص224، ابن كثير: المصدر السابق، ج8، ص217. وعد مروان عند طائفة كبيرة أيضا في الطبقة الأولى من التابعين. ابن عساكر: المصدر السابق، ج57، ص234.

(3) _المصدر نفسه، ج57، ص232.

(4) _البلاذري: المصدر السابق، ج6، ص256 ، ابن الأثير: الكامل، ج4، ص14.

(5) _أوقص: الوقص هو قصر العنق، كأنما ردّ في جوف الصّدر. ابن منظور: لسان العرب، مج6، ص4892، مادة وقص.

(6) _ ابن أبي الحديد: المصدر السابق، ج6، ص307، ابن عساكر: المصدر السابق، ج57، ص241، الذهبي: سير أعلام، ج3، ص277، ابن الأبّار: إعتاب الكتّاب، ص49 ،ابن كثير: المصدر السابق، ج8، ص220.

(7) _ابن كثير: المصدر السابق، ج8، ص219.

(8) _ابن عساكر: المصدر السابق، ج57، ص241، ابن كثير: المصدر السابق، ج7، ص218.

(9) _ابن منظور: مختصر، ج24، ص185، 186، الذهبي: سير أعلام، ج3، ص277.

(10) _ابن الأبّار: المصدر السابق، ص51.

(11) _البلاذري: أنساب الأشراف، ج6، ص257، ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج57، ص241.

مسلم بن عتبة المرّي بعد وقعة الحرّة[1]، حج بالنّاس سنة 43، 48، 54، 55هـ[2].

وذكرنا فيما سبق أنّ معاوية بن يزيد اعتزل الخلافة دون أن يعهد لأحدٍ من بعده، وقد أحدث هذا الإعتزال ووفاته بعدها هزّة عنيفة داخل البيت الأموي وأنصارهم، فقد بدا وكأّن الدولة تسير نحو التفكّك والإنهيار، وأطلّ شبح الحرب الأهليّة من جديد بانقسام المسلمين على أنفسهم، نتيجة لتعددّ القيادات الراغبة في السلطة.

فبموت معاوية علم ابن الزّبير أنّه لم يبق أحدٌ يضادّه، فولّى الضحّاك بن قيس الفهري دمشق –وكان صاغيا إليه- وقد كاتبه فبعث إليه بعهده وكتابا إلى من قِبله يدعوهم إلى طاعته، وبعث إلى النعمان بن بشير بعهده على حمص، فكأنّ الشّام بهذا بدأت تستقيم لابن الزبير، إلاّ الأردن التي كان عليها حسّان بن مالك من قِبل يزيد بن معاوية، وقد بقي مواليا لبني أميّة داعيا إلى خالد بن يزيد بن معاوية[3]، وكتب أهل البصرة إلى ابن الزبير، فأمر أنس بن مالك بالصّلاة بهم، وأصبح العراق تابعاً له، أمّا خراسان فبايعوا سلم بن زياد [4]حتّى يتولى على الناس خليفة[5].

وخرج القرّاء والخوارج بالبصرة وعليهم نافع بن الأزرق[6]، وطردوا عبيد الله بن زياد بعدما كانوا بايعوه عليهم حتّى يصير للنّاس إمام، فأخرجوه فذهب إلى الشّام[7]، والتي بدورها عرفت انقسامًا بين أهلها فالقيسيّون- عرب الشّمال- ويمثّلهم أمير دمشق الضحاك بن قيس والنعمان بن بشير أمير حمص، وزفر بن الحارث الكلابي[8] أمير قنسرين أسرّوا على مبايعة ابن الزبير.

---

(1) _البلاذري: المصدر السابق، ج6، ص257.

(2) _ابن عساكر: المصدر السابق، ج57، ص241، 242، ابن منظور: مختصر، ج24، ص181.

(3) _ البلاذري : المصدر السابق، ج6، ص258، 259.

(4) _هو سلم بن زياد بن عبيد يقال له بن أبي سفيان أبو حرب من أهل البصرة، قدم على يزيد بن معاوية فولاّه خراسان وسجستان، وبقي عليها إلى أن مات حوالي 73هـ . ابن عساكر: المصدر السابق، ج22، ص142-146. الزركلي: الأعلام، ج3، ص108.

(5) _ابن كثير: المصدر السابق، ج8، ص202.

(6) _هو نافع بن الأزرق بن قيس الحنفي الحروري، أبو راشد، رأس الأزارقة وإليه نسبهم، من أهل البصرة، كان في أول أمره مصاحبا لابن عبّاس، ثمّ مواليا لعلي بن أبي طالب، وخرج عليه، ثم خرج على بني أمية بالبصرة ، قاتله المهلّب وفتك به على مقربة من الأهواز يوم دولاب، سنة 65 هـ.المبرّد: الكامل في اللغة، ج2، ص 207 – 215، ابن الأثير: الكامل، ج3، ص491 وما بعدها، الزّركلي: المرجع السّابق، ج7، ص 351، 352.

(7) _ابن كثير: المصدر السابق، ج8، ص202، ابن حجر: لسان الميزان، ج8، ص246، 247.

(8) _هو زفر بن الحارث بن عبد عمرو أبو عبد الله الكلابي، شهد وقعة صفّين مع معاوية، وشهد مرج راهط زبيريّا مع الضّحاك بن قيس ثمّ هرب إلى قرقيسياء، ومات بها أيام عبد الملك بن مروان. الحرانيّ: تاريخ الرّقة، ص36، 37، ابن عساكر: المصدر السابق، ج19، ص34-37، الذهبي: تاريخ الإسلام، ج2، ص531.

أمّا عرب الجنوب –اليمنية– فتمسّكوا بموقفهم وأصرّوا على عدم البيعة لابن الزّبير، وقد قاد حركة المعارضة حسّان بن مالك الكلبي، وأيّده عبيد الله بن زياد الذي فرّ من العراق، والحصين بن نمير السكوني[1].

أما مروان بن الحكم فقد نظر في إطباق النّاس على ابن الزبير ومبايعتهم له فأراد أن يلحق به، وينضاف إلى جملته، فمنعه من ذلك عبيد الله بن زياد وقال له أنت شيخ قريش وسيّدها، فأنت أحق بهذا الأمر، فرجع عن البيعة لابن الزبير[2].

كان حسّان بن مالك يرى ضرورة بقاء الحكم في ذريّة معاوية، ورغب في مبايعة خالد بن يزيد، وعزم عليه فسار في كلب حتّى نزل الجابيّة، فاجتمع إليه بها الحُصين بن نمير، وروح بن زنباع[3]، وكان ذلك سنة 64هـ لأجل توحيد الموقف[4].

إجتمع بنو أميّة بالجابية لأجل اختيار خليفة يقودهم، فمنهم من اختار خالد بن يزيد كحسان بن مالك، ومنهم من عارض ذلك كالحصين بن نمير ومن معه، خاصة وأنّ خالد بن يزيد كان صغير السنّ، فكانت هذه ثغرة حالت بينه وبين استخلافه، إذ قال الحصين لحسان بن مالك يبرر معارضته: لا تأتينا العرب بشيخ ونأتيها بصبي، وكان يرى ضرورة استخلاف مروان بن الحكم لتجربته وكبره، فقد قال أهل الأردن لمروان:

أنت شيخٌ كبير، وابن يزيد غلام، وابن الزّبير كهل، وإنّما يقرع الحديد بعضه ببعض، ونحن نبايعك، ابسط يدك، فبايعوه بالجابية يوم الأربعاء لثلاث خلون من ذي القعدة سنة 64هـ[5].

وحتى يُرضوا حسان بن مالك جعلوا خالد بن يزيد وليًّا للعهد ومن بعده عمرو بن سعيد بن

---

(1) _البلاذري: المصدر السابق، ج6، ص258، 259، ابن كثير: المصدر السابق، ج8، ص203، إدهام فاضل خطاب: زفر بن الحارث الكلابي، ص235.

(2) _ابن كثير: المصدر السابق، ج8، ص203، محمد الحسين: مقاتل الأمويين، ص193.

(3) _هو رَوح بن زنباع بن حداد أبو زرعة الجذامي الفلسطيني، أمّره يزيد بن معاوية على جند فلسطين، وكان ممن شارك في وقعة الحرّة، وتولى فلسطين لمروان، ومات بالصنبرة سنة 84هـ في خلافة عبد الملك . تاريخ الطبري، ج5، ص531، ابن عساكر: المصدر السابق، ج18، ص240، المزّي: تهذيب الكمال، ج8، ص207.

(4) _البلاذري: المصدر السابق، ج6، ص258.

(5) _الطبري: المصدر السابق، ج5، ص532 ،535 ، ابن الأثير: الكامل، ج3، ص477.
patricia Crome: Goods rule, p36.

العاص[1]، على أن يكون الأوّل واليا على حمص والثّاني على دمشق[2].

لم تكن الدّعوة لمؤتمر الجابية مجرّد تفكير عفوي، ولكن لتكون محصّلة لتجمع يمني أمويّ تُتّخذ فيه قرارات حاسمة، ينتظر منها تغيير مجرى الأحداث، لقد حصل في هذا المؤتمر تفاعلات للآراء المختلفة حينا والمتناقضة حيناً آخر، لتخرج في النهاية قرارات لصالح بني أميّة ومن معهم، ولعلّ أكثر العوامل تأثيرًا للخروج بقرارات حاسمة، خوف الجميع من خليفة الحجاز، وما يصاحب إنتصاره من تهديد لامتيازاتهم المتعدّدة، وسقوطهم في زوايا النّسيان، ومن هنا كان في مقدمة الأولويّات في المؤتمر توحيد الرأي لاختيار رجل قادر على الخروج ببني أمية وحلفائهم الأمويّين من المأزق الذي هم فيه[3].

كان مؤتمر الجابية مؤتمرا تاريخيّا، ويمكن أن يوصف بلغة السّياسة الحديثة بأنّه كان مؤتمرًا تأسيسيّا لدراسة مصير الخلافة فيمن تكون ، فقد حضره ممثّلوا الرأي العام في الأمة ليتشاوروا بحريّة، ويتوصّلوا إلى قرار ينهون به الأزمة القائمة، ويحسمون الخلاف، ويحفظون كيان الأمّة، لامن قِبل حكومة ولا بإكراه من سلطة رسمية[4].

وفي ضوء ما آلت إليه المواقف في الجابية يمكن تفسير هذا التّحوّل لمصلحة مروان- الذي كرّس المعادلة الأمويّة- الكلبية واستجاب لشروط بعض حلفائه، إذ بات هاجس القيادات القبيلة في الجابية إنقاذ الخلافة الأموية من السقوط ومن ثمّ البيعة للشخصية الأكثر قدرة على حماية نفوذها ومصالحها قبل أي إعتبار آخر[5]، فكان مروان هو صاحبها.

وكان المؤتمرون قد دعوا الضّحّاك بن قيس ومن معه أن يتخلّى عن نصرة ابن الزبير ويبايع لمروان، فأبى واستنجد بالنّعمان بن بشير الذي كان على حمص لابن الزبير، وزفر ابن الحارث الذي كان في طاعة ابن الزبير أيضا[6]، وقرّروا المضيّ قُدما في هذا الولاء، ولم تبق إلاّ المواجهة المسلّحة لتمسّك كل طرف بموقفه،

---

(1) _هو عمرو بن سعيد بن العاص بن أميّة بن عبد شمس المعروف بالأشدَق، كان من رجال قريش ومن أحبّ النّاس لأهل الشّام، يكنّى أبا أميّة، قتله عبد الملك سنة 70هـ بعد أن طمع في الخلافة . الرازي: الجرح والتعديل، ج6، ص236، ابن عساكر: المصدر السابق، ج46، ص32، الصفدي: أمراء دمشق، ص79.

(2) _ابن عساكر: المصدر السابق، ج57، ص254، ابن أبي الحديد: المصدر السابق، ج6، ص315.

(3) _شحاذة الناطور: تجديد الدولة الأموية، ص9.

(4) _ضياء الدّين الرّيّس: عبد الملك بن مروان، ص48، 49.

(5) _ابراهيم بيضون: تاريخ الإسلام، ص158، مضر عدنان طلفاح: عمرو بن سعيد الأشدق، ص14،ضياء الدّين الرّيس:النظريّات السّياسيّة الإسلاميّة، ص202.

(6) _الطبري: المصدر السابق، ج5، ص535، ابن الأثير: الكامل، ج3، ص480، إدهام فاضل خطاب: المرجع السابق، ص235.

فاجتمعت القبائل القيسيّة المؤيدة لابن الزبير في مرج راهط[1]، تحت قيادة الضحاك في المحرّم سنة 64هـ، فقاتل مروان أهل المرج عشرين يوماً[2]، فظفر بهم وقُتل الضّحاك وعدد كبير من قيس[3].

أما النعمان بن بشير فلما سمع بهزيمة يوم مرج راهط ومقتل الضحّاك خرج ليلا هارباً يريد المدينة فطلبه أهل حمص وقتلوه[4].

بهذا الإنتصار لمروان أُسدل الستار على جناح الحكم السّفياني، وظهرت قوة سياسة فاعلة حاولت أن تجد لها مكانا ومن الأسرة الأمويّة بقيادة مروان الذي كان يعوّل عليه في إعادة السّلطة إلى بني أميّة في الشّام ثانية وبقية الأمصار[5].

وبالفعل عمد مروان إلى استعادة مصر – ذات الموقع الحيوي- فطرد منها عامل ابن الزّبير، وذلك سنة 65هـ، وبايعه أهلها، وعيّن ابنه عبد العزيز بن مروان واليا عليها، ثم عاد إلى الشّام[6]، وسيّر جيشين أحدهما إلى الحجاز للقضاء على ابن الزّبير ففشل في ذلك، والثّاني إلى العراق لاسترداده أيضا[7]، وفي هذه الأثناء يحكم القدر بالوفاة عليه[8].

وقد كان مروان بعد فتح مصر ورجوعه إلى دمشق في أول سنة 65 أخذ البيعة لابنيه عبد الملك وعبد العزيز، إذ قال لحسّان بن مالك: إني أريد تولية عهدي عبد الملك وبعده عبد العزيز، وأنّ عمرو بن سعيد يدّعى أنّه الخليفة بعدي، وخالد بن يزيد يّدعى مثل ذلك، فقال حسّان أنا أكفيك أمرها، فجمع النّاس ثم قال: يبلغ أمير المؤمنين ويبلغنا أن رجالاً يتمنّون الأماني، ويدّعون الأباطيل، يحدّثون أنفسهم بما لم يجعله الله لهم، وما أولئك بالرّاشدين ولا المستبدّين، فقوموا أيها الناس فبايعوا لعبد الملك بن أمير المؤمنين، ولعبد العزيز من بعده، فقام النّاس فبايعوا مسارعين، غير مثقلين حتى لم يبق منهم أحد[9].

---

(1) _مرج راهط: هو موضع في الغوطة من دمشق في شرقيه بعد مرج عذراء تلقاء حمص، كانت به وقعة مشهورة بين قيس وتغلب، وفي سنة 65 اقتتل فيها مروان مع الضحاك وأتباعه. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج3، ص21.

(2) _الطبري: المصدر السابق، ج5، ص537، ابن عساكر: المصدر السابق، ج57، ص256.

(3) _البلاذري: المصدر السابق، ج6، ص262، تاريخ أبي زرعة، ص43.

(4) _البلاذري: المصدر السابق، ج6، ص283.

(5) _شحاذة الناطور: المرجع السابق، ص6.

(6) _البلاذري: المصدر السابق، ج6، ص285، الطبري: المصدر السابق، ج5، ص450.

(7) _البلاذري: المصدر السابق، ج6، ص297، ابن كثير: المصدر السابق، ج8، ص220.

(8) _حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج1، ص238.

(9) _البلاذري: المصدر السابق، ج6، ص57، الطبري: المصدر السابق، ج5، ص610، ابن الأثير: الكامل، ج4، ص12.

لقد استطاع مروان بجهوده المتوالية الخروج بأزمة الحكم من حالة الضّياع إلى مركز الصّدارة والقيادة، وهذا لم يكن حدثاً عاديّا محدود التّأثير، وإنما هو عودة جديدة للحكم بعد تثبيته في الشّام ومصر بتحويل الخلافة من الفرع السّفياني إلى الفرع المرواني، ولم يكن ثمّة ما يحول دون استمرار التّقدّم عند عبد الملك، الذي تفرّغ للإصلاحات بعد القضاء على ابن الزبير، ممّا جعله مجدّدا حقيقيا للدّولة الأمويّة[1].

أما عن وفاة مروان فتذكر الرّوايات أنّه تزوج بأم خالد بن يزيد وهي أمّ هاشم، حتّى يبعده عن الخلافة، لأنه كان مرشّحًا لها بعد مروان- كما قُرّر في الجابية- وعيّر مروان يوما خالدا بأمّه، فغاضه الأمر وأخبر أمّه، فقالت: أنا أكفيكه، فدخل عليها مروان ونام عندها، فغطّته بالوسادة حتّى قتلته خنقا[2]، وقيل بل سقته السمّ[3].

إن هذه الرّواية تبقى على الأقل محلّ شك، وقد لاتكون مقبولة ومعقولة، فهذه الزوجة سيّدة شريفة عربية، من بيت عبد شمس، وزوجها قريبها، وهذا العمل لا تقدم عليه نساء العرب الشّريفات، ثمّ إنّنا لم نر أيّ أثر لهذا الإغتيال، فلم يحدث في الأسرة أيّ خلاف ولا مطالبة بالثّأر، كما أنّ الدّافع لا يكفي لارتكاب جريمة القتل، فهذه القصة قد لا تجانب الصواب[4].

ثمّ قد قيل غير ذلك، فقد قيل أنّه مات بالطاعون، وقيل مات فجأة[5]، وكانت وفاته في رمضان سنة 65هـ، وعمره 61 سنة، وقيل 63، وقيل64 سنة، ودفن بباب الجابية، وكانت مدّة خلافته أكثر من ثمانية أشهر[6]، وهذه لم تكن مدّة كافية لإنجاز ما كان ينوي إنجازه من مهام أو لمنازعة خصمه ابن الزبير، وتوحيد الدّولة- باستثناء ما قام به من فتح مصر- فترك العبء ثقيلا على عبد الملك[7].

---

(1) _شحاذة الناطور: المرجع السابق، ص7.

(2) _البلاذري: أنساب الأشراف، ج5، ص389، تاريخ الطبري، ج5، ص611، ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج57، ص263.

(3) _البلاذري: المصدر السابق، ج5، ص289.

(4) _حمدي شاهين: الدّولة الأمويّة، ص201.

(5) _ الذهبي: سير أعلام، ج3، ص279، ابن منظور: مختصر، ج24، ص189.

(6) _ الطبري: المصدر السابق، ج5، ص611 ،ابن عساكر: المصدر السابق، ج57، ص263، ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ج6، ص317 ، الذهبي: سير أعلام، ج3، ص279، ابن منظور: مختصر، ج24، ص189، ابن كثير: البداية والنهاية، ج8، ص220

(7) _ضياء الدين الرّيس: عبد الملك بن مروان، ص58.

ب-الخليفة عبد الملك بن مروان مُجدّد الدّولة:

هو عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أميّة بن عبد شمس أمّه عائشة بنت معاوية بن المغيرة[1]، يكنّى أبا الوليد، ولد سنة 26هـ في خلافة عثمان بن عفان[2] كان أبيض طويلاً ليس بالنّحيف ولا البادن، مقرون الحاجبين، كبير العينين، مشرق الأنف، دقيق الوجه، حسن الجسم، كثير شعر اللّحية[3].

كان عبد الملك قبل الخلافة من العبّاد الزّهاد الفقهاء، الملازمين للمسجد التّالين للقرآن[4]، وكان يقال له بالمدينة حمامة المسجد للزومه المسجد[5]، فمصادرنا تكاد تُجمع على أنّ عبد الملك كان خلال حياته الأولى متديّنا جدّا، وأنّه أظهر ولعاً شديدا في الدراسات الدّينية، وفي المدينة حيث ولد وترعرع[6]، فكان يعّد من فقهاء المدينة[7]، قيل لابن عمر إنّكم معشر أشياخ قريش توشكوا أن تنقرضوا فمن نسأل بعدكم؟ فقال: إنّ لمروان ابنا فقيها فسلوه[8].

ومع فقهه هذا كان من رجال الدّهر، ودهاة الرجال[9]، «كان حازما في رأيه، ولا يكِل أمره إلى غيره، وكان ذا شخصيّة قوية، لاتقبل بأن يكون لها مساوٍ أو منافس، فهي سبّاقة إلى السّيادة والتفوّق وهو لا يرضى أن يكون رجلا عاديا كغيره، بل يهدف إلى أن يكون فذّا في زمانه وبيئته»[10].

---

(1) _هي عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص أمها فاطمة بنت عامر بن خلدم. ابن عساكر: المصدر السابق، ج37، ص113.

(2) _البلاذري: المصدر السابق، ج7، ص193 ، 197، الطبري: المصدر السابق، ج6، ص419 ، ابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص39، ابن منظور: مختصر، ج15، ص219

(3) _ البلاذري: المصدر السابق، ج7، ص193، ابن عساكر: المصدر السابق، ج37، ص118، الذهبي: سير، ج4، ص247 ، ابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص39 ، ابن كثير: المصدر السابق، ج9، ص52 ،ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج1، ص352.

(4) _الكتبي: الوافي بالوفيات، ج2، ص 402، ابن كثير: المصدر السابق، ج9، ص52، وانظر في أخبار زهده: ابن أبي الدنيا: الرّقة والبكاء، ص190 ما بعدها.

(5) _البلاذري: المصدر السابق، ج7، ص203، الأصبهاني: محاضرات الأدباء، ج1، ص173.

(6) _عبد الأمير دكسن: الخلافة الأموية، ص34.

(7) _قال أبو الزناد: "فقهاء المدينة أربعة: سعيد بن المسبب وعروة وقبيصة بن ذؤيب، وعبد الملك بن مروان". ابن عساكر: المصدر السابق، ج37، ص120، الذهبي: سير أعلام، ج4، ص248.

(8) _ابن عساكر: المصدر السابق، ج37، ص119.

(9) _الذهبي: سير أعلام، ج4، ص249.

(10) _عبد الله بن فرّاج: مرويات خلافة عبد الملك، ص314.

شهد عبد الملك يوم الدّار مع أبيه مروان وهو ابن عشرين سنة، وحفظ أمرهم وحديثهم[1]، وشتّى المسلمون بأرض الرّوم سنة 42هـ، وهو أول مشتى شتوه بها، فاستعمل معاوية على المدينة عبد الملك بن مروان، وهو يومئذ ابن ستة عشر سنة[2]، وفي سنة 50هـ افتتح معاوية بن حديج[3] فتحا كبيرا بالمغرب فجاءه عبد الملك في مدد أهل المدينة[4].

ولم يزل عبد الملك بالمدينة حتى كان يوم الحرّة، فأخرجه أهل المدينة مع عامل يزيد وبني أميّة، وهو الذي أمر مسلم بن عقبة المرّي بأن يأتيهم من الحرّة، ود لّهم على عوراتهم، وكيف يُؤتون، ومن أين يُدخل عليهم، ومن أين ينزل[5].

وفي خلافة مروان أخذ البيعة لولديه عبد الملك وعبد العزيز- كما أسلفنا- وقد تمّت البيعة بتدبير حسّان بن بحدل، وبعد وفاة مروان جُدّدت البيعة لعبد الملك بدمشق ومصر وأعمالها، وبذلك تمّت له البيعة في البلاد التي كانت تحت سيطرة أبيه[6]، وكان ذلك في رمضان سنة 65هـ[7]، وهو ابن ثمان وثلاثين سنة[8].

إستقبل عبد الملك الخلافة فأخذ ببذل قصارى جهده لاستعادة وحدة المسلمين، فالحجاز واليمن يسيطر عليهما ابن الزّبير، ويتطلّع إلى العراق للسّيطرة عليه، وقد حقق ذلك على يد أخيه مصعب بعد أن مزقته فتن الخوارج والشيعة.

تأمّل عبد الملك الوضع بتأنٍّ ورويّة، ودراسة جادّة، فرأى أن الخطر الأكبر الذي يهدّد الدّولة النّاشئة من جديد يأتي من العراق، كما أنّ موارده هامة ووفيرة، لذلك قرّر استعادة العراق أولاّ وتقليص نفوذ ابن الزّبير، فسار إليها سنة 71هـ[9]، بعد ما قتل عمرو بن سعيد الأشدق الذي طمع في الخلافة[10].

---

(1) _ابن عساكر: المصدر السابق، ج37، ص114، ابن كثير: المصدر السابق، ج9، ص52.

(2) _ ابن عساكر: المصدر السابق، ج37، ص114، ابن كثير: المصدر السابق، ج9، ص52.

(3) _هو معاوية بن حديج بن حفنة بن قتيرة الأمير، قائد الكتائب، له صحبة، ولي إمرة مصر لمعاوية وغزوة المغرب، شهد وقعه اليرموك، وكان ملكا مُطاعا من أشراف كندة، مات بمصر سنة 52هـ . الذهبي: سير أعلام، ج3، ص37-40، الزركلي: الأعلام، ج7، ص260.

(4) _ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج1، ص182.

(5) _ابن عساكر: المصدر السابق، ج57، ص125.

(6) _ابراهيم خليل: عبد الملك، ص99.

(7) _ابن عساكر: المصدر السابق، ج37، ص129، ابن منظور: مختصر، ج15، ص224، ابن كثير: المصدر السابق، ج8، ص220.

(8) _ابن منظور: مختصر، ج15، ص224.

(9) _تاريخ الطبري، ج6، ص160، ابن كثير: البداية والنهاية، ج8، ص266.

(10) _الطبري: المصدر السابق، ج6، ص140.

إلتقى عبد الملك ومصعب بنهر الدّجيل[1]، عند دير الجاتليق[2]، فكانت الحرب بينهما حتى قتل مصعب الذي خذله أهل العراق واختلفوا عليه[3]، فولّى عبد الملك أخاه بشر بن مروان[4] العراق ورجع إلى الشّام[5] وبذلك لم يبق خارج سلطة عبد الملك إلاّ الحجاز وأطرافه الجنوبية، وأصبحت نهاية ابن الزّبير مسألة وقت لا غير، فاختار عبد الملك لهذه المهّمة الحجاج بن يوسف الثقفي، الذي لمع نجمة في حملة عبد الملك على العراق، فانطلق الحجاج إلى مكة وحاصر ابن الزّبير خمسة أشهر وسبعة عشر ليلة، جرت خلالها مناوشات بين الطّرفين لم تفضِ إلى نتيجة، فاضطر الحجّاج بعد إذن عبد الملك إلى رمي الكعبة بالمنجنيق، فقتل خلقا كثيرا، وتفرّق أصحاب ابن الزّبير عليه ولم يبق معه إلاّ نفر قليل[6].

وكان ابن الزّبير يباشر القتال بنفسه، وقاتل أشدّ القتال حتّى رُمي بآجرة فوقع وقتل وحمل رأسه إلى الحجاج فبعث به إلى النواحي[7] وباستشهاده فشلت سياسته التي كان بواسطتها ينوي إعادة مجد الحجاز واعتباره السّياسي على ما كان عليه أيّام العهد النبوي والرّاشدي، وخلص بذلك الحجاز لعبد الملك وعادت الوحدة السّياسيّة للأمة من جديد ولم يبقَ ينغّص على عبد الملك أمر خلافته إلاّ الخوارج في العراق الذين كانت طاعتهم مغشوشة.

فما لبث أن خرج عليه صالح بن مسرح[8]، ونافع بن الأزرق، ومطرف بن المغيرة بن شعبة[9]،

---

(1) _نهر الدّجيل: مخرجه من أعلى بغداد بين تكريت والقادسيّة، يصّب في دجلة، ومن دجيل هذا مسكن وهو اسم المكان الذي قتل فيه مصعب، وهناك دجيل آخر بالأهواز ومصبّه في نهر فارس . ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج2، ص443.

(2) _دير الجاتليق: هو دير بالعراق غربي دجلة، وعنده قتل عبد الملك مصعب، يقع وسط العمارة بغرب بغداد. ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج2، ص503، ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ج1، ص308.

(3) _ابن كثير: المصدر السابق، ج8، ص266.

(4) _بشر بن مروان بن الحكم أبو مروان الأموي، أخو عبد الملك وعبد العزيز، كان كريما ممدّحاً ، ولاّه عبد الملك المصرين الكوفة والبصرة، مات سنة 73 وقيل 75 بالبصرة وهو ابن نيف وأربعين سنة . ابن عساكر: المصدر السابق، ج10، ص253-266، الذهبي: سير أعلام، ج4، ص145، 146.

(5) _البلاذري: أنساب الأشراف، ج7، ص106، 107.

(6) _ابن كثير: المصدر السابق، ج8، ص278.

(7) _البلاذري: المصدر السابق، ج7، ص126-128 وكان مقتله سنة 73هـ.

(8) _صالح بن مسرح: خرج سنة 76 هـ بالجزيرة فوجه إليه محمد بن مروان العديد من القادة فهزمهم، إلى أن وجّه إليه الأشعث بن عمير الهمداني فقتله سنة 76، وتولى بعده شبيب قيادة الخوارج. تاريخ خليفة، ص171، 172.

(9) _مطرف بن المغيرة بن شعبة ثائر من الولاة والأمراء، ولاّه الحجاج على المدائن ثم أقنعه شبيب الخارجي بآرائه، فخلع عبد الملك والحجاج، فأرسل إليه الحجاج جيشا لقتاله فقتل سنة 77هـ. الطبري: المصدر السابق، ج6، ص76 وما بعدها، الزركلي: المرجع السابق،

وشبيب[1]، وخرج بنو تميم بخراسان[2]، ونجدة بن عامر الحروي[3]، وقطري بن الفجاءة[4] وغيرهم.

إلاّ أن الحجاج كان لهم بالمرصاد، ولاسيما أنّه وُهب قائداً كفؤا عرف ببسالته في قتال الخوارج وتشتيت صفّهم ألا وهو المهلّب بن أبي صفرة[5].الذي مزقهم كل ممزّق[6]، كما خرج على الحجّاج سنة 83هـ عبد الرحمان بن محمد بن الأشعث[7]، الذي كان وجّهه قبل ذلك إلى قتال رتبيل ملك التّرك، فهزمه الحجاج بوقعة دير الجماجم[8]، فهرب ابن الأشعث إلى ملك الترك وقتل نفسه بعد ذلك[9].

أما بالنسبة للحركات الشّيعية فهي الأخرى لم تغب عن السّاحة، ففي سنة 64هـ اجتمعوا وولّوا أمرهم سليمان بن صرد[10]، وخرجوا بالنّخيلة[1] يطلبون بدم الحسين، وسمّوا أنفسهم التّوابين، ونادوا

ج7، ص251.

[1] _هو شبيب بن يزيد بن نعيم الشيباني، رأس الخوارج، وفارس زمانه، بعث الحجاج لقتاله خمسة قواد فقتلهم، ثم سار إلى الكوفة وحاصر الحجاج، غرق بدجيل سنة 77وعمرة 51 سنة. تاريخ خليفة، ص173، الذهبي: سير أعلام، ج4، ص146، 147، تاريخ الإسلام، ج2، ص536، 537.

[2] _البلاذري: المصدر السابق، ج8، ص7، الطبري: المصدر السابق، ج5، ص613، ج6، ص76، 301.

[3] _هو نجدة بن عامر الحروري الحنفي من بني حنيفة، رأس الفرقة النجّدية من الخوارج، انفرد على الخوارج بآراء، كان أول أمره مع نافع بن الأزرق، واستقل عنه باليمامة أيام ابن الزبير، وتلقّب بالأمير، قتل سنة 69 وقيل 70هـ . المبرّد: الكامل في اللغة، ج4، ص129، الذهبي: تاريخ الإسلام، ج2، ص473، ابن حجر: لسان الميزان، ج8، ص252.

[4] _قطري بن الفجاءة الأمير أبو نعامة التّميمي المازني البطل المشهور رأّس الخوارج، خرج زمن ابن الزبير وهزم الجيوش واستفحل، جهزّ له الحجاج جيشا بعد جيش فهزمهم، غلب على فارس، وسّلم عليه بالخلافة، حمُل رأسه إلى الحّجاج سنة 79 وقيل 78، وكان خطيبا بليغا كبير المحل من أفراد زمانه.ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج4، ص106،الذهبي:سير أعلام،ج4، ص151، تاريخ الإسلام، ج2، ص575.

[5] _المهلب بن أبي صفرة: الأمير البطل ظالم بن سراق بن صبح الأزدي، قائد الكتائب، أبو سعيد البصري، ولدعام الفتح وقيل بعد ذلك، ولي الجزيرة لابن الزبير، وحارب الخوارج، ثم ولي خراسان، احترمه الحجاج لإبداعه في قتال الخوارج. توفي غازيا بمرو سنة 82 وقيل 83 وعمره 76سنة. الذهبي: سير، ج4، ص383، تاريخ الاسلام، ج3، ص82، 83، الزركلي: المرجع السابق، ج7، ص315.

[6] _الطبري: المصدر السابق، ج6، ص168، 301.

[7] _هو عبد الرحمان بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي الأمير، متولّي سجستان، بعثه الحجاج على سجستان فثار هناك، وأقبل في جمع كبير، ومعه القراء، فقاتله الحجاج فهزمه، ففر إلى رتبيل فطلبه الحجاج، عندها ألقى بنفسه من قصر خراب فمات سنة 84هـ. الذهبي: سير، ج4، ص183، 184، الزركلي: المرجع السابق، ج3، ص321.

[8] _دير الجماجم بظاهر الكوفة، على سبعة فراسخ منها، على طريق البرّ للسّالك إلى البصرة، قال ابو عبيدة الجمجمة القدح من الخشب، وبذلك سميّ دير الجماجم لأنه كان يعمل فيه الأقداح من الخشب، وسّميت الوقعة هنا بين الحجاج وابن الأشعث بوقعة القراء لموتهم فيها. ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج2، ص504.

[9] _الطبري: المصدر السابق، ج6، ص335 وما بعدها.

[10] _سليمان بن صرد الخزاعي الكوفي الصحابي الأمير، كان دّينا عابداً ، بايع للحسن، وتاب لخذلانه، وسار في جماعة للطلب بدمه، وسمّوا

يالثارات الحسين، وبعد مقتل سليمان بن صرد تولّى المختار بن أبي عبيد أمرهم وادّعي المهدويّة، وسيطر على الكوفة، وتمكن من القضاء على واليها عبيد الله بن زياد، وقتل الحصين بن نمير السكوني[2].

بقي عبد الملك يترقب الأمور بالعراق، وما آلت إليه الحركة الشّيعية، وكان ينظر إلى صراع المختار مع مصعب بن الزبير، هذا الأخير الذي لم يجد بدّاً من وضع حدّ لهذا الأفّاك قبل أن يستفحل أمره، فأعّد له جيشا بقيادة المهلب الذي انتهج مع المختار سياسة التفكيك والتخذيل إلى أن قضى عليه بالكوفة سنة 67هـ[3]، فانتهت بذلك مغامرة المختار، إذ ما التفّت الشّيعة حول أحد إلاّ قتل.

وبهذا الوصف يتّضح أن جسد الأمّة كان ممزّقا، ويحتاج إلى رجل شديد المراس، وفيه رباطة جأش، فالخلافة انتُهكت قدسيّتها، والدّولة بدت وقد انفرط عقدها[4]، فابن الزّبير وأشياعه دولة، والخوارج يعيثون في الأرض فساداً ، ويشعلون الثورات هنا وهناك، والأمويّون وأتباعهم دولة أخرى، والمختار يحاول إنشاء دولة جديدة في الكوفة، بالإضافة إلى الصّراع القبلي الذي انفجر من جديد، وبشكل عنيف، قيس من جهة، وكلب وأخواتها اليمانية من جهة ثانية، وفي هذا الجوّ الهائج من الإضطرابات، والطامي بالأهواء والفتن ظهر عبد الملك بن مروان على مسرح السّياسة، فبذل من الجهود الكثير حتّى فرض هيبته، ووطّد دعائم حكمه، وأعلى اللّحمة والسّياسة في أرجاء العالم الإسلامي[5].

ثم تفرّغ للعمل الدّاخلي، وتطوير الدّولة والقيام بإصلاحات شاملة فيها، سواء على المستوى الإجتماعي أو العسكري أو حتى الإداري، ويشهد له بذلك الإستقرار في الدّولة، والهيبة الدّاخلية والخارجية والتطور الداخلي وتعريب الدواوين [6].

ولعلّ أهم خطوة سياسية بادر بها عبد الملك قبل موته هي توليته العهد للوليد وسليمان، فقد هّم

بجيش التوابين، قتل عبيد الله بن زياد سنة 65 بعين الوردة، عاش 93 سنة، وكان صالحاً دينا. الذهبي: سير، ج3، ص394، 395، تاريخ الإسلام، ج2، ص412، 413.

(1) _النخيلة: تصغير نخلة، وهو موضع قرب الكوفة، ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج5، ص278.

(2) _البلاذري: المصدر السابق، ج6، ص366- 423 ، الطبري: المصدر السابق، ج5، ص552.

(3) _الطبري: المصدر السابق، ج6، ص71.

(4) _ففي سنة 68 هـ كان على الحج أربعة ألوية: لواء ابن الزبير، ولواء بن الحنيفة، ولواء نجدة الحروري، ولواء بني أمية، مما يُترجم الانقسام الحاصل في الأمة. الطبري: المصدر السابق، ج6، ص138.

(5) _ابراهيم خليل: عبد الملك بن مروان، ص27.

(6) _انظر تعريب الدّواوين: البلاذري، فتوح البلدان، ص412، وما بعدها، الجهشياري: الوزراء والكتاب، ص23، المقريزي: الخطط، ج1، ص96، حسان حلاق: تعريب النقود والدواوين، فالح القيسي: استعمال العربية في الدواوين المالية، ص120.

بذلك في حياة أخيه عبد العزيز، المرشّح بعده ولكن قبيصة بن ذؤيب[1] نهاه وقال: لا تفعل هذا فإنّ ذلك يبعث العار، ولعلّ الموت يأتيه فتستريح منه؟ فكفّ عبد الملك عن ذلك حتّى مات عبد العزيز سنة 85هـ[2]، فعقد البيعة لابنيه الوليد وسليمان، وذلك سنة 85هـ[3].

ولمّا حضرت عبد الملك الوفاة، أوصى أهله بالوحدة والمعروف والإلتفاف حول مسلمة والحجاج فقال: «أوصيكم بتقوى الله فإنّها أزين حلية، وأحصن كهف، لِيعطف لكبير منكم على الصغير، وليعرف الصغير حق الكبير، وانظروا مسلمة فاصدروا عن رأيه، فإنه نابكم الذي عنه تفترون...أكرموا الحجاج فإنه الذي وطّأ لكم المنابر، وأذلّ الأعداء، وكونوا بني أمّ بررة، لا تذبّ بينكم العقارب، وكونوا في الحرب أبراراً، فإنّ القتال لا يُقرّب منية قبل وقتها، وكونوا للمعروف منازل، فإن المعروف شيء يبقى آخره وذكره وذخره...» [4].

فمات فسجّاه الوليد، وكانت وفاته بشوال سنة 86هـ بدمشق، ودفن بها وله من العمر ستون سنة، وقيل 61، وقيل 62 سنة ،وزادت خلافته عن إحدى وعشرين سنة[5]، وبعد وفاته صعد الوليد المنبر، وصلى على النبي ﷺ ثم قال: « إنّا لله وإنّا إليه راجعون، يا لها من مصيبة، ما أعظمها وما أقطعها، وأخصّها وأعمّها وأوجعها! موت أمير المؤمنين، ويا لها نعمة، ما أعظمها وأجسمها، وأوجب للشكر لله

---

[1] _هو قبيصة بن ذؤيب بن حلحلة الخزاعي، أبو سعيد المدني، كان من فقهاء المدينة وانتقل إلى الشّام كان على خاتم عبد الملك بن مروان، وتوفي سنة86 وقيل 87 . تاريخ خليفة، ص190، ابن عبد البر: الاستعاب، ج3، ص336، الذهبي: تاريخ الإسلام، ج3، ص67.ابن حبان: الثقات، ج5، ص318، 319.

[2] _الطبري: المصدر السابق، ج6، ص412-416.

[3] _ المصدر نفسه ، ص412 وفي الحقيقة أن الحجاج هو من زيّن له البيعة لولديه فقد بعث إليه رسوله قائلا:

أمير المؤمنين إليك نهدي ... على النأي التحية والسلاما
أجبني في بنيك يكن جوابي ... لهم عاديةً ولنا قواما
فلو أنّ الوليد أطاعُ فيه ... جعلت له الخلافة والذماما

المصدر نفسه ، ج6، ص412.

ومعنى النّأي البعد والمفارقة. ابن منظور لسان ، مج6، ص4314، مادة نأي.

والذِّمام: الحرمة التي تلزمك والحق. ابن المنظور: لسان ، مج3، ص1577، مادة ذمم.

[4] _البلاذري: أنساب، ج7، ص267، 268، ابن عساكر: المصدر السابق، ج63، ص127.

[5] _ البلاذري: أنساب، ج7، ص193، المسعودي: التنبيه والإشراف، ص315 ،الطبري: المصدر السابق، ج6، ص418، ابن عساكر: المصدر السابق، ج37، ص163، 165، ابن منظور: مختصر ج15، ص234، وإذا احتسبنا الخلافة من نهاية ابن الزبير يكون حكم عبد الملك 13 سنة و5 أشهر. الطبري: المصدر السابق، ج6، ص418، ابن عساكر: المصدر السابق، ج37، ص163.

علّيّ فيها! خلافته التي سرّنا بها»[1].

وهكذا انتقلت الخلافة في هدوء وبدون خلاف إلى الوليد عبد الملك، وكان هذا نتيجة جهود أبيه عبد الملك، الذي ترك له دولة مستقرّة، موحّدة ثابتة الأركان والدّعائم، قويّة حربيّا وسياسيّا، وإقتصاديا، وظهرت آثار الإستقرار والتوحيد والقوّة في عهد الوليد، فكان عهده الذّروة التي وصلت إليها الدولة العربية الإسلامية في مجدها، فكان عهّد الفتوحات العظيمة والرّغد والرّخاء[2].

ج -الوليد عبد الملك عهد البناء والفتوح:

هو الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم أبو العباس الأموي، أمّه ولادة [3]بنت العباس العبسيّة ولد سنة 50هـ، فكان أكبر أولاد عبد الملك، كان أبواه يُترفانه قشبّ بلا أدب، كان طويلا أسمر جميلا، في وجهة أثر جدري خفي، وبمقدّم لحيته شيب[4]، غزا أرض الروم سنة78هـ ، وحج بالناس عامئذ[5].

كان الوليد ولي عهد أبيه، عهد إليه عبد الملك في حياته، وقد روي أن روح بن زنباع قال دخلت يوماً على عبد الملك بن مروان وهو مهموم فقلت: ما هذه الكآبة التي بأمير المؤمنين، لا يسوءه الله ولا يُخزيه؟! قال: فكّرت فيمن أولّيه أمر العرب فلم أجد، قال: قلت: فأين أنت عن الوليد؟ قال: إنه لا يحسن النّحو[6]، فلمّا علم الوليد بذلك جمع أصحاب النّحو وأقاموا ستة أشهر يعلّمونه فلم يتمكن منه، فقال عبد الملك قد أجهد وأعذر[7].

وقد ذكرنا أنّ عبد الملك عهد إلى ولديه الوليد وسليمان في حياته، بعد موت أخيه عبد العزيز الذي كان ولي العهد بعد عبد الملك[8]، وحين حضرت هذا الأخير الوفاة قال للوليد: لا ألفيك إذا متّ تعصر

---

(1) _ابن منظور: مختصر، ج26، ص320.

(2) _ضياء الدّين الرّيس: المرجع السابق، ص326.

(3) _هي ولاّدة بنت العبّاس بن جزيء بن الحارث أم الوليد العبسية، زوج عبد الملك بن مروان، وأم الوليد وسليمان. ابن عساكر: المصدر السابق، ج70، ص143.

(4) _المصدر نفسه، ج63، ص165،168، ابن منظور: مختصر، ج26، ص317، 318،ابن كثير: المصدر السابق، ج9، ص133.

(5) _ابن عساكر: المصدر السابق، ج63، ص169.

(6) _صحيح أنّ الوليد كان لحّانا لا يعرف النحو انظر: ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج3، ص1239. ابن عساكر: المصدر السابق، ج63، ص163، السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص125.

(7) _ابن عساكر: المصدر السابق، ج63، ص168، ابن منظور: مختصر، ج26، ص318، ابن كثير: المصدر السابق، ج9، ص133 ، السيوطي: المصدر السابق، ص225 ،حسن ابراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج1، ص245.

(8) _البلاذري: أنساب، ج7، ص253، 254.

عينك، وتبكي بكاء الأمة، ولكن شمّر واتّزر، والبس جلد نمر ودلّي في حفرتي، وخلّني وشأني وعليك وشأنك، ثمّ ادع الناس إلى البيعة فمن قال هكذا، فقل بالسيف هكذا»[1].

فلمّا مات عبد الملك ودفنه الوليد، دخل هذا الأخير المسجد، فصعد المنبر واجتمع إليه النّاس فخطب فقال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، والله المستعان على مصيبتنا بموت أمير المؤمنين، والحمد لله على ما أنعم به علينا من الخلافة، قوموا فبايعوا، فكان أوّل من قام لبيعته عبد الله بن همّام السلولي[2]، فإنه قام وهو يقول:

الله أعطاك الذي لا فوقها وقد أراد الملحدون عوقها

عنك، ويأبى الله إلاّ سوقها إليك حتى قلّدوك طوقها

فبايعه ثم تتابع النّاس إلى البيعة[3]، وكانت بيعته في النصف من شوال سنة 86هـ[4].

لقد كان الوليد عند أهل الشّام أفضل خلفائهم، صاحب بناء واتخاذ للمصانع بنى المساجد-مسجد دمشق ومسجد المدينة- ، وأعطى النّاس، وأعطى المجذومين ومنعهم من سؤال النّاس، وأعطى كلّ مُقعد خادماً وكل ضرير[5] قائدًا[6].

ولعلّ أهم إنجاز يشهد للوليد بن عبد الملك هو إقامته للجهاد في أيامه، فقد شهد عهده فتوحًا عظاما كأيام عمر بن الخطّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[7]، فقد فتح بلاد الهند والسند[8]، والأندلس وأقاليم العجم حتى

---

(1) _ابن منظور: مختصر، ج26، ص319.

(2) _هو عبد الله بن همّام بن قتيبة بن زياد أبو عبد الرحمان السّلولي، شاعر مشهور، من فحول شعراء الكوفة، وهو من بني مرّة بن صعصعة بن قيس غيلان، وبني مرّة يُعرفون ببني سلول لأنها أمهم، استقدمه يزيد بن معاوية، ومدحه في شعره، ويسمى العطّار لحسن شعره. ابن قتيبة: الشعر والشّعراء، ج2، ص545، 546، ابن عساكر: المصدر السابق، ج33، ص350-355، الذهبي: تاريخ الإسلام، ج2، ص599.

(3) _تاريخ الطبري، ج6، ص423، ابن الجوزي: المنتظم ، ج6، ص270، ابن كثير: المصدر السابق، ج9، ص59.

(4) _ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج63، ص175.

(5) _ضرير: رجل ضرير ذاهب البصر، والجمع أضرّاء، والضرّير المريض المهزول أيضا. ابن منظور: لسان، مج4، ص2573، مادة ضرر.

(6) _البلاذري:أنساب، ج8، ص72، الطبري: المصدر السابق، ج6، ص496 ، ابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص267، 26، ابن العبري: تاريخ مختصر الدّول، ص100

(7) _الطبري: المصدر السابق، ج6، ص496، ابن كثير: المصدر السابق، ج9، ص136، السيوطي: المصدر السابق، ص226.

(8) _السِّند: بين بلاد الهند وكرمان وسجستان، وهي خمس كور فتحت أيام الحجاج بن يوسف. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج3، ص267.

بلغت فتوحاته الصّين[1]، وغيرها، فكثرت الفتوح في عهده وبرز قادة أفذاذ خلّدوا أسماءهم بفتوحات عظام فكان مسلمة بن عبد الملك يتغلغل في بلاد الروم، وقتيبة بن مسلم[2] في بلاد العجم والتّرك، وافتتح محمد بن القاسم[3] بلاد الهند والسّند، وفتح موسى بن نصير وطارق بن زياد بلاد الأندلس[4]، فبفضل هؤلاء وغيرهم، وبفضل السّلام الذي انتشرت أولويته في ربوع البلاد تمكّن الوليد بن عبد الملك من إعادة عهد الفتوح التّي تمّت في عهد من سبقه من الخلفاء، فاتسعت رقعة دولته في المشرق والمغرب[5].

كان عهد الوليد عهد إستقرار وتقدم للدولة، فلما كانت سنة 96 عزم الوليد على خلع أخيه سليمان من العهد، وأراد أن يبايع لابنه عبد العزيز[6]، فلم يجبه إلاّ الحجاج وقتيبة، وخواص من النّاس، ومات دون أن يتم له ذلك[7]، وكان ممن عارضه في قراره هذا عمر بن عبد العزيز فقد قال له: لسليمان بيعة في أعناقنا، فأخذه الوليد وطيّن عليه ثم فتح عليه بعد ثلاث وقد مالت عنقه، فشكر سليمان لعمر ذلك بعد تولّيه[8].

رفض عمر البيعة لابن أخته تمسكا بشرعية ولاية العهد لسليمان، حتى لا يُتلاعب بأمر الخلافة ومصير الأمّة، التي ما سلّت أغلب السيوف في الإسلام إلاّ عليها، فكانت أحد الأسباب التي أدّت إلى وهن الدّولة وضعف قوة المسلمين.

---

(1) _ابن كثير: المصدر السابق، ج9، ص136.

(2) _قتيبة بن مسلم بن عمرو بن الحصين الباهلي أبو حفص، أمير فاتح من مفاخر العرب، ولي الرّي في أيام عبد الملك، وخراسان أيام الوليد، ووثب لغزو ما وراء النّهر، افتتح خوارزم وسمرقند وسجستان، وأذعنت له بلاد ما وراء النهر حتى حدود الصّين، خرج على سليمان فقتله سنة 96هـ . الذهبي: سير أعلام، ج4، ص410، الزركلي: المرجع السابق، ج5، ص188، 189.

(3) _هو محمد بن القاسم بن محمد بن الحكم الثقفي فاتح السّند ووالياها، من كبار القادة، ولاه الحجاج ثغر السند أيام الوليد، زحف على مكران، وعز له سليمان بعد ذلك، ثم قتله معاوية بن يزيد بن المهلب سنة 98. الزركلي: المرجع السابق، ج6، ص331.

(4) _الطبري: المصدر السابق، ج6، ص496، ابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص269، ولمعرفة المزيد من أخبار الفتوح وتوسعاتها أنظر: تاريخ خليفة، ص190-193، الطبري: المصدر السابق، ج6، ص428-496. ابن كثير: المصدر السابق، ج9، ص68-74.

(5) _حسن ابراهيم حسن: المرجع السابق، ص245.

(6) _هو عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك بن مروان أبو الأصبغ القريشي الأموي، أمه أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان، أخت عمر بن عبد العزيز، ولي إمرة الموسم وإمرة دمشق أيام أبيه، اراد أبوه أن يعهد إليه فمات الوليد قبل أن يتم له ذلك، حج بالناس سنة 93، كان لبيبا عاقلا . ابن عساكر: المصدر السابق، ج36، ص368، الذهبي: سير، ج5، ص148، 149، الصفدي: أمراء دمشق، ص74.

(7) _البلاذري: أنساب، ج8، ص87، الطبري: المصدر السابق، ج6، ص498، 499.

(8) _الذهبي: سير، ج4، ص348.

وكانت وفاة الوليد يوم السبت للنصف من جمادى الآخرة، سنة 96هـ، بدير مرّان[1]، بدمشق، وعمره ثمانية وأربعون سنة وقيل تسعة وأربعون سنة، وقيل أربعة وأربعون، وكانت مدّة خلافته تسع سنين، وثمانية أشهر، وقيل تسع سنين وسبعة أشهر، وصلّى عليه عمر بن عبد العزيز، لأن سليمان كان ببيت المقدس، وكان له من الولد تسعة عشر ولدًا ذكرًا[2].

د -سليمان بن عبد الملك مفتاح الخير:

هو سليمان بن عبد الملك بن مروان أبو أيوب، أمه أم الوليد ولادة بنت العباس، ولد بالمدينة ونشأ بالشام عند أبيه ،كان طويلا جميلا أبيض فصيحًا أكولاً، مؤثرا للعدل محبّا للغزو، ويرجع إلى دين ومحبّة للحق وأهله، واتّباع القرآن والسنّة، وإظهار الشرائع الاسلامية[3].

بويع له بالخلافة بعد موت أخيه في النصّف من جمادى الآخرة سنة 96هـ[4]، وقد كان بالرّملة[5] إذ ولاّه أخوه الوليد فلسطين فأحدث مدينة الرّملة وبنى مسجدها، فلما أتاه نعي أخيه خرج إلى دمشق[6] فبويع بها، وأوّل ما تكلم به سليمان عندما ولي الخلافة أنّه قال:

«الحمد لله الذي ما شاء صنع، وما شاء رفع، وما شاء وضع، ومن شاء أعطى، ومن شاء منع، إنّ الدنيا دار غرور، ومنزل باطل وزينة تقلب، تضحك باكيا وتُبكي ضاحكاً ، وتُخيف آمنا وتؤمن خائفا، تفقر مثريها، وتثري فقيرها، ميّالة لاعبة بأهلها، يا عباد الله اتخذوا كتاب الله إماماً ، وارضوا به حكما، واجعلوه لكم فائدة، فإنه ناسخ لما قبله ولن ينسخه كتاب بعده، إعلموا عباد الله أنّ هذا القرآن يجلوا كيد الشيطان

---

(1) _دير مرّان قرب دمشق على تل مشرق على مزارع ورياض حسنة، بناؤه بالجص، وهو دير كبير كان به يزيد بن معاوية حين وجّه جيشه إلى الرّوم. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج2، ص533، 534، ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ج1، ص353.

(2) _ تاريخ خليفة، ص197 ،البلاذري: أنساب ج8، ص92 ،الطبري: المصدر السابق، ج6، ص495، القضاعي: عيون، ص350، ابن الأثير: الكامل، ج4، ص 291 ،ابن كثير: المصدر السابق، ج9، ص137. وذكر خليفة بن خياط أن سليمان هو من صلى عليه وهذا خطأ. انظر تاريخ الخليفة، ص197.

(3) _البلاذري: أنساب، ج8، ص99، القضاعي: عيون، ص357 ،ابن الجوزي: المنتظم، ج7، ص13، ابن منظور: مختصر، ج10، ص170 ، ابن كثير: المصدر السابق، ج9، ص146 ،151 .

(4) _القضاعي: عيون، ص357، الطبري: المصدر السابق، ج6، ص505، ابن منظور: مختصر، ج10، ص170.

(5) _الرّملة مدينة عظيمة بفلسطين، وكانت رباطا للمسلمين، بنى فيها سليمان قصراً ومسجداً بإشارة من كاتبه ابن بطريق. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج3، ص79.

(6) _البلاذري: أنساب، ج8، ص99، الطبري: المصدر السابق، ج6، ص505.

وضغائنه، كما يجلو ضوء الصّبح إذا تنفس أدبار اللّيل إذا عسعس[1]»[2].

إنّ هذه الخطبة تدلّ على صلاح سليمان وما بنى عليه سياسته وحكمه ، فقد كان من الوهلة الأولى يظهر صلاحا حتّى تصلح رعيّته، كما حرص سليمان كل الحرص على الإستعانة بصلحاء الرجال، فمن محاسنه أنّ عمر بن عبد العزيز كان له كالوزير[3] فبمجرّد توليته قال لعمر:

إنّا قد ولّينا ما قد ترى، ولم يكن لنا بتدبيره علم، فما رأيت من مصلحة العامة فمر به يُكتب[4]، فكان يتمثّل أوامره في الخير، ومن ذلك عزل عمال الحجّاج و إخراج من كان في سجن العراق، وإخراج أعطيات العراقيين، وإحياء الصّلاة لأوّل مواقيتها، وكان بنو أمية أماتوها بالتأخير[5]، كما حجّ سليمان بالنّاس سنة 97 هـ وهو خليفة[6].

ومن الحسنات التي تُحسب لسليمان أيضا هو اهتمامه بالفتوح خاصّة على جبهة الرّوم، حيث عزم على فتح القسطنطنية وقال: «والله لأغزونّهم غزوة افتح فيها القسطنطنية أو أموت دون ذلك»[7]، فوّجه إليها الجيوش سنة 97هـ بقيادة أخيه مسلمة، فسار إليها بجيش عظيم، وحاصرها سنة98هـ[8]، وولى ابنه داود[9] على الصائفة[10]، في تلك السنة[11]، ووجه يزيد بن المهلّب[12] إلى خراسان، ففتح جرجان[13]

---

(1) _عسعس الليل أقبل بظلامه، وقيل عسعسته قبل السّحر. لسان العرب ، مج4، ص2941، مادة عسعس.

(2) _ابن كثير: المصدر السابق، ج9، ص147، ووردت الخطبة باختلاف في المنتظم، ج7، ص14.

(3) _ابن منظور: مختصر، ج10، ص173، السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص228.

(4) _ابن منظور: مختصر، ج10، ص173.

(5) _المصدر نفسه، ص173، ابن كثير: المصدر السابق، ج9، ص174، السيوطي: المصدر السابق، ص228.

(6) _ابن كثير: المصدر السابق، ج9، ص148.

(7) _ابن منظور: مختصر، ج10، ص173.

(8) _الطبري: المصدر السابق، ج6، ص523، ابن كثير: المصدر السابق، ج9، ص143.

(9) _هو داود بن سليمان بن عبد الملك بن مروان أمّه أمّ ولد، ولاّه أبوه بعض الصّوائف، أراد أن يجعله ولي عهد بعد موت أخيه أيوب، فلم يفعل وولّى عمر بن عبد العزيز. ابن عساكر: المصدر السابق، ج17، ص154، 155.

(10) _الصّائفة هي الغزوة في الصيف. لسان العرب، مادة صيف، مج4، ص2538.

(11) _الطبري: المصدر السابق، ج6، ص523.

(12) _يزيد بن المهلب أبي صفرة الأزدي أبو خالد، أمير من القادة الشّجعان ولد سنة 53هـ، وولّي خراسان بعد وفاة أبيه المهلب سنة 83، ولاه سليمان العراق ثم خراسان، وافتتح جرجان وطبرستان، سجنه عمر ثم هرب من سجنه، وقتل في حروبه ضد يزيد بن عبد الملك سنة 102هـ . الذهبي: سير، ج4، ص503-506، الزركلي: المرجع السابق، ج8، ص189، 190.

(13) _جرجان مدينة عظيمة مشهورة بين طبرستان وخراسان،أول من أحدث بناءها يزيد بن المهلب. ياقوت الحموي:معجم البلدان،ج2، ص119.

كانت همّه الوحيد[1].

وفي سنة 98 هـ بايع سليمان لابنه أيوب[2] بولاية العهد، وأمسك عن يزيد بن عبد الملك أخيه، وتربّص به الدوائر، فهلك أيّوب في حياة أبيه[3]، فبايع سليمان لابن عمه عمر بن عبد العزيز[4]، وقد كان سليمان آلى على نفسه حين خرج من دمشق في آخر أيامه إلى مرج دابق[5]، لما جهز الجيوش إلى مدينة القسطنطينية ألاّ يرجع إلى دمشق حتّى تُفتح أو يموت فمات هناك، «فحصل له بهذه النيّة أجر الرّباط في سبيل الله، فهو إن شاء الله ممن يجري له ثوابه إلى يوم القيامة رحمه الله»[6].

ولمّا حضرته الوفاة عهد إلى عمر بن عبد العزيز بالخلافة من بعده، وذلك بإشارة ونصيحة من مستشاره رجاء بن حيوة[7]، فكتب بذلك كتابا تركه عند رجاء[8].

فلما بدأ بالاحتضار دخل عليه رجاء، قال: فجعلت إذا أخذته السّكرة من سكرات الموت أحرّفه إلى القبلة، فإذا أفاق يقول: لم يأن لذلك بعد يا رجاء، فلمّا كانت الثّالثة قال: من الآن يا رجاء إن كنت تريد شيئا، أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأشهد أنّ محمّدا عبده ورسوله، قال: فحرّفته إلى القبلة، فمات رحمه الله، قال: فغطيته بقطيفة خضراء، وأغلقت الباب عليه، ثمّ خرجت وأخذت البيعة لعمر بن بد العزيز بالمسجد[9].

---

(1) _كان يزيد يحتقر فتوح قتيبة أمام سليمان ويقول: هذه الفتوح لست بشيء، الشأن كله في جرجان فلما ولاه سليمان خراسان بدأ بها لأنها همه الوحيد. الطبري: المصدر السابق، ج6، ص539-541.

(2) _أيوب بن سليمان بن عبد الملك بن مروان، أمه أم أبان بنت أبان بن الحكم بن أبي العاص، ولي غزوة الصّائفة، وكان أبوه قد رشحه لولاية العهد من بعده، فمات في حياة أبيه، في محرم سنة 99هـ، وكان بينه وبين أبيه 40 يوما، ابن عساكر: المصدر السابق، ج10، ص102-104.

(3) _الطبري: المصدر السابق، ج6، ص531، 532، ابن كثير: المصدر السابق، ج9، ص144.

(4) _ابن كثير: المصدر السابق، ج9، ص144.

(5) _مرج دابق: قرية بحلب بينها وبين حلب أربعة فراسخ، وهو مرج معشّب كان ينزله بنو مروان إذا غزوا الصّائفة إلى ثغر مصيصة، وبه قبر سليمان بن عبد الملك. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج2، ص416.

(6) _ابن كثير: المصدر السابق، ج9، ص151.

(7) _هو رجاء بن حيوة الكندي أبو المقدام الفقية، كان ثقة فاضلا كثير العلم، وقبل قدومه الشام كان قاضيا، عرف بعبادته وتقواه، وكان كالوزير لسليمان وعمر بن عبد العزيز، توفي في خلافة هشام بن عبد الملك سنة 112هـ. ابن قتيبة: المعارف، ص267، ابن عساكر: المصدر السابق، ج18، ص96-115، المزي: تهذيب الكمال، ج9، ص157، ابن حبّان: الثقات، ج4، ص237.

(8) _ابن عساكر: المصدر السابق، ج45، ص159، 160، ابن الجوزي: سيره عمر بن عبد العزيز، ص5.

(9) _ابن كثير: المصدر السابق، ج9، ص150.

وكانت وفاته يوم الجمعة لعشر بقين من صفر سنة 99هـ، بدابق ممدّا لأخيه مسلمة وهو على حصار القسطنطنية، وكانت ولايته سنتين وثمانية أشهر، وعمره 45 سنة وقيل 43 سنة، وصلى عليه عمر بن عبد العزيز[1]، وقيل فيه: «رحم الله سليمان بن عبد الملك افتتح خلافته بخير، وختمها بخير، افتتح خلافته بإحياء الصّلاة لمواقيتها، وختمها باستخلافه عمر بن عبد العزيز»[2].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1] _ البلاذري: أنساب، ج8، ص99 ، الطبري: المصدر السابق، ج6، ص 546 ، المسعودي: التنبيه والإشراف، ص317 ،ابن الجوزي: المنتظم، ج7، ص50، ابن كثير: المصدر السابق، ج9، ص146 ، السيوطي: المصدر السابق، ص299

[2] _هذا القول لابن سيرين رحمه الله انظر ابن منظور: مختصر، ج10، ص175، الذهبي: سير، ج5، ص112.

الباب الأوّل:

رسائل الخلفاء الخاصّة بالصراع حول الخلافة و شخصياتهم وأفراد أسرتهم و آل بيتهم

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمـــهيـــد:

تُعتبر الخلافة في ديننا من أرقى المناصب وأسماها، لما لها من أهميّة في قيام الدّولة واسقرارها، فهي موضوعة لخلافة النبوّة في حراسة الدّين، وسياسة الدّنيا به، وعقدها لمن يقوم بها في الأمّة واجب بالإجماع[1].

«إنّ حقيقة هذا الوجوب الشّرعي راجعة إلى النّيابة عن الشارع في حفظ الدّين وسياسة الدنيا به وسميّ باعتبار هذه النيابة خلافة وإمامة، وذلك لأنّ الدين هو المقصود في إيجاد الخلق، لا الدنيافقط، فحملوا على حكمه دنيا أخرى، ونصب لذلك الخليفة نائبا عن صاحب الشرع»[2].

وإذا ثبت وجوب الإمامة ففرضها على الكفاية، كالجهاد وطلب العلم، فإذا قام بها من هو من أهلها سقط[3]، لذلك شرع الله تعالى أن يُندب للأمة زعيم تخلف به النبّوة وتُحاط به الملّة، وفوّض إليه السّياسة ليصدر التّدبير عن دين مشروع، وتجتمع الكلمة على رأي واحد متبوع، فلذا كانت الأمامة أصلا استقرّت عليه قواعد الملّة، وانتظمت به مصالح الأمّة، حتى استثبتت بها الأمور العامّة، والمصالح الخاصة[4]، يقول ابن الأزرق: «إنّ توّهم الاستغناء عن السلطان باطل، أمّا في الدّين فلامتناع حمل النّاس على ما عرفوا منه طوعاً أو كرها دون نصبه...أما في الدّنيا فلأنّ حامل الطّبع لا يكفي في إقامة مصالحها على الوجه الأفضل غالباً ...ولذلك نجد من لا سلطان لهم كالذّئاب الشاردة، والأسود الضّارية لا يبقي بعضهم على بعض، ولا يحافظون على سّنة ولا فرض»[5].

فالإمامة إذن مهمة في حياة النّاس، وعلى الخليفة المعوّلُ في حقن الدّماء، وحفظ الأموال، ومنع الشّرور وقمع المفسدين، والمنع من التّظالم المؤدّي إلى الفتنة والإضطراب داخل المجتمع الواحد[6]، ولا تتم حقيقة هذا المنصب إلاّ لمن تمكّن بقهر يده، من سياسة الرّعيّة وجباية الأموال، وبعث البعوث وحماية

---

(1) _الماوردي: الأحكام السلطانية، ص29.

(2) _ابن الأزرق: بدائع السّلك، ج1، ص93.

(3) _الماروردي: المصدر السابق، ص30.

(4) _المصدر نفسه، ص27.

(5) _المصدر السابق، ج1، ص92، ويقول الطّرطوشي:" ومثلهم- يقصد الرعيّة- بلا سلطان مثل الحيتان في البحر يزدَرد الكبير منهم الصّغير، فمتى لم يكن سلطان قاهر لم ينتظم لهم أمر، ولم يستقم لهم معاش، ولم يهنؤوا بالحياة". سراج الملوك، ص150.

(6) _ابن طباطبا: الفخري، ص30.

الثغّور، والقاصر عن ذلك ناقص الملك بقدر الفائت منه[1].

ألا ترى أنّ بني أميّة ساسوا الرّعية، وحافظوا على الأموال، وبعثوا البعوث، وحموا الثغّور أم أنّ اللّوم يلقى عليهم لأنّهم جاءوا بعد فترة حكم راشد لن يعرف التاريخ مثله؟

إنّ القول بأن ما دون حكم الرّاشدين حكم غير إسلامي، لا ينسجم مع النّظرية الإسلامية المرنة في الحكم، بل الواقع والتطّور هما اللذان يفرضان طبيعة الحكم لذا فإنّ النظرة الشاملة لأسلوب الحكم الأموي يجب أن لا تتوقف عند ملاحظة الفوارق بين نظام الحكم الراشدي والأموي مبتورة عن ظروف التّطّور الإجتماعي الذي أصاب الأمّة الإسلامية آنذاك[2].

وإنّ نجاح معاوية بعدتنازل الحسن عن الخلافة كان إقرارا بمبدأ الأمر الواقع، المستند إلى القوّة في اختيار الخليفة، هذا المبدأ الذي عبّر عنه معاوية عندما قدم المدينة عام الجماعة، وصارت العلاقة تقوم على مؤاكلة حسنة ومشاعر جميلة، فلمّا كان عهد عبد الملك- الذّي واجه مشاكل كثيرة حتّى استقامت لهالأمور، وقضى على ثورة ابن الزّبير- رأى أنّ المؤاكلة الحسنة لا مكانة لها في سياسته، وأنّه لا تداوى أدواء هذه الأمة إلاّ بالسّيف[3].

صحيح أنّ الدولة في بداية أمرها تستند إلى الدّين لتنال الشرعية، وتبتعد عن منازعات الملك[4]، فالدّولة البعيدة الإستيلاء العظيمة الملك أصلها الدّين ودعوة الحقّ، لأنّ اتفاق الأهواء إنمّا يكون بالدّين، وعندها يحسن التّعاون والتعاضد، ويتّسع نطاق الكلمة، وتعظم الدّولة، أمّا إذا مالت القلوب إلى الدّنيا وقع التّنافس وفشى الخلاف[5].

إنّ الدّولة الإسلاميّة في بداية أمرها استندت إلى الدّين، ونالت به شرعية واحتراماً، أمّا عندما قام ملك بني أميّة أحتيج فيه إلى العصبيّة لتقوية اللّحمة، إنّ العصبيّة لا تحصل إلاّ بالتحام ونسب أو ما في معناه، أمّا بالنّسب فلأنّ من صلة الرّحم الطبيعية في البشر- غالبا- نعرة ذوي القربى بعضهم على بعض، حتّى لا ينالهم ضيم أو هلكة، فإذا قرب النّسب وحصلت به وصلة الإلتحام استدعى بمجرّده أقصى مقدور

---

(1) _ابن الأزرق: المصدر السابق، ج1، ص107.

(2) _حمدي شاهين: الدّولة الأمويّة، ص259.

(3) _نجدة خماس: الإدارة في العصر الأموي، ص25.

(4) _ابن الأزرق: المصدر السابق، ج2، ص707.

(5) _المصدر نفسه، ج1، ص137.

عليه في التّناصر[1]، ولذا انتقلت الخلافة إلى ملك، وهذا واقع بحسب طبيعة الوجود، ذلك أنّ الوازع في أيّام وجود الخلافة- كما ذكرنا- إنّما كان دينا محضا، يجده كل واحد من نفسه، وبعد انقلاب الملك ضعف ذلك الوازع، وكاد يُفقد، فاحتيج إلى مزيد رهبة[2].

ولا ينبغي أن يغيب عن أذهاننا أثر البيئة في تطوير شكل الحكم، فقد كانت المدينة حاضرة الدّولة العربية زمن الراشدين وسكانها من العرب، وكانت الخلافة تتلاءم مع العادات والتقاليد العربيّة، ولكن عندما أصبحت دمشق عاصمة الدّولة، واختلط العرب بسكان البلاد المفتوحة المتأثرين بالنّظم والعادات البيزنطية الفارسية كان على الأمويين أن ينسجموا والبيئة الجديدة، فتبدّل نظام الخلافة وأصبح أشبه شيء بالنظّام الملكي ، ومن ثمّ زادت السلطة الزّمنية للخليفة، على أن الطبيعة العربية والنّفوذ العربي ظلاّ سائدين[3].

فأولى الأمويّون عناية كبيرة لمراسيم ملكهم، ولآل بيتهم وجعلوا الإمامة حكرا عليهم، لقد أدخل الأمويّون طابع الملك على الطّريقة الفارسيّة والبيزنطية، حيث أحدثوا الحكم السّلالي الأسري، فقطعوا مع الماضي السّياسي الإسلامي أو الذي أسّسه الخلفاء الأوائل، وهو يتمثل في الإستخلاف حسب السّابقة والقدمة في الإسلام، فحصر الأمويون السّلطة داخل أسرتهم" السفيانيون ثم المروانيون"، وقطعوا أيضا مع الماضي السّياسي" الجاهلي" في قريش الذي ينتخب ضمن أسنّ وأشرف شخص في القبيلة، وعلى هذا الأساس نقل الأمويّون مؤسّسة الخلافة إلى عاصمة جديدة كانت ولاية الشام لدى معاوية، وهي دمشق[4].

لقد مثّل التاريخ السياسي الأموي منعطفا قويّا، وتغييرا مفاجئا وغير متوقّع في آليّات الحكم وكان بمثابة انتقالة سريعة لم يسبقها مقدّمات نفسيّة تهيّء العقول المسلمة وكبار الصحابة والشّخصيات المتعاطفة معهم[5].

ومع أنّ عصر بني أميّة تقبّل حكم البيت الواحد فإنّ حصر الأمويّين الخلافة فيهم جعل أخطاء السّابق من خلفائهم تحمل على اللاّحق منهم، وأضافت استماتتهم في الدّفاع عن الملك، والإقتتال عليه بينهم عاملا آخر أوهن موقفهم أمام هجمة المعارضة عليهم، وأضعف عصبتهم، ودفع النّاس إلى التخليّ

---

(1) _ ابن الأزرق: المصدر السابق، ج1، ص76.

(2) _المصدر نفسه، ص94.

(3) _أنور الرّفاعي: الإسلام في حضارته، ص86، حسن ابراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج1، ص357.

(4) _بثينة بن حسين: الدّولة الأموية، ص12، عبد العزيز الدّوري: النظم الإسلاميّة، ص 40، 41.

(5) _جاسم علي جاسم: التحوّل من مبدأ الشورى إلى سياسة ولاية العهد، ص113.

عنهم بالتّدرج[1].

وفي الختام نقول: إنّ حقبة التّاريخ الأموي لم تزل مثار جدل كبير، ومحل أخذ وردّ بين المؤرخّين المحدثين كما كانت عند القدماء، ويبدو من وجهة نظرنا أنّ الدّولة الأمويّة درست من لدن الكثير من جانبها السّياسي المحض، وتعرضّت إلى إسقاطات العصر الذّي نعيش، ولو تُقرأ بتجرّد وموضوعيّة متمرّسة، فإنّ كثيرا من الآراء الحادّة التي حكمت وحاكمت وقاضت الخلافة الأمويّة خصوصا ما يتعلق منها بالجوانب السيّاسية وشخص الخلفاء، فإنّها ستأخذ منحى آخر، قد ينصف دور الخلفاء والولاّة، والعصر بأكمله، وربما تزيل ظاهر اللّبس وسوء التفسير وقسوة الأحكام التي أساءت ظاهرا وباطنا إلى الحكم الأموي، فاختزلت وشّوهت دور الخلفاء الأمويّين السّياسي والحضاري[2].

---

[1] _محمد ضيف الله: دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويّين، ص416.

[2] _جاسم علي جاسم: المرجع السّابق، ص112.

الفصل الأول:

رسائل الخلفاء الخاصّة بالبيعة وشخصيّاتهم وأفراد أسرتهم

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أولا: الـــــرّسائل المُتـــــعلّقة بالبيعة وولاية العهد:

- رسالة معاوية إلى عبادة بن الصّامت ليبايعه :

-1-

[رسالة معاوية] عن أبي عبيدة قال: «كتب معاوية إلى عبادة بن الصّامت:

إنّ أصحاب النّبي صلى الله عليه وسلم قد اجتمعوا عليَّ فاكتب إليّ ببيعتك، وزوِّج يزيد ابنتك»[1].

[جواب عبادة] :كتب إليه عبادة: « لو اجتمعتْ أمّة محمد ﷺ على عبد حبشيّ لسمعت وأطعت وقد كتبتُ إليك ببيعتي، فأمّا تزويج يزيد ابنتي فقد كتبت إليك بيتين فاسمعهما وهما:

[الطويل]

ولو أن نفسي طاوعَتني لأصبحتْ لـــها حَفدٌ ممّا يعدّ كثيـر

ولكنّهـــا نفسي عليَّ كـــــريمة عيوف لأصهار اللئام قدور»[2].

لقدكان هناك خلاف بين معاوية وعبادة منذ كان واليا على الشام زمن عثمان، فكان عبادة مغيّرا للمناكر ، معارضا لكثير من أفعال معاوية وسياسته [3]، وهذا ربّما هو الذي أوغر صدر معاوية عليه، ونحن نسلّم بهذه الرّسالة إن صحّ أن عبادة عاش إلى خلافة معاوية، فقد قيل أنّه توفي سنة 34 هـ وقيل 45 هـ في خلافة معاوية[4].

- رسالة معاوية إلى عمرو بن العاص في إمامة قريش:

-2-

عن عبد الله بن أبي الهذيل قال : كتب معاوية إلى عمرو:

---

[1] _ أخبار أبي القاسم الزّجاجي ، ج1 ، ص28.

[2] _ المصدر نفسه ، ص 28.

[3] _ انظر الذّهبي : سير أعلام ، ج2 ، ص 9.

[4] _ أنظر ابن عساكر: تاريخ دمشق ج 26، ص 207 ابن الأثير : أسد الغابة ، ص631.

«سمعت رسول الله ﷺ يقول : قُريش ولّاة النّاس في الخير والشّر إلى يوم القيامة» [1].

لقد أكّد معاوية على مكانة قريش وتقدّمها على غيرها، وقيادتها لسائر الأمم والعصبيّات، وقد ثبت أنّ النّبي ﷺ قال: "الأئمّة من قريش" [2]، وعلى هذا الأساس سار المسلمون في الصّدر الأوّل ، يقدّمون قريشا ولا يولّون أمرهم إلا قرشيًّا .

والظّاهر أنّ تخصيص قريش بهذا ليس مطلقا ، إنّما لسبب المصلحة العامّة ، وذلك أنّ العرب كانت تعرف لقريش تقدّمها ورئاستها فتستكين لها إذا حكمت ، ولو جُعلت الرّئاسة في غير قريش ، لتفرّقت الكلمة ، ووقعت الفتنة آنذاك .

ويرى ابن خلدون أنّ شرط القرشيّة كان واجبا في زمن معين ، كانت العصبيّة فيه لقريش ، ولكن بعد ذلك ضعف أمر قريش ، وتلاشت عصبيّتهم ، بما نالهم من التّرف والنّعيم ، فعجزوا عن حمل الخلافة ، وغلبتهم العجم الذّين صار الحلّ والعقد في أيديهم ، فلم تعد هناك ضرورة لبقاء هذا الشّرط[3] .

- رسالة معاوية إلى مروان يحذّره حين حرّض عمرو بن عثمان على المطالبة الخلافة:

-3 -

[رسالة معاوية]: عن عبد الله بن محمد بن يحي بن عروة بن الزبير[4] قال:«اشتكى عمرو بن عثمان[5]، وكان العوّاد يدخلون عليه فيخرجون و يتخلّف عنده مروان فيطيل [6]، فانكرت ذلك رملة بنت معاوية[7]، وهي امرأة عمرو بن عثمان، فخرقت كوة[8]، فاستمعت على مروان، فإذا هو يقول لعمرو: ما

---

[1] _ الطّبراني: المعجم الكبير ،ج19، ص360، رقم 847 .والحديث رواه أحمد بن حنبل: المسند، ج4، ص 226، رقم 17841. عن عمرو بن العاص، والترمذي عنه أيضا ،في السنن ، ص305 ، رقم 2227 ، باب ما جاء أنّ الخلفاء من قريش.

[2] _ رواه البيهقي: السّنن الكبرى، ج8 ، ص144، باب الأئمّة من قريش ، رقم 16319 ، عن أنس بن مالك، والطّبراني عن علي : المعجم الأوسط ، ج4 ، ص26 ، رقم 3521 ، عن علي ، المعجم الصّغير ، ج1 ، ص260 ، رقم 425 .

[3] _ المقدّمة ، ص 192 ، 193.

[4] _ كذا في نسب قريش، وفي أنساب الأشراف "عن هشام بن محمد" ،وعند المقريزي"قال الزبير بن بكار عن محمد بن الضحاك الخزامي عن أبيه...»

[5] _ هو عمرو بن عثمان بن عفان القرشي الأموي، وفد على معاوية فأغزاه أرض الرّوم تزوج ابنته رملة بنت معاوية، ابن عساكر، المصدر السابق، ج46، ص285.

[6] _ في النزاع والتخاصم: "وتخلف مروان بن الحكم عنده فيُطيل".

[7] _ هي رملة بنت معاوية بن أبي سفيان الأمويّة، زوجة عمرو بن عثمان، شهدت وفاة أبيها بدمشق أمها كنود بنت قرظة، ولها من الولد خالد وعثمان. ابن عساكر: المصدر السابق، ج69، ص154-157.

[8] _الكوة هي الخرق في الحائط، والثّقب في البيت ونحوه. لسان العرب ، مج 6، ص 3964، مادة كوى.

أخذ هؤلاء الخلافة[1] إلاّ باسم أبيك فما يمنعك أن تنهض بحقك، فلنحن أكثر منهم رجالاً ...فعدّد فضول رجال أبي العاص على رجال بني حرب، فلما برأ عمرو تجهز للحج، وتجهزت رملة في جهازه، فلمّا خرج عمرو إلى الحج خرجت رملة إلى أبيها، فقدمت عليه الشام، فأخبرته وحدثته حديث مروان وقالت: [الكلب أضِن[2] بشحمته][3]ومازال يعدّ فضل رجال أبي العاص على حرب حتّى عدّ ابنيَّ عثمان وخالدا ابني عمرو، فتمنّيتُ انّهما ماتا، فكتب معاوية إلى مروان:

أواضعُ رجلٍ فوق أخرى يعدّنا عديد الحصى[4] ما إن تزال تُكاثرُ

وأمّكم تزجى[5] تؤامًا[6] لبعلها وأمّ أخيكم نــــزْرة[7] الولْد عاقــرُ[8]

اشهد يا مروان أنّي سمعتُ رسول الله ﷺ يقول[9]:إذا بلغ ولد الحكم ثلاثين رجُلًا، اتخدوا مال الله دُولًا[10]، ودين الله دخلًا[11]، وعباد الله خولًا[12]، والسّلام ».

[جواب مروان]: «[أما بعد يا معاوية][13]، فإنّي أبو عشرة، وأخو عشرة، وعمّ عشرة

فهذه صفحة من صفحات الصّراع بين آل أبي العاص وآل حرب، فمعاوية لم يتساهل في أمر الخلافة، كيف لا ولم يظفر بها إلاّ بعد أن تخطّى جماجم الجمل وصفيّن، ولذا تشددّ ولم يتساهل مع من تسوّل له نفسه الطمّع فيها، ولو كان من بني أميّة، بل لو كان ابن عثمان بن عفان نفسه.

- رسالة معاوية إلى زياد يستشيره في البيعة بولاية العهد لابنه ليزيد:

---

(1) _يعني بني حرب بن أميّة.

(2) _أضن بشحمته : أي اشتدّ مرضه بشحمته، ومعناها أيضا كثر شحمه فلا يبرح مكانه. لسان العرب، مج4، ص2615، مادة ضنن.

(3) _إضافة من أنساب الأشراف.

(4) _في أنساب الأشراف "كعدّ الحصى".

(5) _تزجي تؤاما : أي تُنجب توأما . لسان العرب ، مج1، ص413، مادة تأم.

(6) _عند المقريزي "تواما".

(7) _إمراة نزور أي قليلة الولد، أو التي يموت ولدها. لسان العرب ، مج6، ص4394، مادة نزر.

(8) _انظر الأبيات في ديوان معاوية ص65.

(9) _الحديث ذكره ابن عساكر في تاريخ دمشق، ج57، ص252.

(10) _دُوَلا: من التّداول بينهم نقول صار المال دولة بينهم أي يتداولونه مرة لهذا ومرة لهذا. لسان العرب، مج2، ص1455، مادة دول.

(11) _دخلا: من الدّخل وهو الفساد والعيب والرّيبة. لسان العرب ، مج2، ص1342، مادة دخل.

(12) _خَولا: أي عبيدا وهو اسم يقع على العبد والأمة . لسان العرب، مج2، ص1293، مادة خول.

(13) _عند البلاذري ناقصة ، والمثبت من بقية المصادر.

(14) _مصعب الزبيري: نسب قريش، ص109، 110، البلاذري: أنساب، ج5، ص64، المقريزي: النزاع والتخاصم، ص68.

-4-

[رسالة معاوية] : عن مسلمة قال: «لمّا أراد معاوية أن يبايع ليزيد **كتب إلى زياد يستشيره [في ذلك]** [1]»[2].

مشاورة زياد: فبعث زياد إلى أحد مستشاريه: إنّ أمير المؤمنين كتب: أنّه قد عزم على بيعة يزيد وهو يتخوّف نفرة الناس، ويرجو مطابقتهم، ويستشيرني، ويزيد صاحب رَسلَة وتهاون، مع ما قد أُولع به من الصّيد، فنصحه مستشاره بأن لا يفسد على معاوية رأيه، ولا يمقت إليه ابنه، وأنّه سيلقى يزيد وينصحه بترك ما ينقم عليه فيكون بذلك قد نصح يزيد وأرضى أمير المؤمنين.

[ردّ زياد]:«فكتب زياد إلى معاوية يأمره بالتريث وأن لا يعجل، فقبل معاوية بذلك» [3].

هذا ما نقلته لنا المصادر، والتي لم تذكر نصّ الرّسالة ، مع الإشارة إلى أن المصادر كلها أخذت عن الطبري في روايته.

إنّ قول زياد لمستشاره: «إنّ أمير المؤمنين كتب ...»، يشير إلى أنّ الرّسالة تضّمنت هذا الكلام، وإنّ معاوية يطرح الفكرة فحسب، وكأنّي بمعاوية يريد أن يعرف موقف ولاّته من يزيد، وعلى أساس هذا الموقف سيبني حكمه.

وممّا حفّز معاوية على السّعي في طلبه هو مساندة المغيرة بن شعبة له ، إذ أشار على معاوية بولاية العهد ليزيد، لمّا عزله عن الكوفة وهمّ بتولية سعيد بن العاص[4]، فاحتال المغيرة على معاوية بأن زيّن له البيعة ليزيد وقال: أنا أكفيك الكوفة وزياد يكفيك البصرة، فيبايعوا ليزيد، وليس بعد هذين المصرين أحد يخالفك، فسار المغيرة إلى الكوفة، وذاكر من يثق إليه ويعلم أنّه شيعة لبني أميّة فأجابوه إلى بيعة يزيد فأوفد منهم عشرة إلى معاوية[5].

---

[1] _إضافة من المنتظم وفي بقية المصادر ناقصة، وعند ابن كثير" يستشيره في ولاية العهد ليزيد "

[2] _تاريخ الطبري: ج5، ص37، ابن الأثير: الكامل، ج3، ص350.ابن الجوزي: المنتظم، ج5، ص285، ابن كثير: البداية والنهاية، ج8، ص69 ، تاريخ ابن خلدون، ج3، ص19.

[3] _الطبري: المصدر السابق، ج5، ص37، ابن الأثير: الكامل، ج3، ص350.

[4] _هو سعيد بن العاص بن أحيحة بن أميّة بن عبد شمس، أبو عثمان الأموي، ولي إمرة المدينة غير مرّة لمعاوية، كان أميرا شريفا جوادا ممدحا، حليما ذا حزم وعقل يصلح للخلافة، غزا طبرستان وافتتحها، مات سنة 57 هـ وقيل 58 هـ. ابن عساكر: المصدر السابق، ج21، ص107، الذهبي: سير، ج3، ص444-447.

[5] _ابن الأثير: الكامل، ج3، ص349، ابن الجوزي: المنتظم، ج5، ص285.

إذن لقد رأى معاوية أن يجعل الخلافة في نسله، ولكن تهيّب لعمله بما في ذلك من مخالفة للخلفاء الرّاشدين، فاستشار خواصّه، ولقي تشجيع المغيرة بن شعبة، ولعلّ ما زاده إقداماً هو خوفه من افتراق الكلمة إذا ترك الأمر بعده فوضى، فيطلبه بنو هاشم، ولا يرضى بنو أميّة تسليمه إلى غيرهم، فيؤول ذلك إلى الفتنة، وتغلب العصبيّة، فتجنّبًا للفتنة سعى ليبايع في حياته، وتربّص ليرى ما يصدر من الناس[1]، فلم يعارضه في ذلك إلاّ الحجاز ممثّلا في أولئك القادة : ابن الزبير وعبدالرحمان بن أبي بكر والحسين.

- رسالة معاوية إلى مروان بن الحكم يستشيره فيمن يوليه الخلافة:

-5-

قال ابن الأثير: لمّا عزم معاوية على البيعة لابنه يزيد كتب إلى مروان:

« **إنّي قد كبُرت سنّي ودقّ عظمي، وخشيتُ الإختلاف على الأمّة بعدي، وقد رأيتُ أن أتخيّر لهم من يقوم بعدي، وكرهت أن أقطع أمرًا دون مشورة من عندك، فأعرض ذلك عليهم، وأعلمني بالذّي يردّون عليك**»[2].

[جواب مروان] : لمّا وصل كتاب معاوية قام مروان في الناس خطيبافأخبرهم به، فقال النّاس: «أصاب ووفّق، وقد أحببنا أن يتخيّر لنا فلا يألو، فكتب مروان إلى معاوية بذلك »[3].

رواية أخرى لما سبق

-5-أ-

و عن جويرية بن أسماء قال: « لمّا أراد معاوية البيعة ليزيد ولده **كتب إلى مروان** وهو عامله على المدينة فقرأ كتابه ، وقال: إنّ أمير المؤمنين قد كبر سنّه ورق عظمه، وقد خاف أن يأتيه أمر الله تعالى فيدع النّاس كالغنم لا راعي لها، فأحب أن يعلم علما ويقيم إماماً ، فقالوا: وفّق الله أمير المؤمنين وسدّده، فليفعل»[4].

هذا ما جاء في المصدر الذي لم يذكر نصّ الرسالة، بل ذكر مضمونها في سياق كلام مروان بن الحكم.

---

[1] _جرجي زيدان: تاريخ التمدن، ج1، ص124.

[2] _الكامل في التاريخ، ج3، ص351، محمد ماهر حمادة: الوثائق السياسية، ص169وقد نقلها عن ابن الأثير .

[3] _ابن الاثير: الكامل، ج3، ص351، ويألو: من التأيّل، ومعناه الميل والتّحريف، والألّة القرابة. لسان العرب، مج1، ص112، مادة ألل.

[4] _أبو علي القالي: الأمالي، ج3، ص175.

-ردّ معاوية على مروان :

-6-

وقال جويرية بن أسماء لـمّا كتب مروان إلى معاوية بما حصل من أمر الناس كتب إليه: «**أن سمِّ يزيد**»[1].

رواية أخرى لما سبق

-6-أ

أما ابن الأثير فقال:«كتب مروان إلى معاوية بذلك **فأعاد إليه الجواب بذكر يزيد**» [2].

و لم يذكر نص الرسالة ، فلمّا وصل الجواب إلى مروان، قام فيهم وقال:

« إنّ أمير المؤمنين قد إختار لكم، فلم يألُ، وقد استخلف ابنه يزيد بعده، فقام عبد الرّحمان بن أبي بكر، فقال: كذبت والله يا مروان، ما الخيار أردتما لأمة محمد، ولكنكم تريدون أن تجعلوها هرقليّة، كلما مات هرقل قام هرقل» [3].

والحقيقة أنّ تعيين معاوية خلفا له أمر حكيم، وإنّ كون الخليفة الجديد من بني أميّة أمر مسلّم به لأنّ ولاة الأقاليم كانوا من بني أميّة أو من أتباعهم، وانتقال الحكم إلى غيرهم سيكون معناه ذهاب مصالحهم، فلم يكن إلاّ تجديد الأمويّ الذي يتولّى الخلافة بعد معاوية[4]، صحيح أنّ تعيين معاوية وليّا للعهد بعده أمر صائب، ولكن كان المطلوب منه أن يتخيّر للأمّة من تكون له صفات الأئمّة[5]، ومن ترضاه رعيّته لا من تهواه نفسه[6].

لقد أوجد معاوية نظام الوراثة في الخلافة[7]، واعتقد أنّ هذا النظام يحّل المشاكل التي يمكن أن تقع في الصّراع بين التيّارات المختلفة، فتفاديا للتنّافر والتّقاتل، فكان يجب عليه أن يعهد بولاية العهد لشخص

---

[1] _المصدر نفسه، ص175.

[2] _الكامل، ج3، ص351.

[3] _أبو علي القالي: المصدر السابق، ج3، ص175، ابن الأثير: الكامل، ج3، ص351.

[4] _جاسم صبكان: تاريخ صدر الإسلام، ص101.

[5] _الفرّاء: الأحكام، ص25، ويقول في ذلك:"...ويجوز أن يعهد إلى من ينسب إليه بأبوّة أو نبوّة إذا كان في المعهود له صفات الأئمة". ص25.

[6] _ابن الأزرق: بدائع السلك، ج2، ص561.

[7] _Fred MC Graw Donner: the Early islamic conquestes, p95.

معيّن، وماذا يمكن أن يتخيّل في شأن ولاية العهد؟ أكان بإمكانه أن يتخيّل في ذهنه أفضل من سياسته العمليّة نفسها؟ فهو يعتقد أنّ الشّام يجب أن يبقى مركز الخلافة، لأنّ أهل الشّام أطوع للخليفة الذّي يقترحه معاوية وليّا للعهد.

فاندفعت عاطفة معاوية نحو إبنه ليتّخذ له البيعة، على أنّه صار بصيرا في ترتيب تلك البيعة، فلم يقم بها دون روّية، بل أعدّ لها عدّتها، وأوّل ذلك أنه استشار زياد والمغيرة، ثم لنقدّر أيضا موقف معاوية بعين الوالد، يرى ابنه ممارساً للحكم والجهاد، ذكيّا شاعرا نبيها، أما عيوب الأولاد فتصغر في عين الآباء[1].

- رسالة معاوية إلى عُمّاله ليوفدوا إليه الوفود لأجل أخذ البيعة يزيد:

- 7 -

قال ابن الأثير: لمّا أراد معاوية العهد ليزيد«**كتب إلى عمّاله بتقريظ**[2] **يزيد ووصفه ، وأن يوفدوا إليه الوفود من الأمصار**» [3].

هكذا سعى معاوية إلى جس نبض المجتمع، وسماع آراء الناس في يزيد، فهل معاوية لا يعرف ابنه يزيد؟ وهل طباع الإبن تخفى على الوالد؟!.

والحق أن النّاس لا تعرف يزيد بقدر ما يعرفه معاوية، ولكنه فعل ذلك ليعرف موقف رعيته وردة فعلهم فيما يشبه عملية سبر الأراء، التي سيبنى على أساسها قراراته.

رواية أخرى لما سبق

-7-أ-

وقال أبو الحسن المدائني: « لما كانت سنة 55هـ**كتب معاوية إلى سائر الأمصار أن يفدوا عليه**

---

[1] _يوسف العش: الدوّلة الأموّية، ص161.

[2] _تقريظ: من قرظ يقرظ وهو مدح الإنسان حيّا، وفلان يقرظ صاحبه أي يمدحه بباطل أوحق. لسان العرب، مج5، ص3594، مادة قرظ.

[3] _الكامل، ج3، ص352، النّويري: نهاية الأرب، ج20، ص221 .

وذلك من أجل البيعة ليزيد» [1]وأخذ البيعة كان سنة 56هـ كما هو آت.

فبعد وفاة زياد سنة 53هـ، جاء رفض أهل المدينة بيعة يزيد فأظهر معاوية عهدًا مفتعلا نسبه إلى زياد، فيه عقد الولاية ليزيد بعده، وإنّما أراد أن يسّهل بذلك بيعة يزيد، ثم استشار وجوه النّاس في البيعة، فكتب إلى الأمصار، فجاءته الوفود فأخذ يسمع أقوالهم في يزيد[2].

والملاحظ أنّ رواية ابن الأثير تركّز على تزامن تقريظ يزيد ووصفه قبل أن تفد عليه الوفود ، وهو الأمر الذّي لم يرد في رواية المدائني.

وبعد إيفاد الوفود أخذ معاوية يسمع أقوالهم في يزيد، وكان ممّن تكلّم الضحاك بن قيس يصف يزيدا: « هو من أفضلنا حلما، وأحكمنا علماً ، فوّله عهده، واجعله لنا علَما بعدك، فإنّا قد بلونا الجماعة والألفة، فوجدناها أحقن للدّماء وآمن للسّبل» [3].

فهل حقيقة أنّ يزيد كان أفضلهم حلما وأحكمهم عقلا وعلماً ؟

الحقيقة أنّ معاوية هو من طلب من الضّحاك أن يقول هذا الكلام أمام الوفود، وطلب من عمرو بن سعيد ذلك أيضا[4] فيما يشبه حملة دعاية صاخبة تروّج لخلافة يزيد.

كان من الواضح أن تولية أيّ مرشح آخر للخلافة لن يحسم الخلاف بين قوى الأمّة المتوثبة، ولن يظفر في غالب الظّن بمباركة المرّشحين الآخرين له، ممّا يفتح الباب لمزيد من الصّراع، تضيع معه مصالح الأمّة التي خرجت منذ أمد ليس بالطويل من معارك الفتنة الكبرى، كما لم يكن أهل الشّام ليسمحوا بخروج الخلافة من بين أيديهم، بعد أن أحسّوا بالمكانة العالية التي اكتسبوها طيلة عشرين عاما في خلافة معاوية[5].

لقد كان معاوية يدرك هذه الحقائق كلّها، فاندفع للإستشارة وولّى يزيد عهده، وكان للمشكلة وجهان في نظر معاوية: الأول إقناع النّاس بقبول مبدأ الوراثة، ولاسيما كبار المعارضين في الحجاز، والثاني أن يزيداً لم يكن الرّجل المطلوب لملء الفراغ، ومن أجل سدّ هذه الثغرة- وقبل المجاهرة بهذا الأمر- قام

---

[1] _ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج5، ص118.

[2] _المصدر نفسه، ص117، 118.

[3] _ المصدر نفسه، ص118، ابن الأثير: الكامل، ج3، ص352.

[4] _ابن الأثير: الكامل، ج3، ص352.

[5] _حمدي شاهين: الدولة الأمويّة، ص283، عبد الستّار اسماعيل: موقف العلماء من ولاية العهد، ص137، وجيه لطفي: ولاية العهد، ص51.

بتمهيدات دعائيّة لتهيئة يزيد للحكم من خلال إسناد بعض الأدوار المهمّة إليه كتوليته أميرا على الجيش الذي وجّهه لغزو القسطنطنية، وإرساله إلى مكة ليتولىّ موسم الحج سنة 50 هـ [1].

إنّ التّغيير الذي طرأ في مصير منصب الخلافة من شخص إلى آخر كان إجتهادا سياسيّا ليس أكثر، القصد منه السّيطرة على المتغيّرات الإجتماعية والسّياسية المعقّدة، التي أعقبت العصر الرّاشدي، وصار أسلوب التوصية والعهد من الخلفاء هو الغالب على النّظام السّياسي برّمته، ولم يخضع هذا الشكل من تداول السّلطة لرأي هيئة مخصوصة أو معيّنة من أهل الحلّ والعقد، بل شارك أهل الرّأي في مجالس الشورى، وكانوا على الأغلب زعماء في قبائلهم، أو مقرّبين من الخلفاء، وكان تبادل الرّأي، والرأي الشعبي، مؤثّرا في بيعة هذا الخليفة وتنحية الآخر [2].

- رسالة معاوية إلى الآفاق يأمر بولاية العهد ليزيد:

-8 -

عن الشّعبي قال:«لمّا مات زياد وكانت هذه السنة-56هـ- شرع معاوية في نظم ذلك والدّعاء إليه، وعقد البيعة لولده يزيد **وكتب إلى الآفاق بذلك**» [3].

ذكرنا فيما سبق أنّ المغيرة بن شعبة وافق معاوية في عزمه على بيعة يزيد، واقترح عليه إعادته لولاية الكوفة لينفّذ ذلك ويطلبه[4]، فكانت كتب معاوية إلى الآفاق بعد أن استشار الوفود، إذ أن الوفود اجتمعت عنده سنة 55هـ، وكان كتابه هذا إلى الآفاق سنة 56هـ[5].

فلّما كتب إلى الآفاق بايع له الناس في سائر الأقاليم، إلاّ أعيان الحجاز عبد الرحمان بن أبي بكر والحسين وابن الزبير [6]-كما سنذكر لاحقا-

هذا والأوكد أنّ معاوية لم يأخذ البيعة ليزيد قبل إيفاد الوفود، وإنّما اكتفى بإعلان ترشيح يزيد، ويؤّيد ذلك أنّ معاوية قام بإرسال هذه الرسالة إلى الأمصار يطلب فيها البيعة ليزيد[7].

---

(1) _ابراهيم بيضون: ملامح التيارات السياسة، ص158، محمد الصلابي: الدّولة الأموية، ج1، ص414.

(2) _حاسم علي جاسم: التحوّل من مبدأ الشورى، ص119، ضياء الدّين الرّيس: النظريّات السّياسيّة الإسلامية، ص191.

(3) _ ابن كثير: المصدر السابق، ج8، ص70 ، ابن قتيبة :الإمامة والسّياسة، ج1، ص151 ،المسعودي: مروج الذهب، ج3، ص22.

(4) _ابن كثير: المصدر السابق، ج8، ص69.

(5) _ابن عبد ربّه: المصدر السابق، ج5، ص118.

(6) _ابن كثير: المصدر السابق، ج8، ص69.

(7) _محمّد خريسات: الدولة الأمويّة، ص117.

- رسالة معاوية إلى مروان بأخذ البيعة ليزيد من أهل المدينة بعد تزكية الوفود:

-9-

قال أبو الحسن المدائني: «لمّا مات زياد، وذلك سنة 53 هـ أظهر معاوية عهداً مفتعلاً، فقرأه على النّاس فيه عقد الولاية ليزيد، وإنما أراد أن يسهّل بذلك بيعة يزيد، فلم يزل يروّض النّاس لبيعته سبع سنين، ويشاور ويعطي الأقارب، ويداني الأباعد، فلما كانت سنة 55 هـ كتب إلى الأمصار أن يفدوا عليه، فأخذ منهم البيعة ليزيد، وكتب إلى مروان بن الحكم عامله على المدينة:

أن ادعُ أهل المدينة إلى بيعة يزيد، فإنّ أهل الشّام والعراق قد بايعوا» [1].

فتوجّه مروان إلى أهل المدينة وعرض عليهم البيعة، فرفضوا، فأخذ البيعة بالتّهديد، وكان ممن بايع الحسين بن علي،« فلما سُئل قال: خفنا القتل» [2].

رواية أخرى لما سبق

-9-أ

عن محارب بن دينار قال: «إن معاوية **كتب إلى مروان بالمدينة يبايع لابنه يزيد»** [3].

مع ملاحظة أن السيوطي أورد هذه الرسالة سنة 51هـ، والصّواب أن هذا الأمر من معاوية كان سنة 56هـ[4]، وإنّما سنة 51هـ كانت الرسالة التي طلب فيها معاوية من مروان أن ينصحه ويشير عليه في أمر الخلافة وولاية العهد[5]، وليس أن يأخذ البيعة له.

ولمّا عرض مروان على أهل المدينة البيعة ليزيد عارضوه في ذلك لاسيما وجهاؤهم: ابن عباس وابن عمر والحسين وابن الزّبير وعبد الله بن جعفر، فسافر معاوية إليهم وأخذمنهم البيعة بعد أن شاور الوفود التّي قدمت عليه سنة 56 هـ[6].

---

[1] _ابن عبد ربّه: المصدر السابق، ج5، ص117، 118، ابن قتيبة: الإمامة والسيّاسة، ج1، ص151.

[2] _ابن عبد ربّه:المصدر السابق، ج5، ص118-121.

[3] _ الذّهبي :تاريخ الإسلام، ج2، ص312، السيوطي :تاريخ الخلفاء، ص198.

[4] _انظر العقد الفريد، ج5، ص119.

[5] _انظر الرسالة رقم5.

[6] _ابن عبد ربه: المصدر السابق، ج5، ص120، 121، السيّوطي: المصدر السابق، ص198.

لقد كانت المدينة ذات تأثير في الحياة السياسة إبان الحكم الأموي[1]، خاصة وأنّ بها كبار الصحابة، لذلك كان لزاما على معاوية أن يحظى ببيعتهم إذا أراد أن يذلل العقبات أمام يزيد فرأى معاوية أن يسافر بنفسه إلى المدينة.

عندما قدم معاوية إلى المدينة المنوّرة يطلب مباركة رأيه، والحصول على موافقة الصّحابة في العهد ليزيد من بعده كانت ردود الأفعال غير مهادنة، وفسّروا طلب معاوية على أنّه انقلاب على مبدإ الشّورى القرآنية، وخروجا صريحاً على ما عمل به الرسول ﷺ ، ودلّ عليه بعمله وقوله ، وعلى ما سار عليه الخلفاء الرّاشدون طوال أربعة عقود زمنية، شهدت تداولاً للسّلطة بموجب أحكام الشّورى الإسّلامية[2].

مع ملاحظة أنّ أغلب المعارضين كانوا من بني هاشم، ممّا يدلّ على صراع مبطن بينهم وبين بني أميّة، فبنو هاشم يحاولون إعادة الخلافة إليهم، أو على الأقلّ العودة إلى الشّرف والمكانة التّي كانوا يحضون بها في المجتمع على بني أميّة الذّين عارض كثير منهم الإسلام في بداية أمره، فكانت تلك ذريعة اتّخذها المناوؤون لرفض بقاء الخلافة فيهم[3].

لقد مثل التّاريخ السّياسي الأموي منعطفا قويّا وتغييرا مفاجئا وغير متوقع في آليات الحكم، وكان بمثابة نقلة سريعة لم يسبقها مقدمات نفسية تهيئ العقول المسلمة، وكبار الصحابة والشخصيّات المتعاطفة معهم لتقبّل فكرة ومبدإ ولاية العهد بوصفه نهجاً سياسيا جديدا على السّياسة المتعارف عليها حينذاك، لذا جاءت ردود الأفعال من قِبل أغلب الصحابة حادّة وصارخة بوجه معاوية، صاحب الفكرة، وكانت المواقف المعارضة تدافع عن النهّج الذي تعارف عليه الخواص والعوام في العهدين النبوي والرّاشدي[4]، ومعاوية نفسه كان مدركًا تماما لمراكز المعارضة التي خالفته في توجّهاته السّياسية، وقد بذل جهدا كبيرا لنيل موافقتهم، أو على الأقل قبولهم بالأمر الواقع، مستعينا بما حُبي به من حكمة وحلم، ملوّحا تارة بالوعد وأخرى بالوعيد، ورغم هذا لم يفلح في إقناع العديد من الشخصيات لذلك استشعر أنّ هذه المعارضة التي استكانت في عهده، لابّد أن تسفر عن موقفها بعد وفاته[5].

- رسالة معاوية إلى عبد الله بن جعفر حين امتنع عن بيعة يزيد:

---

(1)_ Fred M.donner:narratives of islamic.origins, p219.

(2)_جاسم علي جاسم: المرجع السابق، ص113، عبد العزيز الدوري: النظم الإسلاميّة، ص39.

(3)_ابن خلدون: العبر، ج3، ص3، 4، عبد السّتار إسماعيل: موقف العلماء من ولاية العهد، ص138.

(4)_جاسم علي حاسم: المرجع السابق، ص113، عماد الدين خليل: حول القيادة والسّلطة، ص 43، 44.

(5)_عبد السّتار إسماعيل: وصايا الخلفاء في العصر الأموي، ص135، ابراهيم خليل: عبد الملك، ص51.

-10-

[رسالة معاوية]: ذكر ابن قتيبة أنّ معاوية كتب إلى عبد الله بن جعفر حين امتنع عن بيعة يزيد:

«أمّا بعد فقد عرفتَ أثرتي إيّاك على من سواك، وحسن رأيي فيك وفي أهل بيتك، وقد أتاني عنك ما أكره، فإن بايعت تُشكر وإن تأبَ تُجبر والسّلام». [1].

[جواب عبد الله بن جعفر]: فرّد عليه: «أما بعد فقد جاءتي كتابك، وفهمت ما ذكرت فيه من أثرتك إيّاي على من سواي، فإن تفعل فبحظك أصبت، وإن تأب فبنفسك قصّرت، وأمّا ما ذكرت من جبرك إيّاي على البيعة ليزيد، فلعمري لئن أجبرتني عليها لقد أجبرناك وأباك على الإسلام حتّى أدخلنا كما كارهين غير طائعين والسّلام» [2].

إن اللّهجة الشديدة التي تظهر في رسالة معاوية، وخاصة في آخرها تتنافى مع ما أمر به معاوية من عدم التّعنيف على النّفر المعارضين[3]، فكيف ينهى عن تهييجهم ثمّ يكون هو الذي يهيجهم ويهددهم برسائله؟!.

صحيح أنّ التغيير الذي حدث في الدّولة الأموية أدّى إلى وجود بعض مواقف الخلاف بين الأعيان العلماء والخلفاء، إذ جاء هذا الخلاف نتيجة لمحاولة الأعيان الوقوف في وجة تلك التّحولات، وحرصهم على إبقاء الدّولة الإسلامية مرتبطة في كل سياساتها بالكتاب والسنّة، وردّها إلى المسار والمنهج الذي كان عليه الخلفاء الراشدون في السابق قدر المستطاع[4]، إلا أن هذا لا يعني أننا ننجر وراء كل رواية تُقال فيهم وننساق وراء الأخبار دون تمحيص عن حقيقتها، ومن جهة أخرى لا ينبغي –كما أشرنا سالفًا– أن نهمل الصّراع بين بني أميّة وبني هاشم، إذ سعى بنو أمية للحفاظ عن الإمتيازات التي حضوا بها، في حين يسعى بنو هاشم إلى إعادة مجدهم المفقود[5].

- معاوية يُغري ابن عمر بالمال ليُبايع ليزيد:

---

[1] _الإمامة والسّياسة، ج1، ص154، محمد ماهر حمادة: الوثائق السياسية ص172، أحمد زكي: المرجع السابق، ج2، ص55 .

[2] _ابن قتيبة: المصدر السابق، ج1، ص155.

[3] _فابن قتيبة نفسه ذكر أنّ معاوية أمر سعيد ابن العاص بعدم تهييجهم. انظر المصدر السّابق، ص157 وملحق الرّسائل الموضوعة.

[4] _عبد الله عبد الرحمان: أثر العلماء، ص361.

[5] _لمعرفة الصّراع بين بني أمية وبني هاشم انظر: ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ج5، ص404، المقريزي: النزاع والتخاصم، ص38-40، عمر فروخ: تاريخ صدر الإسلام، ص111.

-11-

حمّاد بن زيد قال: حدّثنا أيّوب عن نافع:«أنّ معاوية لما أراد أن يبايع ليزيد أرسل إلى ابن عمر بمائة ألف، ثمّ **أرسل إليه أن يُبايع ليزيد،** فقال ابن عمر: إن كان ذاك لذلك إنّ ديني عندي إذن لرخيص»[1].

لم تذكر الرّواية ولا الأحداث التاريخيّة أنّ ابن عمر كان طامعا في الخلافة خاصّة وأنّه بلغ السّتّين من عمره [2]، فلماذا كان هذا الموقف من معاوية إذن؟ وإذا أمكننا تقبّل هذه الرّواية فإنّنا نحملها على أنّ معاوية فعل ذلك من محض إرادته رغبة منه في استقطاب ابن عمر، فكان إعراض ابن عمر عن البيعة بداية من منطلق قناعات شخصية ودينيّة، إذ عدّ البيعة جزءاً لا يتجزّأ من الدّين، ولا تكون إلاّ للرّجل الذي يراه صالحًا مناسبًا لقيادة الأمة، لذا فهِم أنّ طلب معاوية للبيعة بعد إرسال المال هو نوع من الإغراء المادّي للتراجع عن القناعات فرفض ذلك.

- رسالة يزيد إلى الوليد بن عتبة في موت معاوية:

-12 -

قال أبو مخنف وعوانة بن الحكم[3]: ولّي يزيد في هلال رجب سنة 60هـ «ولم يكن ليزيد همة حين ولّي إلاّ بيعة النّفر الثلاثة الذّين أبوا على معاوية الإجابة إلى بيعة يزيد حين دعا إلى بيعته، وأنّه ولّي عهده بعده، فكتب إلى الوليد[4]:

[بسم الله الرّحمان الرّحيم، من يزيد أمير المؤمنين إلى الوليد بن عتبة] [5] **أمّا بعد، فإنّ معاويةبن أبي سفيان كان عبدا من عبيد**[6] **الله أكرمه واستخلفه وخوّله**[7]**، ومكّن له، فعاش بقدر، ومات بأجل فرحمة الله عليه**[8]**، فقد عاش محمودًا، ومات برًّا تقيًّا [والسلام]** [9]»[1].

---

[1] _أبو الفرج النهرواني: الجليس الصّالح، ج3، ص114.

[2] _كان مولده قبل الهجرة بثلاث سنين. انظر الذّهبي: سير أعلام ، ج3 ، ص232.

[3] _بداية رواية البلاذري:« قال أبو مخنف وعوانة وغيرهما: لما ولي يزيد كتب إلى واليه على المدينة الوليد بن عتبة....» أمّا الطبري فقال:«قال هشام بن عمّار عن أبي مخنف:...».

[4] _يقصد الوليد بن عتبة.

[5] _ما أضيف من تاريخ الطبري، وفي بقية المصادر ناقصة.

[6] _كذا في أنساب الأشراف، وفي بقية المصادر "عباد".

[7] _خوّله أي أعطاه تفضّلا، وملّكه النعمّة، وخوّل إذا ساس، ومنه الخولي القائم بأمر النّاس، والخائل الرّاعي، لسان العرب، مج2، ص1293، مادة خول.

[8] _كذا في أنساب الأشراف، وفي بية المصادر "فرحمه الله".

[9] _إضافة من بقية المصادر وفي أنساب الأشراف ناقصة.

بهذه العبارات ساق يزيد إلى واليه خبر موت معاوية، دون أن يُحدد له المطلوب، وقد أشار في رسالته إلى أنّ اللّه هو من أكرم معاوية واستخلفه ومكّن له، معلنا بذلك فكر الجبر[2]الذي تحجّج به بنو أميّة لكسب شرعية ملكهم، ثمّ إنّ يزيد بدأ بالوليد بن عتبة واليه على الحجاز لأنّ هذا الإقليم كان أكبر إقليم يضمر العداء لبيعته، والنّفر الذين عارضوا معاوية منهم بالخصوص، فعلم يزيد أن اخضاع الحجاز من أولى الأولويّات، وأنّ بيعة أهله تعني خضوع بقية الأقاليم.

-رسالة يزيد إلى الوليد بن عتبة لأخذ البيعة من النّفر الثلاثة الذين عارضوا بيعته:

-13-

قال الشعبيّ[3]: « لمّا توفي معاوية وبايع النّاس يزيد كتب إلى واليه على المدينة الوليد[4]:

ان ادعُ النّاس فبايعهم وابدأ بوجوه قريش، وليكن أوّل من تبدأ به الحسين بن علي، فإنّ أمير المؤمنين عهد إليَّ في أمره الرّفق به واستصلاحه»[5].

أظهرت هذه الرّواية أنّ معاوية هو من طلب من يزيد الرّفق بالحسين واستصلاحه، وهذا صحيح، إذ أنّ معاوية لمّا مرض مرضه الأخير دعا يزيد فأوصاه وقال: انظر حسينا فإنّه أحبّ النّاس إلى النّاس فصل رحمه، وارفق به، فإن يك منه شيء فسيكفيكه الله بمن قتل أباه وخذل أخاه[6].

رواية أخرى لما سبق

-13-أ

---

[1] _البلاذري: أنساب، ج5، ص313، تاريخ الطّبري: ج5، ص338، ابن كثير: المصدر السابق، ج8، ص127.أحمد زكي: جمهرة رسائل، ج2، ص69، وقد ذكر البلاذري أنّه أرسل الكتاب مع عبد الله بن عمرو بن أويس أحد بني عامر بن لؤي. وهو عبد الله أويس الأكبر بن سعد بن أبي سرح القرشي العامري أرسله يزيد إلى الوليد بن عتبة بموت معاوية. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج31، ص235، 236.

[2] _الجبرية قالوا: إنّ الانسان لا يقدر على شيء، ولا يوصف بالاستطاعة، وإنّما هو مجبور في أفعاله، لا قدرة له ولا إرادة. الشهرستاني: الملل والنّحل، ص69، وقد ثبت أنّ زياداً لمّا وفد على معاوية قال له: هذه الخلافة أمر من أمر الله، وقضاء من قضاء الله، ولا تكون لمنافق. ابن منظور: مختصر، ج9، ص85.

[3] _كذا في أنساب الأشراف وفي البداية والنهاية:"عن شبابة بن سوار قال:...".

[4] _بداية رواية ابن كثير:"كتب يزيد مع عبد الله بن عمرو بن أويس العامري عامر بن لؤي إلى الوليد بن عقبة بن أبي سفيان وهو على المدينة....".

[5] _ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج6، ص224، ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، ج7، ص132، ابن كثير: المصدر السابق، ج8، ص140.

[6] _ابن سعد: المصدر السابق، ج5، ص423، الذهبي: سير، ج3، ص295.

جاء في رواية أبي مخنف السّابقة: «ولم يكن ليزيد همّة حين وليّ إلا بيعة النفر الثلاثة الذين أبوا على معاوية الإجابة إلى بيعة يزيد حين دعا إلى بيعته وأنّه ولي عهده بعده، فكتب إلى الوليد:

بسم الله الرحمن الرحيم من يزيد أمير المؤمنين إلى الوليد بن عتبة أما بعد فإن معاوية بن أبي سفيان كان عبدًا من عبيد الله أكرمه، الله واستخلفه وخوّله، ومكّن له فعاش بقدر ومات بأجل فرحمة الله عليه فقد عاش محمودًا، ومات برّا تقيًّا والسّلام.

وكتب إليه في صحيفة كأنّها أذن فأرة:

أما بعد فخذ حسينًا وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزّبير بالبيعة أخذاً شديداً ليست فيه رُخصة ولا هوادة ،حتى يبايعوا والسّلام»[1].

ما أوجز هذه الكلمات، وما أشدّ وقعها، إنها تعبير صادق وعميق عن خطورة الوضع ، وكذا عمّا يختلج نفس يزيد من خوف عن مصير الخلافة، وتخوّف من هؤلاء النّفر الذين يضمرون له معارضة شديدة إن لم نقل يظهرونها .

إنّ يزيد يعلم ما معنى أن لايُبايع له وجوه قريش بالحجاز، كما يعرف ما معنى أن يبايع له هؤلاء، إن تمسّكهم بعدم البيعة ليزيد يعني فتح باب الفتنة التّي لا تحمد عواقبها، والتي قد تعصف بحكم بني أميّة، وتجعلهم طيّ النّسيان، ، وهذا كله مبرّر مقبول- من وجهة نظرنا- لشدّة يزيد وحزمه مع هؤلاء، ومن هنا نفهم حق الفهم ما ذكره الطّبري من أنّه بعد تولّي يزيد لم يكن له همّ سوى بيعة النّفر الذين أبوا إجابة معاوية في عهده ليزيد[2].

رواية أخرى لما سبق

-ب-13

وعن وهب بن جرير قال:« لمّا هلك معاوية بعث يزيد إلى الوليد بن عتبة وهو أمير المدينة وكتب إليه : **بموت معاوية، وأن يبعث إلى هؤلاء الرّهط فيأمرهم بالبيعة له**»[3].

---

[1] _البلاذري: أنساب الأشراف، ج5، ص313، الطبري: المصدر السابق، ج5، ص338، ابن الجوزي: المنتظم، ج5، ص323، ابن الأثير: الكامل، ج3، ص377، ابن كثير: البداية والنهاية، ج8، ص127.

[2] _الطّبري: المصدر السابق، ج5، ص338، وانظر الرسالة السابقة.

[3] _تاريخ خليفة، ص144، ولم يذكر رسالة يزيد الأولى: انظر الرسالة ومن ذكر ومن لم يذكر، ابن عساكر: المصدر السابق،الرواية الأولى، ج28، ص207، رواها عن عبد الرّحمان بن أبي الزّناد عن أبيه ، وأورد ابن عساكر رواية أخرى عن ابن نصر بن ماكولا قال: "**كتب يزيد بن معاوية وهو على المدينة ينعى معاوية**" وهي جزء من الرّواية الأولى . ابن عساكر: المصدر السابق، الرواية الثانية ،ج31، ص236.

فالرسالة هنا جاءت موجزة لم تنقل المضمون كاملًا، حتى أنها لم تذكر أسماء الوجوه الذين شدّد عليهم.

رواية أخرى لما سبق

-ج-13

عن نافع بن شيبة قال:«لما بويع يزيد كتب إلى الوليد بن عتبة أمير المدينة :

أن ادعُ النّاس إلى البيعة، وابدأ بوجوه قريش، وليكن أوّل من تبدأ به الحسين وارفق به»[1].

فتلك إذن هي روايات رسالة يزيد إلى الوليد بن عتبة والتّي تكمل- في تقديرنا- بعضها بعضا وتكشف لنا مدى جدّيّة يزيد، وحرصه على هذا الأمر، فماذا فعل الوليد لمّا وصله كتاب يزيد؟

لمّا أتى ابن عتبة الكتاب فجع لموت معاوية وكبّر عليه[2]، ثمّ استشار مروان بن الحكم فقال له مروان: « أرى أن تبعث السّاعة إلى هؤلاء النّفر فتدعوهم إلى البيعة، فإن بايعوا قبلت ذلك منهم، وإن أبوا قدّمتهم فضربت أعناقهم قبل أن يعلموا بوفاة معاوية، فإنّهم إن علموا بها وثب كل امرئ منهم في ناحية فأظهر الخلاف والمنابذة ودعا إلى نفسه» [3].

وبالفعل حصل ما تنبّأ به مروان، فقد بعث الوليد إلى ابن الزبير والحسين، فقال له الحسين لما أتاه: إن مثلي لا يبايع سرّا، ولكن إذا اجتمع النّاس دعوتنا، فكان أمراً واحداً ، فتركه الوليد[4]، وتباطأ في أخذ البيعة من الحسين وابن الزّبير، وإذا بهما يغادران المدينة ليلا إلى مكة، ودعى بعد ذلك كل واحد إلى نفسه، ليعلنا الخروج على يزيد[5]، أما ابن عمر فكان غائباً ، ولما رجع إلى المدينة جاءت البيعة من الأمصار فبايع معهم[6]، وقد ثبت أنّ ابن عمر بقي وفيّا لبيعة يزيد، فلم يغدر ولم ينقض العهد، ومعه في ذلك أهله، وبقي ثابتا على هذا الوفاء رغم خلع أهل المدينة ليزيد بعد أن بلغهم موت معاوية، وقد دلّت الحوادث التي وقعت

---

(1) _الذّهبي :تاريخ الإسلام، الرّواية الأولى ، ج2، ص362. سير أعلام النبّلاء، الرّواية الثانية ، ج3، ص295 .

(2) _البلاذري: أنساب ج5، ص314، تاريخ الطبري ، ج5، ص315، وقد وصل الكتاب ليلا إلى الوليد بن عتبة.

(3) _البلاذري: أنساب، ج5، ص314، 315، الطبري: المصدر السابق، ج5، ص339.

(4) _ابن كثير: المصدر السابق، ج8، ص127.

(5) _البلاذري: أنساب، ج5، ص314، الطبري: المصدر السابق، ج5، ص315 وما بعدها، ابن الأثير: الكامل، ج3، ص377، 378.

(6) _تاريخ خليفة، ص144، البلاذري: أنساب، ج5، ص315، الطبري: المصدر السابق، ج5، ص340، ابن كثير: المصدر السابق، ج8، ص128.

بعد ذلك على سلامة موقف ابن عمر وسديد رأيه في التحذير من الغدر والفتنة وإراقة الدّماء[1].

إنّ مبدأ ولاية العهد الذّي لجأ إليه الأمويّون إبتداءً من هذه السنة يعّد من وجهة نظر التّحليل المحايدة شكلا من أشكال التّحول السّياسي الطبيعي، إلاّ أنّه جاء في ظروف سياسيّة مرتبكة فرضتها حالة الدّولة حينذاك [2].

هذا وتجدر الإشارة إلى أنّ إصرار يزيد على طلب البيعة من الحسين وابن الزّبير، كان هو الشّرارة الأولى في الفتنة التي اندلعت بين المسلمين لاحقا[3]، فقد شعر كل واحد منهما بأنه مطلوب، وأنّه إذا لم يبايع فسيكون ضحية طيش يزيد، وأنّ سيوف أعوان الخليفة يزيد أصبحت مسلولة عليهم، فعاذا إلى البيت الحرام، ولجئا إلى مكة المكرّمة يطلبان فيها الأمان ويحتميان بحمى الله فيها[4].

لقد تربّع يزيد على الخلافة في ظروف كثر فيها المتطلّعون إلى شغل هذا المنصب، وقوي فيها أمر أتباعهم، وظنّ أعداء الأمويين أنّ الفرصة قد حانت لهم بغياب معاوية القوي الذّكي عن ساحة الأحداث، فصبوا جام غضبهم على يزيد[5]، ليدخل بدوره في صراع مع أبناء الصّحابة والأنصار، فمسّ ذلك شرعيّته كخليفة، وأثار موجة واسعة من القدح في شخصيّته، وليس من المستبعد أن يكون بهذا الفشل الذي ارتكبه فتى العرب(يزيد) تأثير في عزوف النّاس عن هذه التجربة، نحو الشيوخ الأكثر نضجاً وحكمة، ممّا جعل مروان يحظى بالخلافة على منافسيه في الجابية[6].

-كتابه يزيد إلى ابن الزبير يدعوه للبيعة:

-14-

قال المدائني: «كتب يزيد إلى ابن الزبير **يدعوه إلى بيعته**، فكتب إليه ابن الزّبير يدعوه إلى الشورى، وكان فيما كتب يزيد:

لو بِغير الماء حلقي شرِق[7] كنتُ كالغُصّان[1] بالماء اعتصاري[2]

---

[1] _محي الدين متّو: عبد الله بن عمر، ص100.

[2] _جاسم علي حاسم: التحوّل من مبدأ الشورى، ص113.

[3] _Patricia crone: God's Rule, p38.

[4] _الصّلابي: الدولة الأموية، ج1، ص455.

[5] _حمدي شاهين: الدولة الأموية، ص198.

[6] _ابراهيم بيضون: تاريخ الإسلام، ص177.

[7] _شرِق: الشرق بالماء كالغصّة بالطعام، يقال شرق فكاد يموت، والبيت المثبت لعدي بن يزيد. لسان العرب، مج4، ص2247، مادة شرق.

فأُذكّرك الله في نفسك، فإنّك ذو نسب من قريش، وقد مضى لك سلف صالح وقدم صدق من اجتهاد وعبادة، فاربُب[3] صالح ما مضى، ولا تُبطل ما قدّمتَ من حسن، وادخل فيما دخل فيه النّاس، ولا تردّهم إلى فتنة، ولا تحل حرم الله» [4].

ما جاء في هذه المراسلة هو جزء منها وليست كلها، فبهذه العبارات وبهذا الإستدراج اللّطيف حاول يزيد أن يكسب ابن الزّبير ويحظى ببيعته، خاصّة وهو لائذ بالحرم، فقد ذكّره بكبر سنّه، وحسن عبادته واجتهاده، ممهدا الأمر لطلب البيعة فهل حظي بها يزيد؟

لقد أبى ابن الزبير البيعة له واستمرّ في معارضته فحلف يزيد عندها أن يأخذ بيعته مكرهًا[5].

إن يزيد يعرف فضل ابن الزّبير ومكانته في الإسلام، فأحبّ أن يأخذ البيعة منه من غير كلفة فيكون ذلك أظهر لولايته، لكن ابن الزبير أبى واستمر في معارضته، فغيّر يزيد تعامله، وبالفعل لما قتل الحسين وجّه يزيد إلى ابن الزبير جيشا لمقاتلته، لكنّه توفّي قبل أن يتمّ له ذلك[6].

-رسالة يزيد إلى مسلمة بن مخلد لأخذ البيعة له:

-15-

قال خلف عن أبيه عن أشياخه: « لمّا مات معاوية كتب يزيد بن معاوية إلى مسلمة بن مخلد[7] **بأخذ البيعة [له]** [8]، فامتنع منها عبد الله بن عمرو بن العاص بالفسطاط[9]، ثمّ بايع مكرها» [10].

---

(1) _الغصّان: يقال غصصت بالطّعام إذا وقف في حلقك فلم تكد تُصيغه. لسان العرب، مج5، ص3262، مادة غصص.

(2) _اعتصاري من العصر وهو المنجاة، ويعتصر بالماء يشربه قليلا قليلا لإزالة الغُصّة. لسان العرب، مج4، ص3970، 3971، مادة عصر. والبيت لعدي بن زيد التّميمي.انظر لسان العرب، مج5، ص3262، مادة غصص.

(3) _ربت الأمر ملكته، ومعناه أيضا أصلحته وطيّبته. لسان العرب، مج3، ص1547، 1550، مادة ربب.

(4) _البلاذري: أنساب، ج5، ص318.

(5) _المصدر نفسه، ص318.

(6) _المصدر نفسه، ، ص319 وما بعدها.

(7) _هو مسلمة بن مخلد بن الصّامت أبو معاوية الأنصاري، أدرك النّبي ﷺ ، وشهد صفين، وكان أميرا على أهل فلسطين، وفد على معاوية فولاه مصر، ووجه إلى المغرب سنة 50، وبقي واليا على مصر في خلافة يزيد إلى أن مات سنة 62هـ. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج58، ص54-64، الزركلي: الأعلام، ج7، ص224.

(8) _زيادة من النجوم الزّاهرة.

(9) _تقع الفسطاط بمصر: بناها عمرو بن العاص لما دخل مصر فاتحا، وسمّيت كذلك لأنه نصب فسطاطه فيها. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج4، ص262.

(10) _الكندي :ولاة وقضاة مصر، ص310، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج1، ص175.

فهكذا حرص يزيد أن تبايع له بقية الأقاليم بعد الحجاز، وذلك حتّى يحظى بإجماع ويضمن شرعية لخلافته، ويحصر الفتنة في وكرها، قبل أن ترقى إلى السّطح.

رواية أخرى لما سبق:

-15-أ

أمّا وكيع فقال: «كتب إلى مسلمة ومسلمة يومئذ والي البلد: **يأمره بالبيعة ليزيد**» بولاية العهد [1].

فلمّا بلغ الأمر مسلمة عارضه عبد الله بن عمرو بن العاص، فدعى مسلمة بالنّار والحطب ليحرق عليه قصره فأتى فبايع[2].

هذا ما جاء في المصدر الذي لم يذكر صاحب الرسالة ومن أرسلها إلى مسلمة والظاهر من خلال السياق الذي جاءت فيه الرسالة أنه يقصد معاوية بن أبي سفيان، وهو بهذا يعارض ما ذكره الكندي من أن يزيد هو من أرسل إلى مسلمة؟!

وفي إعتقادنا أنّ يزيد هو من كتب إلى مسلمة لأخذ البيعة له خاصة وأنّ وكيع نفسه يبدو غير متثبت في الأمر إذ قال بعد إيراده الخبر: «ويقال بل حصل هذا بعد موت معاوية فيما زعم ابن كثير عن ابن لهيعة عن ابن قنبل قال: لمّا توفي معاوية واستخلف يزيد كره عبد الله بن عمرو أن يبايع يزيد بن معاوية ومسلمة بالإسكندريّة»[3].

- رسالة يزيد إلى ابن عباس بشأن بيعته:

-16-

[رسالة يزيد]:عن عوانة قال: أراد ابن الزّبير بن عبّاس على البيعة، فرفض فبلغ ذلك يزيد، فظنّ أنّ ذلك لتمسّكه ببيعته، فكتب يزيد إليه:

«أمّا بعد فقد بلغني أنّ المُلحد[4] ابن الزّبير دعاك إلى نفسه، وعرض عليك الدّخول في

---

[1] _أخبارة القضاة، ج4، ص633 .

[2] _المصدر نفسه، ص633.

[3] _المصدر نفسه، ص633.

[4] _يقال ألحد الرّجل أي ظلم في الحرم ومنه قوله تعالى :" ومن يرد فيه بإلحاد بظلم"، والملحد الخارج عن الإسلام الجائر بمكة. لسان العرب، مج 5، ص4005، مادة لحد.

طاعته، لتكون له على الباطل ظهيرًا أو في المَأثم شريكا، وإنّك امتنعت عن طاعته واعتصت[1] عليه في بيعته وفاءً منك لنا، وطاعة لله بتثبيت ما عرّفك من حقّنا، فجزاك الله من ذي رحم كأفضل جزاء الواصلين لأرحامهم، الموفين بعهودهم، فما أنسَ من الأشياء لا أنس برّك وحسن مكافأتك وتعجيل صلتك، فانظر من قِبلك، ومن يطرأ إليك من الآفاق ممّن يسحره الملحد وزخرف قوله، فأعلمهم حسن رأيك في طاعتي، وتمسكك ببيعتي، فإنّهم لك أطوع، ومنك أسمع للمحلّ المحارب، الملحد المارق والسّلام» [2].

[جواب ابن عباس]: كتب إلى يزيد: «سألتني أن أحثّ النّاس عليك، وأثبّطهم [3] عن نصرة ابن الزّبير وأخذّلهم عنه، فلا- ولا كرامة ولا مسرّة- تسألني نصرك، وتحذوني[4] على وّدك، وقد قتلت حسينا بفيك، الكثْكثُ[5]، وإنّك إذْ تُمنيك نفسك لعازب الرّأي، إنّك لأنت المفنّد المثبور[6]، أتحسبني –لا أبالك- نسيت قتلك حسينا وفتيان بني عبد المطّلب مصابيح الدّجى الذين غادرهم جنودك مصرّعين في صعيد واحد، مرمّلين بالدّماء، مسلوبين بالعراء، غير مكفّنين ولا موسّدين، تُسفي[7] عليهم الرّياح، وتعروهم الذّئاب وتنتابهم عُرج الضّباع، حتّى أتاح الله لهم قوماً لم يشركوك في دمائهم، فكفنّوهم وأجنوهم[8]، ومهما أنس من الأشياء فلن أنسى تسليطك عليهم ابن مرجانة الدّعي ابن الدّعي[9]، للعاهرة الفاجرة، البعيد منهم رحمًا اللّئيم أُمّا وأبا، الذي اكتسب أبوك في ادّعائه إيّاه لنفسه العار والخزي، والمذلّة في الدّنيا والآخرة، فلا شيء أعجب من طلبك ودّي ونصري، وقد قتلت بني أبي، وسيفك يقطر من دمي، وأنت أحد ثأري»[10].

---

[1] _من العصّ ومعناه الشّدة والصلابة. لسان العرب، مج5، ص2272، مادة عصص.

[2] _البلاذري: أنساب، ج5، ص321.

[3] _أُثبّطهم أي أشغلهم عنه. لسان العرب، مج1، ص470، مادة ثبط.

[4] _تحذُوني من الحذو وهو السّرعة في الفعال والأقوال. لسان العرب، مج2، ص809، مادة حذذ. ومعناه أيضا تعطيني. لسان العرب، مج2، ص815، مادة حذا.

[5] _الكثكث: يقال بفيه الكثكث أي التّراب والحجارة. لسان العرب، مج5، ص3827، مادة كثث.

[6] _المثبور:المردود، ومعناها أيضا الملعون والمعذب وتحمل أيضا معنى الهلاك والخسران. لسان العرب، مج1، ص469، مادة ثبر.

[7] _السفساف التراب ومعناه الرّيح تُثيره من فوق الأرض. لسان العرب، مج3، ص2030، مادة سفف.

[8] _أجنوهم: أي دفنوهم وستروهم. لسان العرب، مج1، ص702، مادة جنن.

[9] _يقصد بابن مرجانة عبيد الله بن زياد قاتل الحسين الذي كان معاوية ادّعى اباه زياد، كما ذكرنا سالفا.

[10] _البلاذري: أنساب الأشراف، ج5، ص321، 322، ووردالجواب في تاريخ اليعقوبي، ج2، ص248، 249، والكامل في التاريخ، ج3، ص466، 467 وجاء في آخر رواية ابن الأثير:"ولا يعجبك إن ظفرت بنا اليوم فلنظفرنّ بك يوما والسلام".

رواية أخرى لما سبق

16-أ-

وجاءت عند اليعقوبي رواية تقارب رواية البلاذري قال: « أقام ابن الزّبير بمكّة خالعا يزيد، وأخرج عامل يزيد، وأخذ ابن عبّاس بالبيعة فامتنع عليه، فبلغ يزيد ذلك فسرّه، وكتب إلى ابن عبّاس:

أمّابعد، فقد بلغني أنّ الملحد ابن الزّبير دعاك إلى بيعته، وعرض عليك الدخول في طاعته، لتكون على الباطل ظهيرًا، وفي المأثم شريكًا، وأنّك امتعنت عليه، واعتصمت ببيعتنا وفاءً منك لنا، وطاعة لله فيما عرفت من حقّنا، فجزاك الله من ذي رحم بأحسن ما يجزى به الواصلين لأرحامهم، فإنيّ ما أنسى من الأشياء فلست بناسٍ برّك وحسن جزائك، وتعجيل صلتك بالذّي أنت منيّ أهله، في الشّرف والطّاعة، والقرابة بالرسول، وانظر رحمك الله فيمن قِبلك من قومك، ومن يطرأ عليك من الآفاق ممّن يسحره الملحد بلسانه وزخرف قوله، فأعلمهم حسن رأيك في طاعتي والتّمسّك ببيعتي، فإنّهم لك أطوع، ومنك أسمع منهم للمحلّ المحارب والسّلام» [1].

رواية أخرى لما سبق

16-ب-

وعن شقيق بن سلمة قال: لمّا قُتل الحسين ثار عبد الله بن الزبير، فدعا ابن عباس إلى البيعة، فامتنع، وظنّ يزيد أنّ امتناعه تمسّكا منه ببيعته فكتب إليه:

«أمّا بعد، فقد بلغني أنّ الملحد ابن الزبير دعاك إلى بيعته وإنّك اعتصمت ببيعتنا وفاءً منك لنّا، فجزاك الله من ذي رحم خير ما يجزي الواصلين لأرحامهم، الموفين بعهودهم، فما أنسى من الأشياء فليست بناسٍ برّك وتعجيل صلتك بالذّي أنت له أهل، فانظر من طلع عليك من الآفاق ممّن سحرهم ابن الزّبير بلسانه، فأعلمهم بحاله فإنّهم منك أسمع للنّاس، ولك أطوع منهم للمُحلّ» [2].

هذه هي رواية ابن الأثير التي جاءت مختصرة عمّا سبقها من روايات، وفي نظرنا أن هذه الروايات تتفق في معناها وقد تقاربت عباراتها إلى حدّ بعيد، وقد ملئت الرّسالة بعبارات التّقدير والإحترام لابن عبّاس، محاولة من يزيد أن يكسب هذا الطّرف المهّم في المعادلة السّياسيّة، فابن عبّاس له باع عظيم ووزن

---

[1] _تاريخ اليعقوبي، ج2، ص247، 248، محمد ماهر حمادة: الوثائق، ص211.

[2] _ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج3، ص466.

ثقيل، وخلفه جماهير لا يستهان بها، لذلك سعى يزيد إلى ضمّه على الأقّل مؤقتا حتّى يتخلّص من فتنة ابن الزّبير المتحصّن بمكّة، فهل تمّ ليزيد ما سعى إليه؟

من خلال جواب ابن عباس يتّضح أنّ يزيد حمل الأمر على غير مقصده، واخطأ مرماه! إذ كان جوابا قاسيا، وكانت عباراته رادعة مخيفة، لقد واجه يزيد ردّا غير متوقّع لم يكن في حسبانه، بل نحسبه فتح على نفسه باب فتنة من حيث لا يدري، ما كان ينبغي له أن يفتحه، ولو علم يزيد أنّ الرّد سيكون بهذا المستوى من الفضاعة لا أتصّور أنه يكتب إلى ابن عباس، فكيف كانت صدمة يزيد بهذا الجواب؟ وما الذّي فعله بعدها؟ وهل أعاد الكرّة على ابن عبّاس أم التزم الصّمت؟.

- رسالة يزيد إلى ابن عبّاس ردّا على رسالته:

- 17-

[ردّ يزيد]: عن عوانه قال: كتب يزيد إلى ابن عباس –ردّا على جوابه السابق-: «**يأمره بالخروج إلى الوليد بن عتبة و مبايعته له، وينسبه إلى قتل عثمان والممالأة**[1] **عليه**»[2].

[جواب ابن عبّاس]: فردّ ابن عباس:

« إنيّ كنت بمَعزل عن عثمان، ولكن أباك تربّص به وأبطأ عنه بنصره، وحبس من قِبله عنه حين استصرخه واستغاث به، ثمّ بعث الرجال إليه معذّرا حين علم أنهم لا يدركونه حتّى يهلك» [3].

هذا ما جاء في رواية البلاذري التّي ورد فيها اتّهام واضح بأنّ ابن عبّاس ألّب، على عثمان ومالأ عليه، فهل هذا الاتّهام صحيح؟

الحقيقة التي لا ريب فيها أنّ ابن عبّاس لم يؤلّب على عثمان يوم الدّار، بل كان حينها غائبا، فقد استعمله عثمان على الحج، فخرج إلى مكة وأقام للنّاس الحج، وقرأ عليهم كتاب عثمان إليهم ثمّ رجع إلى المدينة وقد بويع لعلي وقتل عثمان[4].

ولعلّ هذا الحقد من يزيد لابن عباس لم يكن وليد اللّحظة، بل إنّ يزيد وبني أميّة كانوا يكرهونه

---

[1] _المالأة المعاونة والمساعدة، وتمالأنا عليه إذا اجتمعنا. لسان العرب، مج6، ص4253، مادة ملأ.

[2] _البلاذري : أنساب الأشراف، ج5، ص322.

[3] _المصدر نفسه، ص322.

[4] _ابن سعد: الطبقات، ج6، ص337، ابن كثير: البداية النهاية، ج8، ص257.

لوقوفه في صفّ علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوم الجمل[1]، وبالتّالي عدم مطالبته بدم عثمان، ومثل هذا الإتّهام سبق وأن اتّهم به معاوية ابن عباس قبل توليه الخلافة فقد كتب إليه مرة كتابا جاء فيه: «...فإنكم معشر بني هاشم لستم إلى أحد بالمساءة أسرع منكم إلى أنصار عثمان...» [2].

فهذا النّزاع إذن بين يزيد وابن عبّاس ليس نزاعا بين شخصين وظّفت فيه الدّعاية والإشاعة واتّهام الآخرين دون مبرّر ولا دليل، بل أرقى من ذلك، صراع بين اتّجاهين بين أنصار عثمان وخصومه، أو لنقل صراع بين بني أميّة وبني هاشم.

- رسالة مروان إلى حسّان بن مالك ليبايع له:

- 18-

عن نافع قال: قبل اجتماع بني أمية بالجابية «كتب مروان لحسان بن مالك بن بحدل **يدعوه أن يبايع له ويقدم عليه** ، فأبى» [3].والرسالة بمعناها.

والحقيقة أنّ كتابة مروان لهذه الرّسالة كانت بنصيحة من عبيد الله بن زياد، فبعد وفاة معاوية بن يزيد بقيت الدولة بغير خليفة- كما أسلفنا-[4] فدعى الضّحاك بن قيس لابن الزّبير وخالد بن يزيد عند خاله حسان بن مالك بالجابية، أمّا مروان فكان يرغب في مبايعة ابن الزّبير، فردّه عبيد الله بن زياد وجماعة من الموالين لبني أميّة، وعرضوا عليه أن يكون هو الخليفة، وكتب إليه عبيد الله بن زياد:

أن أدع النّاس إلى بيعتك، واكتب إلى حسّان بن مالك فليأتك، فإنه لن يردّك عن بيعته، ثمّ سر إلى الضّحاك فقد عارضك، ففعل مروان، ولمّا بلغ كتابه حسان أبى هذا الأخير أن يبايع لمروان، إذ أراد أن يبقي الخلافة في ذّرية معاوية، ويبايع لخالد بن يزيد[5].

- رسالة مروان إلى عبيد الله بن زياد يستشيره في البيعة:

- 19 -

وذكر ابن سعد في الرّواية نفسها عن نافع قال: «كتب- مروان - إلى حسّان بن مالك بن بحدل

---

[1] _البلاذري: أنساب، ج5، ص388.

[2] _انظر الرّسالة كاملة في أنساب الأشراف، ج5، ص113، 114.

[3] _ابن سعد: الطبقات، ج7، ص45، ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج57، ص261، ابن منظور: مختصر، ج24، ص187.

[4] _انظر التمهيد.

[5] _ابن سعد: المصدر السابق، ج7، ص44، ابن عساكر: المصدر السابق، ج57، ص261، 262.

يدعوه أن يبايع له ويقدم عليه فأبى، فأُسقط في يدي مروان **فأرسل إلى عبيد الله،**

فكتب إليه عبيد الله: أن اخرج إليه فيمن معك من بني أميّة» [1].

وهذه الرّسالة فيها نظر لأنّ زياد هرب من العراق لمّا مات يزيد والتجأ إلى الشّام، وهو الذّي زيّن لمروان أمر الخلافة وكان معه [2]، إلّا أن يكون كتب له وهو قريب منه بالشّام وضواحيها.

و الرواية لم تذكر مضمون رسالة مروان وبالتأكيد أنّه كتب إليه يعلمه برفض حسّان بن مالك البيعة له، ويطلب منه الحلول، وما الذي سيفعله، وما المطلوب منه؟.

فأشار عليه عبيد الله بالخروج إليه لحسم الموقف قبل أن يتفاقم الأمر، فخرج مروان ومن معه من بني أميّة إلى الجابية، فالتقوا جميعا، وبايعوا لمروان بالخلافة بما فيهم حسّان بن مالك وعهدوا لخالد بن يزيد بعد مروان إرضاء لحسان ثم عمرو بن سعيد بعده، ثم أخذ عبيد الله البيعة لمروان من أهل دمشق فتمّت له في ذي القعدة سنة 64هـ بعد قتل الضّحاك بن قيس الذي بايع لابن الزّبير [3].

- رسالة عبد الملك إلى ابن زياد يُعلمه بموت مروان ويأمره بأخذ البيعة:

-20-

قال أبو مخنف: لمّا أوقع زياد بالتّوابين بعين الوردة [4]، سار إلى قرقيسياء [5] لقتال زفر بن الحارث [6]

فلم يقدر عليه، وكانت وفاة مروان قبل نفوذ ابن زياد إلى الجزيرة [7]، «فكتب إليه عبد الملك : **بوفاته وأخذ**

---

[1] _المصدر السابق، ج7، ص45، ابن عساكر: المصدر السابق، ج57، ص261، 262، ابن منظور، مختصر، ج24، ص187.

[2] _ابن كثير :المصدر السّابق ، ج8، ص202 ،وانظر التّمهيد .

[3] _ابن سعد: المصدر السابق، ج7، ص45، ابن عساكر: المصدر السابق، ج57، ص261، 262.

[4] _ عين الوردة هي رأس عين، المدينة المشهورة بالجزيرة الفراتية، كانت فيها وقعة للعرب، ويوم من أيّامهم. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج4، ص180.

[5] _ قرقيساء بلد على نهر الخابور في الفرات، قال ياقوت وهي في الإقليم الرّابع، افتتحها حبيب بن مسلمة الفهري، سُميت بقرقيسيا بن طهمورث الملك. معجم البلدان، ج4، ص328.

[6] _ سبقت ترجمته في التمهيد.

[7] _ الجزيرة بين دجلة والفرات مجاورة الشّام، تشتمل على ديار مضر وبكر، سمّيت كذلك لموقعها بين دجلة والفرات، وهي صحيحة الهواء جميلة الرّيع والنماء، بها مدن كثيرة منها الرها وحرّان والرقة، فتحها عياض بن غنم سنة 17هـ. ياقوت الحموي:، معجم البلدان، ج2،

البيعة له ولعبد العزيز بن مروان من بعده، وأن يتولى أمر الجيش ما كان وليّه» [1].

لم تذكر هذه الرّواية نص الرّسالة بل نقلت مضمونها مجملا، إذ طلب عبد الملك من زياد أخذ البيعة له من أهل العراق، ولأخيه عبد العزيز من بعده، وهذا إنفاذا لعهد أبيه مروان بن الحكم الذي عقد لهما البيعة قبل موته[2].

لقد حرص عبد الملك على بيعة العراق الذّي سيطر عليه المختار بن أبي عبيد 65-67 هـ ثمّ مصعب بن الزبير الذي قتل المختار ،فأصبح العراق بذلك تابعا في إدارته لابن الزّبير بمكّة ، فأراد عبد الملك أن يحظى ببيعة الأقاليم خاصّة العراق، حتّى يتفرّغ بعدها لابن الزّبير بالحجاز، وهذاما حصل فعلا.

- رسالة عبد الملك إلى أهل العراق يدعوهم لنفسه:

- 21 -

كان العراق تحت سيطرة مصعب بعد قضائه على حركة المختار بن أبي عبيد سنة 67 هـ، وهو بذلك تحت حكم عبد الله بن الزّبير، فبدأ به عبد الملك، لتفتيت صفّه، وتجريده من أنصاره، فسار إليه بنفسه ، قال المدائني[3]:

لمّا توجّه عبد الملك إلى مصعب بن الزّبير بالعراق سنة 71هـ «كتب عبد الملك إلى أشراف أهل العراق : **يدعوهم إلى نفسه ويمنّيهم، [ويجعل لهم الأموال]**[4]،**[ويعدهم الولايات]**[5]فأجابوه، واشترطوا عليه شروطا، ويسألوه ولايات، وسأله أربعون رجلا منهم أصبهان[6].

فقال عبد الملك: ما أصبهان هذه؟! تعجبّا من كثرة من يطلبها» [7].

ص134، 135.

[1] _ البلاذري: أنساب، ج6، ص363.

[2] _ أنظر التمهيد.

[3] _ كذا في الأخبار الموفّقيات ، وفي أنساب الأشراف عن عوانة وفي بقيّة المصادر بغير سند .

[4] _ إضافة من العقد الفريد.

[5] _ إضافة من البداية والنّهاية.

[6] _ تقع أصبهان نواحي الجبل بالقرب من سجستان، افتتحها الأحنف بن قيس، وهي بلدة صحيحة الهواء، نفيسة الجو. معجم البلدان، ج1، ص206-208.

[7] _ الزبير بن بكار: الأخبار الموفّقيات، ص426، البلاذري: أنساب الأشراف، ج7، ص89، المسعودي: مروج الذهب، ج3، ص77، الدّينوري: الأخبار الطّوال، ص284، ابن عبد ربّه: العقد الفريد، ج5، ص158، الذّهبي: العبر، ج1، ص59 ،ابن كثير: البداية والنهاية، ج8، ص266.

لقد نهج عبد الملك أسلوب الإغراء وتمكّن من استقطاب أصحاب مصعب، ليتركه وحيداً على السّاحة ويظفر به.

إنّ عبد الملك كان يدرك ما معنى أن يسيطر على العراق، فذلك يعني التّفرع لعبد الله بن الزّبير بالحجاز، أو على الأقل قطع إمدادات العراق عليه، وبالتالي يتركه يموت موتا بطيئًا، لأجل هذا سعى عبد الملك بكل السّبل للسيطرة على العراق، وافتكاكه من مصعب، وإعادته إلى رحاب خلافته، وهو ما حصل عليه بعد ذلك.

- رسالة عبد الملك إلى ابن الأشتر يدعوه إلى مبايعته:

- 22-

عن أبي جناب الكلبي قال: لمّا قتل مصعب المختار بن أبي عبيد بعث إلى إبراهيم بن الأشتر[1] – وكان من أتباع المختار وقوّاده–:

« أما بعد فإنّ الله قد قتل المختار الكذّاب وشيعته الذين دانوا بالكفر وكادوا بالسّحر، وإنّا ندعوك إلى كتاب الله وسنّة نبيّه، وإلى بيعة أمير المؤمنين، فإن أجبت إلى ذلك فأقبل إليّ، فإنّ لك أرض الجزيرة وأرض المغرب، كلمّا بقيت وبقي سلطان آل الزبير، لك بذلك عهد الله وميثاقه، وأشّد ما أخذ الله على النّبيّين من عهد أو عقد والسّلام، وكتب إليه عبد الملك بن مروان:

أمّا بعد فإنّ آل الزّبير انتزوا على أئمة الهدى، ونازعوا الأمر أهله، وألحدوا في بيت الله الحرام، والله ممكّنٌ منهم، وجاعلٌ دائرة السّوء عليهم، وإنّي أدعوك إلى الله وإلى سنّة نبيّه، فإن أقبلتَ وأجبت فلك سلطان العراق، ما بقيتَ وبقيتُ، عليّ بالوفاء بذلك عهد الله وميثاقه» [2].

هكذا قدح عبد الملك في آل الزّبير، وهكذا حاول إغراء ابراهيم ابن الأشتر بولاية العراق، إلّا أنّ الأمر المحيّر هنا، هو ما نلمسه من تقارب بين رسالة عبد الملك ورساله مصعب، وكذا تقارب في الإغراء، فمصعب وعده بأرض الجزيرة والمغرب، وعبد الملك وعده بسلطان العراق، فهل هذا محض صدفة، أم أنّ عبد الملك اطّلع على رسالة مصعب لابن الأشتر بعيونه وجواسيسه[3]، فأراد عرضا أكثر إغراءً؟!

---

[1] _ هو ابراهيم بن الأشتر النّخعي أحد الأبطال والأشراف كأبيه، كان شيعيا فاضلا، وهو الذي قتل عبيد الله بن زياد في وقعة الخازر، ثم صار من أمراء مصعب، وقتله عبد الملك معه سنة 70هـ . الذهبي: سير، ج4، ص35، تاريخ الإسلام، ج2، ص508.

[2] _تاريخ الطبري، ج6، ص11.

[3] _ذكر المسعودي أنه كان لعبد الملك جواسيس يتجسّسون على مصعب، مروج الذهب، ج3، ص77.

رواية أخرى لما سبق

-أ-22

ويذكر صاحب تجارب الأمم ومن تابعه في روايته أنّ مصعبا بعث عمّاله على الجبال والسّواد وكتب إلى ابن الأشتر يدعوه إلى طاعته ويقول:

«إن أنت أجبتني، ودخلت في طاعتي فلك الشّام وأعِنّة الخيل، وما غلبتُ عليه من أرض المغرب مادام لآل الزّبير سلطان، وكتبَ عبد الملك بن مروان من الشام [إليه] [1] **يدعوه إلى طاعته ويقول: إن أجبتني ودخلت في طاعتي فلك العراق**» [2].

فلماذا هذا الاصرار من مصعب وعبد الملك على جلب ابن الأشتر إلى صفّه؟ ثمّ هل أفلح أسلوب عبد الملك وعرضه المغري في استقطاب ابن الأشتر؟

الحقّ أن ابراهيم ابن الأشتر كان قائداً شهما، أظهر بَسالة كبيرة ووفاء أثناء قتاله مع المختار بن أبي عبيد، بل هو من تولّى قتل عبيد الله بن زياد، ذلك الوالي الشّديد البأس، الصعب المراس، لذلك فابن الأشتر رجل لا يُستهان بقدراته، ومن جلبه إلى صفّه قويت شوكته، واشتدّ ساعده، وربّما تغيّرت موازين القوى لصالحه فإلى من انضّم ابن الأشتر وأيّ رجل اختار؟.

لمّا وصلت الكتب إلى ابن الأشتر دعا أصحابه واستشارهم فيمن يختار، وإلى من ينضمّ، فاقترح عليه بعضهم الدّخول في طاعة ابن الزّبير، واقترح بعضهم عبد الملك، فاختار ابن الأشتر الإنضمام إلى مصعب وترك عبد الملك[3]، وهذا الإختيار لم يكن من فراغ فقد عبّر عنه ابن الأشتر قائلاً: لو لم أكن أصبت عبيد الله بن زياد، ولا رؤساء أهل الشّام لتبعتُ عبد الملك[4]، وقال لست بتارك عشيرتي وأهل مصري، وأقبلَ إلى مصعب بن الزّبير[5].

- رسالة عبد الملك إلى ابن الأشتر لينضّم إليه ويترك مصعبا:

- 23 -

---

[1] _في تجارب الأمم ناقصة.

[2] _مسكويه: تجارب الأمم، ج2، ص141، ابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص66، الذّهبي :سير أعلام، ج3، ص548 .

[3] _تاريخ الطبري: ، ج6، ص11، مسكوية: المصدر السابق، ج2، ص141، ابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص66.

[4] _الطبري: المصدر السابق، ج6، ص11، ابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص66.

[5] _الطبري: المصدر السابق، ج6، ص11، الذهبي: سير، ج3، ص448.

لم ييأس عبد الملك من انضمام ابن الأشتر إلى صفّه بعد انضمامه إلى مصعب، فقد كتب إليه مرّة أخرى:

«بسم الله الرّحمان الرّحيم من عبد الله عبد الملك أمير المؤمنين إلى إبراهيم بن الأشتر أمّا بعد: فإنّي أعلم أن تركك الدّخول في طاعتي ليس إلاّ عن مَعتبة، فلك الفرات وما سقى، فانجرّ إليّ فيمن أطاعك من قومك والسّلام» [1].

رواية أخرى لما سبق

23-أ-

يروي المدائني عن ابن عباس قال: «كتب عبد الملك إلى إبراهيم بن الأشتر وهو مع مصعب كتابا، فأتى به مصعبًا قبل أن يقرأه، ففضّه مصعب فقرأه فقال: يا أبا النّعمان أو ما تدري ما فيه؟ قال: لا، وما فيه؟ قال: **يعرض عليك دجلة وما سقتْ أو الفرات وما سقى، فإن أبيت جمعهما لك جميعًا»**[2].

لقد عرض عبد الملك على ابن الأشتر ولاية العراق، أو على الأقلّ جزءا منه ، وكنا قد ذكرنا أن عبد الملك كتب إلى ابن الأشتر قبل الإنضمام إلى مصعب، ومضمون الكتاب هذا نفسه، فهل هو الكتاب نفسه الذي سبق؟

الظّاهر من خلال النّصوص وسير الأحداث أنّ عبد الملك يعيد الكرّة والمحاولة مع ابن الأشتر، من أجل تشتيت صف مصعب، فلا يزال عبد الملك يعقد الأمل، ولم ييأس، كما أشارت الرّواية إلى أنّ عبد الملك كتب إلى شيعته من أهل العراق أيضا، وليس فقط إلى ابن الأشتر وذلك لتخذيل النّاس عن مصعب.

لقد هوّن عبد الملك الأمر على ابن الأشتر من أجل أن يبعث في نفسه نوعا من الإطمئنان والأمان تجاهه ، إلّا أنّ ردّة فعل ابن الأشتر كانت نفسها كما في المحاولة الأولى من عبد الملك، فقد قال ابن الأشتر لمصعب لمـّا قرأ الكتاب، ما كنت لأتقلّد الغدر والخيانة، ما عبد الملك من أحد بأيأس منه منّي[3]، وأخبره بأنّ عبد الملك كتب إلى أصحابه جميعا بمثل هذا، وأمره أن يشدّهم بالحديد ويضرب أعناقهم[4]، فلم يفعل

---

[1] _أبو حنيفة الدّينوري: الأخبار الطوال، ص285، الطبري: المصدر السابق، ج6، ص157، عن رجاء بن حيوة، مسكويه: المصدر السابق، ج2، ص156، ابن الأثير: الكامل، ج4، ص105

[2] _ الزبير بن بكار: المصدر السابق، الرّواية الأولى، ص446 ، الرّواية االثانية ، ص425 ، أنساب الأشراف، الرّواية الأولى ، ج7، ص94،عن الهيثم بن عدي ، والثّانية ، ص94 عن عوانة ، المسعودي: مروج الذهب، ج3، ص77، وروايته لا سند لها.

[3] _البلاذري: أنساب، ج7، ص94. الطبري: المصدر السابق، ج6، ص157، ابن الأثير: الكامل، ج4، ص105.

[4] _الطبري: المصدر السابق، ج6، ص157، مسكويه: المصدر السابق، ج2، ص156، ابن الأثير: الكامل، ج4، ص105.

خوفا من عشائرهم، وصاروا إلى عبد الملك، فتمكن من هزيمة مصعب والظفر به وبابن الأشتر[1].

إن هذا الوفاء من ابن الأشتر إلى القيادة التي ينتمي إليها هي التي جعلت عبد الملك يسعى جاهدا وراءه ليحظى بخدماته، وسعى بشتّى السّبل لضّمه إلى صفّه، ولكن ما كل ما يتمنّاه عبد الملك يدركه، ثمّ إن عبد الملك سعى إلى تجريد مصعب من كلّ أوراقه القويّة التي يلعبها، وليس ذلك من السلاح فقط بل تجريده من العناصر الفاعلة في صفوفه.

- جواب عبد الملك إلى ابن عمر حين كتب إليه بإخراج نفسه من طلب الخلافة:

- 24-

عن علي بن حمّاد قال: «قال مصعب بن الزّبير لابن عمر: يا أبا عبد الرّحمان أنسيت حق الله عليك في هذا الأمر؟[2]، قال: نعم، كتبت إلى عبد الملك بن مروان آمره بتقوى الله، وأن يكّف نفسه، فكتب إليّ:

أنا أُخرج نفسي إن أخرج ابن الزّبير نفسه ويجعل الأمر شورى، وكتبت إلى أخيك، فكتب إليّ: إنّك لست من هذا الأمر في شيء» [3].

هذه محاولة من محاولات التهدّئة الجدّية من رجل صالح، محب لاستقرار الأمة ووحدتها فهل آتت هذه المبادرة السياسية أكلها؟

يتضح جليّا من هذه الرّواية أنّ عبد الملك قبل بالتنازل عن الطلّب بالخلافة مقابل تنازل ابن الزّبير أيضا، فهل صحيح أنّ عبد الملك يتخلّى عنها؟!

إنّ هذا الإذعان من عبد الملك قد يكون في بداية أيّام خلافته أينّ تقاطرت عليه الفتن والقلاقل من كل حدب وصوب، فحاول أن يهدّئ الأمر ويسكنه بكل السّبل إلى حين تثبيت قدميه، ثم لعل عبد الملك يدرك ويعلم أنّ ابن الزّبير لن يتخلى عنها، كيف وهو لائذ بالحرم يطالب بالخلافة منذ توليّ يزيد بن معاوية، فأحّب عبد الملك أن يجيب ابن عمر بلطف، وبشرط يعلم أنّه لن يتحقق، وكل ذلك لأن عبد الملك يعلم أن ابن عمر رجل يحب العافية، كما أنّه وفيٌّ لبيعته لبني أميّة ولم يُظهر غدراً، فأحبّ أن يظهر أمامه بصورة الرّجل البريء، ويُظهر ابن الزّبير بصورة الرّجل المحبّ للفتنة، وتأمّل إلى إجابة ابن الزّبير فقد ردّ

---

[1] _ابن عبد ربّه: المصدر السابق، ج5، ص158 وما بعدها.

[2] _يقصد مصعب أنّ حق ابن عمر في هذا الأمر النّصح والإرشاد وإطفاء الفتنة بين ابن الزبير وعبد الملك.

[3] _البلاذري: أنساب، ج6، ص350.

ابن عمر ردّا عنيفا وضعه في قفص الإتّهام، وبهذا فشلت محاولة ابن عمر في الصّلح.

- رسالة عبد الملك إلى ابن الحنيفة يستدرجه إلى الشّام حتّى يحظى ببيعته:

-25-

عن أبي الطفيل قال: كتب ابن الزّبير لابن الحنيفّة[1] يطلب بيعته فأبى، فجدّ ابن الزّبير في ذلك، وجاء كتاب من عبد الملك بن مروان إلى ابن الحنفية: «كتابٌ لو كتب به عبد الملك إلى بعض إخوته أو ولده ما زاد عن إلطافه، وكان فيه:

إنّه قد بلغني أنّ ابن الزّبير قد ضيّق عليك، وقطع رحمك، واستخفّ بحقّك حتى تبايعه، فقد نظرت لنفسك ودينك، وأنت أعرف به حيث فعلت ما فعلت، وهذا الشّام فانزل منه حيث شئت، فنحن مُكرموك، وواصلوا رحمك، وعارفوا حقّك»[2].

هذا استدراج من عبد الملك، حتّى يظفر ببيعة ابن الحنفيّة أو على الأقلّ يجعله تحت مراقبته قريبا منه بالشّام، حتّى لايبايع لابن الزّبير، فلما وصل الكتاب إلى ابن الحنفية قال: هذا وجه نخرج إليه فخرج إلى الشّام ونزل أيلة[3] وأقام بها[4].

رواية أخرى لما سبق

-25-أ-

أما ابن أعثم فقال: «جدّ عبد الله ابن الزّبير في عداوة محمّد بن الحنفيّة، كل ذلك ليبايع له وهو يأبى عليه، فبلغ ذلك عبد الملك، فكتب إلى محمّد بن الحنفيّة:

---

[1] _هو محمد بن الحنفية وابن علي بن ابي طالب يكنّى أبا القاسم، أمه خولة بنت جعفر الحنفية، ولد سنة 16 في خلافة عمر، لقّب بالمهدي من قبل الشيعة، وتوفي سنة 82 ه وهو ابن 65 سنة . مصعب الزبيري: نسب قريش، ص41.ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج54، ص318-327، ابن حزم: جمهرة النّسب، ص37.

[2] _ابن سعد : الطبقات الكبرى، ج7، ص108.

[3] _أيُلّة: مدينة على ساحل بحر القلزم ممّا يلي الشّام، وهي مدينة صغيرو عامرة، وأصلها لليهود، قيل أنّها تعدّ في بلاد أهل الشّام، وبها مجتمع حج الفسطاط والشّام. معجم البلدان، ج1، ص292، 293.

[4] _ابن سعد: المصدر السابق، ج7، ص108.

أمّا بعد فقد بلغني ما به ابن الزّبير ممّا لستَ له أهل، وأنا عن قليل سائر إليه– إن شاء الله ولا قوّة إلاّ بالله العلي العظيم– فانظر إذا قرأت كتابي هذا فسر إلى ما قِبلي أنت ومن معك من شيعتك، وانزل حيث شئت من أمر الشّام آمنا مطمئنّا إلى أن يستقيم أمر النّاس، فتختار أيّ الخصال أحببت والسّلام» [1].

رواية أخرى لما سبق

-25-ب

وعن أبي حمزة قال: «سار ابن الحنفيّة إلى أيلّة بعد موت ابن عبّاس سنة 68 هـ ، وكان عبد الملك قد كتب لابن الحنفيّة **عهداً على أن يدخل هو وأصحابه في أرضه حتّى يصطلح النّاس على رجل**»[2].

- رسالة عبد الملك إلى ابن الحنفيّة حين نزل الشّام يدعوه للبيعة له:

-26 -

[رسالة عبد الملك]: قال أبو الطّفيل[3]:«فسرنا مع محمّد بن الحنفيّة حتّى نزلنا أيلّة، فجاورونا بأحسن جوار، وجاورناهم بأحسن ذلك، وأحبّوا أبا القاسم [4]حبّا شديدًا، وعظّموه وأصحابه، وأمرنا بالمعروف، ونهينا عن المنكر، ولا يُظلم أحد من النّاس قربنا ولا بحضرتنا، فبلغ ذلك عبد الملك، فشقّ ذلك عليه وذكر ذلك لقبيصة بن ذؤيب وروح بن زنباع– وكانا خاصته– فقالا: ما نرى أن ندعه يقيم في قرية منك، وسيرته سيرة، حتى يبايع لك، أو تصرفه إلى الحجاز، فكتب إليه عبد الملك:

إنّك قدمت بلادي فنزلت في طرف منها، وهذه الحرب بيني وبين ابن الزّبير –كما تعلم– وأنت لك ذكر ومكان، وقد رأيتُ أن لاتُقيم في سلطاني إلاّ أن تبايع لي، فإن بايعتني فخذ السّفن التي قدمت علينا من القلْزم[5]، وهي مائة مركب فهي لك وما فيها، ولك ألفا ألف

---

[1] _الفتوح، ج6، ص318 .

[2] _حلية الأولياء، ج3، ص174، 175، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج4، ص54 .

[3] _اسمه عامر بن واثلة بن عبد الله بن عمير أبو الطّفيل الكناني، صاحب رسول الله، وآخر أصحابه موتا، كان من شيعة علي، قدم على معاوية، وحبسه ابن الزبير لما لم يبايعه، قال خليفة مات سنة 101 هـ في خلافة عمر بن عبد العزيز. تاريخ خليفة، ص163-208، ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج26، ص113-134.

[4] _يقصد محمد بن الحنيفة.

[5] _القلزم بلدة على ساحل بحر اليمن، قرب أيلّة والطّور ومدين، وإليها ينسب بحر القلزم، والقلزم معناه ابتلاع الشيء، وسمي كذلك لابتلاعه من ركبه وبه غرق فرعون، يمتد من بحر الهند إلى الحبشة، معجم البلدان، ج4، ص387، 388.

–2.000.000– درهم أعجّل لك منها خمسمائة ألف، وألف ألفٍ وخمسمائة ألف –1.500.000–آتيتك مع ما أردت من فريضة لك ولولدك ولقرابتك ومواليك ومن معك، وإن أبيت فتحوّل عن بلدي إلى موضع لا يكون لي فيه سلطان» [1].

[ردّ ابن الحنفية]: «بسم الله الرّحمان الرّحيم، من محمّد بن علي إلى عبد الملك بن مروان سلام عليك، فإنيّ أحمد إليك الله الذي لا إله إلاّ هو أمّا بعد: فقد عرفت رأيي في هذا الأمر قديما، وإنيّ لست أُسفّهه على أحد، والله لو اجتمعت هذه الأمة عليّ إلّا أهل الزرقاء[2]، ما قاتلتهم أبدا، ولا اعتزلتهم حتّى يجتمعوا، نزلتُ مكّة فرارًا ممّا كان بالمدينة، فجاورت ابن الزّبير فأساء جواري، وأراد منيّ أن أبايعه، فأبيت ذلك حتّى يجتمع النّاس عليك أو عليه، ثمّ أدخل فيما دخل فيه النّاس، فأكون كرجل منهم، ثمّ كتبتَ إليّ تدعوني إلى ما قِبلك، فأقبلتُ سائرا، فنزلتُ في طرف من أطرافك، والله ما عندي خلاف ومعي أصحابي فقلنا بلاد رخيصة الأسعار، وندنو من جوارك، ونتعرّض صلتك، فكتبْتَ بما كتبت به ونحن منصرفون عنك إن شاء الله» [3].

رواية أخرى لما سبق

-أ-26

في حين أورد البلاذري رواية أخرى مختصرة جاء فيها: ندم عبد الملك على إذنه لمحمّد بن الحنفيّة بالقدوم إلى الشام فكتب إليه:

«**إنّك قدمت بلادنا بإذن منّا، وقد رأيتُ أن لا يكون في سلطاني رجل لم يبايعني، فلك ألف ألف درهم، أعجّل لك منها مائتي ألف، ولك السّفن التي أرفأت إليك من مصر**، وكانت سفنا بعث إليه فيها بأمتعه وأطعمه» [4].

---

[1] _ابن سعد: المصدر السابق، الرواية الأولى، ج7، ص108، 109، محمد ماهر: المرجع السابق، ص305، وقال ابن سعد في موضع آخر : لمّا خرج ابن الحنفية إلى الشّام كتب إليه عبد الملك بن مروان: "**من عبد الملك أمير المؤمنين إلى محمد بن علي** ، فلمّا نظر إلى عنوان الصّحيفة قال : "إنّا لله وإنّا إليه راجعون" وانصرفوا راجعين إلى مكّة . ولم ينقل لنا الرّسالة وما تضمّنته. الطبقات ، ج7 ، ص110، عن إسماعيل بن مسلم الطّائي.

[2] _الزّرقاء: ذكر ياقوت أنها موضع بالشام بناحية معان، وفيها نهر عظيم، والزرقاء أيضا خناصرة وسوريا من أعمال حلب. معجم البلدان، ج3، ص137.

[3] _ابن سعد: المصدر السابق، ج7، ص109.

[4] _أنساب الأشراف، ج3، ص480.

رواية أخرى لما سبق

-26-ب-

و عن أبي جمرة[1] قال: «كنت مع محمّد بن الحنفيّة فسرنا من الطائف إلى أيلة بعد موت ابن عباس بزيادة على أربعين ليلة[2]، فلمّا قدم محمد الشام بعث إليه عبد الملك:

إمّا أن تبايعني وإمّا أن تخرج من أرضي» [3].

رواية أخرى لما سبق

-26-ج-

في حين أورد ابن أعثم رواية أخرى لما سبق فقال: « استدعى عبد الملك ابن الحنفيّة ليقدُم إلى الشّام، بعد أن دخل في عداوة مع ابن الزّبير، ولكن عبد الملك قدم على ذلك لما شاع في أهل الشّام من خبر محمد وحسن الثّناء عليه، وأمره بالمعروف، ونهيه عن المنكر، وعدم بيعتّه لعبد الملك فكتب له:

أما بعد فإنّك قدمت بلادنا بإذن منّا، وقد رأيتُ أن لا يكون في سلطاني رجل لم يبايعني، فإن أنت بايعتني، فهذه مراكبٌ قد أقبلت من أرض مصر إلى أيلّة، فيها الأطعمة والأمتعة والأشياء كذا وكذا، فخذ ما فيها لك ومع ذلك ألف ألف درهم أعجّل لك منها مائتي ألف درهم[4]**، وتؤخّرني بقيتها إلى أن أفرغ من أمر ابن الزّبير ويجتمع النّاس إلى أمام واحد، وإن أنت أبيت أن تبايع فانصرف إلى بلد لا سلطان لنا به والسّلام»** [5].

تلك هي مجمل روايات هذه الرّسالة من عبد الملك لابن الحنفيّة، والتّي تُبيّن أنّ عبد الملك اتخذّ قرارًا فصلا في شأنه، وأفصح عن السبّب الحقيقي في استدراجه إلى الشّام، صحيح أنّ عبد الملك ربّما لم يكن يوّد أن يكتب له بهذا في هذا الوقت بالذّات ، ولكن ماشعر به من نشاط ابن الحنفية في السّر وما رآه من حسن سيرته ، والتفاف النّاس حوله وتأثّرهم به دفعه إلى أن يعجّل بالكتابة له وتغيير خطتّه، فقد خشى

---

(1) _ أبو جمرة اسمه نصر بن عمران الضبعي، روى عن ابن عباس وغيره، أقام بنيسابور ثم مرو ثم سرخس وتوفي بها سنة 128، وقيل 108 هـ . المزي: تهذيب الكمال، ج29، ص362-365، الذهبي: سير، ج5، ص242-243.

(2) _كانت وفاته سنة 68هـ. تاريخ خليفة، ص165، الذهبي: سير، ج3، ص359.

(3) _ابن سعد: المصدر السابق، الرّواية الثانية، ج7، ص109، الكامل في التاريخ، ج4، ص54، النويري: نهاية الإرب، ج21، ص23 ، ابن كثير: البداية والنهاية، ج9، ص33،ابن خلدون: العبر، ج3، ص36، والسّند عند ابن سعد.

(4) _هذا خلاف ما جاء عند ابن سعد سواء المبلغ المعطى أو المعجّل.

(5) _الفتوح، ج6، ص320، 321.

على نفسه وخلافته أن تفلت، وبعد أن كان يخشى ابن الزّبير بالحجاز، فتح على نفسه بابا آخر لا يقل خطورة عن ابن الزبير، هذا ويجب أن لا نغفل عن أمر غاية في الخطورة، وهو أن المختار بن أبي عبيد كان قبل هذا يدعو إلى بيعة ابن الحنفية، ودخل في صراع مع ابن الزّبير[1]، بل أخطر من ذلك، أطلق بالشّام على ابن الحنفيّة لقب المهدي، فأنشد كثير غزة[2] قائلا:

هُديت يا مهدّينا ابن المهتدي أنت الذي نرضى به ونرتجِي

أنت ابن خير النّاس من بعد النّبي أنت إمام الحقّ لــسنا نَمترِي

يا ابن عليّ سِرْ ومن مثل علي[3].

فكيف لا يزداد خوف عبد الملك بعد كل هذا؟

إنّ كل هذه المُعطيات أجبرت عبد الملك على أن يكتب لابن الحنفية بالذّي كتب بنصيحة من قبيصة بن ذؤيب –كما ذكرت رواية ابن سعد–، وهناك أسئلة تطرح نفسها: هل قبيصة وهو العالم الفاضل لم يقدّر المتاعب والعواقب المؤسفة لابن الحنفيّة؟ أم أنّه يدركها، لكّن أمر محمّد وما سيواجهه أمر لا يهمه ولا يبالي به؟ أم هناك عواقب أخرى ضررها أكبر وأشّد اضطرت قبيصة إلى أن يلجأ إلى ارتكاب أخف الضّررين؟ ولعلّ الإحتمال الثالث هو الذي أملى على قبيصة اتخاذ موقفه في هذه القضيّة، وذلك أنّ التكتّل حول ابن الحنفية ازداد مما شكل خطراً على الدّولة، وهدّد حكم عبد الملك، وهذا ما دفع قبيصة إلى تقديم المصلحة الكبرى للأمّة[4].

- رسالة عبد الملك إلى ابن الحنفيّة يطلب منه البيعة ثانية بعد القضاء على مصعب بن الزّبير:

-27-

[رسالة عبد الملك]: قال البلاذري: ولم يزل ابن الحنفيّة بالطّائف بعد رُجوعه من الشّام حتّى أقبل

---

[1] _ ابن خلدون: العبر، ج3، ص35، 36.

[2] _كثير غزّة من فحول الشّعراء أبو صخرة كثير بن عبد الرحمان بن الأسود الخزاعي، قدم على يزيد، وامتدح عبد الملك، كان شيعيًّا تُيّم بعزّة، وشبّب بها، مات سنة 105هـ، وقيل 107 .تاريخ خليفة، ص 209، ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج1، ص410، الذهبي: سير، ج5، ص152.

[3] _البلاذري: أنساب، ج3، ص480، ابن الأثير: الكامل، ج4، ص54.

[4] _عبد الله عبد الرّحمان: أثر العلماء، ص130، 134.

الحجّاج بن يوسف من عند الملك إلى ابن الزّبير، فلمّا حصره عاد ابن الحنفيّة إلى الشِّعب[1]، وكتب إليه عبد الملك بعد قتل مصعب بن الزبير وبعثه مع الحجّاج:

«أمّا بعد فإذا أتاك كتابي هذا فاخرُج إلى الحجّاج عاملي فبايِعه» [2].

بهذا الإختصار وهذه الجديّة التي تخلو من المداراة، ومن غير مقدّمات وجّه عبد الملك أمره إلى ابن الحنفيّة، وهذا لأن المعركة الحقيقيّة قد بدأت منذ خرج لقتال مصعب ابن الزّبير في العراق، فلا مجال للرّفق والتردّد ما دامت السّيوف قد سُلّت، ولا توجد على السّاحة لغة غير لغة البيعة أو البطش.

[ردّ ابن الحنفيّة]: فكتب إليه ابن الحنفيّة جواب كتابه: « إنيّ لا أبايع حتّى يجتمع النّاس عليك فإذا اجتمعوا كنت أوّل من يبايع» [3].

وهكذا تقدّم ابن الحنفيّة خطوة نحو بيعة عبد الملك التّي لا يفصله عنها إلاّ اجتماع الكلمة عليه، وبالفعل لما اجتمع النّاس على عبد الملك بايع له ابن الحنفيّة[4].

رواية أخرى لما سبق

27-أ-

[رسالة عبد الملك]: أما ابن أعثم فساق رواية أخرى للرسالة فيها زيادة واختلاف كبير عمّا سبق قال: بعد فراغ الحجاج من قتال ابن الزّبير ورد كتاب عبد الملك لابن الحنفيّة:

«أمّا بعد: فإذا أتاك كتابي هذا وبلغك رسولي فأخرج إلى عاملي الحجّاج بن يوسف فبايعه، واستقم فإنّ الناس قد بايعوا واستقاموا، فإن فعلت ذلك منعت منّي مالك وأهلك وولدك وإلاّ فوالذّي لا إله إلاّ هو لَئِن أبيتَ وتربصّت وارتبت، وقدّمت رجلا وأخّرت أخرى لأسقيّنك بكأس ابن الزّبير، ولأُنزلنّك بالمنزلة التي أنزلتَ بها نفسك والسّلام» [5].

[ردّ ابن الحنفيّة]: فردّ عليه محمد بن الحنفيّة: «أمّا بعد، فقد أتاني كتابك تُرعد وتُبرق وتذكر أنّ

---

[1] _أصل الشِّعب سيل الماء في بطن الأرض، له جرفان مشرقان، وأرضه بطحة، وشعب مكة تسمّى الخور وهناك شعب أخرى بظاهر المدينة. معجم البلدان، ج3، ص347.

[2] _أنساب الأشراف، ج3، ص483 .

[3] _المصدر نفسه، ص483.

[4] _المصدر نفسه، ص483 ومابعدها.

[5] _الفتوح، ج6، ص344 .

النّاس قد بايعوا واستقاموا، وإنّه لم يكن من شأني أن أبايع أحداً حتّى يجتمع النّاس على رجل واحد كنت أنت أم غيرك، وأيّما واحد من النّاس رضوا به بايعته، وإلاّ فهذا مكاني حتّى يحكم الله بيني وبين من أرادني بسوء، وهو أحكم الحاكمين، وأمّا ما ذكرت من أنّك تسقيني بكأس ابن الزّبير إن أنا لم أستقم ولم أُبايع فإنّ ذلك ليس إليك ولا بيديك، إنّ الله تعالى في كل يوم ثلاثمائة لمحة يحي ويميت، ويعزّ ويذلّ، ويرفع ويضع، ويفعل ما شاء، ويحكم ما يريد، وقد رجوتُ أن يلحقك ببعض لمحاته، فيردّ عنّي كيدك، وبغيك وظلمك والسّلام» [1].

ذكرت الرّواية أنّ هذا الكتاب من عبد الملك لابن الحنفيّة كان بعد قتل الحجّاج لابن الزّبير، وهو الأمر الذّي يضعها موضع الشّبهة، إذ الثّابت –كما ذكرت رواية البلاذري – أنّ هذا كان أثناء حصار ابن الزبير، وقبل اجتماع النّاس على عبد الملك بخلاف ما جاء في هذه الرّسالة من أنّ النّاس استقاموا لعبد الملك واجتمعوا عليه، ثمّ فلماذا يتحجّج ابن الحنفية باجتماع النّاس على رجل واحد إذا كان الطّرف الثاني(ابن الزّبير) قد قضى نحبه؟! .

-رسالة عبد الملك لعبد الله بن خازم يطلب بيعته:

-28-

عن علي بن محمد قال: قُتل مصعب بن الزّبير سنة 72هـ، «فكتب عبد الملك بن مروان إلى ابن خازم[2] مع سورة ابن أشيم النّميري أحد بني عامر:

إنّ لك خُراسان سبع سنين على أن تُبايع لي.

فقال ابن خازم لسورة لو لا أن أضرب بين بني سليم وبني عامر لقتلتُك، ولكن كُلْ هذه الصفحة فأكلها» [3].

رواية أخرى لما سبق

---

[1] _المصدر نفسه، ص344، 345.

[2] _هو عبد الله بن خازم بن أسماء بن الصّلت أبو صالح بن حبيب بن حارثة بن هلال أبو صالح السّلمي أمير خراسان، أصله من البصرة، شجاع مشهور قُدم به على معاوية واستعمله عبد الله بن عامر على خراسان في خلافة عثمان، وولي خراسان لابن الزبير قتله وكيع بن الدورقيّة، وبعث برأسه إلى الوليد بن عبد الملك سنة 87هـ. تاريخ خليفة، ص187، ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج28، ص6 -15، الذهبي: تاريخ الإسلام، ج2، ص543، الصّفدي: الوافي بالوفيات، ج 17، ص 85.

[3] _الطبري: المصدر السابق،ج6، ص176.وقد ذكر ثلاث روايات بمعناها "قارن"، تاريخ خليفة ،ص 187 ، ابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص122، ابن الأثير: الكامل، ج4، ص119.

-28-أ-

أما مسكوية فذكر باختلاف قليل عمّا سبق قال: «كتب عبد الملك إلى ابن خازم **يدعوه إلى طاعته ويقول له** : **إنّ خراسان لك طعمة سبع سنين، فبايع لي**» [1].

رواية أخرى لما سبق

-28-ب-

[رسالة عبد الملك]: وقال اليعقوبي: كان عبد الله بن خازم السّلمي متغلّبا على خراسان مبايعا لابن الزّبير، فلمّا استقامت الأمور لعبد الملك كتب إليه:

«**أمّا بعد: فاهدِ لنا طاعتك نضعك موضعك، ونُقوّك على عملك وعقِبك ما أغنوا عنّا وعن المسلمين**» [2].

لقد كان ابن خازم واليًا على خراسان من قِبل مصعب بن الزّبير، فلمّا قضى عبد الملك على مصعب بعث بهذا الكتاب إلى ابن خازم فأعرض وأمر رسول عبد الملك بأكل الكتاب ، فأحرقه بالنّار، ثمّ أسقاه إيّاه، وكتب إلى عبد الملك:

[ردّ ابن خازم]: «أما بعد فإنيّ لم أكن لألقى الله ببيعتين، بيعة رضوان مع ابن حواري[3] رسول الله ﷺ أنتزعها، وبيعة نكث مع ابن طريد رسول الله ألبسها» [4].

فلمّا فشل عبد الملك في الحصول على بيعته عرض ولاية خراسان على بكير بن وشاح [5]نائب ابن خازم الذي قبل هذ العرض فبايع له أهل خراسان طائعين، فقرّر ابن خازم أن يترك خراسان، وينضّم إلى أخيه في ترمذ، ولكنّ أهل خراسان قتلوه وبعثوا رأسه إلى عبد الملك[6].

- رسالة عبد الملك إلى بُـجير ليُبايعه:

---

(1) _تجارب الأمم، ج2، ص165.

(2) _تاريخ اليعقوبي، ج2، ص271 ، محمّد ماهر: الوثائق، ص301.

(3) _الحواري هو الصّاحب المناصر، وقيل الحواريون هم خاصة الأصحاب. لسان العرب، مج2، ص1044، مادة حور. والزّبير العوام لقبّه الرسول ﷺ بالحواري فصار يعرف بحواري رسول الله. الذهبي: سير، ج1، ص41.

(4) _اليعقوبي: المصدر السابق، ج2، ص271.

(5) _بكير بن وشاح وقيل ابن الشماخ اللّخمي، ولي خراسان لعبد الملك بعد ابن خازم. تاريخ خليفة، ص187، ابن عساكر: المصدر السابق، ج10، ص388.

(6) _تاريخ اليعقوبي، ج2، ص271، 272،ابن عساكر:المصدر السابق، ج28،ص12،عبد الأمير دكسن: الخلافة الأموية، ص168

-29-

قال إسحاق بن بشير: «كتب عبد الملك إلى رجل من بني تميم يقال له بُجير بن أوس[1] أحد بني سعد بن زيد مناة **أن يبايع له**» [2].

فلمّا فبلغ ذلك عبد الله بن خازم والي خراسان لابن الزّبير، سار إليه فقتل ابنا له، وأسر من أصحابه عشرين رجلاً فضرب أعناقهم، وهرب بُجير وبقيّتهم، فجمعوا لعبيد الله بن خازم وسرّحهم إليه، واستعمل عليهم بكير بن وشاح التّميمي، فلقوا عبد الله بن خازم فقتلوه [3].

إنّ هذه الرغبة الإختيّارية لمعارضة عبد الملك من قِبل عبد الله بن خازم الظّاهر أنّها نشأت عن قسوته وسوء نيّته التي أظهرها لبني تميم، وهنا وجد نفسه غير قادر على مواجهة أهل خراسان وبني تميم منهم بالخصوص، وعلى رأسهم بكير بن وشاح، فدفع حياته ثمنا لعناده[4].

- رسالة عبد الملك إلى أخيه عبد العزيز ليتنازل عن الخلافة للوليد:

-30 -

قال علي:« ولمّـا أراد — عبد الملك – أن يخلع أخاه عبد العزيز ويبايع لابنه الوليد كتب إلى أخيه:

إن رأيت أن تُصيِّر هذا الأمر لابن أخيك ، فأبى»[5].

[ردّعبد العزيز]: كتب إليه: « إن يكن لك ولد فلنا أولاد، ويقضي الله بما يشاء، فغضب عبد الملك، ثمّ رضي على عبد العزيز حتّى آجله الموت»[6].

رواية أخرى لما سبق

-30-أ

---

(1) _بُجير بن أوس ذكر الرازي أنه روى عن خالد بن الواشمة، وروى عند محمد بن سيرين، وهو غير معروف وهو بن أوس بن حارثة ابن لام الطائي ، وجاء في تاريخ الطبري أنّه بحير بن ورقاء الصّريمي صريم بن الحاث، كان مقاتلا لابن خازم بأبرشهر. تاريخ الطبري، ج6، ص176، الرازي: الجرح والتعديل، ج2، ص411، ابن الأثير: أسد الغابة، ص100.

(2) _ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج28، ص12.

(3) _المصدر نفسه، ص12، 13.

(4) _عبد الأمير دكسن: المرجع السابق، ، ص168، 169.

(5) _ تاريخ الطبري، ج6، ص414 ،أنساب الأشراف، ج7، ص253، ابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص262، الكندي:كتاب الولاّة والقضاة، ص54، ابن الأثير: الكامل، ج4، ص235، أحمد زكي: جمهرة رسائل، ج2، ص235.

(6) _ تاريخ الطبري، ج6، ص414، ابن الأثير: الكامل، ج4، ص235.

أما ابن كثير فقد قال: «إنّ عبد الملك بن مروان كتب إلى أخيه عبد العزيز وهو بالدّيار المصريّة **يسألُه أن ينزل عن العهد الذّي له من بعده لولده الوليد، أو يكون وليَّ العهد من بعده فإنّه أعزّ الخلق عليَّ.**

فكتب إليه عبد العزيز: إنّي أرى في أبي بكر بن عبد العزيز[1] ما ترى في الوليد»[2].

الملاحظ هنا في رواية ابن كثير أنّه أجمل رسالتين في رسالة واحدة، وهذا ما تبيّنه الرّسالة السّابقة واللاّحقة[3]، ثمّ إنّ هذا الرّدّ من عبد العزيز كان بعد الرّسالة الثانية كما سيأتي.

- رسالة ثانية من عبد الملك لأخيه عبد العزيز ليجعل الوليد من بعده:

-31 -

قال الطّبري : لـمّا أراد عبد الملك أن يخلع أخاه عبد العزيز ويولّي الوليد كتب إلى أخيه: «إن رأيت تصيّر هذا الأمر لابن أخيك[4]، فأبى، فكتب إليه:

فاجعلها له من بعدك فإنّه أعزُّ الخلق على أمير المؤمنين،[ويقول له: لو لا أنّ الوليد أعزّ الخلق على أمير المؤمنين لم يسألك هذا له] [5].

فكتب إليه عبد العزيز: إنّي أرى أبي بكر بن عبد العزيز ما ترى في الوليد»[6].

إنّ هذا الإعراض من عبد العزيز ناتجٌ عن تغيير في أصل الحكم الذي كان قائما على أساس اختيار شوريّ لمن يُصلح أمر الأمّة، إلى عمليّة توريث سبّب فتنًا أهليّة، وشتّت الشّمل، ولو أنّ الأمويّين عملوا على بعث الأمل وإحياء الأمجاد في نفوس أبنائهم، وتحديد المثل العليا لحياة كريمة، ثمّ تحديد وضعيّتي القيادة والجنديّة في الأمّة، والإلتفاف حول زعيم كفء أبان للنّاس دستوره الخُلقي والعملي، ومن ثمّ تكوين جيل جديد، وإعداده للمستقبل إعدادًا صحيحًا، والسّير بها في طريق المحبّة والأمل، لكانوا تجنّبوا الأسباب المؤديّة

---

(1) _هو أبو بكر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم القرشي، أخو عمر بن عبد العزيز لأبويه، أمّه أمّ عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، توفي في رجب سنة ه96. ابن عساكر: المصدر السابق، ج66، ص38-40.

(2) _المصدر السّابق، ج9، ص50، وقد أخذ روايته عن الطّبري.

(3) _انظر الرّسالة اللاحقة ومن ذكر ومن لم يذكر.

(4) _هذه الرّسالة السّابقة.

(5) _مابين حاصرتين إضافة من أنساب الأشراف.

(6) _ الطّبري: المصدر السّابق، ج6، ص414، البلاذري: أنساب ،ج7، ص253 ، ابن عساكر: المصدر السابق، ج43، ص512، عن جعفر عن أبيه، ابن الجوزي:المنتظم، ج6، ص262، ابن الأثير:الكامل، ج4، ص235، أحمد زكي:المرجع السابق، ج2، ص235.

إلى العواقب التي وصلوا إليها[1]، هذا وتجدر الإشارة هنا إلى أنّه لم يحدث أن غُيّر ولي العهد في العصر الأموي وكل ما قام به الخلفاء لم يتعدّ مجرّد محاولة[2].

- رسالة عبد الملك إلى أخيه عبد العزيز يأمره أن يحمل إليه خراج مصر:

-32-

لمّا رفض عبد العزيز التنازل عن ولاية العهد، كتب إليه عبد الملك:

«إحمِل [إليَّ] [3] خراج مصر»[4].

لقدكانت بلاد مصر بكاملها، وبلاد المغرب وغير ذلك كلّها لعبد العزيز مغانمها وخراجها، لذا يبدو أنّ الخليفة عبد الملك استخدم الضّغط المالي، وسحب صلاحيّة وليّ عهده من هذا الشّأن ليغيّر رأيه في قضيّة التنّازل عن ولاية العهد[5]، وفي هذا تضييق على عبد العزيز حتّى يمثل لأمر الخليفة، وينصاع لرغباته، فهل تحققّ لعبد الملك ما كان يصبو إليه؟.

- رسالة عبد الملك إلى أخيه عبد العزيز بأنّه لن يعتب عليه:

-33-

قال ابن كثير:«كتب إليه عبد الملك يأمره بحمل خراج مصر، وقد كان عبد العزيز لا يحمل إليه شيئًا من الخراج ولا غيره، وإنّما كانت بلاد مصر بكمالها، وبلاد المغرب وغير ذلك كلّها لعبد العزيز مغانمها وخراجها وحملها، فكتب عبد العزيز إلى عبد الملك: إنّي وإيّاك يا أمير المؤمنين [6]، قد بلغنا سنّا لا يبلغها[7] أحد من أهل بيتك إلاّ كان بقاؤهُ قليلا، وإنّي لا أدري، وما تدري أيّنا يأتيه الموت أوّلاً، فإن رأيت أن لا تعتب عليّ بقية عمري فافعل[8] ، فرقّ له عبد الملك وكتب إليه:

---

(1) _أحمد علي علي : التعبئة العسكرية، ص49، 50.

(2) _ناظم ظاهر: محاولة تغيير ولي العهد، ص228.

(3) _ما أثبت من أنساب الأشراف، وفي بقية المصادر ناقصة .

(4) _البلاذري: أنساب، ج1، ص253، الطبري: المصدر السابق، ج6، ص414، ابن الأثير: الكامل، ج4، ص235، ابن كثير: المصدر السابق، ج9، ص50 .

(5) _عربيّة قاسم أحمد: دور المال، ص292.

(6) _في تاريخ الطبري" يا أمير المؤمنين إنيّ وإياك".

(7) _في تاريخ الطبري " لم يبلغها".

(8) _هذه الرسالة من عبد العزيز إلى عبد الملك في تاريخ الطبري أيضا، ج6، ص414 ولم يذكر ردّ عبد الملك عليه.

لعَمري لا أعتب عليك بقيّة عمرك»[1].

هذا ونشير هنا أن البلاذري وغيره لم يذكروا هذه الرّسالة، بل ذكروا هذا على أساس أنّه كلام لعبد الملك وليس رسالة، فقد جاء عندهم أنّ عبد الملك قال: لعمري لا فعلت ذلك ولا سوّأت أخي[2]، ولا أغثُّ[3] عليه بقية عمري[4]، فهل كتب عبد الملك بذلك إلى أخيه أم قاله قولًا فقط؟.

هكذا كانت آخر محاولات عبد الملك مع أخيه عبد العزيز، استيقظ ضميره وتحرّك وجدانه، وثارت عواطفه تجاه أخيه، بعد أن نصحه قبيصة بن ذؤيب أن يتخلّى عمّا أراد، وقال له: فلعلّ الموت سيكفيك، ولم يظهر غدرًا فتستريح[5].

- كتاب عبد الملك إلى البلدان للبيعة للوليد وسليمان:

-34-

قال عبد الله بن جعفر: «أن عبد العزيز بن مروان توفي بمصر في جمادى سنة 85 هـ، فعقد عبد الملك لابنيه الوليد وسليمان وكتب[6]**بالبيعة لهما على البُلدان»** [7]،فبايع النّاس لهما.

لاشك أنّ الصّعوبات والتّحديات التي واجهت عبد الملك خلال خلافته، وحشَد لها قواه وإمكانيّاته مكّنتهُ من القضاء عليها، وأدرك أنّ الخلافة لا تحتمل في هذا الظّرف الصّعب خليفة ضعيفا من الممكن أن يضيّع كل ما حُقّق من الإنجازات، فلابد من خليفة قوي قادرٍ على أن يفرض نفسه وسياسته على مختلف الاتجاهات، ولا مجال للمعارضة والرّأي الآخر الذّي يهدّد مصير الخلافة[8].

رواية أخرى لما سبق

---

(1) _ابن كثير: المصدر السابق، ج9، ص50.

(2) _أنساب الأشراف، ج7، ص253، الطبري: المصدر السّابق، ج6، ص414.

(3) _كلام غث لا معنى له، كما يحمل الغث أيضا معنى سوء الخلق. لسان العرب، مج5، ص2213، مادة غثث.

(4) _ابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص262.

(5) _البلاذري: أنساب، ج7، ص253، ابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص261.

(6) _بداية رواية الطبري:" وفي هذه السنة –85هـ– بايع عبد الملك لابنيه الوليد ثم من بعده لسليمان، وجعلهما وليّي عهد المسلمين وكتب...".

(7) _ابن سعد: المصدر السابق، ج7، ص126، الطبري: المصدر السابق، ج6، ص416، ابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص262، ابن الأثير: الكامل، ج4، ص235.

(8) _عبد السّتار اسماعيل: وصايا الخلفاء، ص138.

-أ- 34

وممن كتب إليهم عبد الملك كما ذكر ابن قتيبة الحجاج قال: «بعد موت عبد العزيز أجمع عبد الملك على البيعة للوليد وسليمان بعده، وكتب إلى الحجّاج **ببيعة الوليد وسليمان**، فلم يختلف عليه أحد، وبويع لهما بالشّام ومصر والمدينة» [1].

ولم تشر المصادر أهذا الكتاب واحد من الكتب التي أرسل بها عبد الملك إلى البلدان-كما سبق- أم أنّه خاصّ بالحجّاج فحسب كأوّل وأقرب والٍ إليه، وفي اعتقادنا أنه منشور واحد وزّع على جميع الأقاليم .

رواية أخرى لما سبق

- ب - 34

وكتب كذلك إلى المدينة فقد قال أبو جعدلة: «كتب عبد الملك إلى هشام بن اسماعيل المخزومي[2]: **أن يدعو النّاس إلى بيعة الوليد وسليمان**» [3].

نشير هنا أنّ هذا العهد من عبد الملك لابنيه كان بإشارة من الحجّاج- كما ذكرنا- فقد اقترح عليه وبعث من عنده وفداً من الأعيان والشّعراء زيّنوا له ذلك[4]، كما أشار عليه بذلك أيضا محمّد بن يزيد القرشي[5]، فكتب عبد الملك عهده إلى البلدان، وإلى هشام بن إسماعيل، فبايع النّاس غير سعيد بن المسيّب، وقال لا أبايع وعبد الملك حيّ، وكره بيعة اثنين معاً، فضربه هشام ضرباً مبرّحاً[6].

وبهذا أصبح العهد منذ خلافة معاوية هو الطّريقة الوحيدة المتّبعة على الأغلب في تولّي الخلافة فإمّا

---

(1) _الإمامة والسياسة، ج2، ص45 .

(2) _هو هشام بن اسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي والي المدينة، كانت له إبنة زوّجها عبد الملك بن مروان فوّلاه المدينة سنة 82 هـ، وحجّ بالناس سنة 83، 84، 85 هـ، وصرف سنة 87 هـ في خلافة الوليد، وتوفي بعدها. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج3، ص85، الزركلي: الأعلام، ج8، ص84.

(3) _البلاذري: أنساب، ج7، ص254، الطبري: المصدر السابق، ج6، ص415، ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج5، ص169، ابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص262، الذهبي: العبر، ج1، ص73، ابن العماد الحنبلي: شندرات الذهب، ج1، ص348،وعند ابن قتيبة : "أن يأخذ بيعة أهل المدينة " الإمامة والسياسة، ج2، ص45.

(4) _انظر التمهيد.

(5) _هو محمد بن يزيد القرشي الأنصاري،استكتبه عبد الملك، وكان كاتبا للحجّاج قبله، بعثه سليمان إلى العراق، ثمّ إفريقية، وعذبه يزيد بن أبي مسلم، ثمّ أقرّه يزيد بن عبد الملك على إفريقية بعد قتل يزيد بن أبي مسلم، ثمّ عزل وولي مكانه بشر بن صفوان، كانت وفاته بعد 101هـ. ابن عساكر: المصدر السابق،ج56،ص277-280،ابن الأثير:الكامل،ج4،ص300، الزركلي: الأعلام، ج7، ص143.

(6) _تاريخ الطبري، ج6، ص415، ابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص322، الذهبي: العبر، ج1، ص 73.

عهد إلى الولد أو إلى أحد أفراد الأسرة لئلاّ يخرج الحكم من أيديها، لا بل إنّ الحيطة في بقاء الخلافة بيد الأسرة الواحدة حملت مروان بن الحكم من قبل على أن يبايع حال حياتة لولديه عبد الملك وعبد العزيز، ويأتي عبد الملك ليسير على نهج أبيه فيعقد البيعة لولديه وبذلك اتّبع الخلفاء معاوية بن أبي سفيان في أخذ البيعة لولاّه عهودهم في حياتهم، فإذامات الخليفة جدّدت البيعة ثانية تأكيداً للعهد والميثاق، وهكذا نرى أنّ الخلافة في عهد بني أميّة أصبحت وراثية[1].

- كتاب عبد الملك إلى أهل المدينة يعاتبهم :

- 35 -

وقال عبد العزيز بن عمران: «**كتب عبد الملك بن مروان إلى أهل المدينة يعاتبهم.**

فوصل في كتابه ذلك طومارين[2]، فقرئ الكتاب على الناس عند المنبر»[3].

لم تذكر لنا الرّواية كتاب عبد الملك ، ولا سبب معاتبته لأهل المدينة، ولعلّها في شأن ولاية العهد، لما كان من أهل المدينة من إعراض عن البيعة .

-كتاب عبد الملك إلى هشام بن اسماعيل في شأن امتناع ابن المسيّب عن البيعة للوليد وسليمان:

- 36 -

عن ضمام عن بعض أهل المدينة قال: « لمّا كانت بيعة سليمان بن عبد الملك مع بيعة الوليد كره سعيد بن المسيّب أن يبايع لخليفتين في آن واحد، فكتب صاحب المدينة إلى عبد الملك أنّ سعيد بن المسيّب كره أن يبايع لهما جميعا، فكتب عبد الملك إلى صاحب المدينة:

وما كان حاجتك إلى رفع هذا عن سعيد بن المسّيب، ما كنّا نخاف منه، فأمّا إذا ظهر ذلك وانتشر في النّاس فادعُه إلى ما دخل فيه من دخل في هذه البيعة، فإن أبى فاجلده مائة سوط، واحلِق رأسه ولحيته، وألبسه ثياباً من شَعر وأوقِفه[4] على النّاس في سوق المسلمين، لئلاّ يَجْترئ

---

[1] _نجدة خماش: الإدارة في العصر الأموي، ص27.

[2] _الطّومار معناه الكتاب وبالأصل: الطومار هو الكامل من مقادير قطع الورق، وقد حُكي أن عمر بن العزيز رفض الكتابة عليه، وقال: فيه ضياع للورق وهو من بيت المال. القلقشندي: صبح الأعشى، ج3، ص51-54، مراد لكحل: كتّاب الخلفاء، ص48.

[3] _ ابن عساكر: المصدر السّابق ، ج55 ، ص325 ، 326 ، ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق ، ج23 ، ص232 ، 233.

[4] _في المنتظم" وقفه".

علينا غيره» [1].

رواية أخرى لما سبق

36-أ-

وعن رجاء بن جميل الأيّلي قال: «امتنع سعيد بن المسيّب عن البيعة لسليمان والوليد، فكتب هشام بن اسماعيل بذلك إلى عبد الملك فكتب إليه:

مالك ولسعيد، ما كان علينا منه شيء نكرهه، فأمّا إذا فعلت فاضربه ثلاثين سوطا، وألبسه تُبّان شعر، وأوقفه للنّاس لئلّا يقتدي به النّاس.

فدعاه هشام فأبى عليه فقال لا أبايع لاثنين، فضربه ثلاثين سوطا، وألبسه ثيابا من شعر وأوقفه للنّاس [2].

رواية أخرى لما سبق

36-ب-

وعن يحي بن سعيد قال: «كتب والي المدينة إلى عبد الملك بن مروان: إنّ أهل المدينة قد أطبقوا على البيعة للوليد وسليمان إلاّ سعيد بن المسيّب، فكتب إليه :

أن أعرِضه على السّيف، فإن مضى وإلاّ فاجلده خمسين جلدة، وطُف به أسواق المدينة» [3].

رواية أخرى لما سبق

36-ج-

أمّا ابن كثير فقال: «ويُروَى أنّه قال له: **ما ينبغي إلَّا أن يُبايع، فإن لم يُبايع ضربت عنقه أو خلّيْتَ سبيله»** [4]

هذه هي روايات هذه الرّسالة التي اختلفت في مضمونها، وفي بيان مراحل التعامل مع ابن المسيّب، و

---

[1] _البسوي :المعرفة و التاريخ، الرّواية الأولى، ج1، ص473، ابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص322.

[2] _البسوي: المصدر السابق، الرواية الثانية، ج1، ص476، أبو نعيم: حلية الأولياء، الرواية الأولى، ج2، ص170، 171.

[3] _أبو نعيم: المصدر السابق، الرواية الثانية، ج2، ص171.

[4] _ المصدر نفسه، الرّواية الثالثة، ج9، ص 51.

و في مقدار العقوبة،كما هو واضح في نصوص الرّسائل، فهل حقيقة انّ عبد الملك أمر بضرب ابن المسيّب وعقابه؟.

الحقيقة أنّ هشامًا وليس عبد الملك هو الذي ضرب سعيدًا وطاف به وسجنه من تلقاء نفسه، وذلك لعدة أمور منها:

-إن الرّوايات التي ذكرت أمر عبد الملك لهشام اختلفت في تحديد نوع العقاب-كما سبق وأن ذكرنا- ومثل هذا التضّارب في الرّوايات يضعّفها[1].

-أن قبيصة لما علم بكتاب هشام وجّه اللّوم على عبد الملك بتركه هشامًا يصنع ما صنع، ولو كان عبد الملك هو الذي أمر لعلم به قبيصته، حيث كان أمر الكتب إليه، وعنئذ سيكون لوم قبيصة لعبد الملك على أمره وتوجيهه لهشام بذلك، لا على تركه يصنع ما صنع دون مراجعته[2].

-ثمّ إنّ عبد الملك لام هشاما على صنيعه كما سنذكر في الرّسالة الموالية ، ولو كان أمره بضربة لما لامه عليه بعد ذلك.

-كما نلمسُ في رواية ابن كثير نوعًا من الضّعف، فابن كثير نفسه قال:"ويُروى أنّه قال له"، فكأنّه هو نفسه غير واثق من هذه الرّواية، وأوردها بعد الرّسالة التي ذكر فيها لوم عبد الملك لهشام لتكون على درجة ثانية من الصّحة، فمن وجهة نظرنا أنّ عبد الملك لامَ سعيدًا على ذلك ولم يكتب بضرب عنقه ، وإلّا لماذا لا نرى هشامًا بعد هذا يعود إلى إيذاء ابن المسيّب والتشديد عليه؟.

والذي نشير إليه هنا أنّ موقف سعيد هذا وتعرّضهُ للعقوبة والمحنة زاد من حدّة الخلاف بينه وبين بني مروان، وأسهم في توسيع الفجوة في علاقتهم به ، ولعل أسباب الخلاف بين سعيد وبني أميّة ترجع إلى ما رآه من أخطاء وقع فيها خلفاؤهم في بعدهم عن السّنة في بعض المسائل، وكذا إساءة عمّاله إليه شخصيّا[3].

إنّ معارضة ابن المسيّب إذن تعبّر عن أكبر من ذلك عن معارضة الفقهاء للخلافة، وعدم إذعانهم لبني أميّة وولاّتهم، فلم يسكتوا عن سيئاتهم ومخالفاتهم، وإبطالهم مبدأ الشّورى الذي ارتضته الأمة واتّبعته

---

[1] _إضافة إلى ضعف الرّوايات لضعف الرّواة الذين نقلو الخبر مثل ما رواه البسوي عن ضمام بن مالك وهو متروك، انظر الذهبي: ميزان الاعتدال، ج2، ص330، ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج2، ص229، عبد الله الخرعان: أثر العلماء، ص377 وقوله" عن بعض أهل المدينة" فيه مجاهيل.

[2] _انظر ابن سعد: المصدر السابق، ج5، ص126، البلاذري: أنساب، ج7، ص257، الذهبي: سير، ج4، ص230.

[3] _عبد الرحمان الخرعان: المرجع السابق، ص377-381.

زمن الخلافة الرّاشدة، فأنكروا نظام ولاية العهد الذي أحدثه معاوية بن أبي سفيان، ثمّ تمسك به بنو مروان، لأنه حوّل الخلافة إلى ملك خالص لبني أميّة، يتداولونه بينهم، ويتعاقبون عليه وحدهم[1].

- رسالة عبد الملك إلى هشام بن إسماعيل يلومه على ضربه ابن المسيّب:

- 37 -

عن طلحة بن محمّد عن أبيه قال: «عقد عبد الملك البيعة لابنيه الوليد وسليمان بعد وفاة أخيه عبد العزيز، وكتب بالبيعة لهما على البلدان[2]، وعامِله يومئذ على المدينة هشام بن إسماعيل المخزومي، فدعا النّاس إلى البيعة فبايع النّاس، ودعا سعيد بن المسيّب أن يبايع لهما فأبى، وقال: لا حتّى أنظر، فضربه هشام بن إسماعيل ستّين سوطًا، وطاف به في تُبّان من شعر وسجنه، وكتب إلى عبد الملك يخبره بخلافه، وما كان من أمره[3] فكتب عبد الملك إلى هشام :

يلومه على ما فعل من ذلك، ويقول سعيد كان والله أحوَج أن تصِلَ رحمه من أن تضربه، وإنّا لنعلم ما عند سعيد شقاق ولا خلاف»[4].

رواية أخرى لما سبق

- 37 - أ -

و عن أبي جعدبة قال: رفض ابن المسيّب البيعة للوليد وسليمان، فضربه هشام بن إسماعيل: «وبلغ عبد الملك خبر سعيد فقال: قبّح الله هشامًا، إنّما كان ينبغي له إذ أبى أن يضرب عنقه، وكتب إلى هشام **يلُومه ويقول: إنّ سعيدًا لم يكن ممّن تخافه، وقد كان ينبغي لك أن تدعه**» [5]

وهنا يتضح جليّا التّناقض بين ردّة فعل عبد الملك، وكتابه إلى هشام، فهل حقًّا كتب عبد الملك إلى

---

[1] _حسين عطوان: الفقهاء والخلافة، ص68.

[2] _ هذه الرسالة سبقت رقم 34.

[3] _ بداية الرّواية من تاريخ الطّبري، ج6، ص 417.

[4] _ ابن سعد: الطبقات ، الرّواية الأولى، ج7، ص 126، البلاذري: أنساب، الرّواية الأولى، ج7، ص 257، الطّبري: المصدر السابق، ج6، ص 411، الذهبي: تاريخ الإسلام، ج3، ص 150، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج4، ص 235 ، أحمد زكي: المرجع السابق، ج2، ص 236.وكلّ المصادر أخذت الرّواية عن ابن سعد، وعند ابن كثير:" **فكتب إليه يُعنّفُه في ذلك ويأمره بإخراجه ويقول له: إنّ سعيدًا كان أحقّ بصلة الرّحم ممّا فعلتَ به، وإنّا لنعلم أنّ سعيدًا ليس عنده شقاق ولا خلاف**». البداية والنّهاية، ج9، ص 51.

[5] _ البلاذري: أنساب، الرّواية الثانية، ج7، ص 256.

هشام بخلاف ما في صدره؟! أم أنّ عبد الملك كتب هذا الكتاب بعد أن لامه قبيصة بن ذؤيب وقال له: "كيف يفتات عليك هشام بمثل هذا، ويضرب ابن المسيب"[1]، فيكون بذلك قبيصة هو الذي قلب الكفَة، وغيّر رأي عبد الملك الذي لا يخالف له رأيًا.[2]

رواية أخرى لما سبق

37 - بـ-

و عن طلحة بن محمّد عن أبيه قال: «وجاء هشام بن إسماعيل كتاب من عبد الملك بن مروان **يلُومه في ضرب سعيد بن المسيّب، ويقول: ما ضرّك لو تركت سعيدًا أو وطِئتَ ما قال**»[3].

إنّ هذا التّوجيه من عبد الملك لولّاته أمر يُحمدُ عليه، فكلّ مسؤول مثله ينبغي أن يتفقّد ولّاته ويرشدهم إلى صلاح أمرهم ورعيّتهم، لكنّ لهجة عبد الملك هنا وخطابه اللّين ليس على قدر الموقف ولا على قدر صنيع هشام، فلو كان عبد الملك حقًّا رافضا لهذا الفعل لعنّف هشامًا عليه بلهجة أدهى وأمرّ، فكأنّي بعبد الملك هنا، يفتح عينًا ويغمض أخرى، فالمهمّ عنده أن تحصل البيعة لولديه،وهذا هو الهدف المنشود.

- رسالة الوليد إلى أحد عمّال أبيه بشأن بيعته:

-38-

قال المدائني: «كتب الوليد إلى بعض عمّال أبيه:

أمّا بعد فقد أتاني كتابك تذكر ما اختصّ الله به أمير المؤمنين من خلافته وإنّك بايعت من قِبلك فحسنتْ إجابتهم وسارعوا إلى الطّاعة، وأمير المؤمنين بحمد الله على ما أكرمه به واصطنع، ويسأله العون على ذلك، وذكرتَ أنّك بعثت إلى أمير المؤمنين ببيعة من قِبلك من إبّان بن سويد[4] وهو في صالحي أهل بلاده، وقد قدم على أمير المؤمنين بكتابك فأحسن صلته والسّلام.

وكتب جناح[5] مولى أمير المؤمنين»[1].

---

[1] _ المصدر نفسه، ص 257، الذهبي: سير، ج4، ص 230.

[2] _ انظر في ذلك تاريخ الطبري، ج6، ص 412، الجهشياري: الوزراء والكتّاب، ص 20، عبد الله عبد الرحمن: أثر العلماء، ص 120- 122.

[3] _ابن سعد : الطبقات، الرواية الثانية، ج7، ص 127.

[4] _لم نعثر على ترجمته.

[5] _هو جناح مولى الوليد عبد الملك، وقيل مولى بني عامر، يقال له أبو مروان كان صاحب خاتم الوليد وكاتبه. الجهشياري: الوزراء

هذا ما جاء في الرواية التي لم تحدّد لنا الجهة التي بعث إليها الوليد جوابه كما لم تنقل لنا رسالة العامل الذي سعى لأخذ البيعة للوليد.

- كتاب الوليد إلى عمّاله بالبيعة لابنه عبد العزيز:

-39-

عن الكلبي[2] قال: «كان الوليد وسليمان وليّيّ عهد عبد الملك [فأراد الوليد حين ولّي أن يبايع لابنه عبد العزيز] [3] ويخلع سليمان، فأبى سليمان، فأراده أن يجعله بعده فأبى سليمان أيضا، فبذل له الوليد أموالاً عظيمة كثيرة على أن يفعل ذلك[4]، **وكتب الوليد إلى عمّاله: أن يُبايعوا لعبد العزيز**.

فلم يجِبه إلاّ الحجّاج، وقتيبة بن مسلم وخواصٌّ من أصحابه» [5].

لقد اتّبع الوليد ما أراد أن يفعله والده، وسعى جاهدا إلى الحصول على تنازل من سليمان، فعرض عليه من الإغراءات الواحد بعد الآخر، بداية بطلب تنازله عن عهده، ثم اقترح أن يجعله ولّي عهد بعد عبد العزيز، وفي المحاولة الأخيرة بذل له أموالاً ، إلا أنّ سليمان أبى واستمرّ في تمسكه بحقه وبيعته ورفض التّنازل، فعندها قرّر الوليد المضّي في طلبه وهدفه، وغضّ الطرف عن سليمان وكأنه غير موجود على الساحة، فلم يجبه إلاّ الحجّاج ونخبة من خواصّه، ولذلك نقِم سليمان على هؤلاء بعد تولّيه، وبدأ بمجرّد تربّعه على الخلافة بتصفيتهم[6].

- رسالة الوليد إلى زيد بن حسن في شأن البيعة لابنه عبد العزيز:

-40 -

عن أبي عبد الله محمّد بن عبد الله بن عبد الحكم عن أبيه قال: «وكتب الوليد بن عبد الملك إلى زيد

والكتاب، ص23، ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج11، ص284.

[1] _البلاذري: أنساب، ج8، ص72.

[2] _كذا عند البلاذري أمّا الطبري فقال:" حدثني عمر قال: حدثنا علي:...".

[3] _في تاريخ الطبري:" فلمّا أفضى الأمر إلى الوليد أراد أن يبايع لابنه عبد العزيز....".

[4] _في تاريخ الطبري "فعرض عليه أموالا كثيرة فأبى".

[5] _البلاذري: أنساب، ج8، ص87، تاريخ الطبري ، ج6، ص498، مسكويه: تجارب الأمم، ج2، ص280، ابن الجوزي: المنتظم، ج7، ص12، ابن الأثير: الكامل، ج4، ص292، ابن خلدون: العبر، ج3، ص86.
A.F.L Beeston: Arabic literature,p 293.

[6] _انظر الفصل الثالث من الباب السّادس في تعاملهم مع المعارضين.

بن حسن بن علي بن أبي طالب[1] **يسأله: أن يُبايع لعبد العزيز بن الوليد ويخلع سليمان بن عبد الملك،**

فخاف زيد من الوليد فأجابه، فلما استخلف سليمان وجد كتاب زيد إلى الوليد بذلك »[2].

فأرسل إلى واليه ليتأكّد من ذلك فإن وجد الأمر صحيحا عذّبه ففعل[3].

فهكذا سعى الوليد للحصول على موافقة الشخصيات المهّمة ليكون ذلك دعما قويّا، وحجّة متينة يستند إليها في قراره بعزل أخيه وتولية ابنه، ولكن ذلك لم يحصل للوليد فمات قبل عزل سليمان[4].

- رسالة من الوليد بن عبد الملك إلى عمر بن عبد العزيز:

-41-

جاء في توقيعات[5] عمر بن عبد العزيز إجابة على أحد كتب الوليد في أمر لم نعرف حقيقته:

«**فوقّع في كتابه** [6] الله أعلم أنّك لست أوّل خليفة تموت» [7].

هذا ما جاء في ردّ عمر بن عبد العزيز على كتاب الوليد الذي لم يذكره المصدر، والظّاهر من خلال توقيع عمر أن الوليد يلوم في كتابه عمر بن عبد العزيز وربما هذا يتعلق بولاية العهد لعبد العزيز بن الوليد الذي رفضه عمر وعارضه.

- رسالة الوليد إلى أخيه سليمان بالقدوم عليه لما رفض التّنازل عن الخلافة:

---

[1] _هو زيد بن حسن بن عبد المطلب بن هاشم العلوي، ورد على الوليد لخصومة وقعت بينه وبين أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفيّة فسجنه الوليد ثمّ أطلقه، ساند الوليد في بيعته لابنه لذلك عذبه سليمان لما تولى الخلافة. ابن عساكر: المصدر السابق، ج19، ص374-380.

[2] _ابن عبد الحكم: سيرة عمر بن عبد العزيز، ص101، ابن عساكر: المصدر السابق، ج19، ص379 وعنده:" عن ابن وهب عن يعقوب قال:...".

[3] _ ابن عساكر: المصدر السابق، ج19، ص380 .

[4] _انظر التمهيد.

[5] _التّوقيع معناه أن يفصل الخليفة أو غيره في القُصص المرفوعة إليه بأوجز عبارة وأبلغها، وهو لذلك عبارة عن أمر أو نهي أو توضيح، وقد يخصَّص إليه مكان في الرّقعة المرفوعة إلى الخليفة، وموقعة أسفل الكتاب المرفوع أو على ظهره، وأوّل ما عُرف زمن أبي بكر الصّديق، ثمّ انتشر بعده. انظر: ابن خلدون: العبر، ج1، ص81. أحمد محمد الحوفي: أدب السّياسة، ص417، حمد بن ناصر الدّخيل: فن التّوقيعات، ص1099، مراد لكحل: كتّاب الخلفاء الأمويين، ص83.

[6] _أي في كتاب الوليد عبد الملك.

[7] _ابن عبد ربّه: العقد الفريد، ج4، ص291.

- 42 -

عن الكلبي قال: كان الوليد وسليمان وليّي عهد عبد الملك، فلمّا أفضى الأمر إلى الوليد أراد أن يبايع لإبنه عبد العزيز،[1] ويخلع سليمان فأبى سليمان، فأراده على أن يجعل له الأمر من بعده فأبى فعرض عليه أموالًا عظيمة كثيرة فأبى ، « فقال عبّاد بن زياد[2] : إن النّاس لا يجيبونك إلى هذا، ولو آجابوك لم آمنهم على الغدر بابنك، فاكتب إلى سليمان فليقدم عليك فإنّ لك عليه طاعة، فأرِدْه على البيعة لعبد العزيز من بعده، فإنّه لا يقدر على الإمتناع وهو عندك، فإن أبى كانَ النّاس عليه، فكتب الوليد إلى سليمان: **يأمره بالقدوم عليه**[3] ، فأبطأ فاعتزم الوليد على المسير إليه، وعلى أن يخلعه فأمر النّاس بالتأهّب، فمرض ومات قبل أن يسير إليه»[4].

إنّ هذه الطّرق التي حاول بها الوليد بلوغ غايته تذكّرنا بفعل أبيه عبد الملك، فكأنّنا به يستخدم أسلوب أبيه في أقناع أخيه، فبعد أن طلب تنازله ورفض، أراد أن يجعل ابنه بعده، فلمّا رفض بذل له إغراءات مادّيّة، فلمّا استمرّ في رفضه عندها مضى الوليد قُدمًا إلى هدفه، وطلب من عماله أن يبايعوا، واستدعى أخاه ليمارس عليه ضغوطا، ويحظى بموافقته.

لقد أضحى تغيير وليّ العهد رغبة سار عليها معظم الخلفاء الأمويّين بالتّتابع، مع وجود بعض الإستثناءات، فهذا الخليفة الوليد- كما ذكرنا- جدّد نهج والده في المسألة ذاتها، ورام تغيير أخيه سليمان، وبذل في ذلك كل نفيس، بل وتخاصم الإثنان وجلساؤهم، وكاد كل طرف للآخر، وتنافر الأخوة فيما بينهم، كلّ كان يسعى لجعلها في أبنائه، مع ملاحظة أنّه لم يتحقّق للوليد ما تحقّق لوالده، إذ لم يمت سليمان بل مات الخليفة، وذهب جهده وخصامه مع أخيه سدى، والأكثر من ذلك أنّ نتائج هذه المحاولات أثّرت سلبا على مستقبل الدّولة، لاسيما في الأقاليم الشّرقيّة[5].

- كتابة سليمان بولاية العهد لعمر بن عبد العزيز :

---

[1] _كان ذلك سنة 96هـ أنظر تاريخ الطبري ،ج6 ، ص498 .

[2] _هو عبّاد بن زياد بن أبي سفيان من أهل البصرة، قدم دمشق غير مرّة وشهد وقعة مرج راهط مع مروان، ولاّه معاوية سجستان نحو سبع سنوات بعد عزل عبيد الله بن أبي بكرة، فتح فتوحا عديدة بالهند، وبقي عليها إلى أن مات معاوية، كانت وفاة عبّاد سنة 100هـ بجَرُود من عمل دمشق. ابن عساكر: المصدر السابق، ج26، ص227-234، المزّي: تهذيب الكمال، ج14، ص118-122.

[3] _في تجارب الأمم "يأمره بالمسير إليه " .

[4] _البلاذري: أنساب الأشراف، ج8، ص87، تاريخ الطبري، ج6، ص499، مسكويه: تجارب الأمم، ج2، ص281 ، ابن الجوزي: المنتظم، ج7، ص12، ابن الأثير: الكامل، ج4، ص292.

[5] _ناظم ظاهر: محاولة تغيير ولي العهد، ص239، وانظر الفصل الثّالث من الباب السّادس.

-43 -

عن سهيل بن أبي سهيل عن رجاء بن حيوة وزير عمر قال : «لمّا كان يوم الجمعة لبس سليمان بن عبد الملك ثيابًا خُضرًا، فخرج إلى الصّلاة فصلّى بالنّاس، فلم يرجع حتّى وعك، فلمّا ثقل عهد في كتاب كتبه لبعض بنيه وهو غلام لم يبلغ، فقلت: يا أمير المؤمنين إنّ ممّا يحفظ الخليفة في قبره أن يستخلف على المسلمين الرّجل الصّالح، فقال سليمان:

أنا أستخير الله وأنظر فيه، ولم أعزم عليه، قال: فمكث يومًا أو يومين ثمّ خرّقه فدعاني، فقال: ما ترى؟، قلت: رأيك يا أمير المؤمنين- وأنا أريد أن أنظر من يذكر- قال كيف ترى في عمر بن عبد العزيز، فقلت أعلمه والله خيّرًا فاضلا مسلمًا، فقال: هو والله على ذلك، ثمّ قال: والله لئن ولّيتُه، ولم أولّ أحدًا، سواه ليكوننّ فتنة، ولا يتركونه أبدًا يلي عليهم، إلاّ أن يُجعل أحدهم بعده، ويزيد بن عبد الملك غائب على الموسم، قال: فيزيد بن عبد الملك أجعله بعده، فإنّ ذلك ممّا يسكنهم، ويرضون به، قلت رأيك، قال فكتب:

بسم الله الرّحمان الرّحيم، هذا كتابٌ من عبد الله سليمان بن عبد الملك لعمر بن عبد العزيز إنيّ قد ولّيتُه الخلافة من بعدي، ومن بعده يزيد بن عبد الملك فاسمعُوا له وأطيعوا، واتّقوا الله، ولا تَختلفوا[1] فيُطمع فيكم»[2].

تلك هي الرّسالة التّي عهد فيها سليمان لعمر بن عبد العزيز، باقتراح وتأثير من وزيره ومستشاره رجاء بن حيوة الكندي ، وترك سليمان قبل وفاته الكتاب عند رَجاء ،فكتمه ودخل المسجد بعد وفاة سليمان، فجمع النّاس وأخذ البيعة لعمر بن عبد العزيز[3].

وبعد استعراضنا لأثر رجاء في استخلاف عمر يتّضح لنا أمران: أوّلهما إحتلال رجاء مكانة كبيرة عند سليمان، فقد تفرّد بالجلوس معه في خلواته، ويختصّ بأسراره، ويشير عليه في أخطر أمر في الدّولة، فأمام رجاء تضاءلت مكانة أفراد البيت الأموي، والقادة العسكريّين وكل الإداريين في الدولة، «وأيّ مكانة أكبر

---

[1] _ نهاية رواية اليعقوبي .

[2] _ الطبقات الكبرى، ج7، ص330، تاريخ اليعقوبي، ج2، ص301، تاريخ الطبري، ج6، ص551، مسكويه: تجارب الأمم، ج2، ص304، ابن الجوزي: سيرة عمر، ص47، ابن الأثير: الكامل، ج4، ص 313، ابن كثير: البداية والنّهاية، ج9، ص150، أحمد زكي: جمهرة رسائل، ج2، ص265.

[3] _ابن سعد: المصدر السابق، ج5، ص335-337، البلاذري: أنساب، ج8، ص116، ابن الجوزي: سيرة عمر، ص57.
A.F.L._Beeston: Arrabic literature, p293.

من أن يصير أمر الخلافة والدّولة بين كفَّيْ رجاء، في كتاب لا يدري سواه ما فيه غير الخليفة، ولذا قيل ما نعلم أحدًا جازت شهادته وحده إلاّ رجاء بن حيوة، أي أنّه صدق على عهد عمر بن عبد العزيز وحده»[1].

والأمر الثاني الذي يظهر لنا هو ما يتمتّع به رجاء من حنكة سياسيّة، وحكمة في تنفيذ الأمور المهمّة، ويتجلّى ذلك من خلال نجاحه في كتمان الأمر حتّى عند أشدّ النّاس له محبّة عمر بن عبد العزيز، وقد أسهم هذا الموقف من رجاء في نجاح الأمر وإنفاذِه[2].

ثـــانيا: الـــــرّسائل المتعلّقة بإيفاد شخصـــيّات إليهم:

-رسالة معاوية إلى زياد ليبعث إليه أبناءه:

-44-

قال البلاذري: «كتب معاوية إلى زياد:

أن أوفد إليّ بنيك من معاذة العقيليّة [3]وهم عبد الرّحمان[4] ومغيرة ومحمّد[5] وكن معهم ، ففعل» [6].

هكذا جاء في المصدر ذكر بقائمة هؤلاء الأبناء، ولا ندري أهذا توضيح وزيادة من الراوي أم هو جزء من رسالة معاوية، إذ لم يكن هناك داعٍ أن يذكرهم بأسمائهم ما دام خصّص له بقوله أبناء معاذة العقلية، فما حاجته أن يذكر أسماءهم؟

---

[1]-عبد الله بن عبد الرحمن: أثر العلماء في الحياة السياسية ، ص153، 154.

[2]-المرجع نفسه، ص154، 155.

[3] _هي مُعاذة العقيلية بنت عبد الله، أمّ الصّهباء العابدة البصريّة تزوّجها زياد ثم بعد وفاته سنة 53هـ تزوجها صلة بن أشيم، قتلت مع ابنها في بعض الحروب سنة 83هـ . الذهبي: سير، ج4، ص508، تاريخ الإسلام، ج3، ص79.

[4] _عبد الرحمان بن زياد بن عبيد أخو عبيد الله، أحد الأجواد قدم على معاوية فولاّه خراسان، ثم وفد على يزيد، كان ضعيفا لم يغزُ عزوة واحدة، وقد أقام بخراسان سنتين، فعزله يزيد، ولّى سلم بن زياد. ابن عساكر: المصدر السابق، ج34، ص342-344.

[5] _ ذكر ابن عساكر أنّ إخوة عبد الرّحمان، هم عبد الله وسالم وعبّاد فقط. انظر: ج34، ص342، أمّا محمد بن زياد فهو بن زياد بن عبيد الله بن الربيع بن زياد بن أبيه ولد حوالي 160هـ، وذكره وكيع فيمن تولى قضاء الأهواز. وكيع أخبار القضاة، ص296، الذهبي: سير، ج11، ص154، 155.

[6] _أنساب الأشراف، ج5، ص231 .

فلّما بعثهم إليه: زوّج عبد الرّحمان فاختة بنت عتبة [1]بن أبي سفيان، وزوّج المغيرة ابنة المهاجر بن طليق[2] بن سفيان بن أميّة، وزوّج محمد ابنته صفيّة بنت معاوية[3] وقال: أما إنّها أحسن بناتي، فقال زياد: وهو أحسن بنيّ[4].

إن هذه المصاهرة من معاوية لزياد كانت تودّداً له ليضمن ولاءه وبقاء خدماته ووفائه، فأراد أن يقوّي الصّلة، ويمتّن الميثاق، خاصّة وأنّ زياد يعتبر السّاعد الأيمن لمعاوية في إقليم كثير الإضطراب.

- رسالة معاوية إلى زياد ليبعث إليه ابنه عبيد الله:

-45-

عن ثابت بن عبد الرّحمان قال :«كتب معاوية بن أبي سفيان إلى زياد:

إذا جاءك كتابي هذا فأوفد إليّ ابنك عبيد الله.

فأوفده عليه، فما سأله عن شيء إلاّ أنفذه له، حتّى سأله عن الشّعر فلم يعرف منه شيئا، قال: ما منعك من روايته، قال: كرهت أن أجمع كلام الله وكلام الشيطان في صدري، فقال: أغرب! والله لقد وضعت رجلي في الرّكاب يوم صفيّن مرارًا ما يمنعني من الإنهزام إلى أبيات [الوافر] [5]:

أبتْ لي عفّتي وأبى بلائي ... وأخذي الحمد بالثّمن الرّبيحِ

وإعطائي على الإعدام مالي ... وإقدامي على البطل المشيحِ[6]

وقولي كلّما جَشأت[7] وجاشت ... مكانَك تُعذري أو تستريحي

لأدفع عن مآثر صالحاتٍ ... وأحمـي بعدُ عن أنف صحيحِ» [8].

---

[1] _أبوها عتبة بن أبي سفيان بن حرب أخو معاوية، تاريخ خليفة، ص127.

[2] _لم نحصل له على ترجمته.

[3] _هي صفية بنت معاوية بن أبي سفيان، أمها أم ولد تزوجها محمد بن أبي سفيان، ابن عساكر: المصدر السابق، ج69، ص242.

[4] _البلاذري: أنساب، ج5، ص231.

[5] _الأبيات لابن الأطنابة الشّاعر.انظر أبو علي القالي: الأمالي، ج1، ص258.

[6] _المَشيح هو الجدّ الحذر. لسان العرب، مج4، ص2372، مادة شيح.

[7] _جشأت نفسه أي نهضت إليه من حزن أو فزع، وجشأت ثارت ونهضت من مكان إلى مكان. لسان العرب، مج1، ص625، مادة جشأ، مرتضى الزبيدي: تاج العروس، ج1، ص176، مادة جشأ.

[8] _ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج37، ص437، 438، ابن منظور: مختصر، ج15، ص312، وعند الذّهبي :"أن أوفد عليّ ابنك عبيد الله ". تاريخ الإسلام، ج2، ص435 وذكر تتمه القصة كما عند ابن عساكر ولم يثبت البيت الأخير، السّيوطي: المزهر في علوم

-رسالة يزيد إلى عبيد الله ليبعث له ابن همّام السّلولي:

-46-

عن أبي أيوب القرشي قال: لمّا قدم يزيد بن معاوية إلى الشّام بعد وفاة معاوية كتب إلى ابن زياد:

« **أن احمِل إليّ ابن همّام السّلولي**[1]، وكان قد وجد عليه في قصيدته التي يقول فيها:

حُشينا الغيظ حتى لـــو شربنا دمـــاء بني أميّة ما روِينا »[2].

فلمّا بلغ الخبر إبن همام هرب، وقدم على يزيد بعد ذلك فعزّاه عن معاوية وهنّأه بالخلافة واستجار به فعفا عنه[3].

تلك هي الصرامة التي حاول يزيد وبني أمية إظهارها، تجاه كل من تسوّل له نفسه الإساءة إليهم وإلى آل بيتهم سواء كان ذلك بالفعل أو القول: بخلاف معاوية الذي كان يترك لهم المجال لأن يقولوا ما يشاؤون ما لم يتحول قولهم إلى فعل[4].

- رسالة يزيد إلى ابن همّام السّلولي في العفو عنه:

- 47 -

وقال عوانة: «**كتب يزيد لابن همّام بالرّضا عنه وبجائزة** ، فبسطه وآنسه وأطلق عريفه[5]، وكان حبسه إذ لم يعد همام إليه ليتولى حمله إلى يزيد وهرب»[6]

وأمر يزيد كاتبيه أن يدفعا إليه جائزته، فأكرماه[7].

- رسالة يزيد إلى عبد الله بن جعفر أن يبعث له جارية:

-48-

اللغة، ج2 ، ص266 .

[1] _سبقت ترجمته في التمهيد.

[2] _البلاذري: أنساب، ج5، ص306.

[3] _المصدر نفسه، ص306.

[4] _انظر المبحث الرابع من هذا الفصل لمعرفة حلم معاوية.

[5] _عريف القوم سيّدهم ، والعريف القيّم والسّيّد لمعرفته سياسة القوم. لسان العرب، مج4 ، ص2899، مادة عرف.

[6] _البلاذري : أنساب ، ج5 ، ص307 ..

[7] _المصدر نفسه ، ص307.

[رسالة يزيد]: قال عبد الله بن جعفر فيما يرويه عن والده: «بلغ يزيد أنّ لعبد الله بن جعفر جارية ذات جمال وحسن صورة، فكتب إلى مولاها عبد الله بن جعفر:

إمّا أهديتَها إليَّ وإمّا بعتها بحُكمك».

[ردّ عبد الله بن جعفر]: « إنّها لا تخرج عن ملكي ببيع ولا هبة فبذل له فيها من المال ما لم يكن في حسبانه فأبى عليه» [1].

هذا هو حال يزيد بن معاوية، اللّهو والمجون والسّعي وراء الجواري وبذل المال في سبيل ذلك، وهذا ما جلب له الويلات والسّخط، فكانت تلك ورقة في يد خصومه ألّبوا بها عليه النّاس.

- رسالة عبد الملك إلى الحجّاج أن يختار له رجلا ليساهره :

- 49 -

[رسالة عبد الملك] قال أبو حيّان التّوحيدي: كتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج:

« إذا قرأت كتابي هذا فاطلب لي رجُلاً يحبّ أن يعدل في النّصيحة، وينصف في المودّة، سيماه سيما الشيوخ، وقلبه قلب الفتيان، وعقله عقل الكهول، لا يُغابن [2] من يواصل، ولا يرائم [3] من يخالل، أحبُّ الأشياء إليه الأثرة، وأحسن الأشياء عنده حسن المؤازرة، معروف في القلوب بالصّدق، مُقدّم في النفوس بالأمانة» [4]

[ردّ الحجّاج] :فكتب إليه الحجاج: «يا أمير المؤمنين، هذه شهوة خفية لا توجد أبداً، فاسلُ [5] عنها، والسلام» [6].

- رسالة عبد الملك إلى الحجّاج ليبعث له عالما يستأنس به:

- 50 -

كتب عبد الملك بن مروان إلى الحجّاج:

---

[1] _ ابن عبد ربّه: العقد الفريد، ج7، ص59.

[2] _نقول غابن أي ضيّع وأغفل ، والغبن النّسيان والوكس، والغابن الفاتر. لسان العرب، مج 5 ، ص3211، مادة غبن.

[3] _نقول رائم ورؤوم ورئم أي عطف ولزم. لسان العرب، مج3 ، ص 1536، مادّة رأم.

[4] _البصائر والذّخائر، ج1 ،ص 174.

[5] _أسلُ عنه أي انسه، ويقال سلا عنه أي نسيه، ومنه إنسلا الهمّ أي ذهب وانكشف. لسان العرب، مج 3، ص2085، مادة سلا.

[6] _أبو حيّان التّوحيدي: المصدر السّابق، ج1 ، ص 174.

«أنظر لي رجلًا عالمًا بالحلال والحرام عارفا بأشعار العرب وأخبارهم أستأنس به وأصيب عنده معرفة، فوجّهه إليّ قِبلك.

فوجه إليه الشّعبي[1] وكان أجمع أهل زمانه.

قال الشّعبي: فلم ألقَ واليا ولا سوقة إلاّ وهو يحتاج إليّ، ولا أحتاج إليه ما خلا عبد الملك ما أنشدته شعرًا، ولا حدّثته حديثا إلا وهو يزيدني فيه» [2].

رواية أخرى لما سبق

50-أ-

أما ابن عبد ربه فذكر باختلاف عمّا سبق قال: «كتب عبد الملك إلى الحجاج بن يوسف: **أن ابعث إليّ رجلا يصلح للدّين والدّنيا أتّخذه سميرًا وجليسًا وخليًّا»** [3].

فقال الحجاج ما له إلاّ عامر الشّعبي، وبعث به فلمّا دخل عليه وجده مهموما، فقال ما بال أمير المؤمنين، قال ذكرت قول زهير [4]:

كأنّي وقد جاوزت سبعين حـــــــجّة ... خلعت بها عن عُذار لجامِي[5].

رمتني بناتُ الدّهر من حيث لا أرى ... فكيف لمن يُرمَى وليس برامِي

فلو أنّني أُرمى بنبل رأيتها[6] ... ولكـــــنّني أرمى بغير سهامِ

على الرّاحتين تارة وعلى العـــــــصا ... أنوء[7]ثلاثا بعدهنّ قـيامي[1].

---

[1] _هو عامر بن شراحيل بن عبد الهمذاني، ولد في إمرة عمر بن الخطاب، لستّ سنين خلت منها، وقيل ولد سنة 21هـ وكانت أمه من سبي جلولاء، أصله من حمير وعداده في همذان، سكن الكوفة، وكان واسع العلم، سمعه من كثير من الصحابة، وجهه عبد الملك إلى ملك الرّوم رسولا، وخرج بعدهامع القراء على الحجاج، مات سنة 103 وقبل 104 وقيل 105 هـ عن 77 سنة. ابن عساكر: المصدر السابق، ج25، ص335، الذهبي: سير، ج4، ص294-318، تاريخ الإسلام، ج3، ص278-281.

[2] _ ياقوت الحموي: معجم الأدباء ،ج3، ص33.

[3] _ العقد الفريد، ج1، ص326 .

[4] _ بل الأبيات لعمرو بن قميئة انظر ديوانه ص44-46.

[5] _ العُذار من اللّجام ما سال على خدّ الفرس، وعذار اللّجام ما وقع منه على خدّي الدّابة، وقيل اليسير الذي عند القفى. لسان العرب، مج4، ص2857، مادة عذر.

[6] _ في الدّيوان "فلو أنّها نبل إذا لاتّقيتها".

[7] _ أنوء من النّوء وهو النّهوض بشدّة ومشقّة، وقيل أُثقل فسقط. لسان العرب، مج6، ص4566، مادة نوأ.

وقال له: «يا شعبي لا تساعدني على ما قبح، ولا تردّ عليّ الخطأ في مجلس...واجعل بدل المدح لي صواب الإجتماع مني...وإذا سمعتني أتحدّث فلا يفوتنك منه شيء، وأرني فهمك من طرفك وسمعك...وإنّ أسوأ الناس حالا منهم من استخفّ بحقّهم» [2].

لم يجد عبد الملك لذة تفوق مجالسة العلماء ومحادثتهم، ورغب أن يكون الشعبي له أنيسا ليزوّده بالنصح، والإرشاد، وقد طلب منه ألاّ يساعده على قبح[3].

رواية أخرى لما سبق

-50- ب

وقال أبو عبيدة: «كتب عبد الملك إلى الحجاج :

أبغني رجلا جامعا للعلم والفقه ، عاقلا لبيبا فاضلا في أخلاقه ومروءته، يكون مع ولده »[4]

فلما أتاه الكتاب بعث إليه بعامر الشّعبي .

رواية أخرى لما سبق

-50-ج

و عن عبد الملك بن مسلم قال: «كتب عبد الملك إلى الحجاج:

إنه ليس شيء من لّذة الدّنيا إلاّ وقد أصبتُ منه، ولم يكن عندي شيء ألَذُّه إلا مُناقلة الإخوان للحديث وقِبلك عامر الشّعبي، فابعث به إليّ يحدثّني» [5].

تختلف هذه الرواية عن سابقاتها من الرّوايات، فعبد الملك هنا حدّد له الرّجل المطلوب ألا وهو عامر الشّعبي، بخلاف الرّوايات السابقة التي لم تذكر ذلك، وإنّ تقارب ألفاظ هذه الرسالة مع السّابقة وكذا

---

[1] _ ابن عبد ربّه ، المصدر السابق، ج1، ص326.

[2] _ المسعودي : مروج الذهب، ج3، ص37.

[3] _ إبراهيم خليل: الخليفة عبد الملك، ص125.

[4] _ ابن عساكر : تاريخ دمشق ،ج 25 ، ص 384 .

[5] _ الأصفهاني: الأغاني، ج8، ص3687.وعند اليعقوبي:"**كتب إلى الحجاج بأن يشخص له الشّعبي**".تاريخ اليعقوبي،ج2، ص279

هدفها والشخصيّة التي أرسلت جعلنا نرّجّح بأنّها رواية أخرى للسّابقة .

ولقد زاد صاحب الأغاني تأكيداً على غاية عبد الملك إذ ذكر أنّه كان يسأل الشّعبي عن الشّعراء وعن الحجّاج فيحدثه الشّعبي، وقد عهد إليه عبد الملك أيضا تعليم أبنائه وتخرجيهم[1].

فعبد الملك كغيره من الخلفاء الذين كانوا حريصين على فصاحة أبنائهم، جعلوا ينشئونهم على ذلك، ويعهدون بتربيتهم وتعليمهم إلى طبقة من العلماء والمؤّدبين، يثقفونهم باللّغة والشعر والتّاريخ والأنساب[2].

- ردّ عبد الملك على أخيه عبد العزيز حين طلب منه إرسال الشّعبي إليه:

-51-

عن أبي سعيد بن يونس قال : قدم الشّعبي الشام على عبد الملك بن مروان ،« وقدم إلى مصر رسولا من عبد الملك بن مروان إلى أخيه عبد العزيز ،ويقال بل بلغ عبد العزيز براعته وعقله وطيب مجالسته ، فكتب إلى أخيه عبد الملك أن يؤثره الشّعبي ، ففعل وكتب إليه :

إنّي آثرتك به على نفسي فلا يلبث عندك إلا شهرا أو نحو شهر .

فأقام بمصر عند عبد العزيز نحو أربعين يوما ، ثمّ ردّه إلى أخيه عبد الملك»[3].

- رسالة عبد الملك إلى الحجّاج يطلب منه أن يبعث له رجلا يبعثه لملك الرّوم:

-52 -

قال سهم الفرائضي : «**كتب عبد الملك بن مروان إلى الحجّاج بن يوسف:**

أن ابعث إليّ رجلا عالما أبعثه إلى ملك الروم»[4].

فبعث إليه معبدا[5].

---

[1] _الأصفهاني، ج8، ص3691-3694.

[2] _أحمد محمد الحوفي: أدب السّياسة، ص270.

[3] _ابن عساكر: المصدر السّابق ،ج25 ،ص342.

[4] _المصدر نفسه ،ج 59 ، ص313.

[5] _هو معبد بن عبد الله بن عويمر ويقال معبد بن خالد الجُهني، من أهل البصرة ،كان من الفقهاء وهو أوّل من تكلّم في القدر بالبصرة ، سمع الحديث من ابن عباس وغيره، استقدمه عبد الملك إلى دمشق ليبعثه إلى ملك الرّوم، ثمّ جعله مع ابنه سعيد بن عبد الملك يعلّمه ويؤدّبه، وانتقل من البصرة إلى المدينة فنشر مذهبه، وعنه أخذ غيلان، وخرج مع ابن الأشعث على الحجّاج فقتله سنة 80 هـ، وقيل سنة 83 هـ، وقال خليفة: توفّي بعد الثّمانين وقبل التّسعين. تاريخ خليفة، ص192، البخاري: التّاريخ الصّغير، ج1 ، ص236، ابن عساكر: المصدر السّابق، ج 59، ص 312 ، 326، المزّي: تهذيب الكمال، ج28، ص244 ، 248، ابن حجر: تهذيب التّهذيب، ج، ص 116، الذّهبي: ميزان الإعتدال، ج4، ص141، الزّركلي: الأعلام ج7 ، ص 264.

-رسالة عبد الملك إلى الحجّاج ليبعث له كاتبه محمّد بن يزيد الأنصاري:

-53 -

قال علي: « كتب الحجّاج إلى عبد الملك يشير عليه أن يستكتب[1] محمد بن يزيد الأنصاري[2] وكتب إليه: إذا أردت رجلاً فاضلا وديعا مأمونا مسلما كتوماً [للسّر] [3] تتّخذه لنفسك وتضع عنده سرّك، وما لا تحّب أن يظهر [من أمرك] [4] فاتّخذ[5] محمّد بن يزيد، فكتب إليه عبد الملك: [أن] [6] **احمله إليّ** ، فحمله إليه فاستكتبه » [7].

فاتّخذه عبد الملك كاتبا، وكان ممن أشار على عبد الملك بتولية العهد للوليد بعد موت أخيه عبد العزيز[8].

- رسالة عبد الملك لعبد الله بن جحش في القدوم عليه:

-54-

عن محمد بن عبد الله قال: «كان عبد الملك معجبا بشعر عبد الله بن جحش[9] ، **فكتب إليه يأمره بالقدوم عليه** ، فورد كتابه وقد توفي، فقدم ابنه على عبد الملك، فسمع منه شعر أبيه، ثم قال له لمّا لم يُكمل شعر أبيه: أفٍّ لك، ورحم الله أباك، قد ضيّعت أدبه إذ لم ترِوِ شعره، أخرج فلا شيء لك عندنا» [10].

- كتاب عبد الملك إلى نجدة الخارجي يسأله أن يطلق سراح أحد بنات عثمان ويبعثها إليه:

-55 -

---

(1) _بداية رواية البلاذري :"وكان الحجّاج كتب إلى عبد الملك يشير عليه باستكتاب محمد بن يزيد...".

(2) _سبقت ترجمته في الرسالة رقم 34 – ب-.

(3) _إضافة من أنساب الأشراف وفي تاريخ الطّبري ناقصة.

(4) _إضافة من أنساب الأشراف.

(5) _في أنساب الأشراف" فاستكتب".

(6) _إضافة من أنساب الأشراف.

(7) _ تاريخ الطبري، ج6، ص414- 415 ، أنساب الأشراف، ج7، ص255،.

(8) _الطبري: المصدر السابق، ج6، ص415.

(9) _عبد الله بن جحش: كان شاعرا محسنا بالمدينة تيّم بالصهباء وذكر أبو الأفرج الأصفهاني شيئا من أخباره. أنظر الأغاني، ج14، ص4761، 4762.

(10) _أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني، ج14، ص6762.

قال البغدادي: «بعث نجدة[1] جيشا فأغاروا على مدينة رسول الله ﷺ ، وأصابوا منها جارية من بنات عثمان بن عفّان[2]، **فكتب إليه عبد الملك في شَأنها** فاشتراها من الذّي كانت في يده، وردّها إلى عبد الملك، فقالوا(يقصد أتباع نجدة): إنك رددت جارية لنا على عدوّنا، ونقموها عنه وخلعوه» [3].

- رسالة الوليد إلى عامله بمكة ليبعث له ابن سَريج الشّاعر:

-56 -

قال حمّاد فيما يرويه عن أبيه عن جدّه ابراهيم قال: «كتب الوليد إلى عامل مكة:

أن اشخص إليّ ابن ســـريج[4] » [5].

وابن سريج هذا من الشّعراء المغنّين، فلمّا استدعاه قال له: لقد بلغني عنك، ما حملني على الوفاء بك، من كثرة أدبك، وجودة اختيارك مع ظرف لسانك، وحلاوة مجلسك، وطلب منه شعراً فأسمعه وأطربه[6].

-رسالة سليمان إلى عامله بالأردن ليبعث له عدي بن الرّقاع:

-57 -

قال ابن عبد ربّه: «لمّا ولي سليمان بن عبد الملك كتب إلى عامله بالأردن[7]:

اجمع يدي عدي بن الرّقاع[8] إلى عنقه، وابعث به إليّ على قتب[9] بلا وطاء[1]، ووكّل به من

---

[1] _سبقت ترجمته في التمهيد.

[2] _لعلّها أمّ البنين بنت عثمان وأمها أم ولد، وهي التّي كانت عند عبد الله بن يزيد بن أبي سفيان. انظر ابن سعد: الطبقات، ج3، ص52.

[3] _الفرق بين الفرق، ص82.

[4] _هو عبيد الله بن سريج، ويُكنّى أبا يحي مولى بني نوفل بن عبد مناف، كان مخنّثا أحول أعمش، غنّى في زمن عثمان، ووفد على الوليد فأكرمه، ومات بالعلّة في آخر خلافته، وقيل في خلافة سليمان. أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ج1، ص203، 204، ابن عساكر: المصدر السّابق،ج38، ص195 ،201.

[5] _الأصفهاني: المصدرالسابق، ج1، ص246، ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج38 ، ص195.

[6] _ الأصفهاني: المصدرالسابق، ج1،، ص246.

[7] _كان سليمان ولى صالح بن عبد الرّحمان بن قيس الأردن ثم ولاها يزيد بن المهلب أخاه زياد بن المهلب والرواية لم تذكر لنا أي واحد منها بعث إليه سليمان. انظر تاريخ خليفة، ص204.

[8] _هو عدي بن الرّقاع من قضاعة وكان ينزل بالشّام، كان شاعراً محسنا. ابن قتيبة: الشّعر والشّعراء، ج2، ص74.

[9] _القَتَب إكاف البعير، وهو أيضا رحل صغير على قدر السّنام. لسان العرب، مج5، ص3523، مادة قتب.

ينخّس[2] **به** ففعل ذلك» [3].

لمّا وصل إليه أُلقي بين يديه إلقاءً لا روح فيه، فتركه حتّى ارتدّت إليه روحه ثم قال له: « أنت أهل لما نزل بك، ألست القائل في الوليد:

معــاذ ربيّ أن نبقى ونفقده وأن نكون لــراع بعده تَبعا

قال: والله يا أمير المؤمنين، ما هكذا وإنّما قلت:

معاذ ربيّ أن نبقى ونفقــده وأن نكون لراع بعدهم تبعا

فنظر إليه سليمان، وأمر بصلته وخلّى سبيله» [4].

فهذا موقف سليمان ممّن أيّد الوليد في خلعه من ولاية العهد ، فأخذ سليمان بحقه من كل من أساء إليه، ولم يرغب في خلافته.

ثالــثا: الرّسائل المتعلّقة بأحوالهم الشّخصيّة وحاجاتهم وحاجات أبنائهم:

-كتاب معاوية إلى والي مصر بسلامته:

-58 -

قال سعد القصير[5]: « احتبست عنّا كتب معاوية حين أرجف[6] أهل مصر بموته، ثمّ **قدم علينا**

---

[1] _فراش وطيء أي مريح لا يؤذي. لسان العرب، مج6، ص4863، مادة وطأ.

[2] _نخّس الرّجل هيّجه وأزعجه، وطرده من البلد، لسان العرب، مج6، ص4377، مادة نخس.

[3] _العقد الفريد، ج2، ص51، محمد ماهر حمادة: الوثائق، ص412، أحمد زكي: جمهرة رسائل، ج2، ص257.

[4] _ابن عبد ربّه: المصدر السابق، ج2، ص51، 52.

[5] _سعد القصير كان نسّابا ملازما لعتبة وتولّى أمواله بالحجاز، كان عم أبي الأعور السلمي، وعنه أخذ العتبي أخبار أهله ومناقبهم. ابن النديم: الفهرست، ج3، ص284، ابن عبد ربه: المصدر السابق، ج2، ص351، ج4، ص224.

[6] _أرجف القوم إذا خاضوا في الأخبار السّيئة والفتن، والمرجفون هم الذين يؤكدون أخبارا كاذبة تحدث اضطرابا في النّاس. لسان العرب، مج3، ص1596، مادة رجف.

كتابه بسلامته» [1].

هذا ما جاء في الرّواية التّي تذكر لنا نص الرّسالة، ويبدو أنها رسالة بيّن فيها معاوية لأهل مصر بأنّه لا يزال حيّا يُرزق، وأنّه بصحة وعافية، والظاهر أنّ أهل مصر أرادوا تهوين الخلافة، وإظهار المنازعة، لذلك أشاعوا موت معاوية، وهذا ظاهر في خطبة عتبة حين وصل كتاب معاوية بسلامته، فقد صعد المنبر وخطب: «يأ أهل مصر، قد طالت معاتبتنا إيّاكم بأطراف الرّماح...أفحين اشتدت عُرى الحقّ عليكم عُقدا، واسترخت عقد الباطل منكم حلاّ، أرجفتم بالخليفة، وأردتم تهوين الخلافة، وخضتم الحق بالباطل، وأقدم عهدكم به حديث، فاربحوا أنفسكم إذا خسرتم دينكم، فهذا كتاب أمير المؤمنين بالخبر السّار عنه، والعهد القريب منه، واعلموا أن سلطاننا على أبدانكم دون قلوبكم، فأصلحوا لنا ما ظهر نكِلكم إلى الله فيما بطن...» [2].

فمصر لم يكن سكّانها كلّهم أمويّوا النّزعة، بدليل أنّه بعد موت معاوية بن يزيد كان في صّف ابن الزّبير إلى أن أعاده مروان[3].

-رسالة معاوية إلى زياد يحثّه على الإعتراف بنسبة نسبه إلى أبي سفيان:

-59-

[رسالة معاوية]: قال بن أبي الحديد: أرسل معاوية مع المغيرة إلى زياد بن أبيه:

«**من أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان أمّا بعد: فإنّ المرء ربّما طرحه الهوى في مطارح العَطب، وإنّك لَلمرءُ المضروب به المثل، قاطع الرّحم، وواصل العدوّ، وحملك سوء ظنّك بي، وبغضك لي على أن عققت قرابتي، وقطعت رحمي، وبنت[4] نسبي وحرمتي، وحتّى كأنّك لست أخي، وليس صخر بن حرب أباك وأبي، وشتّان ما بيني وبينك، أطلب بدم ابن أبي العاص وأنت تقاتلني، ولكن أدركَك عِرق الرّخاوة من قِبل النّساء، فكنت كتاركةٍ بيضها بالعراء، ومُلحفة بيض أخرى جناحا[5]، وقد رأيت أن أعطف عليك، ولا أواخذك بسوء سعيك، وأن أصل رحِمك، وابتغي**

---

[1] _ابن عبد ربه: المصدر السابق، ج4، ص223.

[2] _المصدر نفسه، ص223.

[3] _انظر التهيمد.

[4] _من البون وهو البعد والمسافة بين الشيئين. لسان العرب، مج1، ص391، مادة بون.

[5] _هذا نثر لأبيات ابن هرثمة التّي يقول فيه:

وإنّي بتركي ندى الأكرمين وضربي بكفّي زناداً شحاحاً

الثّواب في أمرك، فاعلم أبا المغيرة أنّك لو خُضت البحر في طاعة القوم، فتضرب بالسّيف حتّى ينقطع متنه لما ازددت منهم إلاّ بعداً ، وأنّ بني عبد شمس أبغض إلى بني هاشم من الشفرة إلى الثّور الصّريع، وقد أُوثق للذّبح، فارجع رحمك الله إلى أهلك، واتّصل بقومك ولا تكن كالموصَل بريش غيره، فقد أصبحت ضالّ النّسب، ولعمري ما فعل ذلك بك إلا اللّجاج[1]**، فدعه عنك فد أصبحت على بيّنة من أمرك، ووضوح من حجّتك، فإن أحببت جانبي، ووثقتَ بي فإمرة بإمرة، وإن كرهت جانبي ولم تثق بقولي، ففعل جميل لا لي ولا عليّ والسّلام»** [2].

[جواب زياد]: «أمّا بعد، فقد وصل كتابك يا معاوية مع المغيرة بن شعبة، وفهمتُ ما فيه، فالحمد لله الذي عرّفك الحقّ، وردّك إلى الصّلة، ولست ممّن يجهل معروفاً ، ولا يُغفل حسباً ، ولو أردتُ أن أجيبك بما أوجبته الحجّة، واحتمله الجواب لطال الكتاب، وكثر الخطاب، ولكنّك إن كنت كتبت كتابك هذا عن عقد صحيح، ونيّة حسنة، وأردت بذلك برّا، فتزرع في قلبي موّدة وقبولاً ، وإن كنت إنّما أردت مكيدة ومكراً ، وفساد نيّة، فإنّ النّفس تأبى ما فيه العطب، ولقد قمتُ يوم قرأت كتابك مقاما يعبأ به الخطيب المدره[3]، فتركت من حضر لا أهل ورد ولا صدر، كالمتّجرين بهمّة ضل بهم الدّليل، وأنا على أمثال ذلك قدير، وكتب أسفل كتابه...

فإن تدنُ منّي أدنُ منك وإن تبِن تجدني إذا لم تدنُ منّي نائيا» [4].

تلك هي رسالة معاوية إلى زياد وذلك هو رد زياد عليه، وتلك هي سياسة معاوية في استقطاب الأكفاء، وترويض المعاندين، فهل حقّا أنّ زياد هو ابن أبي سفيان؟

الحقيقة أنّ زياد هو ابن عبيد وأمّه سميّة جارية الحارث بن كلدة الثقفي طبيب العرب، وكان يُقال له زياد بن أبيه، ويقال له زياد الأمير[5]، لذا فإن معاوية إدّعاه وألحقه بنسبه فقط من أجل أن يحظى بخدماته، فقد كان زياد من الأشخاص الذّين لا يُستمالون بالمال أو الجاه، لأنّه كان واليا على فارس كلّها، ولم يكن يرضِيه الكلام المعسول وحده، فرأى معاوية أن يستميله بأن يمحو عنه عار النّسب المدخول، فألحقه بنسبه،

كتاركة بيضها بالعـــــراء وملبسة بيض أخــرى جناحا. أحمد محمد الحوفي: أدب السياسة، ص224، 225.

[1] _اللّجاج معناه الضّحك، وقيل المبالغة أيضا وثقل اللسان، ويطلق هذا أيضا على السيّف. لسان العرب، مج5، ص3999، مادة لجج.

[2] _شرح نهج البلاغة، ج4، ص805، 806، وروايته بلا سند، محمد ماهر: المرجع السابق، ص157.

[3] _المدرّة: السّيد الشريف والمقدم في اللّسان واليد عند الخصومة، وقيل هو رأس القوم والدافع عنهم. لسان العرب، مج2، ص1369، مادة دره.

[4] _ابن أبي الحديد: المصدر السابق، ج4، ص806، 807، محمد ماهر: المرجع السابق، ص158.

[5] _ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج19، ص164، 165، الذهبي: سير، ج3، ص494.

واعترف أن أمّه سميّة قد حملت من أبي سفيان[1]، وكان هذا الإلحاق سنة 44هـ كما تذكر المصادر[2]، وشهد على ذلك رجل أقرّ بأنّ أبا سفيان عاهرَ بسميّة في الجاهلية، وأنّها حملت هذا منه، وقد كان الحسن البصري ينكر ذلك[3] ويقول: قال رسول الله ﷺ: «الولد للفراش وللعاهر الحجر» [4].

لقد جرّب معاوية كل الطّرق من أجل ضمّ زياد إلى صّفه، ولكن زياد استمر على رفضه، وهذه هي الطريقة الوحيدة التي بقيت في يد معاوية، فكانت ورقته الرّابحة، ثمّ لعل زيادا أراد أن يظهر شأنه وقوّته لما رفض طلب معاوية في بداية الأمر، إذ كان يعلم أنّه في حصن آمن بفارس، وأنه لن يبدأ بالقتال قبل محادثات ومفاوضات تسبقه، وبإمكانه أن يلعب في تلك المفاوضات دوره، فلا بأس عليه إذن من بقائه متحصّنا فترة من الزّمن ثمّ يصالح معاوية بشروط حسنة يحصل عليها، فتوّسط المغيرة، ونجح معاوية في ضمّ زياد إليه[5] عن طريق استلحاقه بنسبه، وتسميته زياد بن أبي سفيان، فكان زياد هذا ً من أكبر أعوان معاوية، وله فضل كبير في تأييد هذه الدولة في العراق وإقليم المشرق عموما ً[6].

- كتاب معاوية إلى الآفاق باستلحاق زياد:

-60 -

قال ابن عساكر: «ذكروا أنّه لما ادّعى معاوية زياد **كتب بذلك إلى الآفاق**» [7].

هذا ما أوردته الرّواية التي لم تذكر لنا نصّ الرسالة، وكيف عبّر عن ذلك، وما هي طريقته التّي نقل بها إلى الجماهير قراره؟ فكيف كانت ردّه فعل الرّعيّة على مثل هذا الإدعاء؟.

أمّا موقف النّاس من هذا فقد عبّر عنه عبد الرّحمان بن أمّ الحكم[8] ، الذي عارض في شعره هذا

---

(1) _عمر فرّوخ: تاريخ صدر الإسلام، ص127.

(2) _انظر تاريخ خليفة، ص126، ابن كثير: البداية والنّهاية، ج8، ص24، حوادث سنة 44هـ .

(3) _ابن كثير: المصدر السابق، ج8، ص24، 25.

(4) _رواه البخاري: في صحيحه، كتاب الحدود، باب للعاهر الحجر، ص1686، رقم 6817 عن عائشة رضي الله عنها.

(5) _صالح محمّد: زياد بن أبيه، ص78، 79، وانظر المفاوضات بينهما: تاريخ اليعقوبي، ج2، ص218.

(6) _جرجي زيدان: تاريخ التمدّن، ج1، ص82.

(7) _تاريخ دمشق، ج3، ص314.

(8) _هو عبد الرّحمان بن أبي العاص بن أميّة بن عبد شمس أبو مطرف، ويقال أبو حرب، أخو مروان بن الحكم، سكن دمشق، كان مع

الإدّعاء ، وأكّد أنّ صخرا لم يدنُ من سمية، ولا قرابة بين معاوية وزياد، فكانت تلك ردة الفعل من مثل هذا القرار فغضب معاوية لذلك، وقال: لا أرضى عنه حتّى يرضى زياد، فقدم عبد الرّحمان على زياد ومدحه، فكتب زياد إلى معاوية برضاه[1].

هكذا سار معاوية في تنفيذ قراره، أو لنقُل على الأقل إقناع الطبقة الشعبيّة التّي سلمت بالأمر الواقع، ليُعرف بعدها زياد باسم زياد بن أبي سفيان، ونلاحظ أنّ بني أمية في البداية أنكروا إلحاق زياد بهم، وهو عامل من عمّالهم، واستاءوا من فعلة معاوية، وذلك لأنّ هذا الأمر يقلّل من هيبة آل أميّة، وخاصة مركز الخليفة معاوية الذي قبل بقول الفاحشة على أبيه[2].

ولا شكّ أنّ استلحاق زياد الذيّ تمّ زمن معاوية، كان له أثر كبير في تشويش نسبه، حيث اختلف النّاس في حكم الإستلحاق اختلافا كبيراً ، وبالتّالي فقد اختلف قولهم في نسب زياد، كلّ حسب ميوله واعتقاداته، وقد تُرجم هذا التّباين في المصادر ولدى المؤرّخين، ويزداد نسب زياد غموضا عند دراسة الرّوايات المتباينة عن تفاضيل حياة سميّة أمّ زياد ونسب أبنائها[3].

- رسالة معاوية إلى مروان بن الحكم ليبعث عبد الملك في فتوح المغرب:

-61 -

قال أبو خالد : «أغزى مسلمة بن مخلد معاوية بن حديج سنة 50هـ بلاد المغرب، وكتب معاوية بن أبي سفيان إلى مروان بن الحكم- عامله على المدينة- :

أن ابعث عبد الملك بن مروان على بعث المدينة إلى بلاد المغرب.

فدخل مع معاوية بن حديج إفريقيّة، فبعثه على خيل جلولاء [4]بأرض المغرب فحصر أهلها ونصب

عثمان يوم الدّار، أمه أم عثمان، وهي آمنة بنت علقمة بن صفوان، كان شاعرا، وكان مع مروان يوم مرج راهط. ابن عساكر: المصدر السابق، ج34، ص311-317.

[1] _المصدر نفسه، ص314.

[2] _سوسن عبّاس حسين: زياد بن أبيه، ص88.

[3] _صالح محمد: المرجع السابق، ص32.

[4] _جلولاء بافريقية بينهما وبين القيروان أربعة وعشرون ميلا، وهي مدينة قديمة مبنية بالحجر. معجم البلدان، ج2، ص156.

عليها المنجنيق» [1]، ثمّ صالحهم وانصرف سنة 51 هـ[2].

إنّ تاريخ هذه الحملة كما ذكرت الرّواية فيه نظر ،إذ أنّ الوالي في هذه الفترة كان عقبة بن نافع ،وإنما غزا معاوية بن حديج المغرب في حدود سنة 45 أو 47 هـ[3].

لقد كانت الفتوحات مسرَحا لتربية وتكوين أفراد البيت الأموي، وتهيئتهم لما ينتظرهم من مسؤوليات، وقد وقع إختيار معاوية على عبد الملك، ويبدو أنّه لم يكن موفقا في هذا الإختيار إذ كان عبد الملك حدثا في السنّ، في التاسعة عشر من عمره، لا عهد له بقيادة الجند، أو القيام بفتوح ذات خطر، وسنراه يفشل في فتح جلولاء، على رغم تداعي أسوارهاوتهدّمها[4].

- ردّ معاوية على عبد الله بن عامر يعاتبه ويفتخر ببني أميّة:

-62 -

جاء في توقيعات معاوية بني أبي سفيان: «كتب إليه عبد الله بن عامر[5] في أمر عاتبه فيه، فوقّع في أسفل كتابه:

بيت أميّة في الجاهلية أشرف من بيت حبيب[6] في الإسلام فأنت تراه» [7].

إلّا انّ في هذا نظر نظرا للمكانة التّي تمتّع بها عبد الله بن عامر في عهد معاوية ومصاهرته له، إضافة إلى أنّه كان كريم الأمّهات والعمّات والجدّات[8].

- رسالة معاوية إلى مروان يأمره أن يخطب إليه أمامة:

- 63 -

---

[1] _تاريخ خليفة، ص129، ابن عساكر: المصدر السابق، ج37، ص125، ابن عذراى: البيان المغرب، ج1، ص289.

[2] _تاريخ خليفة، ص129، ابن عساكر: المصدر السابق، ج37، ص125.

[3] _انظر ابن عذارى: المصدر السّابق ،ج1 ،ص17،18، وذكر ابن عبد الحكم أنها كانت سنة 34هـ ولعلها 43 وصحّفت، فتوح مصر و المغرب ،ج1، ص260، وذكرت المصادر أنّ سنّ عبد الملك في هذه الغزوة كان 19سنة، وذلك ما حملنا على أن نرجّح سنة 45هـ.

[4] _حسين مُؤنس: فتح العرب للمغرب، ص122.

[5] _ سبقت ترجمته في التمهيد.

[6] _لأن عبد الله بن عامر بن كريز بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف، وعليه يكون حبيب أخو أميه بن عبد شمس. انظر: ابن عساكر: المصدر السابق، ج29، ص247.

[7] _ابن عبد ربه: المصدر السابق، ج4، ص288.

[8] _انظر ابن سعد: الطّبقات ، ج7، ص9..

قال الشعبي: كتب معاوية إلى مروان: «**أن زوّجني أمامة[1] بنت أبي العاص**»[2].

فأرسل إليها، فولت أمرها المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب[3] فقال لها المغيرة: يا أمامة ألست قد وليتني أمرك ورضيت بمن أزوجك؟ قالت: نعم. قال: اشهدوا أنّي قد تزوجتها، فكتب مروان بذلك إلى معاوية[4].

- رسالة معاوية إلى مروان ليعرض عن أمامة:

- 64 -

فكتب إليه بما جرى فكتب إليه معاوية: « **أن أعرض عنها**»[5].

- رسالة معاوية إلى عبد الله بن الزّبير يخطب ابنته على ابنه يزيد :

- 65 -

قال الزبير بن خبيب: «**أرسل معاوية بن أبي سفيان رسولا، وكتب معه إلى عبد الله بن الزبير يخطب إليه ابنته أمّ حكيم بنت عبد الله على ابنه يزيد بن معاوية** .

فزوّجها عبد الله بن عروة [6]، وكان أول من زوّج من بني أخيه فقال له رسول معاوية: ما تجيب به

---

[1] _ هي أمامة بنت أبي العاص التّي كان النّبيﷺ يحملها في صلاته وهي بنت بنتِه ، تزوّجها علي في خلافة عمر ،وعاشت بعده حتّى تزوّج بها المغيرة بن نوفل ، فتوفّيت عنده بعد أن ولدت يحي بن المغيرة ،ماتت في خلافة معاوية . الذّهبي سير أعلام ، ج1 ، ص335 ، تذكرة الحفّاظ ، ج1 ، ص130 .

[2] _ البلاذري: أنساب الأشراف ، ج1 ، ص 297 ، الطبري : ذخائر العقبى ، ص276.

[3] _ هو المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطّلب ولد على عهد رسول الله قبل الهجرة، وقيل بعدها،كنيته أبو يحي ، ولي القضاء في خلافة عثمان، وشهد صفّين مع علي ، وهو الذّي قبض على ابن ملجم لمّا طعن عليّا، وكان من أصحاب الحسن استخلفه على الكوفة قبل توجّهه إلى المدائن، تزوج أمامة بنت أبي العاص بعد علي ، ولم تنجب له. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج3، ص 142، ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، دار إحياء الكتب، ج16، ص26، الذّهبي: تاريخ الإسلام، ج4، ص 124، 125.

[4] _ البلاذري : المصدر السّابق ، ج1 ، ص 297 .

[5] _ المصدر نفسه ، ص 297.

[6] _ هو عبد الله بن عروة بن الزّبير بن العوّام القرشي الأسدي، من تابعي أهل المدينة، كان ذا عقل وحزم وفضل ، يشبه في لسانه عبد الله بن الزّبير، وكان في صفّه ، ضدّ يزيد ،أرسله عمّه إلى الحصين بن نمير السّكوني لمّا حاصره بمكّة ، عمّر إلى سنة 126 هـ. مصعب الزّبيري: نسب قريش ، ص 246، ابن عساكر: المصدر السابق، ج31، ص9 – 16، الزّركلي: الأعلام، ج4، ص103.

أمير المؤمنين؟ قال: ما له عندي جواب إلّا ما رأيت»[1].

- رسالة معاوية إلى مروان يأمره أن يخطب لابنه يزيد أم كلثوم بنت عبد الله جعفر:

- 66 -

قال ياقوت الحموي: كتب معاوية إلى مروان وهو والي بالمدينة :

«أمّا بعد فإنّ أمير المؤمنين قد أحبّ أن يردّ الألفة ويسلّ السَّخيمة [2] ، ويصل الرّحم ، فإذا وصل إليك كتابي فاخطب إليّ عبد الله بن جعفر ابنته أمّ كلثوم على يزيد بن أمير المؤمنين ، وارغب له في الصّداق»[3]

رواية أخرى لما سبق

-أ-66

عن جويرية بن أسماء قال: «كتب معاوية إلى مروان:

زوّج يزيد من ابنة عبد الله بن جعفر، واقض عنه دينه خمسين ألف دينار، وصله بعشرة آلاف دينار» [4].

رواية أخرى لما سبق

-ب-66

وقالت أمّ بكر بنت المسور فيما ترويه عن أبيها : «كتب معاوية إلى مروان وهو على المدينة:

أن يخطب أمّ كلثوم بنت عبد الله بن جعفر –وأمها زينب بنت علي، وأمها فاطمة بنت رسول الله ﷺ – ويقضي عن عبد الله دينه، وكان خمسين ألف دينار، ويعطيه عشرة آلاف دينار، ويصدقها أربعمائة، ويكرمها بعشرة آلاف دينار» [5]

---

[1] _ ابن عساكر : المصدر السّابق ، ج31، ص 16.

[2] _ السّخيمة هي الحقد والضّغينة في النّفس والصّدر.لسان العرب، مج 3 ،ص1965، مادّة سخم.

[3] _معجم البلدان ،ج1 ، ص469 ، السّمهودي : وفاء الوفاء، ج4 ، ص 1151.

[4] _ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج6، ص414.

[5] _البلاذري: أنساب، ج5، ص150، ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج57، ص245، النّهرواني: الجليس الصّالح، ج1، ص406،

فلمّا خطبها مروان ليزيد، فوّض أبوها عبدُ الله بن جعفر أمر زواجها للحسين بن علي، وقال له: أنت خالها[1] ووالدها، فأمرُها بيدك، فقال الحسين: أتُزوّجه وسيوفهم تقطر من دمائنا؟ ضمّها إلى ابن أخيك القاسم[2] بن محمّد [3] ،ثمّ جمع النّاس بالمسجد، وأعلن أنّه زوّجها من أقرب النّاس لها نسبا، القاسم بن محمد بن جعفر، فغضب مروان لذلك وعدّه غررًا. [4]

ولعل سبب هذا الموقف من الحسين هو عداوته لبني أميّة، وكذا ردّا على صنيع مروان، فقد ثبت أنّ الحسين بن علي خطب عائشة بنت عثمان[5]، حتّى إذا كانوا بالمجلس وولّوا أمرها مروان، قال رأيتُ أن أزوّجها عبد الله بن الزّبير، فذكّر الحسين مروان بذلك، وقال له: أنتم أوّل الغدر[6].

- رسالة معاوية إلى ابن طلحة يخطب منه أخته لابنه يزيد:

-67 -

قال شعيب بن سيّار: «أتى الحسن بن علي ابنا لطلحة، فقال أتيتك لحاجة وليس لي مرّد، قال: وما هي، قال: تُزوّجني أختك، قال: إنّ معاوية **كتب إليّ يخطبها على يزيد**» [7] فزوّجها إيّاه.

-رسالة من معاوية إلى مروان ليُخيّر ابنة طلحة :

-68 -

زوّج ابن طلحة أخته للحسين، « ثمّ قال: أدخل بأهلك، فبعث إليها بحلّه ثمّ دخل بها، فبلغ ذلك معاوية، فكتب إلى مروان: **أن خيّرها**.

فاختارت حسنا فأقرّها، ثم خلف عليها بعده حسين» [8].

.407

[1] _الحسن خالها لأن أمّها أم كلثوم بنت علي.

[2] _ هو القاسم بن محمّد بن جعفر بن أبي طالب تزوّج بأمّ كلثوم بنت علي، تزوّجها الحجّاج بعد وفاته في خلافة عبد الملك .مصعب الزّبيري : نسب قريش،ص82 ،83 .

[3] _ابن سعد : المصدر السابق، ج6، ص414.

[4] _أبو الفرج النّهرواني:الجليس الصّالح، ج1، ص 407، ابن عساكر: المصدر السابق، ج57، ص245.

[5] _عائشة بنت عثمان أخت أم ابان وأم عمر، أمها رملة بنت شيبة بن ربيعة بن عبد شمس وكانت من المهاجرات، أمّا عائشة فتزوجها الحارث بن الحكم بن أبي العاص ثم عبد اله بن الزّبير، البلاذري: أنساب، ج6، ص231، 232.

[6] _البلاذري: أنساب، ج5، ص151.

[7] _ابن سعد: الطبقات، ج6، ص372.

[8] _المصدر نفسه، ص372.

وهكذا بلا إكراه ترك معاوية الحرّية للبنت في اختيار من يناسبها، وكان رفيقا في التعامل مع هذا الموقف من الحسن فلم يظهر إنكارا لصنيعه ولم ينغّص عليه أمره .

- رسالة معاوية إلى أبي هريرة لخطبة هند بنت سهيل بن عمرو على يزيد:

- 69 -

المدائني قال: «كانت هند بنت سهيل بن عمرو عند عبد الله بن عامر فطلّقها، فكتب معاوية إلى أبي هريرة : **أن يخطبها على يزيد بن معاوية**» [1].

فلقِيَه الحسن فقال: أين تريد، قال: أخطب هند بنت سهيل على يزيد بن معاوية، قال: اذكرني لها، فأتاها أبو هريرة فأخبرها الخبر، فقالت: خِر لي، فقال أختار لك الحسن فتزوّجها[2].

- رسالة معاوية إلى مروان ليحوز ضَيعة اشتراها :

-70 -

قال جويريّة بن أسماء: « خطب معاوية بن أبي سفيان ابنة عبد الله بن جعفر على يزيد بن معاوية فشاور عبد الله حسيناً فقال: أتُزوّجه وسيوفهم تقطر من دمائنا؟ ضمّها إلى ابن أخيك القاسم بن محمّد، قال: إن عليَّ ديناً ، قال: دونك البُغَيْبِغة [3]فأقض منها دينك، فقد علمت ما كان يصنع فيها عمّك، فزوّجها من القاسم، ووفد عبد الله إلى معاوية فباعه البُغيبغة بألف ألــف، **وكتب معاوية إلى مروان حُزها**[4]» [5].

وفي هذه الرّواية نظر إذ أنّ البغيبغة كانت وقفا وقفها علي بن أبي طالب على فقراء المسلمين[6]، ولذا لم يكن معاوية ليبيعها أو يهبها لمن شاء .

- رسالة معاوية إلى مروان ليعرض عن أخذ الضّيعة:

---

[1] _البلاذري : أنساب، ج3، ص273.

[2] _المصدر نفسه، ص273.

[3] _هي ضيعة لعلي بن أبي طالب، وقفها على الفقراء والمساكين وبها بئر قريبة الرّشاء. ابن سعد: المصدر السّابق، ج6، ص414، السمهودي: وفاء الوفاء ، ج4 ، ص1150.

[4] _حُزها أي اجمعها لك، وضمّها إليك. لسان العرب، مج2، ص853، مادة حزأ.

[5] _ ابن سعد: المصدر السّابق، ج6، ص414.

[6] _راجع المصدر نفسه، ص414، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج1، ص 469،ج4، ص176، وانظر ابن شبّة: تاريخ المدينة ، ص136، السمهودي: المصدر السابق ، ج4 ، ص1150.

-71 -

«ركب مروان ليقبض البغيبغة فوجد الحسن واقفا على الشِّعب قال: من شاء فليدخله، والله لا يدخله أحد إلاّ وضعت فيه سهماً ، فرجع مروان، وكتب إلى معاوية فكتب إليه معاوية: **أعرض عنها وسوِّغ المال عبد الله بن جعفر**» [1].

كان هذا الموقف من الحسن والتّراجع من معاوية من منطلق ماذكرنا من أنها وقف لا يجوز بيعها أوتملّكها، وبعد وفاة معاوية وقتل الحسين أخذ يزيد البغيبغة، ولما هلك يزيد ردّها ابن الزّبير على آل أبي طالب، فلمّا قتل ابن الزّبير ردّها عبد الملك على آل معاوية، ولما ولي عمر بن عبد العزيز ردّها على ولد علي[2].

- رسالة معاوية إلى سليمان المُشجعي ليتّخذ له ضياعا:

-72 -

قال الجهشياري: كان سليمان المشجعي[3] كاتبا لمعاوية على فلسطين فكتب له معاوية:

«اتّخذْ لي ضياعا ولا تكن بالدّارُوم[4] المِجداب[5]، وبقيساريّة[6] المِغراق[7]، واتّخذها بمجاري السّحاب.

---

[1] _ابن سعد : الطبقات، ص414.

[2] _المصدر نفسه، ص414.

[3] _ سليمان المشجعي من قضاعة وذكر الجهشاري أنه كتب لمعاوية على فلسطن. الوزراء والكتاب، ص16.

[4] _ الدّاروم قلعة بعد غزّة بفلسطين للقاصد إلى مصر، بينها وبين البحر مقدار فرسخ، غزاها المسلمون سنة 13هـ، وملكوها، ويقال لها الدّارون أيضا. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج2، ص424.

[5] _من الجدب يقال أجدبت البلاد أي قحطت،وهي الأرض التي ليس بها قليل ولا كثير.لسان العرب،مج7،ص557، 558،مادةجدب.

[6] _قيسارية: بلد علي ساحل بحر الشّام، بينها وبين طبرّية ثلاثة أميال، كانت قديما من أعيان أمّهات المدن، واسعة الرّقعة، طيّبة البقعة، كثيرة الخير. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص421.

[7] _المغراق من الغرقة وهي القليل من اللبن يكون في الضّرع. لسان العرب، مج5، ص3245، مادة غرق. ويقصد بكلامه أنّها لاتكون جدبة بقلّة أمطارها ولا بأرض تغرقها الأمطار، أي لاينتفع بها.

فاتّخذَ له البطانى من كُوَر عسقلان[1]» [2].

- رسالة معاوية إلى زياد يشكو قرابته:

-73 -

[رسالة معاوية] عن هشام بن عمّار عن أبيه قال: «**كتب معاوية إلى زياد يشكو قرابته.**

[ردّ زياد] فكتب إليه: عليك بالموالي، فإنّهم أنصَر وأغفَر وأشكَر» [3].

لقد أصبح زياد مستشارًا خاصّاً لمعاوية بعد أن نسبه إليه، فكان يشكو إليه كلّ كبيرة وصغيرة ضيقت صدره، وجعله مستودع أسراره لا يُخفي عليه أدنى شيء من خصوصيّاته، فكانت الإشارة من رجل فقيه في السّياسة، ومتمرّس في الولاية، إذ أشار عليه بالموالي لحسن خدمتهم وكفاءتهم، فهل حقيقة كان الموالي كذلك؟.

الحقيقة أنّ زياد كان أعرف بالموالي بعد أن جرب أمرهم وحقائق التاريخ تثبت كثيرا منهم – مسلمين كانوا أو غير مسلمين– قد احتلّوا مكانة كبيرة في العصر الأموي، سواء كان ذلك في الحياة السّياسية أو الإداريّة أو العسكريّة، وإن الأمويين قد فسحوالهم مكانًا ظلّ يتّسع تدريجيًّا للمشاركة في الحكم والإدارة[4]، فلم تمنعهم أصولهم من تولّي مناصب الدّولة، فقد استعمل معاوية مولاه عبد الرحمان بن دراج[5]، وكتب للوليد جناح مولاه[6]، وكتب لعبد الملك صالح بن عبد الرّحمان[7]، وغيرهم كثير[8].

---

[1] _عسقلان: مدينة بالشام من أعمال فلسطين على ساحل البحر، بين غزة وبيت جبرين، يقال لها عروس الشّام، افتتحها معاوية في خلافة عمر بن الخطاب. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص122.

[2] _الجهشياري: المصدر السّابق، ص16.

[3] _ البلاذري : أنساب الأشراف، ج5، ص36.

[4] _حمدي شاهين: الدّولة الأمويّة، ص368. وهذا خلاف ما قيل من أنّ الموالي في الدّولة الأمويّة، لم تكن لهم مكانة ولم يكونوا راضين وكانوا يمثّلون طبقة أدنى في كل النواحي أنظر:

Joseph Borlot: la civilisation islamique, p38.

[5] _سبقت ترجمته في التمهيد.

[6] _سبقت ترجمته في الرسالة رقم 38.

[7] _هو صالح بن عبد الرحمان كاتب عبد الملك، كان أبوه من سبي سجستان وسبي معه سنة 30 هـ على يد الربيع بن زياد الحارثي، تعلّم العربيّة والفارسية، وكان فصيحًا جميلا، لازم زادان فروخ كاتب الحجّاج، فلمّا مات زادان أيام ابن الأشعث استكتبه الحجاج على ديوان خراج العراق، وهو من عرّبه من الفارسية، قتل في خلافة يزيد بن عبد الملك على يد عمرو بن هبيرة. البلاذري: أنساب، ج8، ص288، ابن عساكر: المصدر السابق، ج23، ص343، 344، الزركلي: الأعلام، ج3، ص192.

[8] _للمزيد من ذلك أنظر: الجهشياري: المصدر السابق، ص15-54، محمد كرد علي: أمراء البيان، ص30.

- رسالة معاوية إلى عائشة رضي الله عنها يطلب نُصحها:

-74 -

[رسالة معاوية]:قال سفيان بن عيينة: «كتب معاوية إلى عائشة رضي الله عنها:

أن عِظيني ولا تُطيلي.

[ردّ عائشة]: فكتبت إليه: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

"من التمس رضا النّاس بسخط الله، وكّله الله إليهم حتّى يعود حامده ذامًّا، ومن التمس رضا الله بسخط النّاس كفاه الله إيّاهم"[1]» [2].

هكذا هو حال أمير المؤمنين معاوية، خلوق محبّ للمواعظ حريص على الإقتداء بالنّبي ﷺ، وياله من جواب شافٍ كافٍ أجابت به أمّ المؤمنين أمير المؤمنون، فقد انتقت ممّا في صدرها كلامًا لمحت فيه لمعاوية بضرورة إخلاصة في أعماله لله تعالى وهذا هو حال المؤمن.

رواية أخرى لما سبق

-74-أ

عن الشعبي أنّ معاوية كتب إلى عائشة :

« أن أكتبي إليّ شيئاً سمعتيه من رسول الله.

قال : فكتبت إليه : [سمعت أبا القاسم ﷺ يقول][3]: "من يعمل بسخط الله يعَدّ حامده بين

---

[1] _ الحديث رواه ابن حبان في الصّحيح بغير هذا اللّفظ، كتاب البرّ والاحسان، باب الصدق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ج1، ص510، رقم 276 عن عائشة، ابن عساكر: المصدر السابق، ج24، ص20 رقم 277 عن عائشة، وصحّحه الألباني، ج5، ص392 رقم 2311.

[2] _ البلاذري: أنساب، ج5، ص36 ، الغزالي: التّبر المسبوك في نصيحة الملوك ، ص 29. وفي أخبار المكّيين بالسند نفسه قال سفيان بن عيينة: كتب معاوية إلى عائشة : "**ما سمعت من رسول الله ﷺ ليس بينك وبينه أحد** ، فكتبت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من يعمل بسخط الله يعَدّ حامده من الناس له ذامًّا " ابن أبي خيثمة : أخبار المكّيين ، ص 396 ، 397 .

[3] _ إضافة من البيان والتّبيين .

الناس ذامّا"»[1] .

- رسالة معاوية إلى ابنه يزيد بمرضه :

- 75 -

قال ابن عبد البّر:«لـمّا مرض معاوية **كتب إلى يزيد بِحَاله**»[2].

وقد كان يزيد بفلسطين كما سبق وأن ذكرنا[3]، فلمّا وصل الكتاب إليه أنشأ يقول:

جاء البريد بقـــرطاس يخبُّ[4] بـــه فأوجس القلب من قرطاسه فزعًا

[قلنا لك الويل ماذا في صحيفتكـــم قالوا الخليفة أمسى مُثبتا[5] وجِعَا] [6].

فقدم يزيد دمشق بعد ثلاثة أيام، وقد مات معاوية، فتولى الخلافة بعده وخطب على أهل دمشق[7].

- رسالة مروان إلى النّعمان بن بشير يخطب أمّ إبّان بنت النّعمان لابنه عبد الملك :

- 76 -

[رسالة مروان] قال محمد بشير فيما يرويه عن أبيه عن جده : كتب مروان بن الحكم إلى النّعمان بن بشير يخطب على ابنه عبد الملك بن مروان أم إبّان بنت النعمان[8]:

«بسم الله الرحمن الرحيم ، من مروان بن الحكم إلى النّعمان بن بشير ، سلام عليكم ، فإنّي

---

[1] _ ابن أبي خيثمة: أخبار المكّيين، ص 397، الجاحظ: البيان والتّبيين، ج2، ص303 ، أحمد زكي: جمهرة رسائل، ج2، ص50، أخذها من البيان والتّبيين.

[2] _الإستيعاب، ج3، ص472.

[3] _انظر التمهيد في ترجمة يزيد بن معاوية.

[4] _كذا في العقد الفريد وفي الإستعاب يحث، ومعنى يخبّ من الخبّ، وهو الهيجان والاضطراب، وله معنى السّتر. لسان العرب، مج2، ص1086، مادة خبب.

[5] _مثبت أي اشتّدت به علّته. لسان العرب، مج1، ص468، مادة ثبت.

[6] _ابن عبد ربّه: المصدر السابق، ج5، ص122، ابن عبد البر: الإستعاب، ج3، ص472، 473 والبيت الثّاني غير مثبت في العقد.وانظر الأبيات في ديوان يزيد ص28. هذا وذكرت المصادر أن يزيد أنشد هذه الأبيات بعد قدوم كتاب الضّحاك عليه بموت معاوية . انظر أنساب الأشراف، ج5 ، ص154، تاريخ الطّبري، ج5، ص328، تاريخ دمشق، ج59، ص231

[7] _ابن عبد ربّه : المصدر السّابق، ج5، ص123، 124.

[8] _ ذكر ابن عساكر أنّه كان للنّعمان بن بشير بنتان: حميدة زوجة روح بن زنباع، وتزوّجها الحجّاج بعد ذلك، وأنشدت شعرا في أختها أمّ إبّان، وعمرة تزوّجها المختار، وهي التّي قتلها مصعب سنة 67 هـ ، تاريخ دمشق ، ج69، ص99، 294 ومابعدها .

أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد: فإنّ الله ذو الجلال والإكرام والعظمة والسلطان قد خصّكم معاشر الأنصار بنُصرة دينه وإعزاز نبيه صلى الله عليه وسلم ، وقد جعلك الله منهم في البيت العَميم والفرع القديم ، وقد دعاني ذلك إلى اختيار مصاهرتك وإيثارك على الأكفاء من ولد أبي ، وقد رأيتُ أن تزوِّج ابني عبد الملك بن مروان ابنتك أم إبان بنت النّعمان، وقد جعلتُ صداقها ما نطق به لسانك وترنَّمتْ به شفتاك ،وبلغه مُناك ، وحكمتَ به في بيت المال قِبَلك »[1].

[جواب النّعمان] : فكتب إليه :

«بسم الله الرّحمن الرّحيم من النّعمان بن بشير إلى مروان بن الحكم ، بدأتُ باسمي سنّة من رسول الله ﷺ ،وذلك لأنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول "إذا كتب أحدكم إلى أحد فليبدَأ بنفسه"[2] أمّا بعد:

فقد وصل إليَّ كتابك وفهمتُ ما ذكرتَ فيه من مَحبّتنا، أمَّا إن تكن صادقا فغُنمًا[3] أصبتَ وبخظّك أخذت، لأنّا أناسٌ جُعل حُبّنا إيمانا وبُغضنا نفاقا، وأمّا ما أطنبتَ فيه من ذكر شرفنا وقديم سلفنا، ففي مدح الله لنا وذكره إيانا في كتابه المنزل وقرآنه على نبيه صلى الله عليه وسلم ما أغنانا عن مدح أحد من الناس، وما ذكرت أنك آثرتَني بابنك عبد الملك بن مروان على الأكفاء من ولد أبيك، فحظّي منك مردود عليهم مُوفّرٌ لهم، ولا منازع لهم عليه، وأمّا ما ذكرتَ أنك جعلت صداقها ما نطق به لساني وترنّمتْ به شفَتاي، وبلغه مُناي، وحكمت به في بيت المال قِبَلي، فقد أصبح – بحمد الله لو أنصفت – حظّي في بيت المال أوفر من حظك ، وسهمي فيه أجزَل من سهمك فأنا الذي أقول :

فلو أن نفسي طاوعتني لأصبحتْ بها حَفَدٌ[4] مما يُعــــدُّ كثير

ولكنها نفس عــــليَّ كـــــــريمة عَيُوف لأصهار اللّئام قَذُور»[5].

– رسالة عبد الملك إلى هشام بن اسماعيل ليخطب له:

-77 -

---

[1] _ ابن عساكر: المصدر السّابق ، ج10 ، ص 281 ، 282 .

[2] _ الحديث رواه مالك في الموطّأ ، رواية محمّد بن الحسن الشّيباني ، ج3 ، ص374 ،باب الرّجل يكتب إلى رجل يبدأ بنفسه .

[3] _ بالأصل " فنعم " والتّصحيح من هامش المحقّق .

[4] _ الحفد الخدمة والعمل، ورجل محفود أي مخدوم .لسان العرب، مج 2 ، ص922 ، 923، مادّة حفد.

[5] _ ابن عساكر : المصدر السّابق ، ج10 ، ص282 .

[رسالة عبد الملك]: قال البلاذري:« تزّوج عبد الملك شقراء بنت مسلمة بن حنظلة[1] الطائي، وكانت في مستوى من الجمال، فماتت، فكتب إلى هشام بن اسماعيل المخزومي وهو بالمدينة:

أخطب إليّ امرأة من قريش من كمالها وطولها ومن بياضها.

[جواب هشام]: فكتب إليه: إنيّ لا أعلم هذه الصّفة إلاّ في بنات المغيرة بن عبد الرّحمان بن الحارث[2] بن هشام، وكان المغيرة جميلا وبناته كنّ ذوات جمال وكمال، وللمغيرة يقول الشّاعر:

ألا أيّها الأعـــراب سيروا فما بعد المغيرة من مقــام»[3].

هذا ما جاء في الرّواية التي لم تذكر لنا هل تزوّج عبد الملك من بنات المغيرة أم لا، بل ذكر البلاذري بعدها أن عبد الملك تزوّج أخت قبيصة بن ذؤيب[4].

-رسالة عبد الملك إلى المغيرة بن عبد الرّحمان للقدوم عليه ليخطب إليه أخته :

- 78 -

عن ابراهيم بن محمد بن عبد العزيز الزّهري قال: « أنّ زينب بنت عبد الرّحمان بن الحارث[5] كانت بارعة الجمال ، فأتت عند إبّان بن مروان ، فلمّا توفيّ إبّان دخل عليها عبد الملك فرآها فأخذت بنفسه ، **فكتب إلى أخيها المغيرة بن عبد الرّحمان يأمره بالشّخوص إليه.**

فشخص إليه، فنزل على يحي بن الحكم ، فقال يحي: إنّ أمير المؤمنين إنما بعث إليك لتزوّجه أختك زينب فهل لك في شئ أدعوك إليه؟ قال: هلمّ فاعرض ، قال: أعطيك لنفسك أربعين ألف دينار ولها عليَّ رضاها وتزوّجنيها ، قال له المغيرة : ما بعد هذا شئ فزوّجه إياها ، فلمّا بلغ عبد الملك بن مروان ذلك

---

(1) _شقراء بنت مسلمة بن حنظلة وصفها ابن معرض الطائي لعبد الملك، فتزوّجها وماتت عنده. أنساب الأشراف، ج7، ص197.

(2) _هو المغيرة بن عبد الرّحمان بن الحارث بن هشام بن المغيرة أبو هشام القرشي المخزومي، سكن الشّام مدّة، وغزا أرض الرّوم مع مسلمة بن عبد الملك، وكان من أجواد قريش ذهبت عينه بأرض الرّوم، قيل مات بالشّام مرابطا، وقيل بالمدينةزمن عمر بن عبد العزيز ودفن بالبقيع. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج60، ص68-70، الذهبي: سير، ج3، ص455.

(3) _البلاذري: أنساب، ج7، ص198.

(4) _المصدر نفسه، ص198.

(5) _ هي زينب بنت عبد الرّحمان بن الحارث بن هشام من بني مخزوم ، أمّها سعدى بنت عوف بن خارجة الطّائيّة ، تزوّجها إبّان بن مروان ثمّ يحي بن الحكم فولدت له ، وكانت تسمّى الموصولة لحسنها.مصعب الزّبيري: نسب قريش، ص307 ، أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني ، طبعة دار الفكر، ج16 ، ص 294 ، ابن عساكر : تاريخ دمشق، ج69 ، ص172.

أسف عليها ، فاصطفى كلّ شئ ليحيى بن الحكم» [1]

- رسالة عبد الملك إلى الحجاج ليبعث إليه بجواري:

-79 -

قال المسعودي: «كتب عبد الملك للحجّاج: **يأمره أن يبعث إليه بثلاثين جارية، عشرا من النّجائب وعشرا من قعد النكّاح، وعشرا من ذوات الأحلام**» [2].

لقد وجّه عبد الملك أمره للحجاج بعبارات غامضة، فلم يدر الحجّاج ما وصفه عبد الملك من الجواري، فعرضه على أصحابه فلم يعرفوه، وأشاروا عليه بالغضبان بن القبعثري[3] الشيباني- وكان الحجاج سجنه ثلاث سنين لأنّه حرّض النّاس عليه- فاستدعاه الحجّاج من السّجن وقال له: أنت القائل لأهل الكوفة يتغدّون بي قبل أن أتعشّى بهم؟ قال: أصلح الله الأمير وما نفعت من قالها، ولا ضرّت من قيلت فيه، ثمّ سأله الحجّاج عن الكتاب فقال هذا بيّن: أمّا النّجيبة من النّساء فالتي عظمت هامتها، وطال عنقها، وبعد ما بين منكبيها وثدييها، واتّسعت راحتها، وثخنت[4] ركبتها، فهذه إذا جاءت بالولد جاءت به كاللّيث العادي، وأمّا قعد النّكاح فهّن ذوات الأعجاز[5] منكسرات الثّدي كثيرات اللّحم، يقرب بعضهن من بعض فأولئك يشفين القِرَم[6]، ويروين الضمآن، وأمّا ذوات الأحلام: فبنات خمس وثلاثين إلى الأربعين، فتلك التّي تبسّه[7]، كما يبسُّ الحالب النّاقة، فتستخرجه من كل شعر وظفر وعرق، فخلى الحجّاج سبيله وعوّض له عطاء ثلاث سنين[8].

فلماذا يحاول عبد الملك أعجاز الحجّاج بهذا الطلب وما هو غرضه منه؟!

---

[1] _ابن عساكر: المصدر السّابق، ج69، ص172، ج60، ص69، مصعب الزّبيري: المصدر السّابق، ص307، ابن الجوزي: ذمّ الهوى، ص351.

[2] _مروج الذهب، ج3، ص106.

[3] _الغضبان بن القبعثري الشيباني البصري، كان من علماء العرب، وفد على الحجاج وخرج عليه مع ابن الجارود، ثمّ فرّ إلى الشّام، ثمّ بعثه الحجاج بعد ذلك لاستطلاع أخبار ابن الأشعث، سُجن زمن الحجّاج ثمّ خلى سبيله، ومات بعدها. تاريخ خليفة، ص170، ابن عساكر: المصدر السابق، ج48، ص62-65.

[4] _ثخن أي ثقل من نوم أو إعياء أو مرض، لسان العرب، مج1، ص473، مادة ثخن.

[5] _الأعجاز : المآخير، ويطلق على المرأة خاصة، لسان العرب، مج4، ص2818، مادة عجز.

[6] _القِرَم : شدة الشهوة إلى اللّحم، فيقال قرمت من اللحم، ويطلق على الطعام أيضا، لسان العرب، مج5، ص3604، مادة قرم.

[7] _تبسّه أي تخلطه، لسان العرب، مج1، ص281، مادة بسس.

[8] _المسعودي : مروج، ج3، ص106، 107.

- كتاب عبد الملك لرجل عزّاه بابنه مروان:

- 80 -

قال المدائني: «كتب بعض ولد الحكم إلى عبد الملك يعزّيه بمروان[1]، فكتب إليه عبد الملك:

كتبتَ تسألُ عن صبري لتَعلمه على الرَّزيّة بالمأمول مروانِ

فقد صبرتُ بعـون الله مَحتسبًا لموعد الله من فوزٍ ورضوانِ» [2].

ذاك هو صبر عبد الملك واحتسابه على الرّزايا، تمسّك بالله في الشّدائد، وطمعٌ في فوز من الله ورضوان، كيف لا وهو الذي نظر إلى ابنه مروان وهو يكفّن، فقال: الحمد لله الذّي رضّانا بموت أبنائنا ودفنهم[3].

- رسالة الوليد إلى الحجّاج ينعَى عبد الملك:

-81 -

قال اليعقوبي: بعد وفاة عبد الملك صعد الوليد المنبر وقال: «أيها النّاس عليكم بالطّاعة ولزوم الجماعة، فإنّه من أبدى ذات نفسه، ضربت الذي في عينيه، ومن سكت مات بدائه، ثمّ **كتب بعدها إلى الحجّاج، فنعى إليه أباه عبد الملك»** [4].

المرجّح أنّ الوليد كتب إلى الحجّاج لاينعى إليه الخليفة فقط بل ليأخذ البيعة له من قِبله ، فلمّا وصل الكتاب إلى الحجّاج نادى بالصّلاة جامعة وأخذ البيعة للوليد[5].

- رسالة الوليد إلى مسلم بن سليم للدّعاء له :

-82 -

قال الأزهر بن عبد الله الحرازي: لمّا فرغ مسلم بن سليم[6] من تزيين مسجد حمص كتب إليه

---

[1] _هو مروان بن عبد الملك أخو يزيد من أمّه عاتكة بنت يزيد، توفي في خلافة أبيه ابن سعد: الطبقات، ج7، ص221.

[2] _البلاذري: أنساب، ج8، ص115.

[3] _المصدر نفسه، ص115.

[4] _تاريخ اليعقوبي، ج2، ص283 .

[5] _المصدر نفسه، ص283.

[6] _مسلم بن سليم أبو عبد الملك، وقيل أ بو سلمة الكناني، تابعي حدّث عن النّبي صلى الله عليه وسلّم مرسلا. الرازي: الجرح والتّعديل، ج8 ، ص185 ، ابن حجر : الإصابة ، ج6 ، ص359.

الوليد بن عبد الملك :

« **أن أحضره أناساً من قدمائهم وصالحيهم ، فليدعوا للأمير بالصّلاح والعافية والبقاء**، فدعا أُناسا من الجند فدعوا له»[1].

- رسالة الوليد إلى أبي بكر بن محمد بن حزم في صداق يزيد بن عبد الملك:

-83 -

قال ابن عساكر: تزوّج يزيد بن عبد الملك بنت عون بن محمد بن علي[2] بن أبي طالب، وأصدقها مالًا كثيرًا، فكتب الوليد بن عبد الملك إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم[3]:

«**إنّه قد بلغ من اللُّؤم أنّ يزيد بن عبد الملك تزوّج فُلانة، وأصدقها مالًا كثيرًا، ولا أراه فعَل ذلك إلا وهو يراها خيرا منه، فقبّح الله رأيه، فإذا أتاك كتابي هذا فادعُ عونًا واقبض المال منه فإن لم يدفعه إليك، فاضربه بالسياط حتّى تستوفه منه ثم افسخ نكاحه**»[4].

لمّا وصل كتاب الوليد إلى أبي بكر أرسل بدوره إلى عون فدعاه بالمال، فقال ليس عندي، وقد فرّقته، فقال أبو بكر: إنّ أمير المؤمنين أمرني إن لم تدفعه لي كلّه أن أضربك بالسياط، ثم لا أرفعها عنك حتى أستوفيه منك، فطلب يزيد من عون أن يسلّمه المال، ووعده بتعويضة، لذلك لما ولي يزيد دعا أبا بكر وكسر أنفه[5].

لقد عبّرت هذه الرّسالة عن ردّة فعل الوليد لمّا سمع بفعل أخيه يزيد، فلم يشأ أن يظهر آل أبي طالب بمظر القوّة والرّفعة على حساب آل بيته من بني أميّة، فسعى بهذا إلى أن ينزلهم هذه المنزلة.

وهنا لا بدّ من كلمة نقولها، فخلفاء بني أميّة رفعوا أقدارهم فوق النّاس، وأعطوا لأنفسهم مكانة تضاهي مكانة رسول الله ﷺ في القيمة، وبلغ بهم الأمر إلى قتل من سبّهم وحطّ من أقدارهم، وحتّى أنّ

---

(1) _ الدّولابي: الكنى والأسماء ج1، ص277 ، ابن عساكر: تاريخ دمشق ج27 ، ص158.

(2) _ ذكره ابن عساكر في أولاد محمّد بن الحنفيّة، وهو أخو عبد الله والحسن وابراهيم. تاريخ دمشق، ج54، ص318.

(3) _أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم أبو محمد الانصاري الخزرجي المدني الفقه، ولي القضاء والإمرة بالمدينة والموسم لسليمان بن عبد الملك، كان ثقة كثير الحديث، توفي بالمدينة سنة120 هـ في خلافة هشام، وقيل 107، وهو ابن 84 سنة. تاريخ خلفية، ص207، ابن عساكر: المصدر السابق، ج66، ص41-43، الذهبي، تاريخ الاسلام، ج3، ص473.

(4) _ ابن عساكر : المصدر السابق ، ج66، ص41.

(5) _المصدر نفسه، ص42.

الحجّاج جعل الخارج على الخليفة، والشّاتم له في سوء المصير سواء أقرّ بالكفر أم لا!! [1]

- رسالة سليمان إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ليبني له قصرًا:

-84 -

قال اليعقوبي: حجّ سليمان سنه97هـ، وكان قد عزم أن يبايع لابنه أيوب من بعده، «وكان قد كتب إلى أبي بكر بن محمّد بن عمرو بن حزم: **أن يبني له قصرًا بالجُرف** [2]**يَنزله.**

فلمّا قدم لم يرضَ ببنائه، ونزل به» [3].

رابعـــا: الــرّسائل الخاصّة بسياستهم في الرّعــيّة:

- ردّمعاوية على زياد يبيّن له كيفيّة سياسته للنّاس :

-85-

عن عامر الشعبي قال قال زياد: «ما غلبني أمير المؤمنين معاوية إلاّ بواحدة، استعملت فلانًا، فكسر الخراج وهرب إلى معاوية، فكتبتُ إليه، إنّ هذا أدب سُوء لمن قبلي، فكتب إليّ:

إنّه لا ينبغي[4] **لي ولك أن نسوس النّاس سياسة واحدة، فنلينَ**[5] **جميعا نُمرح الناس في المَعصية**[6]**، و[أن]**[7] **لا نشتدّجميعا، فنَحمل الناس على المَهالك، ولكن تكون أنت للغِلظة والشدّة [والفَظاظة]** [8]**، وأكون أنا لليّن والرّأفة**[9] **،أو قال الرّحمة »** [10].

---

[1] _ محمد فرقاني : رسائل الخليفة عمر، ج3، ص 968.

[2] _الجرف موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام، وكان يسمّى العرص، والجرف أيضا منزل بالحيرة، وهو أيضا موضع قرب مكة. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص128.

[3] _ تاريخ اليعقوبي ، ج2، ص298.

[4] _في تاريخ دمشق "إنّه ليس لي ولك " والمثبت من بقية المصادر .

[5] _في العقد " لا نلين جميعا "، وعند ابن عساكر "أن نلين "

[6] _في أنساب الأشراف "العصبيّة " والتصحيح من بقية الروايات، إذ لاحاجة لذكر العصبيّة هنا.

[7] _إضافة من بقية المصادر وفي أنساب الأشراف ناقصة .

[8] _في أنساب الأشراف والعقد الفريد ناقصة .

[9] _في العقد "الرّأفة والرّحمة"، وفي تاريخ دمشق "اللين والرّقة "، وفي سير أعلام النبلاء "اللين والأنفة" .

[10] _البلاذري: أنساب، الرّواية الاولى، ج5، ص92، ابن عبد ربّه: العقد الفريد، الرّواية الأولى، ج1، ص41، ابن عساكر: تاريخ الرواية الأولى، ج59، ص187، السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص 230 .

رواية أخرى لما سبق

85-أ-

و قال مسلمة بن محارب[1]: « قال زياد لم يغلبني معاوية بالسّياسة إلاّ في رجل من بني تميم، استعملتُه فكسر الخراج، ولحق به فآمنه، فكتبتُ إليه، إنّ في هذا مفسدة للعّمال على سوء الأدب، فابعث به إليّ فكتب إليّ معاوية:

إنّه لا يصلُح أن أسوس وتسوس النّاس سياسة واحدة، إنّا إن نشتدَّ جميعا نُهلك الناس، ونخرجهم[إلى أسوَأ أخلاقهم] [2]**، وإن نَلِن جميعا نبطرهم** [3]**، ولكن تلين وأشتد**[4]**، وتشتد وألين، فإذا خاف أحدهم وجد بابا فدخله** »[5].

رواية اخرى لما سبق

85-ب-

وذكر إبن عبد ربه أيضا رواية أخرى لما سبق قال: كتب معاوية إلى زياد:

«**إنه لا ينبغي أن نسوس الناس سياسة واحدة، لا نلين جميعا فيمرح النّاس في المعصية، ولا نشتد جميعا فنحمل النّاس على المهالك، ولكن تكون أنت للشّدة والفضاضة والغلظة، وأكون أنا للرأفة والرّحمة، [حتى إذا خاف خائفٌ وجد بابًا يدخله]** [6]» [7].

رواية أخرى لما سبق

85-ج-

ويورد ابن عبد ربه رواية أخرى باختلاف عما سبق قال: كتب معاوية إلى زياد:

---

[1] _في تاريخ دمشق :"عن العتبي..." .

[2] _إضافة من تاريخ دمشق.

[3] _البطر هو التبختر وشدة المرح، كما يعني الطغيان في النعمة، والإستكبار عن الحق. لسان العرب، مج1، ص300، مادة بطر.

[4] _في تاريخ دمشق " ألين وتشتدّ ".

[5] _أنساب الأشراف، الرّواية الثانية، ج5، ص91، 92، ابن عساكر: تاريخ دمشق، الرواية الثانية، ج59، ص188، ابن منظور: مختصر، ج25، ص81

[6] _ماأضيف من البداية والنّهاية.

[7] _العقد الفريد، الرواية الثانية، ج5، ص112، ابن كثير: البداية والنهاية، ج8، ص119 .

«إنّه لا ينبغي أن نسوس النّاس سياسة واحدة، فيكون مُقامنا مقام رجل واحد، ولكن تكون أنت للشّدة والغِلظة، وأكون أنا للرّأفة والرّحمة، فيستريح الناس فيما بيننا» [1].

رواية أخرى لما سبق

-د-85

وقال ابن حمدون: «قال زياد ماغلبني معاوية بشيء من السّياسة إلاّ في شيء واحد، قيل: وما هو، قال ولّيت رجلًا دسْتميسان[2]، فكسر على الخراج وهرب، فلحق بمعاوية، فكتبت إليه أسأله أن يبعث به فكتب إليّ:

أمّا بعد: فإنه ليس لمثلي ومثلك أن نسوس النّاس سياسة واحدة، أن نشتدّ عليهم جميعًا فنخرجهم، أو نلين لهم فنمرحهم، ولكن تلي أنت الفظاظة والغلظة، وأَلِي أنا الرَّأفة والرّحمة فإذا هرب هارب من باب وجد بابا يدخل فيه [والسّلام][3].

ولقد نظر معاوية لنفسه، واختار أخف السّياستين وأحبّها إلى الناس» [4].

تلك هي مجمل روايات هذه الرّسالة والتي أمكننا حصرها فيما ذكرنا، فكانت تلك الكلمات معبّرة بوضوح عن حنكة سياسية تمتّع بها معاوية، وتنمّ عن فكر سياسي ناضج، وعقليّة كبيرة مستوعبة لظروف عصرها، ومدركة لقوانين التطّور والتغيّر في المجتمعات، كماتنمّ عن قدرته في التعامل مع الرّعية وفهم طبائعهم ومنهج التعامل معهم[5]، أوليس معاوية هو من قال: لو أنّ بيني وبين النّاس شعرة ما انقطعت قيل له: كيف؟ قال: إن جبذوها أرسلتها، وإن خلّوها جبذتها[6]، أليس معاوية هو من قال: ليس بين أن يملك السلطان ورعيّته، أو تملكه رعيُّته إلاّ الحزم التّواني، وكمالُه أمران، شدّة في غير إفراط، ولين غير امتهان[7].

إنّ طبع معاوية وصفاته النّفسية وعقليته كان في المستوى الذّي يوفي مسائل تلك السّاعة حقّها، فهو

---

[1] _المصدر السّابق، الرواية الثالثة، ص272.

[2] _دستميسان: كورة جليلة بين واسط والبصرة والأهواز، وهي إلى الأهواز أقرب، وليست ميسان، ولكنّها متصلة به. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج2، ص455.

[3] _إضافة من الجوهر النّفيس.

[4] _التذكرة الحمدونيّة، ج1، ص413 ، ابن الحدّاد : الجوهر النّفيس ، ص 87 .

[5] _عبد الحبار محسن: الاتجاهات العامّة، ص23.

[6] _البلاذري: أنساب، ج5، ص93.

[7] _الطرطوشي: سراج الملوك، ص175.

رجل ذلك العصر كان كفؤا بالسياسة والإدارة، إذ عاناها عشرين عاماً قبل أن يصبح خليفة فأحسنها وعرفها وعجنها، ثمّ كان كفؤا بالحرب عارفا بالرّجال، يفهم نفسيّتهم وأطوارهم، ويمتزج بتلك النفسيّة والأطوار فيسيّرها نحو هدفه، ويحسن التصرّف بها كل الحسن، يسوس النّاس بما ينبغي أن يساسوا به، فيقبلون عليه متودّدين طائعين مقدّرين ظروفه، وهو بعيد النظّر كل البعد، فهو لا يدرس مسائل الساعة وحدها، بل يرى من خلالها خطوطا للمستقبل، عليه رسمها ووضعها موضع التنفيذ، هذا البعد في النّظر والعمق في درس الأشياء–أوما نسميه بلغة السياسة الحديثة الإستراتيجية– يرافقه صبرٌ شديد، ويرافقه أيضا حلم شديد، وهكذا يدرك بالسياسة ما لم يدركه بالسيف، فقد عرف من أين تؤكل الكتف، وكل شيء عنده يلبس لباس السيّاسة على أنّه لباس باهٍ جميل[1].

كما نلمس هنا أنّ معاوية أوضح لواليه زياد فيما كتب به إليه أنّ إدارة الدّولة لا تسير وفق سياسة واحدة، وقد أراد بذلك أن يضع الولاّة أمام مسؤوليّاتهم، وأن يتحملوا هم تبعات أعمالهم تجاه النّاس، وصاحب الأمر في تحقيق العقوبات هو الخليفة، ليكون الحمد والثناء له والعتاب على الولاة[2].

– رسالة ثانية من معاوية إلى زياد يبيّن سياستهما مع الرّعيّة:

-86-

قال قدامة بن جعفر: نقِم معاوية على بعض أمراء العرب فأبعده، فسار إلى زياد فقبله، وأنزله، ثم خاف من إنكار معاوية عليه، فأرسل يستأذنه في أمره، فكتب إليه معاوية:

«ليكُن بيني وبينك في سياسة الرّعية شعرة ممدودة، إن شددتُ طرفها فأرخِها، وإن أرخيتُ طرَفها فاشددها، فإنَّا إن شدَدنا جميعا انقطعت»[3].

إنّ الإشكال المطروح هنا أنّ المصادر ذكرت أن هذا قولٌ لمعاوية وليس رسالة، فقد جاء عند البلاذري كما سبق وأن ذكرنا: «قال معاوية لو كان بيني وبين النّاس شعرة ما انقطعت، قيل وكيف يا أمير المؤمنين، قال إن جبذوها أرسلتها وإن خلّوها جبذتها»[4]، فهل أعاد معاوية قوله هذا في رسالة إلى زياد؟

– رسالة معاوية إلى عمرو بن العاص حين عاتبه في التّأني:

---

(1) _يوسف العش : الدّولة الأموية، ص 136، 137.

(2) _محمد خريسات : الدولة الأموية، ص 93، 94.

(3) _الخراج وصناعة الكتابة، ص 483 .

(4) _أنساب الأشراف، ج5، ص93.

-87 -

قال معمر[1]: «كتب عمرو بن العاص إلى معاوية في الأناة فكتب إليه معاوية:

أما بعد فإن التَّفهّم زيادةٌ ورشد، وإنّ الرشّيد من رَشُد عن العجلة، وإنّ الخائب من خاب عن الأناة، وإن المُتثبت مصيبٌ، وأوكاد يكون مصيباً ، وإنّ العجِل مُخطئ أو كاد يكون مخطئا، وإنّه من لا ينفعه الرّفق يضرّه الخُرق[2]، ومن لا تنفعه التجارب لا يدرك المعالي، ولن يبلغ الرّجل مبلغ الرّأي حتى يغلب حِلمه جهلَه، وصبره شهوته، ولا يبلغ ذلك إلاّ بقوّة الحلم»[3].

رواية أخرى لما سبق

-أ-87

وعن عبد اللّه بن المبارك قال:«كتب معاوية إلى عمرو بن العاص:

أمّا بعد فإنّ الرّشيد من رشُد عن العجلة، وإنّ الخائب من خاب عن الأناة، وإنّ المتثبّت مصيبٌ، أوكاد يكون مصيبا وإنّ العجل مخطئ أو كاد يكون مخطئا، ومن لا ينفعه الرّفق يضره الخُرق، ومن لا تنفعه التجارب لا يبلغ المعالي، ولايبلغ رجلٌ مبلغ الرأي حتّى يبلغ صبره شهوته، وحِلمه غضبه»[4].

رواية أخرى لما سبق

-ب-87

و عن العتبي[5] قال:«كتب عمرو بن العاص إلى معاوية يعاتبه في التأنيّ ، فكتب إليه معاوية:

---

[1] _ كذا في مصنّف عبد الرّزاق وفي تاريخ دمشق عن جعفر بن برقان.

[2] _ الخرق: الجهل والحمق، وهو أخرق إذا حمق، وهو ضد الرّفق. لسان العرب، مج2، ص1143، مادة خرق.

[3] _ مصنف عبد الرّزاق، ج11، ص 165، ابن عساكر: تاريخ دمشق، الرواية الأولى، ج59، ص188، 189، ابن منظور، مختصر، ج5، ص62.

[4] _ابن عساكر، الرّواية الثانية، ج59، ص189.

[5] _ السند في المجتنى و تاريخ دمشق وفي التذكرة الحمدونيّة بغير سند.

أمّا بعد فإنّ التّفهّم في الخير زيادة ورشد، وإنّ المتثبت مصيب وإنّ العجِل مخطئ، وإنّ من لم ينفعه الرّفق ضرّه الخرق، وإنّ من لم تعظه التجارب لم يدرك المعالي، ولن يبلغ الرّجل أعلى المبالغ حتى يغلب حلمُه جهله، والعاقل يسلم[1] من الزّلل بالتثبّت [والأناة] [2]، وترك العجلة، ولا يزال العِجل يجتني ثمرة النّدم»[3].

تلك هي روايات هذه الرّسالة التي تعتبر درسا أخلاقيا، موجّها لكل رجل يتمرس السّياسة، ففيها منهج صائب ورأي سديد على كل واحد أن يحفظه و يعمل به، فالتثبّت صفة غرسها معاوية في نفسه، وحاول أن يطبع في صدور عمّاله نسخة منها، وقد ثبت أن أحد الشعراء أساء إلى أخت يزيد فطلب هذا الأخير من أبيه معاوية قتله وكأنّه استعجل الأمر، فقال معاوية في صورة الوالد المؤدب لولده: يا بنيّ لا يجب القتل في ذا العقوبة، والعقوبة دون القتل تعزية فيزيد في قوله، ولكن نلقه بالتجاوز والصّلة[4].

وفي رسالته هذه حلم وسياسة ولباقة وحنكة، لم ينل مثله من هذه الصفات قائد آخر من الأمويّين، فلم يلجأ إلى العنف إلا حين لا يرى محيصا عنه، وينزع في أحوال أخرى إلى اللّين والمسالمة، شدّة في غير عنف، ولين في غير ضعف، كان يملك نفسه ويكظم غيظه، وبهذا استطاع أن يكون سيّد المرحلة[5].

- رسالة معاوية إلى عمرو بن العاص يلومه عن كلامه فيه:

-88 -

[رسالة معاوية]: قال ابن عبد ربه: «وكتب معاوية إلى عمرو بن العاص، وبلغه عنه أمر:

---

(1) _ في التذكرة الحمدونية " سليم"

(2) _ إضافة من التذكرة الحمدونية.

(3) _ ابن دريد: المجتنى، ص 24، ابن عساكر: المصدر السابق، الرّواية الثالثة، ج59، ص190، ابن حمدون: التذكرة الحمدونية، ج2، ص127.

(4) _ البلاذري : أنساب، ج5، ص 24، 25.

(5) _ أحمد علي: التعبئة العسكرية، ص31، محمّد عبد الحي: صدر الإسلام، ص90.وانظر في حلمه ابن عبد البر:بهجة المجالس،ج1، ص424.

وفقّك الله لرشدك بلغني كلامك فإذا أوّله بَطَر[1] وآخره خَور[2] ومن أبطره الغنى أذلّه الفقر، وهما ضدّان مخادعان للمرء من عقله، وأولى النّاس بمعرفة الدّواء من يَبين له الدّاء والسلام»[3].

[ردّ عمرو بن العاص]: لمّا وصل كتاب معاوية إلى عمرو كتب إليه:

«طاولَتْك النّعم، وطاولت بك، علوّ إنصافك يؤمّن سطو جورك، ذكرتَ أنّي نطقتُ بما تكره وأنا مخدوع، وقد علمتَ أني مِلتُ إلى محبّتك ولم أخدع، ومثلك شكر مسعى معتذر، وعفا زلّة معترف»[4].

إذن لم تكن أحاسيس معاوية ودّية تجاه عمرو بن العاص، ولم تكن أحاسيس ابن العاص ودّية تجاه معاوية أيضا، وقد أدرك معاوية أنّ عمرو بن العاص من دهاة العرب، وهو بأمسّ الحاجة لخدماته التيّ يستطيع أن يجني ثمارها، وفي الوقت نفسه شعر ابن العاص أنّه يستطيع أن يجني ثمار دهائه لقاء خدماته لمعاوية، كلّ ذلك جعل الإثنين يتبادلان المنفعة، ويترفّعان عن الخصومة ، فكانت المداراة هي الأداة الوحيدة في تعامل كلّ منهما مع الأخر [5].

- رسالة معاوية إلى ابن عبّاس يطلب منه الخروج للجهاد مع يزيد:

-89 -

[رسالة معاوية]: عن العتبي عن ابراهيم قال: بعث معاوية ابنه يزيد على الصّائفة، وأرسل إلى ابن عباس:

«يا أبا العبّاس[6] إن أحببت خرجت مع ابن أخيك فيأنَس بك ويُقرّبك، وتشير عليه برأيك، ولا يدخل النّاس بينك وبينه، فيشغلوا كل واحدٍ منكما عن صاحبه، وأقلّ من ذكر حقّك فإنّه إن كان لك فقد تركته لمن هو أبعد منّا حباً، وإن لك لم يكن لك فلا حاجة بك إلى ذكره مع أنّه صائرٌ إليك، وكلّ آتٍ قريب، ولتجدناً إذا كان ذلك خيراً لكم منّا»[7].

[جواب ابن عباس]: « والله لئن عظُمت عليك النّعمة في نفسك لقد عظمت عليك في يزيد، وأمّا

---

[1] _البطَر النشاط والمغالاة في المرح، وله معنى الدهش والحيرة. لسان العرب، مج1، ص301، مادة بطر.

[2] _ الخوَر الضّعف، ورجل خواري ضعيف لا بقاء له على الشدة. لسان العرب، مج2، ص1285، مادة خور.

[3] _العقد الفريد، ج4، ص330، 331.

[4] _المصدر نفسه، ص331.

[5] _جاسم صبكان : تاريخ صدر الاسلام، ص87.

[6] _ابن عباس يلقّب أبا العباس، انظر تاريخ دمشق، ج29، ص285.

[7] _ابن عبد ربه : المصدر السابق، ج5، 116.

ما سألتني من الكفّ عن ذكر حقّي، فإنّي لم أغمد سيفي، وأنا أريد أن أنتصر بلساني، ولئن صار هذا الأمر إلينا ثم وليكم من قومي مثلي، كما وليّنا من قومك مثلك، لا يرى أهلك إلاّ ما يحبون»[1]، ولم يخرج معه.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1] _ المصدر نفسه، ص116.

الفصل الثاني:

رسائلهم إلى آل بيتهـــم

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أوّلا:الرّسائل المتعلّقة بأوامرهم لآل بيتهم ومراقبة أفراد الأسرة الحاكمة:

- رسالة معاوية إلى سعيد بن العاص يأمره بمصادرة أموال مروان وهدم داره:

-90 -

عن موسى بن ابراهيم التيمي عن أبيه قال: «كتب معاوية إلى والي المدينة سعيد بن العاص: يأمره حين عزل مروان **بقبض أموال مروان التّي بذي المَروة**[1]**، والتي بالسُّوَيداء**[2]**، والتي بذي خُشب**[3]**، ولا يدَع له عذَقا**[4] **واحدا**»[5].

رواية أخرى لما سبق

-90-أ

قال محمد بن عمر:«كتب معاوية إلى سعيد بن العاص: **يأمره بقبض أموال مروان كلّها فيجعلَها صافية، ويقبض فَدك**[6] **منه** وكان وهبها له»[7].

رواية أخرى لما سبق

-90- ب -

أما مسكوية فذكر باختلاف عمّا سبق قال:كتب معاوية إلى سعيد بن العاص:

«**ان اقبِض مال مروان واهدم داره**»[8].

---

(1) _ ذي المروة جبل بمكة يعطف على الصفا ولونه مائل للحمرة، وذو المروة قرية بوادي القرىز. ياقوت الحموي: معجم البلدان ج5، 116.

(2) _ السوّيداء موضع على ليلتين من المدينة على طريق الشام، وهي بلدة مشهورة من ديار مضر. معجم البلدان ج3، ص286.

(3) _ ذي خُشب وادي على مسير ليلة من المدينة، والخشب من الأودية العالية باليمامة. معجم البلدان، ج2، ص372.

(4) _العذق هو الغصن وقيل النّخل، والمعنى ألّا تدع له نخلة فعبّر له بالجزء عن الكل. لسان العرب، مج4، ص2861، مادة عذق ، الزبيدي:تاج العروس، ج26، ص128، 129، مادة عذق.

(5) _ابن سعد: الطبقات الكبرى، الروايّة الأولى، ج6، ص397، ابن الأثير: الكامل، ج3، ص344.

(6) _ فدك، قرية بالحجاز بينها بين المدينة يومان، أفاءها الرسول ﷺ سنة 7هـ صلحاً ، وجعلها في حياته لفاطمة، وبقيت لولدها بعدها، فلمّا ولي معاوية أقطعها مروان. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج4، ص 239، 240.

(7) _ تاريخ الطبري، ج5، ص293، 294

(8) _تجارب الامم، ج2، ص15، ابن الجوزي: المنتظم، ج5، ص266، ابن الأثير: الكامل، ج3، ص344 .

رواية أخرى لما سبق

-ج-90

وروى ابن كثير في حوادث سنه 54هـ قال: «وفيها عزل معاوية سعيد بن العاص عن إمرة المدينة، وردّ إليها مروان بن الحكم...فقام سعيد فأخرج إليه كتاب معاوية إليه حين ولاّه المدينة **أن يهدم دار مروان ويصطفي ماله**»[1].

رواية أخرى لما سبق

-د-90

الواقدي قال:«كان معاوية يغري بين سعيد بن العاص وبين مروان بن الحكم، فكتب إلى سعيد بن العاص وهو على المدينة **يأمُره بهدم دار مروان** فلم يفعل»[2].

رواية اخرى لما سبق

-هـ-90

أمّا محمد بن عمر السّعدي فقال:«كان معاوية يولّي مروان بن الحكم سنة وسعيد بن العاص سنة، فلماّ كان في ولاية سعيد كتب إليه معاوية:

بلَغني أنّ مروان ابتنى دارا و أنّه خرج في الطّريق، فإذا أتاك كتابي هذا فاهدِم داره»[3].

هذه هي روايات المراسلة على مابينها من اختلاف خاصّة الأخيرة التّي لا تسعفنا المصادر من التّحقّق منها، ونعتقد أنّ معاوية لايكتب بما كتب فيها إلّا بعد أن أُبلغ عن ذلك.

وفي الحقيقة أننا نُحمّل الرّواة مسؤولية هذا الإختلاف في الرّواية، بل لا ندري أهذه رسالة واحدة أم أنّها عدة رسائل بعث بها معاوية في عدة أوقات، فقد تولّى سعيد المدينة لمعاوية عدة مرات، وكان معاوية يناوب بينه وبين مروان[4]، ولو قرنَتْ المصادر هذه الرسائل بتواريخ لاتّضح أهي روايات للرسالة نفسها، أم أنّها رسائل مختلفة، وممّا يزيد الأمر تعقيدا أنّ بعض المصادر ذكرت أنّ معاوية أرسل لسعيد بن العاص رسالة

---

(1) _البداية والنهاية، ج8، ص58 .

(2) _ابن سعد: المصدر السابق، الرّواية الثانية، ج6، ص397، البلاذي: أنساب، ج5، ص39.

(3) _ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج21، ص127.

(4) _انظر تاريخ خليفة، ص157، ابن كثير: المصدر السابق، ج8، ص58.

أخرى أعاد فيها طلبه كما سيأتي في اللاّحقة.

- رسالة معاوية إلى سعيد بن العاص يؤكّد عليه بمصادرة أموال مروان وهدم داره:

-91 -

قال محمد بن عمر: لـمّا كتب معاوية إلى سعيد بن العاص بما سبق ذكره، «راجعه سعيد بن العاص في ذلك، وقال قرابته قريبة: **فأعاد عليه** [1] **الكتاب مرة ثانية يأمرُه باصطفاء أموال مروان** .

فأبى وأخذ الكتابين فوضعها عند جارية له»[2] ولم يخرجهما إلاّ بعد أن همّ مروان بعد تولّيه المدينة بهدم دار سعيد وأخذ ماله، فأخرج له الكتابين، فعفى عنه مروان[3].

فهذه هي الرسالة الثانية التي أرسلها معاوية إلى سعيد بن العاص والتي انفرد بها الطبري وابن سعد والبلاذري، والذي نشير إليه هنا، أن خبر إخفاء سعيد للكتب، وعدم إخراجها حتى همّ مروان بهدّم داره تذكره المصادر التي لم تورد الرسالة الثانية على أنّ سعيدا أخفى كتابا واحدا فقط وليس كتابين[4].

ثم نطرح سؤالا هنا: لماذا يأمر معاوية بهذا؟! وما الذي فعله مروان حتّى يتُّخذ حقه مثل هذا القرار؟! المصادر أشارت إلى أنّه مجرّد إغراء بين سعيد ومروان، ولكن في إعتقادنا قد يكون الأمر أكبر من ذلك، قد يكون إذكاءًا للخصومة بين آل أبي العاص وآل الحكم، وبالتّالي تفريقا بين آل أبي العاص وتشتيتا لصفهم، ولقد كانت سياسة التفريق سلاحًا أخر من أسلحة الأموّيين استغلّوه، وانتصروا به، وشغلوا النّاس بأنفسهم وتقوّوا به، ثمّ ارتّد السّلاح عليهم، فقوّض ملكهم الذي شادوه[5].

- رسالة معاوية إلى مروان بن الحكم يأمره بهدم دار سعيد بن العاص:

-92-

ذكرنا أنّ معاوية كان يُغري بين سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أميّة وبين مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أميّة، فكتب إلى سعيد وهو على المدينة يأمره بهدم دار مروان فلم يفعل، فأعاد عليه فلم

---

[1] _ نهاية رواية ابن سعد والبلاذري.

[2] _ ابن سعد: المصدر السابق، ج6، ص397، البلاذري: أنساب، ج5، ص39، الطبري: المصدر السابق، ج5، ص294، ابن الأثير: الكامل، ج3، ص344.

[3] _ ابن سعد : المصدر السابق، ج6، ص397 ، الطبري: المصدر السابق، ج5، ص294.

[4] _ابن عساكر: المصدر السّابق، ج21، ص197، ابن الجوزي: المنتظم، ج5، ص266.

[5] _أحمد محمد الحوفي : أدب السياسة، ص455.

يفعل ،«فلما ولي مروان المدينة **كتب إليه بهدم دار سعيد**.

فأرسل الفَعَلة، وركب مروان ليهدمها، فقال له سعيد: يا أبا عبد الملك أتهدم داري؟! قال: كتب أمير المؤمنين إليّ في هدمها، فبعث سعيد فجاء بكتب معاوية إليه في هدم دار مروان، فقال مروان: يا أبا عثمان كتبَ إليك بهذه الكتب فلم تُعلمني؟! قال: ما كنت لأُمرِّر عليك عيشك، وإنّما أراد أن يُغري بيننا، فقال مروان: فِداك أبي وأميّ فإنّك أكرمنا ريشا[1] وعَقبا، وأمسك عن هدم داره»[2].

رواية أخرى لما سبق

-أ-92

سبق وأن ذكرنا من قبل ما كتب به معاوية إلى سعيد بن العاص في هدم دار مروان فأبى، فلمّا ولي مروان من جديد كتب إليه كما قال محمّد بن عمر السّعيدي: « **بنَظير الكتب التّي كتب بها إلى سعيد في مروان**» [3]

فمضى إلى دار سعيد بالفعلة، فخرج سعيد فأخذ بيد مروان وأدخله الدّار، فأخبره مروان بالذي جاء له، فقال سعيد: يا جارية هات الكتب، فجاءت بكتب معاوية، فرمى بها إلى مروان، فلما قرأها أعرض عن فعله ولامه عن عدم اخباره[4].

هذا هو نص الرّواية التّي أوردها ابن عساكر، إذ ذكر فقط أنّه بعث إلى مروان بنظير الكتب، ولم يذكر لنا مضمونها وما فيها.

- رسالة معاوية إلى مروان بقبض أموال سعيد:

-93 -

قال محمّد بن عمر:« عزل معاوية سعيد بن العاص عن المدينة وكتب إلى مروان **يأمره بقبض أموال سعيد بن العاص بالحجاز**»[5].

---

[1] _الرّيش هو المال أو المعاش والخصب. لسان العرب، مج3، ص1792، مادة ريش.

[2] _البلاذري: أنساب، ج5، ص39. ابن حمدون :التذكرة الحمدونيّة ،ج2 ، ص43 .ابن الجوزي: المنتظم، ج5، ص266 .

[3] _تاريخ دمشق، ج21، ص127.

[4] _المصدر نفسه، ص127.

[5] _تاريخ الطبري، ج5، ص294، ابن الجوزي: المنتظم، ج5، ص266، ابن الأثير: الكامل، ج3، ص344.

- كتاب مروان إلى معاوية لمّا علِم بأمره لسعيد بن العاص:

-94 -

ذكر ابن عساكر في روايته السّابقة عن محمّد بن عمر السّعدي قال: لمّا علم مروان بكتب معاوية إلى سعيد بن العاص يأمره بهدم داره وقبض ماله كتب إليه:

«كتبتَ إليّ تأمُرني بعَـــقٍّ كما قبلي كتبتَ إلى سعيدِ

فلمّا أن عصاك أردتَ حَملي على ملْساء تزلقُ بالشّديــدِ

لأقطع واصلاً وأخا حــفاظٍ فرأيُك ليس بالرّأي الرّشيــدِ»[1].

- ردّ معاوية على سعيد بن العاص حين كتب إليه يلومه في تحريض مروان عليه:

-95 -

لمّا كفّ مروان عن قبض أموال سعيد بن العاص، وعلم سعيد بأمر معاوية لمروان، كتب سعيد إلى معاوية: «العجَب ممّا صنع أمير المؤمنين بنا في قرابتنا، أن يُظغن بعضنا على بعض! فأمير المؤمنين في حلمه وصبره على ما يكره من الأجنبيْن[2]، وعفوه وإدخاله القطيعة بيننا والشّحناء وتوارث الأولاد ذلك، فوالله لو لم نكن بني أب واحد إلاّ بما جمعنا الله عليه من نصْر الخليفة المظلوم واجتماع كلمتنا لكان حقّا علينا أن نرعى ذلك، والذّي أدركنا به خير.

[ردّ معاوية] فكتب إليه يتنَصّل[3] من ذلك، وإنّه عائدٌ إلى أحسن ما يعهدُه»[4].

هذا هو تصرّف معاوية الذّي لا مبرّر له، فما هدفه من الإغراء بين سعيد ومروان؟! وما هي النتّيجة التي أراد الوصول إليها؟ فكأنّي بمعاوية هنا ارتجاليّ في تصرّفاته وقراراته، لم يدرُس جيّدًا ما يأمر به، وإلاّ كيف يتنصّل في الأخير من أمره، وكأنّه لم يكتب إلى مروان شيئا.

---

(1) _المصدر السّابق، ج21، ص127.

(2) _في هامش المحقق "الأخبثين".

(3) _التّنصّل شبه التبرّأ من جناية أو ذنب. لسان العرب، مج6، ص4446، مادة نصل.

(4) _الطبري: المصدر السابق، ج5، ص294.

- رسالة معاوية إلى مروان بن الحكم لمّا بلغه قول أخيه الحارث:

-96 -

قال ابن أعثم:«كان معاوية يحبّ أن يدّعي زيادًا، لما عرفه عنه من حزم وعزم مع علي، فلمّا أدّعاه سمع الحارث بن الحكم[1]، أخو مروان بن الحكم فقال: أما والله ما أدّعى معاوية زيادًا إلاّ ليستكثر به على بني العاص بن أميّة لأنّه إنّما خاف من شغب[2] مروان عليه في الخلافة، وأمّا أنا فإنّه يخاف منّي، وبلغ ذلك معاوية فكتب إلى مروان بني الحكم عامله على المدينة:

أمّا بعد، فقد بلَغني قول أخيك الحارث بن الحكم أنيّ خِفت من شغَبك عليّ في الخلافة، وأيمُ الله لقد وددتُ أنّك أحقّ بهذا الأمر منّي فسلّمته لك، وأيم الله ليَكفّنّ الحارث بن الحكم عن بعض كلامه، أو ليأتينّه منّي شيء لا قِبَل له به والسّلام ثم كتب في أسفل كتابه:

إن مروان أبت لي رحمـــــةٌ ... قطيعة الدّهر وفي المرء زَلَـلْ

يأكل الخير وفيه نخـــــوة ... واعتراض عن هوى ومِلـــــلْ

منع المرء أخـــاه حـــــارثا ... بالذي يسحب أذيال الخطلْ[3]

غرّهُ حُكمي وحِلمي شِمـــــة ... فارتقى فيما يـــــسوّى ونزلْ

أُبلغ الحارث عنيّ مـــــالكًا ... كلُّ شيء ما خلا صخرًا جـلَـلْ

فاطلب اليوم جفائي جاهـدًا ... وارحل النّاقة فيها والجمـــــلْ

ثمّ لا تنزع عمّا ســــــرّني ... أنني مرٌّ وحلْو كالـــــــعَسلْ

إنّ من سبّ زيادًا مـــــــرّة ... شرب الدّهر عـــــليه وأكـلْ

عرضُه عرضي وشيخي شيخه ... ولهذا الدّهر في النّـــاس دولْ»[4].

لقد حملت هذه الرّسالة في طيّاتها تحذيرًا ووعيدًا من معاوية لابن الحكم، فلمّا نظر مروان إلى الكتاب

---

[1] _الحارث بن الحكم الأموي أخو مروان أدرك يوم الدّار، وأمه أم عثمان وهي آمنة بنت علقمة بن صفوان بن أميّة. ابن عساكر: المصدر السّابق، ج11، ص412، 413.

[2] _الشّغب: هو تهييج الشّر والفتنة والخصام. لسان العرب، مج4، ص2283، مادة شغب.

[3] _الخطل العجلة والحمق، والخطل أيضا الكلام الكثير المضطرب الفاسد المنطق. لسان العرب، مج2، ص1202، مادة خطل.

[4] _الفتوح، ج4، ص299، 300 .

دعا أخاه الحارث، وقال هلكتَ وأهكلت، إنّ معاوية قد ادّعى زيادًا وهذا كتابه إليّ، فارحل إليه تائبا ومعتذرًا ولا تقم، فرحل الحارث وطلب العفو من معاوية فعفا عنه[1] .

تجدر الإشارة إلى أنّ هذا الصّراع الأموي الأموي هو بداية لتفكّك الأسرة بل والدولة القائمة، فأوّل ما يقع من آثار الهرم في الدّولة هو الصّراع داخل البيت الحاكم، «ذلك أنّ الملك عندما يستفحل، وينفرد صاحبه بالمجد يأنف حينئذٍ عن المشاركة، ويصير إلى قطع أسبابها بإهلاك وإقصاء قرابته المرشّحين لمنصبه، وحينها يتخوّفون على أنفسهم، وينزعون إلى تهميش غيرهم فيستفحل النّزاع ويتعاظم أمره لتراجع نطاق الدّولة فيقاسمها أو يكاد»[2] .

- رسالة معاوية إلى مروان يذمّ رجلاً :

-97 -

قال عبد الله بن سلام:«كتب معاوية إلى مروان:

والله لَفُلان أهوَن عليّ من ذرّة أو كلب من الحرّة

ثمّ قال للكاتب أمحُ الحرّة واكتب:

من كلب من الكلاّب»[3].

لم تذكر الرّواية الرّجل الذي كتب بشأنه معاوية، والسّبب الذي دفعه إلى ذلك، ولعلّه رجل معارض لمعاوية أو قدح في خلافته، لكن لماذا لم يكتب للرّجل أو كتب بمعاقبته، وكتب بمثل هذا الكلام القاسي لمروان؟!!

- رسالة عبد الملك إلى بعض أولاده حين عصاه :

- 98 -

قال العتبي: «كتب عبد الملك بن مروان إلى بعض ولده، وقد خالفه في شيء:

أمّا بعد فإني أمرتك بأمر فأتيتَ غيره، ووصّيتك بوصية فأبيت إلا عصيّته، وخفتُ أنّك بمنزلة الصّبي الذي إذا أُمر بشيء أباه، وإذا نُهي عن شيء أتاه؛ فيحتال له فيما ينفعه بأن ينهى عنه، وفيما

---

[1] _ابن أعثم: المصدر السّابق، ج4، ص300.

[2] _ابن الأزرق: بدائع السّلك، ص711.

[3] _البلاذري: أنساب، ج5، ص88.

يضره بأن يؤمر به، ويا سَوأتي لمن هذه حاله ، والسلام »[1].

- رسالة عبد الملك إلى أخيه عبد العزيز حين بعث إليه الشّعبي:

-99 -

عن عبد الملك بن مسلم قال: بعث عبد الملك بالشّعبي إلى أخيه عبد العزيز بمصر وقال له:

«إنّي قد بعثتُ إليك الشّعبي فانظر هل رأيتَ مثله قط»[2].

لقد عبّر عبد الملك عن إعجابه بالشّعبي كيف لا وقد أطربه شعرًا وعلمًا حينما بعثه الحجاج إليه، فاتّخده جليسًا وأنيسًا فأحبّ أن يغترف أخوه عبد العزيز غرفة من علم هذا الرّجل ويأنس به.

- رسالة الوليد إلى أخيه سليمان يلُومه على مايقدّمه من هدايا ليزيد بن المهلّب:

-100 -

قال أبّان العليمي: قدم يزيد بن المهلّب من العراق إلى سليمان بن عبد الملك، «فأقام عنده يعلّمه الهيئة، ويصنع له طيّب الأطعمة، ويهدي له الهدايا العظام، وكان من أحسن النّاس عنده منزلة، وكان لا تأتي يزيد بن المهلّب هديّة إلاّ بعث بها إلى سليمان، ولا تأتي سليمان هديّة ولا فائدة إلاّ بعث بنصفها إلى يزيد بن المهلّب، وكان لا تعجبه جارية إلاّ بعث بها إلى يزيد، فبلغ ذلك الوليد بن عبد الملك، فدعا الحارث بن مالك بن ربيعة الأشعري[3] فقال: انطلق إلى سليمان فقل له:

يا خالِفة أهل بيته، إنّ أمير المؤمنين قد بلغه أنّه لا تأتيك هديّة ولا فائدة إلاّ بعثتَ إلى يزيد نصفها، وإنّك لا تأتي الجارية من جواريك فلا ينقضي طُهرها حتّى تبعثَ بها إلى يزيد، وقبّحْ ذلك عليه وعيّره به، أتراك مبلغًا ما أمرتك؟

قال: طاعتك طاعة، وإنّما أنا رسول.

قال: فأته فقل له ذلك، وأقم عنده فإنّي باعث إليه بهدّية، فادفعها إليه وخذ منه البراءة بما تدفع إليه، فلّما فعل ذلك رسول الوليد، تعمّر وجه سليمان، ثمّ قال: والله لئن قدرت عليك يومًا من الدّهر

---

[1] _الصّولي : أدب الكتّاب ، ص236.

[2] _أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ج8، ص3691.

[3] _الحارث بن مالك بن ربيعة من أهل العراق، شهد عام التّحكيم مع أبي موسى الأشعري، وكان رسولاً بينه وبين علي، وفد على الوليد بن عبد الملك فاستخدمه لبعض أعماله. ابن عساكر: المصدر السابق، ج11، ص470.

لأقطعنّ منك طابقا، فقال له: إنّما كانت عليّ الطّاعة» [1].

يتجلّى من هذه الرّواية أنها رسالة شفوية حمّل الوليد رسوُله مسؤولية تبليغها إلى سليمان.

-رسالة الوليد إلى عمّه عبيد الله بن مروان يذمّه:

-101 -

قال الجاحظ:«بعث عبيد الله بن مروان [2]عمّ الوليد إلى الوليد بقطيفة حمراء، وكتب إليه: إنّي بعثتُ إليك بقظيفة حمراء حمراء، فكتب إليه الوليد:

قد وصلتْ إليّ القطيفة ، وأنتَ يا عمّ أحمق أحمق»[3].

- رسالة الوليد إلى أخيه عبد الله يُحاسبه عن ماله:

-102 -

قال أبو اليقظان: ولّى الوليد أخاه عبد الله حمص وغزا الصّائفة ، ثمّ ولّاه مصر فمرض،« فكتب إليه الوليد: **أن أكتُب لي أموالك**

فقال: اكتبوها له فليتني لم أعرف الوليد ولا أباه ومات، فقال الوليد : رحِم الله عبد الله خاف البيعة في الآخرة وتحرّج ممّا أصاب وقد جعلته من ذلك في حِلٍّ»[4] .

الثّابت أنّ عبد الله غزا الصّائفة في حياة أبيه عبد الملك سنة 84 هـ [5]،وتولّى حمص في خلافة أبيه وليس في خلافة الوليد[6]، وولاه أبوه مصر فبقي عليها إلى أن عزله الوليد[7]، فكلّ ما صاحب هذه الرّواية من أحداث يضعها مو ضع الشّك ، إلّا أن يكون الوليد كتب إليه بهذا بعد عزله عن مصر.

---

[1] _تاريخ الطبري، ج6، ص453.

[2] _هو عبيد الله بن مروان بن الحكم شاميّ الدّار أمّه أم إبّان بنت عثمان بن عفّان، ولي غزوة الصّائفة من قِبل أخيه عبد الملك سنة 81 هـ، وفتح حصن سنان. ابن عساكر: المصدر السّابق، ج38، ص115-117، وعند ابن أبي الحديد أنّه عبد العزيز بن مروان، وهذا خطأ، إذ أنّ عبد العزيز توفي في خلافة عبد الملك سنة 84هـ . انظر تاريخ خليفة، ص183.

[3] _البيان والتّبيين، ج2، ص232، ابن عبد ربه : العقد الفريد، ج7، ص174، ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ج7، ص65.

[4] _البلاذري : أنساب، ج7، ص196.

[5] _انظر ابن الأثير : الكامل في التّاريخ ، ج4 ،ص225 .

[6] _انظر تاريخ خليفة ،ص189 .

[7] _المصدر نفسه ، ص188 .

ثانيا: رسائل الخلفاء الخاصّة بالوصايا والنّـــــصّائح لآل بيتهم:

-رسالة معاوية إلى ابنه يزيد ينصحه:

-103 -

قال القلقشندي: كتب معاوية إلى ابنه يزيد وقد بلغه مفارقة اللّذات، وانهِماكه على الشهوات:

«من معاوية بن أبي سفيان أمير المؤمنين إلى يزيد بن معاوية أما بعد: فقد أدّت ألسنة التصريح إلى إذن العناية بك ما نجع الأمل فيك وباعد الرّجاء منك، إذ ملأتَ العيون بهجة، والقلوب هيبة وترامت إليك آمال الرّاغبين، وهِمم المتنافسين، وشحّت[1] بك فتيان قريش وكهول أهلك، فما يسوغ لهم ذكرك إلاّ على الجرّة المهوّعة[2]، والكظّ الجشْءِ[3]، اقتحمتَ البوائق، وانقدْت للمعاير، واعتضتها من سموِّ الفضل، ورفيع القدر، فليتك يزيد إذ كنتَ لم تكن سرَرَت يافعًا[4] ناشئًا، وأثكَلت[5] كهلاً ضالعًا[6]، فواحَزَناه عليك يزيد! ويا حرَّ صدر المُثكّل بك ما أشمتَ فتيان بني هاشم! وأذّل فتيان بني عبد شمس! عند تفاوض[7] المفاخر، ودراسة[8] المناقب! فمنْ لصلاح ما أفسدْتَ، ورتْقِ ما فتَقْت[9]؟ هيهاتَ خمَشتْ[10] الدّربة وجه التّبصُّر بك، وأبت الجنايةُ إلاّ تحدّرًا على الألسُن، وحلاوةً على المناطِق، ما أربَحَ فائدة نالوها، وفُرصة انتهزوها! انتبِهْ يزيد للفُظّة[11]، وشاور الفكرة، ولا تكنْ إلى سمعك أسرَعَ من معناها إلى عقلك، واعلم أنّ الذي وطّأك وسوسة

---

(1) _تشاحوا في الأمر أي تنازعوه. لسان العرب، مج4، ص2205، مادة شحح.

(2) _الهوع هو القيء ويراد هنا الجرّة المدرّة. لسان العرب، مج6، ص 4721، مادة هوع.

(3) _ الكظ الجشء: كظّه أي ملأه والكظّ الغيض والهمّ والشدّة، والجشء النفس، وقيل الطلب وقيل الشدة، والمقصود هنا نفس مغتاظة، وهمّ كثير. لسان العرب، مج5، ص3886، مادة كظظ، مج1، ص625، مادة جشأ.

(4) _ اليافع هو المشرّف، وغلام يافع أي شاب. لسان العرب، مج6، ص4963، مادة يفع.

(5) _ التكّل: الموت والهلاك، وقيل فقدان الحبيب. لسان العرب ، مج1، ص495، مادة ثكل.

(6) _ أي مائلاً. لسان العرب ، مج4، ص2600، مادة ضلع.

(7) _ تفاوض: معناها مجاراة الحديث والأخذ فيه. لسان العرب ، مج5، ص3486، مادة فوض.

(8) _ دراسة المناقب: أي مذاكرة المناقب. لسان العرب ، مج2، ص1360، مادة درس.

(9) _ رتق ما فتق: الرّتق هو الالتئام، وما ليس له صدع، والفتق خلافهُ وهو الشّق والمعنى هنا أي جبر الصدّع. لسان العرب ، مج3، ص1577، مادة رتق، مج5، ص3341، مادة فتق.

(10) _خمَشت الدّربة: الخمش هو الخدش، وقيل الإقتصاص، والخوامش مدافع السيّل، والدّربة العادة والتجربة، والمعنى هنا خدشت العادة والتجربة. لسان العرب، مج2، ص1665، مادة خمش، مج2، ص1350، مادة درب.

(11) _الفظّة هي الفرقة . لسان العرب، مج5، ص3427، مادة فضض.

الشيطان، وزخرفة السُّلطان، ممّا حسُنَ عندك قُبحه واحلولى عندك مّرُّه، أمر شَرِكك فيه السّواد، ونافسَكَهُ الأعبُدُ، لا لأُثرة تدّعيها أوجبتها لك الإمرة، وأضعتَ بها من قدرك، فأمكنْتَ بها من نفسك فكأنّك شانئ[1] نفسك فمن لهذا كلُّه؟

إعلم يا يزيد انّك طريدُ الموت وأسير الحياة، بلغني انّك اتخذت المصانع، والجالس للملاهي والمزامير كما قال تعالى:﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ[2] ءَايَـةً تَعْبَثُونْ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾[3]وأجهرتَ الفاحشة حتّى اتّخذْتَ سريرتها عندك جهرًا.

إعلم يا يزيدُ أنّ أوّل ما سلبَكهُ السُّكر معرفة مواطِن الشّكر لله على نعمه المتظاهرة، وآلائه[4] المتواترة، وهي الجرحة العُظمى، والفجعة الكبرى: ترك الصلوات المفروضات في أوقاتها، وهو من أعظم ما يحدثُ من آفاتها، ثمّ استحسانُ العيوب، وركوب الذّنوب، وإظهار العورة، وإباحة السّرِ، فلا تأمنُ نفسك على سّرك، ولا تعقِد على فعلك، فما خيرُ لذّةٍ تُعقِبُ النّدم، وتُعفّي الكَرم[5]؟ وقد توقّف أمير المؤمنين بين شطرين من أمرك، لما يتوقّعه من غلبة الآفة، واستهلاك الشّهوة، فكن الحاكم على نفسك، واجعل المحكوم عليه ذهنك ترشُدُ إن شاء الله تعالى، ويبلغ أمير المؤمنين ما يردّ شاردًا من نومه، فقد أصبح نُصْبَ الاعتزال من كلّ مُؤانس، ودُرأة[6] الألسُن الشّامتة وفقك الله فأحسن»[7].

بهذه الكلمات المؤثّرة، وبهذا الأسلوب والعطف الغزير، ينصح أمير المؤمنين ابنه ويوجّهه لما فيه الخير والصّلاح في الدّارين، إنّها عبارات نابعة من قلب والد رحيم بابنه، محبٍّ للخير وصلاحه، إنّها نصيحة تصلح لكلّ سياسي في كل زمان ومكان، وهي علاج إجتماعي أخلاقي لكلّ من يريد إصلاح نفسه ومجتمعة، وبها أراد معاوية أن يرقى بابنه إلى معالي الأخلاق وفاضلهاو وينزّهه عن كل رذيلة ترمي به في أسفل السّافلين، فلماذا لم يأخذ يزيد العبرة، ولماذا لم يتعلّم من الدّرس؟!.

---

(1) _شانئ أي مبغض نفسك أو عدوّ نفسك. لسان العرب، مج4، ص2335، مادة شنأ.

(2) _الرّيع: هو المكان المرتفع. لسان العرب، مج3، ص1794، مادة ريع.

(3) _ الآية 128، 129 من سورة الشعراء.

(4) _الآلاء هي النّعم. لسان العرب، مج1، ص119، مادة ألا.

(5) _تُعفّي الكرم: أي تباعد الكرم، والعفاة الأضياف. لسان العرب، مج4، ص3015، مادة عفف.

(6) _أي دفع الألسن الشامتة وإبعادها. لسان العرب، مج2، ص1347، مادة درأ.

(7) _صبح الأعشى، ج6، ص387، 388 ، أحمد زكي: جمهرة رسائل، ج2، ص66.

- رسالة معاوية إلى بني أميّة يوصيهم حين حضرته الوفاة:

-104-

عن عمرو بن عتبة قال:«لمّا اشتكى معاوية شكايته التّي هلك فيها أرسل إلى أناس من بني أميّة فخصّص ولم يعمّم، فقال:

يا بنيّ أميّة إنّه لمّا قرُب ما لم يكن بعيدًا وخِفت أن يسبقكم الموت إليَّ سبقتُه بالموعظة إليكم لا لأرُدّ قدرًا، ولكن لأبلُغَ عُذرًا، لو وُزنتُ بالدّنيا لرجحتُ بها، ولكنّي وُزنتُ بالآخرة فرجحَتْ بي، إنّ الذّي أخلّف لكم من الدّنيا أمرٌ ستُشارَكون فيه، أو تُغلبون عليه، والذّي أخلّفُ عليكم من رأيي أمرٌ مقصور عليكم نفعه إن فعلتموه، مخوّف عليكم ضررُه إن ضيّعتموه، فاجلعوا مكافأتي قَبول وصّيتي، إنّ قريشا شاركتكم في نسبكم، وبِنتم منها بفِعالكم، فقدّمتُم ما تقدَّمتُم فيه، إذ أخّرَ غيْركُم ما تأخّروا له، وبالله لقد جُهِرَ لي فعلمتُ ونُغِمَ[1] لي ففهمتُ، حتّى كأنّي أنظر إلى أبنائكم بَعدَكم نظري إلى آبائهم قبلهم، إنّ دولتكم ستطول، وكلُّ طويلٍ مملول، وكلّ مملُول مخذول، فإذا انقضت مدّتكم كان أوّل تجادلكم[2] فيما بينكم، واجتماع المختلفين عليكم، فيُدبرُ الأمرُ بضدِّ الحُسْنِ الذّي أقبل به، فلستُ أذكرُ عظيمًا نركبُ[3] منه، ولا حُرمة تُنتهك إلاّ والذّي أكفّ عن ذكره أعظم، فلا معوَّل عليه عند ذلك أفضل من الصّبر، وتوَقّع النّصر واحتساب الأجر فيمَا دَكَم[4] القومُ دولتهم إمتداد العنانين[5] في عنق الجواد، فإذا بلغ الله بالأمر أمدَهُ[6]، وجاء الوقت المحتوم، كانت الدّولة كالإناء المكفوّ[7]، فعندها أوصيكم بتقوى الله الذّي لم يتّقه غيركُم فيكم، فنجعل العافية لكم والعاقبة للمتّقين»[8].

لقد كانت هذه الوصّية رسالة شفويّة إلى بني أميّة ليحفظوا الدّرس، ويأخذوا العبرة، فلخّص لهم بذلك تجربته في الحكم، وأعطاهم خلاصة وعصارة أربعين سنة من التّمرّس في السّياسة، عشرين سنة كوالٍ

---

[1] _نغم: أي تكلّم بكلام خفي نسمعه ولا نفهمه. لسان العرب، مج6، ص4490، مادة نغم.

[2] _كذا في تاريخ دمشق وفي المختصر" تخاذلكم".

[3] _كذا في تاريخ دمشق وفي المختصر " يُركب".

[4] _دكم القوم أي تدافعوا وتزاحموا. لسان العرب، مج2، ص1405، مادة دكم.

[5] _العنانين: جمع عنان، وهو اللّجام والسّير الذي تمسك به الدّابة. لسان العرب، مج4، ص3141، مادة عنن.

[6] _أمده من الأمد وهو الغاية كالمدى. لسان العرب، مج1، 125، مادة أمد.

[7] _الإناء المكفوّ أي المقلوب. لسان العرب، مج5، ص3908، مادة كفى.

[8] _ابن عساكر: المصدر السابق، ج59، ص219، 220، ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، ج25، ص80، 81.

على الشّام، وعشرين سنة كخليفة للمسلمين، فحذّرهم الفرقة، وبيّن لهم أنّ أوّل ضعف في دولتهم هو الخلاف الذّي يدبُّ بينهم، وأعطاهم الحلّ والمخرج من كلّ هذا، وبالفعل كان معاوية دقيقًا صائبًا سديدًا في توقّعاته، فمنذ أن دبّ الخلاف في مرج راهط[1]، بدأت الدّولة تسير إلى أسوأ حالاتها.

إنّها رؤية بعيدة النّظر من معاوية، تصلح أن تجسّد في ميدان كل دولة ونظام قائمٍ، ألا ترى أنّ دول اليوم كان سبب ضعفها وانهيارها هو الخلاف الذي دبّ بين أبنائها والطّائفيّة والعصبيّة الشّنعاء التّي نخرت في عضدها، فلماذا لا تأخذ الدّول العبرة من تاريخها؟.

- رسالة معاوية إلى ابنه يزيد يوصيه قبل موته:

-105 -

قال عوانة بن الحكم :«لمّا احتضر معاوية وكان يزيد غائبا دعا بالضّحاك بن قيس الفهري ومسلم بن عقبة المرّي، فأوصى إليهما فقال: بلّغا يزيد وصيّتي، [وكتب فيها][2]:

أنظُر أهل الحجاز فإنّهم أصلك، فأكرم من قدِم عليك منهم، وتعاهد من غاب [عنك من وجوههم][3]، وانظر أهل العراق فإن سألوك أن تعزل عنهم كلّ يوم عاملاً فافعل، فإنّ عزل عامل أحبّ إليّ[4] من أن تُشهرَ عليك مائة ألف سيف، وانظر أهل الشّام فليكونوا بِطانتك وعيبتك[5] فإن نابك[6] شيءٌ من عدوّك فانتصر بهم، فإذا أصبتهم فاردُد أهل الشّام إلى بلادهم[7]، فإنّهم إن أقَاموا بغير بلادهم أخذوا بغير أخلاقهم[8]، وإنّي لستُ أخاف من قريش إلاّ ثلاثة: حسين بن علي، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزّبير، فأمّا ابن عمر فرجلٌ قد وقذه[9] الدّين فليس متلمِّسًا شيئا قِبلك، وأمّا الحسين بن علي فإنّه رجل حفيف، وأرجو أن يكفيكهُ الله بمن قتل أباه وخذل أخاه، وإنّ له

---

[1] _انظر التمهيد عن وقعة مرج، راهط، وصراع القيسيّة واليمنيّة.

[2] _إضافة من أنساب الأشراف .

[3] _إضافة من أنساب الأشراف، وفي بقية المصادر ناقصة .

[4] _في أنساب الأشراف " أهوَن عليك " والمثبت من بقية المصادر .

[5] _العيبة هي ما يوضع فيه المتاع ليُصان، وتُطلق على الرّجل الذي يختصّ بالأسرار التّي لا يحبّ شيوعها، وقيل معناها المودّة والمكافأة، وعيبة الرّجل موضع سرّة. لسان العرب، مج4، ص3184، مادة عيب.

[6] _كذا عند الطّبري، وفي أنساب الأشراف والمنتظم "رابك".

[7] _نهاية رواية ابن الجوزي .

[8] _نهاية رواية البلاذري وفيها: " ثمّ ردّهم إلى بلادهم فإنّهم إن أقامو بغيرها فسدت أخلاقهم " .

[9] _وقَذه أي غلبة وسكنّه. لسان العرب، مج6، ص4889، مادة وقذ.

رحمًا ماسّة، وحقّا عظيما، وقرابة من محمد ﷺ ، ولا أظنّ أهل العراق تاركيه حتّى يُخرجوه، فإن قدرتَ عليه فاصفح عنه، فإنّي لو أنّي صاحبه عفوتُ عنه، وأمّا ابن الزّبير فإنّه خَبٌّ[1] ضَبٌّ، فإذا شخص لك فالبِدْ[2] له، إلاّ أن يلتمس منك صُلحًا، فإن فعل فافعل، واحقن دماء قومك ما استطعتَ»[3].

بعقليّة السّياسي المحنّك العالم بمجاري الأمور ومقتضياتها، يزّف معاوية هذه العبارات إلى يزيد، وهو بذلك يرسم له خطّة يسير عليها بعد وفاته، ويخطّ له طريقا سياسيًّا واضح المنهج حتّى لا يقع في المهالك، فأوصاه بأهل الشّام، وحذّره النّفر المعارضين، بل وضع له منهجًا محدود المعالم، يتعامل به مع كلّ واحد من هؤلاء المعارضين.

فتلك هي وصيّة معاوية التّي بيّن فيها خبرته الطّويلة في الإدارة" واليا وخليفة" والخبرات التي اكتسبها من تعامله مع كثير من الصّعوبات التي واجهها خلال حياته، ولحداثة ابنه وولي عهده وقلّة تجربته في إدارة شؤون الدّولة، فضلا عن توقّعه بأنّ ما جابهه من مشاكل يمكن أن يستجّد في خلافة ولده، لذلك حرص على أن يرسم لإبنه كيفيّة المواجهة، والتعامل مع المتغيّرات، فكانت الوصيّة بذلك برنامجًا سياسيًّا ورؤى مستقبليّة[4]، فهل عمل يزيد بما أوصاه أبوه؟.

إنّ المتتبّع للأحداث بعد موت معاوية يرى البون الشّاسع بين وصيّة معاوية وبين الواقع السيّاسي لابنه يزيد[5]، ولو عمل بها يزيد ما وقع في المصائب التّي وقع فيها، فكان الأجدر به أن ينّفذ وصيّة أبيه، ويجعلها نصب عينيه، فهو بقتله للحسين وتهييجه لابن الزّبير، فتح على نفسه، لا بل على بني أميّة، ومن بعده بابًا واسعًا من الفتنة اتّخذه أعداء الأمويّين ورقة رابحة وذريعة متينة للخروج عليهم، وفي الأخير إسقاطهم!!

رواية أخرى لما سبق

-أ-105

قال عوانة: «قال معاوية لابنه في وصيّته:

---

[1] _الخب هو الخدّاع والخبث، ورجل خبّ خدّاع. لسان العرب، مج2، ص1085، مادة خبب.

[2] _لبد بالمكان أقام به خشية الهلكة، واللّبدة الجماعة من النّاس مجتمعون. لسان العرب، مج5، ص2985، مادّة لبد.

[3] _الطبري: المصدر السّابق، ج5، ص323، البلاذري: أنساب الأشراف، الرّواية الأولى، ج5، ص 154، ابن الجوزي: المنتظم، ج5، ص321.

[4] _عبد السّتار اسماعيل: وصايا الخلفاء، ص134.

[5] _انظر التمهيد.

يا بنيّ إنّي قد وطّأتُ لك الأشياء، وأذللتُ لك الأعداء، وأخضعت أعناق النّاس ببيعتك، فانظر أهل مكّة والمدينة فأكرِمهم، فإنّهم أصلك ومنصبك ومن ورد عليك منهم فأكرمه، ومن لم يأتِك فابعث إليه بصلته، وانظر أهل العراق فإنّهم أهلُ طعن على الأمراء وملالة لهم، فإن يسألوك أن تبدّل كلّ يومٍ عاملاً فافعل، وانظر أهل الشام فليكونوا بِطانتك وعيبتك وحصنك، فمن رابك أمره فارمه بهم، فإذا فرغوا فأقفلهم إليك، فإنّي لا آمن النّاس على إفسادهم، وقد كفاك الله عبد الرّحمان بن أبي بكر فلستُ أخاف عليك إلاّ حسينا وابن عمر وابن الزّبير، فأمّا ابن الزّبير فلستُ أشّكُ في وثوبه عليك، فسيكفيكه من قتل أباه وجرح أخاه، إنّ آل أبي طالب قد قدّموا أعناقهم إلى غاية أبت العرب أن تُعطيهم المقادة فيها وهم محدودون[1]، وأمّا ابن عمر فقد وقذه الإسلام، وشغله عن منازعته، وأما ابن الزّبير فخِبّ خدع فإذا شخص إليك فالبِد له فإنّه ينفسخ[2] عن المُطاولة»[3].

يظهر لنا في هذه الرّواية نوع من الخلط في المعلومات خاصّة في آخرها إذ أنّه حذّره من ابن الزّبير قائلاً: سيكفيكه من قتل أباه وجرح أخاه، وهذا الكلام عن الحسين وليس عن ابن الزّبير كما توضّحه الرّوايات الأخرى ويشهد له الواقع التّاريخي، ثمّ لِمَ يُعيد الكلام عن ابن الزّبير في آخر الرّسالة إذا كان تحدثّ عنه قبل ذلك؟ فهذا كلّه يبعث الشك في هذه الرّواية أو على الأقل في آخر جزء منها.

رواية أخرى لما سبق

105-بب-

وقال أبو بكر بن عيّاش:«لما حضرت معاوية الوفاة، ويزيد غائب، دعا الضّحاك بن قيس الفهري ومسلم بن عقبة المرّي فقال: أبلغا عنّي يزيد وقولا له:

أنظر أهل الحجاز فإنّهم أصلك وعِترتك[4]، فمن أتاك منهم فأكرمه، ومن قعد عنك فتعاهده، وانظر أهل العراق فإن سألوك عزل عامل في كل يوم فاعزله، فإنّ عزل عامل واحد أهون من سلّ مائة ألف سيف، ثمّ لا تدري على من تكون الدّائرة، ثمّ انظر أهل الشّام فاجعلهم الشّعار[1] دون

---

(1) _محدودون أي ممنوعون محرومون من الخير وغيره. لسان العرب، مج2، ص801، مادة حدد.

(2) _فسخ أي انتقض، والفسخ الذي لا يظفر بحاجته. لسان العرب، مج5، ص3412، مادة فسخ.

(3) _البلاذري : أنساب الأشراف، الرّواية الثانية، ج5، ص153.

(4) _عترة الرّجل أقرباؤه من ولد وغيره، وقيل قومه ورهطُه وعشيرته الأدنون. لسان العرب، مج4، ص2796، مادة عتر.

(1) _الشّعار ماولي شعر جسد الأنسان دون ما سواه من الثّياب، والجمع أشعُرة. لسان العرب، مج4، ص2275، مادة شعر.

الدّثار[1] **فإن رابك من عدوّك ريب فارمه بهم، ولستُ أخاف عليك إلاّ ثلاثة: الحسين بن علي وعبد الله بن الزّبير وعبد الله بن عمر، فأمّا الحسين بن علي فأرجو أن يكفيكه الله بمن قتل أباه وخذل أخاه، وأمّا ابن الزبير فإنّه خِبّ ضَبّ فإن ظفرت به فقطّعه إربًا إربًا وأمّا ابن عمر فإنّه رجل قد وقذه الورع فخلّ بينه وبين آخرته يُخلّ بينك وبين دنياك»**[2].

هذه هي روايات الوصيّة التي تركها معاوية ليزيد[3]، والتّي لم يأخذ بها يزيد ففجّر على الأمّة مصائب عظمى من مقتل الحسين وغزو المدينة وقتله لأهلها في موقعة الحرّة ، ثمّ غزوه لابن الزبير المرابط بمكّة.

و يتّضح من هذه الوصيّة أن إبتعاد معاوية عن قبائل شبه الجزيرة واستناده المطلق على قبائل الشّام كان سياسة محنكّة مدروسة، فقبائل شبه الجزيرة جمعاء كانت القبائل التي بدأ الاسلام بها أوّلاً، ولذلك فإنّ نزاعاته كانت نزاعاتها وتاريخه تاريخها وانقساماته انقساماتها، أمّا القبائل الشّاميّة فكانت بمعزل تامّ عن كلّ هذا، لهذا قدّمت هي لمعاوية قاعدة حركيّة لم يكن لأحد من خصومه أن يتمتّع بها على الإطلاق[4].

إنّ المعرفة الدقيقة لواقع المجتمع التي تمتّع بها معاوية جعلته يتّبع سياسة ذات أساليب مختلفة تتلاءم مع طبيعة المرحلة، وواقع الأشخاص، لقد كان معاوية على درجة كبيرة من الذّكاء والدّهاء المؤّطر بالمكر، إذ أتقن صناعة العلاقات الإجتماعية والسيّاسية واستطاع ترويض الخصوم، وهذه الصّفات التي تجمّعت فيه جعلت غاياته مبرّرًا لوسيلته.

---

[1] _الدّثار: هو الثوب الذي يكون فوق الشّعار، ويقصد بكلامه:إجعلهم الخاصّة دون العامة.لسان العرب، مج2، ص1326، مادة دثر.

[2] _ الجاحظ : البيان والتبيين، ج2، ص131، ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج5، ص122، وعنده:" عن الهيثم بن عدي قال:..."

[3] _أورد ابن اعثم نصّا آخر بولاية العهد ليزيد وذكر أنّ يزيد كان حاضرًا عنده ونحن حكمنا بعدم صحته انظر: الفتوح، ج4، ص347، 348 وملحق الرّسائل الموضوعة.

[4] _أيمن ابراهيم: الإسلام والسّلطة، ص317. عبد اللّطيف السّيد: العصر الأموي، ص114.

الباب الثاني:

رسائل الخُلفاء الخاصّة بالمَظالم والقضاء والشّفاعة والوَساطة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول:

الرسائل الخاصة بالنّظر في مظالم العمّال وردّ الحقوق على الرّعية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهـــــــيد:

لقد أولى خلفاء بني أميّة أهميّة خاصّة ورعاية كاملة للقضاء والمظالم، حتّى وقف على قدميه، وأصبح له جهاز كامل مستقلّ، ومن ذلك نرى أنّ القضاء في العهد الأمويّ كان مستقلاً عن أيّ سلطة أخرى حتّى سلطة الوالي التي كانت تنتهي عند تولية القاضي أو عزله، دون أن يكون له تدخّل في أعمال القاضي واجتهاده وحكمه، إذ كان القاضي محترم الجانب يختار لغزارة علمه وتقواه وورعه وعدله[1].

إذ اعتبروا أنّ من أولى أولويّاتهم معاينة المظالم والأحكام، بالتّسوية بين أهلها واعتماد الإنصاف في فصلها[2]، وهذه السّياسة من الخليفة عليها التّعويل في حقن الدّماء ومنع الشّرور، وقمع الدّعار والمفسدين، والمنع من التّظالم المؤدّي إلى الفتنة والاضطراب[3].

ونظرًا لانشغالات الخليفة اليوميّة يعيّن من القضاة من ينوب عنه في فصل القضايا وحلّ النّزاعات، وقد كان القاضي في الإسلام يتولّى جميع الإختصاصات التّي تعرض عليه، ويُطلب منه فصل الخصومة فيها، سواء أكان الخلاف كما نقول بلغة اليوم مدنيًّا أم جزائيًّا أم إداريًّا، أم متعلقا بالأحوال الشخصية، أم غير ذلك ممّا يمكن أن يُعرض على القضاة[4].

على أنّ أنّ المصادر أشارت إلى القضاة في مراكز الأجناد المختلفة، وهذا ما يدفع المرء إلى الإعتقاد بأنّ الأمويّين تابعوا النّهج الذّي طبقّه عمر بن الخطّاب عندما عيّن قضاة على دمشق وحمص وفلسطين والأردن، إذ لا يعقل أن يعمد المتخاصمون إلى اللّجوء إلى العاصمة لحل قضاياهم ومشكلاتهم[5]، ومن أشهر القضاة في ذلك العهد: عامر الشّعبي[6]، وفضالة بن عبيد بدمشق، وشريح بالكوفة[7]، وإيّاس بن معاوية المزني بالبصرة[8]، وسليم بن عتر بمصر[1].

---

(1) _سهيل أحمد: تطّور جهاز الشّرطة، ص164، عبد الرّحمن ابراهيم: القضاء، ص 262.

(2) _ أبو يوسف: الخراج، ص5، الماوردي: أدب الدّنيا والدّين، ص114، الفرّاء: الأحكام، ص80،ابن تيمية: السّياسة الشّرعية، ص14.
Particia Crone: Good's Caliph, p43.

(3) _ابن طباطبا: الفخري، ص30.

(4) _نجدت خماش: الشّام في صدر الاسلام، ص255.

(5) _المرجع نفسه، ص252.

(6) _انظر أخباره وقضاياه وكيع: أخبار القضاة، ص 527 وما بعدها.

(7) _ المصدر نفسه، ص 617، 381.

(8) _ المصدر نفسه، ص 199.

(1) _الكندي: كتاب الولّاة وكتاب القضاة، ص 303.

هذا وقد تميّز القضاء في عهد بنيّ أميّة بميزتين:

الأولى: أنّ القاضي كان يحكم بما يوجبه إليه اجتهاده، إذ لم تكن المذاهب الأربعة التّي تقيّد بها القضاة قد ظهرت، فكان القاضي في هذا العصر يستنبط الحكم بنفسه من الكتاب والسنّة أو الاجماع.

الثانيّة: أنّ القضاء لم يكن متأثّرًا بالسيّاسة- في أغلب الأحيان- إذ كان القضاة مستقلّين في أحكامهم لا يتأثرون بميول الدولة الحاكمة، وكانوا مطلقي التّصرّف، وكلمتهم نافذة، حتّى على الولاّة وعمّال الخراج، غير أنّ كثيرا من القضاة كانوا يرجعون إلى الخليفة أو الوالي في طلب الرّأي، ومع هذا لم يكونوا يتأثّرون بميول الحاكم كما ذكرنا، غير أنّ الخليفة كان يراقب أحكامهم ويعزل من شذّ منهم[1].

إذ لم تنقل لنا المصادر أيّ ممارسات وضغوط على القضاة من قبل الخلفاء والولاّة، فقد فسحوا المجال لحرية القضاء واستقلاليته، وإنّما كان الولاّة أو الخلفاء يتولّون أحيانًا الفصل في بعض القضايا التي ترفع إليهم، أو يراقبون القضاه في تجاوزاتهم فينصحون ويوجّهون ويردّون المظالم إلى أهلها.

وفي ذلك العهد ظهرت الحاجة إلى وجود سجّلات تدوّن فيها الأحكام التّي يصدرها القضاة، ولم يُعرف هذا في عهد الخلفاء الرّاشدين، إلاّ أنّ تناكر الخصوم أدّى إلى إدخال هذا النّظام فوجدت السّجلات[2].

ونشير إلى أنّ هناك سلطة قضائية أعلى من سلطة القاضي وهي سلطة قاضي المظالم، ولا غرو، فقد كانت محكمة المظالم بمثابة محكمة الإستئناف العليا في هذا العصر، تُعرض عليها القضايا إذا عجز القاضي عن تنفيذ حكمه في رجل من عِلية القوم، وكانت محكمة المظالم تنعقد برئاسة الخلفية أو الوالي أو من ينوب عنه[3]، وهذا ما سنلاحظه في كثير من الرّسائل اللاّحقة.

هذا ونشير أنّ أوّل من أفرد للظّلامات يومًا يتصفّح فيه قصص المتظلمين – من غير مباشرة للنّظر- معاوية وبعده عبد الملك، فكان إذا وقف منها على مشكل أو احتاج فيها إلى حكم منفذ ردّه إلى القاضي، فينفّذ فيه أحكامه، ثمّ زاد جور الولاّة وظلم العتاة، ما لم يكفّهم عنه إلاّ أقوى الأيادي، فكان عمر بن عبد العزيز بعد ذلك أوّل من ندب نفسه للمظالم وردّها، فكان أوّل ما بدأ به عمر بن عبد العزيز بعد استخلافه هو ردّ المظالم إلى أهلها، حتى كان همّه بالنّاس أشدّ من همّه بأمر نفسه إلى أن انقضى أجله

---

(1) _حسن ابراهيم حسن: تاريخ الاسلام ، ج1، ص397، عبد الرّحمن ابراهيم: المرجع السّابق، ص 265.

(2) _ حسن ابراهيم حسن: المصدر السّابق ، ج1، ص398.

(3) _المرجع نفسه، ص399، 400.

رحمه الله[1].

فالظّاهر أنّ عمر بن عبد العزيز قد تحمّل دولة مليئة بمظالم من قبله من الخلفاء والولاّة، فكانت الأحكام الصّادرة بحقّ الرّعية تختلف بحسب نوع الضّرر والفساد، وهذا ما جسّده قول عمر: «تخذت للنّاس أقضية بقدر ما أحدثوا من الفجور» [2]، فكان خلفاء بني أميّة المتقدّمون على علم بإساءة الرّعيّة، وعلى أساس ذلك قُدّرت العقوبة.

[1] _الماوردي : الأحكام، ص149، 150، الفرّاء: المصدر السابق، ص75.

[2] _أبو يوسف : المصدر السّابق، ص16.

أوّلا: الـــــــرّسائل المتعلّقة بمُعالجة مظالم القتل والأموال :

- رسالة عبد الملك إلى الحجاج حين مثّل بابن الزّبير:

-106 -

قال شرحبيل بن أبي عون فيما يرويه عن أبيه: «قتل الحجاج عبد الله بن الزّبير ثم صلبه على الثنية التي بالحَجون[1]،،فأرسلت إليه أسماء تستأذنه في أن تكفّنه فأبى، وكتب إلى عبد الملك يخبره،

فكتب إليه يلومُه فيما صَنع [2]، ويقول: ألا خلّيتَ أمّه فوارَتْه [3].

فأذن لها الحجّاج فوارته بالمقبرة بالحجون، وصلّى عليه عروة[4] بن الزّبير» [5].

رواية أخرى لما سبق

-106 - أ-

أمّا أبو مليكة[6] فقال: «أتيت أسماء بعد قتل عبد الله بن الزّبير فقالت: بلغني أنّهم صلبوا عبد الله منسكًا[7]، وعلّقوا معه الهرّة، والله لوددتُ أنّي لا أموت حتّى يُدفع فأغسّله، ، وأحنّطه وأكفّنه، ثم أدفنه، فما لبثوا أن جاءه كتاب عبد الملك: **أن يُدفع إلى أهله.**

قال: فأتيتُ بأسماء فغسّلته وحنّطته، وكفّنته ثم دفنتْه» [8]

---

[1] _ الحجون جبل بأعلى مكّة عنده مدافن أهلها، وهو مكان بعيد عن البيت بميل ونصف، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج2، ص 225.

[2] _ في بقية المصادر "**يلُومه على صَلبه** "

[3] _ وفي المنتظم "تواريه"، وفي بقية المصادر "**ألا خلّيتَ بينَه وبين أمّه** "

[4] _ عروة بن الزّبير: ابن حواري رسول الله وابن عمته صفية، ولد سنة 23 هـ، وكان يعدّ من فقهاء المدينة، وكان عالما زاهدا أصابت الأكلة رجله فقطعت، وفد على معاوية وعبد الملك، كانت وفاته سنة 93 هـ، وقيل 101، وقيل 105، وعمره 67 سنة . ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج40، ص 231-262، الذّهبي: سير أعلام، ج4، ص 421- 435.

[5] _ ابن سعد: الطبقات، ج6، ص 511، البلاذري: أنساب، الرّواية الأولى، ج7، ص 129، الرواية الثانية ،ص131،عن عبد الله بن فائد ، ابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص 138، ابن الأثير: الكامل، ج4، ص 126 وروايته بلا سند.

[6] _ هو عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة زهير بن عبد الله بن جدعان العرشي التيمي المكّي، ولد في خلافة علي أو قبلها كان عالما مفتيا صاحب حديث وإتقان، ولي القضاء والآذان لابن الزّبير، مات سنة 117هـ. البخاري: التاريخ الكبير، ج5، ص 137، الذهبي: سير أعلام، ج5، ص 88- 90.

[7] _ مُنسّكا أي مذبوحًا. لسان العرب، مج6، ص 4412، مادة نسك.

[8] _ مصنّف ابن أبي شيبة، ج11، ص 135.

فعلى علو قدر الحجّاج كانت ترد إليه الرّسائل والأوامر بانتظام، ومن خلال هذه المكاتبات لا يبدو الحجّاج إلّا مجرّد عاملٍ أو تابع أو خادم للخلافة والدّولة، فيخاطبه عبد الملك بأشدّ لهجة إذا اقتضى الأمر[1]، والرّسائل اللاّحقة تؤكّد ذلك.

- رسالة عبد الملك إلى لحجّاج يلومه في سوء مخاطبة أسماء بنت أبي بكر:

- 107 -

قال الواقدي: أنّ الحجّاج وقف على أسماء – بعد قتل ابنها عبد الله بن الزبير، فقال: «كيف رأيتِ نصر الله الحقَّ؟ فقالت إنّه ربّما أُدِيل[2] الباطل على الحقّ، ليجعل الله ذلك فتنة للقوم الظّالمين، قال: إن ابنكِ ألحد في البيت، وقال الله: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[3]، وقد أذاقه الله العذاب، قالت كذبتَ لقد كان أوّل مولود في الإسلام بالمدينة ، فسُرَّ به المسلمون وكبّروا يوم ولد، وقد سُرِرتَ أنت وأصحابَك بقتله، فَلَمَن فرح به يومئذ خير منك ومن أصحابك، ولقد كان صوّامًا قوّامًا، تعوّذ بالبيت فما أعذتموه، وانتهكتم حرمته، يا ابن أمّ الحجّاج إنّ الله للظّالمين بمرصاد، وبلغ عبد الملك ما جرى بينه وبين أسماء فكتب إليه **[يلومه في مخاطبة أسماء** وقال:**]** [4] **مالَكَ ولابنة الرّجل الصّالح»** [5]

بهذه العبارة الموجزة أمسك عبد الملك على يد الحجّاج، ومنعه من تجاوز الحدّ مع صحابيّة رسول الله وابنة أبي بكر خير الصّحابة ، فقد جاوز الحجّاج حدّه في التّعامل معها ولم يعرف لها مكانتها .

- رسالة عبد الملك إلى الحجّاج في شأن عبد الرّحمان بن مسعود ومظالم العراق :

- 108 -

قال البلاذري: «بعث عبد الملك عبد الرحمن بن مسعود الفزاري[6] إلى أهل العراق والحجّاج، ينظر في مظالمهم، فرجع إلى عبد الملك فأخبره بسوء سيرة الحجّاج وظُلمه، وعذابه للنّاس، فبلغ ذلك الحجّاج، فكتب إلى عبد الملك: إنّ ابن مسعود امرؤ ظنين[7] عليَّ، قد بلغني أنّه أساء عليّ الثّناء، وإنّ شيعة ابن

---

(1) _ ضياء الدّين الرّيس: عبد الملك بن مروان، ص 306.

(2) _ أُديل: أي مخض وحرّك. لسان العرب، مج1، ص 44، مادة أدل.

(3) _ الآية 25 من سورة الحج.

(4) _ ما بين حاصرتين إضافة من تاريخ دمشق ولا يوجد في أنساب الأشراف.

(5) _ البلاذري : أنساب، ج7، ص 133، ابن عساكر: المصدر السّابق، ج28، ص 228.

(6) _ هو عبد الرحمن بن مسعود الفزاري بن الحارث بن قيس بن غيلان، أحد القوّاد الذين ولّوا صوائف الرّوم أيّام معاوية، وشتّى بأرض الرّوم سنة 56 هـ عاش إلى ما بعد خلافة عبد الملك. ابن عساكر: المصدر السابق، ج35، ص 402- 404.

(7) _ الظّنين: أي المتّهم بغير حق. لسان العرب، مج4، ص 2763، مادة ظنن.

الزبير لن تُحبّني أبدًا، وهو من شرارها وفجّارها، وليس مثله قرّب ولا صدِّق والسلام، فكتب عبد الملك:

أمّا بعد، فقد بلَغني كتابك في ابن مسعود، وليس مثله أتَّهِم، ولا أظنّ به ظنّ السّوء والسّلام»[1]

مع أنّ عبد الملك هنا كان رجلًا وقّافًا عند الحقوق، متثبّتا في ردّ مظالم الآخرين، إلّاأنّ الحجّاج أيضا لا ينبغي أن يتحمّل كل شيء ينسب إليه، فالرّعية في العراق أيضا تتحمّل شيئًا من التّجاوزات، فهي أحيانا – أو في كثير من الأحيان– من يدفع بالحجّاج إلى هذه التّجاوزات، وإنّ عبد الملك نفسه قال لرعيّته: "إنّكم لتسومون منّا فعل أبي بكر وعمر، ولستم تعملون بعمل رعيّتهما، فأعان الله كلًّا على كلٍّ"[2]، هذا بالنسبة لرعيّته بالشام فكيف بأهل العراق الذّين كانوا بامتياز سبّاقين للفتن والقلاقل؟!

- رسالة عبد الملك إلى الحجّاج لمّا أسرف في القتل وأغدق الأموال على أصحابه:

-109 -

[رسالة عبد الملك]: قال عمر بن شبّة : «لمّا ولّى عبد الملك الحجّاج بن يوسف العراق اتصل به سرفه في القتل، وأنّه أعطى أصحابه الأموال، فكتب إليه عبدالملك:

أمّا بعد فقد بلغني سرفُك في الدّماء، وتبذيرك في الأموال، وهذا فلا أحتمله لأحد من الناس[3]، وقد حكمتُ عليك في القتل في العمد بالقوَد[4]، وفي الخطإ بالدّيّة وأن تردّ الأموال إلى موضعها فإنّما[5] المال مال الله عزّ وجلّ ونحن خُزّانه، وسيّانٌ منع حقّ وإعطاء باطل، فلا تؤمّنك إلّا الطاعة ولا تخيفك إلّا المعصية ، وكتب في أسفل كتابه [من الطويل]

إذا أنت لم تترك أمورًا كرهتُها ... وتطلب رضائي في[6] الذي أنا طالبه

وتخشى الذّي يخشاه مثلك هاربا ... إلى الله منه ضيّع الدّرّ[1] حالبته

---

[1] _ أنساب الأشراف، ج7، ص 293 وروايته لا سند لها.

[2] _ الأصبهاني : محاضرات الأدباء، ج1، ص 163، الطرطوشي: سراج الملوك، ص 327.

[3] _ في التذكرة الحمدونية: "ولا أحتمل هاتين لأحد من النّاس".

[4] _ القوَد هو القصاص، أو قتل النّفس بالنفس، لسان العرب، مج5، ص 3771، مادة قود.

[5] _ من هنا تبدأ رواية ابن كثير.

[6] _ في التذكرة الحمدونية "بالذّي".

[1] _ الدّرُّ هو اللّبن ما كان، وقيل اللّبن إذا كثُر وسال. لسان العرب، مج2، ص 1356، مادة درر.

فإن ترَ منّي غفلةً قُرشيّة فيا ربّما قـــــدغصّ بالماء شاربـــه

وإن ترَ منّي وثبة أُمويّةً فهذا وهذا كلّه أنا صاحبه

ولا تعدّ ما يأتيك منّي فإن تعُدْ[1] تقُم فاعلمنّ يومًا عليك نوادبه» [2]

[جواب الحجّاج]: لمّا ورد الكتاب على الحجّاج وقرأه، كتب جوابه:

«أما بعد،[فقد] [3] جاءني كتاب أمير المؤمنين يذكر فيه سرفي في الدّماء، وتبذيري في الأموال، فوالله ما بالغتُ في عقوبة أهل المعصية، ولا قضيتُ حقّ أهل الطّاعة، فإن يكن قتلى العصاة سرفًا، وإعطائي أهل الطّاعة تبذيرًا فليُمضِ لي أمير المؤمنين فيما يحدث حدًّا أنتهي إليه، ولا أتجاوزَه، وكتب في أسفل الكتاب:

إذا أنا لم أطلب رضـــــاءك واتّقي أذاك فيومي لا تُوارَى كواكـبُـهْ

إذا قارف الحجّاج فيك خطيـــئة فقامت عليه في الصّباح نوادبـهْ

أسالم من سلمتَ من ذي هـــوادة ومن لم تُسالمه فإنّني مُحـــــاربهْ

إذا أنا لم أُدنِ الشّفيقَ لنُصـــــحه وأُقصي الذّي تسري إليّ عقـاربهْ

فمن يتّقِي يومي ويرجو إذن غَدِي على ما أرى والدّهر جمًّا عجائبهْ» [4]

رواية أخرى لما سبق

109 - أ-

وجاءت عند المسعودي باختلاف عمّا سبق قال: «لمّا أسرف الحجّاج في قتل أسارى دير الجماجم[1] وإعطائه الأموال، بلغ ذلك عبد الملك، فكتب إليه:

---

[1] _ في التذكرة الحمدنية "فلا تعدُ"

[2] _ ابن حمدون: التذكرة الحمدونية، ج1، ص 454، 455، ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج12، ص 155، 156، ابن كثير: البداية والنهاية، ج9، ص 107.

[3] _ إضافة من بقية المصادر وفي تاريخ دمشق غير موجودة.

[4] _ ابن عساكر: المصدر السّابق، ج12، ص 156، وورد جواب الحجّاج بروايات مختلفة ينظر إليها: ابن أعثم: الفتوح، ج7، ص 109، الأبشيهي: المصدر السابق، ص 52، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج2، ص 35، 36، ابن كثير: المصدر السّابق، ج9، ص 107.

[1] _ سبق التعريف بدير الجماجم والحديث عن وقعة الحجاج به في التمهيد.

أمّا بعد فقد بلغ أمير المؤمنين سرفك في الدّماء، وتبذيرك في الأموال، ولا يحتمل أمير المؤمنين هاتين الخصلتين لأحدٍ من النّاس، وقدحكم عليك أمير المؤمنين في الدّماء في الخطإ الدّيّة، وفي العمد القُوَد، وفي الأموال ردّها إلى مواضعها ثمّ العمل فيها برأيه، فإنّما أمير المؤمنين أمين الله وسيّان عنده منع حقٍّ وإعطاء باطل، فإن كنتَ أردت النّاس له فما أغناهم عنك، وإن كنت أردتهم لنفسك، فما أغناك عنهم، وسيأتيك من أمير المؤمنين أمران لين وشدّة، فلا يؤنسك إلّا الطّاعة، ولا يوحشنّك إلّا المعصية، وظُنّ بأمير المؤمنين كل شيء إلا احتمالك على الخطإ، وإذا أعطاك الظّفر على قوم، فلا تقتُلنَّ جانحا[1]، ولا أسيرًا، وكتب إليه أسفل كتابه:

إذا أنت لم تترك أمورًا كرهتها ... وتطلب رضائي بالذي أنا طالبه

وتخشى الذي يخشاه مثلك هاربًا ... إلى الله منه ضيّع الدّرّ حالبُه

فإنْ ترَ منّي وثبةً أمويّةً ... فهذا وهذا كلّ ذا أنا صاحبُه

فلا تلُمني والحوادث جمّة ... فإنّك مجزيٌّ بما أنت كاسبه

ولا تعْدُ وما يأتيك منّي وإن تعدْ ... يقوم بها يومًا عليك نوادبُه

ولا تنقُصنّ للنّاس حقّا علمتَه ... ولا تُعطِيّن ما ليس لله جانبُه» [2]

و هذه الرواية بيّنت أن القتل كان يوم دير الجماجم بخلاف السابقة التي لم تذكر ذلك.

هذا هو موقف عبد الملك من الحجّاج عندما يشتطّ في ظلمه للنّاس أو يتجاوز حدّه نحو المقهور ومن آل أمره إلى الخسران، فقد حاول عبد الملك الأخذ بيد الحجّاج، وكفّه عن مظالمه، وكل هذا تجسيدًا لمبدإ العدالة الّذي تُستغزرُ به الأموال وتُحفظ به النّفوس، وتعمر به الأعمال، وتستصلح به الرّجال.[3]

إنّ عبد الملك بطبعه كان يكره سفك الدّماء إلّا إذا اقتضت الحاجة ذلك، فقد قال عن نفسه: «لقد كنتُ أمشي في الزّرع فأتّقي الجندُب[1] أن أقتله، وإنّ الحجّاج اليوم ليكتب إليّ بقتل فئام من النّاس فما

---

[1] _ جانحا: أي مائلا مكسورًا لمرض أو ضرب ونحوها، لسان العرب، مج1، ص 696، مادة جنح.

[2] _ مروج الذهب، ج3، ص96، الأبشيهي: المستطرف، ص 52، ابن خلّكان: وفيات الأعيان، ج2، 35، محمد ماهر: الوثائق، ص340 .

[3] _ ابن طباطبا: الفخري: ص 23.

[1] _ الجندب: ضربٌ من الجراد، وقيل هي صغار الجراد، وقيل الذي يصير في الحرّ. لسان العرب، مج1، ص 558، مادة جدب.

أحفل بذلك» [1]

صحيح أنّ التّجربة أدّت بالحجّاج إلى أن يعرف أنّ أهل العراق آنذاك يؤخذون بالقوّة، فهم يخافون الحاكم وسوطه، فاعتمد الحجّاج أن يأخذهم بذلك، وسنحت له الفرصة في هذا، فهم خرجوا عليه وهو تلقّطهم وتغلّب عليهم، فكان بإمكانه إذن أن يسفك الدّم فيهم ، ولم يكن قاصدًا أن يسفكه هدرًا، فإنّما كان يقصد من الدّم أمرًا معينا وهو إخماد الفتنة بالتّرهيب. [2]

لكنّ عبد الملك وقف موقف القاضي العادل الذّي يخشى الله ويعمل في سبيله، فأشار في كتابه إلى ما تناهى إلى عمله من أفاعيل الحجّاج فاستنكرها، وأصدر حكمه عليه بموجبها، الخطأ بالدّيّة والعمد بالقود، وردّ الأموال إلى مواضعها، وبعد ذلك العمل برأي أمير المؤمنين لأنّه أمين الله في عباده، ومنع الحقّ عنده كإعطاء باطل، والعدالة ستأخذ مجراها وأمير المؤمنين لا يقبل إلّا بالحق، ولا يرضى بدونه.

إنّ ما يلفت النّظر حقّا ويثير الإهتمام، ذلك الحكم الّذي أطلقه عبد الملك، لأنّه يتضمّن معنى الإعدام، ولكن هل أمضى حكمه في الحجّاج؟ أهل أجبره على دفع ديّة أو أقاد أحد النّاس منه؟.

هذا ما لم يثبت بالبرهان القاطع لأحد من الباحثين، فالحجّاج صنيعة عبد الملك لا يجرؤ أحد على معاندته أو مخالفته، وهو بحاجة إلى الحجّاج وخدماته[3]، ثمّ ألم يوصي عبد الملك بنيه عند موته قائلا: «...وأكرموا الحجّاج فإنّه وطّأ لكم المنابر، وأثبت لكم الملك...» [4] فالذي يبدو أنّه مجرّد تهديد ووعيد للحجّاج ليخفّف من شدّته.[5]

إلّا أنّ الحجّاج تودّد وكتب جوابه إلى عبد الملك محاولة منه استعطافه، وتوضيح الأمر له، عسى أن يُحدث في نفسه عطفًا عليه أو لُطفًا إليه، فكيف صار عبد الملك بعد هذا؟

- ردّ عبد الملك على جواب الحجّاج إليه:

-110-

وجاء عند الأبشيهي بعد ذكره لجواب الحجّاج قال: «لمّا انتهى الكتاب إلى عبد الملك قال: خاف

---

[1] _ ابن عبد البر: بهجة المجالس، ج1، ص 349.

[2] _ يوسف العش: الدّولة الأموية، ص 221.

[3] _ ابراهيم خليل: الخليفة عبد الملك، ص 303، 304.

[4] _ انظر وصية عبد الملك كاملة: ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، ج 26، ص 319.

[5] _ إبراهيم خليل: المرجع السابق، ص 304.

أبو محمّد صولتي[1]، ولم يعاود لأمر كرهتُه إن شاء الله تعالى، فمن يلومني على محبّته، يا غلام أكتب إليه: **الشّاهد يرى مالا يرى الغائب، وأنت أعلى عينًا بما هناك**» [2]

رواية أخرى لما سبق

-أ- 110

في حين جاء ماسبق عند ابن أعثم باختلاف حيث قال: «فكتب عبد الملك إليه **أن اعمل برأيك والسّلام**، فاستقامت العراق للحجّاج، ولم يكن أحدًا يناوئه، ولا يخرج عن طاعته» [3]

لقد فوّض عبد الملك الأمر للحجّاج بعد أن أشعره أنّ ما يعمله معلوم لديه ومحاسب عليه ، وهذا لحاجته إليه في إخماد شغب أهل العراق.

- رسالة عبد الملك إلى الحجّاج يؤنّبه في تجاوزاته وينصحه:

- 111 -

قال الجاحظ: «كان عبد الملك بن مروان سنان[4] قريش وسيفها رأيا وحزمًا، وعابدها قبل أن يُستخلف ورعًا وزهدًا، فجلس يومًا في خاصّته، فقبض على لحيته فشمّها مليًّا ثمّ اجترّ نفسه[5]، ونفخ نفخة أطالها، ثمّ نظر في وجوه القوم فقال: ما أقول يوم ذي المسألة عن ابن أمّ الحجّاج، وأدحض المحتجّ على العليم بما طوتْه الحُجب؟ أما إنّ تمليكي له قرن بي لوعة يحشّها[6] التّذكار! كيف وقد علمتُ فتعاميتُ، وسمعت فتصاممتُ، وحملهُ الكرام الكاتبون!...يا كاتب هات الدّواة والقرطاس، فقعد كاتبه بين يديه وأملي عليه:

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عبد الملك بن مروان إلى الحجّاج بن يوسف أمّا بعد،

---

[1] _ هذا ما جاء في بقية المصادر التي لم تذكر رسالة عبد الملك الأخيرة. انظر: ابن خلكان، المصدر السابق، ج2، ص36، ابن كثير: المصدر السابق، ص 52.

[2] _ المستطرف، ص 52.

[3] _ المصدر السابق، ج7، ص 109.

[4] _ سنان معناه القوة فهو قوّة قومه. لسان العرب، مج3، ص 2121، مادة سنن.

[5] _ اجتر نفسه: الاجترار في أصله ما يفيض به البعير من بطنه فيأكله ثانية. لسان العرب، مج1، ص 594، مادة جرر. والمقصود هنا شهيق وزفير.

[6] _ يحشّها: من حشأ النّار أي ألهبها وأوقدها. لسان العرب، مج2، ص 881، مادة حشأ.

فقد أصبحتَ بأمرك بَرِمًا[1]، يُقعدني الإشفاق ويُقيمني الرّجاء، وإذا عجَزتُ في دار السَّعة وتوسّط المُلك، وحين المَهل، واجتماع الفكر أن ألتمس العذرَ في أمرك، فأنا – لعمرُ الله – في دار الجزاء وعدم السّلطان، واشتغال الحامّة[2] والرّكون إلى الذِّلّة من نفسي، والتّوقّع لما طُويتْ عليه الصّحف أعجز، وقد كنتُ أشركتك فيما طوَّقني الله عزّ وجلّ حمله ولَاثَ[3] بحقوق من أمانتُه في هذا الخلق المرعيّ، فذُلِلْتُ منك على الحزم والجدّ في إماتة بدعة، وإنعاش سنّة، فقعدتُ عن تلك، ونهضتُ بما عاندها حتّى صرتُ حجَّة الغائب وعذر اللّاعن، والشّاهد القائم، فلعن الله أبا عقيل وما نَجَل[4]، فأَلْأَمُ والدٍ، وأخبثُ نسل، فلَعمري ما ظلمكم الزّمان، ولا قعدتْ بكم المَتارب[5] فلقد ألبستُكم ملبسكم، وأقعدتّكم على روابي[6] خططكم، وأُحلتِم على منَعَتكم، فمن حافرٍ وناقلٍ وماتحٍ[7] للقُلُب[8] المُقعَدة في القيافي المُتَهَفْيِقَة[9] ما تقدّم فيكم الإسلام وقد تأخّرتم، وما الطّائِف منّا ببعيد يُجعَلُ أهله [كذا]، ثمّ قمتَ بنفسك، وطمحت بهمّتك وسرَّكَ انتضاءُ[10] سيفك، فاستخرجك أمير المؤمنين من أعوان روح بن زنباع وشرطته[11] وأنت على معاونته يومئذٍ محسود، فهفا[1] أمير

---

[1] _ بَرِم بالأمر بَرْما إذا سئمه، فهو بَرِمٌ ضجِرٌ.لسان العرب، مج1، ص 268، مادة برم، مرتضى الزّبيدي: تاج العروس، ج3، ص282، مادة برم.

[2] _ الحامّة: من الحمأ هو الواحد من أقارب الزّوج والزّوجة، وقيل كل من كان قريبا من الرّجل. لسان العرب، مج2، ص 986، مادة حمأ.

[3] _ لاث أي لفّ وعصَب ومنه اللّثّة ما حول الأسنان. لسان العرب، مج5، ص 3997، مادة لثى.

[4] _ النجل هو الولد والنسل، وذلك أن الحجّاج هو ابن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود الثقفي. ابن عساكر: المصدر السّابق، ج12، ص 113..

[5] _ من المتربة وهي المسكنة والحاجة. لسان العرب، مج1، ص 424، مادة ترب.

[6] _ الرّوبة جماع الأمر، ويقال راب الرّجل إذا تحيّر واختلط، ورجل رائب هالك. لسان العرب، مج3، ص 1763، مادة راب.

[7] _ ماتح: من المتح وهو جذبك رشاء الدلو، تمدّ بيد وتأخذ بيد على رأس البئر، والماتح المستنقي ومتح الدّلو جذبه، لسان العرب، مج6، ص 4126، مادة متح ، مرتضى الزّبيدي: المصدر السابق، ج7، ص 107، مادة متح.

[8] _ القُلُب هي البئر ما كانت، وقيل البئر قبل أن تطوى، فإذا طويت فهي الطّوى، وقيل هي البئر العادية القديمة تكون بالبراري ولا يُعلم لها صاحب. لسان العرب، مج5، ص 3715، مادة قلب.

[9] _ المتهفْيقة أي الواسعة. لسان العرب، مج6، ص 4678، مادة هفا.

[10] _ انتضاء: نقول نضا السّيف نضْوًا، وانتضاه سلّه من غمده. لسان العرب، مج6، ص 4457، مادة نضا.

[11] _ صحيح أنّ الحجّاج كان على شرطه روح بن زنباع، وظهر أمره، وسطع نجمه لما طلب من عبد الملك أن يوجّهه لقتال ابن الزّبير، ومن هنا بدأ مشواره السّياسي الحقيقي، فكأنّ عبد الملك يمنّ بهذا الآن على الحجّاج لكونه سبب ظهوره إذ أعطاه الفرصة. انظر تاريخ خليفة، ص 168، ابن كثير: البداية والنهاية، ج8، ص 275.

[1] _ من الهفوة وهي السّقطة والزّلّة. لسان العرب، مج6، ص 4677، مادة هفا.

المؤمنين، والله يُصلِح بالتّوبة والغفران زلّته، وكأنّي بك وكأنّ ما لو لم يكن لكان خيرًا مما كان، كلّ ذلك من تجاسُرك[1] وتحاملك على المخالفة لرأي أمير المؤمنين، فصدعْتَ[2]صَفَاتَنا، وهتكتَ حُجُبنا[3]، وسبطْتَ[4] يدك تَحفن[5] بها من كرائم ذوي الحقوق اللّازمة، والأرحام الواشجة[6] في أوعية ثقيف، فاستغفر الله لذنب ماله عذر، فلئن استقال أمير المؤمنين فيك الرّأي، فلقد جالت البصيرة في ثقيف بصالح النبي ﷺ إذ ائتمنَهُ على الصّدقات، وكان عبده فهرب بها عنه، وما هو إلّا اختبار للثّقة، والمطلَب لمواضع الكفاية، فقعد فيه الرّجاء كما قعَدَ بأمير المؤمنين فيما نصبك له، فكأنّ هذا ألبسَ أمير المؤمنين ثوب العزاء، ونهض بعُذرِه إلى استنشاق نسيم الرّوح[7]، فاعتزِلْ عمل أمير المؤمنين، واظعن[8] عنه باللّعنة اللّازمة والعقوبة النّاهكة[9] إن شاء الله، إذا استحكم لأمير المؤمنين ما يحاول من رأيه، والسّلام» [10]

لحظة تأمّلٍ وصفاء، أَلَمّتْ بعبد الملك فتذكّر ربّه، ووعيده للظّالمين، وتفكّر في نفسه، فيما له وما عليه، فهالهُ أمره، وخشي يوما يزول عنه سلطانه، وتضمحلُّ قوّته، فيتساوى بغيره من الناس، ويمثُل مع من ظلمهم في محكمة إلهيّة عادلة، لقد عظُم عليه أمرُه، وما فعلتْ يداه، ونظر إلى الحجّاج وقد علم شدّته وقسوته، وانتهاكه لمحارم الله، وعلم أنّه مسؤول عمّا صنعه ويصنعه الحجّاج لأنّه هو من ولّاه، ووطّأه رقاب النّاس، فهاج في داخله صراع عنيف: الدّين والدّنيا اصطرعت في نفسه، وتشابكت نوازع الخير من نوازع الشر في قلبه، وصراعٌ هذا نوعه من المستحيل أن يكون وليد لحظته، إنّما هو صراع مزمن عانتْهُ نفسه طويلًا، فلم تستطع كبْته، فثارت لعنة على لسانه أصابت شآبيبها الحجّاج، وفوّتت عليه لذّته في قهر العباد.

---

(1) _ تجاسرك : من جسر أي مضى ونفذ، وأقدم على الأمر ورجل جسور مقدام. لسان العرب، مج1، ص 623، مادة جسر.

(2) _ صدعْت أي شققت وقسمت صفاتنا، والمعنى خرقْتنا. لسان العرب، مج4، ص 2414، مادة صدع.

(3) _ الحجُب : من الحجاب وهو السّتار. لسان العرب، مج2، ص 777، مادة حجب.

(4) _ نقول سِبط اليدين أي سخيّ سمح الكفّين، وسبط كفه فتحها. لسان العرب، مج3، ص 1922، مادة سبط.

(5) _ الحفن أخذك الشيء براحة كفك والأصابع مضمونة، وحفنتُ له أي أعطيته قليلا. لسان العرب، مج2، ص 943، مادة حفن.

(6) _ الواشجة: المتداخلة والمتشابكة والمتّصلة، ومنها رحم واشجة أي متصلة ملتحمة. لسان العرب، مج6، 4840، 4841، مادة وشج.

(7) _ الرّوح: هو برد نسيم الرّيح، كانوا إذا مرّ عليهم النّسيم يكنّف بأرواحهم، وقد يكون له معنى الغلبة والقوة. لسان العرب، مج3، ص 1764، مادة روح.

(8) _ سبق شرحها.

(9) _ أي المنقصة المجهدة. لسان العرب، مج6، 456، مادة نهك.

(10) _ابن عبد ربّه: العقد الفريد، ج5، ص 282، 283، وقد رواها عن الجاحظ ولعله أخذها من كتاب الوعيد الذي لم نعثر عليه. ماهر: الوثائق، ص 341، 342، أحمد زكي:جمهرة رسائل، ج2، ص 219، وقد نقلا نصّ الرسالة عن العقد .

لقد تذكّر عبد الملك يوم الحشر يوم يُسأل الإنسان عن ذنوبه وآثامه، فماذا يقول عن الحجّاج، وكيف يستطيع الدّفاع عن نفسه وصحُفه منشورة بين يديه؟ فأمرُ الحجّاج أعياهُ، وتمليكه قرَن به لوعة تضطرم في أحشائه[1] ، وإن كان ما أظهره من الجزع يعبّر عن حقيقة إيمان صادق، فما الّذي منعَه من عزل الحجّاج وغيره من ولّاته العتاة؟!![2]

والذي يهمّنا هنا هو ما حصل بعد هذا الكتاب، فبمجرّد أن أكمل عبد الملك إملاءه، دعى مولى له فناوله الكتاب ثمّ قال له العجل ثمّ العجل حتّى تأتي العراق، فتضع هذا الكتاب في يد الحجّاج، وترقُب ما يكون منه، فإذا انقطع عن قراءته، واستيعاب ما فيه فاقلعه عن عمله، وانقلِع معه حتّى تأتي به، وهدّن النّاس، وإن هشّ للجواب...فخذ ما يُجيب به وأقرره على عمله ثم اعجل عليّ بجوابه، فلمّا جاء الرّسول إلى الحجّاج، وأعطاه الكتاب، جعلت يده ترتعدُ، وقرأه وهو يتصبّب عرقًا، فمسح العرق وقال:

وإذا المنية أنشبتْ أظفارها ألفيتَ كلّ تميمة لا تنفعُ

ثم قال: قَبُحَ والله منّا الحُسن، وتواكلتْنا عند أمير المؤمنين الألسُنُ، ثم دعا بالدّواة، والقرطاس، وكتب بيده جوابه[3] إلى عبد الملك، يخوّفه الفتنة والتّحريض، ويعرض كفاءته وقدرته، فأعطاه الرّسولَ، وأمر له بجائزة، وأمره بالعجَلة إلى عبد الملك، فلمّا وصل الكتاب إلى عبد الملك قرأه واستوعبه، ثم قال للرّسول: اقطعه، ولا تُعلمنَّ لما كان أحدًا. [4]

وهكذا رغم أنّ عبد الملك كان يشعر بشدة الحجّاج في العراق، وسوء أثره في سياسته الدّاخلية بينهم، لم يكن يجدُ من يقوم مقامه في هذا القطر المضطرب الثائر دائما وأبدًا، ثم إنه كان يحفظ للحجّاج خدماته، ويقدّر مآثره في توطيد الدّولة، وتوحيد الأمصار، فكان هذا من الأسباب التّي حملت عبد الملك على إبقائه، بعد أن فكّر غير مرّة في عزله وتولية غيره مكانه [5].

---

[1] _ ابراهيم خليل: الخليفة عبد الملك، ص 290.

[2] _ المرجع نفسه، ص 291.

[3] _ أجاب الحجّاج عبد الملك بكتاب طويل لا يسعنا ذكره هنا انظر: ابن عبد ربّه: المصدر السابق، ج5، ص 285، 288.

[4] _ المصدر نفسه، ص 283، 284.

[5] _ عمر أبو النّضر : عبد الملك بن مروان، ص 231.

- رسالة سليمان إلى الحجّاج يذُمّه على تجاوزاته ويتهدّده:

-112 -

[رسالة سليمان]: قال ابن عبد ربّه: «كان سليمان يكتب للحجّاج أيّام أخيه الوليد كتُبا فلا ينظر فيها، فكتب إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم، من سليمان بن عبد الملك إلى الحجّاج بن يوسف، سلامٌ على أهل الطّاعة من عباد الله، أما بعد: فإنّك امرؤ مهتوك[1] عنك حجابُ الحقّ، مولَعٌ[2] بما عليك لا لك، منصرف عن منافعك، تاركٌ لحّظك، مستخفّ بحق الله وحقّ أوليائه، لا ما سلَفَ إليك من خير يعطِفُك، ولا ما عليك لا لك يصرفك في مبهمة[3] من أمرك، مغمور منكوس[4] مُعصوصرٌ[5] عن الحقّ اعصيصارًا. ولا تَتَنكّبُ[6] عن قبيح، ولا ترعوي[7] عن إساءة، ولا ترجو لله وقارًا، حتّى دُعيتَ فاحشًا سبّابًا، فقِسْ شِبرك بِفِترك[8]، واحذر ذمام نعْلِك[9] بحذرِ مثلِه، وأيمُ الله لئن أمكنني الله منك لأدوسنّك دوسة تلين منها فرائصُك[10]، ولَجعلْناك شريدًا في الجبال، تلوذُ بأطراف الشّمال، ولأعْلقْنَا[11] الرّوميّة الحمراء[12] بثدييْها، علِمَ الله ذلك منّي، وقضى به عليَّ، فقدمًا غرّتْك العافيةُ، وانتحيْتَ[1] أعراض الرّجال، فإنّك قدرتَ فبذختَ[2]، وظفرت فتعدَّيْتَ، فرُوَيْدك حتّى تنظر كيف

---

(1) _ الهتك : خرق السّتر عمّا وراءهُ، والإسم الهُتكة. لسان العرب، مج6، ص 4612، مادة هتك.

(2) _ مولع أي مغرى، لسان العرب ، مج6، ص 4916، مادة ولع.

(3) _ استبهم عليهم الأمر لم يدروا كيف يأتون له فقد استغلق، وأمر مبهم لا مأتى له. لسان العرب، مج1، ص 376، مادة بهم.

(4) _ النّكس من الرجال هو الضعيف، والنكس أيضا معناه قلب الأمور. لسان العرب، مج6، ص 4540، مادة نكس.

(5) _ معصوصر عن الحق أي ممنوع عنه ومعسر، والعصر معناه المنع. لسان العرب، مج4، ص 2970، مادة عصر.

(6) _ تتنكّبُ من أكبّ بمعنى أعرض ونكس وعدل. لسان العرب، مج5، ص 3803، مادة نكب.

(7) _ يقال أرعوى فلان، ورعوى حسنة والمعنى نزوعه وحسن رجوعه، وارعوى كفّ. لسان العرب، مج3، ص 1678، مادة رعى.

(8) _ الفِترُ ما بين طرف الإبهام وطرف المشيرة، وقيل ما بين الإبهام والسبابة إذا فتحها. لسان العرب، مج5، ص 3341، مادة فتر.

(9) _ ذمام نعلك: الذمام العيب وقيل الحرمة التي تلزمك والحق، والمعنى أحذُ الحقّ وسر بطريقه. لسان العرب، مج3، ص 1577، مادة ذمم.

(10) _ الفريصة لحمة عند نغص الكتف في وسط الجنب عند منبض القلب، وهما فريصتان ترتعدان عند الفزع، وقيل هي أعصاب الرقبة وعروقها تثور عند الغضب. لسان العرب، مج5، ص 3386، مادة فرص.

(11) _ أعلق من علق أي نشب والإعلاق وقوع الصيد في الحبل. لسان العرب، مج4، ص 3071، مادة علق.

(12) _ الروميّة الحمراء، يقصد بها زينب بنت يوسف أخت الحجّاج، وهذا واضح من جواب الحجّاج كما سيأتي.

(1) _ انتحى أي سفّل، وقوم تحوت أي أراذل سفلة. لسان العرب، مج1، ص 421، مادة تحى.

(2) _ بذخت أي تكبّرت وتعاليت وتطاولت. لسان العرب، مج1، ص 236، مادة بذخ.

يكونُ مصيرك، إن كانت بي وبك مدّة أتعلّق بها، وإن تكن الأُخرى فأرجو أن تؤول إلى مذلّة ذليلة، وخِزية طويلة، ويُجعَل مصيرك في الآخرة شرّ مصير والسّلام» [1]

[جواب الحجّاج]: لـمّا وصل كتاب سليمان إلى الحجّاج بعث إليه جوابه:

«بسم الله الرحمن الرحيم من الحجّاج بن يوسف إلى سليمان بن عبد الملك، سلام على من اتبع الهدى أمّا بعد: فإنّك كتبتَ إليّ تذكرُ أنّني امر مهتوك عنّي حجاب الحقّ، مولع بما عليّ لا لي، منصرف عن منافعي، تاركٌ لحظّي، مستخفّ بحقّ الله وحق وليّ الحقّ، وتذكر أنك ذو مصاولة[2] ولعمري إنَّك لصبيٌّ حديث السنّ تُعذَرُ بقلّة عقلك، وحداثة سنّك، ويرقبُ[3] فيك غيرك، فأمّا كتابك إليّ فلَعَمري لقد ضَعُف فيه عقلُك، واستخفّ به حِلمك، فللّه أبوك! أفلا انتصرْت بقضاء الله دون قضائك، ورجاء الله دون رجائك، وأمتَّ غيظك، وأمنْتَ عدوّك، وسترتَ عنه تدبيرك، ولم تُنبهّهُ[4]، فيلتمسُ من مكايدتك ما تلتمس من مكايدته؟ ولكنّك لم تستشفّ الأمور[5] علمًا، ولم تُرزق من أمرِك حزْمًا، جمعتَ أمورًا دلّاك[6] فيها الشيطان على أسوإ أمرك، فكان الجفاء[7] من خليقتك والحمق من طبيعتك، وأقبل الشيطان بك وأدبر، وحدّثك أنّك لن تكون كامِلا حتّى تتعاطى ما يعيبُك، فتحَذْلقَتْ[8] حنجرتك لقوله، واتسع جوانبها لكذبك، وأمّا قولك لو ملكْتَ لعلقت زينب بنت يوسف[9] من ثدييْها، فأرجو أن يكرمها الله بهوانك وأن لا يوفّق ذلك لك إن كان ذلك من رأيك، مع أنّي أعرف أنّك كتبْت إليّ والشيطان بين كفّيك، فشرُّ مُمْلٍ على شرّ كاتب، راضٍ بالخسف[1]، فأحرِ[2] بالحق أن لا يدلّك على هدى ولا يردّك إلا إلى ردى،

---

(1) _ ابن عبد ربّه: المصدر السّابق، ج5، ص 300، محمد ماهر: المرجع السّابق، ص 342.

(2) _ الصّؤول من الرّجال الذي يضرب النّاس ويتطاول عنهم، والمصاولة المواثبة. لسان العرب، مج4، ص 2528، مادة صول.

(3) _ يرقب ورقبة أي انتظره ورصده. لسان العرب، مج3، ص 1699، مادة رقب.

(4) _ تنبّهه : أي توقظه وتشعره بالأمر. لسان العرب، مج6، ص 4332، مادة نبه.

(5) _ تستشفّ أي تستبصر الأمور وتتحقق. لسان العرب، مج4، ص 2290، مادة شفف.

(6) _ دلاك : أي هداك وأرشدك، والدّال أيضا الأخذ من فوق، ودلاه وسدّده إليه. لسان العرب، مج2، ص 1414، مادة دلل.

(7) _ الجفاء هو البعد عن الشيء، وعدم لزوم المكان. لسان العرب، مج1، ص 646، مادة جفا.

(8) _يتحذلف في كلامه أي يتظرّف ويتكيّس،ورجل حِذْلِق كثير الكلام،وليس وراء ذلك شيء.لسان العرب، مج2، ص 813،مادة حذل.

(9) _ هي زينب بنت يوسف بن الحكم الثّقفيّة أخت الحجّاج، كانت تحت المغيرة بن شعبة فطلّقها، ثمّ تزوّجت الحكم بن أيوب الثقفي، كانت امرأة حازمة عفيفة، سقطت من بغلتها فماتت سنة 83 هـ بعد فتنة ابن الأشعث. ابن عساكر: المصدر السابق، ج 69،ص179، وإذا كانت سنه وفاتها 83 هـ فإن تاريخ الرّسالة التي بعث بها سليمان إلى الحجّاج فيه نظر، ولعله بعثها في خلافه أبيه عبد الملك.

(1) _ الخسف هو الهزال والذل، وتحميل الإنسان ما يكره، والخسف الظلم أيضا. لسان العرب، مادة خسف، مج2، ص 1158.

(2) _ كذا في المصدر ولعلها "فأحرى بالحق" وأحرِ معناه الفعل الحسن، نقول ما هذا منك بحرِ أي بحسن ولا جميل. لسان العرب، مج2، ص 830، مادة حرر.

وتحلب[1] فوك للخلافة، فأنت شامخ البصر، طامح النّظر، تظنّ أنّك حين تملكها لا تنقطع عنك مدّتها، إنّها للقُطة الله أسأل الله أن يلهمك فيها الشكر، مع أنّي أرجو أن ترغب فيما رغب فيه أبوك وأخوك، فأكون لك مثلي لهما، وإن نفخ الشيطان في منخريك فهو أمر أراد الله نزعه عنك، وإخراجه إلى من هو أكمل به منك، ولعمري إنّها لنصيحة، فإن تقبّلتها فمثلها قُبل، وإن تردّها عليّ اقتطعتها دونك وأنا الحجّاج» [2]

بهذا الغيظ من سليمان، وبهذا الرّدّ القاسي من الحجّاج إلتهبت نار العداوة بين رجلين لهما وزنهما في الدّولة، ولا يستهان بمكانة أيّ منهما، ومن هذا العناد والصّراع نفهم لماذا الحجّاج أيّد الوليد في عزل أخيه سليمان، ولماذا سليمان عذّب آل الحجّاج بعد توليّه الخلافة[3].

لقد كان الحجّاج يدرك مدى الكره الذي يحمله سليمان في صدره تجاهه، كما كان سليمان يرقُب بحرص شديد موت أخيه الوليد، حتّى تتأتّى له الفرصة ليشفي غليله، ويطفئ النّار التي في صدره تجاه الحجّاج.

- كتابه سليمان بإبطال مظالم الحجّاج:

-113-

قال ابن كثير: «واتّخذ سليمان ابن عمّه عمر بن عبد العزيز مستشارًا ووزيرًا، وقال له: إنّا قد وُلّينَا ما ترى، وليس لنا علم بتدبيره، **فما رأيتَ من مصلحة العامّة فمُرْ به فليُكتب، وكان من ذلك عزل نوّاب الحجّاج، وإخراج أهل السّجون منها، وإطلاق الأسرى، وبذل الأَعطية بالعراق، وردّ الصّلاة إلى ميقاتها الأوّل** بعد أن كانوا يؤخّرونها إلى آخر وقتها مع أمـــور حسنة كان يسمعها من عمر بن عـــبد العزيز» [1]

فالظّاهر أن سليمان كتب بهذا إلى الآفاق في عدّة كتب وأمر بإنفاذها، محاولةً منه إعادة الإعتبار للحقّ ، كما أنّه أحبّ أن يظهر بمظهر الخليفة العادل تحت تأثير ابن عمّه عمر.

وقد لعبت الحاشية أيضا دورَها في توجيهه والأخذ بيده إلى الحقّ والقسط، وبهذا كلّه تصلح البلاد

---

[1] _ حالبت الرّجل إذا عاونته ونصرته، وأحلبوا أي اجتمعوا عليه. لسان العرب، مج2، ص 958، مادة حلب.

[2] _ ابن عبد ربّه : المصدر السّابق، ج5، ص 300، 301.

[3] _ سيأتي التّفصيل في هذا فيما يأتي من البحث.

[1] _ البداية والنهاية، ج9، ص 147 .

والرّعيّة، ولذا كان النّاس يقولون: سليمان مفتاح الخير، ذهب عنهم الحجّاج فولي، فأطلق الأسارى، وخلّى أهل السّجون، وأحسن إلى النّاس[1]، وسليمان أوّل من تراجع في إصلاحات الحجّاج الماليّة لمخالفتها، القواعد الشرعية، ولخرقها القواعد السّياسية والشروط الأصولية الذي انبنى عليها العهد المعطى، خاصّة لأهل الذّمّة، ولا ننسى كذلك أنه تراجع فيها زيادة على ذلك لأسباب شخصية – كما ذكرنا– إذ كان يُبغض الحجّاج لموافقته الوليد على عزله.[2]

– رسالة سليمان إلى يزيد بن المهلّب في أمر وكيع الذّي اتُّهم بقتل قتيبة:

-114 -

كان قتيبة بن مسلم مؤيّدا للوليد في عزل أخيه من ولا ية العهد، فلذلك سعى سليمان إلى التّخلّص منه بعد تولّيه الخلافة ، وكان صاحب هذه المهمّة وكيع بن أبي سود[3].

قال ابن كثير في حوادث سنة 97هـ «فيها ولّى سليمان نيابة خراسان يزيد بن المهلّب مضافًا إلى ما بيده من إمرة العراق، وكان سببُ ذلك أنّ وكيع بن أبي سُود لمّا قتل قتيبة بن مسلم وذريّته بعث برأس قتيبة إلى سليمان، فحظي عنده وكتب له إمرة خراسان، فبعث يزيد بن المهلّب عبد الرحمان بن الأهشم[4] إلى سليمان بن عبد الملك ليحسّن عنده أمر يزيد بن المهلّب في إمرة خراسان وينتقص عنده وكيع بن سُود، فسار ابن الأهشم – وكان ذا دهاء ومكر– إلى سليمان بن عبد الملك، فلم يزل به حتّى عزل وكيعًا عن خراسان، وولّى عليها يزيد مع إمرة العراق، وبعث بعهده مع ابن الأهشم...ومعه كتاب أمير المؤمنين مضمونه:

أنّ قيسًا زعموا أنّ قتيبة بن مسلم لم يكن خلع الطّاعة، فإن كان وكيع قد تعرّض له وثار عليه بسبب أنّه خلع، ولم يكن خلع، فقيِّده وابعث به إليّ،

فعاقبَه وحسبه...ثم قدّم يزيد بن المهلّب فتسلّم خراسان وأقام بها»[1].

---

[1] _ تاريخ الطبري، ج6، ص 546.

[2] _ حسن المّي: أهل الذمّة، ص 49.

[3] _ وكيع بن أبي سُود الملقّب بأبي مطرق الغدّائي ولد سنة 49هـ، وتولى خراسان زمن الوليد، ثم عزله يزيد بن المهلب وولى مخلد بن يزيد، كان مع قتيبة بن مسلم لمّا خرج على سليمان، ولكنّه تخاذل عن نصرته، فعزله قتيبة عن رئاسة بن تميم، فحقد عليه وألّب الجند ضدّه، فحمله فيما بعد عدي بن أرطأة إلى عمر بن عبد العزيز فحبسه. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج4، ص 88، ج6، ص 300.

[4] _ عبد الرّحمان بن الأهتم، وقال ابن عساكر عبد الله بن الأهتم، واسم الأهتم سمي بن سنان أبو معمر المنقري وفد عبد الرحمان على سليمان رسولًا من يزيد بن المهلب، وكان واعظا لعمر بن العزيز. ابن عساكر: المصدر السابق، ج 27، ص 107.

[1] _ ابن كثير: المصدر السّابق، ج9، ص 140 .

نحن لا نشكّ في أنّ سليمان كان يدرك أنّ قتيبة خلعه ويعارضه منذ أيّام الوليد بن عبد الملك، ولكنّ الظاهر أنّ سليمان هنا أراد أن يتّخذ لنفسه حجّة يعزل بها وكيع بعد أن انتهت مهمّته وصلاحيته، ويولّي يزيد بن المهلّب خراسان جزاءًا الخدماته وتقرّب به منه منذ أيّام الوليد.

ثانيا: الـــرّسائل المتعلّقة بالإساءة إلى أشـــخاص معيّنين :

- رسالة معاوية إلى بُسر بن أبي أرطأة يأمره بإطلاق أبناء زياد:

-115 -

قال سلمة بن عثمان : صالَحَ الحسنُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ معاوية، وشخص إلى المدينة، فبعث معاوية بسر بن أبي أرطأة[1] إلى البصرة في رجب سنة أحدى وأربعين، وزياد متحصّن بفارس، فطلب معاوية من زياد الأموال فأبى أن يدفع له شيئًا، فاستقدمه معاوية فأبى وبقي متحصّنا، فأخذ بسر أبناء زياد فشفع فيهم أبو بكرة[2] وقال لبسر: اكفف عن بني أخي حتّى آتيك بكتاب من معاوية بتخليتهم، فأجّله أيّامًا، قال له: إن أتيتني بكتاب معاوية بتخليتهم، وإلّا قتلتهم أو يُقبل زياد إلى أمير المؤمنين، قال فأتى أبو بكرة معاوية فكلّمه في زياد وبنيهْ ، فكتب معاوية إلى بُسر: **أن خلّ من بين يديك من ولد زياد**» [3]

رواية أخرى لما سبق

115 - أ-

و عن بسر بن عبيد الله قال: «فكتب معاوية مع أبي بكرة إلى بسر: **ألّا يتعرّض لأحدٍ من ولد زياد**» [1]

رواية أخرى لما سبق

115 - ب-

وقال الجارود بن أبي سمرة: عفا معاوية عن ولد زياد وقال لأبي بكرة: «وأمّا زياد ففي يده مال

---

[1] _ بسر بن أرطأة ويقال ابن أبي أرطأة عمير بن عويمر بن عمران، أبو عبد الرّحمان العامري، قيل له صحبة، وقيل لم لكن له ذلك، شهد فتح مصر، وكان من شيعة معاوية، وجّهه إلى اليمن والحجاز أوّل سنة 40، وكان من قادة غزو الرّوم، توفي بالمدينة أيام معاوية وقيل عاش حتى أيّام الوليد، وقال الذهبي بقي إلى حدود سنة 70هـ .ابن عساكر: المصدر السابق، ج10، ص 144-156، الذّهبي: سير أعلام، ج3، ص 409، 410.

[2] _ أبو بكرة الصّحابي هو أخو زياد بن أبيه من أمّه سميّة. انظر الذهبي: سير أعلام، ج3، ص 6.

[3] _ الطّبري: المصدر السّابق ، الرواية الأولى، ص 170، البلاذري: أنساب الأشراف، ج5، ص 199، 200.

[1] _ تاريخ الطبري: الرّواية الثانية، ص 169.

للمسلمين، فإذا أدّاه فلا سبيل لنا عليه، وكتب إلى بسر: **[بالكفّ عنهم]**[1] **وتخلية سبيلهم، فخلّاهم».**[2]

كانت رسالة معاوية إلى بسر، ليرفع المظلمة عن أبناء زياد، إذ رأى أنّهم صغارٌ، لا يُحمّلون العقوبة بدلًا عن أبيهم المتحصّن بفارس، فكلّ نفس مرهونة بما كسبت، ولا تزر وازرة وزر أخرى.

- ردّ معاوية على زياد حين طلب منه الإساءة لابن عبّاس:

-116 -

قال ابن عبد ربّه: «كتب زياد إلى معاوية: إنّ عبد الله بن عبّاس يفسد النّاس عليّ، فإن أذنت لي أن أتوعّده فعلت، فكتب إليه:

إنّ أبا الفضل وأبا سفيان كانا في الجاهلية في مِسلاخ[3] **واحد، وذلك حِلفٌ لا يحلّه سوء رأيك**[4]**»** [5]

بهذا التّعاطف من معاوية مع ابن عبّاس نشاهد حلقة من حلقات تعنيف معاوية لزياد، فحاول أمير المؤمنين بهذا أن يوثّق عرى المودّة وجسور التّفاهم مع ابن عباس ويكسب آل البيت إلى جانبه، فراح يذكّر زيادا بما كان عليه الحال في الجاهلية من مودّة وأخوّة بين أبويهما، أو لنقل بين بني أميّة وبني هاشم[6]، فسارع معاوية إلى الأخذ بيد زياد قبل أن تقع مظلمته، ويزيد الطّين بلّة والنّار إلتهابًا.

- رسالة معاوية إلى زياد يؤنّبه على إساءته في ردّه على الحسَن وهدم دار سعيد بن سرح:

- 117 -

قال هشام بن محمّد فيما يرويه عن أبيه: «هدم زياد دار سعيد بن سرح مولى حبيب بن عبد شمس، من شيعة علي بن أبي طالب، فلمّا قدم زياد الكوفة واليًا عليها أخافه وطلبه ، فأتى سعيد الحسن بن علي، فوثب زياد إلى أخيه وولده وامرأته فحبسهم، وأخذ ماله، وهدم داره، فكتب الحسن إلى زياد: من الحسن

---

[1] _ إضافة من تاريخ الطبري، و هنا نهاية رواية الطبري الثالثة عن مسلمة بن محارب، ج5، ص 167.

[2] _ البلاذري : أنساب ج 5 ، ص 199 ، 200 ، الطبري: المصدر السّابق، الرواية الثّالثة، ج5، ص 168 .

[3] _ المسلاخ هو الجلد، لسان العرب، مج3، ص 2062، مادة سلخ.

[4] _ في الرواية الثانية لابن عبد ربّه: "أدبك ".

[5] _ العقد الفريد، الرّواية الأولى، ج5، ص 273، الرّواية الثانية، ج4، ص 288.

[6] _ انظر في هذا سيرة ابن هشام، ج1، ص 133.

بن علي إلى زياد:

أمّا بعد، فإنّك عمدتَ إلى رجل من المسلمين له مالهم، وعليه ما عليهم، فهدمت داره، وأخذت ماله وعياله فحبستهم، فإذا أتاك كتابي هذا فابنِ له داره، واردُد عليه عياله وماله، فإنّي قد أجرْتُه فشفّعني فيه.

فكتب إليه زياد: من زياد بن أبي سفيان إلى الحسن بن فاطمة، أمّا بعد، فقد أتاني كتابك تبدأ فيه بنفسك قبلي[1]، وأنت طالب حاجة وأنا سلطان، وأنت سوقة، كتبتَ إليّ في فاسق لا يأويه إلّا مثله تولّيه أباك وإيّاك، وقد علمتُ أنّك قد آويته إقامة منك على سوء الرّأي، ورضًا منك بذلك، وأيم الله لا تسبقُني به ولو كان بين جلدك ولحمك، وإن نلتُ بعضك غير رفيقٍ بك، ولا فَزِعٍ عليك، فإنّ أحبّ لحمٍ إليَّ آكلُه للّحم الذي أنت منه، فأسْلِمْه بجريرته[2] إلى من هو أولى به منك، فإن عفوتُ عنه لم أكن شفّعتُك فيه، وإن قتَلتُه لم أقتُلْه إلّا بحبّك إيّاه.

فلمّا قرأ الحسَن الكتاب تبسّم، وكتب إلى معاوية يذكر له حال ابن سرح وكتابه إلى زياد فيه، وإجابة زياد إيّاه، ولفّ كتابه في كتابه، وبعث به إلى معاوية، فلمّا وصل إلى معاوية وقرأه، ضاقت به الشّام، وكتب إلى زياد:

أمّا بعد فإن الحسن بن علي بعث بكتابك إليَّ جواب كتابك إليه في ابن سَرح، فأكثرتُ التّعجّب منك، وعلمتُ أن لك رأيَين، أحدهما من أبي سفيان والآخر من سميّة[1]، فأمّا الذّي من أبي سفيان فحلم وحزم، وأمّا رأيُك من سُميّة، فما يكون رأيي مثلها؟ ومن ذلك كتابك إلى الحسن تشتُم أباه، وتعرض له بالفسق، ولَعمري لأنت أولى بالفسق من الحسن، ولأبوك – إذْ كنتَ تُنسبُ إلى عبيد – أولى بالفسق من أبيه، وإنّ الحسن بدأ بنفسه إرتفاعًا عليك، وإنّ ذلك لم يضَعْكَ، وأمّا تركُك تشفيعه فيما شفع فيه إليك فحظّ دفعتَه عن نفسك إلى من هو أولى به منك، فإذا قدِم عليك كتابي فخلّ ما في يدك لسعيد بن سرح، وابنِ له داره، ولا تعرِض له، واردد عليه ماله، فقد كتبتُ

---

[1] _ كان من التّقاليد المتّبعة في الكتابة أنّ المرؤوس إذا كتب إلى من هو أعلى منه بدأ بالرّئيس ثمّ بنفسه (إلى فلان من فلان) والعكس يُعتبر حطّا من قيمة الرّئيس والحاكم أو الوالي. انظر في ذلك النّحّاس: عمدة الكتّاب، ص 205، 206، مراد لكحل: كتّاب الخلفاء الأمويّين، ص 69، 70.

[2] _ الجريرة هي الذّنب والجناية يجنيها الرّجل. لسان العرب، مج1، ص 594، مادة جرر.

[1] _ يقصد سمية أمّ زياد بن أبيه.

إلى الحسن أن يخبرَ صاحبه إن شاء أقام عنده، وإن شاء رجع إلى بلده[1]، ليس لك عليه سلطان بيد ولا لسان، وأمّا كتابك إلى الحسَن باسمه ولا تنسبُه إلى أبيه، فإنّ الحسن – ويلك!– لا يُرمى به الرّجوان[2]، أفإلى أمّه وكلتَهُ، لا أمّ لك هي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلّم، وتلك أفخر له إن كنت تَعقل.

وكتب في أسفل الكتاب:

تدارك ما ضيّعتَ من بعد خِبـرة وأنت أريبٌ[3] بالأمور خبيـــــر

أبا حسن يا ابن[4] من كان قلبه إذا سار سار الموت حيث يسير

وهل يلد الرّئبال[5] إلا نظيـــره فذا حسَنٌ شَبَهٌ له ونظيـــــــر

لكنّه لو يوزن الحِلم والحِـــجا[6] برأيٍ لقالوا فاعلـــــــــمنّ ثبيرُ[7]»[8]

بهذه اللّهجة العنيفة والعبارات القاسية، وجّه معاوية كلامه إلى زياد معاتبا له على سوء تصرّفه، وردّا لمظلمته، فهذه المواقف وغيرهاتدلّ على أنّ بني أميّة وقفوا على قدم وساق من أجل إحقاق الحقّ وإبطال الباطل، ورد حقوق الرّعيّة وإرجاع الأمور إلى نصابها، فهذا درس موجز في السّياسة يتعلّمه زياد، التّلميذ المجتهد في نظر معاوية.

رواية أخرى لما سبق

117 - أ -

قال عون فيما يرويه عن أبيه: كتب معاوية إلى زياد لما كتب إليه الحسن بأمره:

---

(1) _ هذا يدلّ على أنّه كتب رسالة إلى الحسن لم تنقلها المصادر واعتبرناها رسالة لاحقة .

(2) _ يُرمى به الرّجوان: الرجوان من الأرجاء وهي الناحية، والرّجوان مثنى ويقال رجل يُرمى به الرجوان أي لا يستطيع أن يستمسك. لسان العرب، مج3، ص 1604، مادة رجا.

(3) _ الأريب هو الدّاهية والبصير بالأمور، وهو من العقل. لسان العرب، مج1، ص 45، مادة أرب.

(4) _ في ديوان معاوية "أمّا حسن فابن".

(5) _ الرّئبال من أسماء الأسد أو الذّئب والجمع رآبيل. لسان العرب، مج3، ص 1532، مادة رأب.

(6) _ الحجا : العقل والفطنة، والجمع أحجاء. لسان العرب، مج2، ص 792، مادة حجا.

(7) _ الثبر: الحبس والمنع، وثبير أيضا جبل بمكة. لسان العرب، مج1، ص 470، مادة ثبر. وانظر الأبيات في ديوان معاوية ص72.

(8) _ ابن عساكر: المصدر السابق، ج19، ص 198، 199، ابن منظور: مختصر، ج9، ص 86، 87، وزاد ابن عساكر في آخر روايته "قال الغلابي قرأت هذا الخبر عن ابن عائشة فقال: كتب إليه معاوية حين وصل كتاب الحسن في أوّل الكتاب الشّعر ثمّ الكلام بعده"

«أمّا بعد يا زياد فإنّ لك رأيَين رأيُ أبي سفيان، ورأيُ سميّة، فأمّا رأيك من أبي سفيان فحزم وحلم، وأمّا رأيك من سميّة فما يشبهها، فلا تَعرض لصاحب الحسن، فإنّي لم أجعل لك عليه سبيلا، وليس الحسن ممّا يُرمى به الرّجوان، وقد عجبتُ من تركك نسبه إلى أبيه، أفإلى أمّه وكلْتَه وهي فاطمة بنت رسول الله، فالآن اخترت له والسّلام» [1]

رواية أخرى لما سبق

-ب- 117

أمّا ابن عبد ربّه فقال: كتب الحسن إلى معاوية يشتكي زيادًا وشتْمه، وأرسل بكتاب زياد الذّي شتمه فيه مع كتابه، فكتب معاوية لزياد:

«أمّا بعد فإنّ لك رأيين أحدهما من أبي سفيان والآخر من سميّة، فما يكون لك رأي مثلها، وإنّ الحسن بن علي كتب إليّ يذكر أنّك عرضت لرجل من أصحابه، وقد حجزناه عنك ونظراءه، فليس لك على واحد منهم سبيل، ولا عليه حكم، وعجبتُ منك حين كتبت إلى الحسن لا تنسبه إلى أبيه، أفإلى أمّه وكلته لا أمّ لك؟ فهو ابن فاطمة الزهراء ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالآن حين اخترتَ له» [2]

- رسالة معاوية إلى الحسَن في مظلمة سعيد بن سرح:

-118-

جاء في الرّسالة السّابقة برواية هشام بن محمّد أنّ معاوية كتب إلى زياد :

«...فقد كتبْتُ إلى الحسَن أن يُخيّر صاحبه، إن شاء أقام عنده، وإن شاء رجع إلى بلد ليس لك عليه سلطان بيد ولا لسان...» [1]

هذا يدل على أنّ معاوية كتب إلى الحسن كتابا يردّ فيه مظلمة صاحبه، لم تنقله لنا المصادر وإنّما استنتجناه من هذه الرّسالة واعتبرناه رسالة منفردة لها مضمونها في رد مظلمة زياد.

---

[1] _ البلاذري : أنساب الأشراف، ج3، ص 294، 295.

[2] _ العقد الفريد، ج5، ص 273 .

[1] _ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج19، ص 199، ابن منظور: مختصر، ج9، ص 86، 87.

- رسالة معاوية إلى روح بن زنباع حين أخطأ في جناية:

- 119 -

عن أبي حاتم العتبي عن أبيه عن جدّه قال: «ولّى معاوية روح بن زنباع[1] فعتب عليه في جناية **فكتب إليه بالقُدوم**»

فلمّا قدم أمر بضربه فسأله العفو فعفا عنه[2].

- رسالة عبد الملك إلى الحجّاج يأمره بالكفّ عن التّدخّل في أمر صدقة علي

- 120 -

قال أبو اليقظان: «كان الحسن[3] بن الحسن بن علي وصيّ أبيه، ووليّ صدقة علي، فسأله الحجّاج بن يوسف وهو على المدينة أن يُدخل عمر بن علي[4] في الوصيّة فأبى، ثم قدِم الحسن على عبد الملك، فرحّب به وسأله عمّا قدم له، فأخبره بما سأله الحجّاج: **فكتب إليه أن يُمسك عنه** ووصله» [5]

تلك هي عدالة عبد الملك الذّي كان دومًا يرقُب قرارات الحجّاج وأفعاله، ويعالج مظالمه وتجاوزاته، ليس فقط لأنّ الحسن من آل بيت النبي ﷺ ، ولكن تحقيقا لمبدأ العدالة الإجتماعية، ونشرًا لقيم المساواة، وإشرافًا منه على ما يحصل للرّعية في الأقاليم البعيدة عن مقرّ خلافته، فسعى عبد الملك إلى أن يعيد الحقوق إلى أصحابها ما ستطاع إلى ذلك سبيلًا.

- رسالة عبد الملك إلى الحجّاج يؤنّبه لمّا أساء إلى أنس بن مالك:

- 121 -

كان أنس بن مالك معاديا للحجّاج مخاصما له ، مؤلّبا عليه، واقفا في صفّ أعدائه كابن الأشعث

---

[1] _ سبقت ترجمته في التمهيد ، وقد كان معاوية ولاّه بعلبك ، انظر البلاذري ، أنساب ، ج5 ، ص94.

[2] _ أبو علي القالي: الأمالي، ج2، ص 255.

[3] _ الحسن بن حسن بن علي أبو محمّد ابن سبط رسول الله ﷺ الهاشمي العلوي، أمّه خولة الفزاريّة، وفد على عبد الملك، وكان شيعة العراق يمنّونه بالخلافة، توفي سنة 99هـ، و قيل 97. الذّهبي: سير، ج4، ص 484- 487.

[4] _ هو عمر بن علي بن أبي طالب الهاشمي، وفد على الوليد ليولّيه صدقة أبيه، وهو في عداد التّابعين. الذهبي: سير، ج4، ص 134.

[5] _ البلاذري : أنساب الأشراف ، ج3، ص 305.

وغيره ، فوَسم الحجاج في يده "عتيق الحجّاج"[1] ، قال البلاذري[2]: «قُتل مع ابن الجارود[3] عبد الله بن أنس بن مالك[4]، الأنصاري وكان شجاعا شديد البطش، فلمّا بلغ الحجّاج خبر مقتله قال: لا أرى أنسًا يُعين عليَّ، فلمّا دخل البصرة استصفى مال أنس: فأتاه، فلمّا دخل عليه قال: لا مرحبًا ولا أهلًا أيّها يا خبيث [كذا] ، شيخ ضلالة جوّال في الفتن، مرة مع أبي تراب، ومرّة مع ابن الزّبير، ومرّة مع ابن الجارود، أمّا والله لأجرّدنّك جرد القصب، ولأعصبنّك[5] عصب السّلَمَه[6]، ولأقلعنّك قلع الصّمغة[7]، فقال أنس من يعني الأمير؟ قال: إيّاك أصمَّ الله صداك، فرجع أنس فأخبر ولده بما لقيه الحجّاج به، فأشاروا عليه بأن يكتب بذلك إلى عبد الملك، فكتب إليه كتابًا شكا فيه الحجّاج، وما صنع به وما قال له، فأجابه جوابًا لطيفا، وكتب إلى الحجّاج:

أمّا بعد يا ابن أم الحجّاج فإنّك عبد طمَت[1] بك الأمور فعلوت فيها حتّى عدوت طورك وتجاوزت قدرك وأيْمُ الله يا ابن المستفرمه[2] بعُجم الزّبيب لأغمزنّك[3] غمزة كبعض غمزات اللّيوث الثّعالب ولأخبطنّك خبطة تودّ لها أنّك رجعت إلى مخرجك من بطن أمّك، أما تذكر حال آبائك بالطّائف حيث كانوا ينقلون الحجارة على ظهورهم، ويحتفرون الآبار بأيديهم في أوديتهم ومناهلهم؟ أم نسيت حال آبائك في اللّؤم والدّناءة في المروءة والخلق؟ وقد بلغ أمير المؤمنين الذي كان منك

---

[1] _ ابن عساكر : المصدر السّابق ، ج9 ،ص372.

[2] _ في البيان والتّبيين عن المدائني.

[3] _ ابن الجارود هو عبد الله بن بشر بن عمرو العبدي سيّد بني عبد قيس في عصره، كان شجاعًا صاحب رأي وفصاحة وجمع قومه لقتال الحجّاج في البصرة، فكانت بينهما وقائع عديدة انتهت بقتله سنة 79هـ. الزركلي: الأعلام، ج4، ص 74.

[4] _ عبد الله بن أنس بن مالك تابعي سكن دمشق وأصله مدني، أبوه أنس بن مالك صاحب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، اتّصل ببعض خلفاء بني أمية وأقام البصرة . ابن عساكر: المصدر السابق، ج27، ص 95، البخاري: التاريخ الكبير، ج5، ص 42، ابن حبّان: الثقات، ج5، ص 11.

[5] _ العصبُ هو الطيّ الشديد، وعصب الشجرة ضمّ ما تفرّق منها بحبل ثم خبطها ليسقط ورقها. لسان العرب، مج4، ص2964، مادة عصب.

[6] _ السّلمة: شجرة من العضاة ذاتُ شوك وورقها بديع، فتُعصب أغصانها بأن تجمع ويشدّ بعضها إلى بعض بحبل وتخبط بالعصا ليتناثر ورقها للماشية. لسان العرب، مج3، ص 2072، مادة سلم، مج4، ص 2964، مادة عصب.

[7] _ الصّمغ شيء ينضحه الشّجر ويسيل منها، والصّمغ إذا قلع انقلع كلّه من الشّجر، ولم يبق له أثر.لسان العرب، مج4، ص 2498، مادة صمغ.

[1] _ نقول طما الماء أي ارتفع وعلا وطمى النّبت طال. لسان العرب، مج4، ص 2707، مادة طما.

[2] _ المستفرمة بعجم الزّبيب: يريد أنّها تعالج فرجها ليضيق ويستحصف، وقيل إنّما كتب إليه عبد الملك بذلك لأن في نساء ثقيف سعة، فهنّ يفعلن ذلك يستضقن به. لسان العرب، مج5، ص 3404، مادة فرم.

[3] _ غمزتُ النّاقة إذا وضعت يدك على ظهرها لتنظر أبها طرق أم لا، والغمز العصر باليد. لسان العرب، مج5، ص 3296، مادة غمز.

إلى أنس جرأة وإقدامًا، وأظنّ أنّك أردت أن تسبِر[1] ما عند أمير المؤمنين في أمره فتعلم إنكاره ذلك أو إغضاءه عنه، فإن سوَّغك ما كان منك مضيتَ قُدمًا، فعليك لعنة الله من عبد أخفش[2] العينين، أصكّ[3] الرجلين، ممسوح الجاعِرتين[4]، ولولا أنّ أمير المؤمنين يظنُّ أنّ الكاتب كثّر في الكتاب من الشّيخ إلى أمير المؤمنين فيك لأتاك من يسحبُك على ظهرك وبطنك، حتّى يأتي بك أنسًا فيحكُم فيك، فأكرمْ أنسًا وأهل بيته، واعرف حقّه وخدمته رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا تقتصّرنّ في شيء من حوائجه، ولا يبلُغنّ أمير المؤمنين عنك خلاف ما تقدّم فيه إليك من أمر أنس وبرّه وإكرامه، فيبعثُ إليك من يضربُ ظهرك، ويهتك سترك، ويُشمتُ بك عدوّك، والقه في منزله متنصّلًا إليك[5]، وليكتب إلى أمير المؤمنين برضاه عنك إن شاء الله والسّلام»[6]

رواية أخرى لما سبق

- أ - 121

وأورد ابن عبد ربّه رواية أخرى جاء فيها: لمّا فعل الحجّاج بأنس رضي الله عنه مافعل كتب إلى الخليفة عبد الملك ، فلمّا بلغه ذلك كتب إليه:

«بسم الله الرّحمن الرحيم:

من عبد الملك بن مروان إلى الحجّاج بن يوسف، أمّا بعد:

فإنّك عبد طمت بك الأمور فطغيتَ وعلوتَ فيها حتّى جُزت قدرك، وعدوت طورك[1]، وأيم

---

[1] _ تسبر: من السّبر وهو التّجربة، وسبر الشيء اختباره واستخراج كنهه، واسبر لي ما عنده أي اعمله. لسان العرب، مج3، ص 1919، مادة سبر.

[2] _ من الخفش وهو ضعف البصر، وضيق في العين، وقيل هو فساد في العين واحمرار تضيق به العيون، والمعنى أنّه في عمى وحيرة . لسان العرب، مج2، ص1220، مادة خفش، الزبيدي: تاج العروس، ج17، ص 191، مادة خفش ، وبالفعل كان الحجّاج أخفش العينين منسلق الأجفان انظر: الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص 412.

[3] _ أصك: من الصّكك وهو اضطراب الرّكبتين والعرقوبين. لسان العرب، مج4، ص 2475، مادة صكك.

[4] _ ممسوح الجاعرتين: الجاعرتان هما حرفا الوركين المشرفان على الفخذين، وقيل رؤس أعلى الفخذين، وما أطمأنّ من الورك والفخذ في موضع المفصل. لسان العرب، مج1، ص 634، مادة جعر ، الزبيدي: المصدر السابق، ج10، ص 437، مادة جعر.

[5] _ في الكامل "إليه".

[6] _ البلاذري: أنساب الأشراف، ج7، ص 295، 296، الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص 412، ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج9، ص 374، ابن الأثير: الكامل، ج4، ص 146 ، أحمد زكي: جمهرة رسائل، ج2، ص 219. وقد أخذها من البيان والتّبيين.

[1] _ أي حدّك، والطّور: الحد بين الشيئين والمعنى جاوزت حدك وقدرك. لسان العرب، مج4، ص 2718، مادة طور.

الله يا ابن المستفرمة بعُجم زبيب الطّائف، لأغمزَنّك كبعض غمزات اللّيوث للثّعالب، ولأركضنّك ركضةً[1] تدخل منها في وجعاء[2] أمّك، أذكر مكاسب آبائك في الطّائف إذ كانوا ينقلون الحجارة على أكتافهم، ويحفرون الآبار في المناهل بأيديهم، فقد نسيتَ ما كنتَ وآباؤك من الدّناءة واللّؤم والضّراعه[3]، وقد بلغ أمير المؤمنين استطالةً منك على أنس بن مالك خادم رسوم الله ﷺ جُرأة منك على أمير المؤمنين وغِرّةً بمعرفة غِيَرِه ونَقَماته وسطَواته على من خالف سبيله، وعمد إلى غير محبّته، ونزل عند سخطته، وأظنّك أردت أن تروزه[4] بها لتعلم ما عنده من التّغيير والتّنكير فيها، فإن سوّغتُكها مضيتَ قُدمًا، وإن بغضتها، ولّيتَ دُبُرًا، فعليك لعنة الله من عبد أخفس[5] العينين، أصلك[6] الرّجلين، ممسوح الجاعرتين، وأيم الله لو أنّ أمير المؤمنين علم أنّك اجترمت منه جُرمًا، وانتهكتَ له عرضًا فيما كتب به إلى أمير المؤمنين لبعث إليك من يسحبك ظهرًا لبطن حتّى ينتهي بك إلى أنس بن مالك، فيحكُمَ فيك بما أحبّ ولن يخفى على أمر المؤمنين نبوّك[7]،و﴿لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[8]»[1]

رواية أخرى لما سبق

- 121 - ب -

وعن عوانة بن الحكم قال: كتب أنس إلى عبد الملك:

«بسم الله الرحمان الرّحيم إلى عبد الملك بن مروان من أنس بن مالك، أمّا بعد فإنّ الحجّاج قال لي هجرًا[2] وأسمعني نُكرًا[3]، ولم أكن لذلك أهلًا، فخُذْ لي على يديه، فإنّي أُمِتُّ[4] بخدمتي رسول الله ﷺ

---

(1) _ الرّكض الضّرب، وركض الدّابة أي ضربها بين جنبيها برجليه. لسان العرب، مج3، ص 1718، مادة ركض.

(2) _ الوجعاء السّافلة، وهي الدّبر. لسان العرب، مج6، ص 2772، مادة وجع.

(3) _ الضّراعة الذّل والخضوع. لسان العرب، مج4، ص 2580، مادة ضرع.

(4) _ من الرّوز وهو التجربة، ويروزه يجرّب ما عنده ويختبر به. لسان العرب، مج3، ص 1774، مادة روز.

(5) _ الصّواب أخفش والتّصحيح من الرّواية السّابقة.

(6) _ أصلك مضطرب الرّكبتين. لسان العرب، مج4، ص 2475، مادّة صكك.

(7) _ أي نبأك.

(8) _ سورة الأنعام من الآية 67.

(1) _ العقد الفريد، ج5، ص 296، 297.

(2) _ الهُجر هو القبيح من الكلام. لسان العرب، مج6، ص 4618، مادة هجر.

(3) _ نكرًا: أي قبيحًا، والنّكر: الأمر الشديد. لسان العرب، مج6، ص 4539، مادة نكر.

(4) _ من الماتّة وهي الحرمة والوسيلة، ومتّ الرجل تقرّب. لسان العرب، مج 6، ص4125، مادة متت.

[1]، وصُحبتي إيّاه، والسّلام عليك ورحمة الله وبركاته.

فكتب عبد الملك كتابين، فأرسل واحدًا إلى أنس وآخر للحجّاج فلمّا وصل كتاب عبد الملك للحجّاج جلس مرعوبًا، فجعل ينظر فيه ويعرق، فإذا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين[2] إلى الحجّاج بن يوسف أمّا بعد: فإنّك عبد طمت بك الأمور فسموتَ فيها وعَدوت طورك، وجاوزت قدرك، وركبت داهية أدًّا، وأردت أن تروزني[3]، فإن سوّغتكها مضيت قُدمًا وإن لم أسوّغها رجعت القهقري، فلعنك الله من عبد[4] أخفش العينين منقوص الجاعرتين، أنسيت مكاسب آبائك بالطّائف وحفرهم الآبار بأيديهم، ونقلهم الصّخور على ظهورهم في المناهل، يا ابن المستفرمة بعُجم الزّبيب والله لأغمزنّك غمزَ[5] اللّيث الثّعلب، والصّقر الأرنب، وثبتَ على رجُل من أصحاب رسول الله ﷺ بين أظهُرنا، فلم تقبل له إحسانه[6]،ولم تتجاوز عن إساءته جُرأة منك على الرّبّ عزّ وجلّ ، واستخفافًا منك بالعهد، والله لو أنّ اليهود والنّصارى رأت رجُلًا خدم عُزير[1] بن عزرة[2] وعيسى بن مريم لعظّمَتْه وشرَّفته وأكرمَته [وأحبّتْه، بل لو رأوا من خدم حمار العزير أو خدم حواري المسيح لعظّموه وأكرموه][3]، فكيف وهذا أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ [خدمه][4] ثماني سنين يُطلعه على سرّه، ويشاوره في أمره، ثمّ هو مع هذا بقيّة من بقايا أصحابه[5] فإذا قرأتَ كتابي هذا فكن أطوَعَ له

---

[1] _ ثبت أنّ أنسا قال: "خدمتُ النّبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين "رواه البخاري في الصحيح، باب حسن الخلق، ص1513، رقم 6038، عن أنس بن مالك.

[2] _ في البداية والنّهاية "من أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان".

[3] _ كذا في المنتظم وفي الجليس الصّالح "أن تبوريني"، وفي البداية والنهاية "أن تبدو لي"

[4] _ في المنتظم "فلعنك الله عبدًا"

[5] _ في المنتظم غمزة.

[6] _ في المنتظم "إحسانا".

[1] _ كان عزير من علماء بني إسرائيل ذكر الله قصته في سورة البقرة ،إذ أماته مئة عام ثمّ أرسله إلى بني إسرائيل ، واعتقدت اليهود أنّه ابن الله ، فقدّسوه وعظّموه .تفسير الطبري ، ج5 ، ص446 ،ج7 ، ص456 ، القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ،ج7 ، ص53.

[2] _ في البداية والنهاية "عزرى".

[3] _ ما بين حاصرتين إضافة من البداية والنّهاية وفي بقية المصادر ناقصة.

[4] _ زيادة في المنتظم.

[5] _ هذا صحيح، فقد كان أنس آخر من مات بالبصرة من الصّحابة سنة 93هـ انظر: ابن سعد: الطبقات، ج5، ص 348، تاريخ خليفة، ص 112.

من خُفّه ونعله، وإلّا أتاك منّي سهمٌ مثكّلٌ[1] **بِحتْفِ قاضٍ و**﴿لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾»[2]

رواية أخرى لما سبق

121- ج-

و عن علي بن زيد بن جدعان قال: كتب عبد الملك إلى الحجّاج:

«أما بعد، فإنّك عبدٌ طَمت بك الأمور حتّى عدوت طورك، وأيم الله يا ابن المستفرمة بعجم الزبيب، لقد هممتُ أن أضغمك[3] **ضغمةً كبعض ضغمات اللّيوث التّعالب، وأخبِطك خبطة تودّ أنّك زاحمت مخرجك من بطن أمّك، قد بلغني ما كان منك إلى أنس، وأظنّك أردت أن تَخبر أمير المؤمنين، فإن كان عنده غيره، وإلّا مضيت قُدمًا، فلعنة الله عليك أخفش العينين، ممسوح الجاعرتين حمْسَ**[4] **السّاقين كأنك نسيتَ مكاسب آبائك بالطّائف، وما كانوا عليه من الدّناءات واللّؤم، إذ يحفرون الآبار في المناهل بأيديهم، وينقلون الحجارة على ظهورهم، فإذا أتاك كتابي فالْقَ أنسًا في منزله واعتذر إليه، ولولا أنّ أمير المؤمنين يظنّ أنّ الولد والكتب كثروا على الشيخ، لقد بعثتُ إليه من يسحبك ظهر البطن [كذا] و**﴿لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾**، فلا تخالف كتاب أمير المؤمنين، وأكرم أنسا، وإلّا بعثتُ إليك من يهتك سترك، ويُشمتُ بك عدوّك والسّلام»** [1]

رواية أخرى لما سبق

121 – د –

أمّا أبو الحنيفة الدّنيوي فقد ذكر رواية مختصرة جاء فيها: كتب أنس إلى عبد الملك يشكو إليه الحجّاج وإساءته، فكتب عبد الملك إلى الحجّاج:

«هيه يا ابن يوسف! أردتَّ أن تعلم رأي أمير المؤمنين في أنس، فإن سوّغك مضيتَ قُدمًا،

---

[1] _ مثكل بحتف قاض: الثّكل هو الموت والهلاك، والثكل أيضا فقدان الحبيب، والحتف الموت، ويقال مات بحتف أنفه أي فجأة بلا ضرب ولا قتل . لسان العرب، مج1، ص 495، مادة ثكل، مج2، ص 770، مادة حتف.

[2] _ أبو الفرج النّهرواني: الجليس الصالح، ج3، ص 153، ابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص 338، 339، ابن كثير: البداية والنّهاية، ج9، ص 112.

[3] _ من الضغم وهو العض الشّديد، وهو يملأ فمه ممّا أهوى إليه. لسان العرب، مج4، ص 2592، مادة ضغم.

[4] _ حمس أي جدب وصلب الساقين ومتشدد . لسان العرب، مج2، ص 994، مادة حمس.

[1] _الزّبير بن بكّار : الأخبار الموفّقيات، ص 273، 274.

وإن لم يسوّغك رجعتَ القهقريّ، يا ابن المستفرمة بعُجم الزّبيب، أنسيت مكاسب آبائك بالطّائف في حفر الآبار، وسدّ السُّكُور[1]، وحمل الصّخور على الظّهور؟ أبَلَغَ من جُرأتك على أمير المؤمنين أن تُعنّت بأنس خادم رسول الله ﷺ ستّ سنيين[2] يطلعه على سرّه ويفشي إليه الأخبار التي كانت تأتيه من ربّه؟! فإذا أتاك كتابي هذا فامشِ إليه على قدميك حتّى تأخذ كتابه إليّ بالرّضى والسلام فرضي عنه» [3]

هذه مجمل روايات رسالة عبد الملك إلى الحجّاج يؤنّبه على الإساءة لأنس ابن مالك، وفي نظرنا أنّها جاءت متقاربة في مضمونها ومعناها.

فهي تعبير صادق عن إكرام عبد الملك لأنس، ومعرفة حقّه ومنزلته، فرفع قدره وأنّب الحجّاج على مظلمته بأسلوب جدُّ قاسٍ، حتّى أنّ الحجّاج جعل يقرأ كتاب عبد الملك ووجهه يتغيّر ويتعرّق، فجعل يمسح العرق ويقول: غفر الله لأمير المؤمنين، ما كنت أراه يبلغُ منّي هذا[4]، بل قام إلى أنس واعتذر منه وعرف حقّه، فقبل أنس ذلك منه[5].

وقد صرّحت رواية ابن عبد ربّه أنّ السّبب الذي حمل عبد الملك على تعنيف الحجّاج اتّضح لمّا وصل كتاب أنس إليه فقد دعا أحد عماله وقال: «ما أشدّ عليّ أن تقول الرّعية ضعُف أمير المؤمنين، وضاق ذرعه في رجل من أصحاب النّبي ﷺ لا يقبل له حسنة، ولا يتجاوز له عن سيّئة»[1].

لقد صرّح عبد الملك منذ البداية بالدّافع الذي جعله ينتصر لأنس بن مالك، فابن مالك بما له من سابق الفضل في خدمة الرّسول الكريم، يتمتّع بمنزلة عالية عند المسلمين، والإساءة له تحرّك قطاعًا واسعًا من المؤمنين، وتثير غضبه في أوساط الرّأي العام، قد تنعكس على النّظام العام، وتُساعد على الإضطراب وزعزعة الثّقة بالحكم والأسس التّي يقوم عليها، فغضبة عبد الملك على الحجّاج لها ما يبرّرها في نهجه السّياسي، لقد إعتبر أنّ الحجّاج بإساءته لابن مالك إنّما يقدّم خدمة مجّانية لمعارضيه، وحجّة يحتجّون بها،

---

[1] _ السّك الشّقّ ومنفجر الماء ، نقول سكر النّهر يسكره أي سدّ فاه ، وكلّ شقّ سُدّ فقد سُكّر. لسان العرب، مج3، ص 2048، مادة سكر.

[2] _ ذكرنا أن أنسا قال: خدمت النبي ﷺ عشر سنين.

[3] _ الأخبار الطّوال، ص295، الذّهبي: تاريخ الإسلام، ج3، ص 117،عن الأعمش .

[4] _ البلاذري : أنساب، ج7، ص 278.

[5] _ أبو حنيفة الدّينوي : المصدر السّابق، ص 295، ابن عبد ربّه: المصدر السّابق، ج5، ص 298، 299.

[1] _ ابن عبد ربّه : المصدر السابق، ج5، ص 295.

فرسالته تهدف لإصلاح الخطأ. [1]

إنّ عبد الملك ما انفكّ في رسالته يحقّر الحجّاج، ويتلو عليه سيرة قبيلته بالطّائف قبل الإسلام، وبعده تحقيرا لشأنه، وتصغيرًا لهمّته وقدره، يكيل له الشّتائم والوعيد، ومع ذلك كلّه، يبقى الحجّاج واليا للعراق وما يليه من بلاد فارس، يزداد نجمه سطوعًا ولمعانًا، ويزداد هو تفانيا وخدمة إخلاصًا للخليفة وولاءً![2]

- رسالة عبد الملك إلى أنس بن مالك يرفع عنه مظلمة الحجّاج:

-122-

عن عوانة بن الحكم قال: كتب أنس إلى عبد الملك يشكو الحجّاج، وشتمه إيّاه فكتب عبد الملك إلى أنس: «**بسم الله الرحمن الرّحيم، من عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين إلى أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم أمّا بعد فقد قرأتُ كتابك، وفهمتُ ما ذكرتَ من شِكايتك الحجّاج، وما سلّطتُهُ عليك ولا أمرْتُه بالإساءة إليك ، قال: فإنْ عاد لمثلها فاكتُب اليّ بذلك أُنزِلُ به عقوبتي، وتحسُنُ لك معونتي والسّلام.**

فلمّا قرأ أنس بن مالك كتابه قال: جزى الله أمير المؤمنين عنّي خيراً وعافاه، وكافأه عنّي بالجنّة، فهذا ظنّي به والرّجاء منه» [3].

إنّ هذا الحلم من عبد الملك مكّنه من كسب رعيّته، وأخضعهم لطاعته والإذعان له، والواقع أنّ سياسته في ردّ المظالم كانت سياسة راشدة حكيمة ليست إرتجاليّة، ولا فوضويّة، فقد كان على دراية بأساليب التّغيير وأسسه وكيفيّاته وطرقه، وكذا عليما بالواقع الذّي يسعى لتصحيح أوضاعه ومظالمه، وتقويم الانحراف الذي دبّ إلى وظيفة الدّولة وأجهزتها وولّاة أمرها [1].

- رسالة عبد الملك إلى نافع بن علقمة ينهاه عن سبّ طلحة والزّبير:

-123-

قال البلاذري: « استعمل عبد الملك نافع بن علقمة[2] بن صفوان بن محرث على مكّة، فخطب

---

[1] _ إبراهيم خليل : عبد الملك بن مروان، ص 296.

[2] _ المرجع نفسه، ص 298.

[3] _ ابن عساكر: المصدر السّابق، ج12، ص 172، ابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص 338.

[1] _ محمّد فرقاني: خطب أمير المؤمنين عمر، ص 104.

[2] _ نافع بن علقمة بن صفوان خال مروان قُرشي من بني نوفل بن عبد مناف، دمشقي سكن مكّة ووليها لعبد الملك، ثم أقرّه الوليد سنتين، وعزل عند ولاية عمر على الجاز، تاريخ خليفة، ص 198، ابن عساكر: المصدر السّابق، ج61، ص 410-412.

ذات يوم، وإبّان بن عثمان[1] تحت المنبر، فشتم طلحة والزّبير، فلمّا نزل قال لإبّان: أأرضيتُك في المُدهنِين[2] في أمر أمير المؤمنين؟ قال: لا، ولكن سُؤتني فحسبي أن يكونا شركاء في أمره، فبلغ ذلك عبد الملك، فقال: صدق إبّان، **وكتب إلى نافع ينهاه عن مثل ما كان منه»** [3]

هذه جولة أخرى من جولات عبد الملك في تغيير المنكر، ودفع المظالم وإيقاف الولّاة عند حدودهم، فقد عرف للصحابة قدرهم، ورفض أن ينّقَب عن سوءاتهم وعثراتهم، وأحبّ أن يصمّ أفواه عمّاله عن الإساءة إليهم، فتلك أيّام الفتنة، نجّى الله أبدانهم منها فلماذا لا يُنجّون منها ألسنتهم؟

- رسالة عبد الملك لابن هرمز ينزعه بسبب مظلمته:

-124 -

قال الزّهري[4]: «إن يهوديًّا جاء إلى عبد الملك بن مروان فقال له: ابن هرمز[5] ظلمني، فلم يلتفت إليه، ثم الثانية ثم الثالثة، فلم يلتفت إليه، فقال له اليهودي: إنّا نجد في التّوراة أنّ الإمام لا يُشرَك في الظُّلم و الجُور حتى يُرفع إليه، فإذا رُفع إليه فلم يغيّر شرِك في الجور والظّلم، قال: ففزع لها عبد الملك **وأرسل إلى ابن هرمز فنَزعه»** [1]

هذا ما جاء في الرّواية، والذي يظهر من خلالها أنّ عبد الملك لم يكن يرغب في إنزال عقوبته على ابن هرمز إلّا بعد أن أصرّ عليه اليهودي، وخوّفه بأن كون شريكًا في الظّلم.

ومن كلّ ما سبق نقول أنّ عبد الملك سار على درب معاوية في تفقّد الرّعيّة والعمّال، ومحاسبتهم على أخطائهم، وإنصاف المظلومين منهم، وحتّى أنّ الحجّاج بالرّغم من نفوذه وسلطته، والصّلاحيات التي

---

[1] _ هو إبان بن عثمان بن عفّان بن أبي العاص القُرشي الأموي، أمّه أمّ عمرو بنت جندب، وفد على عبد الملك فولّاه المدينة، وولي إمرة الموسم في عهد الوليد، كان عالما بالقضاء، توفي بالمدينة في خلافة يزيد بن عبد الملك سنة 105 هـ. ابن عساكر: المصدر السّابق، ج6، ص 147-157.

[2] _ المدهنين أي المصانعين والغشّاشين المنافقين الذين يُظهرون خلاف ما يبطنون. لسان العرب، مج2، ص 1447، مادة دهن، ويقصد المدهنين على عثمان رضي الله عنه.

[3] _ أنساب الأشراف، ج7، ص 378.

[4] _ بداية رواية ابن حمدون: "روي أن يهوديّا جاء إلى عبد الملك بن مروان..." ولا سند لها.

[5] _ اسمه عبد الرّحمن بن هرمز أبو داود الأعرج، مولى ربيعة بن الحارث، كان يكتب المصاحف، وتولّى بعض الوظائف بالشّام زمن عبد الملك، ثمّ تولى على ديوان المدينة في عهد يزيد بن عبد الملك وقدم عليه، مات بإسكندريّة سنة 117هـ.تاريخ الطّبري، ج7، ص13، ابن عساكر: المصدر السّابق، ج36، ص 23 – 31.

[1] _ ابن حمدون: التّذكرة الحمدونية، ج3، ص 195، ابن عساكر: المصدر السّابق، ج 37، ص 142.

مُنحت له كان يخشى محاسبة عبد الملك، ويتجنّب الوقوع فيما يغضبه.[1]

- رسالة سليمان إلى خالد القِسري يرفع مظلمته عن الأعجم :

- 125 -

عن محمّد بن يزيد الأنصاري قال: كان خالد بن عبد الله القسري[2] واليًا على المدينة للوليد ثمّ أقرّه سليمان، وكان قاضي مكّة طلحة بن هَرم[3] فاختصم إلى طلحة رجل من بني شيبة يقال له الأعجم[4] مع ابن أخ له في أرض لهما، فقضى للشّيخ على ابن أخيه، وكان هذا الأخير متصلا بخالد بن عبد الله، فأقبل إلى خالد فأخبره، فحال خالد بين الشيخ، وبين ما قضى له القاضي، فكتب القاضي طلحة كتابا إلى سليمان يشكو خالـدًا، فكتب سليمان إلى خـــالد:

«لا سبيلَ لك على الأعجَم وولده» [5]

فجاء محمّد بن طلحة[1] إلى خالد بالكتاب، وقال له: لا سبيل لك علينا، هذا كتاب أمير المؤمنين، فأمر به خالد فضُرب مائة سوط، قبل أن يقرأ كتاب سليمان، فلمّا بلغ ذلك أمير المؤمنين أمر بقطع يد خالد، ثم غض عنه وأمر بضربه مائة سوط لمّا عرف أنّه فعل ذلك قبل قراءته للكتاب، وسجن خالد بمكّة، وبقي كذلك إلى أن شفع فيه المفضّل بن المهلّب[2]، فأُخرج من السّجن[3].

---

[1] _ خوجلي محمّد: الرّقابة الإدارية، ص 323.

[2] _ هو خالد بن عبد الله القسري بن يزيد بن أسد بن كرز بن عامر القشيري البجلي، وعند الذهبي القسري أمير مكّة للوليد وسليمان، وأمير العراقين لهشام،وهو من أهل دمشق، وكان من غزاة الصّوائف، عزله هشام عن العراق سنة 120هـ وولى يوسف بن عمرو، وتوفي خالد في هذه السّنة.ابن عساكر:المصدر السّابق، ج16،ص 135- 140،الذهبي:سير، ج5، ص 431.الزركلي: الأعلام، ج2، ص 297.

[3] _ هو طلحة بن عبد الله بن عوف القاضي، اشتهر بالكرم من بني زهرة، ولي القضاء بالحجاز وتوفي بالمدينة، وللفرزدق فيه مدح، توفي سنة 97هـ .الزركلي: المرجع السّابق، ج3، ص 226- 227.

[4] _ لعلّه الأعجم الشاعر زياد بن سليمان أبو أمامة المعروف بالأعجم، من شعراء الدّولة الأمويّة، مدح أمراء بني أميّة، وشهد فتح اصطخر، توفي نحو سنة 100 هـ . تاريخ خليفة، ص 85، الذهبي: تاريخ الإسلام، ج3، ص 261، الزركلي: المرجع السّابق، ج3، ص52.

[5] _ ابن عبد ربّه: العقد الفريد، ج5، ص 175، المسعودي: مروج الذّهب، ج3، ص 127، وروايته لاسند لها .

[1] _ محمد بن طلحة بن هرم بن عبد الله بن عوف، ذكر خليفة بن خياط شيئًا من أخباره بعد حرب ابن الأشعث. انظر، ص181.

[2] _ هو المفضّل بن المهلّب بن أبي صفرة، أبو غسان الأزدي، قدم على سليمان بن عبد الملك وولاه جند فلسطين، واستخلفه الحجّاج على خراسان بعد أخيه يزيد، ولما تولّى يزيد بن عبد الملك انتقم من آل المهلّب وقتلهم سنة 102 هـ. تاريخ خليفة، ص 209، ابن عساكر: المصدر السابق، ج60، ص 92- 97

[3] _ ابن عبد ربّه: المصدر السابق، ج5، ص 175.

ثالثا– الرّسائل المتعلّقة بردّ حقوق الرّعيّة وإنصافهم والعفو عنهم:

- رسالة معاوية إلى زياد بالعفو عن الجموح بن عمرو الفهمي:

-126 -

قال المدائني: كان الجموح بن عمرو الفهمي[1] شهد صفّين مع عليّ فآمنه معاوية، وكتب إلى زياد:

«إنّي قد عرفتُ زلّته وغفرتها له لحلفه أبا سفيان» [2]

- رسالة معاوية إلى زياد يلومه في ظلمه ويأمره بإظهار كرامة الجموح:

-127 -

لمّا كتب معاوية إلى زياد بعفوه عن الجموح «دعاه زياد إلى ولاية بيت المال فأبى، فقال زياد: أتقول هذا؟! قال الجموح : فوالله إن كنت لمنتفيًا من الأب الذي صرتَ إليه منسوبًا، إلى الأب الذّي انتفيت منه، وأنت تسفك الدّماء معه، وتجبي الخراج إليه، وأنت يومئذ خيرٌ منك اليوم، فضربه زياد مائة سوط، وحلق رأسه ولحيته، فكتب إليه معاوية كتابًا غليظا يقول فيه: **لهممتُ أن أوجّه إليك من يقتصُّ له منك.**

فأوفد الجموح إليه، فأظهر معاوية كرامته ودعا بخلعة قد لبسها، فكساه إيّاها، وقال: إمش مشيتك في قريش» [3]

- أمر معاوية إلى مروان ليردّ عطاء ابن صهيب:

-128 -

قال قتادة: «حرم مروان بن الحكم ابنًا لصهيب[1] عطاءه، فبلغ ذلك معاوية فكتب إليه:

إنّك حفِظت على ابن صهيب ما كان من أبيه في أمر عثمان[2]، ونسيتَ ما كان من سابِقته[3]

---

[1] _ الجموح بن عمرو الفهمي شاعر وفد على معاوية ومدحه، وشكى له زياد وقال:

فإنّ زيادًا هو عثّ أديمكم * وأشأمُكم والشؤم ليس له نخبُ.

ابن عساكر: المصدر السابق، ج11، ص 253.

[2] _ البلاذري: أنساب، ج5، ص 283.

[3] _ المصدر نفسه، ص 283، 284.

[1] _ هو صهيب الرّومي صاحب رسول الله، أما ابنه فلم تحدّده الرّواية، فقد كان له حبيب وحمزة وسعيد، وصالح وعثمان ومحمد وصيفي وعباد . ابن عساكر: المصدر السّابق، ج24، ص 89، الذهبي: سير، ج2، ص 17.

[2] _ كان صهيب من الذين اعتزلوا فتنة عثمان .ابن عساكر: المصدر السابق، ج24، ص 89، الذهبي، سير، ج2، ص 17.

[3] _ كان صهيب من السبعة الأوائل الذين أظهروا إسلامهم. ابن عساكر: المصدر السابق، ج24، ص 89.

مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاردُد عليه عطاءه، وأكرِمه وأحسن مجاوَرته إن شاء الله» [1]

هكذا يجعل أمير المؤمنين رضاه أسبق من سخطه، وعفوه أقرب من عقابه، فشفع لابن صهيب سابقة والده إلى الإسلام ، وهذا احترام من معاوية للصحابة وإكراما لهم.

- رسالة معاوية إلى ابن أمّ الحكم ليطلّق زوجة شابٍّ ويُعيدها إليه:

-129 -

[رسالة معاوية]: عن هشام بن عروة قال: «أذِن معاوية بن أبي سفيان يومًا، فكان فيمن دخل عليه فتى من بني عذرة[2]، فلمّا أخذ النّاس مجالسهم قام الفتى العُذَري يشكو إلى معاوية ويقول:

أطال الله بقاء أمير المؤمنين، إنّني رجل من بن عُذرة، تزوّجتُ ابنة عمّ لي، وكانت لي إبل وشُويهات، فأنفقتُ ذلك عليها، فلمّا أصابتني نائبة الزّمان وحادثات الدّهر رغب عنّي أبوها، وكانت جارية فيها الحياء والكرم، فكرهتُ مخالفة أبِيها، فأتيتُ عاملك ابن أمّ الحكم[3] فذكرت ذلك له، وبلغهُ جمالها، فأعطى إيّاها عشرة آلاف وتزوّجها، وأخذني فحسبني، وضيّق عليّ، وقد أتيتُك يا أمير المؤمنين وأنت غياث المحروب[4] وسيّد المسلوب، فهل من خرج ثمّ بكى...فرقّ له معاوية، وكتب إلى ابن أمّ الحكم: **كتابا غليظًا**[5] **وكتب في آخره يقول:**

ركبتَ أمر عظيمًا لستُ أعـــــرفُه ... استغفر الله من جُــور امـرئ زانِ

قد كنتَ تُشبه صوفيًّا له كـــــتُب ... من الفرائض أو آيــات فرقـــــانِ

حتى أتاني الفتى العذريّ منتـــحبًا[1] ... يشكو إليّ بحقٍّ غير بُـــــهـتـــانِ

أُعطي الإله عهودًا لا أجيش[2] بها ... أولا فبـرّيت مـن دين وإيـمـــانِ

إن أنت راجعتَني فيما كتبتُ بـــه ... لأجعلنّك لحمًا عند عقبـــــــانِ[3]

---

[1] _ البلاذري: أنساب، ج5، ص 117.

[2] _ بنو عذرة بن سعد بن هُذيم من ولد عاتكة بنت مر بن إد بن طابخة إخوة لبني تميم. ابن حزم: جمهرة أنساب، ص 206.

[3] _ عبد الرحمن بن أم الحكم كان على الكوفة .انظر تاريخ خليفة ص138.

[4] _ المحروب هو المسلوب. لسان العرب، مادة حرب، مج2، ص 816.

[5] _ كذا في المنتظم وفي تاريخ دمشق "عظيمًا".

[1] _ النّحب هو رفع الصوت بالبكاء. لسان العرب، مج6، ص 4362، مادة نحب.

[2] _ في تاريخ دمشق "أخيسُ" ومعنى أجيش من الجشإ وهو إخلاف العهد . لسان العرب، مج1، ص 625، مادة جشأ.

[3] _ العقبان سباع الطّير التي تصيد. لسان العرب، مج4، ص 3029، مادة عقب.

طلّق سعادَ وفارقها بمجتمـــــــع واشهِدْ على ذاك نصرًا وابن ظبيانِ

فما سمعت كما بُلغت من عجَـبٍ ولا فِعالك حقًّا فعـــل إنســـان» [1]

فلمّا ورد كتاب معاوية على ابن أمّ الحكم، تنفّس الصّعداء، وقال: وددتُ أنّ أمير المؤمنين خلّى بيني وبينها سنة، ثمّ عرضني على السّيف، وجعل يؤامر نفسه في طلاقها فلا يقدر، فلمّا أزعجه الوفد طلّقها، ثمّ بعث بها إلى معاوية في هيئتها وجمالها، وكتب جواب كتابه:

[ردّ ابن أم الحكم]: كتب إليه:

«ولا تحنثّنّ أمـــــير المؤمنين فقـــــد أوفى بعهدك في رفق وإحســـانِ

وما ركبتُ حـــــرامًا حين أعـــجبني فكيف سُمّيتُ باسم الخائن الزّاني؟!

وسوف تأتيك شمس لا خـــــفاء بها أبهى البريّة من إنس ومن جـــانِ

حوراء[2] يقصرُ عنها الوصف إن وُصِفتْ أقـــــول ذلك في سرٍّ وإعلانِ» [3]

فلمّا رآها معاوية وسمع صوتها أُعجب بها، وخيّرها بينه وبين الأعرابي وبين ابن أم الحكم، فاختارت الأعرابي، فأمر معاوية له بعشرة آلاف درهم وناقة، وأمر بها فأُدخِلتْ في بيت من بيوته حتّى انقضتْ عدّتها من ابن أم الحكم، ثمّ أمر بدفعها إلى الأعرابي.[1]

- رسالة معاوية إلى الوليد بن عتبة يعاقبه على ضرب ابن سيحان ويردّ مظلمته:

-130-

عن أبي الزّناد عن أبيه قال: كان ابن سيحان المحاربي[2] حلو اللّسان، وهو على ذلك يُقارف

---

[1] _ ابن عساكر: المصدر السابق، ج68، ص 144، 145، ابن الجوزي: المنتظم، ج5، ص 293، 294 ، ابن كثير: البداية والنّهاية، ج8، ص72.

[2] _الحور شدّة بياض العين وسواد سوادها والحواريّات من النّساء النّقيّات الألوان والجلود لبياضهنّ. لسان العرب، مج2، ص 1043، مادة حور.

[3] _ ابن عساكر: المصدر السّابق، ج68، ص 145، 146، ابن الجوزي: المنتظم، ج5، ص 294.

[1] _ ابن عساكر: المصدر السّابق، ج 68، ص 146، ابن الجوزي: المنتظم، ج5، ص 294.

[2] _ هو عبد الرحمن بن أرطأة وقيل ابن سيحان بن أرطأة بن عمرو، وآل سيحان من حُلفاء حرب بن أميّة، كان عبد الرحمن شاعرًا مقلّا إسلاميًّا، ليس من الفحول المشهورين، ولكنّه كان يقول في الشّراب والغزَل والفخر، ومدح أحلافه من بني أميّة، وآل سفيان منهم بالخصوص. أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ج2، 559، 560.

الشّراب، وكان نديمًا للوليد بن عتبة، فخرج يومًا سكرانًا، فدسّ مروان من غلمانه من أخذه – وكان له عدوًّا وللوليد بن عتبة– فلمّا رأى الوليد أنّ مروان إنّما أراد فضحه ضرب ابن سيحان الحدّ، تحُسّنًا عند النّاس بذلك، فكتب معاوية إليه:

«[بسم الله الرحمن الرحيم][1] من عبد الله معاوية أمير المؤمنين إلى الوليد بن عتبة، أمّا بعد، فالعجَبُ من ضربك ابن سيحان فيما تشرب منه، مازدْتَ على أن أعْلَمتَ[2] أهل المدينة أنّ شرابك الذّي تشربه معه يوجبُ الحدّ[3]، فإذا جاءك كتابي فأبطِلْ الحدّ عن ابن سيحان وأَطِفْهُ على حِلق المسجد، وأعْلِمْهُ أنّ صاحبَ شُرطتِك ظَلَمَهُ[4] وإنّ أمير المؤمنين قد أبطل ذلك الظّلم عنه، أَوَلَيْس ابن سيحان الذي يقول:

إنّي امرؤٌ أُنـــــمى إلى أفضل الـورى ... عديدًا إذا ارفضَّتْ[5] عصى المُتخلِّفِ

إلى نضد[6] من عبد شمسٍ كأنّـــهم ... هضابٌ أجا[7] أركانُها لم تقصّـــــفِ[8]

ميامين يرضَون الكفاية إن كـــــــفُوا ... ويكفُون ما ولّـوا بغير تكلّـــــــف

غظارفة ساسوا البـــلاد فأحسنـــــوا ... سياستها حتّـى أقرّت لمُـــــردِف[1]

فمن يكُ منـــهم موسرًا يغُش فضلـــه ... ومن يك منهم معسرًا يتعـــــــفّفِ

وإن تُبسَط النّعمى لهم يبسُطوا بـــها ... أكفًّا سباطًا[2] نفعها غير مُقـــــرفِ[3]

إذا صُرفوا للـــحق يومًا تصـــرّفـوا ... إذا الجاهل الحيران لم يتصـــــرّفِ

---

[1] _ عند البلاذري ناقصة والمثبت من بقية المصادر.

[2] _ في الأغاني وتاريخ دمشق "أن عرّفْتَ"

[3] _ في الأغاني وتاريخ دمشق "عرّفت أهل المدينة ما كنت تشربه ممّا حُرّم عليك"

[4] _ في الأغاني "صاحب شرطتك تعدى عليه".

[5] _ أرفضّت أي تقصّدت وتكسّرت. لسان العرب، مج3، ص 1689، مادة رفض.

[6] _ تقول العرب لجماعة ذلك النّضد، فالنضد من القوم الجماعة والعدد، وقيل أصحاب الشّرف. لسان العرب، مج6، ص 4453، مادة نضد.

[7] _ أجا: جبل لطئ وهو واحد من ثلاثة: أجأ وسلمى والعوجاء. لسان العرب، مج1، ص 30، مادة أجأ.

[8] _ التقصّف هو التّكسّر. لسان العرب ، مج5، ص 3655، مادة قصف.

[1] _ من الرّدف بمعنى الاتباع، والمردف المتّبع. لسان العرب ، مج3، ص 1625، مادة ردف.

[2] _ أي واسعة كثيرة الخير. لسان العرب ، مج3، ص 1922، مادة سبط.

[3] _ مقرف: أي متّهم وكاذب، وقرف الرجل بغى عليه، وأصل القرف القشر. لسان العرب، مج5، ص 3600، مادة قرف.

سمَوا فعلوا فوق البريّة كلّـــــــــها ببنيانٍ عالٍ من مُنيفٍ[1] ومُشـــــرفِ

وأمر له بخمسمائة دينار وإبل وغنم **[**قال: **وكتب له بأن يُعطى أربعمائة شاة، وثلاثين لقحة[2] ممّا توطن[3] السّيّالة[4]]**[5]»[6].

وزاد صاحب الأغاني أنّ الوليد عن أبي سيحان للشُّرب معه فقال: لا ذقتُ معك شرابًا أبدًا[7] ففعل الوليد ذلك.

رواية أخرى لما سبق

-أ- 130

و عن سلمة بن بلال قال: «كان أرطأة بن سيحان[8] حليفا لأبي سفيان، فأُخذ في شراب، فرُفِع إلى مروان – وهو على المدينة- فضربه على رؤوس النّاس ثمانين، فكتب أرطأة إلى معاوية يشتكيه، ويصف ما صنعه، فكتب إليه معاوية:

أمّا بعد: يا مروان فإنّك أخذْت حَليفَ أبي سفيان فضربْتَه على رؤوس النّاس ثمانين، والله لتُبطلنّها عنه أولأقيدنّه منك،

فقال مروان: لابنه عبد الملك، ما ترى؟ قال أرى ألّا تفعل، قال: ويحك! أنا أعلم بمعاوية منك، ثم صعد المنبر فحمد الله، وأثنى عليه ثمّ قال: أيّها النّاس، إنّي كنت ضربتُ أرطأة بن سيحان بشهادة رجل من الحرس، وقد وقفتُ على أنّه غير عادل ولا رضًى، فأشهدكم أنّي قد أبطلتُ ذلك عنه، ثمّ نزل ورضي أرطأة فأمسك»[1].

---

[1] _ بنيان منيف: ناف الشيء نوفًا ارتفع وأشرف. لسان العرب، مج6، ص 4579، مادة نوف.

[2] _ اللّقحة هي النّاقة حن يسمُن سنام ولدها، لا يزال ذلك إسمها حتى يمضي لها سبعة أشهر، ويُفصل ولدها، واللّقاح ذوات الألبان من النّوق. لسان العرب، مج5، ص 4058، مادة لقح.

[3] _ نقول يوطن البعير أي يألف مكانه. لسان العرب، مج6، ص 4868، مادة وطن.

[4] _ السّيالة موضع رعي. لسان العرب، مج3، ص 2173، مادة سيل.

[5] _ ما أثبت من تاريخ دمشق والأغاني وفي أنساب الأشراف ناقصة .

[6] _ البلاذري: أنساب، ج5، ص 143، أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، الرّواية الأولى، ج2، ص 566، 567، ابن عساكر: المصدر السابق، الرواية الأولى، ج 34، ص 179، 180.

[7] _ الأغاني، ج2، ص 567.

[8] _ الصّواب عبد الرحمن بن أرطأة بن سيحان، ابن عساكر: المصدر السابق، ج34، ص 179 ذكر التصحيح بعد نهاية الرواية.

[1] _ ابن عساكر : تاريخ دمشق، الرواية الثانية، ج 34، ص 179 وأعقب روايته فقال: "كذا قال، والمحفوظ عبد الرحمن بن أرطأة"

رواية أخرى لما سبق

-ب- 130

وحمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: ضرب مروان بن الحكم والي المدينة الشاعرَ ابن سيحان في نبيذ المدينة ثمانين سوطًا، فوصلتْ أخباره إلى معاوية، فأمر كاتبه:

«أكتُب إلى مروان فليُبطل الحدّ عن ابن سيحان، وليخطُب بذلك على المنبر، وليقُل إنّه كان ضربه عن شبهة، ثمّ بان أنّه لم يشرب مسكرًا، ويُعطِهِ ألفي درهم» [1].

رواية أخرى لما سبق

-ج- 130

أمّا عبد العزيز بن عمران فقال: كتب معاوية إلى مروان حين ضرب ابن سيحان:

«أمّا بعد، فإنّك ضربتَ عبد الرحمن في نبيذ أهل الشّام الذي يستعملونه، وليس بحرام، وإنمّا ضربتَهُ حيث كان حِلفُه إلى أبي سفيان بن حرب، وأيمُ الله لو كان حليفًا للحكم ما ضربْتَه، فأبطِلْ عنه الحدّ قبل أن أضرب من أخذ معه أخاك عبد الرّحمن بن الحكم». [2]

فصعد مروان المنبر وقال: إنّا كنّا ضربنا ابن سيحان بشهادة رجل من الحرس، ووجدناه غير عدل، ولا رضًى، فاشهدوا أنّي قد أبطلتُ ذلك الحدّ عنه، كان عبد الرحمن أخو مروان يشرب مع ابن سيحان فلذلك هدّده معاوية.[1]

هذه هي روايات هذه الرّسالة والتي نشكّ في صحتها وأحداثها أو على الأقل لاينبغي أن تحمل على ظاهرها للأسباب التّالية:

- أنّ معاوية صحابي جليل وأحد كتبة الوحي، ولا يُتصوّر أن يُبطل حدّا من حدود الله لمجرد أنّ شاعرًا من الشّعراء كان حليفا لأبي سفيان في الجاهلية[2]، إلّا أن يكون ابن سيحان شرب نبيذا غير مسكر فأبطل معاوية الحدّ بالشّبهة وهذا ما تؤكّده رواية الأغاني التّي ذكرت شربه للنّبيذ.

---

[1] _ أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني: الرّواية الثّانية، ج2، ص 568.

[2] _ المصدر نفسه، الرّواية الثّالثة، ص 564.

[1] _ المصدر نفسه، ص 568.

[2] _ خوجلي محمّد: الرّقابة الإداريّة، ص 317.

– كيف لمعاوية أن يعرف من واليه إدمانًا على الخمر والمجنون، ويتركه على الولاية، فهذا مستعبدٌ في حقّه.

– تناقض الرّوايات في الوالي نفسه، فمرّة تذكر الوليد بن عتبة، ومرّة مروان بن الحكم، فأيّهما كان واليًا وكلاهما تولّيا المدينة لمعاوية؟!

– ثمّ هل ابن سيحان شرب خمرًا أم نبيذًا.

– إنّ هذا العصر هو عصر الصّحابة والتّابعين ولو حدث ذلك حقّا ما قبلوه، سواءا حدث من معاوية أو من غيره.[1]

ثمّ إنّ هذه الأخبار نفسها رويت أيضا عن عقبة بن أبي معيط في ولايته للكوفة زمن عثمان.[2]

– رسالة معاوية إلى عبيد الله بن زياد في إطلاق سراح ابن مُفرغ:

- 131 -

ذكر أنّ شعرًا قيل في معاوية نُسب إلى ابن مفرغ[3]، فاحتمل عليه غيظًا، وهو:

ألا أبلغ معاويةَ بن حـــرب مغلغلةً[1] من الرَّجُلِ اليَمَـانِي

أتغضب أن يُقال أبوك عفّ وترضى أن يُقال أبـــوك زاني

فأُقسمُ[2] إنّ رِحْمك من زيادٍ كرِحْم الفيل من ولد الأتانِ[3]

فضرب ابن زياد الشّاعر ابن مفرغ، وأخذ ماله وسجنه، فجاء أصحاب ابن مفرغ القرشيّون إلى يزيد، وحذّروه من نقمة ابن زياد على القرشيّن، وحذّروه أن يصبح ذلك مغبّة عليه، وذكروا أنّ ابن مفرغ هذا ناظل عن معاوية وعِرضه، وله شرف في قومه، وطلبوا منه الإنصاف، «فكتب يزيد إلى ابن زياد:

ببناء داره وردّ ماله، وتخلية سبيله، وأن لا إمرة لأحد من بني زياد عليه، بل زيادة على ذلك

---

[1] _ خوجلي محمّد، المرجع السّابق، ص 317.

[2] _ أنظر البلاذري: أنساب ،ج6 ص142 ، 143 ، ابن عساكر ، المصدر السّابق ،ج63 ، ص220.

[3] _ هو يزيد بن زياد بن ربيعة بن مفرغ الحِميري، ويكنّى أبا عثمان، ولقّب جدّهُ مُفرغًا لأنّه شرب قدح لبن فأفرغه، أمّا يزيد فكان عبدًا للضّحاك بن عوف الهلالي ثمّ أعتقه، كان شاعرًا غزلًا محسنًا، أكثر في هجاء بني زياد فطلبه عبيد الله طلبا شديدا، فلحق بالشّام، وردّه يزيد إلى عبيد الله فعاقبه، مات بالطاعون في ولاية مصعب بن الزّبير على العراق. أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ج13، ص 6437- 6439، ابن عساكر: المصدر السابق، ج 65، ص 191، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج6، ص 342- 349.

[1] _ مغلغلة: رسالة محمولة من بلد إلى بلد، والغلغلة سرعة السّير. لسان العرب، مج5، ص 3289، مادة غلل.

[2] _ في ديوان ابن مفرغ "فأشهدُ أنّ رحمك من زياد"، ص 23.

[3] _ الأتان هي أنثى الحمار خاصّة. لسان العرب، مج1، ص 21، مادة أتن.

قال: لولا أنّ القُوَد بعد ما جرى منه فسادًا في الملك لأقدتّه من عباد بن زياد[1]، وزاد في الكتاب **نفسك نفسك وإن تَسقط من ابن مفرغ شعره فأُقيدك والله به، ولا سلطانَ لك ولا لأخيك، ولا لأحد غيري عليه**» [2]

فأطلقه ابن زياد وعاتبه، فقال له ابن مفرغ: إني أحبّ أن أنزل كِرمان[3] لئلّا تبلغ عنّي شيئًا، فكتب له إلى عامله على كرمان بصلةٍ، وأمره أن يقطعه بها قطيعة ففعل[4].

- رسالة يزيد إلى ابن زياد يأمره بردّ مال عبد الرحمن بن أمّ بُرثن:

-132-

المدائني قال: «استعمل زياد عبد الرحمن بن أم برثن[5] –كما يُقال فيروز حُصين– فكلّمت أمُّه نساء عبيد الله بن زياد فولّاه ثمّ عزله، وأغرمه مائتي ألف درهم، فخرج إلى يزيد بن معاوية، فسأله يزيد: من أنت؟ وما قصّتُك؟ فأخبره، **فكتب له من ساعته إلى عُبيد الله بن زياد في ردِّ المائتي ألف عليه**» [1]

- رسالة عبد الملك بردّ مال محمد بن المنذر:

-133-

قال مصعب بن عبيد الله: «كان محمّد بن المنذر[2] قدم على عبد الملك بن مروان بعد مقتل عبد الله بن الزّبير يطلبُ في ماله، وكان قُبِض مع ما قُبض من أموال ابن الزّبير، **فأمر له بالكتاب في ردّه.**

---

[1] _ سبقت ترجمته في الرّسالة رقم 42.

[2] _ أبو الفرج الأصبهاني: الأغاني، ج13، ص 6460، البلاذري: أنساب الأشراف، ج5، ص403. وجاء عنده أنّ هذا كان زمن معاوية وأنّ هو من كتب بذلك إلى ابن زياد .

[3] _ كرمان ولاية مشهورة وناحية كبيرة معمورة ذات قرى ومدن واسعة بين فارس ومكران وسجستان وخراسان، وهي مشابهة للبصرة في خيراتها. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج4، ص 454.

[4] _ البلاذري : أنساب الأشراف، ج5، ص403.

[5] _ عبد الرحمن بن أم برثن:كان بالعراق ربّتهُ أمّ برثن من بن ضُبيعة، وتبنّته، وكلّمت نساء عبيد الله فرلّاه ثمّ عزله، ووفد على يزيد بن معاوية، وسمّى فيروز حُصين، خرج على الحجّاج مع ابن الأشعث فسجنه ومات بعد ذلك. البلاذري: أنساب، ج5، ص 309، تاريخ خليفة ، ص178.

[1] _ البلاذري: أنساب، ج5، ص 309.

[2] _ هو محمد بن المنذر بن الزّبير بن العوّام أبو زيد القرشي من أهل المدينة، وفد على عبد الملك بعد مقتل عمّه عبد الله لطلب ماله، كان مع ابن الزّبير ومن فرسانه، أكرمه الوليد وسليمان بعد أبيهما، وكان من أحلم النّاس وأشرفهم . ابن عساكر: المصدر السّابق، ج 56، ص 25- 30، ابن حجر: لسان الميزان، ج7، ص 528.

وذكر ابن الزبير في الكتاب فقال: **ممّا أُصفِي عن الكذّاب**[1]، فقال محمّد ليس مِثلي يحمِل شتم عمّه، فأمر عبد الملك بمحو ذلك عنه»[2].

- رسالة عبد الملك إلى الحجّاج يأمره أن يطلق سبيل زياد بن عمرو:

-134-

قال البلاذري: بعد دير الجماجم أقام الحجّاج بالبصرة نحوًا من شهر ثم خرج منها إلى الكوفة، ومعه زياد بن عمرو العتكي[3] عامل بني أميّة، فشدّه الحجّاج في الحديد، وخرج به معه لأنه آوى أصحاب ابن الأشعث، وكانت أخت زياد بن عمرو زوجة ابن الأشعث، فبعث زياد ابنه إلى عبد الملك، وأخبره الخبر فكتب عبد الملك للحجّاج:

«أمّا بعد: فإنّه بلغني أنّك حبسْتَ زياد بن عمرو العُتكي وليس مِثل زياد حُبِس، ولا أظنّ به سوءً، فخلّ سبيله حين يأتيك كتابي، فإنّه من أهل السّمع والطاعة والمناصحة قديمًا والسّلام» [4]

فلمّا وصل كتاب عبد الملك إلى الحجّاج خلّى سبيله وعفى عنه، وهو بدير الجماجم.[5]

لقد كان الحجّاج يصحّح خطأه فورًا عندما يتبيّن له بأنّ ظنّه لم يكن صائبًا، ويبدو أنّ الحجّاج كان مُحقّا في موقفه هذا، فقد مرّ بتجارب أثبتت له أنّ حسن ظنّه لم يكن في محلّه مع بعض الشّخصيّات التّي أحسن إليها [1].

- رسالة عبد الملك إلى الحجّاج يأمره بردّ مظلمة حِمران بن إبّان:

-135-

قال البلاذري: لمّا قُتل مصعب، وثب حمران بن إبّان[2] على البصرة، «وكان الحجّاج حبس حمران

---

[1] _يقال أصفى الأمير دار فلان أو استصفى ماله إذا أخذه كلّه، وهو بهذا الخبر مبني للمجهول وعلاه بحرف عن ليضمّنه معنى صرف عنه وهو من فصاحة عبد الملك بن مروان وإن كان قد أساء في صفة عبد الله بن الزّبير. جمهرة نسب قريش، هامش المحقّق، ص 242.

[2] _الزّبير بن بكّار: جمهرة نسب قريش، ج1، ص276، ابن عساكر: المصدر السّابق، ج 56، ص 25.

[3] _ كان عاملا لبني أميّة بالعراق ومرافقا للحجّاج .البلاذري : أنساب ، ج7 ،ص334 .

[4] _ أنساب الأشراف: ج7، ص 334.

[5] _ المصدر نفسه، ص 334.

[1] _ عبد الواحد ذنون طه: العراق في عهد الحجّاج، ص 49.

[2] _ هو حمران بن إبّان بن خالد عمرو النصري الفارسي الفقيه، مولى عثمان وحاجبه، غلب على البصرة بعد قتل مصعب بن الزّبير، ودعا إلى بيعة عبد الملك، ثم دخل عبد الملك الكوفة وولى خالد بن عبد الله البصرة سنة 72 هـ، مات بعد سنة 75 هـ. تاريخ خليفة، ص106، 168، ابن عساكر: المصدر السابق، ج15، ص172-179 .الذهبي: سير، ج4، ص182، 183.

لأنّه وليَ لخالد بن عبد الله[1] سابور[2]، فكتب إلى عبد الملك:

لو بغير الماء حلقي شرِقٌ[3] كنتُ كالغَصّان بالماء اعتصاري

فكتب إلى الحجّاج:

إنّ حِمران أخو من مَضى منّا، وعمٌّ من بَقي، وهو رِبع[4] من أرباع بني أميّة، فلا تَعرض له وأكْرمه واعرف له حقّه.

ففعل واعتذر إليه، وردّ عليه ماله وبعث بذلك مع غلمان وهبهم له» [5]

وفي الواقع إنّ حمران كان من خيار التابعين، وكان مولى عثمان رضي الله عنه، وكانت له منزلة كبيرة عند بني أميّة قبل عبد الملك، فقد كان معاوية يقدّره ومروان يُكرمه[6] فسار عبد الملك على نهجهم، فردّ المظالم عنه وأكرمه وبوّأه المكانة التّي تليق به.

- رسالة عبد الملك إلى ابن المسيّب يعتذر إليه لمّا ضربه هشام بن إسماعيل:

-136-

قال المسور بن رفاعة: «دخل قبيصة بن ذؤيب على عبد الملك يخبره بكتاب هشام بن اسماعيل [يذكر][1] أنه ضرب سعيدا وطاف به.

قال قبيصة: يا أمير المؤمنين يفتات عليك هشام بمثل هذا يضرب ابن المسيّب، ويطوف به، ما سعيد ممّن يُخاف فتقه ولا غوائله[2] على الإسلام وأهله، وإنّه من أهل السنّة والجماعة، اكتب إليه يا أمير

---

(1) _ يقصد خالد بن عبد الله القسري والي العراق.

(2) _ سابور مدينة مشهورة بفارس وهي ولاية بين خوزستان وأصبهان، بينها وبين نهاوند اثنان وعشرون فرسخا. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج3، ص 167.

(3) _ سبق شرحها.

(4) _ الرّبعُ هو المنزل والدّار، وربع القوم محلّتهم. لسان العرب، مج3، ص 1563، مادة ربع.

(5) _ أنساب الأشراف، ج6، ص 89، .وعند ابن عساكر والذّهبي :"**إنّ عمران أخو من مضى وعمّ من بقي فاردد عليه ما أخذت منه**". ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج15، ص 177 عن أبي عاصم ، الذّهبي: تاريخ الإسلام، ج2، ص 529.

(6) _ انظر: البلاذري: أنساب، ج6، ص 89، ابن عساكر: المصدر السابق، ج15، ص 177، 178.

(1) _ إضافة من سير أعلام النبلاء وعند ابن سعد ناقصة.

(2) _ الغوائل هي الدّواهي و المهالك. لسان العرب، مج5، ص 3318، مادة غول، مرتضى الزّبيدي: تاج العروس، ج30، ص 130، مادة غول.

المؤمنين[1] في ذلك.

فقال عبد الملك **أكتب أنت إليه عنّي**[2] **تخبره برأيي فيه، وما خالفني من ضرب هشام إيّاه.**

فكتب قبيصة إلى سعيد بذلك، فقال سعيد حين قرأ الكتاب: الله بيني وبين من ظلمني» [3]

هذا ما جاء في الرّواية التي لم تذكر نصّ الرسالة الذي كتب به قُبيصة لسعيد والذّي نظنّه أنّه كتب إليه يشرح له الموقف، ويعتذر إليه ويردُّ مظلمته.

ذلك هو هدف عبد الملك أن يستخدم أعوانه، ويدفعهم إلى أن يسابقوا الزّمن لإنجاز ما يمنك إنجازه من إصلاحات، وتقديم ما تستطيع طاقتهم من إحسان للجماهير التّي عانت من الظّلم والحرمان.

- رسالة عبد الملك إلى هشام بن إسماعيل يأمره بإطلاق سراح ثابت بن عبد الله بن الزّبير:

-137 -

قال مصعب الزّبيري: «سبَّ ثابت بن عبد الله بن الزّبير[4] عمرو بن سعيد الأشدق، وأمَّ هشام بن إسماعيل[1]، فأمر به هشام إلى الحبس وقال: ما أراك تشتم إلّا رحِم أمير المؤمنين، فقال له ثابت: إنّهم عصاة مخالفون، فدعني حتّى أشفي أمير المؤمنين منهم، ولم يزل ثابت في السّجن حتّى بلغ خبره عبد الملك بن مروان فكتب:

أن أطلقوه فإنّه إنّما شَتم أهل الخِلاف» [2]

يقصد بذلك عمرو بن سعيد ، وبذلك نرجّح أنّ الشّتم كان لأبنائه لأنّه على دراية بما كان من أبيهم مع عبد الملك.

---

[1] _ عند الذهبي: "يا أمير المؤمنين اكتب إليه"

[2] _ في طبقات ابن سعد "عنك" والتّصويب من سير أعلام النبلاء.

[3] _ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج7، ص 127، الذهبي: سير أعلام، ج4، ص 230.

[4] _ هو ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوّام، أبو مصعب، ويقال أبو حكمة الأسدي، أمّه خذيمة بنت عبد الرحمن وفد على سليمان بن عبد الملك، كان في عداد أهل المدينة يقاتل مع أبيه، وفد على عبد الملك فأكرمه، ووفد على سليمان فأكرمه، وتوفي منصرفًا من عنده إلى المدينة وهو ابن 87 سنة .ابن عساكر: المصدر السّابق، ج11، ص 126- 132، ابن حبّان: الثقات، ج4، ص 90.

[1] _ أمّ هشام هي أمة الله بنت المطّلب بن أبي البختري. مصعب الزّبيري: نسب قريش، ص 49.

[2] _ نسب قريش، ص 49.

- رسالة عبد الملك إلى دحمان الأشقر لقبض مال ابن مُسجِح:

-138 -

قال دحمان الأشقر[1]: «كنت عاملًا لعبد الملك بن مروان بمكّة، فنمي إليّ أن رجلًا أسود يقالُ له ابن مسجح[2] أفسد فتيان قريش، وأنفقوا عليه أموالهم، فكتبتُ بذلك إلى عبد الملك بن مروان، فكتب إليّ: **أن اقبض ماله وسيّره** ، ففعل وتوجّه ابن مسجح إلى الشام» [3]

- كتاب عبد الملك إلى دحمان الأشقر بردّ مظالم ابن مسجح:

-139 -

قال أبو الفرج الأصفهاني بعد روايته السّابقة عن دحمان الأشقر: سُيّر ابن مُسحج إلى الشام، «فدخل على عبد الملك فقال له: أسمعني شيئا من الغناء، فغنّى له فاهتزّ عبد الملك طرَبًا، وسأله من أنت؟ قال: أنا المظلوم المقبوضُ ماله، المسيّر عن وطنه سعيد بن مسجح، قبض مالي عامل الحجاز ونفاني، فتبسّم عبد الملك، وقال: وضح عُذر فتيان قريش في أن ينفقوا عليك أموالهم، **وكتب إلى عامله بردّ ماله عليه، وأن لا يعرض له بسوء**» [1]

هذا ما جاء في الرّواية التي أوردها أبو الفرج، فهل حقيقة أنّ عبد الملك طرب للفتى وأعجب به؟! وتركه وكأنّ الأمر لم يكن؟! ثم متى ولي دحمان الأشقر مكة والحجاز لعبد الملك؟ وهذا ما لم تذكره المصادر، فالمعلوم –كما سبق وأن أشرنا – أنّ عبد الملك ولّى الحجّاج الحجاز سنة 75 هـ، واستخلف على مكة قيس بن مخرمة فعزله عبد الملك وولى نافع بن علقمة بن صفوان فلم يزل عليها حتى مات عبد الملك[2]،وكل هذا يجعلنا متحفّظين على هذه الرّواية.

---

[1] _ دحمان الأشقر: اسمه دحمان الجُماني، عبد الرحمن بن عبد الله مولى بني ليث، كان في المدينة مغنيا حاذقا، وكان فاضلا عفيفا يوالي بين الحجّ والغزو وقدم الشام، ثم استقدمه بعد ذلك الوليد بن يزيد، كان جمّالًا يكرى إلى المواضع ويتّجر عاش نحوا من 90 سنة. ابن عساكر: المصدر السابق، ج17، ص 198، 199، الصفدي: الوافي بالوفيات، ج18، ص 102.

[2] _ هو سعيد بن مسجح أبو عثمان مولى بني جمح مكيّ أسود مغنّي مقدم من فحول المغنّيين وأكابرهم، وأوّل من صنع الغناء منهم، ونقل غناء الفرس إلى غناء العرب، ثم رحل إلى الشام والحجاز، وغنّى الغناء العربي بألحان فارسية ورومية، توفي نحو سنة 85 هـ . الأغاني، ج3، ص 987- 991، الزركلي، الإعلام، ج3، ص 99.

[3] _ الأغاني، ج3، ص 993، ابن عساكر: المصدر السابق، ج21، ص 293، وقد صرّح بأنّه أخذ روايته عن أبي الفرج الأصفهاني.

[1] _ الأغاني، ج3، ص 993، 994، ابن عساكر: المصدر السّابق، ج21، ص 295.

[2] _ تاريخ خليفة ، ص186.

- رسالة سليمان إلى عامله بإنصاف رجل:

- 140 -

قال الضّحاك بن زمل[1]: نزل سليمان قرية بحوران تسمّى عقبة أُفيق[2]، فرفع إليه رجل مظلمته التّي لم تحدّد المصادر طبيعتها ،« **فأمر فكتب بإنصافه**» [3]

و لم تذكر الرّواية مَنْ مِنَ العمّال ظلم هذا الرّجل، وأيّ والٍ كتب إليه سليمان بالذّي كتب ، فهذا يدلّ على أنّ سليمان كان يستمع للمتظلّمين من عماله وغيره فيأمر بإنصافهم.

---

[1] _ هو الضحاك بن زمل بن عبد الرحمن السّكسكي من أهل دمشق، كان ملازمًا لسليمان ثم يزيد بن عبد الملك، وكان من عماله ولاه على اليمن وحضرموت سنتين وشهرًا. ابن عساكر: المصدر السّابق، ج24، ص 263- 266.

[2] _ عقبة أُفيق هي قرية من حوران في طريق الخور، والعامّة تقول فيق، تنزل هذه العَقبة إلى الأردن، وهي طويلة نحو ميلين. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص 233.

[3] _ البلاذري: أنساب الاشراف، ج8، ص 111.

الفصل الثاني:

رسائل الأمان والشّفاعة والوساطة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أوّلا: الـــــرّسائل المتعلقة بإعطاء الأمان للمـــــخالفين:

- رسالة معاوية إلى زياد يُؤمّنه:

-141 -

قال أبو حنيفة الدّينوري: كان زياد مع علي بن أبي طالب، وكان يهجو معاوية، فلمّا تولى معاوية تحصّن زياد بقلعة مدينة اصطخر[1]، «**وكتب إليه معاوية أمانًا على أن يأتيه، فإن رضي ما يعطيه، وإلّا ردّه إلى متحصّنة بتلك القلعة**» [2]

فأخبر زياد ابن خازم[3] –وقد كان معه– بكتاب معاوية وأنّه يريده ، وقدم على معاوية بعد ذلك[4].

تلك هي سياسة معاوية في إطفاء نار المخالفين والمعاندين، يُعطيهم أمانًا، ويعرضُ عليهم إغراءات ، وهكذا بعث نوعًا من الإطمئنان في نفس زياد، الذي كانت تهمّه مصلحته فوق كل إعتبار، سواء كانت هذه المصلحة مع علي أو مع معاوية فسار زياد بعد هذا إلى معاوية، وترقّب به الأمور إلى أن ادّعاه معاوية، وزعم النّاس أنّه ابن أبي سفيان، وأشهد على ذلك شهودًا[5]، وبذا تحقّقت مصلحة الطّرفين، وأُخمدت نار الفتنة بينهما.

- كتاب يزيد إلى محمّد بن الحنفيّة يؤمّنه بعد مقتل الحُسين:

-142 -

قال ابن أعثم: كان محمد بن الحنفية نصح الحسين بعدم الخروج إلى العراق[6]، لمّا أرسلوا إلية قبل حادثة كربلاء يمنّونه الخلافة، فأُعجب يزيد برأيه فكتب إليه بعد مقتل الحسين – وهو يومئذ بالمدينة–:

«**أمّا بعد فإنّي أسأل الله لي ولك عملًا صالحًا يرضى به عنّا، فإنّي لا أرى اليوم في بني هاشم رجُلا هو أرجحُ منك فهمًا وعلما، ولا أحضر فهما وحكما، ولا أبعد من كلّ سفَهٍ ودنس، وليس من**

---

(1) _ اصطخر: بلد بفارس عدّها ياقوت من الإقليم الثالث، أول من أنشأها اصطخر بن طهمورث ملك الفرس، وهي من أقدم وأكبر مدن فارس. معجم البلدان، ج1، ص 211.

(2) _ الأخبار الطوال، ص 203 ، البلاذري: أنساب ، ج5، ص 199، تاريخ الطبري، ج5، ص 179.

(3) _ سبقت ترجمته في الرّسالة رقم 28.

(4) _الطبري: المصدر السّابق، ج5، ص 179.

(5) _ الدينوري : الأخبار الطوال، ص 203.

(6) _ سبق وأن أشرنا إلى ذلك في التّمهيد.

تخلّق بالخير تخلّقًا، ويتبجّل[1] **بالفضل تبجّلًا، كمن جبله الله على الخير جبلًّا، وقد عرفنا ذلك منك قديمًا وحديثًا، شاهدًا وغائبًا، غير أنّي قد أحبَبْتُ زيارتك، والأخذ بالحظّ من رؤيتك ورأيك، فإذا نظرتَ في كتابي هذا فأقبل إلينا آمنا مطمئنًّا، أرشدك الله أمرك، وغفر ذنبك، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته»** [2]

فلمّا وصل كتاب يزيد إلى ابن الحنفيّة استشار أبناءه، فأشاروا عليه بالقدوم على يزيد، فتجهّز وخرج من المدينة إلى الشّام، فأدناه يزيد وأكرمه، واعتذر له لمقتل الحسين.[3]

- رد يزيد على عبد الله بن جعفر لما شفع في جماعة :

-143 -

بعد وقعة الحرّة ،وإباحة مسلم بن عقبة لدماء أهل المدينة «كتب عبد الله جعفر إلى يزيد يستَوهبُه[4] جماعة من أهل المدينة، فوقّع إليه: **من عرفتَ فهو آمن»** [5]

وهكذا راح يزيد يكفّر عن ذنبه بعد وقعة الحرّة، فأعطى الأمان وقبل شفاعته فيهم وفي غيرهم ممن يعرفهم حتّى يكسب وّ آل البيت ؟!

- كتاب مروان في تأمين أهل مصر:

-144 -

قال الكندي: كانت مصر تحت إمرة ابن الزّبير، وبعد مؤتمر الجابية رأى مروان أن يتوجّه إليها لأهميّتها، ثمّ إنّ شيعته بها دعَوْه، فتوجّه ومعه خالد بن يزيد بن معاوية، وكان على مصر ابن جُحدم[6] من قِبل ابن الزّبير، فأجمع على قتال مروان، ثمّ بعد اتّصال بين الطّرفين تمّ الصُلح «على أن يدفع ابن جُحدم كسوة ومالًا لمروان، فكتب مروان لهم كتابًا بيده **يؤمّنهم على جميع ما أحدثوه في ظِلّ خلافة ابن الزّبير»** [7]

---

[1] _ التبجّل هو التعظيم، وبجّل الرجل عظّمه، والبجال من الرّجال الذي يبجّله أصحابه ويسودونه. لسان العرب، مج1، ص 212، مادة بجل.

[2] _ الفتوح، ج5، ص 137، 138.

[3] _ المصدر نفسه، ص 138.

[4] _ أي طلب الهبة، وطلب منه الجماعة أن يعطيه إياهم. لسان العرب، مج6، ص 4929، مادة وهب.

[5] _ الثّعالبي :خاص الخاص، ص 127 وروايته لا سند لها.

[6] _ ابن جُحدم: اسمه عبد الرحمن بن جُحدم القرشي، كان يدعو إلى ابن الزّبير، ثمّ أذعن لمروان. ابن الأثير: الكامل، ج3، ص 483.

[7] _ كتاب الولاة وكتاب القضاة، ص 42- 45 .

وبهذا الأمان والعفو الشامل بعد القتال لأنصار ابن الزّبير تمكّن مروان من إسترجاع قطر حسّاس في موقعه ومداخيله، فدخل مصر سنة65 هـ ، وبايعه النّاس، وعيّن ابنة عبد العزيز على صلاتها وخراجها [1].

- رسالة عبد الملك لابن الحنفيّة يؤمّنه :

-145 -

عن الحسن بن محمّد بن علي قال: لمّا اجتمع النّاس على عبد الملك وبايع ابن عمر، قال هذا الأخير لابن الحنفيّة: ما بقي شيء فبايِعْ، فكتب ابن الحنفية إلى عبد الملك:

«بسم الله الرحمان الرحيم، لعبد الله عبد الملك أمير المؤمنين من محمد بن علي أمّا بعد: فإنّني لما رأيتُ الأُمّة قد اختلفت اعتزلتهم، فلمّا أفضى هذا الأمر إليك، وبايعك النّاس كنتُ كرجلٍ منهم، أدخُل في صالح ما دخلوا فيه فقد بايعتُك، وبايعتُ الحجّاج لك، وبعثت إليك بيعتي، ورأيتُ النّاس قد اجتمعوا عليك، ونحن نحبّ أن تؤمّننا، وتعطينا ميثاقًا على الوفاء، فإنّ القدر لا خير فيه فإن أبيتَ فإنّ أرض الله واسعة، فلمّا قرأ عبد الملك الكتاب قال قبيصة بن ذؤيب وروح بن زنباع: مالك عليه سبيل، ولو أراد فتقًا[2] لقدر عليه، ولقد سلّم وبايع، فنرى أن تكتب إليه بالعهد والميثاق بالأمان له والعهد لأصحابه ففعل وكتب إليه عبد الملك:

إنّك عندنا محمود، أنت أحبّ وأقربُ بنا رحِمًا من ابن الزّبير، فلك العهد والميثاق، وذمّة الله وذمّة رسوله أن لا تُهاجَ ولا أحدٌ من أصحابك بشيء تكرهه، ارجع إلى بلدك واذهب حيث شئتَ، ولستُ أدع صلتَك وعونك ما حَييتُ» [3]

رواية أخرى لما سبق

-أ - 145

أما ابن عبد ربّه فذكر ماسبق باختلاف قال: لما قُتل ابن الزّبير كتب ابن الحنفية بيعته إلى عبد الملك وجاء في الكتاب: «إنّي اعتزلت الأمّة عند اختلافها فقعدتُ في البلد الحرام الّذي من دخله كان آمنًا لأحرز[4] ديني، وأمنع دمي، وتركتُ النّاس ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى

---

[1] _ المصدر السّابق، ص 45.

[2] _ الفتق هو الخروج والإنشقاق. لسان العرب، مج5، ص 3341، مادة فتق.

[3] _ ابن سعد: الطبقات، ج7، ص 112، ابن عساكر: المصدر السابق، ج54، ص 351، ابن الأثير: الكامل، ج4، ص 55.

[4] _ أحرزت الأمر أي حفظته وصنته عن الأخذ. لسان العرب، مج2، ص 832، مادة حرز.

سَبِيلاً﴾[1]،وقد رأيتُ النّاس قد اجتمعوا عليك، ونحن عصابة من أمّتنا لا نفارق الجماعة، وقد بعثتُ إليك منّا رسولًا ليأخذ لنا منك ميثاقا، ونحن أحقّ بذلك منك، فإن أبيتَ فأرض الله واسعة والعافية للمتّقين،

فكتب إليه عبد الملك:

قد بلغني كتابك بما سألتَه من الميثاق لك وللعصابة التي معك، فلك عهد الله وميثاقه أن لا تُهاج في سلطاننا غائبًا ولا شاهدًا، ولا أحدٌ من أصحابك، ما وفّوا بيعتهم، فإن أحببْتَ المُقام بالحجاز فأقِمْ، فلن ندع صِلتك وبرّك، وإن أحببْت المُقام عندنا، فاشخص إلينا، فلن ندع مواساتك، ولَعمري لئن ألجأناك إلى الذّهاب في الأرض خائفًا لقد ظلمناك وقطعنا رحمك، فاخرج إلى الحجّاج فبايع، فإنّك أنت المحمود عندنا دينًا ورأيًا، وخيرٌ من ابن الزّبير وارضى واتقَى» [2].

لقد انتهج عبد الملك بن مروان سياسة الحكمة والتّعقّل والترفّق مع كبار شخصيات الحجاز لذلك نجح في الحصول على بيعة كبار أهله بعد القضاء على ابن الزّبير[3]، ونجح في الإحتفاظ بصلات حسنة مع المؤيّدين والمعارضين، ومع بني أمية وغيرهم، فكانت هذه ثمرة حسنة من سياسته وبعد نظره [4].

- رسالة عبد الملك إلى مصعب بن الزّبير يعطيه الأمان:

-146-

عن علي بن محمّد بن يحي بن سعيد بن أبي المهاجر عن أبيه قال: قبْل أن يُقاتل عبد الملك مصعبًا بالعراق، أرسل إليه مع أخيه محمّد بن مروان [5]: «**إنّ ابن عمّك يُعطيك الأمان**، فقال مصعب: إنّ مِثلي لا ينصرف عن مثل هذا الموقف إلّا غالبًا أو مغلوبًا» [6] فحاربه عبد الملك وقتله.

لقد كان الخليفة عبد الملك بن مروان يدرك تمامًا أهمية الأساليب الدبلوماسية والحرب النفسيّة، واستعمل التّعقّل في مواجهة أعدائه، ويعرف بأنّ أخاه محمّدًا يصلح لمثل هذه المهمّات لشجاعته وكفاءته،

---

[1] _ الآية 84 من سورة الإسراء.

[2] _ العقد الفريد، ج5، ص 149.

[3] _ عبد الجبار محسن: الإتجاهات العامة، ص 22.

[4] _ محمد الصلّابي: الدولة الأموية، ج1، ص 674.

[5] _ هو محمد بن مروان بن الحكم بن العاص أخو عبد الملك، أمير من الشجعان والأبطال، غزا أرض الرّوم، وتولى الجزيرة لأخيه عبد الملك، وقاتل الخوارج، مات سنة 101 هـ. ابن عساكر: المصدر السّابق، ج55، ص237- 242. الزّركلي: الأعلام، ج7، ص95.

[6] _ الطبري: المصدر السابق، ج6، ص 159. وقال الذهبي: "قال الطّبري: بعث عبد الملك إلى مصعب مع أخيه محمّد: **إنّي يا ابن العمّ آمنتُك**، فقال مصعب: إنّ مثلي لا ينصرف عن مثل هذا الموقف إلّا غالبًا أو مغلوبًا". فقد صرّح بأخذه الرّواية عن الطبري. سير أعلام النبلاء، الرّواية الأولى، ج4، ص 145 تاريخ الإسلام، الرّواية الثانية، ج2، ص 491،العبر، الرواية الثالثة، ج1، ص 59.

ومقدرته في مواجهة المواقف العصيبة، لذلك وقبل بدء المعركة، أرسل أخاه هذا إلى مصعب بن الزّبير حاملًا رسالته الشفويّة، معطيا إياه الأمان ومُرغّبا له في التفاوض وإنهاء الصراع[1].

فكانت هذه آخر محاولات عبد الملك مع مصعب، فقد أراد أن يغنم بيعته بأقل التّكاليف وأعطاه الأمان، واستعطفه بقوله «ابن عمّك» محاولة من عبد الملك أن يجعل آخر العلاج إراقة الدّم، ولكن مصعب استمر في عناده ومعارضته فدفع حياته ثمنًا لذلك.

- رسالة عبد الملك إلى الحجّاج بأمان عروة بن الزّبير:

-147-

قال عامر بن حفص: «كتب الحجاج إلى عبد الملك بعد قتل ابن الزّبير: إنّ عروة كان مع أخيه، فلمّا قُتل عدوّ الله أخذ مالًا من مال الله وهرب، فكتب إليه عبد الملك:

إنّه لم يهرُب، ولكنّه أتاني مبايعًا، وقد آمنتُه وحَللتُه[2] ممّا كانّ، وهو قادم عليك، فإيّاك وعروة»[3]

رواية أخرى لما سبق

-أ- 147

أمّا عبد الله بن فائد فقال: «أخبر عروة عبد الملك بمقتل عبد الله بن الزّبير وقال: إنّ الحجّاج صلبه فهب جثته لأمّه قال: نعم، وكتب إلى الحجّاج يعظّم ما بلغة من صلبه[4]، وكتب إليه: **إياك وعروة فقد آمنته**»[5].

فسار من الشّام إلى مكّة ثلاثين يومًا، فغسّل أخاه وصلّى عليه.[6]

رواية أخرى لما سبق

-ب- 147

أمّا أبوحنيفة الدّينوري فذكر ماسبق باختلاف قال: «لمّا قُتل عبد الله بن الزّبير خرج أخوه عروة

---

(1) _ عبد الجبّار محسن: الأمير محمّد بن مروان، ص 74.

(2) _ أحللت له الشيء أي جعلتُه له حلالًا فهو له. لسان العرب، مج2، ص 975، مادة حلل.

(3) _ البلاذري: أنساب، الرّواية الأولى: ج7، ص 131، 132، ، ص 274 ،ابن الأثير: الكامل، ج4، ص 127، النويري: نهاية الإرب، ج 21، ص 87.

(4) _ هذه الرسالة سبقت رقم 106 .

(5) _ البلاذري: أنساب، الرواية الثانية، ج7، ص 131.

(6) _ المصدر نفسه، ص 131.

هاربًا من الحجّاج حتّى أتى الشام، فاستجار بعبد الملك فآجره، وأظهره إكرامه، وأقام عنده، فكتب إليه عبد الملك:

أُلهُ عن عروة فلن أسلّطك عنه»[1]

رواية أخرى لما سبق

-ج - 147

أمّا ابن أعثم فقال : لما قَتل الحجّاج ابن الزبير هرب عروة إلى عبد الملك مستأمنا إليه فآمنه وأكرمه، فكتب الحجّاج إلى عبد الملك: «أمّا بعد: يا أمير المؤمنين، فإنّ عامّة أموال عبد الله بن الزّبير عند أخيه عروة، وقد التجأ إلى أمير المؤمنين، ولستُ أقدرُ على شيء من أموال عبد الله إلى أن يوجّه لي أمير المؤمنين بعروة بن الزّبير والسّلام، فهمّ عبد الملك أن يسلّم عروة للحجّاج، ثمّ إنّه استحيا من ذلك وتذمّم أن يكون يسلّم رجلًا قد التجأ إليه، فكتب إلى الحجّاج:

لا سبيل لك على عروة، فإنّي قد آمنته على نفسه وماله، وأهله وولده، فلا تعاودني في أمره بعدها والسّلام» [2] .

فأمسك عنه الحجّاج، وجعل يتبع أموال ابن الزّبير حتّى احتواها جميعًا. [3]

إنّ هذه التّهمة التّي أُلصقت بعروة وخيانته للمال أمر مستبعد في حقّه، كيف لا وقد عرف بفقهه وصلاحه وتقواه[4]، بل مع ذلك أشار على أخيه في الحصار الأخير بمبايعة عبد الملك[5]، وإنّما هذه من دعاية الحجّاج عليه، فقد بحث لنفسه عن حجّة يعيد بها عروة إلى الحجاز ليعاقبه ، غير أنّ عبد الملك أعطاه الأمان ، إذ لا حاجة إلى معاقبة عروة مادام أمر الخلافة قد حُسم بمقتل ابن الزّبير .

- رسالة عبد الملك إلى ابن الأشعث يعده و يُؤمّنه إن تخلّى عن خروجه :

-148 -

قال ابن أعثم: «بلغ عبد الملك خروج ابن الأشعث، فوجه أشراف أهل الشّام وأهل الجزيرة إلى الحجّاج مددًا في سبعين ألفًا، **وكتب إلى ابن الأشعث بالأمان له ولأصحابه، على أن يرجع عمّا هو**

---

[1] _ الأخبار الطّوال، ص 288، في تاريخ دمشق **"أن أعرض عن ذلك"** ، ج40، ص274.

[2] _ الفتوح، ج6، ص 343 .

[3] _ المصدر نفسه، ص 343.

[4] _انظر تاريخ دمشق ، ج40 ، ص 249.

[5] _ ابن قتيبة: الإمامة والسّياسة، ج2، ص 24.

عليه، ويولّيه أيّ بلدٍ شاء» [1].

لمّا وصل كتاب عبد الملك إلى أهل العراق مع عبد الله بن عبد الملك ومحمّد بن مروان همّوا بخذلان ابن الأشعث، ولكن لما عرفوا أنّ عبد الله ومحمد بن مروان في طاعة الحجّاج، وأنّهم يصلّون خلفه، غضبوا لذلك وشتموا عبد الملك والحجاج وعزموا على الحرب والمناجزه.[2]

- رسالة عبد الملك إلى الحجّاج يؤمّن عبيد الله بن عبد الرّحمن:

-149 -

قال الهيثم بن عدي: «فارق عبيد الله بن عبد الرحمن بن سَمُرة[3] ابن الأشعث فأتى زابلستان[4]، فأقام بها برهة من دهره، ثمّ صار إلى خراسان، فحبسه قتيبة بن مسلم، فخرج ابنه إلى عبد الملك طالبًا الأمان، **فأمّنه وكتب بذلك إلى الحجّاج**.

فرتّب الحجّاج أمره، وبعث إلى قتيبة رسولًا، ودفع إليه زبيبة، وقال: ضعْها في يد قتيبة، ثمّ أغمز[5] عليها ففعل، فبعث قتيبة إلى عبيد الله من غمّه حتى قتله، وكتب الحجّاج إلى عبد الملك أنّ رسوله وافاه وقد مات» [6]

فهكذا أعطى عبد الملك الأمان لرجل تاب وأناب عن خروجه وفرّ من ابن الأشعث، ولكنّ الحجّاج لم ينفّذ أمره، وعصاه في أمانه، وهذا يعبّر حقّ التّعبير عمّا كان يختلج في نفس الحجّاج من غيظ وحنق على ابن الأشعث وأصحابه، فقد أعلن عنهم حربًا لا هوادة فيها ولم يصفح حتى على من تراجع منهم.

- رسالة سليمان إلى قتيبة يؤمّنه ويغريه بالولاية:

-150 -

بعد موت الوليد وتولّي سليمان خشي قتيبة من انتقام سليمان بسبب موافقته للوليد في عزله عن

---

[1] _ المصدر السابق، ج7، ص 91.

[2] _ المصدر نفسه، ص 91.

[3] _ عبيد الله بن عبد الرحمن بن سَمُرة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف القُرشي، أسلم أبوه يوم الفتح، وكان أحد الأشراف، نزل البصرة وغزا سجستان أميرًا. الذهبي: سير أعلام، ج2، ص 571.

[4] _ زابُلستان كورة واسعة قائمة برأسها جنوبي بلخ وطخرستان، وهي منسوبة إلى زابُل جدّ رستُم. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج3، ص 125.

[5] _ من الغمز وهو العصر باليد والكب. لسان العرب، مج5، ص 3296، مادة غمز.

[6] _البلاذري : أنساب الاشراف، ج7، ص 362.

ولاية العهد[1] ، كما كره ولاية يزيد بن المهلّب على خراسان من قِبل سليمان، وألّب النّاس عليه، ثمّ كتب إلى سليمان بن عبد الملك يهنّئه بالخلافة، ويعزّيه عن أخيه الوليد، ووجّه بالكتاب مع رجل من الأزد، فلما ورد كتاب قتيبة على سليمان وقرأه، أقبل على الرسول فقال: كيف رأيتَ قتيبة؟ قال: يا أمير المؤمنين رأيتُه كارها لولاية يزيد بن المهلّب خراسان، وأظنّهُ سيخالفُ على أمير المؤمنين، فكتب سليمان إلى قتيبة:

«**أما بعد: فإنّ النّاس قد اشتدّ عليهم البلاء في ولاية الحجّاج، من الخوف والحبس والتّشريد، حتّى ضاقت صدورهم، وقد أحبَّ أمير المؤمنين أن يحُلّ عُقَد الخوف عنهم، وأن يُنعِشهم بالعدل والإنصاف والأمن، وقد فهم أمير المؤمنين كتابَك وتهنِئتك، وما قد أضْمَرْت في نفسك من الخلاف، فلا تُفسدَنَّ صالِح عملك بشقّ العصا، فإنّ أمير المؤمنين وإن عزلَك عن خراسان ولّاك غيرها: فاقبِل إلى أمير المؤمنين فيمن أحببتَ من إخوتك وقوّادك آمنا مطمئنّا والسّلام**»[2].

لمّا وصل الكتاب إلى قتيبة وقرأه ،رفض عرض سليمان خوفا من إنتقامه وغدره، وأعلن خروجه عليه[3]، وهكذا وضعت خلافة سليمان بن عبد الملك حدًّا للفتوح الإسلاميّة من جهة ما وراء النّهر، لأنّ قتيبة كان يخشى من سليمان، الذّي بدأ بتصفية من أيّد الوليد في خلعه من ولاية العهد [4].

ثانـــــيا: رسائل الشّفَـــــــاعة والـــــــوساطة:

- رسالة معاوية إلى مروان يشفع لغُلام مسجون:

-151 -

قال سعد بن حذافة: «حبَس مروان بن الحكم غلامًا من بني ليث في جناية جناها بالمدينة، فأتتْ جدّة الغلام – أمّ أبيه- وهي أمّ سنان بنت خيثم بن خرشة المذحجيّة[5] فكلّمتهُ، فأغلظ بها وردّها، فخرجت إلى معاوية، واستأذنت عليه فأذن لها، فأخبرته الخبر وقالت: أتيتك لتكون في أمري ناظرًا، وعليه مُعديًا، قال: لا أسألك عن ذنبه، ولا أسألك القيام بحجّته **أكتبوا لها بإخراجه**، وأمر لها براحلة موطّأة،

---

[1] _ ذكرنا ذلك في التّمهيد .

[2] _ ابن أعثم، المصدر السّابق، ج7، ص 166، 167.

[3] _ المصدر نفسه، ص 167.

[4] _ عبد الواحد ذنون طه: دراسات، ص 197، 198.

[5] _ هي أمّ سنان بنت خيثمة بن خرشة المذحجية، من أهل المدينة، امرأة شاعرة وفدت على معاوية متظلّمة من عامله على المدينة. ابن عساكر: المصدر السابق، ج70، ص 247، 248.

وخمسة آلاف درهم».[1]

- رسالة يزيد إلى ابن زياد يشفع في عبد الله بن الحارث:

-152 -

قال المدائني: «حبَس ابن زياد عبد الله بن الحارث بن نوفل[2]، وأراد قتله لإحنة[3] كانت في صدور آل زياد عليه[4]، وبلغ خبره خالاته بنات أبي سفيان، فكلّمن يزيد فيه، فوجّه يزيد رسولًا، وكتب معه إلى زياد **بتخلية سبيله، وكتب للرّسول منشورًا**، فانطلق الرّسول إلى عبيد الله فأخرجه من السّجن »[5]

- رسالة يزيد إلى ابن زياد حين شفع ابن عمر في المختار:

-153 -

قال عبد الرّحمن بن أبي عمير الثقفي: كان المختار بن أبي عبيد مع مسلم بن عقيل[6] في نُصرة الحسين، فسجنه ابن زياد، فلم يزل في السّجن حتّى قُتل الحسين، ثمّ إن المختار بعث إلى ابن عمر – وكان زوج أخته صفيّة بنت أبي عبيد–[7] يسأله أن يكتب إلى يزيد بن معاوية، ليكتب إلى عبيد الله بتخلية سبيله، فكتب ابن عمر إلى يزيد:

«أمّا بعد: فإنّ عبيد الله بن زياد حبس المختار وهو صهري، وأنا أحبّ أن يُعافى ويصلح من حاله، فإن رأيت – رحمنا الله وإيّاك– أن تكتب إلى ابن زياد فتأمره بتخليته فعلت والسلام عليك، فكتب يزيد إلى ابن زياد:

أمّا بعد فخلّ سبيل المختار بن أبي عبيد حين[1] تنظر في كتابي هذا والسّلام عليك .

---

[1] _ أبو الفرج النّهرواني: الجليس الصّالح، ج4، ص 213، ابن عساكر: المصدر السّابق، ج70، ص 247- 249.

[2] _ هو عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث الهاشمي من أهل المدينة، سكن البصرة واصطلح عليه أهلها حين مات يزيد، أمّه هند بنت أبي سفيان بن حرب، وكان يلقّب "ببّة" ولي البصرة لابن الزبير، توفي بعمّان بعد مقتل ابن الزبير . ابن عساكر، المصدر السّابق، ج27، ص 313- 324.

[3] _ الإحنة هي الحقد في الصّدر، لسان العرب، مج1، ص 35، ماد أحن.

[4] _ اصطلح أهل البصر بعد موت معاوية على توليه عبد الله بن الحارث، فربّما سبّب هذا حقدا عليه من آل زياد. انظر ترجمته في الهامش.

[5] _ البلاذري: أنساب، ج5، ص 412.

[6] _ هو مسلم بن عقيل بن أبي طالب الهاشمي، تابعي من ذوي الرّأي والعلم والشجاعة، كان بمكة وانتدبه الحسن ليتعرّف على حال أهل الكوفة، فرحل وأخذ البيعة منهم، فشعر به عبيد الله بن زياد فقتله سنة 60هـ . تاريخ خليفة، ص 143، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج2، ص 339، الزّركلي: الأعلام، ج7، ص 222.

[7] _ هي صفيّة بنت أبي عبيد كانت تحت عبد الله بن عمر، وهي التي الحّت عليه أن يكتب ليزيد . تاريخ الطبري، ج5، ص 37.

[1] _ في الفتوح "ساعة" .

فدعا ابن زياد بالمختار فأخرجه ثمّ قال له: قد أجّلتك ثلاثا، فإن أدركتك بالكوفة بعدها، قد برئت منك الذّمّة، فخرج إلى الحجاز» [1]

رواية أخرى لما سبق

-أ - 153

أمّا ابن كثير، فقد ذكر رواية أخرى مختلفة عمّا سبق قال: «بلغ زياد أنّ المختار يقول: لأقُومنّ بنصرة مسلم بن عقيل، ولآخذنّ بثأره، فأحضره ابن زياد بين يديه، وضرب عينه بقضيب، وأمر بسجنه، فلمّا بلغ ذلك أخته بكت وجزعت، فكتب زوجها ابن عمر ليزيد يشفع عنده في إخراج المختار من السّجن، فكتب يزيد إلى ابن زياد:

إنّ ساعة وقوفك على هذا الكتاب تُخرج المختار بن عبيد من السّجن» [2]

يتّضح من خلال هذه الرّواية أنّ يزيد أمر بهذا احتراما لابن عمر ، لا قرارا سياسيّا مدروسا، لذا سنرى المختار ينصرف إلى الحجاز ليُساند ابن الزّبير، ويعود بعدها إلى العراق ثائرًا، وقائدًا لحركة التّوابين، التّي شكّلت خطرًا على الدّولة، وراح ضحيّتها كثير من الأرواح [3]، فأساء بذلك لابن عمر.

- رسالة يزيد إلى عبيد الله بن زياد لئلّا يعرض لابن همّام السّلولي:

-154 -

قال أبو أيوب القرشي: لمّا ولي يزيد بن معاوية كتب إلى ابن زياد: أن احمل إليّ ابن همّام السّلولي[4]، وكان قد وجد عليه في قصيدته التي يقول فيها

حُشينا الغيظ حتّى لو شرِبنا دماء بني أميّة ما روِينَا

فطلبه ابن زياد، ولكنّه هرب وقدم على يزيد فعزّاه عن معاوية، وهنّأه بالخلافة، وأتى ابنه معاوية فاستجار به، فآمنه يزيد:

---

[1] _ تاريخ الطبري، ج5، ص571، البلاذري: أنساب الأشراف، الرّواية الأولى، ج5، ص 413، الرواية الثانية، ج5، ص 377 عن ابن الكلبي، تاريخ اليعقوبي، ج2، ص 258، ابن أعثم: المصدر السّابق، ج5، ص 145، محمد ماهر: الوثائق، ص 214، أحمد زكي: جمهر رسائل، ج2، ص 85.

[2] _ البداية والنّهاية، ج8، ص 211 .

[3] _ انظر في ذلك: اليعقوبي: المصدر السابق، ج2، ص 258 وما بعدها، ابن كثير: المصدر السّابق، ج8، ص 211 وما بعدها، وانظر الفصل الأول من الباب السّادس.

[4] _ سبق ذكر هذه الرسالة في الفصل الثاني من الباب الأول رقم 46، وقد سبقت ترجمة ابن همّام السلولي في التّمهيد .

«**وكتب إلى ابن زياد يأمره أن لا يعرض له وأوصاه به**» [1]

ولمّا أصدر يزيد أمره هذا تغيّر موقف ابن همّام فمدح يزيد وأشاد به.[2]

- رسالة يزيد إلى عاصم بن عمر بن الخطاب يشفع في فضالة بن شريك:

-155 -

عن محمّد بن حبيب قال: هجى فضالة بن شريك[3] عاصم بن عمر بن الخطاب[4] ، رضي الله عنه، فلمّا سمع عاصم استعدى عليه عمرو بن سعيد بن العاص أمير المدينة، فهرب فضالة إلى يزيد بن معاوية، وعاذ به، وعرّفه ذنبه، وما تخوّفه من عاصم، فأعاذه، «وكتب إلى عاصم: **يُخبره أنّ فضالة أتاه مستجيرًا به يحبُّ أن يهبه له، ولا يذكر له شيئًا من أمره، ويضمنَ له ألّا يعود لهجائه**» [5]

فقبل عاصم شفاعة يزيد، ومدحه في شعره[6].

رواية أخرى لما سبق

-155 - أ-

وذكر المدائني رواية ثانية قال: هجا فضالة بن شريك رجلًا من قريش يُقال له عاصم وأراه عاصم بن عمر فخافة فعاذ بيزيد بن معاوية ومدحه بأبيات من الشعر[1]

فكتب يزيد إلى عاصم: «**إنّي قد أجرتُ فضالة فهبهُ لي**»[2].

---

[1] _ البلاذري: أنساب، ج5، ص 304.

[2] _ انظر الأبيات: المصدر نفسه، ص 306، 307.

[3] _ فضالة بن شريك بن سليمان بن خويلد بن سلمة الأسدي، كان شاعرًا فحلًا، أدرك الجاهلية والإسلام، وفد على يزيد بن معاوية لما هدّده عمرو بن سعيد بن العاص في خلافة معاوية، مات قبل ولاية عبد الملك بن مروان، وله ابنان شاعران عبد الله وفاتك . أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ج9، ص 4083- 4085، ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج48، ص 283- 289.

[4] _ هو عاصم بن عمر بن الخطاب الفقيه الشريف أبو عمرو القرشي، ولد في أيّام النبوّة، أمّة جميلة بن ثابت الأنصارية، كان طويلا جسيمًا من نبلاء الرّجال، وشاعرًا فصيحًا، وهو جد الخليفة عمر بن عبد العزيز لأمّه، مات سنة 70هـ . الذهبي: سير أعلام، ج4، ص 97. وكان ممّا هجا به عاصم قوله:

فدع عاصمًا أفٌّ لأفعال عاصم إذا جهل الأقوام أهل المكارم

فتى من قريش لا يجـــود بنائلٍ ويحسَب أنّ البخل ضربة لازم. الأغاني، ج9، ص 4084.

[5] _ المصدر نفسه، ج9، ص 4084، 4085، ابن عساكر: المصدر السابق، ج48، ص 289.

[6] _ انظر الأبيات ابن عساكر: المصدر السّابق، ج48، ص 289.

[1] _ انظر الأبيات البلاذري: أنساب، ج5، ص 309

[2] _ المصدر نفسه، ص 309، 310.

- ردّ عبد الملك على ابن عبّاس حين شفع في ابن الحنفيّة:

-156 -

قال ابن أعثم: جدّ عبد الله بن الزّبير في عداوة ابن الحنفيّة، كلّ ذلك ليبايع له وهو يأبى قال: وبلغ ذلك عبد الملك فكتب إلى ابن الحنفية[1] فتوجّه إلى الشّام، فكتب ابن عباس إلى عبد الملك:

«أمّا بعد فإنّه توجّه إلى بلادك رجلٌ منّا لا يبدأ بالسُّوء، ولا يُكافئ على الظّلم لا بعجول ولا بجهول، سريع إلى الحقّ أصمّ عن الباطل، ينوي العدل، ويعاف الحيف[2] ومعه نفر من أهل بيته، وعدّة من رجال شيعته، لا يدخلون دارًا إلّا بإذن، ولا يأكلون إلّا بثمن، رهبان بالليل ليوث بالنّهار، فاحفظنا فيهم رحمك الله، فإنّ ابن الزّبير قد نابذنا ونابذْناه بالعداوة والسّلَام، فكتب عبد الملك له:

أمّا بعد: فقد أتاني كتابك توصيني فيه بمن توجّه إلى ما قِبلي من أهل بيتك، فما أسرّني بصلة رحمك، وحفظ وصيّتك، وكلّ ما هويتَ من ذلك فمفعول متبّعٌ، فأنزِل بي حوائجك رحمك الله إن أحببْت، فلن أعرّج عن حاجة لك قبلي، فإنّك أصحبت عظيم الحقّ عليّ، مكينًا لديّ، وفّقنا الله وإيّاك لأفضل الأمور، والسّلام عليك ورحمة الله وبركاته» [3]

رواية أخرى لما سبق

-أ - 156

أما البلاذري فقال: «كتب عبد الله بن عبّاس إلى عبد الملك في محمّد بن الحنفيّة كتابًا يسأله في الوصاة بمحمّد بن الحنفيّة، والعناية بشأنه، والحيطة عليه إذا صار إلى الشّام، **فأجابه عبد الملك بكتاب حسن يُعلمه فيه قبول وصيّته، ويسأله أن يُنزل به حَوائجه** وخرج ابن الحنفية وأصحابه يريدون الشّام».[4]

الظاهر من رواية البلاذري أن ابن الحنفية لم يسر إلى الشام لما كتب ابن عباس لعبد الملك، لذا أجدني متحفّظًا كثيرا عن رسالة ابن أعثم وروايته، إذ المتأمّل في رسالة ابن عبّاس لعبد الملك كما أوردها ابن أعثم يبين له أنّ ابن الحنفيّة قد سار باتّجاه الشام، لذلك كتب إلى عبد الملك يوصيه، وهذا بعيد عن

---

[1] _ هذه الرّسالة سبقت في الباب الأول رقم 25 – أ –.

[2] _ الحيف هو الميل في الحكم والظلم والجور. لسان العرب، مج2، ص 1071، مادة حيف.

[3] _ الفتوح، ج6، ص 318، 319 .

[4] _ أنساب الأشراف، ج3، ص 480 .

الصّواب، ذلك أنّ توجّه ابن الحنفيّة إلى الشّام كان سنة 69هـ [1]، وعبد الله بن عبّاس كان قد توفي قبل هذا سنة 68[2]، حيث قال أبو جمرة[3] الذي سار مع ابن الحنفيّة كما ذكر ابن سعد: سرنا من الطّائف إلى أيْلّة، بعد موت ابن عبّاس بزيادة على أربعين ليلة[4]، فمتى كتب ابن عبّاس رسالته إلى عبد الملك؟!

- رسالة عبد الملك إلى أخيه عبد العزيز بالإحسان إلى ذُبيان بن نعيم:

-157-

عن العبّاس بن هشام قال: «أصحب عبد الملك بن مروان ذبيان بن نعيم بن سعدانة الكلبي[5] أخاه عبد العزيز حين شخص إلى مصر، فرأى منه جفوة، فكتب إلى عبد الملك:

أبلِغ أمير المؤمنين ودُونـــــــه ... فراسخ تَطوي الطّرف وهو حديدُ

بأنّي أرى عبد العزيز مؤخّـــرًا ... يقدّم قبلي راسب وسعيـــــــدُ

وقد كنت أدنَى في القرابة منهما ... وأشرفُ إن كنتَ الشّريف تـــريدُ.

فكتب إليه عبد الملك في أمره فبرّه وسهّل إذنه، وأدنى مجلسه» [6]

- رسالة عبد الملك إلى الحجّاج يتوسط لآل سعيد بن العاص:

-158-

قال عبد الرّزاق: «بعث عبد الملك بنفر من آل سعيد بن العاص حين قتله آل الحجّاج، وكتب إليه:

أمّا بعد فإنّي قد بعثتُ إليك بنفر من آل سعيد بن العاص، فلأعرفَنّ ماذا كرَبَهم من نقضهم شيئا ، فإنّي لا آمن أن يقع في نفسك عند ذلك لهم مَقت، وقد جاملهم أمير المؤمنين أحسن المجاملة، والكريم يُغضي عن القَذى[1]، وقال القائل:

---

[1] _ ابن سعد: الطبقات، ج7، ص 107، 108.

[2] _ الذهبي: سير أعلام، ج3، ص 359، الزركلي: الأعلام، ج4، ص 95.

[3] _ سبقت ترجمته في الرسالة رقم 26 – ب–

[4] _ ابن سعد: المصدر السابق، ج7، ص 109.

[5] _ قال البلاذري: ذُبيان بن نعيم بن حصين الكلبي العُليمي. أنساب الأشراف، ج8، ص 73.

[6] _ المصدر نفسه، ج7، ص 247.

[1] _ القذى: ما يقع في العين وما تُرمى به. لسان العرب، مج5، ص 3562، ماد قذى.

أُجاملُ أقوامًا حياءً وقد أرى قلوبهم نابَ عليَّ مِراسُها[1]، والسلام عليك» [2]

- رسالة عبد الملك إلى الحجّاج يأمره بإطلاق سراح غُضبان بن القبعثري:

-159-

خرج غضبان بن القبعثري[3] على الحجّاج مع ابن الجارود ،ثمّ هرب إلى الشام[4]، فأمسكه الحجاج بعدها وسجنه، فكلّم روح بن زنباع عبد الملك في إيمانه، «**فكتب بذلك إلى الحجاج**.

فدعا به الحجّاج فقال له: قد سمنت يا غضبان وصفا لونك؟ قال: القيد والرّتْعة، ومن يكن ضيف الأمير يسمن، قال أنت القائل لابن الجارود: تعشَّ بالجدي قبل أن يتغدّى بك؟ قال: ما نفعت من قالها، ولا ضرّت من قيلت له ».[5]

- رسالة عبد الملك إلى الحجّاج بأن لا يَعرض للشّاعر عبد الله بن الحجّاج:

-160-

قال ابن الأعرابي: « كان عبد الله بن الحجّاج[6] الشّاعر من أنصار ابن الزّبير، فلمّا قُتل ابن الزّبير لجأ إلى عبد الملك فآمنه، وطلبه الحجّاج، وكتب إلى عبد الملك يعرّفه آثار عبد الله بن الحجّاج، وبلاءه في محاربته، وأنّه بلغه أنه آمنة، ويسأله أن يوفده إليه ليتولّى قتله، فأرسل إليه عبد الملك:

إنّي قد عرفتُ خُبث عبد الله وفسقه ما لا يزيدني علمًا به، إلّا أنّه اغتفلني متنكّرًا فدخل داري، وتَحرّم بطعامي، واستكساني فكسوتُه ثوبًا من ثيابي، وأعاذَني فأعذْتُه، وفي دون هذا ما خطر عليّ دمه، وعبد الله أقلّ وأذلّ من أن يُوقع أمرًا أو ينكث عهدًا في قتله خوفًا من شرّه، فإنْ شكر النّعمة وأقام على الطّاعة فلا سبيل عليه، وإن كفر فما أوتي وشاقّ الله ورسوله وأولياءه، فالله قاتِله بسيف البغي الذي قتل به نظراءه ومن هم أشدّ بأسًا وشكيمة منه من الملحدين، فلا تعرض له ولا

---

(1) _ المرا س هو العلاج. لسان العرب، مج6، ص 4179، مادة مرس. والبيت للشّماخ بن ضرار الذّبياني، انظر ديوانه، ص215.

(2) _ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج46، ص 44، 45.

(3) _ سبقت ترجمته في الرّسالة رقم 79.

(4) _ انظر تاريخ دمشق، ج48 ، ص64 .

(5) _البلاذري: أنساب الأشراف، ج7، ص 294 .

(6) _ هو عبد الله بن الحجّاج بن محصن بن جندب المضري، يكنّى أبا الأقرع شاعر فاتك شجاع من معدودي فرسان مضر، وذوي البأس والنّجدة فيهم، وكان ممّن خرج مع عمرو بن سعيد على عبد الملك، فلمّا قُتل عمرو خرج مع نجدة الحنفي، ثم هرب ولحق بعبد الله بن الزّبير، ثم قدم على عبد الملك فآمنه. الأغاني، ج10، ص 4509، ابن عساكر: المصدر السابق، ج 27، ص 329- 332.

لأحدٍ من أهل بيته إلّا بخير والسّلام» [1]

ولعلّ السّبب الذي حمل عبد الملك على أن يتوسّط لعبد الله بن الحجّاج، ويشفع له هو إنتماؤه إلى الكلبيّين أنصار الأمويّين[2] فلم يفصح عن ذلك وصنع للحجّاج حجّة ليتحقق له مراده، وطمأنه من ناحيته ليبتعد عنه.

إنّ الذي زاد الأمر تعقيدًا في الدّولة وأقاليمها خلافات وصراعات العصبيّة، فالقبائل العربية تنقسم إلى قيسيّة ويمنيّة، وإن عادات الثّأر والإنتقام كانت سائدة فيها، وغايات بني أميّة التي يُراد تحقيقها إستدعت شحذ مشاعر الحقد والبغضاء.

وقد عزم عبد الملك حين وُسّدت إليه مقاليد الأمور أن يسلك طريقا وسطا في ميدان العصبيّات، إذ بالرّغم من أنّ المروانيّين قد اضطرّوا إلى أن يرموا بأنفسهم في الشّام في أحضان الكلبيّين لكي يحافظوا على سيادتهم إزاء قيس المائلين مع ابن الزّبير، إلا أنّه كانت تربطهم مع ذلك بقيس رابطة الدّم، وقد أدّت سياسة عبد الملك إلى التّخفيف من غلواء السّيطرة اليمنيّة، وقد أدّى هذا الموقف إلى ترك القيسيّة سياسة المقاومة لعبد الملك الذي قرّب رجالهم ووسدهم من الأمور ما وسّد خصومهم من اليمنيّين، وهكذا أظهر عبد الملك أنَّه لا يقلّ حنكة عن سلفه معاوية، وأنّه يعرف كيف يؤلّف بين الخصوم، فيجعلهم خدمًا للدّول التّي تتمثل في شخصه.[3]

- رسالة عبد الملك إلى الحجّاج يأمره بإطلاق سراح عبد الله بن فضالة:

-161-

قال عبد الله بن عبد الله بن فضالة الزّهراني: كان عبد الله بن فضالة[4]من أتباع ابن الجارود فطلبه الحجّاج ليقتله، فأمسك به يزيد بن المهلّب ، وقبل أن يبعث به إلى الحجّاج سارت زوجته إلى عبد الملك بدمشق، فأمسكت بثوبه وقالت: «يا أمير المؤمنين إنّه الدّم، وإنّه الحجّاج، وإنّه إن رآه قتله، قال: فكتب لها كتابًا مؤكّدًا:

---

[1] _ أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ج10، ص 4522.

[2] _ المصدر نفسه، ص 4517.

[3] _ نجدة خمّاش: الإدارة، ص 112، 113، كلود كاهن: الإسلام، ص 65.

[4] _ هو عبد الله بن فضالة بن شريك الأسدي، شاعر من فحول الشّعراء، كان مع ابن الزّبير ثمّ خرج مع ابن الجارود على عبد الملك . الأغاني، ج10، ص 4522، الصّفدي: الوافي بالوفيات، ج17، ص 216.

إيّاك وإيّاه، أحسِن جائزته ورِفْدَهُ[1]**، وخلّ سبيله**، ثمّ وجّه به مع البريد»[2]

- رسالة عبد الملك إلى الحجّاج يأمره بإطلاق سراح مسمع بن مالك:

- 162 -

قال المدائني: «حبَس الحجّاج مسمع بن مالك، وكان ابنه قُتل مع ابن الأشعث، فقالت امرأته:

وما كنت أخشى أن أقُوم سويّة لأبغي زيادًا لا أموتُ وأكمد[3]

فكتب عبد الملك إلى الحجّاج:

قد كان بلاء مالك بن مسمع[4] **عندنا ما يُعفي عن ذنب مسمع**[5] **ابنه فخلّ عنه وولّه سجستان**[6] ، فولّاه إيّاها» [7]

- رسالة الوليد إلى سليمان يأمره بتسليم يزيد بن المهلّب لمّا استجار به:

- 163 -

[رسالة الوليد] أخذ الحجّاج آل المهلّب معه في فتوح فارس فعذّبهم، وجعل عليهم حرس الشّام، وأغرمهم ستّة آلاف ألف، فاحتال يزيد للهروب مع آل بيته، والتجأوا إلى سليمان، فلمّا أصبحوا علم الحجّاج بهروبهم، فكتب إلى الوليد بن عبد الملك: «إنّ آل المهلّب خانوا مال الله عز وجلّ وهربوا منّي ولحقوا سليمان[1]، **فكتب الوليد إلى سليمان بذلك**»[2].

---

[1] _ الرّفد هو العطاء والصّلة ورفده أعطاه وأعانه. لسان العرب، مج3، ص 1687، مادة رفد.

[2] _ النّهرواني: الجليس الصّالح، ج1، ص 464، البلاذري: أنساب، ج7، ص 290.

[3] _ من الكمد وهو همّ وحزن لا يُستطاع إمضاه أي حزن مكتوم. لسان العرب، مج6، ص 3928، مادة كمد.

[4] _ هو مالك بن مسمع بن مالك أبو غسّان الرّبعي من وجوه أهل البصرة، وفد على معاوية وتوفي سنة 74 هـ. ابن عساكر، المصدر السّابق، ج56، ص 497- 499.

[5] _ مسمع بن مالك بن شيبان بن شهاب أبو سيّار الرّبعي البصري، وفد على عبد الملك، كان سيّدًا حليما شريفًا وكان جوادًا سخيّا، فلما ولي عبد الملك شكر له، وولاه سجستان إلى أن مات، وكان مع الحجّاج في جميع مشاهده، لا يفارقه كيوم الزّاوية ودير الجماجم، ولكنّ الحجّاج اتّهمه في ماله وحبسه. تاريخ خليفة، ص 187، ابن عساكر: المصدر السابق، ج58، ص 155.

[6] _ سجستان ناحية كبيرة بخراسان وولاية واسعة أطلقت على النّاحية، واسم المدينة زرنج، بينها وبين هراة 10 أيام من الجنوب أرضها سبخة ورمالها حارّة . ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج3، 191.

[7] _ البلاذري: أنساب، ج7، ص 386. في تاريخ خليفة كتب له "**أن ولِّ مسمع بن مالك سجستان** "، ص187، ابن عساكر: المصدر السابق، ج 58، ص 157، وقد أخذ روايته عن خليفة ابن خياط.

[1] _ بداية الرّواية ورسالة الحجّاج من تاريخ الطبري، ج6، ص 451، ابن الأثير: الكامل، ج4، ص 257.

[2] _ الأبشيهي: المستطرف، ص 135.

[ردّ سليمان]:فكتب سليمان إليه:

«أما بعد يا أمير المؤمنين، فإنّ يزيد بن المهلّب وإخوته لجؤوا إليَّ، وقد آمنتهم وخفرتُهم[1]، وقد كان الحجّاج أغرمهم ستّة آلاف ألف درهم، وأدّوا منها ثلاثة آلاف ألف، وبقيتْ ثلاثة آلاف ألف درهم فهي عليَّ والسّلام».[2]

- ردّالوليد على سليمان يأمره أن يبعث إليه آل المهلّب:

-164 -

[ردّ الوليد]قال أبو اليقظان: فكتب إليه الوليد: «**أمّا بعد، فوالله لا أؤمّن يزيد ومن معه حتّى تبعث بهم إليّ**»[3]

[جواب سليمان] فكتب إليه سليمان:«أمّا بعد يا أمير المؤمنين، فإنّك إن حملتَني على أن أبعث بهم قدِمتُ عليك معهم»[4]

- ردّ الوليد على سليمان لما طلب منه القدوم مع آل المهلّب:

-165 -

[ردّ الوليد]فكتب له الوليد:

«**والله لئن قدمتَ إليَّ معهم لا أؤمّنهم أبدًا، فابعث بهم إليّ في وَثَاق**» [5].

[جواب سليمان] قال أبو اليقظان: فبعث سليمان يزيد بن المهلّب وآله إلى الوليد مع ابنه أيّوب، وقال لابنه: يا بنيّ إذا أردتَ الدخول على عمّك فادخل أنت ويزيد في سلسلة واقرن نفسك معهم، ففعل

---

(1) _ خفرتهم أي أجرتهم، وخفره استجار به، وسأله أن يكون له خفيرًا. لسان العرب، مج2، ص 1209، مادة خفر.

(2) _ الزّبير بن بكّار: الأخبار الموفّقيّات، ص 403، الطبري: المصدر السّابق، ج6، ص 541،الأبشيهي: المستطرف، ص 135، ابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص 296 ، ابن الأثير: الكامل، ج4، ص 257.

(3) _ الزّبير بن بكّار: الأخبار الموفّقيات، ص403، الطبري: المصدر السابق، ج6، ص 451، ابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص 296، ابن الأثير: الكامل، ج4، ص 257.

(4) _ الزّبير بن بكّار: المصدر السابق، ص 403، الطّبري: المصدر السّابق، ج6، ص 451، ابن الأثير: الكامل، ج4، ص 257 وعند ابن الجوزي:"لَئِن أنا بعثتُ به إليك، فأُنشدك الله أن تفضحني، ولا تخفرني". المنتظم، ج6، ص 296.

(5) _ الزّبير بن بكّار: المصدر السابق، ص 403. الطّبري : المصدر السابق، ج6، ص 251، ابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص 296، ابن الأثير: الكامل، ج4، ص 257 ، ابن كثير: البداية والنّهاية، ج9، ص 66، وفي المستطرف "**إنّه لابدّ أن ترسل إليّ يزيد مغلولا مقيّدا**" ص135 .

أيّوب ذلك، فلمّا رأى الوليد ابن أخيه مع يزيد في سلسلة قال: [والله] [1] لقد بلغنا مبلغًا شاقًا، ثم تكلّم أيوب بن سليمان، فقال: يا أمير المؤمنين نفسي فداؤك لا تخفِر ذمّة أخيك[2]، فإنّك أحقّ من منعها، ولا تقطع رجاءَ من رجا السّلامة في جواره لمكانه منك، ولا تُذل من أمل العزّ في الإنقطاع إليه بعزّه منك، ثمّ دفع إليه كتاب سليمان فإذا فيه:

«[لعبد الله الوليد أمير المؤمنين من سليمان بن عبد الملك][3]، أمّا بعد يا أمير المؤمنين: فوالله إنّي كنت لأظنُّ أنّهُ لو استجار بي عدوٌّ قد نابذك وجاهدك فأنزلتَه وأجرته إنّك لا تُذلّ جاري، ولا تَخفر جواري، على أنّي لم أُجِر إلّا امرؤا مسلمًا سامعًا مطيعًا، حسَن البلاء والأثر في الإسلام في طاعتنا هو وأبوه وأهل بيته، و قد بعثتُ به إليكَ، فإن كنتَ يا أمير المؤمنين إنّما تغزو قطيعتي والإخفار بذِمّتي، والإبلاغ في مساءتي، فقد قدرتَ أن أنت فعلت [ذلك][4] وأنا أُعيذك بالله يا أمير المؤمنين من احتراز[5] قطيعتي، وانتهاك حُرمتي، وترك برّي وصلتي، فوالله يا أمير المؤمنين ما تدري ما بقاؤك ولا بقائي، ولا متى يُفرّق الموت بيني وبينك، فإن استطاع أمير المؤمنين ألّا يأتي علينا أجلُ الوفاة إلّا وهو لي واصلٌ ولحقّي مؤدٍّ، ولقرابتي حافظ، وعن مساءتي نازع[6] فوالله يا أمير المؤمنين ما أصبحتُ بشيء من أمور الدّنيا بعد تقوى الله بأسرَّ منّي برضاك وسرورك، وإنّ رضاك ممّا ألتمس به رضوان الله، فإن كنتَ يا أمير المؤمنين تريد يومًا من الدّهر صِلتي ومَبرّتي[وكرامتي][7] وإعظام حقّي، فتجاوزْ لي عن يزيد، وكلَّ ما طالبتَهُم به فهو عليّ والسّلام » [8]

لقد ظهر الوليد بصورة الرّجل الصّارم الحازم، فلم يشأ مخالفة واليه الحجّاج، حتى لا يُظهر ولّاته بمظهر الضّعاف أمام الرّعيّة، بل أحب أن يكون للحجّاج كلمة مسموعة وطاعة في أهل العراق، وذلك لا يتأتّى إلّا بالإنصياع لطلباته، وعدم مخالفته في فعاله، وفي المقابل سعى سليمان بكلّ طريقة وأسلوب إلى استعطاف أخيه الوليد حتّى يقبل شفاعته ووساطته في يزيد وآل المهلّب، ويظهر أنّ سليمان بن عبد الملك

---

(1) _ ما أضيف من تاريخ الطّبري.

(2) _ في تاريخ الطبري "ذمّة أبي"

(3) _ ما أضيف تاريخ الطبري ووفيات الأعيان، وفي الاخبار الموفّقيات غير موجود.

(4) _ إضافة من وفيات الأعيان، وفي بقية المصادر غير موجود.

(5) _ عند الطبري "احتراد" وفي وفيات الأعيان " اختيار".

(6) _ من نزع أي كفّ وانتهى. لسان العرب، مج6، ص 4395، مادة نزع.

(7) _ ما أضيف من تاريخ الطّبري.

(8) _ الزّبير بن بكار: المصدر السّابق، ص 403، 404، الطبري: المصدر السّابق، ج6، ص451، 452، ابن خلّكان: وفيات الأعيان، ج6، ص 293، محمد ماهر: الوثائق، ص 398، 399.

لم ينس بلاء آل المهلّب وشهرتهم التّي ذاعت في الآفاق، وجهادهم وولاءهم للدّولة الأمويّة وخلفائها.[1]

فلمّا وصل كتابه إلى الوليد وقرأه دعا أيوب بن سليمان، فقرّبه وأدناه، ثمّ تكلّم يزيد بن المهلّب فقال: يا أمير المؤمنين إنّ بلاءنا عندكُم أهل البيت أحسن البلاء، فمن ينسى ذلك فلسنا ناسيه، ومن يكفره فلسنا كافريه، وقد كان من بلائنا أهل البيت في طاعتكم والطّعن في أعدائكم في المواطن العظام، وفي المشارق والمغارب ما المنّة فيه علينا عظيمة، فقال له الوليد إجلس، فجلس فآمنه، وكفّ عنه وعن أهل بيته، وأعاده إلى سليمان.[2]

وهكذا تحقّق لسليمان مراده، وما سعى إليه، وظفر بمسعاه، على عدوّه الذّي أيّد الوليد في عزله من ولاية العهد.

- رسالة الوليد إلى الحجّاج بأن لا يعرض ليزيد بن المهلّب وإخوته:

-166 -

بعد أن أمّن الوليد يزيد بن المهلّب وإخوته ورضى عنهم وأعادهم إلى سليمان كتب إلى الحجّاج:

«أمّا بعد، فإنّ أمير المؤمنين لم يَصل ليزيد وإخوته مع سليمان، فلا تعرض لهم، ولا تُراجعني فيهم والسّلام»[3].

---

[1] _ عبد المنعم سلطان: آل المهلّب، ص 83.

[2] _ الزّبير بن بكار: المصدر السابق ، ص 404، ابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص 296، ابن خلكان، المصدر السابق، ج6، ص 293.

[3] _ الزبير بن بكّار: المصدر السابق ، ص 405.تاريخ الطّبري، ج6، ص 452. ابن الأثير: الكامل، ج4، ص 247، أحمد زكي: جمهر رسائل، ج2، ص 244 ، وقد أخذها عن الطّبري .

الفصل الثّالث:

الرّسائل المتعلّقة بالحُدود والقِصاص وأحكام القضاء والسّجون

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أوّلا: رسائل الحـــدود والقضاء والعـــقوبات:

- رسالة معاوية إلى أخيه عتبة في العقوبات :

- 167 -

قال ابن منقذ: «**كتب معاوية بن أبي سفيان إلى أخيه عتبة، وهو على مصر: في أقوام يعاقبهم ولا يراجعه فيهم**»[1].

[جواب عتبة] فكتب إليه عتبة:

« يا أمير المؤمنين، على أداء حقّك أستعين الله، وبه على جميع أمري أتوكل، وأنا مُقيّد بكتابك، وصائرٌ إلى أمرك، ومتّخذه إماماً إذا أمَّ الحزم، فإذا خالفته فعندها لم تغب عما شهدتُّ، ولم يدخل عليك ضرر ما فعلتُ، ولقد علم الناس قِبلي أن زنادتي ذكيّة الشُّعَل[2] لمن عاداك، وأنّ جناي [3] أحلى من العسل لمن والاك، فثق بذلك لهم وعليهم، وإياك أستكفي لك من كفاني بك»[4] هنا تظهر شدّة معاوية مع هؤلاء الذّين لم يذكرهم المصدر ورفق عتبة بهم مراعيا المصلحة في عفوه عنهم، ولم يذكر المصدر موقف معاوية ممّا كتب به عتبة، وهذا يدلّ على متابعة معاوية لما يدث في الولايات ومراقبته لأحكامهم.

- رسالة معاوية إلى مسلمة بن مخلد يسأله عن قول الرّسول ﷺ في القضاء:

-168 -

لقد أولى خلفاء بني أميّة ولا سيما معاوية بن أبي سفيان أهمية خاصّة ورعاية كاملة للقضاء والمظالم، حتّى وقف على قدميه، وقد جعل الله بمنّه ورحمته ولاة الأمر خلفاء في أرضه، وجعل لهم نورا يُضيء للرعية ما اشتبه من الحقوق عليهم، وإضاءة نور ولاة الأمر إقامة الحدود ورد الحقوق إلى أهلها بالتثبُّت و الأمر البيِّن [5].

فعن يونس بن ميسرة بن جلسه[1] قال: «كتب معاوية بن أبي سفيان إلى مسلمة بن مخلد [وهو

---

[1] _ أسامة بن منقذ : لباب الآداب ، ص 346.

[2] _ نقول ذكت النّار أي اشتدّ لهبها واشتعلت، لسان العرب ، مج 3 ، ص1509، مادة ذكا.

[3] _ يقال جناية لكلّ ما يجتنى ، ويقال للعسل إذا اشتير جنى ، ويطلق الجنى على العنب .لسان العرب، مج 1، ص 707، مادّة جنى.

[4] _ أسامة بن منقذ : المصدر السّابق ، ص 346.

[5] _ أبو يوسف: الخراج، ص5، ابن تيمية: السياسة الشرعية، ص14.

[1] _ السند نفسه في الرّواية الثانية لابن عساكر.

بمصر][1] :

أن سَل عبد الله بن عمرو بن العاص هل سَمِع رسول الله ﷺ يقول: لا تُقَدّس أمّة لا يُقضى فيها بالحقّ ويَأخذ الضّعيف حقّهُ من القوي غير مُضطهد[2]؟ فإن أخبرك أنّه سمع[3]من رسول الله ﷺ فابعثه إليَّ على مركبة من البريد.

فسأله فقال: نعم، فدفع إليه الكتاب فقدم على مركبة من البريد وقال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقوله ، قال معاوية: أنا سمعتُ كما سمعتَ »[4]

لقد أدرك أمير المؤمنين معاوية أهميّة العدالة في فرض هيبة الدولة وقداستها، إستنادا إلى حديث رسول الله، وهذه السّياسة من الخليفة عليها التّعويل في حقن الدماء ومنع الشرور وقمع المفسدين، والمنع من التظالم المؤدّي إلى الفتنة والاضطراب.

- رسالة معاوية إلى سعيد بن العاص ليجلد عبد الرّحمن بن الحكم و ابن حسّان :

-169-

قال أبو الخطّاب الأنصاري: «وقَع الهجاء بين عبد الرحمن بن الحكم[5] وعبد الرحمن بن حسان بن ثابت[6]، فلمّا أهذرا[1] في التّهاجي وأفحشا، كتب معاوية بن أبي سفيان –وهو الخليفة يومئذٍ– إلى سعيد بن العاص–وهو عامله على المدينة–:

---

[1] _ إضافة من الرواية الثانية.

[2] _في الرواية الثانية "غير مضطرّ"،وفي سنن البيهقي"وهو غير متعتع"، وفي معجم الطّبراني"غير متمتع"، والحديث رواه الحاكم في المستدرك، ج3 ،ص287، في ذكر مناقب أبي سفيان بن الحارث، رقم 19988،عن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطّلب، البيهقي: السّنن الكبرى،ج10، ص93، باب ما يستدلّ به على القضاء وسائر الأعمال، الطبراني: المعجم الكبير، ج19، ص385، رقم 903، عن معاوية.

[3] _ في الرواية الثانية " سمعه"

[4] _ ابن عساكر: تاريخ دمشق، الرّواية الأولى، ج31، ص 240، المصدر نفسه، الرّواية الثانية، ص 240

[5] _ عبد الرحمن بن الحكم أخو مروان بن الحكم كان شاعرًا محسنا، أدرك يوم الدّار، ولقّب بأبي المطرف، وكان عند يزيد يوم حُمل إليه رأس الحسينِ، وتوفي نحو سنة 70 هـ . ابن عساكر: المصدر السابق، ج34، ص 311- 316، الزركلي: المرجع السّابق، ج3، ص 303.

[6] _ هو عبد الرحمن بن حسّان بن ثابت بن المنذر أبو محمّد الأنصاري الخزرجي الشاعر، قدم دمشق أيّام معاوية، ووفد على ابنه يزيد، كان شاعرًا قليل الحديث، شبّب برملة بيت معاوية، مات سنة 104هـ. ابن عساكر: المصدر السابق: ج24، ص 288- 301، الذهبي: سير أعلام، ج5، ص 64- 65، تاريخ الإسلام، ج2، ص 433.

[1] _ الهذر هو الكلام الذي فيه الخطأ والباطل وقيل هو سقط الكلام. لسان العرب، مج6، ص 4643، مادة هذر.

أن يجلد كلّ واحدٍ منهما مائة سوط، وكانا قد تقاذفا»[1].

لكنّ الوالي سعيد بن العاص كره أن يضرب عبد الرّحمن بن حسّان لمدحه إيّاه، وكره أن يجلد ابن عمّه عبد الرّحمن بن الحكم، فكفّ عنهما.[2]

- رسالة معاوية إلى مروان ليضرب أخاه مائة سوط :

-170 -

لمّا كتب معاوية رسالته السّابقة إلى سعيد العاص لم يضرب عبد الرحمن بن الحكم وعبد الرحمن بن العاص لكُرهه ذلك، وكان معاوية يولّي سعيدًا بالمدينة سنة ومروان سنة، فلمّا كانت سنة مروان أخذ ابن حسّانا وضربه مائة سوط، ولم يضرب أخاه عبد الرحمن بن الحكم، «فدخل النّعمان بن بشير على معاوية -وكان أشيرًا عنده ومقرّبًا لديه- وشكى له ذلك، فكتب معاوية إلى مروان:

يَعزم عليه أن يضرب أخاه مائة سوط».[3]

فلمّا وصل الكتاب إلى مروان ضربه خمسين وبعث إلى ابن حسّان ليعفو عن خمسين ففعل، وقال: إنّما ضربني حدّ الحرّ مائة، وضربه حدّ العبد خمسين[4].

وبذا حرص معاوية على متابعة الأحكام وتنفيذها على جميع الأفراد، وذلك بغضّ النّظر عن إنتمائهم ومستواهم الإجتماعي، وهذا تطبيقا منه لمبدإ العدالة في تجسيد القرارات وتنفيذها.

- رسالة معاوية إلى مروان في السّارق إذا وجد سرقته :

- 171 -

قال أُسيد بن حضير بن سماك : كتب معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ إلى مروان بن الحكم :

---

[1] _ الزّبير بن بكّار: الأخبار الموفّقيّات، ص 217، 218، أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ج11، ص 5445، ابن حمدون: التّذكرة الحمدونية، ج7، ص 222. وجاء عند المبرّد أنّ معاوية كتب إلى مروان أن يؤدّبهما وليس إلى سعيد وهذا بعيد عن الصّواب، وأغلب الظنّ أنّه لم يفرّق بين هذه الرّسالة واللّاحقة التي لم يذكرها. الكامل في اللغة والأدب، ج1، ص 154 وروايته لا سند لها.

[2] _ الزّبير بن بكار: المصدر السابق، ص 218، الأصفهاني: الأغاني، ج11، ص 5445 .

[3] _ الزّبير بن بكار: المصدر السّابق، ص 218، الأصفهاني: الأغاني، ج11، ص 5446.

[4] _ الأصفهاني: الأغاني، ج11، ص 5446.

«**إذا سُرق الرّجل فوجد سرقته فهو أحقّ بها إذا وجدها** »[1].

فكتب مروان إلى أسيد بذلك فكتب إليه: أن رسول الله ﷺ قضى أن إذا وُجدت عند الرجل غير المتّهم فإن شاء سيّدها أخذها بالثمن ،وإن شاء اتبع سارقه ، ثم قضى بذلك بعده أبو بكر و عمر و عثمان رضي الله عنهم، فبعث مروان بالكتاب إلى معاوية[2] .

- ردّ معاوية على مروان يأمره بتنفيذ ماكتب به إليه :

-172 -

فبعث معاوية إلى مروان: « **إنّك لستَ أنت ولا أسيد يقضيان عليّ فيما وُلّيت، ولكنّي أقضي عليكما، فانفذ لما أمرتك به** »[3]

فبعث مروان بكتاب معاوية إليّ فقلت : والله لا أقضي به أبدا[4].

- ردّ معاوية على مروان لمّا سأله عن سكران قتل رجلًا:

-173 -

[رسالة مروان] قال مالك: « بلغنا أنّ مروان بن الحكم كتب إلى معاوية بن أبي سفيان يذكر أنّه أُتيَ بسكرانٍ قد قتل رَجلًا.

[ردّ معاوية] فكتب إليه معاوية **أن اقتُله به**».[5]

لقد طبّق الخليفة مبدأ القصاص متقيّدا بما جاء في القرآن الكريم والسّنّة النّبويّة، مُتّخذًا من حدوده وسيلة ردعية فيها عبرة لكلّ من تسوّل له نفسه إرتكاب جناية [6].

---

[1] _ الحاكم النيسابوري: المستدرك، ج 2، ص41، كتاب البيوع، الطّبراني: المعجم الكبير، ج1، ص205، رقم 555، السبكي: طبقات الشّافعيّة، ج3 ، ص313 .

[2] _ الحاكم النيسابوري، ج 2 ، ص41 ، كتاب البيوع، الطّبراني: ج1، ص205، رقم 555، السبكي: المصدر السّابق، ج3، ص313.

[3] _ الحاكم النيسابوري ، ج 2 ، ص41 ، الطّبراني ،ج1، ص205 ، رقم 555، السبكي: المصدر السّابق ، ج3 ، ص313.

[4] _ الحاكم النيسابوري ، ج 2 ، ص41 ، الطّبراني، ج1، ص205 ، رقم 555، السبكي: المصدر السّابق ، ج3 ، ص313.

[5] _ موطّأ مالك، ، ج2، ص 872، كتاب العقل، باب القصاص في القتل.

[6] _ بثينة بن حسين: الدّولة الأمويّة، ص 167.

- ردّ معاوية على مروان لمّا سأله عن مجنون قتل رجلا:

-174-

[رسالة مروان] قال يحي بن سعيد: «أنّ مروان بن الحكم كتب إلى معاوية بن أبي سفيان: إنّه أُتِيَ بمجنونٍ قتل رجلا

[ردّ معاوية] فكتب إليه معاوية **أن أعقِله**[1] **ولا تُقد منه، فإنّه ليس على مجنون قوَد»** [2]

ونستنتج من هذه الرّوايات السابقة أنّ هناك ترابطًا وارتباطًا بين السّلطة القضائية والسلطة السّياسّيـة[3] ، كما جعل معاوية كتاب الله وسنّة نبيّه والفقه الإسلامي مصدرًا لأحكام القضاء والعقوبات، فالإسلام دين الدّولة، وأحكامه مرجعيّة وحيدة لأحكام القضاء، وقد سئل الإمام مالك عن الصبيّ والمجنون ما جنيا من عمد أو خطأ بسيف أو غير ذلك أهو خطأ؟ فقال: نعم وتحمله العاقلة، في أموالهم وإن لم يكن لهم مال كان ذلك دينًا عليهم يتبعون به.[4]

- رسالة معاوية إلى زياد ليُعاقب أبا العريان المخزومي:

-175-

قال البلاذري :[5] «وكان رجل من بني مخزوم أعمى يكنّى أبا العريان[6]، فمرّ زياد في موكبه، فقال: من هذا، قالوا: زياد بن أبي سفيان، قال وما ولد أبو سفيان إلّا فلانًا وفلانًا فمن هذا؟ فوالله لرُبَّ أمر قد نقضه الله، وبيتٍ قد هدمه الله، وعبدٌ قد ردّه الله إلى مواليه[7]، فبلغ معاوية قوله فأرسل إلى زياد:

---

(1) _ من العقل وهي الدّية، أي يعطي أهل المجنون الديّة عنه. لسان العرب، مج4، ص 3048، مادة عقل.

(2) _ موطأ مالك، ج2، ص 851. كتاب العقول، باب ما جاء في ديّة العمد إذا قبلت وجناية المجنون.

(3) _ بثينة بن حسين: المرجع السّابق، ص 182.

(4) _ المدوّنة الكبرى، ج6، ص 399.

(5) _ رواية البلاذري بلا سند وعند ابن عساكر: "عن أحمد بن عبد الله العبدي قال: وجدتُ في كتاب أبي عبيد معمر بن المثنّى قال:..."

(6) _ هو أبو العريان المخزومي الهيثم بن الأسود المذحجي الكوفي، أحد المعمّرين الشّعراء له شرف وبلاغة وفصاحة، أدرك عليّا ووفد على معاوية، كان مواليا لبني أمّة وعبد الملك، غزا القسطنطينية سنة 98 هـ مع مسلمة بن عبد الملك، توفي نحو سنة 100 . ابن عساكر: المصدر السابق، ج 67، ص 86، الذهبي: تاريخ الإسلام، ج3، ص 352، ابن حجر: تهذيب التّهذيب، ج34، ص 84، الزركلي: الأعلام، ج8، ص 103.

(7) _ في تاريخ دمشق قال "ومتى كان زياد بن أبي سفيان؟ والله ما أعرف له ابنا يقال له زياد، أما والله لربّ وضيع قد رفعه الله، فنمي الكلام إلى معاوية..."

ثكلتكَ أمُّك إقطع [عنك][1] لسانَ أعمى بني مخزوم»[2].

رواية أخرى لما سبق

-أ - 175

قال هشام بن يحي فيما يرويه عن أبيه: «كان زياد بن أبيه ينسبُ نفسه إلى آل أبي سفيان، فيقول زياد بن أبي سفيان، فقال أبو العريان، ما هذه الجِبِلّة[3]، إنه ليس من ولد أبي سفيان، فلمّا بلغ معاوية كلامه كتب إلى زياد:

أن سُدّ عنّا وعنك هذا الكلب» [4]

- رسالة معاوية إلى أبي العريان حين لم ينفّذ زياد حكمه فيه:

-176 -

[رسالة معاوية]: لمّا كتب معاوية إلى زياد بسدّ لسان أعمى بني مخزوم بعث إليه زياد بألف دينار[5] محاولة منه في كسبه، فأصبح أبو العريان يبكي، ويقول: عرفتُ حرم صوت أبي سفيان في صوت زياد، وأثنى على زياد، «فكتبت إليه معاوية:

[ما لبّثْـكَ الدّنانير التّي رُشيتَ أن لوّنتْـــكَ أبا العُريان ألوانَا][6]

[أمسى وليس[7] زياد في أُرُومَتِه[8] نَكِرًا وأصبح ما يمُرُّ به عرفانا][9]

---

[1] _ ما أضيف من تاريخ دمشق وفي أنساب الأشراف ناقصة.

[2] _ أنساب الاشراف، ج5، ص 229، ابن عساكر: تاريخ دمشق، الرّواية الأولى، ج67، ص 86، وفي التّذكرة الحمدونيّة أنّ معاوية أمره أن يبعث إليه بألف دينار، ويمرّ به ويسمع ما يقول وفي اعتقادنا أنّ معاوية لم يكتب بهذا وإنّما فعل زياد ذلك من تلقاء نفسه.انظر التّذكرة الحمدونيّة ، ج8 ، ص236 .

[3] _ الجبلّة: هي الخِلقة. لسان العرب، مج1، ص 539، ماد جبل.

[4] _ ابن عساكر: المصدر السابق، الرّواية الثانية، ج19، ص 178.

[5] _ في تاريخ دمشق "مائة ألف دينار"

[6] _ هذا البيت فقط هو المثبت في رواية ابن حمدون، وبداية روايته: "قال أبو العريان بعدما أعطاه زياد المال: رحم الله أبا سفيان لكأنّها تسليمته، ونغمته، فكتب بها زياد إلى معاوية، فكتب إلى أبي العريان..."

[7] _ في الدّيوان أمسى إليك.

[8] _ الأرومة هي الأصل، يقال أنا من العرب في أرومة بنائها، لسان العرب، مج1، ص 65، مادة أرم.

[9] _ ما أضيف من تاريخ دمشق وفي أنساب الأشراف ناقصة.

للهِ درُّ زيادٍ لو يُعجِّـــــــلـــها كانت له دون ما يخشاه قُربانا» [1]

[جواب أبي العريان]فكتب إله أبو العُريان:

أحدِثْ لنا صلةً تحيا النّفوس بها قد كِدْتَ يا ابن أبي سفيان تنسانَا

من يُسْدِ خيرًا يجِدْه حين يطلُبُه أو يُسْدِ سُرًّا يجدْه حيثما كـــــانا[2]

وهكذا بغير شدّة ولا عنف كسب زياد أبا العريان، واستقطب ودّه بأمر معاوية إليه، ولم يؤلّب الناس على نفسه .

- رسالة معاوية إلى زياد لعقابه عبد الله بن هاشم بن عتبة:

-177 -

قال المرزباني: كان عبد الله بن هاشم[3] مع عليّ يحمل الرّاية بعد وفاة أبيه، ويحرّض النّاس على معاوية، فلمّا تمّ الأمر لمعاوية بعث زياد إلى البصرة، ونادى منادي معاوية أمِن الأسوَد والأحمر بأمان الله، إلّا عبد الله بن هاشم بن عتبة، فمكث معاوية يطلبه أشدّ الطّلب، ولا يعرف له خبرًا، حتّى قدم عليه رجل من أهل البصرة، فقال له: أنا أدلّك على عبد الله بن هاشم بن عتبة ، اكتب إلى زياد فإنّه عند فلانة المخزوميّة ، فدعا معاوية كاتبه فكتب:

«من معاوية بن أبي سفيان أمير المؤمنين إلى زياد بن أبي سفيان أمّا بعد: فإذا أتاك كتابي هذا فاعمد إلى حيّ بني مخزوم، ففتّشْه دارًا دارًا، حتى تأتي إلى دار فلانة المخزوميّة، فاستخرج عبد الله بن هاشم المرقال[4] منها، فاحلق رأسه وألبسه جُبّة شعر، وغلّ يده إلى عُنقه، واحمله على قَتَب بغير وطاء، ولا غذاء وأنفذهُ إليّ»[5] ففعل.

---

[1] _ أنساب الأشراف، ج5، ص 229، ابن حمدون: المصدر السابق، ج19، ص 178، ج8، ص 238، ابن عساكر: المصدر السابق، ج19، ص 178.وانظر الأبيات ديوان معاوية ، ص 122.وهناك اختلاف في ألفاظ الأبيات بين هذه المصادر فلتراجع.

[2] _ البلاذري: أنساب، ج5، ص 229، ابن حمدون: المصدر السابق، ج8، ص 238، ابن عساكر: المصدر السابق، ج19، ص178، والبيت الأوّل لأبي العريان غير مثبت عند ابن حمدون.

[3] _ الأصحّ عبد الله بن أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة. ابن عساكر: المصدر السابق، ج33، ص 347.

[4] _ المرقال هو لقب هاشم بن عتبة الزّهري لأنّ عليّا عليه السلام دفع إليه الرّاية يوم صفّين، فكان يرقُل بها رقلا، أي يسرعُ. لسان العرب، مج3، ص 1709، مادة رقل.

[5] _ ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة، ج8، ص 249، 250.

- رسالة معاوية إلى زياد بشأن ميراث المسلم من الكافر:

-178-

عن الشّعبي قال: «جاء رجل إلى معاوية فقال: عزُّ الإسلام ينفعُني أو يضرُّني؟ قال: بل ينفعك ولا يضرّك، فقال إنّ أبي كان نصرانيا، وله ولد نصراني، وإنّي أسلمتُ ومات أبي، وترك مالًا كثيرًا، فذكر إخوتي أنّ المال لهم دوني، فقال معاوية: أنت وهم فيه شرع سواء، وكتب إلى زياد:

ورّث المسلم من الكافر، ولا تُورّث الكافر من المسلم» [1]

فأرسل زياد إلى شُريح يأمره بذلك، وكان شُريح لا يفعله قبل ذلك، ولا يرى أن يتوارث الملّتان، فكان إذا قضى بما أمر به معاوية قال: هذا رأي أمير المؤمنين.

وفي الحقيقة أنّ النصّ ورد بخصوص هذا، فقد ثبت عن النبي ﷺ أنّه قال: «لا يرثُ المسلم الكافر، ولا الكافر المسلم» [2]، وكان عمر بن الخطّاب يرى بعدم توارثهما أيضًا إذ حكم في مال امرأة نصرانيّة ماتت، فقال: يرثها أهل دينها، وبذلك عمل عثمان رضي الله عنه وعمر بن عبد العزيز[3] بخلاف معاذ بن جبل الذي كان يرى بأن يرث المسلم الكافر بغير عكس، وبه قال ابن المسّب [4].

- رسالة معاوية إلى زيد بن ثابت يسأله عن ميراث الجد:

-179-

[رسالة معاوية]: عن يحي بن سعيد « أنّه بلغه أنّ معاوية بن أبي سفيان **كتب إلى زيد بن ثابت يسأله عن الجدّ»**.

[ردّ زيد بن ثابت] :«فكتب إليه زيد بن ثابت:

إنّك كتبتَ إليّ تسألني عن الجدّ والله أعلم، وذلك ممّا لم يكن يقضي فيه إلّا الأمراء – يعني الخلفاء– وقد حضرتُ الخليفتين قبلك يعطيانه النصف مع الأخ الواحد، والثّلث مع الاثنين، فإن كثرت

---

[1] _ البلاذري: أنساب الأشراف، ج5، ص 241، 242.

[2] _ أخرجه أبو داود في السّنن، باب هل يرث المسلم الكافر؟ ج3، ص 415، رقم 2901 عن أسامة بن يزيد، وأضاف في الصفحة نفسها حديثا رقم 2903 عن عبد الله بن عمرو قال، قال ﷺ: "لا يتوارث أهل ملّتين شتّى".

[3] _ موطأ مالك، كتاب الفرائض، باب ميراث أهل الملك، رقم 12، 13، ص 513.

[4] _ السيّد سابق: فقه السّنة، ج4، ص 331، بثينة بن حسين: المرجع السابق، ص 160.

الإخوة لم ينقصوه من الثّلث» [1]

- رسالة معاوية إلى زيد بن ثابت يسأله عن العِدّة:

-180-

[رسالة معاوية]: قال سليمان بن يسار «أنّ الأحوص[2] هلك بالشّام حين دخلت امرأته في الدّم من الحيضة الثالثة، وقد كان طلّقها، **فكتب معاوية بن أبي سفيان إلى زيد بن ثابت يسأله عن ذلك**»

[ردّ زيد]:«فكتب إليه زيد:

أنّها قد دخلت في الدّم من الحيضة الثالثة، فقد برئت منه، وبرئ منها، ولا ترثه ولا يرثها».[3]

وهكذا راح زيد يوضّح لأمير المؤمنين حكمًا فقهيًّا فعدّة المطلّق ثلاثةُ حيضات لقوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾[4]، فالمطلّقة إذا دخلت في الدّم من الحيضة الثالثة، قد بانت من زوجها، ولا ميراث بينهما ولا رجعة له عليها[5]، وقد ثبت أنّ عمر كان يقول: «إذا طلّق الرّجل امرأته، فدخلت في الدّم من الحيضة الثالثة، فقد برئت منه وبرئ منها» [6]

- رسالة معاوية إلى المغيرة بن شعبة يأمره بتعذيب عبد الرحمن بن أبي بكرة:

-181-

روى الطبري في حوادث سنة 43هـ بسنده عن مسلمة بن محارب قال: «وفي هذه السنة، قدم زياد على معاوية من فارس، فصالحهُ على مالٍ يحمله إليه، وكان عبد الرحمن بن أبي بكرة[7] يلي ما كان لزياد بالبصرة فبلغ معاوية أنّ لزياد أمولًا عند عبد الرحمن، وخاف زياد على أشياء كانت في يد عبد الرحمن له، فكتب إليه يأمره بإحرازها، وبعث معاوية إلى المغيرة بن شعبة لينظر في أموال زياد فقدم المغيرة فأخذ عبد الرحمن، فقال: لئن كان أساء إليّ أبوك، لقد أحسن زياد، وكتب إلى معاوية إنّي لم أُصبْ في يد عبد الرحمن

---

[1] _ موطأ مالك، ج2، ص 510، كتاب الفرائض، باب ميراث الجد.

[2] _ هو الأحوص بن عبد الله القرشي الأموي من بني أميّة، ولاه معاوية البحرين. ابن عساكر: المصدر السابق، ج7، ص 359، 360.

[3] _ الموطأ، ج2، ص 577، كتاب الطّلاق، باب ما جاء في الإقراء وعدة الطلاق، وطلاق الحائض، ابن عساكر: المصدر السابق، ج7، ص 359 بالسند نفسه، وجاء عنده جواب زيد بن ثابت: "فكتب زيد: إذا دخلت في الحيضة الثالثة فلا ميراث".

[4] _ سورة البقرة الآية 228.

[5] _ أبو زيد القيرواني: النّوادر والزّيادات، ج5، ص 23.

[6] _ المصدر نفسه، ص 378.

[7] _ هو عبد الرحمن بن أبي بكرة الثقيفي، يكنّى أبا بحر أخو عبيد الله، ولد زمن عمر، كان ثقة كبير القدر مقرئًا عالمًا جوادًا، توفي سنة 96هـ. الذهبي: سير أعلام، ج4، ص 320.

شيئًا يحلّ لي أخذه، فكتب معاوية إلى المغيرة: **أن عذّبْهُ** »[1]

قال: وقال بعض المشيخة أنّه عذّب عبد الرحمن إذ كتب إليه معاوية، وكتب إلى معاوية، إنّي عذّبتُه فلم أُصِبْ عنده شيئًا.[2]

ونقول هنا: صحيح أنّ معاوية كان حريصًا على مال الأمّة من الضّياع، لكن هل كان هذا سببًا كافيًا لأن يأمر بضرب عبد الرحمن، خاصّة وأنّ المغيرة كتب له بأنّه لم يصب عنده شيئًا، أم أنّ الأمر على غير هذا؟

لا شكّ أنّ دافع الغضب والحقد من معاوية له دور هنا أيضا، فعبد الرحمن ساند زيادًا في خروجه على معاوية، فكان هذا ربّما هو السبب الحقيقي لإصدار مثل هذا القرار بحقّه.

- رسالة معاوية بإهدار دم قيس بن ذُريح لمّا شبّب بزوجته المطلّقة:

-182-

قال ابن الجوزي: «طلّق قيس بن ذُريح[3] زوجته لبنى، ولكنّه بقي يتعرّض لها بعد الطّلاق[4] ، فجاء أبوها إلى معاوية، و شكى له ذلك، **فكتب معاوية إليه بإهدَار دمه**».[5]

فسدًّا للذّريعة جعل معاوية لرعيّته مجالا محدودا من الحرّيات يُمنع منعًا باتًّا تجاوزه أو تخطّي خطوطه الحمراء، فجعل في شدّته عبرة لمن يعتبر، ولمن تسوّل له نفسه أي قذف أو غزل.

---

(1) _ تاريخ الطّبري، ج5، ص 176 ، ابن الأثير: الكامل في التّاريخ، ج3، ص 284 .

(2) _ الطبري: المصدر السّابق، ج5، ص 176.

(3) _ هو قيس بن ذريج بن منّة بن حذافة أبو يزيد اللّيثي، من أعراب الحجاز، شاعر مُحسن، شبّب بأمّ معمر لبنى بنت الحُباب الكعبيّة، ثم تزوّجها وطلّقها، وزاد في التشبيب بها، حتّى أهدر معاوية دمه، توفي سنة 68هـ. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج49، ص 379، الذهبي: سير، ج3، ص 534، الزّركلي: المرجع السابق، ج5، ص 205.

(4) _ ممّا مدح به قيس لبني بعدما حذّرته:

فإن يحجبوها أو يحلُّ دون وصلها ... مقالة واشٍ أو وعيدُ أمـــــيرِ

فلن يمنعُوا عيني من دائم البُـــكا ... ولن يُذهبوا ما قد أجَنّ ضميري

إلى الله أشكو ما أُلاقي من الهوى ... ومن حُرَقٍ تَعتـــادني وزفـــيرِ.

ابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص 85، وانظر المزيد من شعره وتغزّله فيها ابن عساكر: المصدر السّابق ،ج49 ، ص381.

(5) _ المنتظم ، ج6، ص 85 .

- رسالة معاوية إلى روح بن زنباع ليتثبّت في الحدود:

-183 -

عن العمري عن الهيثم قال: «ولّى معاوية روح بن زنباع بعلبك[1]، فرجم امرأة ورجُلًا، فقال الشاعر:

إنّ الجُذاميّ روحًا في إقامـــته حدّ الإله لَمعذورٌ وإن عجـــلا

لو كان رفّة عن حسناء ناعمة وعن أخي غزل لم يُحسن الغزلَا

فبلغ الشعر معاوية، فكتب إلى روح:

لا تعجِلَنَّ بإقامة حدٍّ حتى تَثبّت في أمره، فتكونَ إقامتك إيّاه بإقرارٍ ظاهر، أو بأربعة شهداء مستُورين» [2]

بهذا الكتاب يعلّم معاوية روحًا درسًا في القانون والأحكام، فأمره بالتثبّت في الحدود، والأخذ بالبيّنة الشرعية، حتّى لا تتكلّم عنه رعيّته، أو يطعنوا في حكمه، والظّاهر هنا أنّ، روحًا أقام حدّ الزّنى بغير شهود، وكان الأولى له يتثبّت، أو يدرأ الحدّ بالشبهة، والله تعالى اشترط الشهود الأربعة فقال: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَاتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء فَاجلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةٍ﴾[3].

ومع هذا نقول: إنّ مهمّة الخلافة عند معاوية هي صيانة الأمّة، وإدارتها وتوطيد الحكم فيها أكثر منها توثيق الأحكام الفقهيّة، وإدخال تلك الأحكام في حياة الأفراد، والإشراف عليها في أعمالهم الجزئيّة، فالخلافة في نظره تخدم الفكرة الإسلاميّة عامّة لا الأحكام الشرعيّة خاصة، والدّين في نظر معاوية مُبجَّل معظّم، يستفيد من هدوء الحال، ومن سير الأمور سيرًا طبيعيًّا.[4]

هذا وغاية الحُكم عند معاوية هي رفع مستوى الأمّة بإجمالها، لا تحقيق العدالة الفرديّة فحسب، وهو يتساهل في بعض الأحكام التّفصيلية أمام المصلحة العامّة، ومنذ عصره نرى قاعدة جديدة في الحكم الإسلامي، هي تقديم مصلحة الدّولة عامّة على تفاصيل الأحكام الفقهيّة، وعلى مصلحة الأفراد

---

[1] _ بعلبك مدينة بينها وبين دمشق ثلاثة أيّام، وقيل اثنا عشر فرسخًا، صالحهم أبو عبيدة بعد فتح دمشق سنة 14هـ وأمنهم على أموالهم وكنائسهم. ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج1، ص 453، 454.

[2] _ البلاذري: أنساب الأشراف، ج5، ص 94.

[3] _ سورة النور الآية 4.

[4] _ يوسف العش: الدّولة الأمويّة، ص 140.

خاصّة.[1]

- رسالة معاوية إلى سَمُرة القاضي حين استشكل عليه القضاء:

-184-

عن عيينة بن عبد الرحمن عن أبيه قال: «جاءت امرأة إلى سمرة[2]، فأعلمتهُ أنّ زوجها لا يستطيعها، وذكر زوجُها أنّه يأتيها، فأشكل عليه القضاء، فكتب إلى معاوية يستطلعُ رأيه، فكتب إليه معاوية:

أن زوّجهُ امرأة جميلة وأصدِقها من بيت المال، فزوّجه امرأة وأصدقها أربعة آلاف درهم، ثمّ أدخلها عليه ليلًا، فلمّا أصبح سألها قالت: ما عنده شيء، فطلّقها سمُرة»[3] واتّضح له الحكم.

فهل صحيح أنّ معاوية غامر بهذه المرأة بمثل هذا القضاء؟! إذ لم يكن ليصدر مثل هذا الحكم في المرأة التّي كان يمكنه أن يسلك معها سبل التّحقّق من صدقها أو عدمه.

- رسالة يزيد إلى عثمان بن محمد يأمره بإقامة الحدّ على مسور:

-185-

عن عوانة قال: «كان مسور بن مخرمة[4]، وفد إلى يزيد قبل ولاية عثمان بن محمّد[5]، فلمّا قدم شهد عليه بالفسق وشرب الخمر، فكُتب إلى يزيد بذلك.

فكتب إلى عامله بالمدينة: **يأمره أن يضرب**[6] **مسورًا الحد** ففعل[7].

---

[1] _ يوسف العش: المرجع السّابق، ص 140.

[2] _ هو سمرة بن جندب بن هلال الفزاري، من علماء الصّحابة، نزل البصرة، وكان زياد يستخلفه عليها إذا سار إلى الكوفة، ويستخلفه على الكوفة إذا سار إلى البصرة، وكان شديدًا على الخوارج، وقتل منهم جماعة توفي سنة 58هـ، وقيل 59. الذهبي: سير أعلام، ج3، ص 183- 186، تاريخ الإسلام، ج2، ص 315، 316.

[3] _ البلاذري: أنساب الأشراف، ج5، ص 248.

[4] _ هو مسور بن مخرمة بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف القرشي الزّهري له صحبة، ولد بعد الهجرة بسنتين، وفد معاوية في خلافته، وحضر حصار بن الزّبير زمن يزيد، فأصيب بالمنجنيق، قتل سنة 64 هـ وعمره 62 سنة. ابن عساكر: المصدر السابق، ج 58، ص 158، الذهبي: تاريخ الإسلام، ج2، ص 465.

[5] _ عثمان بن محمد بن أبي سفيان بن حرب الأموي، ولي إمره المدينة زمن يزيد وكان بدمشق عند وفاة معاوية، أمّه أم عثمان بنت أسيد، حج بالناس سنة59، 62، 63هـ، وأُخرج من المدينة مع بني أمية قبل الحرّة. تاريخ خليفة، ص147، 148، 157، ابن عساكر: المصدر السابق، ج40، ص22-24.

[6] _ في العقد الفريد "أن يجلد"

[7] _ إضافة من العقد الفريد.

فقال مسور:

أيَشربُها صهباءَ[1] كالمسك ريحها أبو خالدٍ ويُضربُ الحدَّ مسورُ؟» [2]

لقد جاء هذا الخلاف والقتال من مسور ليزيد بن معاوية من منطلق إجتهاده بعدم أحقيّة يزيد في الخلافة مع وجود من هو أفضل منه في الدّيانة والعلم، لاسيما وقد حدث في مستهلّ خلافتة من الأحداث ما يؤكّد لديه عدم أهلّيته في نظره كمقتل الحسين مثلا[3].

وبدلًا من أن ينظر يزيد في حاله، وما عليه نفسه راح يطبّق حدّ شرب الخمر على من اتّهمه به، محاولة منه تكميم أفواه كل من يطعن فيه ويقدح في شخصه، ونحن بهذا لا نبرّئ مسور بن مخرمة الذي عُرف بطعنه في الأئمّة وبني أميّة، وقد سأله معاوية يومًا: ما فعل طعنك على الأئمّة ؟ وكان مخالفًا لمروان بعده أيضًا.[4]

- ردّ يزيد على ابن زياد بأمره بإقامة حدّ القذف على ابن مُفرغ:

-186-

أكثر ابن مفرغ في هجاء بني زياد حتّى تغنّى أهل البصرة في أشعاره، فطلبه عبيد الله طلبًا شديدًا، فأجاره أهل البصرة، فلمّا تمكّن منه عبيد الله كتب إلى يزيد يستأذنه في قتله، فكتب إليه يزيد:

«**إيَّاك وقتْله، ولكن تناولْه بما ينكِّلُه ويشدّ سلطانه، ولا يبلغ نفسه، فإنّ له عشيرة في جندي وبِطانتي، فلا ترضى بقتله منّي، ولا تقنَعُ إلّا بالقُوَد منك، فاحذر لنفسك، واعلم أنَّه الجدّ منهم ومنّي، وأنّك مرتهن بنفسه ولك في دون تلفها مَندُوحَة[5] تشفي من الغيظ**» [6]

ماكتب به يزيد إن صحّ يدلّ على جهله بالأحكام في مثل هذا الذّي لا يستحقّ القتل، ولكن هو تطرف ابن زياد أدّى إلى كره النّاس وبغضهم له، وماذا إن لم تكن له عشيرة هل كان يأمر بقتله؟ ولذلك نشكّ في الذّي كتب به.

---

[1] _ الخمر سميّت بذلك لريحها، وقيل التي عُصرت من عنب أبيض فتميل إلى البياض، لسان العرب، مج4، ص 2514، مادة صهب.

[2] _ البلاذري: أنساب الأشراف، ج5، ص 338، ابن عبد ربّه: العقد الفريد، ج8، ص 61 وروايته لا سند لها.

[3] _ عبد الله عبد الرحمن : أثر العلماء، ص 369.

[4] _ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج58، ص 168- 170.

[5] _ المندوحة هي الفسحة والسّعة. لسان العرب، مج6، ص 4381، مادة ندح.

[6] _ أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني، ج17، ص 5056 .

- رسالة يزيد إلى عامل البحرين يأمر بتغريم أهل دارين لمشاركتهم مع أهل الحرّة:

-187 -

عن صالح بن كيسان قال: « لمّا كانت وقعة الحرّة خرج أربعمائة من أهل البحرين من دارين [1] كانوا عطّارين، فعقدوا لواءًا، وقاتلوا أهل الشام، فلمّا فرغ مسلم بن عقبة المرّي من أمر أهل الحُرّة ذكر أمرهم في كتابه إلى يزيد، **فكتب يزيد إلى عامله بالبحرين، فأغرم أهل دارين أربعمائة ألف درهم**» [2]

-كتاب مروان إلى عامله بالمدينة لحدّ الفرزدق:

- 188 -

قال ابن خلّكان: أنشد الفرزدق شعرا في بني هاشم ، فلما سمع أهل المدينة أبياته اجتمعوا وجاءوا إلى مروان بن الحكم، فقالوا له: ما يصلح أن يُقال مثل هذا الشعر بين أزواج رسول الله ﷺ ، وقد أوجب على نفسه الحد، فقال مروان: «لستُ أحدُّه أنا، ولكن أكتب إلى من يحده، ثم أمره بالخروج من المدينة وأجّله ثلاثة أيام، وفي ذلك يقول الفرزدق:

تَوعّدني وأجّـــلني ثلاثاً كما وُعدت لمهلكها ثمود[3]

ثم كتب مروان إلى عامله يأمُره فيه أن يحده ويسجنه، وأوهمه أنه قد كتب له بجائزة ، ثمّ ندم مروان على ما فعل»[4].

- رسالة مروان إلى نوفل بن مساحق لينظر في قضيّة رجل:

-189 -

عن موسى بن عقبة قال: «ولّى مروان نوفل بن مساحق العامري[5] قضاء المدينة، فأتاه رجل من آل

---

[1] _ دارين: فرضة بالبحرين، والنّسبة إليها داري، افتتحها المسلمون مع العلاء بن الحضرمي. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج2، ص 432.

[2] _البلاذري : أنساب الأشراف، ج5، ص 352.

[3] _البيت غير موجود في ديوان الفرزدق.

[4] _ وفيات الأعيان ، ج6 ،ص 91 ، البغدادي: خزانة الأدب، ج6، ص322.

[5] _ هو نوفل بن مساحق بن عمر بن خداش وجاء في التّهذيب بن عبد الله الأكبر بن مخرمة أبو سعيد، من بني عامر بن لؤي من التّابعين، أمّة مريم بنت مصبغ بن الأسود، تولى قضاء المدينة، وقدم على عبد الملك ومات في خلافته سنة 74هـ. وكيع: أخبار القضاة،ج1،ص 87، المزّي: تهذيب الكمال، ج30، ص 67- 70.

عبد الله بن سراقة[1] يستأدي[2] على مروان أو على بعض ولد مروان في حصّة له في دار له بالسّوق، فأرسل إليه: أن أخرج إلى الرّجل من حقه، أو يحضر معه خصمه، فأرسل إليه مروان:

أن انظر أنت في ذلك، فإن ثَبت له حقّ فأنفذ الحكم فَسلّمْ إليه حقّه.

فأرسل إليه : أحضرْ أنت أو خصمك ليكون الحكم لك أو عليك، قال فعوّض المدّعي من دعواه حتّى رضي ولم يحضر معه خصمه»[3].

هذا واحد من النّصوص التي نقلت لنا صورة واضحة عن إستقلالية القضاء، وتحرّره من أي ضغوط تصدر عن أصحاب المناصب السيّاسة، ولو كانت القضية تتعلق بالوالي أو الخليفة نفسه أو أحد أفراد أسرته، فكان العدل بحق هو سرّ نجاح الدّول ونصرتها، وإن الجور سبب فشلها وانهيارها.

- رسالة عبد الملك إلى خالد بن عبد الله في عقوبة عبّاد بن الحُصين:

-190 -

توفي الرسول ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعًا من شعير[4]، «فإن كان درعه المعروفة بالبتراء فقد حُكي أنّها كانت على الحسين بن علي يوم قُتل، فأخذها عبيد الله بن زياد، فلمّا قَتل المختار عبيد الله بن زياد صارت الدّرع إلى عبّاد بن الحصين الحنظلي[5]، ثمّ إنّ خالد عبد الله بن خالد بن أسيد — وكان أمير البصرة– سأل عبّادًا عنها فجحده إيّاها، فضربه مائة سوط، فكتب إليه عبد الملك بن مروان:

مثلُ عبّاد لا يُضرب، إنّما كان ينبغي أن يُقتل أو يُعفى عنه، ثم لا يُعرف للدّرع خبرٌ بعد ذلك»[6]

---

(1) _ هو عبد الله بن سراقة بن المعتمر بن أنس بن أذاة بن رباح، أمّه قدامة بنت عبد الله بن عمير بن أُهيب بن حذافة بن جمح، شهد بدرًا ومات في خلافة عثمان. المزّي: المصدر السابق، ج15، ص 8-11.

(2) _ استأداه مالًا أي صادره وأخرجه منه. لسان العرب، ج1، ص 48، مادة أدا.

(3) _ وكيع : أخبار القضاة، ج1، ص 88.

(4) _ رواه البخاري عن عائشة ، كتاب الجهاد والسّير، باب ما قبل في درع النّبي ﷺ ، ص 720، رقم 2916، والترمذي في السّنن بلفظ آخر عن أنس ، كتاب البيوع، باب ما جاء في الرّخصة في الشّراء إلى أجل، ج3، ص 510، رقم 1215.

(5) _ عبّاد بن الحصن الحنظلي، وقال ابن خياط: عبّاد بن حصين الحبطي، كان ممّن قاتل مع زياد ضدّ زحاف الطائي وقريب الأزدي، وقاتل داود بن النّعمان الخارجي الذي خرج بالبصرة، وجّهه الحكم بن أيّوب، فقتل داود . تاريخ خليفة ص 137، 170، 171.

(6) _ الماوردي: الأحكام السّلطانية، ص 296، 297.

- ردّ عبد الملك على إبّان بن عثمان حين همّ بمخالفة ما قضى به ابن الزّبير:

-191 -

قال مالك:«أنّ إبّان بن عثمان حين ولي المدينة في خلافة عبد الملك بن مروان فأراد أن ينقض ما كان عبد الله قضى فيه، فكتب إبّان بن عثمان في ذلك إلى عبد الملك، فكتب إليه عبد الملك:

إنّا لم نَنقم على ابن الزّبير ما كان يَقضي به، ولكن نقِمنا عليه ما كان أراد من الإمارة، فإذا جاءك كتابي هذا فامضِ ما كان قضى به ابن الزّبير، ولا ترُدّه، فإنّ نقضَنا القضاء عَناءٌ مُعَن[1]»[2].

وبهذا أوضح عبد الملك لعامله أمرًا في غاية الأهميّة، وهو أنّه لن يخالف ابن الزّبير في أقضيته فهو يثق في عدله وقدرته وعلمه، وصرّح علنًا بأنّ سبب الخلاف مع الزّبير هو طلبه الخلافة وينبغي أن يحصر الخلاف في هذه النّقطة فحسب، ولا يتعدّاها إلى غيرها.

- رسالة عبد الملك إلى الحجّاج ليُمضيَ رأيه في الأُقَيبل بن شهاب:

-192 -

قال البلاذري: لمّا نزل الحجّاج الطّائف طعن الأُقيبل بن شهاب الكلبي[3] في الحجّاج وثقيف وقال في ذلك شعرًا[4]، «فبلغ الحجّاج شعره فطلبه ليقتُله، فهرب حتى لحق بدمشق، فضرب على قبر مروان بن الحكم خيمة مستجيرًا به، فدعا به عبد الملك، فلمّا صار بين يديه أنشده:

إنّي أعوذ بقبر لستُ مخفِرُه ولا أعوذ بقبرٍ بعد مروانِ.

فقال عبد الملك: وأنا لا أعوّذ به أحدًا بعدك، وأمر كاتبه أن يكتب إلى الحجّاج **بأن يُمسك عنه، ويُعلِمه أنّه قد آمنه**، فقال له الكاتب: عد إليَّ، فلمّا خرج أمره عبد الملك أن يكتب إليه:

إنّي قد صرفتُ إليك الأقُيبل، فاعمل فيه بما ترى، فإنّك محمود الرّأي، مُوفّقٌ للصّواب، فكتبه

---

[1] _ وفي أخبار القضاة لوكيع" **فإنّ ترداد الأقضية عندنا يتعسّر**".

[2] _البيهقي: السّنن الكبرى، ج10، ص121، رقم 20166 ، ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج28، ص 243، وكيع: المصدر السابق، ج1، ص 90، ابن منظور : مختصر، ج12، ص 209.

[3] _ قال ابن عساكر: أُقَيْبل القيني شاعر كان في أيام يزيد بن معاوية، شاميّ أسود، أتّهم بقتيل فهمّ يزيد بن معاوية بقتله وضرب عنقه، ثمّ عفا عنه، وجنا جناية بعدها فحسبه الحجّاج، فهرب من الحبس واستجار بقبر مروان وجاء إلى عبد الملك فعفا عنه. ابن عساكر: المصدر السابق، ج9، ص 196، 197.

[4] _ انظر أبياته: البلاذري، أنساب، ج7، ص 117.

وختمه» [1].

غير أنّ الأقيبيل اطّلع على الكتاب في الطّريق إلى مكّة، فلمّا علم ما فيه لحق بقومه في باديتهم، وبقي معهم حتّى مات. [2]

- رسالة عبد الملك إلى الحجّاج فيمن يولّي القضاء والأحكام:

-193 -

قال أبو حيّان التّوحيدي: «ورُوي أنّ عبد الملك بن مروان كتب إلى الحجّاج:

لا تُوَلِّيَنّ الأَحكام بين النّاس جاهلًا بالأحكام، ولا حديدًا[3] طائشًا عن الخصام، ولا طمِعًا هَلِعًا[4] ، يُقرّبُ أهل الغِنى ويَبُشّ[5] بأهل السّعة، يكسر بذلك أفئدة ذوي الحاجة، ويقطعُ ألسنتهم عن الإدلاء بالحُجّة، والإبلاغ في النُّصفة، واعلم أنّ الجاهل لا يعلم، والحديد لا يفهم، والطّائشُ القلق لا يَعقلُ، والطّمِعُ الشّرِهُ[6] لا ينفع عنده الحُجّة، ولا تُغني قِبَله البيّنة» [7]

لقد رسم عبد الملك بهذا خطّة إدارية قضائية، تقضي بانتقاء الرّجل المتولّي للأحكام وفق ما ذكره من صفات، معلنا بذلك تعيين الرّجل المناسب في المكان المناسب، خاصّة في سلك القضاة الّذين يتولّون تطبيق الأحكام، وفضّ النّزاعات، فعدالتهم مطلوبة معتبره في ولاية القضاء، قال الماوردي في شروط القاضي: «العدالة: وهي معتبرة في كلّ ولاية، والعدالة أن يكون صادق اللّهجة، ظاهر الأمانة، عفيفا عن المحارم، متوقّيًا للمآثم، بعيدًا عن الرّيب، مأمونًا في الرّضا والغضب، مستعملا لمروءة مثله في دينه ودنياه، فإذا تكاملت فيه فهي العدالة التي تجوز بها شهادته، وتصحّ معها ولايته» [8].

---

[1] _ البلاذري، أنساب، ج7، ص 117.

[2] _ المصدر نفسه، ص 117.

[3] _ رجل حديد أي شديد الغضب. لسان العرب، مج2، ص 800، 802، مادة حدد.

[4] _ هلعًا: أي حريصًا وجَزِعًا. لسان العرب، ص 4685، مادة هلع.

[5] _ يُبَشّ من البشّ وهو اللّطف في المسألة، والإقبال على الرّجل، وأن يضحك معه، ويلقاه لقاءً جميلًا، والبشاشة طلاقة الوجه. لسان العرب، مج1، ص 288، مادة بشش.

[6] _ الشّرَه: هو أسوأ الحرص، نقول شره فلان إلى الطّعام إذا اشتدّ حرصه عليه فسرع في طعمه. لسان العرب، مج4، ص2252، مادة شره.

[7] _ البصائر والذّخائر ،ج6 ، ص219 .ابن حمدون: التّذكرة الحمدونية، ج1، ص 314.

[8] _ الأحكام السّلطانية، ص 131.

- ردّ عبد الملك على الحجّاج حين استشاره في ميراث رجل من الموالي:

-194 -

قال خالد بن ذكوان: «أنّ رجُلًا يقال نُوبخْت من أهل أصبهان توفّي وله أخ، فشهد أبو زينب[1]، وشهدت امرأة من أهل أصبهان أنّه أخوه من الأصل، وشهدت امرأة من بني تميم، أنّها سمعتْه يقول: هو أخي، فخاصم سفيان الثّقفي[2] وكان مولاه، فكتب فيه الحجّاج إلى عبد الملك بن مروان يسأله عن ذلك، فكتب إليه عبد الملك:

إن شهِد ذو عدلٍ أنّه أخوه فورِّثه، فإنّي لا أجد في كتاب الله أحدًا أحقّ من ميراثه من أخيه.

فأمر ابن أُذينة[3] أن يُنظر في أمورهم، فشهد أبو زينب وامرأة من أصبهان أنّه أخوه، وشهدت امرأة من بني تميم أنّها سمعته يقول: إنّه أخي، فورَّثَهُ»[4].

لقد بيّن هذا الخبر أنّ الحجّاج كان يرجع بالنّظر إلى الخليفة عبد الملك في الأحكام المستعصية عليه، ويُعطينا فكرة عن علم الخليفة عبد الملك، ومعرفته بالأحكام والرجوع إلى الكتاب والسنّة فيما يخصّ الميراث، فالأمويون عملوا كثيرًا بالأحكام الشرعية.[5]

- رسالة عبد الملك إلى أخيه عبد العزيز يسأله عن نفقة المبتوتة :

- 195 -

قال أبو عمر: «كتب عبد الملك بن مروان إِلَى أخيه عبد العزيز:

أنه اختلف عليَّ بدمشق فِي نَفقَة المبتُوتة[6] فاكتُبْ إليّ بما عندك»[7].

---

(1) _ قال المزّي: أبو زينب مولى حازم بن حرملة الغفاري، حجازي لا يُعرف اسمه. تهذيب الكمال، ج33، ص 336.

(2) _ هو سفيان بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث، ويُقال سفيان بن عبد الله بن حفيظ الثّقفي أبو عمر الطّائي وكان عاملًا لعمر بن الخطّاب على أهل الطّائف. المزي: المصدر السابق، ج11، ص 179- 181.

(3) _ إسمه عبد الرّحمان بن أذينة من بني عبد القيس ،كان من قضاة البصرة ، عينه زياد بعد عاصم بن فضالة ، فمات زياد وابن أذينة قاضيه، ثمّ قضى لابنه عبيد الله بن زياد، حى وقعت الفتنة. وكيع: المصدر السابق، ج1، ص 188.

(4) _ وكيع: المصدر السّابق، ص 193.

(5) _ Particia Crone: God's caliph, p53

(6) _من البتّ وهو القطع ويقال للمطلّقة مبتوتة إذا طلّقها البتّة ، والمبتوتة التّي لارجعة لها وقطعت عصمة نكاحها. لسان العرب، مج 1، ص204، مادّة بتت.

(7) _ابن حجر: رفع الإصر عن قضاة مصر ،ص 478.

فجمع الأشياخ وتكلّموا، وَكان يونس[1] فِي أخريَاتهم، فتكلَّم فأعجب عبد العزيز كلامه، فسأل عنه فقالوا: هَذَا من سادات حَضْرَمَوْت، فولّاه قضاء مصر عوضاً عن مالك بن شَراحيل وذلك فِي جمادى الأولى سنة أربع وثمانين. وصرفه فِي مستهل سنة ست وثمانين[2] .

والحاصل أنّ الفقهاء اختلفو في حكم المبتوتة ، فقال بعضهم أنّ لها النّفقة والسّكنى ما دامت في العدّة ، لقوله تعالى : ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُم مِن وُّجدِكُمْ﴾[3]، وعند مالك والشّافعي أنّ لها السّكنى دون النّفقة ، إلّا إذا كانت حاملا[4].

وقد أخبرت فَاطِمة بِنْتَ قَيْس رضي الله عنها أَنَّ زَوْجها الْمخزُومى طلَّقهَا فأبى أَنْ يُنفقَ عليها فجاءتْ إِلَى رَسول اللَّه صلى الله عليه وسلم فأخبرتهُ فقال رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– :

« لا نفقَة لك فانتقلي واذهبي إِلَى ابْنِ أُمِّ مَكْتُوم فَكوني عنده فَإِنه رجلٌ أعمى تضعِينَ ثيابك عنده»[5].

– رسالة عبد الملك في المكاتب:

– 196 –

عن ابن أبي مليكة قال : «كتب عبد الملك بن مروان: **إذا قضى المكاتب**[6] **شطر كتابته فهو غريم من الغرماء**»[7]

أي أنّه عبد سيّده ما لم يكمل الشّطر الثّاني من مال المكاتبة.

---

[1] _هو يونس بن عطيّة بن أوس بن عرفج بن ضمار الحضرمي ، أبو كثير ، تابعي تولّى القضاء بمصر لعبد العزيز بن مروان سنة 84 هـ ، ثمّ أضاف إليه الشّرط ، فوليها جميعا ، ثمّ صرف في مستهلّ سنة 86هـ ، ومات بعد قليل في ربيع الأوّل منها ، وقيل عاش إلى سنة 87 هـ . وكيع: أخبار القضاة ، ص634 ، ابن حجر: رفع الإصر عن قضاة مصر، ص477، 478 .

[2] _ابن حجر : رفع الإصر عن قضاة مصر ، ص478.

[3] _ سورة الطّلاق الآية 6.

[4] _المدونة، ج2، ص48 – 51، الثّعالبي : الجواهر الحسان ، ج4 ، ص312 ، الإسطنبولي: تفسير روح البيان ، ج10 ، ص28 .

[5] _البيهقي: السّنن الكبرى ، ج7 ، ص 471، باب المبتوتة لانفقة لها ، رقم 16131.

[6] _ المُكاتب: العبد يُكاتب على نفسه بثمنه، فإذا سعى وأدّاه عُتق. لسان العرب، مج5، ص 3817، مادة كتب.

[7] _ ابن عبد البر: الإستذكار ، ج7، ص 374 ، باب القضاء في المكاتب، رقم 1499 .

- جواب عبد الملك إلى عامل مكّة لما استشكل عليه القضاء:

-197 -

عن حميد بن قيس المكّي «أنّ مُكاتبا، كان لابن المتوكّل[1] هلك بمكّة، وترك عليه بقيّة من كتابته، وديونًا للنّاس، وترك ابنته، فأشكل على عامل مكة القضاء فيه، فكتب إلى عبد الملك بن مروان يسأله عن ذلك، فكتب إليه عبد الملك:

أن ابدأ بديون النّاس، ثمّ اقضِ ما بقي من كتابته، ثمّ اقسِم ما بقي من ماله بين ابنته ومولاه.

قال مالك: الأمر عندنا أنّه ليس على سيّد العبد أن يُكاتبه إذا سأله ذلك، ولم أسمع أحدًا من الأئمّة أكره رجُلًا على أن يُكاتب عبده» [2]

- رسالة عبد الملك إلى سليمان بن حبيب يسأله عن عقوبة اللّواط:

-198 -

[رسالة عبد الملك]: عن أبي اليمان قال حدّثنا صفوان قال: «كتب عبد الملك بن مروان إلى سليمان بن حبيب[3] قاضي حمص ليلة: **كيف عقوبة اللّوطي؟**

[جواب سليمان]: فكتب إليه: إنّ عليه أن يُرمى بالحجارة كما رُجم قوم لوط، إنّ الله عز وجلّ قال: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِن سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ﴾[4]، فقبِل عبد الملك ذلك منه وحسّنه» [5]

لقد اتّبع الخلفاء الأمويّون وقضاه دمشق الأحكام نفسها الّتي طبّقها الرّسول ﷺ والخلفاء الراشدون، وبالتّالي، فإنّ هناك تواصلا بين الفترة الإسلامية الأولى والفترة الأمويّة، لكن هذا التّواصل لم يمنع الخلفاء الأمويّين وقضاة دمشق من إستنباط الأحكام، والإجتهاد خاصّة في آخر القرن الأوّل[6].

---

[1] _ ابن المتوكّل لم نحصل على ترجمته ولعلّه أبو المتوكّل النّاجي البصري، علي بن داود المحدّث الإمام توفيّ سنة 102هـ . تاريخ خليفة، ص 218، الرّازي: الجرح والتعديل، ج6، ص 184، الذهبي: سير، ج5، ص 8، 9.

[2] _ موطّأ مالك، ج2، ص 788، كتاب المكاتب، باب القضاء في المكاتب ، ابن عبد البر :الاستذكار، ج7 ،ص378 ،باب القضاء في المكاتب، القرافي: الذّخيرة، ج11، ص 273.

[3] _ سليمان بن حبيب أبو بكر، وقيل أبو ثابت، وقيل أبو أيوب المحاربي الدّاراني قاضي دمشق لعمر بن عبد العزيز، ويزيد وهشام ابني عبد الملك والوليد بن يزيد، شغل منصب القضاء مدة ثلاثين (30) سنة ، مات سنة 126هـ. ابن عساكر: المصدر السابق، ج22، ص 205- 213.

[4] _ سورة هود الآية 82.

[5] _ وكيع: أخبار القضاة، ج4، ص623، 624 .

[6] _ بثينة بن حسين : المرجع السابق، ص 173، 174.

- رسالة عبد الملك إلى قاضٍ مرتشٍ:

-199 -

قال عمر بن شبّة: «بلغ عبد الملك بن مروان أنّ قاضيًا له إرتشى، فكتب إليه:

إذا رشوة حلّت ببيتٍ تَولّجتْ[1] لتدخُل فيه والأمانة فيـــــهِ

سعتْ هرَبًا منها وولّتْ كأنّــها تَوَلّي حليمٍ عن جوابِ سفيهِ» [2]

هذا ما جاء في الرّواية التي لم تذكر القاضي صاحب الجناية، غير أنّ الشّاهد هنا أن عبد الملك كان على إطّلاع بخبايا عمّاله وتجاوزاتهم، خاصّة في سلك القضاء الذي يُمنع فيه قبول الهدايا فضلا عن أخذ الرّشوة والغلول.

- كتاب عبد الملك في الجارية التّي بها عَيب:

-200 -

عن الحكم بن عُيْنة قال: «**كتب عبد الملك في الجارية إذا كانت بِكرًا فبيعتْ فغَشيها** [3] **سيّدُها، فوجد بها داءً قال: يردُّها وعُشر ثمنها، وإن كانت ثيّبًا فنصفُ العُشر**»[4].

وهذا الحكم من عبد الملك أخذه من قضاء شرُيح، فقد قال شريح: إذا اشترى الرّجل الجارية، فوقع عليها، ثمّ وجد بها عيبًا ردّها بالعيب، وإن كانت ثيّبًا ردّ نصف عُشرها قيمتها، وإن كانت بِكرًا ردّ عُشر ثمنها.[5]

- رسالة عبد الملك إلى نائبه القدس في شأن الحارث بن عبد الرحمن المتنبّئ :

-201 -

عن عبد الرحمن بن حسّان قال:كان الحارث بن عبد الرحمن بن سعيد الدّمشقي[6] زنديقا مدّعيا للنبوّة، ويُري النّاس الأعاجيب، ويدّعي أنّه يُريهم الملائكة، وكان يأتي إلى رُخامة فينقرها فتسبح، وكان

---

[1] _ من ولج، والوليجة كل شيء أدخلته فيه وليس منه، ونقول الرّجل وليجة يكون في القوم وليس منهم. لسان العرب، مج6، ص 4913، مادة ولج.

[2] _ وكيع: المصدر السابق، ج4، ص 623، 624. ونسبت الأبيات أيضا إلى منصور بن إسماعيل الفقيه الشافعي-ت306 هـ - راجع المقدسي: فروع الفقه الحنبلي، ج6 ، ص448، التلمساني: الإقتضاب، ج2 ، ص301.

[3] _ من الغشيان وهو اتيان الرّجل المرأة، وغشيها أي جامعها. لسان العرب، مج5، ص 409، مادة غشا.

[4] _ وكيع: المصدر السابق، ج3، ص 403.

[5] _ المصدر نفسه، ص 409.

[6] _ قال ابن عساكر: الحارث بن سعيد الكندي، ويقال الحارث بن عبد الرحمن بن سعد المتنبئ، دمشقي مولى ابن الجُلاس العبدري، ويُقال مولى مروان بن الحكم، حبسه عبد الملك ثمّ طعنه، تاريخ دمشق، ج11، ص 427- 431.

يطعمهم فاكهة الصّيف في الشّتاء، فطلبه عبد الملك، فهرب إلى بيت المقدس، واهتمّ عبد الملك بشأنه كثيرًا حتى ركب إلى النّصيريّة[1]، فنزلها فورد عليه هناك رجل من أهل النّصيريّة ممّن كان يدخل على الحارث وهو ببيت المقدس، فأعلمه بأمره، وأين هو، وسأل عبد الملك أن يبعث معه بطائفة من الجند الأتراك ليحتاط عليه، «فأرسل معه طائفة وكتب إلى نائب القدس:

إنّ فلانًا الأمير عليك حتّى يخرجَ، فأطِعْه فيما أمَرَك به»[2].

فلمّا وصل الرّجل إلى بيت المقدس بمن معه إنتدب نائب القدس لخدمته، فأمسك بالحارث، فلمّا انتهوا إلى عبد الملك أمر بقتله[3].

- كتابه الوليد إلى الحجّاج يأمره أن يسأل عن حكم المفقود إذا رجع وقد تزوجت زوجته :

- 202 -

عن معمر عن أيوب قال: « **كتب الوليد إلى الحجاج: أن سل من قِبلك عن المفقود إذا جاء وقد تزوّجت امرأته.**

فسأل الحجاج أباماليح بن أسامة[4] فأخبره بحكم عثمان وعلي فيها، إذ حكما بتخيير الأوّل بين امرأته وصداقها[5]، ومن الفقهاء من رأى أن لا سبيل للأوّل عليها مطلقا، ولا يأخذ من الصّداق شيئا[6].

- رسالة الوليد إلى عمر بن عبد العزيز يأمره بضرب خَبيب بن عبد الله بن الزبير:

-203 -

قال يعلى بن عقبة: «وكان الوليد بن عبد الملك قد كتب إلى عمر بن عبد العزيز إذ كان واليًا على

---

(1) _ النصيريّة أو النّاصرة قرية بينها وبين طبريّة 13 ميلًا. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج5، ص 251.

(2) _ ابن عساكر: المصدر السابق، ج11، ص 429، وعند ابن كثير بالسّند نفسه: " **وكتب عبد الملك إلى نائب القُدس ليكون في طاعة هذا الرّجل، ويفعلَ ما يأمرُه به** ". البداية والنّهاية، ج9، ص 24 .

(3) _ ابن عساكر: المصدر السابق، ج11، ص 429، ابن كثير: المصدر السّابق، ج9، ص 24.

(4) _ هو أبو مليح عامر بن أسامة بن عمير بن عامر، ويقال صبيح أبو المليح ، مدينيّ ثقةكان شريفاً فقيهاً، ومات في سنة اثنتي عشرة ومائة، وكان الحجاج ولاه الأبلة وله عقب بالبصرة .الدّولابي: الكنى والأسماء ،ج3 ، ص1061 ، الجزري: اللّباب في تهذيب الأنساب ،ص 129 .

(5) _ مصنّف ابن أبي شيبة ، ج7 ، ص88 ، رقم12325 .

(6) _ القرافي: الذّخيرة، ج4، ص277.

المدينة: **يأمره بجلده مائة سوط ويَحبسه**، فجلده عمر مائة سوط، وبرّد له ماءً في جرّة ثمّ صبها على رأسه في غداة باردة، فكنّ[1] فمات» [2].

هذا ونشير هنا أنّ سبب أمر الوليد بهذا الحكم هو أنّ خبيبا طعن في ملك بني مروان، وكان يتحدّث عن زواله منهم.

- رسالة الوليد إلى ابن حزم يأمره بجلد الأحوص الشّاعر:

-204 -

قال الزهري: «كان الأحوص[3] الشّاعر يشبّب بنساء أهل المدينة فتأذوا به، فشكاه قومه ، فبلغ ذلك سليمان بن عبد الملك فكتب إلى عامله بالمدينة [ابن حزم][4]:

يأمره أن يضربه مائة سوط ، [ويصبّ على رأسه زيتًا] [5]، ويُقيمه على البُلس[6] ثمّ يسيّره إلى دهلك[7]، ففعل »[8]

فقال وهو على البُلس أبياته النّونية التي فيها:

إنّي على ما يعلمون مُحسّـــدٌ أَنمِي إلى البغضاء والشّـــــنآنِ[1]

ما من مصيبة نكبة أُمـــنى بها إلّا تُشرِّفني وتـــــرفعُ شـــاني

---

[1] _ كَنّ أي استتر. لسان العرب، مج5، ص 3942، مادكنن.

[2] _ ابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص 310، سيرة عمر بن عبد العزيز، ص 36، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج4، ص 278، الذّهبي: سير، ج5، ص 120 ، وعند البلاذري "**أن اضرب خبيبا**" أنساب، ج8، ص 85 عن المدائني.

[3] _ الأحوص: هو عبد الله بن محمّد بن عبد الله بن عاصم الأنصاري، من بني ضُبيعه شاعر هجاء، كان معاصرًا لجرير وفرزدق، من سكان المدينة، وفد على الوليد بن عبد الملك فأكرمه، ثمّ بلغه ما ساءه عنه فردّه إلى المدينة، وبقي بها إلى عهد يزيد بن عبد الملك، فقدم دمشق فمات بها سنة 105هـ .ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج32، ص197، 207، الذهبي: سير، ج4، ص 593، الزركلي: الأعلام، ج4، ص 116.

[4] _ إضافة من التّذكرة الحمدونيّة وقد سبقت ترجمته في الرسالة رقم 83 .

[5] _إضافة من التّذكرة الحمدونيّة

[6] _ البُلس: هي غرائر كبار من مسوح يُجعلُ فيها التّين، ويُشهّر عليها من يُنكّل به، وينادى عليه . لسان العرب، مج1، ص 343، مادة بلس.

[7] _ دهلك جزيرة في بحر اليمن وهي بلدة ضيّقة حارّة ، كان بنو أميّة إذا سخطوا على أحد نفوه إليها. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج2، ص492.

[8] _ ابن عساكر: المصدر السّابق، ج32، ص207، التّذكرة الحمدونية، ج4، ص 305

[1] _ من الشناءة وهي البغض وسوء الخلق . لسان العرب، مج4، ص 2335، مادة شنأ.

إنّي إذا خفِي الرّجال وجــدتَني كالشّمس لا تخفى بكلّ مكان [1]

- كتاب الوليد إلى عمّاله أن لا يقتلوا أحدًا إلّا بإذنه:

-205-

قال ابن عبد الحكم: «دخل عمر بن عبد العزيز على الوليد بن عبد الملك فقال له: نصيحتك يا أبا حفص، فقال عمر: إنّه ليس بعد الشّرك إثم أعظم عند الله من الدّم، وإنّ عمّالك يقتُلون ويكتبون: إنّ ذنب فلان المقتول كذا وكذا، وأنت المسؤول عنه والمأخوذ به، فاكتب إليهم ألّا يقتل أحدٌ منهم أحدًا حتّى يكتب إليك بذنبه، ثمّ يُشهد عليه، ثمّ تأمر بأمرك على أمر قد وضح لك، قال: بارك الله فيك أبا حفص، ومنع فقدك، عليّ بكتابٍ **فكتب إلى أمراء الأمصار كلّهم**، فلم يُحرَجْ من ذلك إلّا الحجّاج، فإنّه أمضّه[2]، وشقّ عليه وأقلقه، وظنّ أنّه لم يكتب إلى أحد غيره»[3].

غير أنّ الحجّاج أرسل إليه جماعة من الخوارج ليرى أفكارهم وقولهم في الخليفة ، وأنّ له من المبرّرات ما يسمح له بالقتل والشّدّة، ولعلّ ميل الوليد إلى الحجّاج وجُنوحه إلى الأخذ بآرائه في كثير من الأحيان، وظنّه بأنّ سياسة الشدّة والعسف هي السّبيل الوحيد لتوطيد أركان الدّولة هو ما حال بينه وبين الأخذ بآراء عمر بن عبد العزيز الذّي كان يوصيه بالرّفق والتّثبّت، وقد أثبتت الأحداث فيما بعد أنّ ما كان يراه عمر أفضل ممّا كان يسير عليه الوليد، وذلك بعد تولّي عمر الخلافة، وتطبيقه لما كان يُشير به. [4]

- رسالة سليمان إلى عامل المدينة بإحصاء المُخنّثين:

-206-

عن عبد الرحمن بن أبي الزّناد عن أبيه قال: «وسأل سليمان عن الغناء أين أصله؟ وأكثر ما يكون؟ قالوا بالمدينة، وهو في المخنّثين، وهم الحُذّاق به والأئمّة فيه فكتب إلى عامله بالمدينة، وهو أبو بكر محمّد بن عمرو بن حزم: **أن أخصِ من قِبَلك من المُخنّثين**»[1].

---

[1] _ التّذكرة الحمدونية، ج4، ص 305، وانظر الأبيات في ديوان الأحوص، ص 256 – 258 .

[2] _ أمضّه من المضض، وهي الحُرقة والحُزن، والهمّ والشقّ على الإنسان والألم. لسان العرب، مج6، ص 4220، مادة مضض.

[3] _ سيرة عمر بن عبد العزيز، ص 114، 115 .

[4] _ عبد الله بن عبد الرّحمن الخرعان: أثر العلماء، ص 165.

[1] _ ابن الجوزي : المنتظم، ج7، ص 18، ابن كثير: البداية والنّهاية، ج9، ص148 .

رواية أخرى لما سبق

-أ- 206

وذكر أبو الفرج الأصفهاني في رواية أخرى مختلفة عمّا سبق قال: كان الدّلّال[1] من المغنّين المخنّثين بالمدينة، فبلغ خبره سليمان «**فكتب بأن يُخصى هو وسائر المخنّثين بالمدينة ومكّة**، وقال **إنّ هؤلاء يدخلون على نساء قريش ويفسدوهن**، وبعث بالكتاب إلى ابن حزم فخصاهم» [2]

رواية أخرى لما سبق

-ب- 206

ويذكر الرّاغب الأصبهاني رواية أخرى لما سبق قال: «كتب الوليد إلى واليه على المدينة:

"**إحْص من قِبَلك من المُخَنّثين** .

فوقع الذّباب على الحاء، فقرأ الكاتب اخصِ، فقال العامل لعلّه إحصِ، فقال الكاتب: على الحاء نقطة، فخصي جماعة منهم» [3]

ولعلّ هذا ما كُتب به إذ أنّ إخصاء المخنّثين لا يكون إلّا للضّرورة[4].

- رسالة سليمان إلى أبي بكر بن محمّد بن عمرو لحثّ عثمان بن حيّان:

-207-

قال الواقدي: «كان أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم قد استأذن عثمان أن ينام في غد، ولا يجلس للنّاس ليقوم ليلة إحدى وعشرين، فأذن له فقال عثمان: إن أرسلتُ إليه في غدوة ولم أجده جالسًا لأجلدنّه مائة ولأحلقنّ رأسه ولحيته، وبينما كان وقت السّحر فإذا رسول سليمان قد قدم على أبي بكر **بتأميره**

---

[1] _ الدلّال: إسمه ناقد وكنيته أبو زيد، وهو مدني مولى بني فهم، لم يكن من المخنّثين أحسن منه وجهًا، ولا أنظف ثوبًا ولا أظرف منه، وهو أحد خصاة ابن حزم، وهو مولى عائشة بنت سعيد بن العاص، كان مبتلى بالنّساء والكون معهن، وكان بديع الغناء، يسمّى الدّلال لشكله وحسن دلّه وطرفه ومنطقه. أبو الفرج الاصفهاني: الأغاني، ج3، ص 1339، 1340.

[2] _ المصدر نفسه، ص 1342.

[3] _ محاضرات الأدباء، ج1، ص 108، أنساب الأشراف، ج8، ص 76، أبو الفضل النّيسابوري: مجمع الأمثال ،ج1، ص258 ، ابن الجوزي: أخبار الحمقى والمغفّلين ،ص105، وعنده أنّ سليمان هو من كتب بهذا.

[4] _ قال الفرّاء في حكم المخنّث: "حكمه أن يُنفى، وقيل لا تغريب إلا في الزّنا والمخنّث، وعامّة نفيه مقدّر بما دون الحول". الأحكام السلطانية، ص279

وعزل عُثمان وحَدِّه» [1]

إنّ مثل هذا القرار بالعزل والحدّ من سليمان ليس أمرًا عشوائيًّا، ولا قرارًا إرتجاليًّا شخصيًّا، بل كان فيه عقوبة لعثمان بن حيّان الذي عُرف بالعنف والتّعسف في ولايته المدينة للوليد[2] ، وقد ضرب ابن المسيّب مائة سوط، وكثيرًا من العلماء.[3]

- رسالة سليمان إلى داود بن طلحة بن هَرم ليُعاقب خالد القسري:

-208 -

قال محمّد بن يزيد الأنصاري: «كان خالد بن عبد الله القسري واليًا على المدينة ثمّ أقرّه سليمان[4]، وكان قاضي مكة طلحة بن هرم[5] فاختصم إليه رجل من بني شيبة الّذين إليهم مفتاح الكعبة يُقال له الأعجم، مع ابن أخ له في أرض لهما، فقضى للشّيخ على ابن أخيه، وكان متّصلا بخالد بن عبد الله، فأقبل إلى خالد فأخبره، فحال خالد بين الشيخ وبين ما قضى له القاضي، فكتب القاضي إلى سليمان يشكو له خالدًا، ووجّه الكتاب إليه مع محمّد بن طلحة، فكتب سليمان إلى خالد: لا سبيل لك على الأعجم ولا ولده[6]، فقدم محمّد بن طلحة بالكتاب على خالد، وقال لا سبيل لك علينا هذا كتاب أمير المؤمنين، فأمر به خالد فضُرب مائة سوط قبل أن يقرأ كتاب سليمان، فبعث القاضي ابنه المضروب إلى سليمان، وبعث ثيابه التي ضُرب فيها بدمائها، فأمر سليمان بقطع يد خالد، فكلّمهُ يزيد بن المهلّب وقال: إن كان ضربه يا أمير المؤمنين بعدما قرأ الكتاب تقطع يده، وإن كان ضربه قبل ذلك فعفو أمير المؤمنين أولى بذلك، فكتب سلمان إلى داود بن طلحة بن هرم[7]:

إن كان ضرب الشّيخَ بعدما قرأ الكتاب الذي أرسلْتُه فاقطعْ يده، وإن كان ضرَبه قبل أن يقرأ كتابي فاضربْهُ مائة سوط، فجزع خالد من الضّرب...فلم يزل محبوسًا بمكّة حتى حجّ سليمان»[1].

---

[1] _ تاريخ الطبري، ج6، ص 505.

[2] _ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج38، ص 338.

[3] _ المصدر نفسه، ص 245.

[4] _كان خالد بن عبدا لله واليا على مكّة للوليد وليس المدينة ثمّ أقرّه سليمان .انظر تاريخ خليفة ، ص203.

[5] _ سبقت ترجمته في الرسالة رقم 125.

[6] _ الرسالة سبقت رقم 125 .

[7] _ داود بن طلحة بن هرم تولّى مكة لسليمان بن عبد الملك بعد عزل خالد بن عبد الله القسري، ثمّ عزله وولّى عبد العزيز بن عبد الله . تاريخ خليفة، ص 203.

[1] _ ابن عبد ربّه: العقد الفريد، ج5، ص 176.

ثانـــــيا: الرّسائـــل الخاصّة بتطبيق حكم القِـــــــصاص:

- رسالة معاوية إلى سُليم بن عِتر في أمر القصاص في الجراح :

-209 -

قال عبد العزيز بن أبي ميسرة فيما يرويه عن أبيه: «أنّ معاوية كتب إلى القاضي سُليم بن عِتر[1] **يأمره بالنّظر في الجراح، وأن يرفع ذلك إلى صاحب الدّيوان.**

وكان سُليم أوّل قاضٍ نظر في الجراح وحكم فيها، قال أبو ميسرة: فكان الرّجل إذا أُصيب فجُرح أتى إلى القاضي وأحضر بيّنة على الّذي جرحه، فيكتُب القاضي بذلك الجرح قُصَّتَه على عاقلة الجارح، ويرفعها إلى صاحب الدّيوان، فإذا حضر العطاء اقتصّ من أُعطيات عشيرة الجارح ما وجب للمجروح، وينجِّم[2] ذلك في ثلاث سنين، فكان الأمر على ذلك» [3]

هذا ونشير أنّه ليست لدينا في هذا العصر حدود دقيقة واضحة بين الإختصاصات القضائية لكلّ من الولّاة والقضاة، فهذه الرّسالة قليل من الأخبار الواردة في هذا الباب.[4]

- رسالة معاوية إلى سعيد بن العاص ليقتاد من هُدبة بن خَشْرَم:

-210-

قال البلاذري :كان هدبة بن خشرم[5] وزيادة بن زيد بن مالك[1] شاعرَين متناحرين ولهما أنصارٌ، فاقتتلا، فقتل هدبة زيادة، ثمّ إن رهط زيادة إستعدوا معاوية بن أبي سفيان على هدبة، «فكتب لهم إلى

---

(1) _ وفي أخبار القضاة سليمان بن عتر بن سلمة بن مالك بن عتر اليحصُبي، أبو سلمة التجيبي المصري، قاضي مصر وقاصّها، كان يسمّى النّاسك لشدّة عبادته، كان رجلًا صالحًا حضر خطبة عمر بالجابيه، ووفد على معاوية، وكانت ولايته للقضاء من قِبله سنة 40 هـ ، وكان قبل ذلك يقصّ، توفي بدمياط، سنة 75هـ. وكيع: المصدر السابق، ج4، ص 63، الذهبي: تاريخ الإسلام، ج2، ص 533، 534، ابن حجر : رفع الإصر عن قضاة مصر ، ص 165- 168.

(2) _ تنجيم الدَّين هو أن يقدّر عطاؤه في أوقات معلومة متتابعة، مشاهرة أو مساناة .لسان العرب، مج6، ص 4358، مادة نجم.

(3) _ الكندي :كتاب الولاة وكتاب القضاة ، ص 309، ابن حجر: رفع الإصر عن قضاة مصر ، ص 167.

(4) _ نجدت خمّاش: الشام في صدر الإسلام، ص 45.

(5) _ هو هدبة بن خشرم بن كريز بن أبي حيّ الكاهن سلمة بن الأسحم، شاعر فصيح متقدّم من شعراء بادية الحجاز، كان راوية للحطيئة، حبسه معاوية ثلاث سنوات لقتله زيادة بن زيد، ثمّ قتله المسور بن زيادة. ابن حزم: جمهرة النّسب، ص 448، ابن عساكر: المصدر السابق، ج73، ص 366- 370، ابن خلّكان: وفيات الأعيان، ج1، ص 367.

(1) _ زيادة بن زيد بن مالك بن ثعلبة، من ولد الحارث بن سعد، أخته أمّ القاسم، كان من الشعراء المعروفين، قتله هدبة أيام معاوية بن أبي سفيان. البلاذري: أنساب، ج6، ص 53.

سعيد بن العاص، وهو عامل المدينة **يأمره بإعدائهم على عُتبة، وأن ينظر في دعواهم عليه، وأن يطلبَه طلبًا حثيثًا، وأن يأخُذه به وأولياءه.**

فأخذ عمّه وأولياءه فحبسهم في السّجن حينًا، فلمّا بلغ هدبة ذلك أتى السّلطان فوضع يده في يده كراهة أن يُسلّم عمّه وأهله، فأمر سعيد بحبس هدبة، وخلى سبيل من حبس بسببه، ووهب لهم مالًا» [1]

- رسالة معاوية إلى سعيد يأمره بالقصاص من هدبة:

-211 -

وأضاف البلاذري في روايته السّابقة قال: لما حبس سعيد هدبة سأل أولياءُ زيادة سعيدًا أن ينظر في أمرهم، فأخّر ذلك، وأبطأ به لأنّ هدبة كان قد مدحه، وعرض عليهم أن يَدِي صاحبهم عنه ثلاث ديّات، فأبوا وقالوا: إرفعنا إلى أمير المؤمنين معاوية، «ولم يزالوا بسعيد حتّى حملهم إلى معاوية، ودسّ إلى هدبة صلة وكسوة، ونظر معاوية في أمرهم، فقضى بقَود هدبة **وكتب بذلك كتابًا مع أولياء زيادة إلى سعيد.**

فجعل لهم سعيد عشر ديّات على أن لا يقتُلوه، فأبى أخوه وأهل بيته ذلك، فأُخرج فقُتل»[2].

- رسالة معاوية إلى اليمانيّة ليقتصّوا من عبد الله بن الحجّاج:

-212 -

قال أبو زيد: كان كثير بن شهاب[3] على ثغر الرّي، ولّاه إيّاه المغيرة بن شعبة، وكان عبد الله بن الحجّاج[4] معه، فأغار النّاس على الدّيلم[5]، فأصاب عبد الله رجُلًا منهم، فأخذ سلْبه[6]، فانتزعه منه كثير، وأمر بضربه فضُرب عبد الله وسجن، فلمّا عُزل كثير وقدم الكوفة خدعه عبد الله بن الحجّاج، وضربه بعود حديد، فكتب ناس من اليمانيّة من أهل الكوفة إلى معاوية ليقتصّ لكثير، فحبس معاوية عبد الله، وكتب إليهم:

«إنّ القُوَد ممّن لم يجنِ محظورًا، والجاني محبوس حبسْتُهُ، فليقتصّ منه المَجني عليه.

---

[1] _ البلاذري: أنساب، ج6 ، ص 53، 54.

[2] _ المصدر نفسه، ص 55.

[3] _ هو كثير بن شهاب بن الحصين بن ذي الغصّة الحارثي، كان عثمانيًّا ضد علي بن أبي طالب، وهو من قتل شبيب الخارجي. تاريخ خليفة، ص 72، 128، البلاذري: فتوح البلدان، ص 432.

[4] _ سبقت ترجمته في الرسالة رقم 160.

[5] _ الدّيلم من قرى أصبهان بناحية جرجان، وهم جيل سمّوا بأرضهم، عدّها ياقوت في الإقليم الرابع . معجم البلدان، ج2، ص 544.

[6] _ سلْبَه: كل شيء على الإنسان من اللّباس والثياب. لسان العرب، مج3، ص 2057، مادة سلب.

فقال كثير لا أستقيدها إلّا من سيّد مُضر، فغضب معاوية، وقال: أنا سيّد مُضر، وأمّن عبد الله، وأطلق سراحه وأبطل حدّه» [1]

لقد أصدر معاوية قراره الأوّل في رسالته كقرار إداري قضائي عادل، بغضّ النظر عن المحكوم عليه واتجاهه وانتمائه، ولكنّ أنصار كثير اليماني سيّسوا القضيّة، وأعطوها بُعدًا آخر عرقيًّا قَبليًّا، فأرادوا أن يقتصّوا من سيّد مضر، فعندها غضب معاوية وأبطل حكم القصاص وأمّن عبد الله بن الحجّاج، وكال لهم بمكيالهم الّذي أرادوا!!

- رسالة معاوية إلى عبد الرحمن بن عبد الله الثّقفي يأمره بالقصاص من عمرو بن الحمق :

-213 -

قال أبو إسحاق: كان عمرو بن الحمق الخزاعي[2] من أصحاب حِجر، فلمّا أمسك زياد بحجر هرب عمرو فلحقه أصحاب زياد فأمسكوه، فكتب عامل الموصل عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان الثّقفي[3] إلى خاله معاوية بظفره به، «فكتب معاوية إليه:

إنّه يَزعم أنّه طعن عثمان تسع طعنات [بمُشاقص[4] كانت معه] [5]، وإنّا لا نُريد أن نعتدي عليه، فاطعنه تسع طعنات كما طعن عثمان.

فأُخرج فطعن تسعًا مات في الأولى منهنّ أو الثانية»[1].

---

[1] _ أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني، ج10، ص 4515- 4517.

[2] _ هو عمرو بن الحمق بن الكاهن بن حبيب بن عمرو بن ربيعة الخزاعي، سكن الكوفة ثمّ انتقل إلى مصر، وكان عثمان يسيّره إلى دمشق، وشهد صفّين مع علي، وقتل بالموصل سنة 51 هـ قتله عبد الرحمن بن عثمان الثّقفي، وبعث برأسه إلى معاوية، وكان رأسه أوّل رأس حُمل في الإسلام. تاريخ خليفة، ص 130، ابن عساكر: المصدر السابق، ج45، ص 440- 500، الذّهبي: تاريخ الإسلام، ج2، ص 262.

[3] _ عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان أبو سليمان المعروف بابن أمّ الحكم الثّقفي، أمّه أم الحكم بنت أبي سفيان، أمّره معاوية على العراق وأمَّره عزو الرّوم، وتولّى أيضا مصر، كان منازعًا ليزيد بن معاوية. ابن عساكر: المصدر السابق، ج35، ص 43- 55.

[4] _ المشاقص: هو نصل السّهم إذا كان طويلًا غير عريض، والمشقص من النّصال والحديد الطّويل. لسان العرب، مج4، ص 2300، مادة شقص.

[5] _ ما بين حاصرتين إضافة من تاريخ الطبري وتاريخ دمشق وفي أنساب الأشراف غير موجود.

[1] _ البلاذري: أنساب، ج5، ص 282، تاريخ الطبري، ج5، ص 265، ابن عساكر: المصدر السابق، ج45، ص 499.الذّهبي: تاريخ الإسلام، ج2، ص 265.

وقد كان عمرو يعترف بها، ويقول: فأمّا ثلاث منهنّ فإنّي طعنتهنّ إيّاه للّه، وأمّا ستّ فإنّي طعنتهنّ إيّاه لِما كان في صدري عليه[1].

- رسالة عبد الملك إلى بني كلب يحذّرهم القصاص:

-214 -

قال البلاذري: قبل ولاية عبد الملك أغارت بنو كلب على فزارة[2] ، وقتلت منهم رجالا،وبعد مقتل مُصعب بن الزّبير وتولّي عبد الملك عرض الدّية على قيس فزارة فقبلوا، إلّا أنه بعد ذلك «أغارت بنو فزارةعلى بني عبد ودّ وبني عُليم من كلب وهم على ماء يقال له بنات قَيْن[3]...فقتلوا منهم مائة وثمانين، ويُقال نيّفًا وخمسين...وبلغ عبد الملك أنّ كلبًا جمعت لتُغير على قيس وفزارة خاصّة، **فكتب إليهم عبد الملك يُقسم لهم بالله لئن قتلوا من بني فزارة رجُلًا ليُقيدنّهم به** فكفّوا» [4]

- رسالة عبد الملك إلى الحجّاج يأمره أن يحمل إليه رجلين من فزارة للقصاص:

-215 -

وكتب بعدها عبد الملك إلى الحجّاج بن يوسف، وهو عامله على الحجاز:

« **يأمره بأن يحمل إليه سعيد بن عُيَيْنة[5]، وحُلْحُلة بن قيس الفزاريَّين[6]** .

فبعث بهما إليه فحبسَهُما ثم قتلها قِصَاصًا»[1].

لقد سعى عبد الملك إلى إطفاء الفتنة الّتي بدأت تطفو على السّطح، بين قيس وكلب، فأوجد لنفسه مخرجًا يُرضي جميع أطراف النّزاع، ويصُمّ أفواه الكلبيّين.

---

(1) _ ابن سعد: الطبقات، ج3، ص 70، الطبري: المصدر السابق، ج4، ص 394، في حوادث سنة 35 هـ.

(2) _ نسبة إلى فزارة بن ذبيان بن بغيض وهي قبيلة من تميم. ابن حزم، جمهرة النسب، ص 201. ابن منظور، لسان العرب، مج5، ص 3409، مادة فزر.

(3) _ موضع بالشّام في بادية كلب وهي عيون عدّة ، كانت بنو فزارة أوقعت ببني كلب على هذا الماء، في أيّام عبد الملك وقعة مشهورة.ياقوت الحموي ، معجم البلدان، ج4، ص424.

(4) _ أنساب الأشراف، ج7، ص 56 ، ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج21، ص9، 10.

(5) _ هو سعيد بن عُيَيْنة بن حصن الفزاري، وقال ابن عساكر: سعيد بن إبّان بن عُيينة بن حصن، ويقال سعد بن عُيينة الفزاري، كان ناسكًا، ثمّ قام بحرب فزارة مع كلب. تاريخ دمشق، ج31، ص 8- 10.

(6) _ حُلحُلة بن قيس بن يسار الفزاري القيني، قدم أسيرًا إلى دمشق أيام عبد الملك، وكان السّبب هو حربٌ بين كلب وقيس، فسجنه عبد الملك ثمّ قتله، وقيل أنّه دفعه إلى كلب فقتلوه . ابن عساكر: المصدر السّابق، ج15، ص 139- 141.

(1) _ أنساب الأشراف، ج7، ص 56.

والحقيقة أنّه منذ معركة مرج راهط والدّولة تتخبّط في أوحال العصبيّة الّتي حاول عبد الملك بن مروان إخمادها بكلّ ما تأتّى إليه من قوّة وما حازته يداه من وسائل، لكنّ الّذين جاءوا بعد عبد الملك في أغلب أحيانهم لم يتمكّنوا من كبح جماح هذه العداوة، بل منهم من ساهم في تأجيجها، فكانت نكالًا على الدّولة، وساهمت بشكل أو بآخر في سقوطها.

- رسالة الوليد بن عبد الملك إلى عمر بن عبد العزيز يأمره أن يوقف هشام بن إسماعيل للقصاص:

-216 -

قال عبد الرحمن بن أبي الزّناد فيما يرويه عن أبيه: كان هشام بن إسماعيل متعسّفا مع أهل المدينة ولا سيما سعيد بن المسيّب وعلي بن الحسين فلمّا ولي الوليد بن عبد الملك عزل عن المدينة هشام بن إسماعيل وولّى عمر بن عبد العزيز،«**وكتب إلى عمر يأمره أن يقِفَ هشام بن إسماعيل للنّاس**، وكان فيه سيّء الرّأي»[1]

فلمّا ورد الكتاب قال هشام: ما أخاف إلّا من علي بن الحسين لأنّه أساء جواره، فتقدّم علي بن الحسين إلى خاصّته ألّا يعرض له أحد بكلمة، ومرّ به عليّ وقد وُقف للنّاس ولم يعرض له، فناداه هشام: "الله أعلم حيث يجعل رسالاته"[2]

إنّ سياسة محاسبة الولّاة بعد عزلهم هي سياسة رشيدة وغاية في الأهميّة، تحتاج إليها الدّولة في كل زمان ومكان، فلو أنّ أيّ دولة قديمًا وحديثا إتّخذت المحاسبة مبدءًا أساسيا ومنهجًا إداريا، لاحتاط الولّاة في ولايتهم، ولعلموا بما يرضي الله والعباد، ولما جاروا وخانوا، فالله يزع بالسلطان ما لا يزرعه بالقرآن.

- رسالة الوليد إلى عمر بن عبد العزيز يأمره بقطع يد رجُل قِصَاصًا:

-217 -

قال المدائني[3]: «أنّ أخا الأحوص شهر[4] على أخيه السّيف بالمدينة، فكتب عمر بن عبد العزيز إلى الوليد، فكتب إليه الوليد: **أن اقطع يده،**

فقطع عمر يده، فتعلّق على عمر بذلك، وكانت من ذنوبه التي كان يستغفر الله منها»[1].

---

[1] _ تاريخ الطّبري، ج6، ص 428، ابن الأثير: الكامل، ج4، ص 243، ابن كثير: المصدر السابق، ج9، ص 60.

[2] _ الطبري: المصدر السابق، ج6، ص 428، ابن الاثير: الكامل، ج4، ص 243، ابن كثير: المصدر السابق، ج9، ص 60.

[3] _ كذا في أنساب الأشراف ، وفي تاريخ دمشق عن الزّهري.

[4] _ شهر سيفه أي أبرزه له من غمده وأخرجه للقتال. لسان العرب، مج4، ص 2352، مادة شهر.

[1] _ البلاذري: أنساب، ج8، ص 85، ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج63، ص 164، 165، ابن منظور، مختصر، ج26، ص 317.

الباب الثالث:

الرسائل المتعلّقة بمنهجهم الإداري والسّياسي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمـــهيـد:

لقد كان لبني أميّة دورٌ بارز في خدمة دولة الإسلام حين حكمهم لها، ودورهم هذا لا يمكن تجاهله، إذ أنّ حوادث التاريخ تشهد أنّ الأمويّين أسدوا خدمات جليلة لدولتهم وللإسلام والمسلمين على جميع الأصعدة وفي شتّى الميادين، ونحن هنا نسلّط الضوء على ثلاث نقاط غاية في الأهميّة:

أولا– بنو أميّة والعصبيّات: مع مجيء الإسلام تجاوز رابطة الدم والعصبية القبليّة إلى الأُخوّة في المعتقد، إلا أنه بعد وفاته ﷺ رجعت العصبيّة إلى المجتمع، وتغلغلت في قلوب العديد من المسلمين منذ عهد الخلافة الراشدة [1].

ثم جاء حكم بني أميّة الذي أسهم بظهور التيّار العصبي، فباستثناء بعض خلفائهم كمعاوية وعبد الملك، تعصّب بنو أمية للعرب عامّة ، وتعصّبوا لبني أمية على بني هاشم، وكذا للقبائل الموالية لهم على المناوئة ، كتعصّبهم للكلبيين دون قيس [2].

ولقد مارس العديد من خلفاء بني أميّة الخطيئة القاتلة حيث أشعلوا نار العصبيّة القبليّة، وزادوا إضرامها بالتزام هذا الجانب القبلي أو ذاك ، الأمر الذّي فتّت قاعدتهم في بلاد الشّام نفسها وشطرها شطرين؛ أحدهما قيسي ينتمي إلى عرب الشّمال، والآخر يمني ينتمي إلى عرب الجنوب[3].

ولمعرفة مدى حجم هذا الصّراع لابدّ أن نفهم أنّ العداء بين القيسة والكلبية كان قديما، فقبائل قيس– من مضر– كانت قد إرتحلت إلى الجزيرة والشّام، فزاحمت بالشّام قبائل كلب اليمنيّة، وزاحمت بالجزيرة قبائل تغلب — من ربيعة– فشبّت بينها وبين كلب وتغلب حروبا ووقائع عديدة، فلمّا كان العهد الأمويّ واستنصر بنو أمية بكلب كانت قيس مواليه لابن الزبير ومناصرة له بسيوفها[4].

لقد اطمأنّت الدّولة إلى العصبيّة القبليّة، ولكنّ هذه الطمأنينة كانت تنذر بالخطر الذّي لم يلبث أن استشرى في الدولة فهدم أركانها وعجل بسقوطها[5].

فالخليفة الأول معاوية اعتمد على قبائل اليمنية منذ كان واليا على الشّام، وقرّبها إليه فاستفاد من

---

(1) _ Hamid Dabashi:Authority in islam,p49.

(2) _ أحمد محمد الحوفي : أدب السياسية، ص25.

(3) _ عماد الدّين خليل: حول القيادة والسّلطة، ص44.

(4) _ المرجع نفسه، ص460، كلودكاهن: الإسلام، ص65.

(5) _ أحمد محمد الحوفي : المرجع السابق، ص460.

خبرة رجالها الذين مضى على وجودهم في ديار الشّام أمد طويل، فخدموا بها معاوية، وكان جيش الشّام يتألف من كثير منهم[1].

وعلى الرّغم من نفوذ الكلبيّين في الدّولة الأموية، فإن المعادلة لم تكن قائمة على التّحالف الأموي الكلبي ولكنّها اتّخذت في عهد معاوية ذاته منحى متوازيا ما بين كلب وقيس بصورة خاصّة، ، فإذا كان الكلبيون قد حملوا عبء الدفاع المسلح عن الدّولة مؤثرين الإقامة في جنوب الشّام (جند الأردن)، فإن القيسيّين كان لهم دورهم السياسي والإداري البارز، فقد كان زعيمهم الضّحاك بن قيس من القادة البارزين[2].

لقد استطاع معاوية وعبد الملك بعده أن يقيما توازنا بين قيس واليمن، وأن يعهدوا بإدارة المقاطعات إلى زعماء من تلك القبائل حسبما توافر لهم من استقرار وكثرة ، وهذا لم يدم طويلا، إذ أن التزاحم بين هذين التيّارين كان مع الوقت سببا في اصطدامٍ قبلي واسع جُيّشت له الجيوش وأدّى اصطدام المصالح الإقتصادية إلى اصطدام سياسيّ خطير كان له أثر كبير في خلخلة سلطان بني أمية فيما بعد[3].

ولمّا كانت كلب والقبائل اليمانية مع الأمويّين كان من الطبيعي أن تقف قيس في الصّفوف المعادية وأن تنتظر الفرص المواتية لإعلان ثورتها، وقد وجدت فرصتها بموت يزيد بن معاوية، وقد بدا للعيان يومئذ أن السلطان الأمويّ قد انهار، ونهض عبد الله بن الزبير بالبيعة لنفسه، وسرعان ما حطبت قيس في حبله وشايعتهُ، وكان هذا سببا مباشرا في اندلا ع الحرب بين قيس وكلب[4].

وإذا كان الأمويّون في بداية الأمر قد استنصروا بالعصبية على خصومهم، فإنّهم مالبثوا إلا قليلا حتى استنصر بها بعض الأمويّين على بعض، ففي مؤتمر الجابيّة إنحازت اليمنية إلى بني أمية، وآزرت خالد بن يزيد، وانحازت قيس لعبد الله [5].

وقد استمر هذا الصّراع إلى نهاية الدولة، مع استثناء فترة حكم عبد الملك الذي تحقّقت وحدة الأمة على يده من جديد، وأنقذها من شرور الإنقسام، فانتهج نهج معاوية مع خصومة بشيء من الإختلاف والمرونة لاختلاف النّاس والزمان، فعمل ما استطاع إلى ذلك سبيلا على حصر نطاق هذا الصراع، والتدخل

---

[1] _ نجده حماش: الإدارة، ص111، 112.

[2] _ ابراهيم بيضون : تاريخ بلاد الشام، ص139.

[3] _ نجدة حماش: الإدارة، ص 112 ، إبراهيم خليل: الخليفة عبد الملك، ص28.

[4] _ إبراهيم خليل : المرجع السّابق، ص28.

[5] _ أحمد محمد الحوفي : المرجع السابق، ص460.

لإخماده كلما بدأ يظهر للعلن باعتماده سياسية التوازن بين الطائفتين، إذ أسند أمر شمال الشّام إلى عرب الشمال يديرون أمره، أما الأردن وفلسطين وجنوب سوريا فأسند إدارتها إلى اليمنية، وبهذا وقع التوازن والائتلاف بإشراف من عبد الملك[1].

ولكنّ أعقابه المروانيّين لم يتلافوا معضلة النّعرة العصبية ومارسوا سياسة قبليّة واضحة أخذت تتصاعد يوما بعد يوم، وامتدّت تأثيراتها إلى كافّة الأقاليم وإلى سائر مجالات الحياة الإداريّة والسّياسيّة والإقتصاديّة، فكانت أحد العوامل الخطيرة في تدمير الوجود الأموي في نهاية الأمر[2].

وبالإضافة إلى كلّ هذا اعتمد بنو أميّة على الموالي ، وقرّبوهم وظفروا بخدمات الأكفاء منهم في شتّى المجالات ، فلم تمنعهم أصولهم من تولّي مناصب الدّولة ، لذا فإنّ حقائق التّاريخ تثبت بغير شكّ أنّ كثيرا من الموالي مسلمين أو غير مسلمين قد احتلّوا مكانة كبيرة في العصر الأموي ، سواء كان ذلك في الحياة السّياسيّة أو الإداريّة أو العسكريّة ، وإنّ الأمويّين أفسحوا لهم مجالا ظلّ يتّسع يتّسع تدريجيّا للمشاركة في الحكم والإدارة[3] .

ثانيا – إدارة الأقاليم:

لقد كانت الفترة التي حكمت خلالها الأسرة الأمويّة فترة تنظيم الدّولة الإسلاميّة النّاشئة عن الفتوحات، ومن طبيعة الأمور أنّ النظام الذي يولد من الفتوحات يتطور بعدها بسرعة بسبب تغيّر أنماط المعيشة واختلاط الشعوب[4].

لذلك أنّ النظرة الشاملة لأسلوب الحكم الأمويّ يجب ألا تتوقف عند ملاحظة الفوارق بين نظام الحكم الرّاشدي والأموي، مبتورة عن ظروف التّطور الاجتماعي الذي أصاب الأمة الإسلامية آنذاك[5].

فبدايةً تمسّك الأمويّون بالشّام مركزا لخلافتهم، ولم يكن هذا أمرا عاطفيا غير مبرّر بل كان يستند إلى قناعة أكيدة أثبتت الأيّام صدقها بمقدرة أهل الشام على تحقيق الحسم السّياسي، وبعمق الإلتحام بين

---

(1) _ نجدة خماش: الإدارة، ص112، 113.

(2) _ عماد الدّين خليل: المرجع السّابق، ص44.

(3) _ حمدي شاهين: الدّولة الأموية ، ص373، وانظر الجهشياري: الوزراء والكتّاب ، ص 15– 45، محمّد كرد علي: أمراء البيان، ص30.

(4) _ كلود كاهن : المرجع السابق، ص57.

(5) _ حمدي شاهين: الدّولة الأموية، ص259، برهان غليون: أصل السّلطة في الإسلام، ص29.

اليمنيّة والوجود الأموي بها[1].

وللخليفة باعتباره حاكما للدّولة والمهيمين على أزمّة النّظام الإداري حقُّ إختيار من يشاء لتصريف شؤون الإدارة والحكم، وهو المسؤول عن أعمال من يختارهم لأنّهم خاضعون له ويعلمون باسمه، وهذا الأسلوب منتهج قبل بني أمية نظرا لارتباط أسلوب الدّولة في تنظيمها الإداري بالظروف الإجتماعية والسّياسية، واقتضى الوضع السياسي والإجتماعي الجديد في العصر الأمويّ تنظيما إداريًّا جديدا اضطلع بتوسيع أسسه معاوية بن أبي سفيان، الذي عمد إلى إتخاذ اللاّمركزية في الإدارة سبيلا لاستعادة الاستقرار في الدّولة الإسلامية، في ظل وضعها الجديد، والعمل على توسيع رقعتها كذلك.

وقد عمد معاوية إلى حسن إنتقاء وإعداد الهيئة التي ستتولّى تنفيذ الإدارة الجديدة، فجعل أساس هذه الهيئة الإدارية لا الكفاءة فحسب ولكن ضرورة العمل أيضا، على أن يكون رجالها من شيعته المخلصين أو ممن تربطهم بالبيت الأموي رابطة ماديّة، ومنافع يتطلبها التطور الجديد للدولة[2].

مع ملاحظة أنّ السلطات التي كان يتمتع بها الولاة –أو لنقل بعض الولاة–كانت سلطات كالتّي يتمتع بها الخليفة نفسه، مع فارق واحد وهو أنهم كانوا مسؤولين تجاه الخليفة على تصرفاتهم، وقد تمتّع بهذه السّلطات معظم ولاة العراق، وكانت الصلاحيات التي يتمتّع بها العمال والولاة في الأقاليم، والمناطق التّابعة إداريا لإقليم العراق والحجاز ومصر مع خضوعهم لمراقبته قد ساعدت على تحقيق نوع من الإنسجام مابين الأقاليم والمركز[3].

و هكذا احتفظت بعض الأقاليم الكبرى بحظّ وافر من الحكم الذاتي المحلي نظرا لاتساع مساحة الدّولة[4]، والذّي يمكن ملاحظته في أسلوب حكم الأمويّين هو عدم الإستقرار في تعيين الولاة، ولاسيما في الفترات الأولى من العصر الأمويّ، ويعود هذا إلى طبيعية الظروف القلقة التي كانت تمرّ بها الدولة كالحرب الأهلية التّي انتهت بوفاة ابن الزبير، ولكن بعد الإستقرار الذي تمّ في عهد الخليفة عبد الملك وأبنائه، نلاحظ إنعكاس هذا الأمر على الولاة في اليمن خاصّة، حيث ظلّ بعضهم في منصبه سنوات عديدة أمثال

---

(1) _ حمدي شاهين: المرجع السّابق، ص295.

(2) _ نجدة خماش: الإدارة، ص99.

(3) _ المرجع نفسه، ص127.

(4) _ أحمد إسماعيل علي: تاريخ بلاد الشام، ص307.

محمد بن يوسف الثقفي[1] أخو الحجاج[2] – حوالي 81-91 هـ – كما إعتمدوا في إدارة العراق على الثّقفيّين لفترة طويلة ، واحتكروا في إدارتهم مصر والحجاز .

كما نلاحظ وجود خطة واضحة وسياسة بيّنة وعامة عند الأمويين، ليس في اختيار الولاة فحسب وإنّما في توزيعهم على البلدان أيضا، فقد أسندت القيادة الأمويّة للرجالات القريشية بعامة والأموية بخاصة الولايات في الشام ومصر والعراق وخراسان والثغور الرّومية، وكانت بلاد الحجاز مقصورة عليهم في الأغلب، وولّت الرجالات العراقية خراسان وسجستان والهند والسند، وثغور طبرستان وقزوين والجزيرة في الأغلب، وكان ميدان الرجالات المصرية مصر وإفريقية وبلاد المغرب وأعمالها، واعتمدت على الثّقفيّين كثيرا في العراق واليمن وخراسان أحيانا، وشارك الموالي في الولاية على إفريقية واليمن، ولاشك أن الظّروف والأحوال الطارئة كانت تترك آثارها في هذا الإختيار وهذا التوزيع ولو إلى حين[3].

إنّ التّجديد يحمل في طيّاته ثورية معالجة الأحداث في الزمن الصعب والذي تكون الأمّة في أمس الحاجة إليه، ليرتبط بمسيرة العمل التاريخي، وتقاس ثورية التجديد بمدى ارتباطها الموضوعي بالضروروات التاريخية، لتُحوّل مسيرة الدولة في هذه الفترة الزمنية تحولا يزعزع الأساس المتردّي الذي وصلت إليه الأمة، الأمر الذي يؤدي إلى قيام أسس جديدة لبنية شاملة للدولة في سياق حركة التجديد نحو الأرقى[4].

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ أغلب المناصب الإدراية والسياسية في الدّولة الأموية لم تتخذ مهامها ومسمياتها بعد، على النّحو الذي كانت عليه في الدّولة العباسية بعدها، لذا نجد كثيرا من العمّال جمعوا بين عدة وظائف[5]، وكانت الأقاليم الإداريّة متمثلة في الحجاز مع اليمن، والعراق مع خراسان، ومصر مع المغرب وبلاد الشام، وقد خضعت إدارة الشام إلى الخلفاء الأمويّين مباشرة لوجود عاصمة الخلافة في دمشق[6]، أمّا الحجاز فكان يضم مكة والمدينة والطائف، وقد اهتم به الأمويون لأنّه يُعتبر مركزا من مراكز المعارضة لهم ولثقله الروحي والثقافي والسياسي، لذا كان الأمويّون يُجرون فيه الكثير من التّغييرات الإدارية

---

[1] _ محمد بن يوسف الثقفي بن الحكم بن أبي عقيل أخو الحجاج بن يوسف، كان أميرا على اليمن، ووفد على عبد الملك، مات باليمن في رجب سنة 91هـ . ابن عساكر: المصدر السابق، ج56، ص308-316.

[2] _ عبد الواحد دنون طه: داراسات، ص118.

[3] _محمد ضيف الله بطاينة : دراسة في تاريخ الخلفاء، ص48.

[4] _ شحادة الناطور: تجديد الدولة، ص هـ، و، من المقدمة.

[5] _ عبد الله عبد الرحمن : أثر العلماء، ص125.

[6] _ نجدة خماش : الإدارة، ص111.

بقصد ضبطه وضمان ولائه[1].

وغني عن البيان أنّ الطائف كانت مدينة مهمة في ذلك الوقت، حيث تتمركز فيها قبيلة ثقيف القويّة، وأن من يستطيع من الولاة أن يُسيطر عليها سياسيا وإقتصاديا فإنّ بقية المدن تسهل السيطرة عليها بعد ذلك[2].

أمّا العراق فقد ضمت في العصر الأموي ولايتي الكوفة والبصرة والمناطق الإدارية التابعة لهما وبلاد خراسان، وكان زياد بن أبيه أول من جُمع له المصران في خلافة معاوية، واستمر معظم خلفاء بني أميّة في جمع الكوفة والبصرة لأمير واحد حتى نهاية الدولة الأموية، واهتمّ الخلفاء الأمويّون بهذه الولاية اهتماما خاصّا، لأنها كانت موطن القبائل العربية المتمسّكة بالروح القبلية، فضلا على وجود خليط عظيم معهم من سكّان تلك المناطق من الفرس والترك والهنود، وكان لهذا الخليط مزجته المتباينة، وثقافاته المتفاوتة، كما كان العراق مسرحا لمشاهد الخوارج والشّيعة، وقد تطلّب هذا الوضع نمطا خاصّا من الولاة وعمال الإدارة من أصحاب الكفاءة العالية والتدريب العميق، دون نظر لقرابة أو مكانة خاصّة من البيت الأموي[3].

المهمّ عند معاوية ومن تابعه أن تسير الأمور، وكيف تسير؟ إنّها تسير بالرجال فهم أداة الحكم فلينتخب إذا رجاله من الكبار الأكفاء، ممن يشابهونه في قدرته وكفاءته، وليخترهم بدقة وليسلّمهم الأمر، وهذا ما فعله فسلم زياد العراق، فمعاوية يبحث بذلك عن شبيه له بين الولاة ممن يفهمون سياسة وعقليته ويجاورونه بها، و لابأس أن يتشدد بعضهم أكثر منه، وأن يتساهل البعض الآخر –كالمغيرة بن شعبة– أكثر منه، لكن الأصل فيهم أن يُعملوا للسان والفكر بدل السنان[4].

فمهمة توطيد سلطان معاوية في العراق بعد إخضاعها قد تركها لولّاته في الكوفة والبصرة، والروايات التي وصلت إلينا توجه إهتماما إلى هؤلاء الولاة دون غيرهم، وهي تقص علينا أخبار المغيرة بن شعبة وزياد بن أبيه، أكثر مما تقصّ علينا أخبار معاوية نفسه[5].

لقد وضع زياد نظاما إداريّا دقيقا ساعده على تحقيق سياسيته ونظم به أحوال الرعية، فقد حوّل التقسيم القبلي في كلٍّ من البصرة والكوفة وخراسان إلى تقسيم إداريّ، فقد قسم جند البصرة إلى خمسة

---

(1) _ محمد خوجلي : الرّقابة الإدارية، ص231.

(2) _ المرجع نفسه ، ص244.

(3) _ نجدة خماش : الإدارة، ص119، 120.

(4) _ يوسف العش: المرجع السابق، 143، رياض عيسى: الحزبية السياسية، ص114.

(5) _ فلهوزن : تاريخ الدولة العربية، ص107.

أقسام، وقسم جند الكوفة إلى أربعة أقسام إدارية، وشكّل كل قسم من قبائل مختلفة، وعيّن عليه رئيسا من قِبله ويخضع له مباشرة، واستطاع بهذا النظام أن ييسر لنفسه حكم العراق والمشرق وأن يُديرها بأهلها[1].

وبعد مقتل ابن الزبير وانفراد عبد الملك بن مروان بالخلافة، أسندوا الولايات في الأقاليم إلى ولاة يتوفر فيهم-بالإضافة إلى الكفاية بأبعادها المختلفة- الولاء لبني أميّة، وهذا يظهر واضحا في الولاة الذين اختارهم عبد الملك لولاية مكة والمدنية، ولكن ولاية الموالي كانت تقتصر على سياسة الرعية، وتوفير الأمن وحماية النّاس، وكذلك إقامة موسم الحج، أما القضاء وجمع الصدقات فكانت لغيرهم[2].

وجّه عبد الملك بن مروان إهتماما خاصّا بإدارة شؤون الدولة، وتمثّل ذلك في التّحول عما كان قبله في العصر الراشدي ثم السفياني إلى إطار المؤسسات الإدارية، وسارت إصلاحاته في اتجاهين: تطوير الجهاز الإداري وتنشيطه، وتعريب الإدارة والنقد[3]، ورغم هذا كله كان متّبِعا لأسلوب معاوية في اختيار الولاة، كما فعل مع الحجاج وتعينه على العراق، لأنّه وجده أقدر للناس، وأقواهم على قمع الفتن ضد الدولة وتوحيد سلطانها، وتنفيذا لذلك فقد عيّن ابنه سليمان على فلسطين وعبد الله على حمص، وعثمان بن مروان[4] على الأردن[5].

أمّا قادة الجبهة الشرقية فكانوا تابعين من الناحية الإدارية إلى والي العراق، الذي كان المسؤول الأوّل عن عملياتهم وحركاتهم العسكرية، وتوفير الإمدادات اللّازمة لهم، وكان عمل العراق أو بعبارة أخرى المناطق التي تتبعه من الناحية الإدارية تشمل الأهواز وفارس وكرمان والهند والسند وسجستان وطربستان وجرجان، ولكن هذه الأماكن لم تكن تتبع كلّ ولاة العراق في العصر الأموي، بل أُضيفيت بالتدرج إلى أعمالهم ولاسيما في عهد الحجاج، حيث ضمّ إليه عبد الملك خراسان وسجستان سنة 78 هـ إضافة إلى المناطق الشرقيّة الأخرى التي لحقت بالدّولة الأموية نتيجة الفتوح التي تمت في عهده[6]، وكذا الحال بالنسبة لمصر والمغرب الذي غلب على ولّاتها طابع الرجل العسكري أكثر منه الرجل السياسي، خاصة بلاد المغرب[7].

---

(1) _ محمد خوجلي: المرجع السابق، ص245.

(2) _ عبد الله فراج : مرويات خلافة عبد الملك، ص308.

(3) _ المرجع نفسه، ص314.

(4) _ عثمان بن مروان بن الحكم، أمة أم إبان بنت عثمان بن أبي العاص أخو داود وعبيد الله وإبان . ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج40.، ص 32، 33، ج17، ص120.

(5) _ أحمد إسماعيل علي: المرجع السابق، ص188.

(6) _ عبد الواحد ذنون طه: مواقف ودراسات، 267.

(7) _ انظر الفصل الثّاني من الباب الرّابع.

لذا فإنّه في اعتقادنا أنّ نجاح ولاة بني أمية في ولاياتهم إنما يرجع إلى حسن اختيارهم في المقام الأول، كما يرجع إلى الحرية التي أتاحها لهم الخلفاء في التصرف في ولاياتهم مع رقابتهم وتوجيههم، إضافة إلى ما يرَونه في سياسته الخلفاء من سلوك[1].

وليست مصادفة أن يرتبط التّجديد في رُبوع الدولة بالخليفة عبد الملك بن مروان لأنه كان تعبيرا عن تاريخيّة عميقة، ومقياسا لقدراته المرتبطة بجذرية العلاقة الواقعية الثقافية له، وقدراته التّي أهّلته للنّهوض في زمن احتدام التناقضات السياسية في الدولة، والمستندة إلى الأخبار المتوافرة في المصادر الثّقافية والتاريخية خاصة، والتي تقدّم لنا الشواهد لما وصلت إليه الدولة من الإنهيار بحيث شكّلت ضروريات تاريخية لثورة تجديد كيفًا ونوعًا، تحقيقا لتغيير واقع أليم، يقوم على أساس التّعارض والتناقض بين الواقع والأمل، الأمر الذي جعل المواجهة التاريخية والتي قام بها عبد الملك بن مروان ضرورة حتمية لتحقيق إستراتيجية الدولة، الأمر الذي دفع عملية التجديد في مجالات عدة وغير محدودة[2].

ولا عجب فعن طريق القادة والولّاة الأمويّين دخلت الدولة في عهد الوليد حالة استقرار ونظام وتحرر إداري، تمخّض عنه تعريب النقود والدّواوين، وأُخذت الوظائف الكبرى من النّصارى وبلغت الفتوحات أقصى اتّساعها، وظهرت أُبّهة الملك والسلطان، ومالت الدّولة إلى إقامة الأعمال العظيمة تخليدا للذكر وإشادة بالفخر[3].

---

[1] _ محمد خوجلي : المرجع السابق، ص257.

[2] _شحاذة الناطور : المرجع السابق، ص257.

[3] _ محمد خوجلي : المرجع السابق، ص261.

الفصل الأول:

الرّسائل المتعلّقة ببيان منهجهم الإداري و سياستهم للرّعية وتوجيه الولاة ومراقبتهم في أعمالهم وعمّالهم

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أوّلا– الــرسائل المتعلّقة بممارسة الرّقابة على الولّاة والعمّال وتوجيههم:

-رسالة معاوية إلى زياد يحاسبه على أموال بلاد فارس:

-218 -

[رسالة معاوية]: عن الجارود بن أبي سمرة قال: لمّا مات عليّ وتولّى معاوية كان زياد بفارس، فكتب إليه معاوية:

«إنّ في يديك مالًا فأدِّ مال الله، وقد وُلّيت ولاية، فأدّ ما عندك من المال.

[ردّ زياد]: فكتب إليه زياد:

إنه لم يبقَ عندي شيء من المال، وقد صرفتُ ما كان عندي في وجهه، واستودعت بعضه قوما لنازلة إن نزلتُ وحملتُ ما فضل إلى أمير المؤمنين» [1].

رواية أخرى لما سبق

-218-أ-

قال مسلمة بن محارب: لمّا تولّى معاوية الخلافة كان زياد بفارس ومعه أموالها، فكتب إليه معاوية[2]:

«علامَ تُهلك نفسك؟ [أقبل][3] إليَّ فأعلِمني عِلم ماصار إليك مما اجتبيت من الأموال وما خرج من يدك، وما بقي عندك وأنت آمن ،فإن أحببتَ المُقام عندنا أقمت، وإن أحببتَ أن ترجع إلى مأمنك رجعتَ » [4].

- رسالة ثانية من معاوية إلى زياد ليُقبل عليه ويحاسبه على ولايته:

-219 -

عن الجارود بن بن أبي سبرة قال: كتب زياد إلى معاوية: «إنّه لم يبقَ عندي شيء من المال، وقد صرفت ما عندي في وجهه واستودعت بعضه قوما لنازلة إن نزلت، وحملت ما فضل إلى أمير المؤمنين،

---

[1] _ تاريخ الطبري: الرّواية الأولى ج5، ص168، ابن الأثير: الكامل، ج2، ص279، محمد ماهر: المرجع السابق، ص157.

[2] _ كان ذلك سنة 42 هـ كما أوردها الطبري.

[3] _ إضافة من ابن الجوزي وعند الطّبري ناقصة.

[4] _ الطبري: المصدر السابق، الرّواية الثانية ، ج5، ص178، ابن الجوزي: المنتظم، ج5، ص195. محمد ماهر: الوثائق، ص156، 157.

فكتب اليه معاوية:

أن أقبِل إليَّ ننظر فيما وُلّيت وجرى على يديك، فإن استقام بيننا أمرٌ فهو ذاك، وإلّا رجعت إلى مأمنك» [1]، فلم يأته زياد فترك معاوية أمره وعفى عنه[2].

رواية أخرى لما سبق

-219-أ

أما ابن كثير فقال باختلاف عمّا سبق : كتب معاوية إلى زياد:

«ما يحملُك على أن تُهلك نفسك أقدِم عليَّ فأخبرني بما صار إليك من أموال فارس وما صرفت منها، وما بقي عندك فأتني به، وأنت آمن، فإن شِئت أن تقيم عندنا فعلت، وإلا ذهبت حيث ما شئت من الأرض فأنت آمن»[3].

- رسالة معاوية إلى المغيرة بن شعبة لينظُر في أموال زياد:

-220 -

[رسالة معاوية] عن مسلمة بن محارب قال: «كان عبد الرحمن بن أبي بكرة يلي ما كان لزياد بالبصرة، فبلغ معاوية أن لزياد أموالا عند عبد الرحمن، فخاف زياد، فكتب إلى عبد الرحمن يأمره بإحرازها، **وبعث معاوية إلى المغيرة بن شعبة لينظُر في أموال زياد»**

[ردّ المغيرة]«فقدم المغيرة بن شعبة، فأخذ عبد الرحمن، وقال له لئن كان أساء إليَّ أبوك لقد أحسن زياد[4] ، وكتب إلى معاوية :إنّي لم أصب في يد عبد الرحمن شيئا يحلُّ لي أخذه» [5].

بهذه السّياسية سار معاوية في محاسبة العمال والولاة، ولم يترك مال الأمّة هملا، فإدارته قائمة على المحاسبة والحزم، وبهذا ملك الرّعية، إذ لو فرَّط فيها لسابت الأمور، وقد قال عبد الملك لابنه الوليد: «يابنيّ

---

[1] _ الطبري : المصدر السابق، ج5، ص168.ابن الأثير: الكامل، ج2، ص279، أحمد زكي: جمهرة رسائل، ج2، ص29.

[2] _ الطبري : المصدر السابق، ج5، ص168.

[3] _ البداية والنهاية، ج8، ص21.

[4] _ ذلك أنّ أبا بكرة شهد على المغيرة بالزّنا ، هو ونافع بن الحارث وشبل بن معبد ، فجلده عمر حدّ القذف . ابن عساكر : تاريخ دمشق ، ج 60 ، ص 33 ، ابن الأثير: أسد الغابة ، ص 541 ، 1290.

[5] _ الطبري : المصدر السابق ، ج5، ص176.

إعلم أنه ليس بين السلطا وبين أن يملك الرعيّته أو تملكه إلا حزم أو توانٍ» [1].

-رسالة معاوية إلى المغيرة في إتيان الحجاز:

- 221 -

[رسالة معاوية] قال مسلمة: «أراد المغيرة أن يبلو ماعند معاوية، فكتب إليه يسأله أن يأذن له في إتيان الحجاز أو المصير إليه، فكتب إليه معاوية:

إن شئتَ فأْتِ الحجاز ، وإن شئت فصِر إلينا، فإنّك كما قال الأول:

اخترْ لنفسك مابدا لك راشدًا ودع الخداع فقد كفاك الأوّلُ» [2].

لم توضّح لنا الرواية مقصد المغيرة من هذه الرّسالة، ولماذا ابتلى معاوية، وبأيِّ شيء، ولعله أراد أن يختبر معاوية في ذلك ليعرف مكانته عنده، وما سيُكافأ به لقاء خدماته لمعاوية والوقوف إلى صفّه ، أو لعل ذلك كان تمهيدا لطلب الإعتزال الذي طرحه على معاوية فيما بعد[3].

[ردّ المغيرة]: لمّا وصل كتاب معاوية إلى المغيرة كتب جوابه:

«إنّ الذي يرجُو سِقاطك والذي سَمَكَ[4] السماء مكانها لمضَلَّلُ

أجعلتَ ما أُلقي إليك خديعـــة حاشا الإله وترك ظنك أجمـــلُ» [5]

- رسالة معاوية إلى زياد يرشده إلى كيفيّة معاملة النّاس:

- 222 -

قال أبو حيّان التّوحيدي : كتب معاوية إلى زياد لمّا ولّاه العراق:

« ليكن حُبّك وبغضك قصداً، فإن الغِرّة [6]كامنة، واجعل للرّجوع والنّزوع بقية في قلبك،

---

[1] _ ابن الأزرق: بدائع السلك، ج1، ص272.

[2] _ البلاذري: أنساب، ج5، ص96.

[3] _ تاريخ الطبري، ج5، ص331 وانظر الفصل الثاني من هذا الباب.

[4] _ سمك السماء: نقول السماء مسموكة أي مرفوعة كالسَّمْك، وسمْك البيت سقفه وأعلاه. لسان العرب، مج3، ص2099، 2100، مادة سمك.

[5] _ البلاذري: أنساب، ج5، ص96 .

[6] _من الغرر وهي الخديعة. لسان العرب، مج 5 ، ص3236 ، مادة غرر.

واحذر صولة الإنهماك فإنها تؤدّي إلى الهــلاك»[1].

- رسالة معاوية إلى زياد يوصيه بالصّبر على أذى بعض رجال قريش:

-223 -

عن داود بن عبد الرحمن «أنّ زيادا كتب إلى معاوية: إنّي أشكو إليك ما ألقى من سفهاء قريش، فكتب إليه:

كتبتَ تشكو ما تَلقى من سفهاء قريش، فاصبر فإنّ حُلماءها صبروا عليك حتى وضعوك بهذا الموضع» [2].

وهذا درس آخر من دروس الحِلم يعلّمه معاوية لزياد، فمعاوية رجل الحلم والتّروي كان على علم بأنّ زياد في نفسه شيء من العنف يود إظهاره وينتظر منه الضوء الأخضر ولكن الأمور جرت بخلاف ما أراد زياد، كيف لا وزياد من أوّل قدوم له إلى البصرة أعلنها صرخة مدوية في خطبته البتراء، فقال: «...والله لآخُذنّ المُقبل بالمدبِر، والمحسن بالمسيء والمطيع بالعاصي، حتى يلقى الرجل منكم أخاه، فيقول: يا سعد أنجُ فقد هلك سعيد» [3].

- رسالة معاوية إلى زياد حين سمى في كتابه:

- 224 -

عن ابن أبي عروبة[4] قال: «أملى زياد على كاتبه كتابا إلى معاوية وسمها زياد، قال: هذا الرجل عمران بن الفصل البُرجمي[5] فكتب الكاتب، فلمّا وصل الكتاب إلى معاوية كتب إلى زياد:

ذكرتَ في كتابك عمران بن الفضل. ولم تذكر لهذا الكلام ما يتّصل به.

فسأل الكاتب فقال: أنت أمليتَه، قال زياد: حديث نفسٍ فلا تكتبوا كتابا إلّا جعلتم له نسخة،

---

[1] _البصائر والذّخائر ، ج5 ، ص 195 .

[2] _البلاذري: أنساب، ج5، ص284.

[3] _ أبو علي القالي: الأمالي، ج5، ص284 وقد أورد الخطبة كاملة.

[4] _ هو سعيد بن أبي عروبة الإمام الحافظ عالم أهل البصرة وأول من صنف السّنن النبوية، أبو النضر بن مهران العدوي قيل أنه كان قدَريا، توفي سنة 156 هـ وكان أحفظ أصحاب قتادة. الذهبي: سير، ج6، ص413، 417.

[5] _ عمران بن الفضل البرجمي: استعمله عثمان على سجستان ، خرج على عليّ بعدها ، وأغار سنة 36 هـ على سجستان فصالحهم صاحب زرنج. تاريخ خليفة، 109، 121، الكلاعي: الإكتفاء ، ج4 ، ص 374.

وكان أوّل من وضع النّسخ» [1].

- رسالة معاوية إلى زياد يسألُه عن عمّا له :

-225 -

[رسالة معاوية]: قال المدائني: سأل معاوية عن عمال زياد في الأقاليم، فذكروا جميعا من بني الحارث بن كعب[2]، «فكتب معاوية إلى زياد:

رأيتُ جُلّ عمالك من بني الحارث بن كعب [3].

[جواب زياد]: فكتب إليه زياد: وجدتُّ فيهم خُلتين لو كانتا في الزّنج لوليتهم معهما الأمانة والكفاية» [4].

وبهذا لم يتوانَ معاوية عن تعهد ولاته وعمّاله ليبقي الأمور تحت عينه ورقابته، ولا تخفى عنه أمور الأقاليم، والواقع أنّ معاوية حقق أهدافا بعيدة الصّيْت، وأصبح حكمه مَثلا ومرجعا لمن جاء بعده من الحكام، ومن له صلة بسياسة الناس، وقد حاولنا حصر هذه الأهداف والمنجزات التي جاءت في نصوص رسائله وقمنا بعرضها.

- رسالة من معاوية إلى زياد يأمره بشيء يكرهه النّاس:

-226 -

عن الهيثم بن عدي قال:«**كتب معاوية إلى زياد في أمر من الأمور يكرهُه النّاس**.

فقال زياد: إن شاء معاوية أن يُعصى عصي، وأغلظ للرسول ورده أعنف ردّ، فلما قدم على معاوية قال له: أنا أخبرك بما كان، دخلتَ على ألين الناس جانبا وأغلظهم كلاما، قال والله ما أخطأت»[5].

هذا ما جاء في الرواية التي لم تذكر ما كتب به معاوية إلى زياد، والثّابت أنه كتب إليه بأمر يكرهه أهل العراق وزياد أدرى بذلك فأبى إمضاءه وتنفيذه، وبذا كان الولّاة يُحجمون عن تنفيذ أوامر الخليفة إذا اقتضت المصلحة ذلك، والخليفة من جانبه يتفهّم ذلك، لأن الحاضر يرى مالا يرى الغائب، لكن السؤال

---

[1] _ تاريخ دمشق، ج19، ص196.

[2] _بنو الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر، وهم من الأزد اليمنيّة . ابن حزم: جمهرة أنساب، ص376.

[3] _ قال الأحنف لمعاوية حين سأله عن عمال زياد: الربيع بن زياد على خراسان وقطن بن عبد الله على أذربيجان وشريك بن الأعور على فارس وكرمان، وكثير بن شهاب على الري، والسري بن وقاص على أعمال الكوفة، وزياد بن النضر على أصبهان. البلاذري: أنساب، ج5، ص166.

[4] _ المصدر نفسه، ص166.

[5] _ المصدر نفسه، ص223 .

المطروح هنا هو ما حاجة زياد إلى أن يرد على معاوية بجواب غليظ ورد عنيف؟

-ردّ معاوية على زياد ليختار رجلا ينوب عنه:

-227-

قال المدائني: «كتب زياد إلى معاوية بن أبي سفيان: إنّ الأنفس يُغدي عليها ويراح وأخاف أن يحدث بي حدث، ولا أجد أحدا أولّيه ما قِبلي، فإن رأى أمير المؤمنين أن يوجّه إلي رجلا من قريش له بيت وموضع ودين، فيكون عندي، فإن حدث بي حدث وليتُه، فكتب إليه:

سمِّ لي رجلًا، فسمى له عبد الله بن خالد[1]، فوجّهه إليه فولاه أردشير خرة[2] وزوّج ابنته أمية[3] بن عبد الله» [4].

- رسالة معاوية إلى عمرو بن العاص بالقُدوم عليه لمحاسبته:

-228 -

لمّا ولّى معاوية عمرو بن العاص مصر ولّاه إياها طُعمة[5] ومكافأة، وكتبا بينهما: لا تنقض طاعة شرطا، بعدما أراد معاوية أن يكتب لا ينقض شرط طاعة[6].

قال عبد الله بن المبارك: « فلم يحمل عمرو منها شيئا، فكان أهل معاوية يسألونه أن يكتب إلى عمرو في هدايا مصر، فيقول عمرو جَمُوح[7] طموح منوع، فأعفوني من الكتاب إليه واكتبوا أنتم ، فكانوا يكتبون إليه فلا يبعث إليهم بشيء.

---

[1] _ هو عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص، بن أمية أمه ريطة بنت عبد الله بن خزاعي بن الحويرث، ولاه زياد الكوفة، ثم عزله معاوية بعد موت زياد وولاها الضحاك بن قيس الفهري. تاريخ خليفة، ص134، ابن حبان: الثقات، ج5، ص8.

[2] _ أرد شير خرة: نسبة إلى أرد شير ملك الفرس، وهي من أجل كور فارس، ومنها مدينة شيراز وجور وخبر. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص146.

[3] _ أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد القرشي الأموي، أحد الأشراف، ولي إمره خراسان لعبد الملك بعد بكير بن وشاح الصريمي، توفي بالطاعون سنة 87 هـ وقيل 86 . تاريخ خليفة، ص187. البستي: مشاهير علماء الأمصار، ص 116 الذهبي: سير أعلام، ج4، ص272.

[4] _ البلاذري: أنساب، الرواية الأولى، ج5، ص289، 290. وعنده أيضا عن خالد بن أبي عثمان كتب له: "**اختر من شئت**"، ج6، ص74، 75.

[5] _ يقال جعل السلطان ناحية كذا طعمة لفلان أي مأكلة له، يريد ماكان له من الفيء والخراج وغيره، فيتصرّف في الوارد بعد أخذ حقّه فينفق على مصالح مصر ولا يرفع منه شيئا إلى دمشق. لسان العرب، مج4، ص2674، مادة طعم.

[6] _ البلاذري: أنساب، ج5، ص104.

[7] _ الجموح من الرجال هو الذي يركب هواه فلا يمكن ردّه. لسان العرب، مج1، ص672، مادة جمح.

فقالوا لمعاوية إعزله ،فقال: أمّا عزله فلا ولكنّي أروّعه بالقدوم، فإنّه شبيه بالعزل له ،

فكتب إليه فقدِم.

فقال معاوية: يا عمرو بلغني أنّك تقوم على منبر مصر فتذكر بلاءك بصفين، فإن كان ذلك لله فأجرك عليه، وإن كان للدنيا فقد أعظمنا مكافأتك، فهل علمت أنّك قد نقضت شرطك لردّك كتبي؟ قال: ما رددت لك كتابا أعلم أنّه منك، ولكنّه كانت تأتيني كتب على لسانك، فأمّا قيامي على المنبر فلم أُرد به منأً عليك، وأمّا قولك إنّي أعظمت مكافأتك بمصر فعليها بايعتُك قال: انصرف إلى رِحلك...وما أعطيتُك مصر إلّا لأنفعك فارجع إلى عملك» [1].

إنّ الشّرط الذّي تولّى به عمرو بن العاص مصر هوالذي دفع معاوية إلى أن يترك له الحرية في إدارة مصر وشؤونها وأموالها في إطار اللّامركزية الإدارية والمالية، فتعامل معه بليونة ورفع عنه كلّ القيود ، فكان يتصرف في إمارته تصرّفا مستقلّا ، فيعيّن من يشاء لخدمته، ويجبي الأموال فينفق منها على إقليمه، وفيما تقتضيه المصلحة.

لقد حكم مصر على أُسس النظام الإداري اللّامركزي، فجُعلت له مصر طعمة، وظل صاحب السلطان الأعلى في البلاد، عمل طوال حكمه على تنظيم أحوالها، بما عُرف عنه من خبرة عميقة، وسابقة بشؤون البلاد، فكان اهتمامه مصروفا بكليته إلى ما يحقّق الإزدهار في البلاد، كما عادت مصر قاعدة للفتوح الإسلامية في ميدان شمال إفريقية[2].

- رسالة معاوية إلى أخيه عتبة واليي مصر يأمره أن ينتبه للذّين يعيبون الولّاة:

-229 -

قال ابن عبد ربه: «قدم كتاب معاوية إلى عتبة[3] بمصر:

إنّ قِبَلك قوما يَطعنون على الولاة ويَعيبون على السَّلف» [4].

يظهر أنّ معاوية أمره بمعاقبة هؤلاء أو على الأقلّ صدهم عن أقوالهم وتكميم أفواههم، فلما وصل

---

[1] _ البلاذري : أنساب، ج5، ص103، 104.

[2] _ نجده خماش : الإدارة، ص115.

[3] _ عتبة بن صخر بن أبي سفيان بن حرب بن أمية أبو الوليد الأموي، أدرك عثمان عفان وشهد معه يوم الدار، ولي المدينة والطائف ومصر والموسم لأخيه معاوية غير مرة، عزله معاوية وولى بعده على مصر عبد الرحمن بن أم الحكم، توفي بالإسكندرية سنة 44 هـ .ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج38، ص262-273..

[4] _ العقد الفريد، ج4، ص225 .

الكتاب خطب فيهم عتبة وقال: «يا أهل مصر خَفَّ على ألسنتكم مدح الحق ولاتفعلونه، وذم الباطل وأنتم تأتونه، كالحمار يحمل أسفارا أثقله حملها، ولم ينفعه ثقلها، وأيم الله لا أداويكم بالسّيف ما صلحتم على السوط، ولا أبلغ السوط ما كفتني الدِّرة[1]. ولا أبطئ عن الأولى ما لم تسرعوا إلى الأخرى فالزموا ما أمركم الله به، تستوجبوا ما فرض الله لكم علينا، وإيّاكم وقال ويقول قبل أن يقال فعل ويفعل، وكونوا خير قوس سهما، فهذا اليوم الذي ليس قبله عقاب ولا بعد عتاب» [2].

إنّ الإدارة الأموية وهيئاتها المنظمة بمؤسساتها كانت تقوم كلها تحت إشراف السلطة ورعايتها، فأتاح ذلك خلق أحزاب متباينة أصلا وفعلا وأوضاعا، حيث كانت هذه الإدارة والقائمون عليها تقف من المعارضة موقف العنف والشدة، إذ كانت تعتبر ذلك بالنسبة لها ولسلطتها مسألة مصيريّة[3].

- ردّ يزيد على عبد الرحمن بن زياد يوجّه عمله:

-230-

جاء في توقيعات يزيد بن معاوية: «ووقّع إلى عبد الرحمن بن زياد[4] وهو عامله على خراسان:

القرابة واشِجة[5] والأفعال متباينة فخذ لرحمك من فعلك» [6]

هذا ما جاء في المصدر الذي لم يذكر رسالة عبد الرحمن إلى يزيد، ولا مضمونها، والسبب الذي دفع يزيد إلى أن يكتب بما كتب، والظاهر من خلال التوقيع أن يزيد ذكّر عبد الرّحمان بن زياد بقرابته، وطلب منه أن يعمل بما يخدم مصلحة الخليفة والبيت الأمويّ عموما.

- رسالة عبد الملك إلى أخيه بشر يأمره أن يجهّز عمرو بن عبيد بما يريد:

- 231 -

بعد مقتل مصعب تولى خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد البصرة، فوجّه أخاه أمية بن عبد الله

---

[1] _ الدّرة بالكسر هي التي يضرب بها السلطان. لسان العرب، مج2، ص1358، مادة درر.

[2] _ابن عبد ربه: المصدر السابق، ج4، ص225.

[3] _ أحمد إسماعيل علي: تاريخ بلاد الشام، ص324.

[4] _ عبد الرحمن بن زياد بن عبيد أخو عبيد الله وسالم وعباد أحد الأجواد، قدم على معاوية فولّاة خراسان، ثم وفد على يزيد بن معاوية ، أقام سنتين بخراسان سنة 59 هـ 60 هـ، ثم عزله يزيد وولى سلم بن زياد . ابن عساكر: المصدر السابق، ج34، ص342-344.

[5] _ أي متّصلة وقد سبق شرحها.

[6] _ ابن عبد ربه: المصدر السابق ، ج 4، ص 289.

سنة 73 هـ إلى أبي فديك الخارجي[1]، فانهزم أميّة وكرّ راجعا.

قال أبو الحسن المدائني:« بلغ عبد الملك أمر أمية بن عبد الله، فقال لعمر بن عبيد الله[2] بن معمر بن عثمان التّميمي- وهو عنده- اكفِني أبا فديك.

فقال: لا يمكنني، فقال عبد الملك: والله لتسيرنّ إليه.

قال: والله لا أفعل، قال: فارفع حسابك لفارس وصحّحه، قال نعم، وقام فاتبعه روح بن زنباع الجذامي فقال: يا أبا حفص تردّ على أمير المؤمنين، ويقسم فتقسم، قال يا أبا زرعة إنّ أخاه بشرا بالكوفة وابن عمة خالد بن عبد الله بالبصرة، وهما حائلان بيني وبين ما أريد من النّخبة، وأن يندبا معي إلا ضعَفه الناس، من لا يحامي على دين ولا حسب، فإن صبرتُ قُتلتُ ضيعة، وإن انحزت افتضحت، فرجع روح إلى عبد الملك بقول عمر، فأرسل إليه عبد الملك فردّه، وقال: يا أبا حفص لو رأيتَ بين عيني أمير المؤمنين وتدا، أما كنت نازعه، وواقيا أمير المؤمنين مكرُوهة؟ قال: بلى والله...قال: فإنّ أبا فديك وتدٌ بين عينيّ، فاكفني أمره، قال: نعم إن أعفيتني من عنَت بشر وخالد قال: فليس لأحد عليك سلطان في بلد تنزله، وليس لك أن تصلى بالناس، ولا تجبي الخراج وأنت مسلّط على الدواوين، فانتخب من شئت وكم شئت **وكتب له بذلك إلى بِشر**.

فسار حتى قدم الكوفة على بشر، فأكرمه وأقعده على السرير، وقال والله لو لم يكتب إلى أمير المؤمنين بما كتب فيه لقويت، فهذه الدواوين فانتخب من شئت، وهذا المال فأعطهم، فانتخَب من كل رِبع ألفين وأعطاهم أعطياتهم، فلم يكلّمه بشر في تخليف أحد، وقال لهم سيروا إلى البصرة» [3].

- رسالة عبد الملك إلى الحجّاج في الرّفق بأهل المدينة:

-232 -

قال الواقدي: «لمّا خرج الحجاج من المدينة بعد قتل ابن الزبير قال: الحمد لله الذي أخرجني من أمّ نتَن أهلها أخبثُ أهلٍ، أغَشُّه لأمير المؤمنين، وأحسده على نعمته **والله لولا ما كان يأتيني من كتب أمير**

---

[1] _ هو عبد الله بن ثور بن قيس بن ثعلبة، ثائر من الحرورية، كان من أتباع نافع بن الأزرق، ثم تولى الخوارج في إمره ابن الزبير، ثار بالبحرين سنة 72، فندب عبد الملك الناس لقتاله، وولى عليهم مروان بن عمر، فقتل مع ستة آلاف من أصحابه سنة 73هـ . تاريخ خليفة، ص188.الزركلي: الأعلام، ج4، ص72.

[2] _ هو عمر بن عبيد الله بن معمر بن عثمان بن عمرو بن كعب أبو حفص القريشي التميمي، أحد وجوه قريش وكرمائها كان جودا ولي فتوحا كثيرة، وولى البصرة لعبد الله بن الزبير، وقدم على عبد الملك إلى دمشق، كان مولده سنة 13 هـ ، وبعثه عبد الملك سنة 74 لقتال أبي فديك.مات سنة 82هـ . تاريخ خليفة، ص188، ابن عساكر، المصدر السابق، ج45، ص286-296.

[3] _ أنساب الأشراف، ج7، ص449-452.

المؤمنين فيهم لجعلتها مثل جوف الحمار، أعواد يعوذون بها، ورِمّة[1] قد بليت، يقولون منبر رسول الله وقبر رسول الله» [2].

هذه هي قسوة الحجّاج التّي جسّدهافي حكمه ولم يراعي زمانا ولا مكانا ، صحيح أنّ السياسية تتطلب منه أن يضبط أموره بشتّى السبل، لكن ماذا لو ترك له عبد ملك حرية التصرف ولم يكتب له؟ ما الذي كان سيفعله؟ ربّما كان سينتهك حرمة المدينة، ويفعل بها أكثر مما فعل مسرف يوم الحرة، لذلك لم يشأ عبد الملك أن يفتح على نفسه الأقاويل، ويخلّد التاريخ اسمه بأسوأ ما يخلّد به خليفة أو ملك، خاصة وأنّه قريب عهد بيزيد الذي لازال يُعيّر ويُذم بصنيعه يوم الحرة، ونشير هنا أن الرواية لم تذكر كتب عبد الملك للحجاج والظاهر كما ذكرنا أنّها كتب يوصيه فيها بأهل المدينة خيرا وينصحه بتعهدهم وعدم أذيّتهم بسبب ما ذكرنا خاصة وأن فيها خيار التابعين والصّحابة، فلمّا سمع جابر بن عبد الله قول الحجاج قال: «إنّ وراءه ما يسوءه، وقد قال فرعون مثل ما قال، فأخذه الله بعد أن أنظره» [3].

- رسالة عبد الملك إلى الحجّاج يوجّهه في عمله :

- 233 -

قال أبو حيّان التّوحيدي :كتب عبد الملك إلى الحجاج:

«أرهِب أهل الخيانة ، وأرغِب أهل الأمانة، فإنّ البريء إذا لم يأمن العقوبة وخاف مثل ما يؤتى إلى أهل الخيانة، طأطأ ركضاً في السّرقة»[4].

- رسالة عبد الملك إلى الحجاج يعاتبه في أمر سرّي فشا:

-234 -

قال عوانة: «كتب عبد الملك إلى الحجّاج في أمر استشاره فيه واستكتمه إيّاه، فانتشر وبلغ عبد الملك ذلك، **فكتب إليه كتابا عاتبة فيه،** وتمثّل بهذين البيتين في كتابه:

---

[1] _ الرمّة هي قطعة من الحبل بالية، والجمع رمم ورمام، وتعنى أيضا الحبل الذي يُشد به الأسير. لسان العرب، مج3، ص1736، مادة رمم.

[2] _ البلاذري : أنساب، ج7، ص136، النويري: نهاية الإرب، ج21، ص89.

[3] _ البلاذري : أنساب، ج7، ص136، النويري: المصدر السابق، ج21، ص89.

[4] _ البصائر والذّخائر ، ج9 ، ص94.

ألم ترَ أنّ وُشاة[1] الرّجال لا يتركون أديمًا[2] صحيحا

فلا تُفشِ سرّك إلا إليـك فإنّ لكلّ نصيحٍ نصيـــحا» [3].

فعلى الرغم من حرص الحجاج الشّديد على ضبط الأمن والإدارة القوية، فإنّنا هنا نعثر على ما يشير إلى أنّ بعض أسرار الدولة كان من الممكن أن تتسرب، وتنتشر بين الناس، فقد كتب إليه عبد الملك يعاتبه إثر تفشي أحد الأسرار التي كان قد بعث بها إليه، وقد أظهر التّحقيق الذي قام به الحجاج أنّ إحدى جواريه اطّلعت على كتاب الخليفة فباحت بمافيه، وعلى الرّغم من سلبيته هذا الخبر لكنه يلقي الضوء على حزم الحجاج وإدارته، وكيف استطاع أن يحدد مصدر انتشار الخبر ويعرف نقطة الضعف التي أُتى منها[4].

- رسالة عبد الملك إلى الحجاج في النّساء :

-235 -

عن العتبي عن أبيه «أنّ عبد الملك بن مروان كتب إلى الحجاج:

كيف أنت والنّساء؟ أحريصٌ جاهد أنت، أو مستبق قادر؟وعليك بذوات الدُّل[5]منهن، وقليل ما هُنّ، وكيف لنا بمثل التي يقول فيها يحيى بن الحكم[6]:

هيفاء[7]مقبلةٍ عجـــزَاء[8]مـــــدبـــرة لفّاء[9]غامضة الكعبين مِعطارُ[10]

---

[1] _ يقال وشى كلامه أي كذب والنّمام يشي الكذب. لسان العرب، مج6، ص4847، مادة وشى.

[2] _ الأديم الجلد ماكان، وقيل هو المدبوغ، والأدمة باطن الجلد. لسان العرب، مج1، ص45، مادة أدم.مرتضى الزبيدي: تاج العروس، ج31، ص209، مادة أدم.

[3] _ البلاذري : أنساب، ج7، ص239، ابن عبد ربّه: العقد الفريد ، ج1، ص62.

[4] _ عبد الواحد ذنون طه: العراق في عهد الحجاج، ص146.

[5] _الدّل هو السكينة والوقار في الهئية والمنظر والشّمائل. لسان العرب ، مج2، ص1413، مادة دلل.

[6] _ يحي بن الحكم بن أبي العاص أبو مروان الأموي ، سكن دمشق، وولاه عبد الملك ابن أخيه المدينة ثم حمص، أمه مليكة بنت أوفى بن خارجة، تزوّجت عروة بن الزبير بعد أبيه، كانت ولايته على المدينة تسع سنين، وحجّ بالناس فيها سنتين، وغزا أرض الروم سنة 75هـ .تاريخ خليفة، ص186، 188 ابن عساكر: المصدر السابق، ج64، ص119، 124. وقد ذكر ابن حمدون أبيات مقاربة لهذه نسبها إلى عبد الرّحمان بن الحكم ابن أبي العاص، انظر التّذكرة الحمدونيّة ، ج 5 ، ص315 .

[7] _ هيفاء: من الهيف وهو رقة الخصر وضمور البطن. لسان العرب، ج6، ص4738، مادة هيف.

[8] _ عجزاء: من العجز وهو خلاف الحزم وأعجاز الأمور آخرها. لسان العرب، مج4، ص2817، مادة عجز.

[9] _ لفّاء: أي ملتفة الفخذين مكتنزة. لسان العرب، مج5، ص4054، مادة لفف.

[10] _المعطار: هي التي تتعهّد نفسها بالطيب وتكثر منه، فإذا كان ذلك من عادتها فهي معطار. لسان العرب، مج4، ص2994، مادة عطر.

خودٌ[1]من الخفرات[2]البِيض لم يرَها بساحة الدّار لا بعل ولا جار» [3].

لقد خرج عبد الملك أحيانا عن القواعد الإداريّة والسياسية، فيكتب بهذا ومثله إلى الحجاج وربّما فعل ذلك حتى يجعل علاقته معه أكبر من علاقة مصلحة سياسية بين خليفة ووال، خاصّة ونحن نعلم ما نعلم من مكانة الحجاج عند عبد الملك، فقد كان خادما لبني أمية، مواليا لهم، ووفيا لخلافتهم ودولتهم.

- رسالة عبد الملك إلى الحجّاج ينصحه:

-236 -

قال أبو بكر بن دريد : «كتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج في أيّام ابن الأشعث:

إنّك أعزُّ ما تكون بالله أحوَج ما تكون إليه، [وأذلّ ما تكون للمخلوق أحوَج ما تكون إليهم][4]، فإذا عززت بالله فاعفُ له، فإنّك به تعزُّ وإليه ترجع» [5].

لقد حرص عبد الملك على إيقاظ ضمير الحجاج، وإحياء روح الدّين ومراقبة الله في قلبه، حتى لا يتجاوز حدوده، ويبقى حذِرا عفيفا في جميع أعماله، متذكّرا رقابة الله ورجعته إليه ليحاسبه على كل كبيرة وصغيرة، وهذه الكلمات من عبد الملك تنمّ عن روح ممتلئة بالإيمان أراد أن يمنح لعماله قبسا منه ونورا لتسعد بهم الرعية، وتفلح بهم الدولة.

- كتاب عبد الملك إلى الحجّاج ليصف له الفتنة:

-237 -

[رسالة عبد الملك]: قال المسعودي: «كتب عبد الملك للحجاج:**صِف لي الفتنة.**

[ردّ الحجّاج]: فكتب إليه: الفتنة تشبُّ بالنّجوى وتُحصد بالشكوى، وتنتج بالخطب» [6].

بهذا الوصف الدّقيق البليغ أجاب الحجاج عبد الملك عن سؤاله، وإن دلّ هذا على شيء فإنّما يدل على مدى معرفة الحجاج بالواقع الذي يتولاه، والذي تجرّع فيه مرارة الفتن بشتى أنواعها وأساليبها، ورغم أنّ عبد الملك كان أيضا صاحب تجربة وعلم بالفتن ، لكننا نراه هنا يطرح سؤاله هذا على الحجاج بالذات

---

(1) _ الخود: الفتاة الحسنة الخلق الشّابة، وقيل الجارية النّاعمة، لسان العرب، مج2، ص1284، مادة خود.

(2) _ الخفرات: من الخفر وهو الإجارة والحفظ والمقصود هنا المستترة التي لاتخرج من منزلها. لسان العرب، مج2، ص1210، مادة خفر.

(3) _ ابن عساكر: المصدر السابق، ج64، ص123، 124.ابن منظور: مختصر، ج27، ص227.ولم يذكر المصدر جواب الحجّاج.

(4) _ ما أضيف من البداية والنهاية وفي المجتنى وتاريخ دمشق غير موجود.

(5) _ المجتنى، ص 44، ابن عساكر: المصدر السابق، ج37، ص142. ابن كثير: البداية والنهاية، ج9، ص55.

(6) _ مروج الذهب ، ج3، ص86 .

دون غيره من عمّاله وولاته، ربّما اختبارا منه للحجّاج الذّي وسّد له أمر العراق المليئة بالقلاقل والحروب.

- ردّ عبد الملك على الحجاج لمّا وصف له الفتنة:

-238 -

فردّ عليه عبد الملك: « **إنّك قد أصبتَ وأحسنت الصّفة، فإن أردت أن يستقيم لك من قِبلك فخدهم بالجماعة، وأعطهم عطاء الفُرقة، وألصق بهم الحاجة**» [1].

لقد أظهرت هذه الرواية أنّ عبد الملك أوصى الحجاج بأن يأخذ الناس بالواحد، أي يحاسب الجماعة على ذنب الرجل الواحد ، وأن يبقيهم فقراء حتّى لا يطغوا، فهل حقيقة أنّ عبد الملك أوصى الحجاج بهذا؟ وهل حقيقة أنّه حمّل الجماعة وزر الواحد؟ إنّ هذا الأمر يبقى محل ريب خاصة إذا علمنا أن عبد الملك كان دائما يعاتب الحجاج على إسرافه في القتل والظلم[2].

- رسالة عبد الملك إلى الحجاج يسأله عن أمس واليوم وغد:

-239 -

[رسالة عبد الملك]:قال الأصمعي: «كتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج بن يوسف **يسأله عن أمسِ واليوم وغدٍ،**

[ردّ الحجّاج]: فكتب إليه: أمّا أمس فأجل، وأما اليوم فعمل، وغدا فأمل» [3].

هذا وأشارت رواية ابن عساكر عن داود بن سليمان أنّ خالد بن يزيد هو من أشار على عبد الملك بالكتابة إلى الحجّاج ،ربّما من باب المحاسبة له، والتعهد المستمر لما يقوم به.

- رسالة عبد الملك إلى أبي يعقوب ومحمّد بن عمير يسألهما عن سيرة الحجاج:

-240 -

قال عبد الله بن صالح العجلي: «كتب عبد الملك إلى أبي يعقوب عروة بن المغيرة[4] وإلى محمد بن

---

[1] _ مروج الذهب ، ج3، ص86 ، محمد ماهر: المرجع السابق، ص346.

[2] _ انظر الفصل الأول من الباب الثاني.

[3] _ تاريخ دمشق، الرّواية الأولى، ج12، ص153 ، الرّواية الثانية، ج12، ص153عن داود بن سليمان.

[4] _ هو عروة بن المغيرة بن شعبة أبو يعفور الثقفي، قدم على معاوية واقترح عليه توليه يزيد، وكان خير أهل بيته، مات أبوه سنة 50 هـ بالكوفة، وقد استخلف ابنه عروة عليها.كان شريفا مطاعا لبيبا.توفي سنة بضع وثمانين، وروى السيرة عن والده. ابن عساكر: المصدر السابق، ج40، ص296-301.الذهبي: تاريخ الإسلام، ج3، ص60.

عمير بن عطارد[1]:

إنّكما من سُراة[2] أهل العراق فاكتبا إليَّ بسيرة الحجاج وأمرِه وأصدقاني عنه.

فأمّا محمد بن عمير فأتى الحجاج بالكتاب وقال: أأمرني بأمرك، فكتب إليه بما أملاه الحجاج، وأمّا عروة فكتب: إنّ في الحجاج عجَلة، وإنّ في لسانه ذربا[3]، فبعث عبد الملك بالكتاب إلى الحجاج فدعا بعروة فضربه بالسياط حتى مات وذلك بالكوفة» [4].

لقد كان عبد الملك يشرف على أموره كلها بنفسه، فقد كان مثالا للرّئيس العارف بواجبه لايلهيه عنه شاغل، والذي ينظر إلى عمله في الدولة أو خدمته لها يعرف أنّها الغاية من حياته، فقد كانت تصل إليه الأخبار والرسائل من جميع الأنحاء، ويبعث برسائله وتوجيهاته إلى ولاته وعماله الذين كانوا يرجعون إليه في الأمور الهامة[5].

- رسالة عبد الملك إلى الحجّاج يلومه في سياسته:

-241-

قال ابن عبد ربه: «كان عروة بن الزبير عاملا على اليمن لعبد الملك[6] بن مروان فاتّصل به أن الحجاج مُجمع على مطالبته بالأموال التي بيده وعزله عن عمله، ففر إلى عبد الملك وعاذ به تخوّفا من الحجاج واستِدفاعا لضرره وشرّه، فلمّا بلغ ذلك الحجاج كتب إلى عبد الملك بن مروان: أمّا بعد فإنّ لواذ المعترضين بك وحلول الجانحين إلى المكث بساحتك واستلانتهم دمث[7] أخلاقك وسعة عفوك، وإذا أُدني الناس بالصفح عن الجرائم كان ذلك تمرينا لهم على إضاعة الحقوق مع كل وال، والناس عبيد العصا هم على الشّدة أشد استباقا منهم على اللين، ولنا قِبل عروة بن الزبير مال من مال الله وفي استخراجه منه قطع لطمع غيره، فليبعث به أمير المؤمنين إن رأى وذلك والسلام، فلمّا قرأ الكتاب بعث إلى عروة ثم قال له: إنّ

---

(1) _ محمد بن عمير بن عطارد: هناك الكثير ممن يحمل هذا الإسم انظر ابن عساكر: المصدر السابق، ج55، ص338.والذي يعنينا هنا هو محمد بن عمير بن عطارد بن حاجب الكوفي واسمه زيد بن زرارة.أقام بالشام آخر عمره إلى أن كان كارها لولاية الحجاج ومعارضا له فأمر الحجّاج بقتله. البلاذري: أنساب، ج7، ص389.ابن عساكر، المصدر السابق، ج55، ص38.

(2) _ سراة أي من أصحاب الشرف والمروءة . لسان العرب، مج3، ص2001، مادة سرا.

(3) _ ذرب اللسان حدثه وفُحشه . لسان العرب، مج3، ص1492 ، مادة ذرب.

(4) _ أنساب الأشراف، الرّواية الأولى، ج7، ص404 ، الرّواية الثانية، ص398 عن أبي عبيدة.

(5) _ محمد خوجلي : الرقابة الإدارية، ص250.

(6) _ لا نعتقد بولايته على اليمن انظر تاريخ خليفة، ص186، إذ كان عليها محمد بن يوسف حتى مات عبد الملك .

(7) _ دمث أخلاقك أي سهولتها، ودمث ليّن الموطئ. لسان العرب، مج2، ص1418، مادة دمث.

كتاب الحجاج قدورد فيك وقد أبى إلا إشخاصك إليه...قال فنظر في كتاب الحجاج مرة، ورفع بصره إلى عروة تارة، ثم دعا بدواة وقرطاس فكتب إليه:

أما بعد فإن أمير المؤمنين رآك مع ثقته بنصيحتك خابطا في السّياسية خبط عشواء[1] اللّيل، فإنّ رأيك الذي يسوّل لك أنّ الناس عبيد العصى هو الذي أخرج رجالات العرب إلى الوُثوب عليك، وإذا أحرجت العامة بعُنف السياسية، كانوا أوشك وثوبا عليك عند الفرصة، ثم لايلتفتون إلى ضلال الداعي ولا هُداه، إذا رجوا بذلك إدراك الثّأر منك، وقد ولّيتُ العراق قبلك ساسة[2]وهم يؤمئذ أحمَى أُنوفا، وأقرب من عمياء الجاهلية، وكانوا عليهم أصلح منك عليهم، وللشّدة واللّين أهلون، والإفراط في العفو أفضل من الإفراط في العقوبة والسّلام» [3].

إنّ ما يبعث الشك في هذه الرسالة هو ما ذكره ابن عبد ربه من أن عروة بن الزبير تولّى اليمن لعبد الملك بن مروان وهذا ما لم يحصل فاليمن تولاه محمد بن يوسف الثّقفي أخو الحجاج طوال خلافة عبد الملك بن مروان [4] ، ولم يتولّه عروة، والأمر الثاني إذا كان عروة تولّى اليمن لعبد كما ذكر ابن عبد ربه، فلماذا يحاسبه الحجاج وهو وال بالعراق؟ وما دخل أقليم العراق بإقليم اليمن؟ فلو كان الأمر حصل في ولاية الحجاج على الحجاز لكان أهون، ولكن ما يجعل هذه الرواية بعيدة عن الصحة هو أنّ الحجاج كان واليا على العراق، وهذا ظاهر من رساله عبد الملك وإذا أمكننا قبول هذه الرسالة فلابد أن نحملها على أنّها كانت بعد قتل الحجاج لعبد الله بن الزبير وهروب عروة إلى عبد الملك لـمّا افترى عليه الحجاج بسرقة مال أخيه[5]، ومثل ذلك لم يكن ليحصل من عروة وهو الذّي تفرّغ للعلم ولاهمّ له بالسّياسة والمال ، وإنّما كان ذلك افتراء من الحجّاج عليه.

- ردّ عبد الملك على الحجاج حين استأذنه في قتل أشراف العراق:

-242 -

جاء في توقيعات عبد الملك: «وكتب إليه الحجاج يخبره بسوء أهل العراق، وما يقاسي منهم،

---

[1] _ من عشا أي ضعف البصر، وأصله من الناقة العشواء لأنها لا تبصر ما أمامها، فهي تخبط بيديها. لسان العرب، مج4، ص2960، مادة عشا.

[2] _ قال خليفة بن خياط ولاها عبد الملك حين قتل مصعب خالد بن عبد الله بن خالد أسيد ثم عزله وولى عليها بشر أخاه، فمات واستخلف خالد، فعزله عبد الملك وولى الحجاج. ص186.

[3] _ العقد الفريد، ج5، ص303، 304، محمد ماهر: المرجع السابق، ص353، 354، أحمد زكي، المرجع السابق، ج2، ص212.

[4] _ انظر تاريخ خليفة، ص186.

[5] _ انظر الباب السّادس في الصّراع الأموي الزّبيري رسالة رقم 514.

ويستأذنه في قتل أشرافهم، فوقّع له:

إنّ من يُمنِ[1] السّائس أن يأتلف به المختلفون، ومن شُؤمه أن يختلف به المُؤتلفون» [2].

ومثل ماسبق أوصى عبد الملك الحجّاج بالعفو واللّين وجمع الكلمة، وقد علّمه هنا درسا في السياسية وتطويع الرعية، حتى يحقّق الوحدة والألفة وبالتالي القوة، خاصة في العراق، ذلك الإقليم المضطرب الذي يحتاج فيه إلى وال متمرّس يجمع أكثر ممّا يفرق، فإكرام الأشراف عند عبد الملك سبيل إلى كسب طاعة أُسرهم وقبائلهم.

- رد عبد الملك على كتاب مُتنصّح :

-243 -

جاء في توقيعات عبد الملك: «ووقّع في كتاب متَنصّح[3]: **إن كنت صادقا أثبْناك[4] وإن كنت كاذبا عاقبناك، وإن شئتَ أقَلناك[5]**» [6].

لم تذكر هذه الرواية صاحب الرسالة إلى عبد الملك والظّاهر أنه عامل من عمّاله، باعتبار أن عبد الملك هدّده في رسالته بإقالته من منصبه.

- رسالة الوليد إلى الحجاج يسأله عن سيرته :

-244 -

[رسالة الوليد] قال المدائني: «كتب الوليد إلى الحجاج:

أن صف لي سيرتك» [7].

[رد الحجّاج]: فكتب إليه الحجاج: «إني أيقظتُ رأيي، وأنمْت هواي، فأدنيتُ السّيد المطاع في قومه، ووليت المجرّب الحازم في أمره، وقلّدت الخراج الموفّر لأمانته، وقسمت لكل خصم من نفسي قسما

---

[1] _ اليُمن هو البركة. لسان العرب، مج 6، ص4967،مادة يمن.

[2] _ابن عبد ربه : المصدر السابق، ج4، ص289 .

[3] _ متنصّح أي يعتقد أنه ناصح لك. لسان العرب، مج6، ص4438، مادة نصح.

[4] _ في المحاسن والمساوىء " مقتناك". والمقت هو أشد الإبغاض. لسان العرب، مج6، ص4242، مادة مقت.

[5] _ في المحاسن والمساوىء "وإن استقلتنا أقلناك ".

[6] _ الثعالبي: خاص الخاص، ص128، البيهقي: المحاسن والمساوئ، ص114.

[7] _ابن عبد ربه: المصدر السابق، الرّواية الأولى، ج5، ص295 ، الرّواية الثانية، ج1، ص22، ابن حمدون: التذكرة الحمدونية، ج1، ص311، أحمد زكي: جمهرة رسائل ج2، ص237.

أعطيته حظّا من لطيف عنايتي ونظري ، وصرفت السّيف إلى النّطِف[1] المسيء ، والثّواب إلى المحسن البريء، فخاف المريب صولة العقاب وتمسّك المحسن بحظّة من الثواب» [2].

إنّ جواب الحجّاج يمثّل خطة إدارية سياسته من أرقى الخطط، تتجلى فيها حنكته، ويظهر فيها بكلّ وضوح أن له خبرة وباعا في سياسة الرعيّة وقدرة على تسير إقليمه أحسن تسير، إنها عبارات شافية كافية للوليد بن عبد الملك الذي ما فتئ يتعهد ولّاته ورعيته إحتذاء واقتداء بأبيه عبد الملك، وهذا الأمر ساهم في قيام حكم بني أمية واستمراره [3].

- رسالة الوليد إلى واليه على قنّسرين أن يقدّم ذبيان بن نعيم:

-245 -

قال المدائني: «قدِم ذبيان بن نعيم بن حصين العليمي[4] من كلب على الوليد فقال: يا أمير المؤمنين إنّي قد فرضتُ لنفسي فسلّم ذلك لي، قال: وفي كم؟ قال: في ستّين دينارا، قال: أجزتها لك، ثمّ بعثه إلى عبد العزيز بن الوليد، وهو على قنسرين، وأوصاه به، فكان عبد العزيز يأذن لرجلين من قيس يقال لهما راسب وسعيد قبله، فغضب ذبيان وكتب إلى الوليد فقال:

أبلغ أمير المؤمنين ودونـــه فراسخ تَطوي الطّرف وهو حديدُ

بأنّي لدى عبد العزيز مُؤخَّر يُقدّم قبلي راسب وسعيـــــــدُ

فكتب إلى عبد العزيز أن يُقدِّمه» [5].

رواية أخرى لما سبق

-245-أ

وقال هشام بن محمد الكلبي عن أبيه: «إنّما ضمّه عبد الملك إلى عبد العزيز بن مروان فجفاه[1]

---

[1] _ النّطف: هو المتلطّخ بالعيب والريب، يقال فلا ينطف بفجور وعيب أي يقذف به، والنّطف الرجل المريب. لسان العرب ، مج6، ص4461، مادة نطف.

[2] _ابن عبد ربه: المصدر السابق، ج1، ص22، 23، ج5، ص295، ابن حمدون: المصدر السابق، ج1، ص311.

[3] _الطرطوشي: سراج الملوك، ص168.

[4] _ سبق وأن مرّ معنا في الرسالة رقم 157.

[5] _ البلاذري: أنساب، الرّواية الأولى، ج8، ص73، 74.

[1] _ الجفاء ترك الصلة والبر، والإبعاد. لسان العرب، مج1، ص646، مادة جفا.

فكتب إلى عبد الملك، **فكتب عبد الملك إلى عبد العزيز بِبرّه وصِلته وتقديمه»** [1].

وفي إعتقادنا أنّ الوليد هو من كتب لابنه عبد العزيز إذا أنّ عبد العزيز تولّى إمرة دمشق لأبيه[2]، أمّا عبد العزيز بن مروان فلم تذكر لنا المصادر أنه تولى دمشق، وإنّما تولى مصر حتى مات وهو عليها[3]،والرّجل من كلب وكلب لم تنزل مصر وإنّما نزلت الشّام إلى الشّرق من دمشق وقنسرين.

ثانيا: الـــرّسائل المتعلّقة بتقــدير الولّاة والعمال ورفع مكانتهــم :

-رسالة معاوية إلى عمرو بن سعد بأن لا سلطان لأحد عليه :

- 246 -

قال المدائني: «كان عمرو بن سعد بن أبي وقاص[4] ولي خراج كورة همذان[5] فبقى عليه مال، فلمّا ولّى معاوية ابن أم الحكم الكوفة وقدمها أخذ عمرو بذلك المال فقال له أنه لا سلطان لك عليّ، وكان معاوية **كتب له كتابا بأنّه لا سلطان لأحد عليه غيره»** [6].

فاجتمعا عند معاوية ففصل بينهما ورفع يد ابن أم الحكم عليه[7].

- رسالة يزيد إلى عبيد الله بن زياد يرفع قدره :

- 247 -

وقّع يزيد إلى عبيد الله بن زياد في أحد كتبه: « **أنت أحد أعضاء ابن عمّك فاحرص أن تكون كلّها»**[1].

---

[1] _ أنساب الأشراف، الرّواية الثانية، ج8، ص74.

[2] _ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج36، ص369.

[3] _ المصدر نفسه، ص345، 346.

[4] _ هو عمرو بن سعد بن أبي وقاص أبو حفص القرشي الزهري، أصله من المدنية وسكن الكوفة، أمّة مارية بنت قيس قتله المختار بن أبي عبيد سنة 65هـ . ابن عساكر : المصدر السابق، ج45، ص37-40.

[5] _ هي بلدة بالجبال وهي أكبر مدينة بها، قريبة من أصبهان فتحها المغيرة بن شعبة سنة 24هـ .ياقوت الحموي: البلدان، ج5، ص410

[6] _ البلاذري: أنساب، ج5، ص144.

[7] _ المصدر نفسه، ص144، 145.

[1] _ابن عبد ربّه : العقد الفريد ، ج4 ، ص 289.

- رسالة عبد الملك إلى الحجّاج يبيّن له مكانته عنده:

-248 -

قال الأصمعي [1]:«كتب عبد الملك بن مروان إلى الحجّاج: **أنت عندي كسالم**[2].

فلم يدر ماهو[3]، فكتب إلى قتيبة بن مسلم يسأله، فكتب إليه إنّ الشاعر يقول:

يُديرونني عن سالم وأُديرهم وجِلدة بين الأنف والعين سالمُ» [4].

وسالم هذا هو سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطّاب[5] ، إذ كان عمر يُلام في حبّه فيقول :

يلومونني في سالم وألومهم وجِلدة بين الأنف والعين سالمُ[6]

فأراد عبد الملك أنت عندي بمنزلة سالم من عمر ، وهو بهذا يمدحه، ويرفع قدره، ويقدّر خدماته .

- رسالة أخرى من عبد الملك إلى الحجاج يمدحه ويرفع مكانتة :

-249 -

عن أبي حاتم الأصمعي قال: كتب عبد الملك إلى الحجاج:

«**أنت عندي قِدْح [7]ابن مُقبل**[8].

فلم يدرِ ما هو، فكتب إلى قتيبة يسأله -وكان قتيبة قد روى الشعر- ، فكتب إليه [قد

---

[1] _ رواية المسعودي لا سند لها .

[2] _ كذا في الأمالي و عند المسعودي "أنت عندي سالم"

[3] _ عند المسعودي" فلم يعرف ما أراد بذلك"

[4] _ أبو علي القالي: الأمالي، ج1، ص15، المسعودي : مروج الذهب، ج3، ص86،.

[5] _ سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطّاب أبو عمرو القرشي المدني الإمام الزّاهد الحافظ مفتي المدينة ،ولد في خلافة عثمان ، وأمه أمّ ولد، كان عالما تقيّا وعابدا ورعا، قدم على عبد الملك والوليد وعمر، وتوفي سنة 106 هـ في ذي القعدة ، وقيل 107 ، وصلّى عليه هشام بن عبد الملك، تاريخ خليفة ، ص 73 ، 217، البخاري : التاريخ الكبير، ج4، ص 115، الذهبي : سير أعلام ، ج 4 ، ص 457 – 465 .

[6] _ الذّهبي : سير أعلام ، ج 4 ، ص 460 .

[7] _ عند ياقوت"كقدح"

[8] _الشاعر ابن مقبل تميم بن أُبيّ بن مقبل من بني العجلان من عامر بن صعصعة، شاعر مخضرم جاهلي أدرك الاسلام، وكان يُهاجي النجاشي الشاعر عاش نيّفا ومئة سنة، توفي بعد سنة 37هـ إذ كان له في وقعه صفّين. الزركلي: الأعلام، ج2، ص87.

مدحك][1]، إنّ ابن مقبل نَعتَ[2] قِدحا له فقال:

غدا وهو مجدولٌ [3]وراحَ كـــأنّه من المشّ[4]والتّقليب بالكف أفطح[5]

[مُفدّى مُؤدّي باليدين مُنعّم خَليعُ قـــــداح فائزٌ متنمـــــحُ[6]][7]

خَروجٌ من الغمّى إذا صكّ صكة بدا والعيون المُستكفّة [8]تُلمـــح» [9].

فكانت في نفس الحجّاج حتى ولاه خراسان[10].

رواية أخرى لما سبق

-أ-249

وعن ابن عائشة قال : « لمّا هزم الحجاج ابن الأشعث كتب إليه عبد الملك:

أمّا بعد فما لك عندي مثل إلا قدح ابن مُقبل»[11].

لقد عبّر عبد الملك للحجاج عن مكانته ومنزلته عنده بأسلوب غير الذي ألِفنا مشاهدته فيما مضى، فرسائل عبد الملك السّياسة طغت على بعضها روحه الأدبية، حتّى رأيناه يرسل مثل هذه الرسائل للحجاج، وهو بذلك يعرض مصالحه السياسية وخططه في القضاء على خصومه للإيهام، أو على الأقل للإبطاء بتنفيذها، فثقافة الحجاج وفهمه لم تنفع بشيء في هذا المجال حتى اضطر إلى أن يعدّ الجوائز ويرسل

---

(1) _إضافة من معجم الأدباء

(2) _ في معجم الأدباء"مدح"

(3) _مجدول أي مُحكم لا يكسر ولا يخلط به غيره. لسان العرب، مج1، ص569، مادة جدل.

(4) _ المشّ هو المسح، نقول ماشّ القطن بيده إذا ربده وخلطه. لسان العرب، مج6، ص4308، مادة ميش.

(5) _ أفطح أي عريض. لسان العرب، مج5، ص3432، مادة فطح.

(6) _ المنيح هو قدح من أقداح المسير يُؤثر بفوزه فيستعار، ويُتيمّن به، وهو من القداح التي ليس لها أنصبة. لسان العرب، مج6، ص4275، مادة منح.

(7) _ البيت مضاف من الدّيوان و معجم الأدباء وفي الأمالي غير موجود.

(8) _ المستكفة: من استكف به الناس أي أحدقوا به، واستكفوا حوله ينظرون إليه. لسان العرب، مج5، ص3904، مادة كفف. وقال أبو علي القالي: استتكففت إذا وضعت يدك على حاجبك تنظر هل تراه. الأمالي، ج1، ص15.

(9) _ أبو علي القالي: المصدر السابق، ج1، ص15، ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج1، ص، 33 والأبيات جزء من قصيدة لابن مقبل.انظر ديوان ابن مقبل، ص41، 42.

(10) _ ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج1، ص33.

(11) _ أبو هلال العسكري : كتاب جمهرة الأمثال ، ج2 ، ص 120 .

المراسلات ليفهم ما يعنيه عبد الملك بهذه العبارات[1].

- ردّ الوليد على عمر بن عبد العزيز يُثني عليه :

-250 -

كان عمر بن عبد العزيز أحسن النّاس سيرة حين تولّى الحجاز للوليد، وقد عرف له الوليد مكانته، وشكر له إصلاحاته وحسن سيرته، واستمرّ عمر واليا على الحجاز مخالفا بسياسته سياسة الحجاج في العراق وقرة بن شريك في مصر، متّبعا لمنهج الرفق والإحسان والعدل الذي غاب عن أتباعه في بقية الأقاليم، وكانت عواقب غيابه عن السّاحة السياسية فيما بعد وخيمة على الدّين والدنيا على السواء،ومما وقّع به الوليد بن عبد الملك إلى عمر:

« **قد رَأَب [2] الله بك الدّاء، وأوْدم[3] بك السّقاء**» [4].

- رسالة الوليد إلى الحجّاج يستعفيه من المرور بالمدينة:

-251 -

عن اللّيث بن سعد قال: « وكان الحجّاج قد ولي الموسم[5]، فكتب عمر إلى الخليفة يستعفيه أن يمرّ عليه بالمدينة، فكتب إلى الحجاج:

إنّ عمر بن عبد العزيز كتب إليَّ يستعفني من مَمرك عليه، فلا عليك أن لا تمر بمن كرهك، فتنّحى عن المدينة»[6].

هكذا رفع الوليد قدر عمر بن عبد العزيز ولم يردّ طلبه ، وبلّغ أمره إلى الحجاج، إذ كان عمر بن عبد العزيز كارها منتقدا لسياسية الحجاج في حكمه للعراق وإساءته للعلماء والصالحين[7]، وفي المقابل كان الحجاج أيضا كارها لسياسية اللّين التي سار بها عمر في الحجاز، خاصة وأنه أصبح كهفا يؤوي إليه كل

---

(1) _ إبراهيم خليل: الخليفة عبد الملك، ص132.

(2) _ رأبُ أي أصلاح الفساد. لسان العرب، مج3، ص1531، مادة رأب.

(3) _ أودم أي شدّ، نقول أودم السقاء إذا شدة. لسان العرب، مج6، ص4807، مادة ودم.

(4) _ ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج4، ص290 .

(5) _ الحجاج لم يلِ الموسم للوليد. انظر من تولّوا الموسم في خلافته تاريخ خليفة، ص199 وأنّما حج في عامه هذا من العراق إلى مكة.

(6) _ سيرة عمر بن عبد العزيز، ص24، 25.

(7) _A.f.l Beaston: Arabic literature.p293.

هارب من بطش الحجاج بالعراق[1]، كلّ هذا ولّد عداوة بينهما تُرجمت على أرض الواقع بصراع ظاهر ومراسلات للوليد وتحذيرات له من كلا الطرفين، ليُختم هذا الصراع بعزل عمر عن الحجار بعد أن خوّف الحجاج الوليد من سياسته[2].

ثالثا: الـــرّسائل المتعلّقة بالموازنة بين التيّارات والعصبيّات والقبائل:

- رسالة معاوية إلى زياد يمدح بني بكر:

- 252 -

قال محارب فيما يرويه عن أبيه : كتب معاوية إلى زياد : « **أن رسول ﷺ قال :**

إن العدو لا يظهر على قوم إذا هم – أو قال رأيتهم – مع رجل من بني بكر بن وائل»[3]

-رسالة معاوية إلى اليمنيّة يوضّح لهم أمرهم ويتلطّفُهم:

-253 -

عن إسماعيل بن عيّاش قال: كان معاوية يغُزي اليمن البحر، ويغزي قيسا البر، فقال شاعر اليمن:

ألا أيها القوم الذين تجمّعوا بعكّـا أُناسٌ أنتم أم أباعِـــــرُ

أتُترك قيس آمنين بـــدارهم ونركب ظهر البحر والبحر زاخرُ[4]

«**فبعث معاوية إلى اليمن فاعتذر منهم وقال: ما أغزيتكم البحر إلا لأنّي أتَيمَّن بكم: وإنّ في قيس نكَدا**[5] **وأخلاقا لا يحتملها الثّغر، وأنا عارف بطاعتكم ونُصحكم، فأمّا إذ قد ظننتم غير ذلك، فأنا أجمع فيه بينكم وبين قيس، فتكونوا جميعا فيه، وأجعل الغزو فيه عقبا بينكم**» [6] .

فرضوا وفعل ذلك بهم فيما بعد .

---

[1] _ البلاذري : أنساب، ج8، ص76.

[2] _ الطبري، المصدر السابق، ج6، ص482.

[3] _ الطّبراني : المعجم الكبير ، ج19 ، ص356 ، رقم 834. وهم بنو بكر بن وائل بن هنب بن أقصى من معد، ومنهم بنو يشكر، وبنو شيبان ، الجزري: اللّباب في تهذيب الأنساب، ج1 ، ص233 .

[4] _ زخر البحر يزخر زخورا طما وتملأ وارتفعت أمواجه. لسان العرب، مج3، ص1820، مادة زخر.

[5] _ النكد: الشؤم واللؤم. لسان العرب، مج6، ص453، مادة نكد.

[6] _ الأغاني، ج15، ص7065.

يبدو أنّ اختيار معاوية اليمنيّة لركوب البحر لم يكن من منطلق نزعة عصبيّة ، وإنّما كان اختياره لهم لأنّهم كانوا مهرة في ركوب البحر ، بخلاف القيسيّة الذّين لم يكونوا كذلك ، بالإضافة إلى أنّ تواجد اليمنيّة – الغساسنة – بالشّام كان قبل وجود معاوية .

صحيح أنّ معاوية هنا يظهر فيه ميول إلى القيسية على حساب اليمنية ، فلما شعرت اليمانية بالخطر عاد الخليفة إلى إرضائهم بطريقتهم الدبلوماسية المعهودة، فكتب لهم، ويبدو أنّ هذا التوافق بين القبائل العربية جاء بفضل سياسية الخليفة معاوية ومعرفته بالطرق والوسائل في التعامل مع القبائل[1].

لقد استمر تيّار الشّعور بالنسب والإنتماء القبلي يسيطر على أفكار الناس في العصر الأموي، فكان هو الرابطة الأولى لديهم ومصدر إعتزازهم[2]، ولم تكن مصادفة تلك العلاقات المميّزة بين والي الشّام في العهد الراشدي (معاوية) وبين قبيلة كلب التي قاتلت معه كوحدة كاملة في صفين، واعتمد عليها بعد قيام دولته في تنفيذ أهدافه السياسية والعسكرية، ولم تكن مصادفة كذلك أن يَدين الأمويون مرة أخرى للدعم الكلبي الذي أسهم فعليا في انقاذ خلافتهم من السقوط، وبالتالي الدفاع عن نفوذهم المرتبط مصيريا بهذه الأخيرة، ممّا جعل الكلبيين يُغلّبون في اللحظة الحاسمة مصالحهم السياسية والإقتصادية على ما عداها من علاقات شخصية أو عائلية، ويتحوّلون –حتى السنوات الأخيرة للدولة الأموية– إلى قوة مدافعة عن النظام، وليس في الشام فقط، ولكن حيثما يكون تهديد ما له في مختلف الولايات القريبة والبعيدة[3].

وعلى خطى معاوية سنرى عبد الملك فيما بعد لـمّا وسِّدت إليه مقاليد الأمور يسلك طريقا وسطا في ميدان العصبيات، إذا بالرّغم من أن المروانيين قد اضطروا أن يرموا بأنفسهم في الشام بين أحضان الكلبيّين لكي يحافظوا على سيادتهم إزاء قيس المائلين إلى ابن الزبير إلّا أنه كانت تربطهم مع ذلك بقيس رابطة الدم، وقد أدّت سياسية عبد الملك إلى التّتخفيف من غلواء السيطرة اليمنية، وقد أدّى هذا الموقف إلى ترك القيسية سياسة المقاومة لعبد الملك الذي قرّب رجالهم، ووسدهم من الأمور ما وسّد خصومهم من اليمنيين، وهكذا أظهر عبد الملك أنه لا يقل حنكة عن سلفه معاوية، وأنه يعرف كيف يؤلّف بين الخصوم فيجعلهم يخدمون الدولة التي تتمثل بشخصه، وكذلك سار عبد الملك على خطى معاوية بالإعتماد على أهل الشام وجعل منهم عصبته التّي يعتمدها في الحرب والإدارة[1].

---

[1] _ أحمد عبيد عيسى : عطاء الخلفاء الأمويين، ص80.

[2] _ عبد الواحد ذنون طه : دراسات، ص144.

[3] _ إبراهيم بيضون : تاريخ بلاد الشام، ص138.

[1] _ نجدة خماش : الإدارة، ص112، 113.

- رسالة معاوية إلى زياد في تعامله مع القبائل:

-254 -

«عن مجالد عن الشّعبي قال: كتب زياد إلى معاوية: إن رأى أمير المؤمنين أن يكتب إليّ بسيرة أسيرها في العرب، فكتب إليه معاوية:

يا أبا المغيرة، قد كنتُ لهذا منك منتظرا، انظر أهل اليمن فأكرِمهم في العلانية وأهِنهم في السر، وانظر أهل هذا الحيّ من ربيعة فأكرم أشرافهم وأهِن سفَلتهم، فإن السّفلة تتبعُ للأشراف، فأمّا هذا الحي من مضر فإن فيهم فظاظة[1] وغلظة، فاحمل بعضهم على رقاب بعض، ولا ترضَ بالظّن دون اليفين وبالقَول دون الفعل، واترك الأمور بينك وبين النّاس على أشُدها والسلام»[2].

الواقع أنّ زيادا كان قد ساس النّاس منذ عهد عليّ وجرّبهم، فهو لذلك كان عارفا بهم مع ما تمتّع به من حنكة وقدرات عالية، لذا إن صحّت الرّسالة فإنّه أراد أن يعرف من معاوية موقفه من الناس وقبائلهم، فكان الجواب من معاوية، والذّي يظهر من خلاله أنّ معاوية اتّبع « قاعدة التّوازن في علاقاته مع أنصار النظام وخصومه، بحيث كانت القوى القبليّة مسخرة كافة لخدمة الدولة دون أن تقف عائقا في ذلك تناقضاتها المحلية والتاريخية، فهو على الرغم من ارتباطه بتحالفات ومصاهرات مع اليمنيين فإنّ القسيسين لم يشعروا في عهده بالظلم أو الحرمان، إذ أن سياسته المتوازنة لم تُثر حفيظتهم إزاء خصومهم التقليديين بل بالعكس كان دورهم إيجابيا بعد أن شعروا بأهميّتهم في هذه الدولة»[3].

ولقد سلك زياد طريقا وسطا إستطاع من خلاله أن يوفّق بين هذه القبائل ليخلق نوعا من التوازن القبلي أدّى في نهاية الأمر إلى تسهيل مهمة معاوية، وصناعة علاقات إجتماعية استقطب بها الأنصار والمؤيدين وتمكّن من إخضاع الخصوم والإيقاع فيما بينهم، إذ كان الشيعة أعداء للخوارج ، أمّا بالنّسبة للأفراد فتعامل مع كلّ واحد على حدى.

وقد كان معاوية يبحث دوما عن فضائل وعيوب هذه القبائل ليتمّكن من الوصول إلى أفضل السبل في التّعامل معها لذلك كتب إلى زياد أن ينظر أهل اليمن، فيكرمهم في العلانية ويهينهم في السر[1].

---

[1] _ الفظ هو الغليظ في الكلام والخشن، وقيل الغليظ الجافي. لسان العرب، مج5، ص3437، مادة فظظ.

[2] _ البلاذري: أنساب، الرّواية الأولى، ج5، ص223.

[3] _ إبراهيم بيضون : ملامح التّيارات السياسية، ص151.

[1] _ محمد خريسات : الدّولة الأموية، ص92.

رواية أخرى لما سبق

-254-أ

وروى المدائني باختلاف عمّا سبق قال: «كتب معاوية إلى زياد:

إنّ حولك مُضر وربيعة واليمن، فأمّا مضر فولّهم الأعمال، واحمل بعضهم على رقاب بعض، وأمّا ربيعة فأكرم أشرافهم فإنّ أتباعهم منقادون لهم، وأمّا اليمن فأكرمهم في العلانية وتجافَ عنهم في السّر» [1].

فكان أن ولّى زياد حبيب بن مسلمة الفهري أرمينيّة[2]، وبعده عبد العزيز بن حاتم المضري [3].

-رسالة معاوية إلى أهل الكوفة والبصرة أن يبعثوا إليه برَجُلين:

-255 -

عن جرير عن مغيرة قال:«**كتب معاوية أن يبعثوا إليه برجل من أهل الكوفة، وإلى أهل البصرة أن يبعثوا إليه برجل من أهل البصر**.

فبعث إليه أهل الكوفة المنذر بن حسان بن ضرار[4]، وبعث إليه أهل البصرة بغيلان بن خرشة بن عمرو بن ضرار[5]»[6] وهؤلاء من الأشراف.

لقد كتب معاوية إليهما ليسأ لهما عن أمر النّاس والولاة ، فاكنت تلك من سياسته الإداريّة في جمع المعلومات من الأفراد والجماعات، كما يظهر أنّه سعى إلى تقريب الأشراف لتخضع له قبائلهم وعشائرهم.

فمعاوية تعامل مع رؤساء القبائل ليس كرئيس دولة فحسب بل سيّد عشيرة، فعاملهم حسب قدرهم ومكانتهم، ومن هنا كانت سياسيته تجاه القبائل تقوم على التّعرف إلى خصائص هذه القبائل ومعاملتها

---

[1] _ البلاذري : أنساب، الرواية الثانية، ج5، ص223.

[2] _ تاريخ خليفة ، ص 125 ، ابن الأثير: الكامل ، ج3 ، ص 286.

[3] _ هو عبد العزيز بن حاتم بن النّعمان بن عمرو المضري الباهلي ، ولي أيضا الجزيرة لعمر بن عبد العزيز، وغزا التّرك، ووفد عليه بدمشق، توفي سنة 103. ابن عساكر: تاريخ دمشق ، ج36 ، ص 268.

[4] _ قال ابن عساكر: المنذر بن حسان بن المندر بن ضرار الكوفي، وفد على معاوية وكان من وجوه أهل الكوفة.تاريخ دمشق، ج60، ص286.

[5] _ هو غيلان بن خرشة بن عمرو بن ضرار الضبّي البصري، وفد على معاوية بدمشق. ابن عساكر، المصدر السابق، ج48، ص131، 132.

[6] _ ابن عساكر: المصدر السابق، ج48، ص132.

بالطريقة المناسبة لها[1].

لقد جعل معاوية من الخلافة مؤسّسة سلطوية فوقية ذات كيان خاص بها، مفصولة عن الإرتباطات القبلية، واعية لنفسها، لها مصالحها الخاصة، مستقلة في قرارها، ومالكه لجميع الأدوات اللازمة لتحقيقها، بغضّ النظر عن التوازنات والمصالح القبلية، على هذا الأساس يكون معاوية قد قلب العلاقة بين الإدارة السّياسية المركزية والقبائل، فإذا كانت الإدارة السياسية سابقا تفهم نفسها على أنها السّلطة التنفيذية، جعل معاوية من الإدارة السياسية المركزية الشّارع الأول تستخدم القبائل كأدوات تنفيذية لسياساته ومصالحه[2].

[1] _ محمد خريسات : المرجع السابق، ص92.

[2] _ أيمن إبراهيم : الإسلام والسلطة، ص292.

الفصل الثاني:

الرّسائل المتعلقة بالعزل والتّولية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أوّلا: الــرسائل الخاصة بتوليه الولّاة والعمّــال:

- كتاب معاوية إلى المغيرة يولّيه الكوفة:

-256 -

شكى المغيرة إلى معاوية كِبر سنّه، فعزله عن الكوفة، قال قيس بن ربيع عن أبي حصين: « فقدم المغيرة الشّام، فطلب الدخول على معاوية فلم يقدر عليه، فدخل على يزيد بن معاوية فقال: لو أنّ أمير المؤمنين جعل لنا علَما ننتهي إليه، فخرج يزيد، فدخل على أبيه فقال: يا أمير المؤمنين إنّ المغيرة دخل عليّ فقال: لو أنّ أمير المؤمنين جعل لنا علما ومَفزعا، فقال عليَّ المغيرة فأُتي به، فأذن له فقال: كيف قلت؟ فأخبره فقال: كيف لي بالعراق؟ قال: أنا لك بها يا أمير المؤمنين قال: فأتاه بعهده **فكتب له**»[1].

هذا ما جاء في المصدر والظّاهر أنّ معاوية كتب له بإعادة توليته عهدة ثانية على الكوفة، كيف لا والمغيرة قد اقترح في هذه الخرجة إلى الشام على معاوية أن يولّي العهد ابنه يزيد، وطلب منه أن يتولى ذلك بنفسه في إقليم الكوفة[2]، وهذا هو السبب الذي دفع معاوية إلى أن يكتب له العهد ثانية.

وفي الواقع لما كانت العراق منطقة معارضة وبؤرة توتّر وقلاقل، أسند معاوية أمر إدارتها إلى رجلين حكمتهما التّجارب، وصقلتهما الأحداث، وعرفا بالحكمة والدهاء، فقد أوكل إمارة الكوفة إلى المغيرة بن شعبة الذي عمل على ضبط الأمور فيها، كما توسّط بين معاوية وزياد الذي كان يتولى أمر فارس لعلي بن أبي طالب، فعمل على إقناعه بالعمل لمعاوية بعد تنازل الحسن[3]، فكل هذا وغيره مما ذكرنا شفع للمغيرة عند معاوية فأعاده.

- رسالة معاوية إلى زياد يولّيه البصرة:

-257 -

ولّى معاوية الحارث بن عبد الله الأزدى[4] البصرة فأقام بالبصرة أربعة أشهر وعزله وولّى زيادا بعد أن استقطبه إلى صفّه، فقدم زياد إلى الكوفة ينتظر أمر معاوية، فظن المغيرة أنه قدم واليا عليها فأرسل رسوله

---

(1) _ابن أبي الدّنيا : الإشراف في منازل الأشراف، ص 121 ، ابن عساكر: المصدر السابق، ج60، ص46.

(2) _ محمد خوجلي : المرجع السابق، ص244.

(3) _ انظر تاريخ الطبري، ج5، ص168 وما بعدها.

(4) _ الحارث بن عبد الله الأزدي: أمة حبشية، كان على رجّاله أهل فلسطين يوم صفين مع معاوية بن أبي سفيان وولاه البصرة، ثم وليها لابن الزبير ووفد على عبد الملك. تاريخ خليفة، ص118، ابن عساكر: المصدر السابق، ج11، ص437.

ليعلَم علمه، «فأتاه فلم يقدر منه على شيء وقدم رسول معاوية إلى زياد: **أن سِر**[1] **إلى البصرة**، فقدمها في آخر شهر ربيع الآخر أو غُرة جمادى الأولى من هذه السنة (45هـ) واستعمله على خراسان وسجستان، ثم جمع له الهند والبحرين وعمان» [2].

فلماذا ولّى معاوية زيادا على البصرة؟ وما هي الشروط التي تحلّى بها زياد ليسخّرها في سبيل الإدارة والفهم؟ الحق أن زيادا من عباقرة العرب، فقد كان محاسبا للخراج عهد عمر بن الخطاب على البصرة، فقد عرف إذن البصرة بدقة وعرف أهلها[3].

إنّ وصول معاوية للسّلطة بالقوة جعله يرغب في الرجل القويّ القادر على قمع الثورات وتوطيد الأمن، وضبط الأموال، أي أن معاوية كان يولّي كل من يجده قادرا على تحمل المسؤوليات، ومستعدا لإظهار الولاء له وللدولة[4]، وخاصة أصحاب التّجارب ممن عمل مع الخلفاء الراشدين أمثال عمرو بن العاص والمغيرة، كما كان للبيئة التي نشأ فيها معاوية أثر كبير في اختيار رجال إدارته اللّامركزية عن ثقة ودراسة [5].

فأرسل معاوية زياد إلى البصرة، وجعل له ولايتها مع الأعمال التابعة لها، وقد سادها الفجور والعصيان والإجرام[6]، فماذا فعل زياد لينهي تلك الحالة؟ إنّه وضع مخططا بيّنا في خطبته البتراء، وهي خطبة لا نستطيع أن نزنها بميزان الأحكام الشّرعية لأنها تدل على حالة إستثنائية تُتّخذ فيها تدابير إستثنائية[7]، فاستتبّ الأمن في البصرة خلال فترة حكمه بها، ويرجع الفضل في ذلك أيضا إلى إعتنائه بالشرطة، وتكليفها بمسؤولية توفير الأمن في المصر وسبل النّاس[8].

- رسالة معاوية إلى زياد يضمُّ إليه الكوفة بعد موت المغيرة:

-258 -

قال علي بن محمد: «كان زياد على البصرة وأعمالها إلى سنة 50هـ، فمات المغيرة بن شعبةبالكوفة

---

(1) _ كذا في المنتظم وفي البداية والنهاية"أن يسير" قارن .

(2) _ ابن الجوزي : المنتظم، ج5، ص212، ابن كثير: البداية والنهاية، ج8، ص25.

(3) _ يوسف العش : الدّولة الأموية، ص146، 147.

(4) _ أحمد إسماعيل علي : تاريخ بلاد الشام، ص177.

(5) _ محمد خوجلي : المرجع السابق، ص240.

(6) _ ابن الجوزي : المنظم، ج5، ص212. يوسف العش: المرجع السابق، ص148.

(7) _ يوسف العش : المرجع السابق، ص148.

(8) _ سهيل أحمد : تطور جهاز الشرطة، ص51.

وهو أميرها ،**فكتب معاوية إلى زياد بعهده على الكوفة والبصرة** »[1].

رواية أخرى لما سبق

-أ-258

وعن ابن الكلبي قال: لمّا بلغ زياد موت المغيرة بن شعبة بالكوفة، خاف أن يُستعمل عبد الله بن عامر على الكوفة، وقال إن وليها لم آمن أن يُضرنا جواره، ونُلجِيء أهل خراجنا إليه، فكتب إلى معاوية:

«كتبتُ إليك وقد مات المغيرة وترك بحمد الله ونعمته من عروة بن المغيرة[2] خَلفا صالحا عفيفا أمنيا مسلما طيّبا، وأرى أن يولّيه أمير المؤمنين عمل والده، فيصطنعه ويرعى حق والده فيه، فإنّي أرجو أن يعرف في ذلك الخيرة إن شاء الله.

فلمّا قرأ معاوية الكتاب ضحك، وعرف ما أراد فكتب إليه:

ليُفرخ رَوعُك [3]**يا أبا المغيرة لستُ بموَلِّ عبد الله بن عامر، وبعث إليه بعهده على الكوفة،** فجمع له المصرين وأعمالها، فكان أوّل من ضُما إليه» [4].

والسّؤال المطروح هو: كيف عرف معاوية أنّ زياد لا يرغب بولاية عبد الله بن عامر؟ ولقد بيّنت هذه الرواية أنّ معاوية كتب إلى زياد مع العهد رسالة طمأنه فيها بأنه لن يولي عبد الله بن عامر وهذا ما لم تذكره الرواية السّابقة ، ولا نعتقد بحصوله .

فكان زياد بهذا القرار والتّعيين من معاوية أول من جُمع له الكوفة والبصرة، فشخص إلى الكوفة وكان يقيم ستة أشهر بها وسنة أشهر بالبصرة، فلمّا وصل إلى الكوفة خطب خطبته التي توعد فيها أهل الكوفة بالشدة والعقاب حتى يستتب الأمن فيها[5].

وهكذا أوكل معاوية ولاية الكوفة إلى رجل ثقفيّ جديد، فقد كان المغيرة وزياد ثقفيّين من الطائف وقد اشتهر الثقفيون بالفطنة والدهاء وبرز منهم في العصر الأمويّ عدد كثير من المواهب منهم زياد والحجاج والمختار بن أبي عبيد ومحمد بن القاسم الثقفي وغيرهم[6] ممّن كان له باع في إقليم العراق وتاريخ.

---

(1) _ تاريخ الطبري، ج5، ص234، مسكويه : تجارب الأمم، ج2، ص11.

(2) _ سبقت ترجمته في الرسالة رقم 240.

(3) _ فرخ الروع وأفرخ أي ذهب الفزع، يُقال ليفرخ روعك أي ليخرج عنك فزعك كما يخرج الفرخ عن البيضة. لسان العرب، مج5، ص3373، مادة فرخ.

(4) _ البلاذري : أنساب، ج5، ص207.

(5) _ الطبري : المصدر السابق، ج5، ص234، 235. .

(6) _ جاسم صبكان : تاريخ صدر الإسلام، ص87 .

أمّا الأسباب التي دفعت معاوية إلى جمع المصريين تحت إمرة زياد، فالرّاجح أنّ قابلية زياد الإدارية، وكفاءته ومقدرته وإخلاصه للدّولة هي التي شجعت معاوية على توحيد إدارة العراق تحت إمرته، كما أن الفتنة بالكوفة دفعت معاوية إلى ضمها لزياد الذي وطّد البصرة وضبطها، بل إنّ زياد نفسه كان يرغب في ضمّها[1].

ولاشكّ أنّ توحيد مصري العراق- الكوفة والبصرة- كان له مزايا إيجابية واضحة، فالكوفة قريبة من البصرة، ووجود سياستين مختلفتين في كلّ منهما ربّما يؤدي إلى تأثير إحداهما على الأخرى، ويمكن ملاحظة ذلك من خلال ولاية كل من المغيرة بن شعبة على الكوفة وعبد الله بن عامر على البصرة، حيث كانت سياسية الأخير أكثر لينا وضعفا، الأمر الذي شجّع الكثير من أهالي الكوفة على مغادرة مصرهم إلى البصرة التي كانت الفوضى هي سيّدة الموقف فيها، أضف إلى ذلك فإنّ توحيد مصري العراق كان من شأنه التخفيف من الإقليميّة التي تأصلت في نفوس أهالي المصر الواحد حتّى تجاوزت العصبية القبلية في بعض الأحيان[2].

وإذا كانت الكوفة قد نعمت بهدوء مصطنع في عهد المغيرة، وذلك بأقل قدر من الضغط والملاحقة الأمنيّة ، فإنّها عانت أشدّ أنواع الحكم التّعسّفي في عهد زياد الذي انتقلت إليه هذه الولاية، بالإضافة إلى البصرة وبقية المشرق، فكان أول حاكم يتمتّع بهذا القدر من النفوذ السياسي[3].

- رسالة معاوية إلى زياد في تولية رجل على ثغر الهند:

-259 -

[رسالة معاوية] : عن أبي اليقظان[4] قال: « لمّا قُتل عبد الله بن سوار[5] كتب معاوية إلى زياد: **أنظر رجلا يصلح لثغر الهند فوجّهه[6]**»[7]

---

(1) _ صالح محمد : زياد بن أبيه، ص103.

(2) _ المرجع نفسه، ص102.

(3) _إبراهيم بيضون : ملامح التيارات السياسية، ص154.

(4) _ كذا في تاريخ خليفة وفي بقية المصادر بغير سند.

(5) _ عبد الله بن سوار بن همام بن ثعلية، تابعي من أهل البصرة، استعمله زياد على مكران، وكان ابن عا مر بعثه إلى سجستان في ولاية عثمان، وفي سنة 45 افتتح القيقان، ثم وفد إلى معاوية فردّه إلى عمله وعزل ابن عامر، قتل سنة 47 هـ وعامة جيشه في القيقان من بلاد الترك. تاريخ خليفة، ص127، 310.ابن عساكر: المصدر السابق، ج29، ص96.

(6) _ في التذكرة الحمدونية "فولّه".

(7) _ تاريخ خليفة ص127، ابن حمدون: التذكرة الحمدونية، ج2، ص27، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج1، ص179.وكان هذا الكتاب سنة 48 هـ .

[ردّ زياد] : «فكتب إليه زياد: إنّ قِبلي رجُلين يصلحان لذلك الأحنف بن قيس[1] وسنان بن سلمة [2] » [3] ، فوجّه زياد سنان بن سلمة بن محبق الهذلي [4].

- ردّ معاوية على زياد لمّا اقترح عليه الأحنف بن قيس لثغر الهند:

-260 -

قال أبو حيّان التّوحيدي : «كتب عبيد الله بن زياد إلى معاوية يستشيره في تولية الأحنف بن قيس السّند ، فأجابه معاوية :

بأيّ أيّامه يستحقّ ذلك ؟ أبخُذلانه أمير المؤمنين يوم الجمل ؟ أم بقتاله يوم صفّين؟ أم بمشورته على عليّ يوم صفّين بأمر الحكمين ؟ اضرب عنه »[5] .

رواية أخرى لما سبق

-260-أ

وذكر ابن حمدون في الرواية السابقة، لمّا كتب معاوية إلى زياد ليختار رجلا لثغر الهند: « فكتب إليه زياد إنّ قِبلي رجلين يصلحان لذلك: الأحنف بن قيس، وسنان بن سلمة، فكتب معاوية **بأيِّ يومَيْ الأحنف تكافئه؟ أَلِخذلان أمّ المؤمنين**[6]**، أم سَعيُه علينا يوم صفّين**[7]**؟ فوجّه سنانا»**[8].

إنّ هذه الرّواية لم تذكر أن زيادا هو من اختار سنانا لولاية ثغر الهند ، بل ذكرت أن معاوية هو من أمره، بخلاف الرواية السابقة التي جاء فيها أنّ معاوية ترك الإختيار ليزيد.

[ردّ زياد]: لمّا كتب معاوية إلى زياد بتوجيه سنان وذم الأحنف بن قيس كتب له زياد: «إنّ

---

[1] _ هو الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين الأمير الكبير الفاضل أبو بحر التميمي كان ذا حلم وسؤدد، وكان سيد تميم أسلم في حياة النبي ﷺ وكان من قواد جيش علي يوم صفين.كان زياد معظما له، وكان صديقا لمصعب بن الزبير فمات عنده بالكوفة سنة 67 وقيل 69وقيل 71هـ . ابن عساكر: المصدر السابق، ج24، ص298-355. الذهبي: سير، ج4، ص 86-96.

[2] _ سنان بن سلمة بن المحبق الهذلي أبو عبد الرحمن، كان من الأبطال الشجعان الفرسان، قيل ولد يوم حنين وسماه الرسول ﷺ سنانا، ولاه زياد غزو الهند بعد قتل راشد بن عمرو، وذلك سنة 50هـ، مات آخر أيام الحجاج، تاريخ خليفة، ص130. البستي: مشاهير علماء الأمصار، ص52، المزي: تهذيب الكمال، ج12، ص149-151.

[3] _ هذا الردّ من زياد مثبت في التذكرة الحمدونية، وفي بقية المصادر غير موجود

[4] _ تاريخ خليفة ص127، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج1، ص179.

[5] _ البصائر والذّخائر ، ج 1 ، ص 259.

[6] _ لم ينصر عائشة يوم الجمل. انظر تاريخ خليفة، ص111.

[7] _ كان الأحنف على تميم البصرة مع علي يوم صفين. انظر تاريخ خليفة، ص117.

[8] _ ابن حمدون : المصدر السابق، ج2، ص27، وبقية المصادر لم تذكر هذه الرسالة الثانية.

الأحنف قد بلغ من الشرف والسّؤدد مالا ترفعه الولاية ولا يضعه العزل» [1].

لقد وضع معاوية في البداية كامل ثقته في زياد، فوجّه له الطلب لينتقي رجلا يراه مناسبا يولّيه ثغر الهند، كيف لا ومعاوية قد فوّض زيادا وأعطاه كامل الصلاحيات بالعراق وما يليه من المشرق، فأراد زياد أن يظهر بمظهر القادر على المسؤوليّة الخبير بالرّجال ومنازلهم واختار وفق معاييره الرجل المناسب للمكان المناسب، وقد ثبت أنّ زيادا كان إذا ولّى رجلا عملا قال له: «خُد عهدك وسر إلى عملك، وأعلم أنّك مصروف رأس سنتك، وأنّك تصير إلى أربع خلال، فاختر لنفسك: إنّا إن وجدناك أمينا ضعيفا استبدلناك لضعفك وسلّمتك منّا أمانتك، وإن وجدناك قويّا خائنا استهنّا بقوتك، وأحسنّا على خيانتك أدبك، وأوجعنا ظهرك، وثقّلنا غرمك، وإن جمعتَ علينا الحرمين جمعنا عليك المصرين، وإن وجدناك أمينا قويا زدنا في عملك، ورفعنا ذكرك وكثّرنا مالك، وأوطأنا عقِبك» [2].

- رسالة معاوية إلى زياد يأمره أن يولّي الحَكم بن عمرو خراسان:

-261 -

قال اليعقوبي: «وكتب معاوية إلى زياد بن أبي سفيان:

إنّ قِبلك رجلا من أصحاب رسول الله فولّه خراسان، وهو الحكم بن عمرو الغفاري[3]، فولّاه زياد خراسان، فقدمها سنة 44هـ»[4]، وبقي بها حتى موته .

والصّواب أنّ ولاية الحكم بن عمرو لخراسان كانت سنة 47[5]،ومعاوية لم يولّ زياد البصرة إلّا سنة 45هـ[6]

- كتاب معاوية إلى مروان يولّيه المدينة:

-262 -

عن أبي عبيدة معمر بن المثنّى قال: «لمّا ادّعى معاوية زيادا وآثر عمرو بن العاص على أهل بيته،

---

[1] _ ابن حمدون : المصدر السابق، ج2، ص27.

[2] _ ابن منظور : مختصرتاريخ دمشق، ج9، ص82.

[3] _هو الحكم بن عمرو بن مجدع بن خديم الضميري، ويقال له الغفاري وليس كذلك، أخو رافع بن عمرو من بني ثعلبة، نزل بالبصرة وله صحبة وفضل وصلاح ورأي إقدام، بعثه زياد إلى خراسان فغزاها، وتوفي بمرو سنة 51 وقيل 50وقيل49هـ. تاريخ خليفة.ص129، أبو الحسن عبد الباقي: معجم الصّحابة، ج1، ص209. الذهبي: سير، ج2، ص474، تاريخ الاسلام، ج2، ص252،

[4] _ تاريخ اليعقوبي، ج2، ص222 .

[5] _ تاريخ الطبري، ج5، ص229.

[6] _ أنظر تاريخ خليفة، ص126، تاريخ الطبري، ج5، ص216، حوادث سنة 45.

وقرّبهما دونهم، جزع بنو أمية من ذلك جزعا شديدا، واجتمعوا في ذلك، فأتوا مروان بن الحكم في بيته، وقد **كتب له معاوية عهدَه على المدينة** .

فشكوا ذلك لمروان ، فقال مروان: قد والله كلمته في هذا الأمر غير مره فلم يجبني إلى شيء ممّا أحب، ،بل يُظهر لي التعتّب والتغضب ويزعم أني في هذا الأمر أوحد»[1].

وهنا لابد من كلمة هي أنّ معاوية كان لا يولّي إلا من يثق بهم، ولا يعطي السلطان إلا لمن لا يخشاه أو لمن لا يخشى أن يطغى سلطانه على سلطان الخليفة، فمن يختارهم ليسوا حريّين بأن تعلوا نفوسهم إلى منزلة المطالبة بالخلافة، وهو لم يعيّن من بين الولاة رجالا من كبار بني أمية إلا في مناطق لا خوف منها على سلطانه، ولم يعيّن من كبار أصحاب البيوتات أو الصحابة ممّن يمكن أن تطمع نفسه بالخلافة[2].

- رسالة معاوية إلى أهل البصرة بتوليه عبيد الله بن زياد:

-263 -

كانت البصرة قبل تولّي زياد تعجّ بالفوضى، كما كانت كهفا للمجرمين واللصوص والمفسدين ، وكانت محتاجة إلى وال يضبط أمورها، ويشدّد على منحرفيها ، فعن عبد الله بن الدّاناج «أنّ رجلا حَصَب[3] عبد الله بن عمرو بن غيلان[4] على منبر البصرة، فأمر به فقطعت يده ورجله وقال:

العفو والطاعة والتّسليمِ خير وأعفى لبني تميمِ

فكُتب بذلك إلى معاوية، وقالوا: قطع على شبهة، فعزل عبد الله بن عمرو وقال: **قد ولّيت عليكم عبيد الله بن أخي زياد**» [5].

فالظّاهر أن هذا جوابا كتب به معاوية لأهل البصرة يولّي عليهم فيها عبيد الله بن زياد الذي سقلته التجارب في فتوح خراسان قبلها[1]، فكان معاوية بذلك ثاقب النظرة في معرفة من يصلح لخدمته، فكان

---

(1) _الزّبير بن بكّار: الأخبار الموفّقيات، ص154.

(2) _ يوسف العش: المرجع السابق، ص139، صالح حمارنه: النّاس والأرض، ص59.

(3) _ حصب أي رماه بالحصى . لسان العرب، مج 2، ص892، مادة حصب.

(4) _ هو عبد الله بن عمرو بن غيلان بن سلمة بن معتب بن مالك الثقفي، أصله من دمشق، كان على البصرة لمعاوية فعزله سنة 55 هـ وولاها عبيد الله بن زياد. تاريخ خليفة، ص137.ابن عساكر: المصدر السابق، ج31، ص298

(5) _ البلاذري : أنساب، ج5، ص249، تاريخ الطّبري، ج5 ، ص300.

(1) _تاريخ خليفة، ص137.

يختار لها، وكان يعرف كيف يضم إلى جانبه من يعنيه أن يضمّه، وأن يرتبط معه، بل كان يعرف كيف يستخدم في أغراضه من ترضى به رعيته، ولا يشعر أنه عامل من قِبله بقدر ما كان يشعر أنه حليفا له[1].

ولا ريب أن عبيد الله بن زياد كان واليا حازما من أنصار بني أمية الأوفياء، ولكنّه لم يكن مقتدرا كقدرة أبيه في الإدارة، ولا كانت له حكمة أبيه في تصريف الأمور وفي الوفاء لبني سفيان، على أن هذين النّقصن في عبيد الله لم يظهرا في أيام معاوية بل في أيام يزيد[2].

- رسالة معاوية إلى ابنه يزيدّ بتولية عبيد الله بن زياد الكوفة:

-264-

قال الجهشياري: «لمّا اتّصل بيزيد مسير الحسين إلى الكوفة وضعف واليها النّعمان بن بشير كره ذلك وشقّ عليه، فشاور سرجون بن منصور[3] فيمن يولّي العراق ليقاوم الحسين، فقال له سرجون: عبيد الله بن زياد- وكان يزيد كارها له-فقال: لا خير فيه فسمّ لي غيره، قال أرأيت لو كان معاوية حيّا فأشار به عليك، أكنت قابلاً؟ قال: نعم، **فأخرج إليه عهداً من معاوية لعبيد الله بولاية الكوفة وعليه خاتمة**، وقال هذا عندي، ولم يمنعني من إخبارك به أوّل الأمر إلاّ علمي ببغضك لعبيد الله فقال له: فأنفذه إليه، وكان عبيد الله يتقلد البصرة»[4].

ذلك هو حرص معاوية على انتقاء الأفذاذ من الرّجال الذّين يجابه بهم المصاعب، ويتخطى بهم العثرات، خاصة في إقليم كالعراق الذي يموج بالقلاقل والفتن.

مع ملاحظة أنّ سرجون منصور كان كاتبا لمعاوية، وصاحب إمرته[5]، فقد جعله في خدمة الدّولة، واستعمله على ماليته[6]، وآمنه على أخطر أمور الدولة.

لقد شارك الكتّاب في السّياسة مشاركة تعليميّة، فقدّموا إلى الخلفاء معرفتهم العلّمية بالسياسة وكانت حجّتهم لتمرير بضاعتهم أنّ للسياسة منطقها الخاص وتقاليدها المتوارثة، لذا فإن العلم بأصول السيّاسة،

---

(1) _ فلهوزن : تاريخ الدولة العربيّة، ص131.

(2) _ عمر فروخ : تاريخ صدر الإسلام، ص129.

(3) _هو سرجون بن منصور الرّومي كاتب معاوية ويزيد وعبد الملك، ذكر ابن عساكر أنّه كان نصرانيا وأسلم والأصح أنّه لم يسلم، ويقال له سرحة، تاريخ خليفة، ص189، الجهشياري: الوزراء والكتاب، ص19، 20، ابن عساكر: المصدر السابق، ج20، ص161.

(4) _المصدر السابق، ص19 .

(5) _ابن كثير: البداية والنهاية، ج8، ص 126.

(6) _juseph burlot : la civilisation islamique, p36

وبتقاليد الحكم ضروري لنجاح السيّاسة، ولاستتباب النّظام[1]، ومن هنا نفهم حق الفهم قول عبد الحميد الكاتب[2] في رسالته إلى الكتّاب: «...بكم ينتظم الملك، وتستقيم للملوك أمورهم وبتدبيركم وسياستكم يصلح الله سلطانهم، ويجتمع فيهم، وتعمر بلادهم، يحتاج إليكم الملك في عظيم ملكه، والوالي في القدر السّنيّ والدّني من ولايته، ولا يستغني عنكم منهم أحد، ولا يوجد كافٍ إلاّ منكم...» [3].

- رسالة يزيد إلى عبيد الله بن زياد يعلمه بولايته على الكوفة مع البصرة:

-265 -

وقال أبو جعفر الباقر: لمّا أخرج سرجون عهد معاوية لابن زياد على الكوفة قال ليزيد: فاقبل مني، فإنّه ليس للكوفة إلا عبيد الله بن زياد فولّها إياه –وكان يزيد عليه ساخطا، وكان هم بعزله عن البصرة– **فكتب إليه برضائه [عنه]** [4] **وأنّه قد ولّاه الكوفة مع البصرة»** [5].

كانت ولاية عبيد الله للكوفة بإشارة من معاوية ليزيد، وهذا لِما عرفه معاوية في عبيد الله من قدرة على تحمل المسؤولية، وترويض الخصوم و المعاندين، كيف لا وقد رآه على مسرح خراسان يجيد الفتوح في ساحات الوغى، ثم رأى سياسته بالبصرة قيد التنفيذ، فوجد فيه وفاء وإخلاصا للدولة، فكان أن جمع العراق كله لعبيد الله لأمر إقتضته الحاجة، وهو سدّ الفتنة التي جعلت خلافة يزيد على المحك، فولّاه يزيد رغم أنه كان له كارها !!.

---

[1] _علي أومليل: السّلطة الثقافية، ص58.

[2] _هو عبد الحميد بن يحي بن سعد أبو يحي المعروف بالكاتب، مولى بني عامر من كنانة، أصله أنباري سكن الرّقّة، كان في أوّل الأمر مؤدّبًا، كتب لمروان بن محمد، وعنه أُخذت كتابة الرّسائل، قُتل مع مروان بن محمّد سنة 132 هـ، على يد أبي العباس السّفاح، تاريخ خليفة، ص267، الجهشياري: المصدر السابق، ص45، ابن عساكر: المصدر السابق، ج34، ص92-95، الذّهبي: تاريخ الإسلام، ج2، ص470-471.

[3] _الجهشياري: المصدر السابق، ص47، القلقشندي: صبح الأعشى، ج 1ص118، وانظر مراد لكحل: كتّاب الخلفاء الأمويّين، ص156

[4] _ ما أضيف من تجارب الأمم، وفي الطبري ناقصة ومثل ذلك غيره.

[5] _ تاريخ الطبري، الرّواية الأولى، ج5، ص348، الرواية االثانية، ج5، 356عن عوانة ، أبو حنيفة الدّينوري :الأخبار الطوال، ص214، مسكوية: تجارب الأمم، ج2، ص25، الذهبي: سير، ج3، ص306.

-كتاب يزيد إلى ابن زياد يأمره أن يولّي كثير بن شهاب مناطق بفارس:

-266 -

قال عوانة: «كان كثير بن شهاب[1] بن الحصين بن ذي الغصّة الحارثي عُثمانيا يقع في علي بن أبي طالب ويثّبط الناس على الحسين...وكان معاوية ولاه الريّ حينا من قِبله، ومن قِبل زياد و المغيرة بن شعبة عامليه، ثم غضب عليه فحبسه بدمشق، وكان يزيد بن معاوية قد حمد مشايعته وإتّباعه لهواه، **فكتب إلى عبيد الله بن زياد في توليته ماسبذان[2]، ومهرَجانَقْذف[3] وحُلوان[4] والمَاهين[5]**، وأقطعه ضياغا بالجبل، فبنى قصره المعروف بقصر كثير» [6].

- رسالة عبد الملك إلى أخيه بشر يولّيه البصرة:

-267 -

لقد تميّزت الفترة المروانية عموما بازديا اعتماد الخلفاء الأمويّين إمّا على أمراء من الفرع المرواني أو على ولاة من أهل الشام لإدارة الولايات ذات الأهمية الكبرى، وهكذا ترى كثرة الولاة من العرب الشاميّين في العراق ومصر وإفريقية، ودورهم الكبير في التنظيم والإدارة والفتوح، وعمران الأرض ونشر الإسلام في ربوع الدولة الإسلامية، وفي دعم حكم بني أمية فيها [7]، لذلك ولّى عبد الملك أخاه بشرا الكوفة سنة 72هـ[8]، ثمّ ضمّ إليه البصرة.

قال المدائني: «عزل عبد الملك عبد الله بن خالد عن البصرة، وضمّها إلى بشر بن مروان، **وبعث إليه بعهده عليها**» [1].

---

[1] _ سبقت ترجمته في الرسالة رقم 212 .

[2] _ ما سبذان : أصله ماه سبذان مضافا إلى إسم القمر، وهي مدينة حسنة في صحراء فارس بينها وبين الروذ عدة فراسخ، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص41.

[3] _مَهرجا نَقذِف: قال ياقوت مهرجان قذف معناها محبة الشمس، وهي كورة حسنة واسعة ذات مدن وقرى قرب الصميرة من نواحي الجبال، يمين القاصد من حلوان العراق إلى همدان في تلك الجبال. معجم البلدان، ج5، ص233.

[4] _ حلوان العراق آخر حدود السواد ممّا يلي الجبال من بغداد، وحلوان مدينة بالعراق بعد الكوفة والبصرة وواسط وبغداد، وسر من رأى أكبر منها، وليس للعراق مدينة قرب الجبل غيرها فتحها المسلمون بعد جلولاء. معجم البلدان، ج2، ص290، 291.

[5] _ الماهين : قال ياقوت، ماهيان قرية بينها وبين مرو نحو فرسخين. معجم البلدان، ج5، ص49.

[6] _البلاذري : فتوح البلدان، ص432.

[7] _ نجدة خماش : الشّام في صدر الإسلام، ص109.

[8] _ انظر تاريخ خليفة، ص168، 169، ابن عساكر: المصدر السابق، ج10، ص255.

[1] _ البلاذري : أنساب، ج6، ص316.

وبذلك جمع عبد الملك العراق كلّه لأخيه بشر، فلما قدم ولّى المهلب قتال الأزارقة[1]، وكان ذلك سنة 74 هـ.

ففي اختياره لعمالّه إتّبع عبد الملك التقليد الذي كان سائدا في عصره، ففضّل أقرباءه بالدرجة الأولى ولكنه مع ذلك لم يكن أسير عائلته، وربما كان سبب اعتماده على أقربائه هذا أنّه كان يثق بهم أكثر من غيرهم، بسبب طبيعة المشاكل التي واجهته عندما إعتلى الخلافة، وكقرشيّين كانوا قادرين على إحتلال مركز بعيد عن الإحتكاك القبلي ليتعذّر على غيرهم من العرب، ورغم ذلك فقد كانوا خاضعين لمراقبته الدقيقة، كما أنه كان على استعداد لإقالة أيّ منهم إذا ما أظهر عدم كفاءة، ويحلّ محله شخصا آخر أكثر كفاءة بغضّ النظر عن كونه أمويّا أو غير أموي فعندما أظهر خالد بن عبد الله بن أسيد عجزا عن مواجهة خطر الخوارج الأزارقة، وكذا في جباية الأموال أُقيل من منصبه[2]كوالٍ على البصرة[3].

- رسالة عبد الملك إلى بكير بن وِشاح يولّيه خراسان إن قتل ابن خازم:

-268 -

قال خليفة ابن خياط: «كتب عبد الملك عام مقتل مصعب – سنة 72هـ- إلى عبد الله بن خازم[4] بولاية خراسان[5] بعث بالكتاب مع سورة بن أبجر الدّارمي، فقال له ابن خازم لولا أنّي أكره أن أضرب بين بني تميم وسليم لقتلتك، ولكن كل كتابك، فأكله فكتب عبد الملك إلى بكير بن وشاح الصريمي[6]:

إن قتَلته أو أخرجتَه من خراسان فأنت الأمير.

فقتل بكير ابن خازم وأقام واليا حتّى قدم أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد، فعزله وولى أمية»[7].

رواية أخرى لما سبق

-268-أ

وجاء ما سبق عند الطّبري قال: «وكتب عبد الملك إلى بكير بن وشاح أحد بني عوف بن سعد،

---

(1) _ البلاذري : أنساب، ج6، ص316.

(2) _ كان عبد الملك قد ولاه سنة 72هـ وعزله سنة 74 هـ. انظر تاريخ خليفة، ص186.

(3) _ عبد الأمير دكسن : الخلافة الأموية، ص174، عبد الجبّار محسن : الإتجاهات العامة، ص18.

(4) _ سبقت ترجمته في الرسالة رقم 28.

(5) _ هذه الرسالة سبقت رقم 28.

(6) _ سبقت ترجمته في الرّسالة رقم 28.

(7) _ تاريخ خليفة، ص187 ، ابن عساكر: المصدر السابق، ج28، ص14 ونقل روايته عن خليفة .

وكان خليفة ابن خازم على مرور **بعهده على خراسان ووعَده ومنَّاه.**

فخلع بكير بن وشاح عبد الله بن الزبير، ودعا إلى عبد الملك بن مروان فأجابه أهل مرو» [1]، وقتل ابن حازم.

لقد لجأ عبد الملك إلى استمالة أهل الإقليم خاصّة من معارضي ابن خازم ، بأن كتب عهده على خراسان إلى بكير بن وشاح، فثارت تميم بابن خازم فقتلوه.

إنّ هذه الرغبة الاختيارية لمعارضة السلطة من قِبل ابن خازم الظّاهر أنها نشأت من قسوته وسوء نيته التي أظهرها لبني تميم[2]، وهنا وجد ابن خازم نفسه غير قادر على مواجهة التيّار المعادي الذي جرفه، وحتى مقتل ابن خازم لم يجلب السّلم إلى خراسان بل نشب صراع بين بطون بني تميم حول المغانم والمنافع، فتدخّل عبد الملك فولى رجلا من قريش، هو أميّة بن عبد الله بن خالد بن أسيد على أمل أن هذا القرشي سيحكم بشكل حيادي، لكن هذا الحكم الحيادي ما كان ليستطيع انتزاع الأحقاد من النفوس، وهكذا تجدّدت الصراعات بين بطون تميم[3].

- رسالة عبد الملك إلى الحجّاج يولّيه العراق:

-269-

بعد موت بشر بن مروان أصبح العراق خاصّة مصدرا لأخطار جسيمة تشكل تهديدا واضحا للسّلطة الأموية فيه، من تراجع روح الجهاد بسبب الفتن وتردّي الوضع الأمني، فكان على الخليفة أن يختار رجلا كفؤا يستطيع أن يعيد الأمن والنظام إلى العراق خاصة، وأن يثبِّت الحكم الأموي في كافة أنحاء المشرق بصورة عامة، فقد تفاقم خطر الأزارفة على العراق خاصة بعد أن ترك الجيش العراقيّ مواقعه في القتال ورجع الجنود إلى بيوتهم ، فكان على عبد الملك أن ينظر بعين الإعتبار، ويبحث عن الشّخصية المطلوبة، فاستقر رأيه أخيرا على الحجاج بن يوسف، فسطوة الحجاج وما أبداه من كفاءة في مناصبه السابقة، إضافة إلى شدّته وطريقته الفعّالة في استعادة الأمن والنظام في الحجاز، كل ذلك كان كافيا لترشيحه للمنصب الذي شغر بوفاة بشر أخي الخليفة في العراق[1].

---

[1] _ الطبري: المصدر السابق، ج6، ص176.مسكوية: المصدر السابق، ج2، ص165.ابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص122، ابن الأثير، الكامل، ج4، ص119.

[2] _ عبد الأمير دكسن : المرجع السابق، ص168

[3] _ رياض عيسى : الحزبية السّياسية، ص264.

[1] _ عبد الواحد ذنون طه: العراق في عهد الحجّاج ، ص 69 ، 70.

قال اليعقوبي: «ولّى عبد الملك الحجاج العراق وكتب إليه كتابا بخطّة:

أما بعد يا حجاج قد وليتُك العِراقين صدَقة، فإذا قدمتَ الكوفة فطَأها وطأة يتضاءل منها أهل البصرة، وإياك وهُويْنا الحجاز، فإنّ القائل هناك يقول ألفا ولا يقطع بهنّ حرفا، وقد رُميت العَرَض الأقصى، فارمِه بنفسك وأرِد ما أردتُّه بك والسلام"[1].

رواية أخرى لما سبق

-269-أ

قال عبد الله بن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر: «خرج الحجّاج بن يوسف من المدنية حين **أتاه كتاب عبد الملك بن مروان بولاية العراق [وأمره بالمَسير إليها]**[2]، بعد وفاة بشر بن مروان» [3].

فسار في اثني عشر راكبا حتّى دخل خفية إلى الكوفة، فبدأ بالمسجد وخطب خطبته المشهورة وذلك سنة 75 هـ[4].

رواية أخرى لما سبق

-269-ب

أمّا ابن أعثم فقال: خطب عبد الملك أنّ العراق تكدر أمرها واشتدّ شر الأزارقة فيها، وأنه يبحث عن رجل ليطفئ نارها، فتكلّم الحجاج، فقال: أنا لها يا أمير المؤمنين، فقال عبد الملك: أنت لها يا حجاج، ثم التفت إلى كاتبه فقال:

«**أكتب عهده على العراقين، وأطلق يده في الرجال والسّلاح والأموال، ولا تجعل له عِلّة، وأعْلم أهل العراق أنّه قادم إليهم أميرا عليهم فليلتزموا طاعته، وليحذروا صولته**، فكتب عهده يوم الاثنين فخرج إلى الكوفة» [1].

فالأصل في الكيفية التي كان يتسلّم بها العامل مهام عمله كانت على الأغلب بشخوص العامل إلى مكان عمله وهو يحمل عهده، فيتلقّاه أهل المدينة بالقبول، غير أنّ بعض الظروف والأحوال كانت توجب

---

[1] _ تاريخ اليعقوبي، ج2، ص273 ، محمد ماهر: الوثائق، ص337.

[2] _ إضافة من الكامل في التّاريخ .

[3] _ تاريخ الطبري، ج6، ص202، ابن الأثير: الكامل ، ج4، ص138 ، ابن كثير: البداية والنهاية، ج9، ص7، مسكوية: تجارب الأمم، ج2، ص169 وعنده"وولاه العراق".

[4] _ تاريخ الطبري ، ج6، ص202، ابن الأثير: الكامل ، ج4، ص138.

[1] _ الفتوح، ج7، ص6، 7.

المفاجأة خيفة الفتنة، أو خيفة تمرّد العامل السّابق، مثل ما حصل في توليه الحجّاج هذه[1].

فلماذا كان اختيار عبد الملك للحجّاج بالتحديد؟ ولماذا يوليه إقليم العراق بالذّات؟ ثم هل نجح الحجاج فيما أوكل إليه من مهمة؟ وما هي السّبل التي انتهجها في ذلك؟

إنّ نجاح الحجاج في القضاء على ثورة ابن الزبير أتاح لعبد الملك أن ينفرد بخلافة المسلمين دون منازع، وقد حفظ الخليفة للحجّاج خدماته، وقدّر له إخلاصه وولّاه الحجاز، فبذل الحجاج كل مافي وسعه لإعادة هيبة الخلافة الأمويّة على الحجاز، بعد أن ظلّت بعيدة عن السيطرة الأموية قرابة عشرة أعوام، وبعد أن تبيّن للخليفة كفاءة الحجاج القيادية عيّنة واليا على العراق، وأمره بالتوجّه إليها عام 75هـ[2].

وبهذا كانت سنة 75هـ سنة تحوّل في خلافة عبد الملك، إذ انصرف إلى معالجة مشاكل العراق بالحجاج، وكان اختياره له صائبا، وفي البداية لم تكن لأيّ منهما فكرة واضحة عما يجب عمله في العراق، لكنهما كانا مصمّمين على إستبدال حكم بِشر السّلبي بحكم آخر أشد فعالية وقوة، مع ذلك فإنّ هذه الغاية البسيطة الغامضة كان لابد لها أن توجب تغييرا جذريا في السياسية[3].

وبطبيعة الحال كان الخليفة يقصد بتوليته الحجاج أن يلفت نظره إلى أنّ العراق بحاجة إلى سياسية حازمة وقوية، تتناسب مع ما فيه من مشاكل وعقبات تواجهها الدولة[4].

أما نجاح الحجاج من عدمه، فقد تمكّن بفضل حزمه من أن يعيد للدّولة الأمويّة وحدتها السياسية في العراق، حيث كانت فتن الخوارج متلاحقة، فنجح في إخمادها، ولم يقتصر عمله السياسي على الإصلاح، بل كان له فضل الإبتكار خاصة في النظم الإدارية التي سنّها في الدّواوين والزراعة والنقود[5]، ومسائل المقاييس[1].

ولئن كان الحجاج جاوز الحدّ في حربه لابن الزبير بمكة، فوصل إلى النتيجة التي أرادها عبد الملك، وإلى النتيجة التي أرادها هو لرضى عبد الملك، فإنّه قد فعل ذلك بالعراق، وما من شك في أن العراق –

---

[1] _ نجدة خماش: الإدارة، ص299.

[2] _ سهيل أحمد: تطور جهاز الشرطة، ص79.

[3] _ محمد عبد الحي: صدر الإسلام، ص115، 116.

[4] _عبد الواحد ذنون طه: العراق في عهد الحجاج، ص73.

[5] _ لقد كان للحجاج دور لا يُنكر في تعريب النقود، ومعالجة الزّيوف في خلافة عبد الملك. انظر: الماوردي: الأحكام، ص274. القلقشندي: صبح الأعشى، ج1، ص283، ناهض القيسي: موسوعة النقود العربية، ص29-31. إبراهيم رحاحلة: النقود ودور الضرب في الإسلام، ص40 وما بعدها.

[1] _ أحمد علي علي: التعبئة العسكرية، ص32، 33.

وخراسان تابعة له-كان قد تمرّد على الحكم مرات، وكان مجمعا للأحزاب والفرق والعصيان، لذلك حكم الحجاج العراق بالشّدة التي لا هوادة فيها، حتى خاف اللّص في مأمنه، والمنافق في خلوته، وكان سيفه ولسانه يتعاونان في القضاء على بواعث الفتن ودعاة الإنشقاق، ويكاد تاريخ الرّجل لا يخلو من حرب[1] طيلة مدة حكمة على العراق التي قاربت إحدى عشر سنة في خلافة عبد الملك، وتسع سنين في ولاية الوليد بن عبد الملك[2]

لقد كان الحجّاج ذا ذكاء خارق تتراكم فيه التّجارب بعضها وراء بعض فتنتج فكرا، وإذا الذهن يتفتّق عن حلول وأنظمة توضع، وكلّها مبنية على التجربة السابقة، فهي إذن عملية، وصاحبها خليق بأن ينجح من وجهة النّظر العملية، غير أن الحجاج يتميز بمزاج حاد، وقسوة شديدة يقفان أمام ذكائه الخارق !! [3].

- رسالة عبد الملك إلى أهل العراق حين ولّى عليهم الحجّاج:

-270 -

قال عبد الملك بن عمير اللّيثي: لمّا ولّى عبد الملك الحجاج العراق أرسل معه كتابا إلى أهل العراق فخطب الحجاج فيهم، وأمر غلامه أن يقرأه على مسامعهم «فقال: يا غلام إقرأ [عليهم] [4] كتاب أمير المؤمنين فقرأ:

بسم الله الرّحمن الرّحيم من عبد الله عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين إلى من بالعراق[5] من المؤمنين و المسلمين [6] سلام عليكم: فإنّي أحمد إليكم الذّي لا إله إلا هو.

فلم يردّ أحد السلام ، فقال الحجاج من المنبر:

أسكت يا غلام، يا أهل الفرقة سلّم عليكم أمير المؤمنين فلم تردّوا عليه، أما والله لئن بقيتُ لكم لأؤدبنّكم أدبا، ولأجعلنّ لكل امرئ منكم شُغلا في نفسه، يا غلام إقرأ كتاب أمير المؤمنين، فقال الكاتب:

---

[1] _ أحمد محمد الحوفي: أدب السياسية، ص549.

[2] _ ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق، ج6، ص230.

[3] _ يوسف العش : الدولة الأموية، ص220.

[4] _إضافة من العقد الفريد.

[5] _ في تاريخ دمشق والعقد الفريد" إلى من بالكوفة" والمثبت من بقية المصادر.

[6] _ كذا في النتظم ، وفي بقيّة المصادر" المسلمين و المؤمنين ".

بسم الله الرحمن الرحيم، فلمّا بلغ السلام قال من في المسجد: وعلى أمير المؤمنين السلام»[1].

الظّاهر أنّ عبد الملك كتب لهم يُعلمهم بولاية الحجاج عليهم ويأمرهم بطاعته، وقتال الخوارج مع المهلّب بن أبي صفرة، وهذا ظاهر في خطبة الحجاج بن يوسف عليهم والتّي خطبها قبل قراءة كتاب عبد الملك، فقد جاء فيها:«...وإنّ أمير المؤمنين أطال الله بقاءه نثر كنانته بين يديه فعَجَم[2] عيدانها، فوجدني أمرّها عودا، وأمرّها مكسرا، فوجّهني إليكم...وإنّ أمير المؤمنين أمرني بإعطائكم وأن أوجّهكم لمحاربة عدوّكم مع المهلب بن أبي صفرة، والله لا أجد رجلا تخلّف بعد أخذ عطائه بثلاثة أيّام إلا ضربت عنقه»[3].

إذن من المحتمل أنّ الخليفة عبد الملك قد رسَم لأهل العراق والحجاج سياسته التي ينبغي أن يسير عليها وهدفه الذي يريده منه ومنهم، بإعادة النّظام وخلق روح الطاعة في نفوس المحاربين من أهل العراق الذين تخلّوا عن المهلب بن أبي صفرة الذي كان يقاتل الخوارج الذين يهددون أمنهم بعد موت بشر بن مروان، وعادوا إلى بيوتهم بغير إذنه، فنفّذ الحجاج فيهم طوال إمارته الأهداف التي أرادها عبد الملك بمنحه مزيدا من الصّلاحيات في اتّباع ما يراه مناسبا للقضاء على كل باذرة تبذر من أهل العراق تعكّر صفو الأمن هناك.

والذي نلاحظه من خلال الرّواية ونلمسه أنّ كثيرا من الرسائل الرسمية للدّولة كانت تُقرأ على المنابر فيما يمكن أن يسمّى اليوم بالمنشورات السياسية، كالإعلامات بالتّولية والفتوح والحج وولاية العهد[4].

- رسالة عبد الملك إلى محمّد بن موسى بولاية سجستان:

-271-

قال أبو بكر بن عياش: «وكان عبد الملك بن مروان قد بعث محمد بن موسى بن طلحة[1] على سجستان **وكتب له عهده عليها**» [2] ، وذلك سنة 76 هـ.

---

[1] _الزّبير بن بكّار: الأخبار الموفقيات، ص93، ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج5، ص279، ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج12، ص131. ابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص153، 154.

[2] _ عجم العود عظة ليعلم صلابته من خوره. لسان العرب، مج4، ص2827، مادة عجم

[3] _ انظر خطبة الحجاج كاملة : المبرد: الكامل في اللغة والأدب، ج1، ص224، 225، ابن عساكر: المصدر السابق، ج12، ص131.

[4] _ عبد المجيد الشّرفي: في قراءة النّص الديني، ص145.

[1] _ هو محمد بن موسى بن طلحة بن عبيد الله أمير من القادة الشّجعان في العصر المرواني، ولاه عبد الملك سجستان، وكتب إلى الحجاج ليجهّزه، ثم انتدبه الحجاج لقتال شبيب فقتل في مواجهته سنة 76 هـ .تاريخ خليفة، ص187، الزركلي:الأعلام، ج7، ص116 .

[2] _ تاريخ الطبري، ج6، ص242.

لـمّا كتب عبد الملك لمحمد عهده على سجستان أمره بمكاتبه الحجاج، فلمّا وصل وجّهه الحجاج لقتال الخوارج، وقد كانت سجستان تابعة إداريا للعراق، فقاتل محمّد الخوارج بقيادة شبيب بالأهواز فقُتل قبل أن يصل إلى سجستان[1].

- رسالة عبد الملك إلى المهلب بن أبي صفرة يولّيه خراسان:

-272 -

إنتقل ولاء المهلب من ابن الزبير إلى الأمويّين في أعقاب مقتل مصعب، بعد أن أدرك إتجاه رياح التّغيير، وأن الظفر في النهاية سيكون للدولة الأموية[2]، فانضمّ إلى الأمويين، وأظهر كفاءة وبسالة في قتال الخوارج[3].

قال أبو حنيفة الدّنيوري: لمّا هزم المهلب الخوارج كتب الحجاج إلى المهلب يأمره بالقدوم عليه، فسار حتى قدم على الحجاج فاستقبله الحجاج وأظهر بِرّه وإكرامه، وأمر له بالجوائز والصلات، «وأقام المهلب بعد انصرافه بالبصرة في منزله حتى **وافاه عهده من عند عبد الملك على خراسان** فسار إليها، فمكث عليها خمس سنين، ثمّ مات، فجعل عبد الملك أمر خراسان إلى الحجاج، فأقرّ عليها يزيد بن المهلب» [4].

- رسالة عبد الملك إلى الحجّاج يضمّ إليه خراسان:

-273 -

قال مجالد بن سعيد: «بعث الحجاج عبيد الله بن أبي بكرة إلى عبد الملك يطلب منه ولاية خراسان وسجستان، وكان على الثّغرين أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد، فقال عبد الملك لستُ بنازع أمية عن الثّغرين للحجاج –وكان له محبا– ولكن إن شئتَ وليتُك إياها فقال: ما كنت لأخون الحجاج، وقد أرسلني ووثِق بي، ثم إنّ عبد الملك استقصر أمية بن خالد وأمْره واستبطأه في جباية الأموال، وأتته جبايات الحجاج كثيرة موفّرة ، **فكتب إلى الحجاج بولاية الثّغرين، وبعث إليه بعهده عليها** سنة 78 هـ .

---

[1] _ تاريخ خليفة، ص187، الطبري: المصدر السابق، ج6، ص242 وما بعدها.

[2] _ عبد المنعم سلطان: آل المهلب، ص38.

[3] _ انظر تاريخ خليفة، ص173، وما بعدها.

[4] _ الأخبار الطوال، ص256، 276 . وكان ذلك كما ذكرنا سنة 79 هـ لأن عبد الملك كان كتب إليه بعد مقتل مصعب سنة 72 هـ يوليه قتال الخوارج وليس خراسان، وبعض المصادر تفرّق بين الأمرين، وسنوضح ذلك في الفصل الثّاني من الباب السادس عند الحديث عن قتال الخوارج.

فولّى الحجاج المهلب خراسان وعبيدالله بن أبي بكرة سجستان» [1].

رواية أخرى لما سبق

-273 أ-

أمّا مسكوية فقال باختلاف عما سبق: «**كتب عبد الملك إلى الحجّاج بولاية خراسان وسجستان مع العراق** وعزل أميّة عن خراسان» [2].

وبهذا ضُمّت خراسان وسجستان إلى الحجاج لتُصبحا تابعتين للعراق يتحكّم فيهما الحجاج كيفما يشاء، ويولّي عنهما من شاء ومن تهواه نفسه، ويجد فيه طاعة وإذعانا لأوامره وقراراته، وهنا لابدّ من الإشارة إلى نقطة مهمة تتعلق بالكوفة والبصرة قبل خراسان وسجستان، وهي أنّ وقوع هذين البلدين في هذا المركز الجغرافي البعيد جعل العراق أكثر إستقلالية، وأعظم حرّية من غيرهما من المدن، هذا وإنّ سكانها ساهموا في فتح المشرق ووسّعوا رقعة الدّولة بسيوفهم، ممّا كان يدعوهم إلى الفخر والمباهاة، لذلك رفعوا راية الاستقلال الذاتي [3].

فيبدو وبوضوح أنّ الخليفة عبد الملك بن مروان بعد استقرار الدولة اتّجه نحو ترسيخ اللّامركزية، وكان يهدف من وراء ذلك إلى تخفيف أعباء إشرافه على الأقاليم البعيدة، ولتسهيل وصول الإمدادات بسرعة إلى هذه المناطق، ولسرعة البتّ في الأمور الإدارية والعسكرية المهمّة، كما كان لثقة الخليفة بمقدرة الحجّاج بن يوسف الثقفي الإدارية، مع صدق وشدة إخلاصه للبيت الأموي – فضلا عن الظّروف الداخلية التي تتعلق بهذه الولايات وولّاتها– أثرٌ واضح في هذا التغيير [4].

فكانت ولاية العراق وخراسان وسجستان مكافأة للحجّاج على منجزاته وخدماته، وهذا أقصى ما وصل إليه الحجاج من سلطان [1].

- رسالة عبد الملك إلى الحجّاج فيمن يولّي خراسان:

-274 -

عن المفضّل بن علي فال: لمّا أكثر الحجاج في الطّعن على آل المهلب ورماهم بالزّبيرية وخوّف عبد

---

[1] _ البلاذري : أنساب الأشراف، ج7، ص304.

[2] _ تجارب الأمم، ج2، ص221 .

[3] _ عمر أبو النضر: عبد الملك بن مروان، ص232.

[4] _ عبد الجبار محسن : الإتجاهات العامة، ص28.

[1] _ عبد اللطيف السيد: العصر الأموي، ص200.

الملك من خيانة يزيد بن المهلّب الذي يتولى خراسان، «كتب له عبد الملك:

قد أكثرتَ في [شأن] [1] يزيد وآل المهلب [2] فسَمِّ لي رجلا يصلُح لخراسان، فسمّى له مجاعة بن سعد [3] السّعدي» [4].

إنّ الحقيقة التي لا ريب فيها هي أنّ الحجّاج كان يخشى على مصالحه، ويخاف أن يقدّم عبد الملك يزيد عليه، وليس ما ادعاه من خيانة آل المهلب ويزيد، خاصة ونحن نعرف مدى وفاء آل المهلب للسّلطة التي يعملون تحت حكمها ولوائها، فالذّي يبدو أنّ الحجاج كان يبحث عن مبرّر يقنع به عبد الملك في عزل يزيد بن المهلب عن خراسان، فكثرة الكتب واتهامه بالزبيرية دليل واضح على نيّته.

كما يظهر ممّا سبق أنّ عبد الملك كان يدرك حقيقة مشاعر الحجاج وحقده الدّفين على يزيد وآل المهلب، وأنه كان يرمي إلى استفساد آل المهلب، ورغم ذلك نراه يستجيب لطلبه في عزل يزيد، وهذا في اعتقادنا منعًا لاحتمالات الفتنة والصّدام بين يزيد والحجاج مما ينذر بسوء العاقبة[5].

ولقد كان الحجاج حريصا في الوقت نفسه أن يتمّ عزل يزيد عن خراسان بطريقة لا تثير مشاعره ولا تدفعه إلى الثورة، فلم يكتب إليه بالعزل وكتب إليه باستخلاف أخيه المفضّل، وأن يُقبل عليه بالعراق[6].

- رسالة عبد الملك إلى الحجاج لمّا اقترح عليه مجاعة بن سعد لولاية خراسان:

-275-

قال المفضل بن علي: سمّى الحجاج لعبد الملك مجاعة بن سعد السعدي لولاية خراسان، فكتب إليه عبد الملك:

---

[1] _ إضافة من البداية والنهاية وعند الطّبري وغيره غير ثابتة.

[2] _ " وآل المهلّب " في البداية والنهاية ناقصة.

[3] _ في تاريخ الطبري: مجاعة بن سعر والتّصحيح من تاريخ دمشق، وهو مجاعة بن سعد السعدي التميمي أمير من القادة الأشدّاء، حارب الأزارقة، ولاه الحجاج على أهل عمّان، ثم أرسله إلى السند، وغزا ومات بمكران، سنة 77هـ . تاريخ خليفة، ص174، الزركلي: الأعلام، ج5، ص277.

[4] _ تاريخ الطبري، ج6، ص395، ابن الأثير: الكامل، ج4، ص227، ابن خلّكان: وفيات الأعيان، ج6، ص289.ابن كثير: البداية والنهاية، ج9، ص49، ابن خلدون: العبر، ج3، ص69، أحمد زكي: جمهرة رسائل، ج2، ص205، وفي البداية والنهاية اقترح عليه المفضّل بن المهلب وهذا خطأ لأنه عزله به فقط كما سنوضح.

[5] _ عبد المنعم سلطان : المرجع السّابق، ص78.

[6] _ تاريخ خليفة، ص209، الطبري : المصدر السابق، ج6، ص395، عبد المنعم سلطان: المرجع السابق، ص78.

«إنّ رأيك الذي دعاك إلى استفساد آل المهلب هو الذي دعاك إلى مُجاعة بن سعد[1] فانظر لي رجلا [صالحًا] [2]صارمًا ماضيا لأمرِك فسمّى له قتيبة بن مسلم» [3].

وهذا يُظهر بوضوح أنّ عبد الملك غير مقتنع بما قاله الحجاج في آل المهلب ويزيد، فأعلن للحجاج في رسالته هذه بأنّ ذلك من سوء رأيه، ثم راح يلومه على إقتراح مجاعة بن سعد ولا ندري ما هو سبب ورفض عبد الملك لاقتراح الحجّاج بولاية مجاعة الذي أظهر كفاءة وقدرة في قتال الأزارقة، فالمعلومات والنّصوص التي بين أيدينا لا تمكّننا من معرفة ذلك، ولعلّه لم يرض عنه في أمر من أموره.

- رسالة عبد الملك إلى الحجّاج يأمره بتوليه قُتيبة خراسان:

-276 -

لمّا اقترح الحجاج على عبد الملك توليه قتيبة على خراسان بدلا من مجاعة كتب إليه عبد الملك:

«ولِّه وبلِّغ يزيد بن المهلب عزله»[4].

وبذا ولّي خراسان رجل سيكون له باع هناك وشأن عظيم في الفتوح على الجبهة الشرقية للدّولة، ونلمس من هذه الرّواية أنّ الحجاج كان يستمد قوته بالدرجة الأولى من تأييد الخليفة له، ويعتبر نفسه مسؤولا أمامه، وكان عبد الملك يراقب سيرته وأعماله ويوجّه إليه بين الحين والآخر تعليمات وإرشادات وانتقادات، وكان الحجّاج يختار عمّاله بالمواصفات التي يرى أنها تحقق سياسية الدولة، وقد خدم بني أمية بإخلاص شديد وسعى إلى توطيد ملكهم بشتى السبل، حتى ارتكب في سبيل ذلك العديد من المخالفات وأصاب الكثير من الدماء، وهذا الإخلاص هو الذي جعل عبد الملك، وهو على فراش الموت يوصي به ولي عهده الوليد[1].

والعراق بالتحديد كان يُعتبر مركز ثقل للمعارضين للحكم الأموي، لذا اهتم به الأمويون وحرصوا على ضبطه واستقراره، وولوا عليه أفضل قادتهم وولاتهم، وكان إقليم خراسان يتبع البصرة إداريّا في كثير من

---

[1] _ في تاريخ الطبري"مجاعة بن سعر"كما سبق وأن أشرنا في ترجمته.

[2] _ ما أضيف من تاريخ دمشق وفي بقية المصادر ناقصة.

[3] _ الطبري: المصدر السابق، ج6، ص395، ابن خلكان: المصدر السابق، ج6، ص289وروايته لا سند لها، ابن عساكر: المصدر السابق، ج60، 95، وأخذ روايته عن الطبري.

[4] _ ابن عساكر: المصدر السابق، ج60، ص95، الطبري: المصدر السابق، ج6، ص295.ابن خلكان: المصدر السابق، ج6، ص289.

[1] _ محمد خوجلي : الرّقابة الإدارية، ص255.

الأحيان، حيث كان ولاة العراق في الغالب يعينون ولاة خراسان[1].

- كتاب عبد الملك إلى زهير بن قيس البلوي بولاية إفريقية :

-277 -

من أعظم النّكبات التّي مُني بها المسلمون في فتوح المغرب مقتل عقبة ابن نافع على يد كسيلة ، قال ابن الأثير: فلّمّا ولّي عبد الملك بن مروان «ذُكر عنده من بالقيروان من المسلمين، وأشار عليه أصحابه بإنفاذ الجيوش إلى إفريقية لاستنقاذهم، **فكتب إلى زهير بن قيس البلَوي بولاية إفريقية**، وجهز له جيشًا كثيرا»[2].

لمّا وصل الكتاب إلى زهير سار سنة 69 هـ إلى إفريقية، فحارب كسيلة وهزمه، وعاد إلى القيروان[3]، وبذا انتقم زهير لمقتل عقبة وأعاد إفريقيّة إلى حاضرة الدّولة الإسلامية [4].

- رسالة الوليد بن عبد الملك إلى الحجاج يطلب منه أن يقترح عليه من يولّي المدينة :

-278 -

قال محمد بن عمر الواقدي: «وفيها – يعني سنة 93 هـ – عُزل عمر بن عبد العزيز عن المدينة[5]، وكان سبب ذلك–فيما ذُكر– أنّ عمر بن العزيز كتب إلى الوليد يُخبره بعسف الحجاج أهل عمله بالعراق، واعتدائه عليهم، وظلمه لهم بغير حق ولا جناية، وأنّ ذلك بلغ الحجاج فاضطغنه على عمر، وكتب إلى الوليد: إنّ من قَبلي من مرّاق أهل العراق وأهل الشقاق قد جلو عن العراق ولجؤوا إلى المدينة ومكّة، وإنّ ذلك وَهَن، فكتب الوليد إلى الحجاج:

أن أشِر عليّ برَجُلين، فكتب إليه يُشير عليه بعثمان بن حيان، وخالد بن عبد الله، فولى خالدا مكة، وعثمان المدينة، وعزل عمر بن عبد العزيز» [1].

من الواضح أنّ عزل الوليد لعمر بن عبد العزيز عن المدينة كان بوشاية من الحجاج الذي حقد على

---

[1] _ محمد خوجلي : المرجع السّابق ، ص230.

[2] _ الكامل في التاريخ، ج3، ص453 .

[3] _ المصدر نفسه، ص453.

[4] _ ابن عذارى: البيان المغرب، ج1، ص23.

[5] _ ولي عمر المدينة آخر سنة 86 هـ أو أول سنة 87. انظر تاريخ خليفة، ص198.

[1] _ الطبري: المصدر السابق، ج6، ص482.ابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص311، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج4، 278 ، أحمد زكي صفوت: المرجع السابق، ج2، 252.

عمر، فكان له ما أراد، بعد تخويف الوليد من وهَن الدولة بسبب سياسية عمر، وأشار عليه بتوليه عثمان وخالد لأنّهما نموذج حيّ لسياسية، فهما ينهجان المنهج نفسه الذي يسير به الحجاج، إذ يعتبران أصحابه في العنف والقسوة، وسياستهم بالحجاز هي خير دليل على ذلك، فقد ساروا بشدة وتعسف دفعا بعمر بن عبد العزيز إلى أن يقول بعد ما رآه منهما: إمتلأت الأرض والله جورا[1].

وبعد وفاة الوليد وتولّي سليمان قُرّب عمر بن عبد العزيز من الخليفة، وعمل بنصائحه وتوجيهاته، فكان أن عزل عثمان بن حيان عن المدينة وأمر بحدّه[2].

- رسالة سليمان إلى يزيد بن المهلب يضمّ إليه خراسان:

-279 -

كان يزيد واليا على العراق كارها الإقامة بها خاصة مع وجود صالح بن عبد الرحمن معه بالعراق، فكانت خراسان هي هدفه المنشود، فسعى بطريقة أو بأخرى إلى إقناع سليمان من أجل أن يتولّى إقليما أبعد عن عيونه وعن عيون صاحبه صالح بن عبد الرحمن، فتمّ له ما أراد بفضل ابن الأهتم[3] وتحايله.

قال عثمان بن عمرو بن محض الأزدي: كان يزيد بن المهلب واليا على العراق لسليمان، وكان وكيع بن أبي سود الغدّاني[4] بخراسان، وكان يزيد بن المهلّب يطمع في ولاية خراسان خاصّة وأنه ضجر من تقشّف صالح بن عبد الرحمن[5] الذي كان على الخراج، فأرسل يزيد عبد الله بن الأهتم ليزيّن لسليمان تولية يزيد خراسان، وينتقص أمر وكيع بن أبي أسود، وكان ابن الأهتم ذكيّا فهما، فقدم بكتاب يزيد بن المهلب، الذي يُثني فيه على ابن الأهتم، ويذكر فيه علمه بالعراق وخراسان، وهذا ما دفع سليمان إلى استشارة ابن الأهتم فيمن يولّي خراسان، فأقنعه بضرورة تولية يزيد فقال له سليمان:

«أصبتَ الرّأي، **فكتب عهد يزيد[1]على خراسان[مع العراق]** [2]، وكتب إليه **كتابا: إنّ ابن**

---

[1] _ ابن عساكر: تاريخ دمشق ، ج38، ص348.

[2] _ الطبري: المصدر السابق، ج6، ص505، وانظر الفصل الثالث من الباب الثاني رسالة رقم 207.

[3] _ عبد الله بن الأهتم، واسم الأهتم سمي بن سنان بن خالد بن منقر أبو عمر المنقري، وفد على سليمان بن عبد الملك رسولا من يزيد ين المهلب، ووفد على عمر بن عبد العزيز فوعظه. ابن عساكر: المصدر السابق ، ج27، ص107، 108.

[4] _ عند الطّبري وكيع بن أبي أسود الغداني، وقال خليفة بن خياط: وكيع بن أبي سود الغداني، تولى أمر الناس بخراسان بعد موت قتيبة بن مسلم فعزله يزيد بن المهلب، وولى ابنه مخلد بن يزيد. تاريخ خليفة، ص203.

[5] _ سبقت ترجمته في الرسالة رقم 73.

[1] _في البداية والنهاية"فكتب عهده".

[2] _ ما أضيف من البداية والنهاية وهنا نهاية رواية ابن كثير ومسكوية.

الأهتَم كما ذكرتَ في عقله ودينه وفضله ورأيِه، ودفع الكتاب وعهد يزيد إلى ابن الأهثم، فسار سبعا فقدم على يزيد فقال له: ما وراءك؟ قال: فأعطاه الكتاب، فقال ويحك! أعندك خير؟ فأعطاه العهد فأمر يزيد بالجهاز للمسير من ساعته»[1]، وعجّل بخروجه إلى خراسان وخلّف على الكوفة والبصرة رجالا، وأصبح يسيّر العراق من خراسان.

رواية أخرى لما سبق

-279-أ-

في حين يذكر البلاذري رواية أخرى لما سبق قال: «**وكتب سليمان إلى يزيد بن المهلب في الشّخوص إلى خراسان لإصلاحها وتسكين الناس بها،** بعد أن كان من أمر قتيبة ما كان»[2].

رواية أخرى لما سبق

-279-ب-

أمّا ابن أعثم فقال باختلاف عما سبق: كتب سليمان إلى يزيد بن المهلب بعد قتل قتيبة بن مسلم:

«**أمّا بعد، فإنّ عبد الله بن الأهتم كما نُحبّ وتحبّ في فضله وعقله ورأيه ودينه، وقد شاورتُه في أمر خراسان، فوقعت خِيرته عليك، وقد ولّيتك إيّاها حربَها وخَراجها، فإذا أتاك كتابي هذا فاجمع إليك النّاس وسِر على بركة الله، فأمير المؤمنين رافعُك ومُبلّغك أملك ومنيّتك إن شاء الله والسلام.**

قال ودفع سليمان الكتاب إلى ابن الأهتم، فرجع إلى يزيد بأمر ولايته، و دخل فسلم عليه، فردّ عليه يزيد السلام ثمّ قال: ما وراءك يا ابن الأهتم، فقال ورائي كل خير ثم دفع إليه الكتاب» [3].

ثانيا: الـــرّسائل الخاصّـة بعزل الـــولّاة عن أعمالهم:

- رسالة معاوية إلى المغيرة يعزله عن الكوفة:

-280-

[كتاب المغيرة] قال جعفر بن برقان : «أنّ المغيرة كتب إلى معاوية: أمّا بعد فإنّي قد كبُرت سِنّي

---

[1] _ الطبري: المصدر السابق، ج6، ص526.مسكوية: تجارب الأمم، ج2، ص293، ابن كثير: المصدر السابق، ج9، ص140.

[2] _ أنساب الأشراف، ج8، ص114.

[3] _ الفتوح، ج7، ص184.

ودقّ عظمي وشنِفَت[1] لي قريش، فإن رأيتَ أن تعزلني فاعزلني.

[ردّ معاوية] فكتب إليه معاوية: **جاءني كتابُك تذكر فيه أنّه كبرت سِنك، فلَعَمري ما أكل عمرك غيرك، وتذكر أنّ قريشا شنِفت لك، ولعمري ما أصبتَ خيرا إلا منهم، وتسألني أن أعزلك، فقد فعلتُ، فإن تكُ صادقا فقد شفّعتك، وإن تك مخادعا فقد خدعتُك**[2]»[3].

هكذا قرّر معاوية عزل المغيرة عن الكوفة وحقّق له ما أراد، فكان أن إستاء المغيرة من هذا القرار ولم يرضَ به !! والظّاهر أنّ المغيرة بن شعبة لم يقصد العزل وإنّما أراد أن يعرف مكانته عند معاوية، فكتب له بالذي كتب، وجواب معاوية فيه إشارة إلى أنّ معاوية شكّ في طلب المغيرة حين قال: وإن تكُ مخادعا فقد خدعتك، فلمّا عزله وكتب إليه، أقبل المغيرة على معاوية، واحتال عليه ليُرجعه إلى الكوفة، وذلك بأن زيّن له توليه العهد لابنه يزيد وطلب منه إعادته إلى الكوفة واليا ليأخذ البيعة من أهلها، فأرجعه معاوية إلى منصبه[4].

رواية أخرى لما سبق

280-أ-

[كتاب المغيرة] عن الشّعبي[5] قال: «كتب المغيرة بن شعبة إلى معاوية حين كبُر وخاف أن يستبدل به:

أمّا بعد فقد كبرت سنّي ورقّ عظمي، واقترب أجلي وسفهّني سفهاء قريش، وأمير المؤمنين أولى بعمله [6].

[ردّ معاوية] فكتب إليه معاوية: **أمّا ما ذكرتَ من كِبر سنّك، فأنت أكلتَ عمرك**[1]**، وأمّا [ما**

---

[1] _ شنِفت من الشّنَف وهو البغض والتنكّر. لسان العرب، مج4، ص2341، مادة شنف.

[2] _ كذا عند الطبري، وفي تجارب الأمم "خادعتك".

[3] _ الطبري: المصدر السابق، ج5، ص331، مسكوية: المصدر السابق، ج2، ص19، ابن عساكر: تاريخ دمشق، الرّواية الأولى، ج60، ص48، عن عبد الملك بن عمير.

[4] _ ابن الأثير: الكامل، ج6، ص 349، ابن الجوزي: المنظم، ج5، ص285.

[5] _ كذا في المحاسن والمساوئ ، وفي العقد الفريد بغير سند .

[6] _ في العقد الفريد " فرأي أمير المؤمنين في عمله موفّق ".

[1] _ في العقد " أكلت شبابك".

ذكرت من] [1] **اقتراب أجلك فلو أستطيع دَفع الموت عن أحدٍ لدفعتُها عن نفسي و عن آل أبي سفيان و[أمّا]** [2]**ما ذكرتَ من سفهاء قريش فحُلماؤها أنزلتك هذه المنزلة**[3]**، وأمّا [ما ذكرت من]**[4] **العمل فاصبر رُويدا**[5] **يُدرك الهَيجا حَمَل»**[6].

رواية أخرى لما سبق

-ب-280

و عن ابن وهب عن الليث قال: «كان المغيرة بن شعبة قد اعتزل، فلمّا صار الأمر إلى معاوية كتب المغيرة إلى معاوية يرُوزه[7]: إنّي أشكو إلى الله وإليك كِبر سنّي، ونفاد أهل بيتي وجفوة قريش عني، فكتب إليه معاوية:

أمّا ما ذكرتَ من كِبر سنّك، فإنّك لم يكن يُشركك فيما ذهب منك أحد، وأمّا ما ذكرت من نفاد أهل بيتِك فقد توفّي آل أبي سفيان، فما عدمتُ أحدا منهم شيئا، وأمّا جَفوه قريش عنك، فهم حَملوك على رقاب الناس»[8].

رواية أخرى لما سبق

-ج -280

وعن الحسن البصري قال: كان المغيرة بن شعبة «عامل معاوية على الكوفة فكتب إليه معاوية:

إذا قرأتَ كتابي هذا فأقبِل مَعزولًا.

فأبطَأ عنه، فلمّا ورد عليه قال: ماأبطأك ؟ قال: أمر كنت أوطّئه وأهيّئه، قال: وماهو ؟ قال: البيعة ليزيد من بعدك، قال: أوَقَد فعلت؟ قال: نعم، قال إرجع إلى عملك، فلمّا خرج قال أصحابه، ماوراءك؟

---

(1) _ ما أضيف من العقد الفريد وفي المحاسن والمساوئ ناقصة.

(2) _ إضافة من العقد الفريد والتّذكرة الحمدونيّة.

(3) _ في العقد"أحلّوك هذا المحل"

(4) _ " ماذكرت من " في المحاسن و المساوئ ناقصة.

(5) _ في العقد والتّذكرة الحمدونيّة "فضحّ رويدا"، وهذا المثل يستعمل للنّهي عن العجلة.انظر أبو هلال العسكري: جمهرة الأمثال، ج1، ص419 .

(6) _ البيهقي: المحاسن والمساوئ، ج1، ص134 ، ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج1، ص77 ، ابن حمدون :التذكرة الحمدونية، ج8، ص228 محمد ماهر الوثائق، ص162، أحمد زكي: جمهرة رسائل، ج2، ص42.

(7) _ رازه يروزه أي جرّب ما عنده وخبره وقد سبق شرحها في الرّسالة 121 – أ –.

(8) _ ابن عساكر: المصدر السابق، الرّواية الثانية، ج60، ص47.

قال وضعتُ معاوية غرز[1] غيٍّ لا يزال فيه إلى يوم القيامة، قال الحسن: فمن أجل ذلك بايع هؤلاء لأبنائهم، ولولا ذلك لكانت شورى إلى يوم القيامة»[2].

- رسالة معاوية إلى عبد الله بن عامر لمّا عزله عن البصرة:

-281 -

أظهر ابن عامر ضعفا ولينا دفع بأهل البصرة إلى الفسوق والإجرام، فقد كان ليّنا سهلا سهل الولاية لا يعاقِب في سلطان ولا يقطع لصًّا، فلمّا قيل له: لمَ، قال: أنا أتألّف النّاس، فكيف انظر إلى رجل قد قطعتُ أباه وأخاه ،ولذلك عزله معاوية[3].

قال علي: «لمّا ضعف ابن عامر عن عمله وانتشر الأمر بالبصرة عليه **كتب إليه معاوية يَستزيرُه**»[4].

فقدم على معاوية فعزله وولّى الحارث بن عبد الله الأزدي[5]، وكان ذلك سنة44هـ[6].

وهنا لابد من طرح السّؤال التّالي: هل يعني هذا التّغيير وجود فوضى إدارية في ولاية العراق عموما في هذا العصر، أم أنّ الأمويّين واجهوا قدَرا من المشاكل بحيث اضطروا إلى هذا التّغيير والتعديل في القيادات والوحدات الإدارية؟

لقد كانت الحالة في البصرة سيّئة جدّا، وقد أصبحت الأمور بيد القبائل لا بيد ابن عامر، وغلب على البصرة سفهاؤها، وضعف سلطان الدولة فيها، فاستشرى الفساد وانتشر السَّلب والنّهب والقتل في رابعة النهار، وقد ضجر معاوية من لين واليه[1]، فاستدعاه قبل أن يعزله فلمّا جاء قال له: إختر بين أن أتتبّع أثَرك وأحاسبك بما صار إليك وأردّك إلى عملك، وبين أن أسوّغك ما أصبتَ وتعتزل، فاختار أن

---

(1) _ الغرز رِكاب الرّحل، وغرز الإبرة في الشّيء أدخلها .لسان العرب، مج5، ص3239، مادة غرز.

(2) _ السّيوطي : تاريخ الخلفاء، ص207.

(3) _ الطبري : المصدر السابق، ج5، ص212.

(4) _ المصدر نفسه، ص213، مسكوية: المصدر السابق، ج2، ص8 ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج29، ص265، عن عيسى بن علي الهاشمي.

(5) _ هو الحارث بن عبد الله بن وهب الأزدي النّمري الدوسي، صحابي من العقلاء.كان صديقا لخالد بن الوليد، وشهد معه اليرموك ثم شهد صفين مع معاوية وكان على رجّالة فلسطين، وولاه على البصرة قبل زياد فاستعفى ومات سنة 50 هـ زمن معاوية. تاريخ خليفة، ص118.الزركلي: الاعلام، ج2، ص156.

(6) _ الطبري : المصدر السّابق، ج5، ص213.

(1) _ جاسم صبكان : تاريخ صدر الإسلام، ص89.

يسوّغه ذلك ويعتزل[1]، فعزله معاوية بكلّ رفق ولم يشنّع عليه وولّى بدله الحارث بن عبد الله الذي لم يقصد معاوية منه سوى أن يكون كالفرس المحلِّل، لأنه يريد أن يولّى زيادا، فلم يبقَ الحارث في الولاية إلا أربعة أشهر حتّى ولى معاوية زيادا[2].

فمن الرّاجح أنّ ظروف البلاد ومشاكلها القديمة والجديدة، وعدم حسم مسألة الإستقرار بالنسبة إلى الإتّجاهات والقبائل والتوجّهات كانت أحد المشاكل المساعدة في التذبذب، فكانت تولية زياد بهدف حسم الفوضى،وإنهاء الفساد وتردّي الأوضاع الأمنيّة،وهذا ما أعلنه زياد في خطبته البتراء عند قدومه البصرة واليا.

- رسالة معاوية إلى زياد يأمره بعزل حَريث بن جابر:

-282 -

[رسالة معاوية] قال ابن أبي الحديد: «كتب معاوية إلى زياد :

أمّا بعد فاعزل حريت بن جابر[3] عن العمل، فإنّي لا أذكر مَقاماته بصفّين إلا كانت حَزَازة في صدري» [4].

[ردّ زياد] فكتب إليه: «خفّض عليك يا أمير المؤمنين، فقد بَسَق[5]حريث بُسوقا لا يرفعه عمل، ولا يضعه عَزل»[6].فلم يزل على البحرين حتّى مات معاوية[7].

- رسالة معاوية إلى مروان يعزله عن المدينة:

-283 -

قال ابن قتيبة: لمّا قرأ مروان كتاب معاوية بأخذ البيعة ليزيد[1] أبى من ذلك وأبتْهُ قريش، فكتب

---

(1) _ الطبري : المصدر السابق، ج5، ص213.

(2) _ فلهوزن : تاريخ الدولة، ص112، جاسم صبكان: المرجع السابق، ص89.

(3) _كان من أنصار علي بن أبي طالب، وكان على لهازم البصرة يوم صفّين، قتل جماعة من أصحاب معاوية ، وهو من قتل عبيد الله بن عمر بن الخطاب الذي كان في صفّ معاوية،ثمّ تولى البحرين وبقي عليها حتى مات معاوية. تاريخ خليفة، ص117، أبو حنيفة الدّنيوي: الأخبار الطوال، ص166.ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج7، ص360، ج60، ص4.

(4) _ شرح نهج البلاغة، ج4، ص74، أبو حيّان التّوحيدي : البصائر والذّخائر ، ج 9 ، ص 78 ، الزّمخشري : ربيع الأبرار ، ج1 ، ص 452، ابن حمدون : التّذكرة الحمدونيّة، ج2، ص26، 27، محمد ماهر: الوثائق، ص159، أحمد زكي: جمهرة رسائل، ج2، ص40.

(5) _ بسق أي تمّ طوله وفضله. لسان العرب، مج1، ص284، مادة بسق.

(6) _ أبو حيّان التّوحيدي: المصدر السابق، ج 9 ، ص 78 ، ابن حمدون: المصدر السابق، ج2، ص27.

(7) _ ابن عساكر: المصدر السابق ، ج7، ص360.

(1) _ انظر الفصل الأول من الباب الأول في البيعة رسالة رقم 9.

لمعاوية: «إنّ قومك قد أَبَوا إجابتك إلى بيعة ابنك فما رأيك؟

فلمّا بلغ معاوية كتاب مروان عرف أنّ ذلك من قِبله، **فكتب إليه يأمره أن يعتزل عمله، ويُخبره أنّه قد ولّى المدينة سعيد بن العاص.**

فكرِه ذلك مروان فارتحل إلى دمشق، وخطب بين يدي معاوية خطبة إغتاض بها معاوية» [1].

إنّ تصريح مروان بعدم الرغبة في بيعة يزيد وتساهله مع أهل المدينة جعلت معاوية يتخلّى عن خدماته، ويعزله بسعيد بن العاص الذي أثبت في هذه القضية بالذّات خدمة أفضل من مروان[2]، بالإضافة إلى ذلك كان لمروان تراثه الأمويّ كمقرّب من الخليفة عثمان الذي أصهر له، وأطلق يده في كافة شؤون الدّولة، وبعد اغتيال الخليفة تزعّم معاوية قضيّة الثّأر لعثمان، ممّا فسح له المجال بعد إظهار كفاءة عالية في قيادة الأسرة الأمويّة[3]، ولم يكن معاوية ليترك مروان يظهر ثانية فتركه تحت مراقبته.

- رسالة معاوية إلى عمرو بن العاص يعزله عن مصر:

-284-

عن أبي المحارب قال: «قال معاوية بن أبي سفيان:

إنّ عمرو بن العاص قد احتَجَن[4] عنّا خراج مصر، فعزله واستعمل أبا الأعوَر السّلمي[5]، فبلغ عمرو الخبر فدعا وِردان[6] مولاه، وقال له: ويحك عزَلني أمير المؤمنين، قال: فمن استعمل؟ قال: أبا الأعور، قال: دعني وإيّاه، أصنع له طعاما، ولا تنظر في كتابه حتّى يأكل، فلما قدم عليه[**أخرج الكتاب بتسليم العمل إليه**، فقال عمرو ما نصنع بالكتاب لو جئتنا برسالة لقبِلنا ذلك منك][1]، فقال وردان: ضع الكتاب وكُل ، فقال أبو الأعور لعمرو: انظر في الكتاب، قال ما أنا بناظر فية حتى تأكل، فوضعه إلى

---

[1] _ الإمامة والسياسية، ج1، ص151.

[2] _ انظر الفصل الأول من الباب الأول.

[3] _ إبراهيم بيضون: تاريخ بلاد الشام، ص158.

[4] _ احتجن: احتجان مال الغير أي اقتطاعه، وجذبه إلى نفسك كالمحجن. لسان العرب، مج2، ص791، مادة حجن.

[5] _ أبو الأعور السّلمي: اسمه عمرو بن سفيان، وقيل عمرو بن عبد الله بن سفيان أمّة قريبة بنت قيس، له صحبة وكان يوم اليرموك أميرا، وكان يوم صفين مع معاوية، توفي سنة 50هـ .ابن عساكر: المصدر السابق، ج2، ص280.

[6] _ وردان: أبو عبيد، ويقال أبو عثمان من سبي أصبهان، شهد فتح مصر، وقدم دمشق أيام معاوية، وكانت له بها دار، وسمّيت باسمه سوق وردان بمصر، أصله رومي من أرمينيّة، عمل واليا على خراج مصر من قِبل معاوية بعد موت عمرو بن العاص، وكان داهية فهما.قتله الروم سنة 53هـ . ابن عساكر: المصدر السابق، ج62، ص428.

[1] _ ما بين حاصرتين مثبت في المحاسن والمساؤى وتاريخ دمشق.

جانبه، وجعل يأكل فاستدار وردان فأخذه، فلما فرغ أبو الأعور من غدائه طلب الكتاب فلم يجده، فقال: أين كتابي؟ فقال له عمرو: أو ليس جئتنا زائرا لنحسن إليك؟ قال: بل استعملني أمير المؤمنين وعزَلك، قال: مهلا لا يظهرنّ هذا منك، فإنّه قبيح، ونحن نصِلك ونحسن إليك، فرضي بالصّلة، وبلغ معاوية الخبر فاستضحك، وتعجّب من فعله، وأقرّ عمرا على عمله»[1].

في هذه الحادثة لم يتمّ عزل ابن العاص عن منصبه ، والشّاهد هنا أنّ عملية العزل كانت تتمّ أحيانا بالكتابة إلى الأمير وإبلاغة وصرفه عن الخدمة أو نقله إلى مكان آخر، وأحيانا بتوليه الأمير الجديد، فإذا وصل مركز الإمارة أظهر كتاب تولّيه، وتسلّم الأعمال، ويُعتبر ذلك عزلا ضمنيّا للوالي السّابق[2].

- رسالة عبد الملك إلى أخيه بشر بأن يعزل عبد الله بن إسحاق عن أصبهان:

-285 -

عن عوانة قال: كان عبد الملك يذكّر عبد الله بن إسحاق بن الأشعث[3] بإحسانه له في العراق، فقال: «بلغني أن بِشرا غضب عليك في حمّة من حماقاتك فأنت من أهل بيت حمق ولؤم، فأغزاك أصبهان: **فكتبتُ إليه أعزم عليه أن يقفِلك، ويعيدَك إلى حالك ففعل؟** قال: بلى.

قال: فلعنتني على منبر البصرة وشتمتني على منبر الكوفة وأخذت رسولي فقطعت يديه ورجليه وصلبته منكوساً ؟ قال: بلى. قال: فأنت ترجو الهوادة عندي لا أم لك، ثمّ امر به فضربت عنقه» [4].

فعبد الملك في كلامه يذكر أنّه كتب إلى أخيه بشر بعزل عبد الله بن إسحاق عن عمله ولم تمكّننا المصادر من الحصول على نص هذه الرسالة.

---

[1] _ البيهقي: المحاسن والمساوئ، ج1، ص133، الرّاغب الأصبهاني: محاضرات الأدباء، ج1، ص171.ابن عساكر، المصدر السابق، ج62، ص432.

[2] _ أنور الرّفاعي : الإسلام في حضارته، ص129.

[3] _ ذكره خليفة بن خياط فيمن خرج مع عبد الرحمن بن الأشعث على عبد الملك، فلمّا خرج ابن الأشعث إلى دير الجماجم استخلف عبد الله بن إسحاق بن الأشعث. تاريخ خليفة، ص186.

[4] _البلاذري : أنساب الأشراف، ج7، ص273.

ثالـــــثا: رسائـــل إقرار الــولاّة والعمّال على أعمـالهم:

- كتاب يزيد إلى مسلمة بن مخلد يُقرّه على مصر:

-286-

قال ابن تغري بردي: ولّى معاوية مصر مسلمة بن مخلد ، وفي سنة 60 هـ «جاء الخبر بموت معاوية بن أبي سفيان في شهر رجب منها، واستخلاف يزيد بن معاوية بعد أبيه، **وكتب إليه يزيد بن معاوية وأقرّه على عمل مِصر**» [1].

وبقي واليا على مصر إلى أن توفّي سنة 62هـ ، وكان حكمه لها خمسة عشر سنة وأربعة أشهر[2].

لقد أولى الأمويّون مصر عناية كبيرة بعد أن تبيّنت لهم أهميتها أثناء الصراع بين علي ومعاوية، وقدرة تلك البلاد- بسبب موقعها الفريد ومواردها الوافرة- على أن ترجّح كفّة من يسيطر عليها ، وفرضت أهمية مصر على الأمويّين اختيار أمرائها من طبقتين متميّزتين: الأولى من أصحاب الولاء التّام للبيت الأموي، مع القُدرة العالية على التصرّف السياسي والتنظيم الإداري، والثانية من أبناء البيت الأمويّ، ومن أصحاب القربى المباشرة للخلفاء أنفسهم، فكان أمراؤهم زمن الفرع السفياني عمرو بن العاص وعتبة بن أبي سفيان ومسلمة بن مخلد، وسار الفرع المرواني على نهج السّفياني في انتقاء أمير مصر حيث اشتهر منهم عبد العزيز بن مروان ثم قرّه بن شريك[3].

- رسالة يزيد إلى عبيد الله بن زياد يأمره بإقرار أَشيم على رئاسة بكر:

-287 -

قال عمرو بن عيسى: كان أشيم بن شقيق[4] زعيم قبائل بكر، ثم عزل وولّى شقيق بن ثور السّدوسي[1]، ثمّ «غلب أشيم على الرياسة حين شخص أشيم إلى يزيد بن معاوية **فكتب له إلى عبيد الله**

---

[1] _ النجوم الزاهرة، ج1، ص176 .

[2] _ ابن عساكر : المصدر السّابق ، ج 58 ، ص 63 ، 64 .

[3] _ نجدة خماش : الإدارة، ص114.

[4] _ هو أشيم بن سفيان بن ثور السدوسي ثم الذهلي، وفد على يزيد بن معاوية ثم على عبد الملك بن مروان، تولى رئاسته بكر بن وائل، وهو من أخبر الحجاج بخروج ابن الأشعث، فحمله من ساعته إلى عبد الملك، فأمره بالتّشمير والجدّ حتى تأتيه الجنود.ابن عساكر: المصدر السابق، ج9، ص165، 166.

[1] _ شقيق بن ثور لم نعثر له على ترجمة.وقال بن عساكر أنّه تولى رئاسة بكر. تاريخ دمشق، ج9، ص166.

بن زياد أن ردّوا الرّياسة[1]إلى أشيم» [2].

- رسالة عبد الملك إلى عبيد الله بن زياد يقرّه على ما ولّاه عليه والده:

-288 -

قال ابن الأثير في حوادث سنة 65 هـ سيّر مروان بن الحكم جيشا مع عبيد الله بن زياد إلى الجزيرة لمحاربة زفر بن الحارث بقرفيسياء «واستعمله على كل ما يفتحه، فإذا فرغ من الجزيرة توجّه لقصد العراق وأخذه من ابن الزبير، فلمّا كان بالجزيرة بلغة موت مروان، **وأتاه كتاب عبد الملك بن مروان يستعملُه على ما استعمَله عليه أبوه ويحثُّه على المَسير إلى العراق»**[3].

أقرّه عبد الملك لأنّه كان مدركا بخبرته السياسيّة والعسكرية أنّ الوقت ليس في صالحه والأفضل له في هذه الظروف أن يستمرّ في ما بدأه أبوه مروان من محاولة إسترجاع العراق الذي أصبح خارجا عن سيطرة الأمويّين وتابعا للمختار بن أبي عبيد.

- رسالة عبد الملك إلى إبّان بن عثمان يُقرّه على المدينة:

-289 -

قال محمد بن عمر : «كان يحي بن الحكم[4] بن أبي العاص بن أميّة على المدينة عاملا لعبد الملك بن مروان، فخرج إلى عبد الملك وافدًا عليه بغير إذن من عبد الملك، فقال له عبد الملك: ما أقدمَك عليّ بغير إذني؟ من استعملت على المدينة؟ قال: إبّان بن عثمان، قال: لا جَرَم، لا ترجع إليها، **فأقرَّ عبد الملك إبّانا على المدينة، وكتب إليه بعهده عليها»**[5] ،واستمرّ على رئاسة ولاية المدينة تسع سنين.

العجيب في الأمر أنّنا نجد لأوّل مرة تساهلا من الخليفة في أمر المدينة ووليها، فكيف يعيّن على هذا الإقليم رجلا في مستوى يحي بن الحكم؟ أم لأنه فقط فرد من كبار أفراد البيت الأموي؟

الواقع أنّ الأمويّين إهتموا بهذه الولاية إهتماما خاصّا، لأنّها كانت تضم من قبل عاصمة الدولة الإسلامية على عهد الرّسول ﷺ والخلفاء الراشدين، ولأنّها تضُمّ أبناء الصحابة الذين تباينت مشاربهم،

---

(1) _ في تاريخ دمشق" أن أردُد الرئاسة"

(2) _ تاريخ الطبري، ج5، ص515، ابن عساكر: المصدر السابق، ج9، ص166.

(3) _ الكامل في التاريخ، ج4، ص13، النّويري : نهاية الإرب، ج21، ص58.

(4) _سبقت ترجمته في الرّسالة رقم 235.

(5) _ ابن عساكر: المصدر السابق، ج64، ص121، ابن منظور: مختصر، ج27، 226.

كما أنّ كثيرين من معتزلي السّياسية كانوا يفِدون إلى المدينة ليكونوا بعيدين عن الضّوضاء والاضطراب، وكثيرا ما كان الخلفاء ينتقون لهذه الإمارة عمّالا من البيت الأموي نفسه من أصحاب الخبرة، ومن القادرين على فهم نفسيّة الأهالي، ومواجهتهم بما يتّفق مع ميولهم، ووضَع أُسس هذه السياسية معاوية الذي جعل من مدن الحجاز مدرسة يدرّب فيها أبناء البيت الأموي على إدارة تلك الولاية، والسّماح لهم بالتّدرج في تلك الإدارة وفق خطوات مقرّرة، فكان إذا أراد أن يولّي أحدا من بني حرب بدأ بأن عهد إليه بحكم الطّائف، فإذا رأى منه خيرا أو نجاحا ولّاه معها مكة، وإن أحسن إدارة هاتين المدينتين ولّي إلى جانبها المدينة المنورة، وقيل عندئذ أنه قد حَذِق[1].

- رسالة عبد الملك إلى أخيه محمد بن مروان بإقرار الحجّاج على ولايته:

-290-

قال معمر بن وهيب: لمّا اشتدّ أمر ابن الأشعث وأهل العراق على عبد الملك استعفى عبد الملك أهل العراق من الحجّاج بن يوسف، وقال لهم: «إختاروا أيّ هذين شئتم؟ -يعني أخاه محمد بن مروان أو ابنه عبد الله - مكان الحجاج، فكتب إليه الحجّاج: يا أمير المؤمنين إنّ أهل العراق استعفوا من سعيد بن العاص إلى عثمان بن عفّان فأعفاهم منه فساروا إليه من قابِلٍ فقَتلوه، فقال عبد الملك: صدق وربّ الكعبة، **وكتب إلى محمد وعبد الله بالسّمع والطّاعة له**»[2].

---

[1] _ نجدة خماش : الإدارة، ص108.

[2] _ البيهقي : المحاسن والمساوئ، ج1، ص159.

الباب الرّابع:

الرّسائل المتعلّقة بالعبادات والتّعليم وتسيير حركة الفتوح والجهاد

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول:

الرّسائل المتعلّقة بالعبادات و الوعظ والتعليم

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أوّلا: الـــــــرّسائل الخاصّة بعقد الزّواج و الـــــعبادات:

أ – الرّسائل الخاصّة بعقد الزّواج:

- ردّ معاوية على مروان في النّكاح:

- 291 -

كتب مروان إلى معاوية في زواج أشكل عليه كما قال المزّي فكتب معاوية إليه:

« **هذا الشّغار**[1] **الذي نهى عنه رسول الله ﷺ** »[2].

- كتاب عبد الملك في تحديد المهور:

- 292 -

قال يحي بن حمزة: «كان عبد الملك بن مروان فرض الصّداق أربع مائة دينار لا يُزاد عليها ، وكان ذلك بدعة منه ،وذلك أنه خطب امرأة من قريش يُقال لها زينب[3] ونافسه فيها رجل من أهل بيته ، فقال لها ذلك الرجل أُصدِقك عشرين ألف دينار، فتزوّجته وتركت عبد الملك، فقال عبد الملك: أرى النساء يذهب بهنّ المهور ، ولو كان المهر واحدا ما وضعت المرأة نفسها إلا في الفضل ، وما كانت زينب تذهب إلى فلان عنّي ، **فكتب: لا يُزاد في المهر على أربعمائة دينار**» [4].

ب – الرّسائل الخاصّة بمناسك الحجّ والصّلاة:

- رسالة عبد الملك إلى الحجّاج للإقتداء بابن عمر في المناسك:

-293 -

شهد ابن عمر مع رسول الله ﷺ حجّة الوداع، فوقف معه بالموقف بعرفة، فكان يقف ذلك الموقف كلّما حجّ، وكان كثير الحجّ لا يفوته الحجّ في كلّ عام، حجّ عام قتل ابن الزبير مع الحجاج [5]، قال

---

(1) _ هو نكاح محرّم بأن يعطى الرجل أخته لرجل، على أن يعطيه الآخر أخته، على أن لا مهر بينهما، أي نكاح بلا صداق، فنهى عنه الرّسول ﷺ.تفسير الطّبري ، ج7 ، ص553 ، وانظر البيهقي: السنن الكبرى ، ج7 ، ص199 ،رقم 14514 ، باب الشّغار .

(2) _ المزّي: تحفة الأشراف ،ج8 ، ص444 .

(3) _ يقصد زينب بنت عبد الرّحمان بن الحارث سبق الحديث عن خطبة عبد الملك لها انظر الرّسالة 78.

(4) _ ابن عساكر : تاريخ دمشق ، ج 69 ، ص 173.

(5) _ المصدر نفسه، ج 31، ص 122.

سالم بن عبد الله: فكتب عبد المالك بن مروان إلى الحجاج بن يوسف:

« **أن لا تُخالف عبد الله بن عمر في شيء من أمرِ الحجّ**» [1]

رواية أخرى لما سبق

-أ-293

وعن سعيد بن جويرية قال: « لمّا كان عام الجماعة [2] كتب عبد الملك بن مروان إلى الحجّاج:

أنظُر ابن عمر فاقْتدِ به وخذْ عنه.

قال: فلمّا كانت عشيّة عرفة سار الحجّاج بين يدي عبد الله بن عمر وسالم ابنه[3]، فقال له سالم: إنْ أردتَّ أن تُصيب السُّنة اليوم فأوجز الخطبة وعجّل الصّلاة، قال فقطّب [4] ونظر إلى عبد الله بن عمر فقال: صدقت» [5].

يظهر من خلال هذه الرّسالة حرص عبد الملك على إقامة العبادات وشعائر الله على أكمل وجه، ووفق ما ثبت عن النبي ﷺ ، فأمر بالإقتداء بابن عمر ذلك الصّحابي العابد الذي كان شديد الإقتداء بالنبي ﷺ وتتبّع آثاره، بل وكلّ مكان صلّى فيه النبي ﷺ يصلّي فيه ابن عمر [6]، هذا من جهة ومن جهة أخرى ما ذكرناه من أنّ ابن عمر حجّ مع النبي ﷺ حجّة الوداع، ووقف معه الموقف بعرفة [7].

وبذلك لم يكتفِ الخلفاء في العصر الأمويّ بالتّحرّي والتّحقيق في اختيار القادة بل كانوا يُلاحقونهم بتعليماتهم ونصائحهم التي تدلّ على تأصّل قيم العروبة والعقيدة الإسلامية في نفوسهم [8]، وأمير المؤمنين عبد الملك نفخ طول خلافته روحا جديدة في المجتمع عامة وأعوانه خاصّة بما كان يسديه إليهم من توجيهات وعِظات.

---

[1] _الموطّأ، كتاب الحجّ، ص 399، رقم 194، البيهقي: السّنن الكبرى، ج5، ص116، باب وقف الوقوف لإدراك الحج، رقم9248. وعند ابن عساكر وابن خزيمة : " **يأمره أن لا يخالف ابن عمر في الحجّ**". ابن عساكر: المصدر السّابق، ج 31، ص 122، صحيح ابن خزيمة ، ج4 ، ص253 ، رقم 2814

[2] _ هو عام مقتل ابن الزّبير واجتماع الكلمة على عبد الملك بن مروان، وقد أكّدت ذلك رواية الزبير بن بكّار اللّاحقة .

[3] _ سبقت ترجمته في الرّسالة 248.

[4] _ القطوب تزوّي ما بين العينين عند العبوس. لسان العرب، مج4، ص 3667، مادة قطب.

[5] _ ابن عبد ربّه : العقد الفريد، ج5، ص 294، ابن كثير: البداية والنهاية، ج8، ص 279 .

[6] _ ابن عساكر: المصدر السّابق، ج31، ص 121.

[7] _ المصدر نفسه، ص 122.

[8] _ عبد الواحد ذنون: مواقف ودراسات، ص 266.

- كتاب عبد الملك إلى أبي سعيد يسأله عن الهَدي :

- 294 -

عن مكحول قال : « **أرسل عبد الملك بن مروان الى أبي سعيد سعد بن عامر بن مسعود الزّرقي**[1]، **ويُقالُ إنه لقي النبي ﷺ فسأله عن الهَدي** »[2].

لم ينقل لنا المصدر غاية عبد الملك من كتابه، إذ لم يكن ليخفى عليه أمر كهذا، كما لم يمكّنا المصدر من معرفة جواب أبي سعيد.

- رسالة الوليد إلى سعيد بن المُسيّب في الإحرام:

-295 -

عن ثعلبة بن أبي مالك قال:

خرج الوليد بن عبد الملك حاجّا سنة 74هـ وهو ولي عهد فلمّا وصل المدينة بعث إلى إبّان بن عثمان وهو عامل المدينة، فقال له: «من أين أحرم؟ فقال: من ذي الحُليفة [3] من باب المسجد، **فأرسَل الوليد إلى سعيد بن المُسيّب:** فقال أَحرم من البَيداء [4]فساق بُدنا، [5] وأَهَلّ [6] بالحجّ منفردا وسار من ذي الحُليفة» [7].

المعلوم أنّ إبّان بن عثمان لم يلِ المدينة إلاّ سنة 75 هـ [8] لذلك لانعتقد أنّ أحداث هذه الرّواية

---

[1] _ أبو سعيد سعد بن عامر بن مسعود الزّرقي، قيل صحابيّ وقيل تابعيّ ، حدّث عن أبي هريرة وعائشة رضي الله عنها ، وقيل هو الذّي يقال له أبو سعد الخير. ابن حبّان: الثّقات ، ج5 ، ص568 ، المزّي: تهذيب الكمال ، ج33 ، ص353 ، ابن حجر: الإصابة ، ج7، ص176.

[2] _ ابن حجر: الإصابة ، ج7 ، ص176.

[3] _ ذي الحليفة قرية بينها وبين المدينة ستّة أميال أو سبعة، ومنها ميقات أهل المدينة . ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص 523.

[4] _ يقصد ذي الخليفة. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص 295.

[5] _ البدن والبدنة من الإبل والبقر كالأضحية من الغنم تُهدى إلى مكة أي تنحر لها. لسان العرب، مج1، ص 233، مادة بدن.

[6] _أَهَلّ بحجة أو عمرة أي أحرم بها، وإنّما قيل للإحرام إهلال لرفع المحرم صوته بالتّلبية، وأصل الإهلال رفع الصوت. لسان العرب، مج6، ص 4689، مادة هلل.

[7] _الزّبير بن بكّار : الأخبار الموفّقيات، ص 268، 269.

[8] _ أنظر تاريخ خليفة، ص 186 فقد ذكر أنّ إبان بن عثمان ولي المدينة سنة 75 وعزل سنة 83 هـ .

كانت سنة 74هـ ، ونحن نرجّح أنّها كانت في سنة 78هـ حين تولّى الوليد الموسم [1].

- رسالة سليمان بإحياء الصّلاة وردّها إلى وقتها:

-296 -

عن سعيد بن عبد العزيز قال: كان الوليد يؤخّر صلاة الظّهر والعصر و «لمّا تولّى سليمان قال لعمر بن عبد العزيز: إنّا قد وُلّينا ما قد ترى ولم يكن لنا تدبيره علم، فما رأيتَ من مصلحة العامّة فمُر به يكتب قال: فكان من ذلك عزلُ عمّال الحجّاج، وإخراج من كان في سجن العراق، وإخراج أعطية العراقين ومن ذلك:

كتابه أنّ الصّلاة قد كانت أُمِيتت فأَحيُوها ورُدّوها إلى وقتها» [2].

فبعث والي الجند إلى عبيدة بن أبي المهاجر[3] فسأله عن الوقت الذي كان يصلي فيه على عهد معاوية وأصحاب رسول الله ﷺ ، فأخبرهم بالوقت الذي يصلي عليه القوم بدمشق الظهر والعصر فردّت الصّلاة إلى وقتها [4].

فبإشراف من سليمان وبتنفيذ من عمر كُتب بأحياء الصّلاة وردّها إلى وقتها الذّي جعله الله تعالى لها، وألزم المسلمين بالحفاظ عليه حين قال: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى المُومِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴾، فسمع سليمان من عمر هذا، وفوّض أمره فيه مع أمور حسنة كان يسمع من عمر بن عبد العزيز فيها.

فلقد كان عمر نِعم المرشد لسليمان ونِعم الجليس والصّاحب، يحمله على الطّاعة والحفاظ على شعائر الله، ولـمّا اعتلى عرش الخلافة بعد سليمان استمرّ على مِنواله في الحرص على الصّلاة وأوقاتها، فقد كتب إلى عدي بن أرطاة [5]: «بَلغنى أنّك تستنّ بسنن الحجّاج، فلا تستنّ بسنته، فإنه كان يصلي الصّلاة لغير وقتها ويأخذ الزّكاة من غير حقّها» [6].

---

[1] _ تاريخ خليفة، ص 189.

[2] _ ابن عساكر: تاريخ دمشق ، ج38 ، ص 160، ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، ج10، ص 173.

[3] _ هو عبيدة بن أبي المهاجر وقيل ابن المهاجر، العبكري والد يزيد بن عبيدة، يعدّ في الطّبقة الثانية من التّابعين، كان مع معاوية بدمشق وروى عنه .ابن عساكر : المصدر السّابق ، ج 38 ، ص 156 - 160.

[4] _ المصدر نفسه ، ج 38 ، ص 159 .

[5] _ هو عدي بن أرطأة الفزاري الدمشقي أمير البصرة لعمر بن عبد العزيز قتله معاوية بن يزيد بن عبد الملك سنة 102 هـ . الذهبي: سير أعلام، ج5، ص 53، تاريخ الإسلام، ج3، ص 298، 299.

[6] _ ابن عساكر: المصدر السّابق ، ج12، ص 187، الذهبي: سير أعلام، ج4، ص 183.

ثانـــيا: الـــــــرّسائل التّـــربـــويّة:

- رسالة معاوية إلى عبد الرّحمان بن شبل ليعلّم النّاس:

- 297 -

قال زيد بن سلام فيما يرويه عن جده: « كتب معاوية رضي الله عنه إلى عبد الرّحمن بن شبل رضي الله عنه: **أن علِّم الناس ما سمعت من رسول الله ﷺ.**

فقال: إنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول : تعلّموا القرآن فإذا علّمتموه فلا تغلوا فيه، ولا تَجفُوا عنه ، ولا تأكلوا به ولا تستكبروا به»[1]

- رسالة معاوية إلى المغيرة بن شعبة يطلب منه أن يكتب إليه بشيء سمعه عن رسول الله:

- 298 -

[رسالة معاوية]: روى مسلم في صحيحه بسنده عن ورّاد[2] كاتب المغيرة بن شعبة قال: «كتب معاوية إلى المغيرة:

أكتب إليّ بشيء سمعته من رسول الله ﷺ.

[ردّ المغيرة]: قال: فكتب إليه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إذا قضى الصّلاة:لا إله إلاّ الله وحده لاشريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللّهم لا مانع لما أعطيتَ ولا معطي لما منعتَ، ولا ينفع ذا الجِدّ منك الجدّ »[3].

---

[1] _ مصنّف عبد الرّزاق، ج10، ص 387، البيهقي: السّنن الصّغرى، ج1،ص544، باب تفريغ أبواب سائر صلاة التّطوّع، رقم 990، الحاكم النّيسابوري: المستدرك، ج2،ص207، كتاب النّكاح ،رقم 2773، إبن عساكر: المصدر السّابق ،ج34 ، ص425 ، 426، الذّهبي: سير أعلام، ج7 ، ص15 ، البوصيري : إتحاف الخيرة المهرة ، ج3 ، ص290،كتاب الزّكاة .

[2] _ هو ورّاد كاتب المغيرة بن شعبة يُعرف بأبي الورد، من أهل الكوفة، سمع المغيرة ومعاوية ووفد عليه. ابن عساكر: المصدر السّابق، ج62، ص423.

[3] _ صحيح مسلم: ص268، كتاب المساجد، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وصفته، رقم 593، صحيح ابن حبّان، ج5 ، ص345 ، كتاب الصّلاة ، باب ذكر وصف التّهليل ، رقم 2005 عن ورّاد ، صحيح ابن خزيمة ، ج1 ، ص 365 ، باب التّهليل والثناء على الله بعد السّلام ، رقم 742 ، ابن عساكر: المصدر السابق، ج62، ص424 .

رواية أخرى لما سبق

-أ-298

عن رجاء بن حيوة عن كاتب المغيرة بن شعبة قال : كتب معاوية الى المغيرة بن شعبة :

هل كان رسول الله ﷺ يقول شيئا بعد الصلاة ؟

قال : كان يقول : لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجـد» [1].

- رسالة ثانية من معاوية إلى المغيرة يطلب منه أن يكتب إليه بشيء سمعه عن رسول الله:

- 299 -

عن أبي أشوع قال: «حدثني كاتب عن مغيرة بن شعبة قال: كتب معاوية إلى المغيرة **أن أكتب إليّ بشيء سمعته عن رسول الله ﷺ.**

فكتب إليه إنيّ سمعت رسول الله ﷺ يقول[2]: إنّ الله عزّوجل كره ثلاثا: قيل وقال: وإضاعة المال وكثرة السؤال» [3].

- كتاب معاوية إلى دغفل يسأله عن الأنساب:

- 300 -

عبد الله بن بريدة قال: « **أرسل معاوية إلى دغفل[4] فسأله عن أنساب العرب وعن النجوم**

---

[1] _ الطّبراني: المعجم الكبير، ج20، ص396. البيهقي: شعب الإيمان، ج 4، ص 203، باب فضل السّكوت عن كلّ ما لا يعنيه، رقم 4981

[2] _رواه البخاري بزيادة في الصحيح، ص1501 ،كتاب الأدب، باب عقوق الوالدين، رقم 5975 عن المغيرة بن شعبة، الأدب المفرد ، ص111، باب البخل، البيهقي: السّنن الكبرى، ج6، ص63، باب النّهي عن إضاعة المال، رقم 11122.

[3] _وكيع: أخبار القضاة، ج3، ص499 ، الجصّاص : أحكام القرآن ، ج2 ، ص 275 ، الخطيب البغدادي : الفقيه والمتفقّه ، ج2 ، ص 21 ، ابن الخرّاط الإشبيلي: الأحكام الشّرعية الكبرى ، ج1 ، ص350.

[4] _ هو دغفل بن حنظلة بن زيد بن عبدة بن عبد الله بن ربيعة الشّيباني النّسّابة ، ذكر من تابعي أهل البصرة ، كان عالما بالأنساب ، وفد على معاوية وأمره أن يعلّم ابنه يزيد ، قتل في بلاد فارس في قتال الخوارج يوم دولاب ، سنة 65هـ. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج17، ص 286 – 303، ابن حجر: الإصابة، ج2، ص388، أبو إسحاق القيرواني: زهر الآداب،ج2 ، ص267.

والعربية [والنحو] [1]، وعن أنساب قريش .

فأخبره فإذا رجل عالم، فقال: من أين حفظت هذا يا دغفل؟ قال بلسان سؤول وقلب عقول ، قال : فأمره أن يذهب إلى يزيد بن معاوية فيعلّمه العربية وأنساب قريش وأنساب العرب»[2].

- رسالة معاوية إلى زياد يلومه على عدم تعليم ابنه رواية الشّعر:

-301 -

قال ابن عبد ربّه: بعث زياد بولده إلى معاوية فكاشفه[3] في فنون من العلم فوجده عالما بكلّ ما سأل عنه، ثم استنشده[4] الشعر فقال: لم أرْوِ منه شيئا، فكتب معاوية إلى زياد:

«ما مَنَعك أن تُروّيه الشّعر؟ فوالله إن كان العاقُّ ليُرَوّيه فيبَرّ، وإن كان البخيل ليروّيه فيَسخُو، وإن كان الجبان ليروّيه فيُقاتل»[5].

رواية أخرى لما سبق

-أ- 301

وقال ثابت بن عبد الرحمن: «كتب معاوية إلى زياد: إذا أتاك كتابي هذا، فأوفد إليّ ابنك عبيد الله[6]، فما سأله عن شيء إلّا أنفذه، حتّى سأله عن الشّعر، فلم يعرف منه شيئا، قال:ما منعك من روايته، قال: كرِهت أن أجمع كلام الله وكلام الشّيطان في صدري، فقال أغرب والله لقد وضعتُ رِجلي في الرّكاب يوم صفّين فما يمنعني من الإنهزام إلاّ أبيات ابن الأطنابة[7] حيث يقول:

أبتْ لي عِفّتي وأبى بـــــلائي ... وأخذِي الحمد بالثّمن الرّبيحِ

وإعطائي على الإعدام مـــالي ... وإقدَامي على البطل المَشيحِ[8].

وقولي كلّما جشأت وجاشت ... مكانَك تُعذري أو تَستريحِي

لأدفع عن مـــــآثر صالحاتٍ ... وأحمي بعد عن أَنف صحيحِ

---

[1] _ إضافة من الآحاد والمثاني .

[2] _ ابن عساكر : المصدر السّابق ، ج 17 ص، 291 ، أبو بكر الشّيباني : الآحاد والمثاني ،ج3 ، ص170، رقم 1674 .

[3] _ كاشفه أي أظهره وبادأه به. لسان العرب، مج5، ص 3883، مادة كشف.

[4] _ استنشده أي طلب منه إنشاده. لسان العرب، مج6، ص 4422، مادة نشد.

[5] _ العقد الفريد، ج6، ص 124 .

[6] _ هذه الرسالة سبقت في الفصل الأول من الباب الأوّل، رقم 46 .

[7] _ عمرو بن الأطنابة الشّاعر: هو عمرو بن عامر بن زيد بن مناة الخزرجي، شاعر جاهلي، كان من أشرف الخزرج، اشتهر باسم أمه أطنابة بنت شهاب، كان على رأس الخزرج في حربها مع الأوس. الزركلي، الأعلام، ج 5، ص 80.

[8] _ سبق شرح هذه الكلمة وبقية الكلمات الصعبة في الأبيات في الرسالة رقم 46.

وكتب إلى أبيه:

أن رَوِّه الشّعر، فروّاه فما كان يسقط عليه منه شيء» [1].

رواية أخرى لما سبق

301 -ب-

أمّا الجاحظ فروى باختلاف عمّا سبق عن أبي الحسن قال: «أوفدَ زياد عبيد الله بن زياد إلى معاوية، فكتب إليه معاوية:

إنّ ابنك كما وَصَفت، ولكن قوِّم لسانه»[2].

رواية أخرى لما سبق

301 – ج-

قال العتبي: كتب معاوية إلى زياد يطلب عبيد الله ابنه ، فلما قدم عليه كلّمه فوجده لحّانا في كلامه، « **فكتب إليه كتابا يلُومه فيه ويقول: أمِثل عبيد الله تصنع**[3] ؟»[4].

فبعث زياد إلى أبي الأسوَد الدّؤلي[5] وطلب منه أن يضع للنّاس قواعد يسيرون عليها لأنّ اللّحن قد تفشّى، قال: قد أجبتك إلى ما سألت ورأيت أن أبدأ بإعراب القرآن ، فابعث إليّ ثلاثين رجلا فأحضرهم زياد فاختار منهم أبو الأسود عشرة فوضع النّحو[6] .

لم يقتصر إصلاح أمير المؤمنين لحال الأمّة على ما تقدّم من إدارة ومجتمع وإقتصاد وغيرها من كافة المجالات، بل تعدّت إلى مجال العلم والتعليم الذي أولاه إهتمامه الخاص، بل جعله ركيزة أساسية في كل مظهر من مظاهر الحياة الدينية والدّنيوية.

---

[1] _ابن عساكر : تاريخ دمشق، ج37، ص 437، 438، ابن منظور: مختصر، ج15، ص 312.

[2] _البيان والتبيين، ج2، ص 210، أحمد زكي : جمهرة رسائل، ج2، ص 49.

[3] _ في نظم الدّرر " أَمثل عبيد الله يُضيّع؟ " .

[4] _ ابن عساكر : المصدر السّابق ، ج25 ، ص192 ، البقاعي: نظم الدّرر، ج3، ص 407.

[5] _ هوظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل أحد سادات التّابعين المحدّثين الفقهاء، ومن الشّعراء الدّهاة، أوّل من وضع العربيّة ونقط المصحف على قول الأكثر، مات بالطّاعون سنة 67 هـ .ابن النّديم: الفهرست، ص 61 ، 62، ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج3، ص433- 436، ابن الأثير: المثل السّائر ، ج1 ، ص60 .

[6] _ابن عساكر: المصدر السّابق ، ج25 ، ص192 ، البقاعي: المصدر السّابق، ج3، ص 407 وانظر ابن الأثير: المثل السّائر، ج1، ص60 .

- رسالة عبد الملك إلى أهل المدينة يسألهم عن تفسير آية:

- 302 -

قال الطّبري في تفسير قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [1].

قال بعضهم في المرأة التّي وهبت نفسها للنّبيّ هي: زينب بنت خزيمة أم المساكين امرأة من الأنصار.

عن شعبة عن الحكم، قال: «**كتب عبد الملك إلى أهل المدينة يسألهم.**

قال: فكتب إليه علي بن الحسين الذي كتب إليه، قال: هي امرأة من الأسد يقال لها أمّ شريك، وهبت نفسها للنّبي»[2]، و كانت خولة بنت حكيم بن الأوقص من بني سليم، من اللّاتي وهبن أنفسهن لرسول الله ﷺ أيضا[3].

- رسالة عبد الملك إلى سعيد بن جبير ليكتب له تفسير القرآن :

- 303 -

قال أبو حاتم : «**كتب عبد الملك بن مروان إلى سعيد بن جبير أن يكتب إليه بتفسير القرآن.**

فكتب سعيد بن جبير إليه بتفسيره فأخذه عطاء من الديوان فرواه عنه»[4].

-كتاب عبد الملك يَعِظ النّاس:

-304 -

قال عمرو بن عبيد رحمه الله: «كتب عبد الملك وصيّة زياد بيده، وأمر النّاس بحفظها وتدبّر معانيها وهي:

«**إنّ الله عز وجل جعل لعباده عُقولا عاقبهم بها على معصيته، وأثابهم بها على طاعته، فالنّاس**

---

[1]_سورة الأحزاب الآية 50.

[2]_ تفسير الطّبري ، ج20، ص 289 .

[3]_ المصدر نفسه، ص 123 .

[4]_ أبو سعيد العلائي : جامع التّحصيل ، ص 237.

بين مُحسن بنعمة الله عليه، ومُسيء بخُذلان الله إيّاه، ولله النعمة على المُحسن والحجّة على المسيء، فما أولى من تمّت عليه النّعمة في نفسه، ورأى العبرة في غيره، بأن يَضع الدّنيا بحيث وضعها الله فيُعطي ما عليه منها، ولا يكترث ممّا ليس له فيها، فإنّ الدّنيا دارُ فناء ولا سبيل إلى بقائها، ولابدّ من لقاء الله عزّ وجل فأحذِّركم الله الذي حذّركم نفسه، وأوصيكم بتعجيل ما أخَّرَته العَجَزة [1]**، قبل أن تصيروا إلى الدّار التّي صاروا إليها فلا تَقدروا فيها على توبة، وليست لكم منها أوْبة، وأنا أستخلفُ الله عليكم واستخلفه منكم**، وقد رُوي هذا الكلام عن الحجّاج وزياد أحقّ به» [2].

لقد أُعجب عبد الملك بكلام زياد ووصيّته التيّ مُلِئت نُصحا ووعظا، فكتبها لرعيّته حتّى يأخذوا بأحسنها، ويعملوا بما فيها، فهذه لحظة من اللّحظات التي يعبّر فيها عبد الملك عن توجّهه الدّيني، وخشيته من ربّه، ومراقبته له في أعماله.

---

[1] _العجز خلاف الحزم. لسان العرب، مج4، ص 2817، مادة عجز.

[2] _الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص 387، 388.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثّاني :

الرّسائل المتعلّقة بالجهاد وتنظيم حركة الفتوح وتولية قادتها

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تـــمهيـــد:

إنّ ممّا لاشكّ فيه أنّ أعظم إنجازات الدّولة الأموية هي تلك الفتوحات الكبرى التي شهدها ذلك العصر حيث بلغت الدّولة الإسلاميّة على أثرها أقصى اتساع لها إذ لم ينقضِ القرن الأول حتى وصل المجاهدون المسلمون في دولة بني أمية براية الإسلام حدود الصين شرقا، والمحيط الأطلسي غربا، وبحر خوارزم والجزر شمالا، والمحيط الهندي وصحراء إفريقيا جنوبا.

لقد كان القيام بالدّعوة إلى الله ونشر دينه القويم ، وحريّة العقيدة، وحماية أهلها الهدف الأسمى لدولة الإسلام منذ نشأتها، واستأنف الأمويّون ذلك في حركة فتح كبرى بلغت أوجّها في عهد الوليد بن عبد الملك[1]، إذ وضعوا في أذهانهم أن من أوجب واجبات الخليفة حماية البيضة والذّب عن رقعة الدّولة، وتحصين الثّغور بالعُدة المادية، والقوة الدافعة، وجهاد من عاند الإسلام بعد الدعوة[2]، مع ملاحظة أنّ دمشق أصبحت مقر الخلافة ومركز القيادة العظمى للإدارة العسكرية، فكان الخليفة بها هو الذي يقرر السياسية الحربيّة، كما كان مسؤولا عن الحرب والسّلم، فكان التنظيم العام للجيش -كما سنرى في الرسائل- أمرا من الأمور المركزيّة يشرف عليها الخليفة مباشرة، ذلك بالرغم من وجود عمال الولايات والأقاليم، الذين كان لهم مطلق السلطان[3].

ولقد عرف العصر الأمويّ تطويرا لجيش الدّولة النّظامي أكثر مما كان عليه في عصر الخلفاء الراشدين الذي كان يضمّ العديد من المتطوعين[4]، كما برز في العصر الأموي قادة عديدون بغوا في مختلف ساح القتال والجبهات التي كانت قائمة في ذلك العصر، فمنهم من جاهد على الجبهة الشّمالية ضد البيزنطين ومنهم من تولى الجبهة الشّرقية، وفيما وراء النهر، ومنهم من كان له الأثر الحميد في تحرير المغرب ولأندلس، ونشر مبادئ الإسلام فيها[5].

فعلى بلاد المغرب تعاقب في الحقبة ما بين 22-59هـ عدة قادة فاتحين تراوحت فتوحاتهم فيما اصطلح عليه المؤرخون المحدثون بين مرحلتين أساسيتين، تُعرف الأولى بمرحلة الفتح والإستكشاف (22-50هـ) أما الثانية فيُطلق عليها مرحلة الإستقرار واستكمال الفتح(50-95هـ)، ولكلٍّ من الفاتحين دور

---

(1) _ عبد الله بن حسين: الدولة الأموية، ج1، ص35.

(2) _ الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص114.الفراء: الأحكام، ص27، ابن طباطبا: الفخري، ص39.

(3) _ الصلابي: الدولة الأموية، ج1، ص398.

(4) _ Fred.M C Goraw donner: the Early Islamic conquests,p192.

(5) _ عبد الواحد ذنون: مواقف ودراسات، ص267.

ونصيب فيها، ومن الصّعب جدا تفضيل فاتح على آخر لأنّ لكل واحد منهم إسهاماته في ذلك، حسب طبيعة الظروف التي مرت بها الدولة الإسلامية في المشرق، على إعتبار أنّ الفتوحات الإسلامية في بلاد المغرب مرتبطة بما يجرى من أحداث في المشرق، وما يقابله على أرض الواقع بالمغرب[1].

ونعرض الآن باختصار أهم غزوات فتح بلاد المغرب: ففي سنة 34هـ في خلافة عثمان غزا معاوية بن خديج إفريقية، وبعد تولّى معاوية سنة 41 أغزاها معاوية بن حديج مرة ثانية، ثم سنة 42 غزاها عقبة بن نافع غزوته الأولى، ثم رجع سنة 44 هـ معاوية بن خديج وكانت حربا كلها، وكان معه عبد الله بن الزبير، وعبد الملك بن مروان وغيرهم من أشراف قريش، وأغزى معاوية بن خديج جيشا إلى صقلية، ثم سنة 50 عزل معاوية معاوية بن خديج وولاه مصر وولّى عقبة بن نافع بإفريقية، فبدأ الفتح إبتداء من القيروان[2]، واختطها وبناها ومسجدها، وكانت ولايته 4أعوام ليستعمل معاوية بعده سنة 55 هـ مسلمة بن مخلد على مصر، وجمع له المغرب كلّه، ثم عاد عقبة سنة 62 في خلافة يزيد، وفيها فتح المغرب كله، ولما وصل إلى المحيط بلغ الماء بطن فرسة وقال: "يا ربّ لولا أنّ البحر منعني لمضيت في البلاد إلى مسلك ذي القرنين، مدافعا عن دينك مقاتلا من كفر بك"[3].

والواقع أنّ فتوح عقبة كانت عبارة عن مسح شامل لبلاد المغرب، كانت نتيجتها أن دفع حياته، وقتل في جهاده على يد كسيلة البربري[4]، وبقي بعده زهير بن قيس البلوي مرابطا مقاتلا إلى ولاية عبد الملك بن مروان[5] الذي أمدّه بجيش معونة ودعما فقضى على كسيلة، واستعاد ما فُتح.

لقد كان لحملة زهير بن قيس نتائج حاسمة على مصير الفتوح من بعدها، ذلك أن طريق النّصر كان مفروشا دائما بالمصاعب والعقبات، إذ لم يتحقق هدف نبيل قط إلا بالتّضحيات، ثم كانت حملة حسان بن النعمان سنة 73 هـ الذي قام بتنظيم ما فُتح واعتُبر لذلك مؤسسا ثانيا لولاية إفريقية بعد عقبة.

وهكذا خضعت المغرب لحاضرة الدولة الإسلامية، ليوجه بعدها الوليد بن عبد الملك موسى بن

---

(1) _ عيسى الذيب: حسّان بن النعمان، ص43.

(2) _ القيروان: مدينة عظيمة بإفريقية، قال ياقوت: ليس بالمغرب مدينة أجلّ منها، وهي مدينة مُصّرت في الإسلام أيام معاوية والنسبة إليها قيرواني. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج4، ص421.

(3) _ ابن عذارى: البيان المغرب، ج1، ص 17، 18، ابن عبد الحكم: فتوح، ج1، ص 265.

(4) _ كسيلة البربري: قال ابن الأثير كسيلة بن كمرم البربري، أسلم في ولاية أبي المهاجر دينار على إفريقية، وهو من أكابر البربر، فلما ولى عقبة لم يعرف مكانه فقتله كسيلة واستولى على افريقية إلى أن جاء زهير بن قيس البلوي، فقتله سنة 62 هـ .الكامل في التاريخ، ج3، ص352، 353، مؤلف مجهول: مفاخر البربر، ص194.

(5) _ ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص23.

نصير، وطارق بن زياد سنة 92 هـ إلى الأندلس فاتحين غانمين[1].

هذه في مجملها هي الحملات الرّسمية المنظمة لفتح المغرب والأندلس، وربّما يكون الإضطراب الذي يسود تكوين المغرب السياسي والإجتماعي والطّبيعي هو السبب الأول في طول مدة الفتح واختلاط سبله على الفاتحين، ولكنّنا يجب أن نضيف لذلك الصعوبات الأخرى التي لقيها العرب، والتي لم تنشأ عن طبيعية البلاد وأحوال أهلها، وإنّما عن ظروف العرب أنفسهم، وما نزل بهم من الأحداث التي شغلتهم عن الفتح، وحالت بينهم وبين أن يتعهدوه بما ينبغي له من العناية والإهتمام[2].

فالفتح الأمويّ للمغرب إذن لم يتأثّر فقط بأوضاع هذه البلاد وسياسية الأمويّين فيها، بل تأثر أيضا بأوضاع الأمويّين في بلاد المشرق، وانشغالهم بقمع حركات المعارضة ضدّهم، وقد أصبحت هنا علاقة جديدة واضحة تتلخّص في أنه كلما استقرت أوضاع الأمويين في بلاد المشرق كلما تقدمت حركة الفتوح في بلاد المغرب نحو الأمام وحققت نتائج إيجابية[3].

هذا ولم يكن المغرب عسكريا تابعا لمصر إلا فترة قصيرة جدا من الزمان وانتهت بتوليه معاوية بن أبي سفيان معاوية بن خديج قيادة الفتح فيه، ومن ذلك الحين كان المغرب معتبرا في نظر الخلفاء ولاية تابعة لهم، يتولّون أمورها بأنفسهم، واعتبروا تدخّل عمال مصر عدوانا لا حقّ لهم فيه، وتعتبر ولاية موسى بن نصير آخر مظهر من مظاهر تدخّل عمال مصر في شؤون المغرب، إذ حرص الخلفاء أشد الحرص على أن لا يتركوا عمال مصر يغتصبون هذا الحق بعد ذلك[4].

أمّا على جبهة العراق والمشرق، فقد عُرف الفتح منذ العهد الرّاشدي، واستقرت عدة قبائل عربية في الجزيرة[5]، وقد كانت حالته حينما تولّى الحجاج سنة 75هـ تتطلب توطيد السلطة العربية الإسلامية فيها، ولاسيما بعدما انشغل العرب فترة من الزمن بسبب الخلافات الداخلية، ولهذا لاقت المحاولات الأولى لإعادة افتتاح بعض هذه المناطق صعوبات بالغة، من ذلك مثلا ما حدث لإحدى الحملات التي أُرسلت إلى سجستان بقيادة عبيد الله بن أبي بكرة الذي أخفق في مهمته، مما أدّى إلى أستشهاد معظم جنده، وحملة ابن الأشعث الذي تمرد بعدها، وهكذا كانت الحاجة ماسة جدّا إلى إجراء عسكري جديد وإلى قائد موفق

---

(1) _ ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص 43، 44.

(2) _ نجدة خماش : الإدارة، ص85.

(3) _ علي صدام نصر : الدّوافع المادية للفتوح، ص104.

(4) _ حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب، ص272.

(5) _ Fred M c Graw donner: op.cit,p180.

قدير لقيادة الحملة وإعادة هيبة الدولة[1].

إنّ تنظيم الجيش في العراق بعد هذه الحقبة وإنجازاته الكبيرة على الصعيد المحلي بالقضاء على الفتن والحركات المناوئة للدولة، وكذلك تحقيق التّوسع في الجبهات الخارجية يعود إلى فضل القيادة الرشيدة والتّعاون التّام بينها وبين الميدانيّين، وقد توخّى الأمويون بشكل عام والحجاج بشكل خاص، في قادتهم ذات الصّفات التي كانت مطلوبة في عهد الراشدين، فكانوا يتحرون من له القابلية على تحمل المسؤولية، ويتّسم بالحزم، ورسوخ العقيدة والثقة بالنفس[2]، فكان محمد بن القاسم الثّقفي[3] على قدر المسؤولية وأسدى خيرا في فتح بلاد السند بدعم من الحجاج[4]، وفي بلا ما وراء النهر كان قتيبة بن مسلم رائدا أيضا، وحقّق بطولات هي من أسمى ما عرفه التاريخ الإسلاميّ، وهكذا وصلت دولة الإسلام حينها إلى حدود الصّين شرقا.

أما على جبهة الرّوم، فقد كان الخطر البيزنطيُّ قريبا ومحيطا بهم لمجاورة الشّام لهم بعد اتخاذ دمشق عاصمة للخلافة، وكانت الأمبراطوريّة المذكورة كثيرا ما تحلم باستعادة سيطرتها على سورية، ولذا فإنّ الأمويّين أصبحوا مسؤولين عن سوريا وحمايتها لغرض إبعاد العدو عنها، وكان عهد معاوية ملائما للتّحرير لتوفّر الأمن والإستقرار في الدولة الإسلامية وقوة معاوية وهيمنته على أجهزة هذه الدولة ومؤسساتها[5].

فوجّه معاوية اهتمامه إلى بناء مدن عسكريّة بالثغور أنزل بها جنودا للحماية، ثمّ عمد إلى تشجيع النّاس على المرابطة فيها هم وعائلاتهم، وجعل عليهم قادة يرتّبون شؤونهم، وينظّمون حملاتهم الحربيّة في غزوات دائمة يمكن تسميتها بالدّوريّات المتتابعة[6]، فارتبط نظام الأمويّين العسكري هنا بنظام آخر كانت له خصائص إستطلاعية وهجومية، وهو ماعرف بالشّواتي والصّوائف، ويُقصد به تلك الحملات الدّورية المنتظمة التي كانت تتوجه إلى الأراضي البيزنطية في آسيا الصّغرى، وقد بوشر العمل بهذا النظام عند استقرار الوضع الداخلي وانتقال الخلافة إلى البيت الأموي، وكان يشرف على هذه الحملات قادة إختصاصيّون بهذا النوع من الحرب الخاطفة والسّريعة ممّن اجتمعت لديهم معرفة بطبيعة الأرض الجبلية،

---

(1) _ عبد الواحد ذنون طه : مواقف ودراسات، ص274.

(2) _ المرجع نفسه، ص303.

(3) _ سبقت ترجمته في التمهيد

(4) _ Khalid yahya: The end of the jihad, p77.

(5) _ جاسم صبكان: تاريخ صدر الإسلام، ص93.

(6) _ طه الولي: المدينة في الاسلام، ص55.

وبراعة الأساليب الجديدة في القتال[1].

كانت الصّوائف والشواتي في بادئ الأمر حملات وقائيّة لضمان سلامة الثغور العربيّة وأمنها، ثمّ أصبحت أسلوبا وردّا عسكريّا على الحملات البحريّة التّي كان يوجّهها البيزنطيّون إلى السّواحل العربيّة، وعليه نشير إلى الميزة الجديدة في الفتوحات على هذه الجبهة، فمُعاوية الذي استعان بخبرات الشعوب المحلية السّورية، إستطاع أن يبني أسطولا حربيًّا وصل إلى قبرص، وشواطئ آسيا الصغرى، واستطاع أن يشنّ هجوما مزدوجا من البحر والبر على القسطنطينية، وخلافا للفرس فإنّ الدولة البيزنطية ذات هيبة وسلطان وإن ضعفت إلى حد كبير، وقد ثبت أنّ الأمويين كانوا في فترات الهدنة الطويلة يتعاونون معها في مجالات مختلفة[2].

لقد أولى معاوية إهتماما كبيرا بهذه الجبهة إلى درجة أنّه فكّر في فتح القسطنطنية عاصمة البيزنطيّين، وكان يزيد من الذين أغزاهم معاوية أرض الروم ووجّهه إلى القسطنطينية، فحاصروها وقاتلوا على بابها، ثمّ أقفل معاوية هذه الحملة لما أحسن بوفاته[3].

ونشير في ختام حديثنا عن الفتوح أنه بالرغم من القيادات المختلفة التي كانت تقودها فإن في الفتوح خطوطا موحدة في السير، وسياسية معيّنة وخططا واضحة، وأوّلها السرعة في العمل فالجيش لا يقف على رجليه وهو ينتقل بسرعة هائلة من فتح إلى فتح، ولا ينظّف- على حد تعبيرنا اليوم- البلاد المفتوحة، بل ينطلق منها إلى فتوح أخرى[4]، مستبعدًا في ذلك الشّعوب التي أُخضعت ولم تدخل في الإسلام، ولم تكن متمرسّة، فلم يستعن بها في العمليات العسكرية اللّاحقة حتى لو كان وفاؤها راسخا، إلا أنّ هناك إستثناءا لهذه القاعدة مثل ما حصل في بلاد المغرب من إشراك البر بر[5].

وفي هذه الفتوحات ثمّة ماهو أكثر أهمية من وصف المعارك التي يستحق بعضها أن يرقى إلى مصافّ البطولات الأسطورية، وهو أنه لابدّ أن نرى بعض الجوانب التي اتسمت بها تلك الفتوحات والتّنظيم الذي رافقها، فالفتح لم يكن في نظر سكّان المناطق المفتوحة إنقطاعا عن حياتهم، أو اضطرابا لوجودهم المحلي، صحيح أنّ الأسر الحاكمة قد أُطيحت وأُزيحت عن مناصبها، لكن ذلك لم يؤدِّ إلى تغيير في المؤسسات التي

---

(1) _ ابراهيم بيضون : ملامح التيارات السياسية، ص166.

(2) _ كلود كاهن : الإسلام، ص59، نجدة خماش: الإدارة ، ص229.

(3) _ ابن كثير : البداية والنّهاية ج8 ، ص116.

(4) _ يوسف العش : الدولة الأمويّة، ص247.

(5) _ كلود كاهن : المرجع السابق، ص61.

تسيّر حياة السكان اليوميّة[1].

وصحيح أنّ الفتوح قد عملت على توسيع سيادة الإسلام، ولم تكن تعني بالضّرورة إسلام أهالي البلاد المفتوحة، فمسألة اعتناق الإسلام هي مسألة شخصيّة أونسبيّة، بدليل وجود الكثير من أهل الذمة ممّن يعيشون في ديار الإسلام كرعايا للدّولة الإسلامية[2].

ونشير هنا في باب الفتوح أنّه لم يكن بالإمكان تحقيق هذه المنجزات في هذه الفترة القصيرة طبقا لظاهرتي الحيّز الزماني والمكاني لولا ما تمتّع به الخلفاء من أصالة في الرأي، وقوّة في الشخصية وثقة بالنفس، وبُعدٍ في النّظر، فجعلتْهم قادرين على استيعاب المواقف، ثم يكرّسون الطّاقات كافة، ويستثمرونها على خير وجه في سبيل تحقيق أهداف الدّولة في السيادة، مما أعاد للدولة هيبتها ومكانتها[3].

ولكن بمرور الوقت كفّت القيادات الإسلامية عن حمل أمانة الجهاد، وتساهلت فيه وانحسر الجهد إلى أمور الدنيا، ففُتح الطريق لكل تآكل وعدو، الأمر الذي كان يُحدث تأثيرات سلبية في غاية الخطورة على الأداء الحضاري الذي راح ينحسر هو الآخر بالضّرورة ويتعرض للفوضى والتّراخي[4].

ومن الضّروري الإشارة إلى أن انحسار الجهاد يرتبط بتضاؤل وغياب الدّافع العقدي الذي يصنع الدّول والحضارات، ويمارس في الوقت نفسه دور الخطير، كعامل يشدّ مسيرتها ويوحّد معطياتها ويزيدها فاعلية وتركيزا[5].

---

(1) _ كلود كاهن : المرجع السابق ، ص46، 47.

(2) _ علي صدام نصر: المرجع السابق، ص97.

(3) _ شحاذة الناطور: تجديد الدولة الأمويّة، ص391.

(4) _ عماد الدين خليل: مدخل إلى الحضارة الإسلامية، ص155.

(5) _ المرجع نفسه، ص155، 156.

أوّلا- الــرّسائل الــخاصّة بالفتوح والجهاد على جبهة الـرّوم:

- رسالة معاوية إلى جُنادة بن أميّة ليُغير على جزيرة رُودس:

-305 -

عن سفيان بن سليم أنّ جُنادة بن أبي أميّة الأزدي[1] أخبره «أنّ معاوية **كتب إليه يأمره بالغارة على جريزة البحر**[2] **بمن معه**، وذلك في الشّتاء بعد إغلاق البحر، فقال جُنادة: اللّهم إنّ الطاعة عليّ وعلى هذا البحر، اللّهم إنا نسألك أن تسكّنه وتسيّرنا فيه، فزعموا أنّه ما أُصيب فيه أحد»[3].

لقد سعى معاوية بن أبي سفيان طيلة حكمه إلى أن يُبادر الرّوم بالهجوم قبل أن يبادوره فالروم يحاولون استعادة الشّام الخصيب، وبذلك هدّدوا مركز الخلافة، وأصبحوا خطرا على بني أمية وملكهم، فرأى معاوية أنّ أفضل طريقة للدّفاع هي الهجوم.

ونشير هنا أن المِيزة الجديدة في فتوحات معاوية على هذه الجبهة هي الغزو البحري، فمعاوية الذي استعان بخبرات الشّعوب المحلية السورية إستطاع أن يبني أسطولا حربيًّا وصل إلى قبرص وشواطئ آسيا الصّغرى واستطاع أن يشنّ هجوما مزدوجا على البحر والبر على القسطنطنية[4].

لقد أولى معاوية إهتماما كبيرا بهذه الجبهة إلى درجة أنّه فكّر في فتح القسطنطنية عاصمة البيزنطيّين، وكان يزيد من الذين أغزاهم معاوية أرض الروم ووجّهه إلى القسطنطينية فحاصروها وقاتلوا على بابها، ثمّ أقفل معاوية هذه الحملة لمّا أحسن بوفاته، وكان آخر ما أوصى به معاوية: «أنْ شُدّوا خِناق الروم، فإنّكم تضبطون بذلك غيرهم من الأمم»[5].

---

(1) _هو جُنادة بن أبي أميّة الأزدي الدوسي، من كبراء التّابعين ولأبيه صحبة، واسمه كبير، ولي جنادة غزو البحر لمعاوية، وشهد فتح مصر، توفي سنة 80 ه وقيل 75 وقيل 77 ه. تاريخ خليفة، ص107، 138، 104، 176، المزّي، تهذيب الكمال، ج5، ص133-135، الذهبي: سير ج4، ص62، ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج1، ص317.

(2) _ يقصد جزيرة رودس وهي جزيرة في بلاد الروم غزاها معاوية في أيّامه، وتقع في الإقليم الرابع مقابل الإسكندرية على ليلة منها في البحر، وهي أوّل بلاد إفرنجة.قال البلاذري: كانت من أخصب الجزائر فيها الزيتون والكرم والمياه العذبة. فتوح البلدان، ص330، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج3، ص78.

(3) _ابن عساكر:تاريخ دمشق، ج11، ص297.

(4) _ كلود كاهن: الإسلام، ص59.

(5) _ تاريخ خليفة، ص143، ابن كثير: البداية والنهاية، ج8، ص116.

- رسالة يزيد إلى أبيه معاوية لمّا وجّهه إلى الصّائفة:

-306 -

لـمّا أراد معاوية أن يعهد لابنه يزيد نصحه زياد بالرفع من مكانته بتدريبه على شؤون الحكم وتربيته على إدارته[1] ، قال العتبي: «أراد معاوية أن يقدّم ابنه يزيد على الصّائفة، فكره ذلك يزيد، فأبى معاوية إلاّ أن يفعل، فكتب إليه يزيد يقول[2]:

نجيٌّ لا يزال[3] يعـــــــدُّ ذنبا لتقطع وصل حبلك من حِبالي

فيُوشك أن يُريحك مـــن أذاتي[4] نزولي في المهـــالك وارتحالي»[5].

يظهر معاوية بصورة الأب المربّي الذّي يحبّ الخير لأبنه، والذّي يحرص على تنشئته تنشئة صالحة، يعتمد فيها على نفسه، ويظهر يزيد بصورة الإبن المدّلل الذي يحاول الحصول على شفقة والده بهذه العبارات، إلاّ أن معاوية أصرّ على توجيه يزيد على الصّائفة، حتّى يعدّه ليكون وليّا للعهد بعده، فتجهّز يزيد للخروج حتى لم يتخلف عنه أحد، وكان فيمن خرج معه أبو أيّوب الأنصاري صاحب رسول الله ﷺ ، وكان ذلك سنه 50هـ[6].

- رسالة يزيد بن معاوية إلى جُنادة بن أبي أميّة يأمره بهدم حصن رُودس:

-307 -

قال الواقدي: فتح جنادة عدة جزر ببحر الرّوم سنة 54 هـ ، إلّا أنّ المسلمين تركوها ولم يثبّتوا أقدامهم فيها[7] ، وأقاموا «برودس سبع سنين في حصن اتُّخذ لهم، فلمّا مات معاوية **كتب يزيد إلى جُنادة يأمُره بهدم الحصن والقفل [عنها]** [8].

---

[1] _تاريخ اليعقوبي ، ج2 ، ص220 .

[2] _انظر الأبيات في ديوان يزيد ص 26.

[3] _في تاريخ دمشق "تحنّى لا تزال"

[4] _في تاريخ دمشق "بلائي"

[5] _ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج5، ص115، 116.ابن عساكر: المصدر السّابق ، ج65، ص 406.

[6] _ تاريخ خليفة، ص129، ابن عبد ربه: المصدر السابق، ج5، ص116.

[7] _ قدامة ابن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة، ص351.

[8] _ما أُضيف من الخراج وصناعة الكتابة وعند البلاذري ناقصة.

وكان معاوية يعاقب بين الناس فيها»[1]،

لقد كان اهتمام يزيد بن معاوية بالجهاد في جبهة الرّوم أقلّ ممّا كان عليه أيام والده معاوية، فلم يكن أمرها جدّيا عنده، وقد عرفت فتوحاته شيئا من الفتور لانشغال المسلمين بالسّياسية الداخلية ومحاولة إطفاء نار الفتنة الدّاخلية.

وإنّ المتتبّع لحملات معاوية ويزيد يجد أنّها حملت طابعا منتظما للخروج إبتداء من سنة 43هـ فهي حملات سنويّة يمكن القول عنها أنّ هدفها الدّفاع عن الثّغور الإسلامية، أو زحزحة العدو إلى الوراء والإستيلاء على حصونه التّي كانت تواجه حصون المسلمين، فهي تغزو الروم بأرض الشّام والجزيرة صائفة وشاتية ممّا يلي الثّغور الشّامية والجزيرة، ولم تتوقّف هذه الحملات البريّة والبحرية إلا فترة قصيرة في خلافة عمر بن عبد العزيز[2].

- رسالة عبد الملك إلى سُحيم بن المهاجر يأمره بغزو من سيطر على طرابلس :

- 308 -

قال الوليد بن مسلم: تحرش الرّوم بالمسلمين ودخلوا أراضيهم فصالحهم عبد الملك لانشغاله بقتال مصعب وغيره ، « **ثمّ كتب عبد الملك إلى سُحيم بن المهاجر[3] في مدينة أطرابلس يتواعده ويأمره بالخروج إليهم**»[4].

فلم يزل سحيم ينتظر الفرصة منهم ،ويسأل عن خبرهم حتّى قتل قائدهم وغلب على ما هنالك[5].

-كتاب عبد الملك إلى أخيه محمد وابنه مسلمة يوجّههما إلى أرض الرّوم:

-309 -

قال ابن أعثم: «تحرّكت الرّوم بأرض القسطنطنية وغيرها من بلاد الروم، فاجتمعوا وعزموا على مفاجأة المسلمين، **فكتب عبد الملك إلى أخيه محمّد بن مروان وابنه مَسلمة** -وهما يومئذ في بلاد

---

[1] _ البلاذري: فتوح، ص330، قدامة ابن جعفر: المصدر السّابق ، ص351.

[2] _ عاصم إسماعيل: نظام حماية الحدود، ص5، عبد الله بن حسين: الدّولة الأمويّة، ج1، ص39.

[3] _ سحيم بن المهاجر من سكّان طرابلس ، وولّي إمرتها في أيّام عبد الملك بن مروان ، وأمره بغزو من سيطر على لبنان ، وكان ممّن ولّاه الوليد غزو البحر. ابن عساكر: تاريخ دمشق ، ج 20 ، ص144 ، 146 . .

[4] _المصدر نفسه ص 145 .

[5] _المصدر نفسه ص 145 .

أرمينيّة[1]وأذربيجان[2]– فأشخصهُما إليه في جميع من معهما من أجنادهما، فلمّا اجتمعوا خطب فيهم ورغّبهم في الجهاد، وأمَّر عليهم ابنه مسلمة ووجّهه لقتال الرّوم»[3]، ففتح الكثير من البلدان ، وكانت هذه الحملة سنة 86 هـ قبل وفاة عبد الملك[4].

– رسالة عبد الملك لابنه مَسلمة حين استبطأه في مسيره إلى الرّوم:

-310 -

[رسالة عبد الملك] قال الجاحظ: «إستبطأ عبد الملك بن مروان ابنه مسلمة في مسيره إلى الرّوم، وكتب إليه:

لَمِن الظّعائِن[5] سيرُهن تزحُّفُ سيرُ السَّفينِ إذا تَقاعس[6] يُجذَف»

[ردّ مسلمة] لمّا قرأ الكتاب مسلمة كتب إليه :

«ومُستعجِبٌ ممّا يرى من أَنَاتيا ولوزيّنتهُ الحربُ لم يترَمرم[7]»[8].

فغزا مسلمة أرض الرّوم سنة 86 هـ، وفتح منها الكثير وشتّى بها، فجَمعت له الروم فهزموهم أشدّ هزيمة[9].

لقد أثبتت الأيّام صحّة فراسة عبد الملك في مسلمة الذي قام بدور فعّال في خدمة الدّولة الأموية في فترة من أوجّ فترات تاريخها، وخلال خمسة من خلفائها الذين أعقبوا ولاية عبد الملك وهم الوليد وسليمان

---

(1) _ أرمينية: اسم لصقع عظيم واسع في جهة الشمال، صحيحة الهواء، كانت للروم ثم ضمتها الفرس، وأشهر مدنها الدبيل، وهناك أرمينية الكبرى وأرمينية الصغرى. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج1، ص160، 161.

(2) _ أذربيجان: قال ياقوت: حدّها من برذعة شرقا إلى ارزنجان غربا، ويتّصل حدها من جهة الشمال ببلاد الديلم والجيل، وهي إقليم واسع يغلب عليها الجبال، فُتحت أيّام عمر بن الخطاب. معجم البلدان، ج1، ص129.

(3) _ الفتوح، ج7، ص110، 111.

(4) _ تاريخ خليفة ، ص185.

(5) _الظّعينة الجمل، وكل بعير يوطأ للنّساء فهو ظعينة، وإنما سمّيت النساء ظعائن لأنّهنّ يكنّ في الهوادج. لسان العرب، مج4، ص2748، مادة ظعن.

(6) _ تقاعس أي ثبت فلم يبرح مكانه. لسان العرب، مج5، ص3692، مادة قعس.

(7) _ترمرم القوم أي تحركوا للكلام، وترمرم إذا حرّك فمه للكلام. لسان العرب، مج3، ص1738، مادة رمم. والبيت لأوس بن حجر.انظر ديوانه ص 121 .

(8) _ البيان والتبيين، ج3، ص188، ابن حمدون: التذكرة الحمدونية، ج7، ص183والرواية لاسند لها. أحمد زكي: المرجع السّابق، ج2، ص210

(9) _ ابن عساكر: المصدر السابق، ج58، ص30.

وعمر ويزيد وهشام[1] ، وكان في أثناء هذه الفترة فوق جميع الأهواء والمطامع السّياسية الخاصّة التي كانت تعصف بالخلافة الأموية، ولم يكن له هدف سوى توطيد أركان الدّولة، وردّ كيد أعدائها عنها.

إنّ أعمال مسلمة كانت بداية تحوّل كبير في العلاقات الحربية العربية البيزنطية، ونقطة الإنطلاق إلى الإنتصارات العسكريّة الباهرة على الجبهات كافّة، وبخاصة على جبهة الرّوم وستظهر جليّة في عهد الوليد، ثمّ إنّ إنتصارات مسلمة والجيش الإسلامي مدينة إلى الخليفة عبد الملك من ناحيتن: فهو الذي دعى إلى الجهاد في كافّة أنحاء الدّولة الإسلامية، فلبّى الجنود من الولايات كافّةً هذا النداء، كما أنّه عهد بالقيادة إلى ابنه مسلمة، وهو الذي نمّى فيه الخلق وغرس في نفسه حبّ الفروسية، وغذّى فيه روح الإقدام والشجاعة، وبذلك أعده إعداد تامّا لأن يكون قائدا مُظفرا[2].

- ردّ سليمان على أخيه مسلمة حين أعلمه بنصره:

-311 -

قال الثعالبي: «وكتب مسلمة بن عبد الملك إلى أخيه سليمان من الصّائفة بما كان منه من حسن الأثر في بلاد الرّوم، فوقّع في كتابه **ذلك بالله لا بمسلمة**»[3].

لقد أراد سليمان من هذه الرسالة أن يُعلّم أخاه درسا في العقيدة، فيربط نصره بالله تعالى وتأييده، لا بنفسه وقدرته، وهذا كله حتى لا يغفل مسلمة عن دواعي الجهاد وأسبابه الحقيقيّة وحتّى لا يفتتن المسلمون به وبكفاءته ويغفلون عن حقيقة لا ينبغي أن تغيب عن أذهانهم وهي أن النّصر من عند الله.

ثانيا- الـــــرّسائل الخاصّة بالـفتوح على جبهة المغرب والأندلس:

- رسالة معاوية إلى علقمة بن يزيد الغُطيفي يُمدّه:

-312 -

قال أبو لهيعة :«أنّ علقمة بن يزيد الغُطيفي[4] كان على الإسكندرية، ومعه اثنا عشر ألفا، فكتب إلى معاوية: إنّك جعلتني بالإسكندرية، وليس معي إلا إثنا عشر آلفا ما نكاد نرى بعضنا بعضا من القِلّة،

---

[1] _ انظر في ذلك، تاريخ خليفة بن خياط عند نهاية خلافة كل خليفة من هؤلاء، وانظر ابن عساكر: المصدر السابق، ج58، ص30وما بعدها.

[2] _ شحاذة الناطور: المرجع السّابق، ص178.

[3] _ خاص الخاص، ص128 .

[4] _ علقمة بن زيد الغطيفي: قال ابن عساكر: علقمة بن يزيد الحضرمي، ويقال الأنصاري، كان ممن شهد صفين مع معاوية، وكان من وجوه أصحابه وشهدا التحكم، كان على الإسكندرية بعدما شهد فتح مصر. تاريخ دمشق، ج41، ص201، 202.

فكتب إليه معاوية[1]:

إنّي قد أمددتُك بعبد الله بن مُطيع في أربعة آلاف من أهل المدينة وأمرت معن بن يزيد السّلمي[2] أن يكون بالرَّملة في أربعة آلاف، مُمَسَّكين بأعِنّة خُيولهم متى يبلغهم[3]عنك[4]فَزَع يعبروا[5]إليك»[6].

رواية أخرى لما سبق

-312-أ

و عن ضُمام بن إسماعيل المعافري عن أبي قُبَيل قال: «أنّ عتبة بن أبي سفيان عقد لعلقمة بن يزيد الغُطيفي على الإسكندرية وبعث معه اثني عشر ألفا، فكتب علقمة إلى معاوية يشكو عتبة حين غرّر به وبمن معه، فكتب إليه معاوية:

إنّي قد أمددتّك بعشرة آلاف من أهل الشّام، وخمسة آلاف من أهل المدينة، فكان فيها سبعة وعشرون ألفا»[7].

والعجيب هنا أنّنا نرى علقمة يكتب إلى معاوية ولا يكتب إلى والي مصر عتبة بن أبي سفيان الذّي ولّاه عمله، فالإمدادات تطلب من عتبة لامن معاوية!.

- رسالة معاوية إلى أبي المهاجر يأمره بتخلية عقبة:

-313 -

كانت إدارة بني أميّة وعزمهم الوطيد على فتح المغرب قد ظهرا عندما شيّد عقبة بن نافع في الأراضي الداخلية مدينة القيروان، فاستسلم بعض البربر وأسلم بعضهم، لكن بعضهم الآخر قاوموا زمنا طويلا ولاسيما المناطق الجبلية [8]، فكان وراء ظهور القيروان هدف عسكريّ إستراتيجي يرمي إلى إنشاء مركز دائم

---

(1) _ " معاوية " ناقصة في تاريخ دمشق.

(2) _ هو معن بن يزيد بن الأخنس أبو يزيد السّلمي ، شهد فتح دمشق وشهد صفين مع معاوية، قدم مصر سنة 43هـ، وكان مقتله يوم مرج راهط. ابن عساكر: المصدر السابق، ج59.، ص437-444، الذّهبي: تاريخ الإسلام، ج2، ص470، 471.

(3) _ في تاريخ دمشق"متى ما بلغهم".

(4) _ في تاريخ دمشق"عنكم".

(5) _ في تاريخ دمشق"يصيرون".

(6) _ ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، الرّواية الأولى، ج1، ص259.ابن عساكر: المصدر السابق، ج41، ص202.

(7) _ ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، الرواية الثّانية، ج1، ص259.

(8) _ كلود كاهن : الإسلام، ص61.

لتغطية عمليّات الهجوم في قلب المغرب،بعيدا عن البحر حتّى لا يطرقها العدوّ، فضلا عن تأمين الخطوط الدّفاعية الضّرورية للعرب في هذه المنطقة، كما كان لها هدف سياسيّ عقائدي في أن تكون منطلق الدّعوة الإسلامية بين البربر[1].

قال المالكي: «ولّى معاوية مسلمة بن مخلد الأنصاري على مصر فردّ أبا المهاجر مولاه بجيش من قِبله، فوصل إلى إفريقيّة سنة 57هـ ، وقيل إلى القيروان فأخذ عقبة بن نافع فحبسه وضيّق عليه، فبلغ خبره معاوية **فكتب إلى أبي المهاجر يأمره بتخليته ويعفيه ممّا صنع من ذلك**[2].

فأطلقه أبو المهاجر وأرسله برسل من قِبله حتّى أخرجوه من قابس فمضى وهو حنق على أبي المهاجر»[3].

ونشير هنا إلى أنّ أبا المهاجر لم يكن أقلّ كفاءة من عقبة، وإنّما كان على درجة عالية في ذلك، ولكن السّؤال المطروح هنا هو لماذا هذا التّغيير في الولاة والقادة؟ ألم يكن عقبة على قدر المسؤوليّة التّي ألقيت على عاتقه؟ !.

الحقيقة أنّ عزل عقبة كان دون سبب وجيه، ثم عُزل بعدها أبو المهاجر وأعيد عقبة سنة62هـ ، وإنّ سياسية إستبدال الولّاة هذه دون سبب، ودون أن يُتركوا فترة كافية تُتيح لهم معرفة المنطقة وفهم طبيعة سكّانها هي التي أدّت إلى تأخير الفتح للمنطقة.

-رسالة عبد الملك إلى زهير بن قيس يأمره بغزو إفريقيّة :

-314-

كان مقتل عقبة بن نافع على يد كسيلة وأتباعه مصيبة ألمّت بالمسلمين، فلم يكن عبد الملك ليتوانى عن أخذ الثأر والإنتقام من المحاربين، قال المالكي: لمّا ولّي عبد الملك سأل عن المغرب ومن مثل عقبة، فاتّفق رأيه ورأي المسلمين على زهير بن قيس البلوي، «فوجّه إليه عبد الملك بن مروان:

يأمره بالخروج على أعنّة الخيل فيمن معه من المسلمين لغزو إفريقيّة»[4].

كانت حملة زهير سنة 69 هـ فقاتل كسيلة وهزمه وقضى عليه بمس، واكتفى بهذا الإنتصار والثّأر

---

[1] _ إبراهيم بيضون : ملامح التّيارات السياسية، ص176

[2] _ في هامش المحقّق: ويعنّفه فيما صنع به.

[3] _ المالكي: رياض النّفوس، ج1، ص33..

[4] _رياض النّفوس، ج1، ص 46.

لعقبة فكرّ راجعا إلى القيروان، فلمّا بلغ برقة أغار عليه الرّوم فقتلوه، فكانت مصيبة المسلمين فيه كمصيبتهم بمقتل عقبة[1].

يمكن القول أنّ سبب الإهتمام باسترجاع إفريقيّة لم يكن مجرّد استنقاذ من بها من المسلمين وإنّما كانت الرّغبة في تهدئة أمورها وإتمام فتحها، لأنّ الخلافة أصبحت تنظر إليها كبلاد إسلامية لا مفرّ من الإهتمام بأمرها إهتماما لايقلّ عن الإهتمام بالموصل والجزيرة، ومصداق ذلك أنّ هزيمة زهير ومقتله في برقة لم تثن عبد الملك عن مواصلة العمل على استرجاع إفريقيّة فبعث حسّان بن النّعمان فاتحا لها[2].

- رسالة عبد الملك إلى حسّان بن النعمان يأمره بالخروج إلى إفريقيّة:

-315 -

بعد قضاء عبد الملك على ابن الزبير وجّه اهتمامه إلى فتح المغرب فعيّن حسّان بن النّعمان لهذه المهمّة، قال ابن عذارى:« قدم حسان بن النعمان إفريقية، واختاره لها عبد الملك بن مروان، وقدّمه على عسكر فيه أربعون ألفا، أقامه أوّلا في مصر بالعسكر عُدة لما يحدث، ثمّ **كتب إليه:**

يأمره بالنهوض إلى إفريقيّة ويقول له: إنّي قد أطلقتُ يدك في أموال مصر، فأعطِ من معك، ومن ورد عليك، وأعط النّاس، واخرج إلى بلاد إفريقيةّ على بركة الله وعونه» [3].

لقد كان أمر مصر في يد عبد العزيز ، فأطلق عبد الملك يده في الأموال كذلك ، كان هذا في حملة حسّان بن النّعمان سنة 73 هـ ، فساعدت هذة السّياسة اللّامركزية عبد الملك على تحقيق ما كان يصبو إليه من فتح المغرب، خاصّة وأنه سبق له وأن شارك في فتح جلولاء، فدمشق لم تعد صالحة لتزويد كل المقاطعات بالعون والمدد، نظرا إلى طول المسافات التي تزداد بعدا يوما بعد يوم، فاختلقت لذلك مقاطعات وأجناد يتمّ فيها التسيير الإداري والمالي والعسكري محلّيا.

-رسالة عبد الملك إلى حسّان بن النّعمان يأمره بالإقامة :

-316 -

في الوقت الذي أخذ فيه العرب ينحُون إتجاها أكثر جدّية في سياستهم الإفريقية كانت الدّولة الأمويّة قد طوت صفحة الحرب الأهلية وأصبحت لديها المقدرة على حشد الجزء الأكبر من قوّاتها في خدمة الحركة

---

[1] _ المالكي: المصدر السّابق ، ص 47، 48، حسين مؤنس: فتح العرب للمغرب، ص229.

[2] _ حسين مؤنس: فتح العرب للمغرب، ص218.

[3] _البيان المغرب ، ج1، ص34، محمد ماهر: الوثائق، ص302.

التّوسعية العامّة، غير أنّ هذه المهمّة كانت شائكة وعسيرة حيث كان للعرب أن يصطدموا بحاجزين من المقاومة، الأوّل تمثّل بالبيزنطيين –الأعداء التّقليديين– الذين اعتمدوا على التفوّق البحري، والقواعد المتبعة، أمّا الثاني فقد تمثّل بقبائل البربر بالدّاخل[1]، وعلى رأسهم الكاهنة التّي حاربت الفاتحين .

قال المالكي: ولّى عبد الملك حسان بن النّعمان إفريقيّة فسأل عن أعظم الملوك بها، فأخبروه بالكاهنة، فقاتلها فانهزم، فكتب إلى عبد الملك بما نزل بالمسلمين، ويسأله أن يمدّه بالجيوش، [ويقول: إنّ أمم المغرب ليس لها غاية ولا يقف أحد منها على نهاية ، كلّما بادت منها أمّة خلفتها أمّة، وهم من الحفل والكسرة كسائر الغنم][2] فكتب إليه:

« **إنّه قد بلغني أمرك وما لقيت وما لقي المسلمون، فانظر حيث لقيت كتابي هذا فأقم ولا تبرح حتّى يأتيك أمري.**

فلقيه الكتاب وهو نازل بمكان يقال له اليوم قصور حسّان فبنى هناك قصرا لنفسه وأقام بذلك الموضع هو ومن معه ثلاث سنين وملكت الكاهنة إفريقيّة كلّها»[3]

-رسالة عبد الملك إلى حسّان يأمره بمحاربة الكاهنة:

-317-

لمّا بلغ الكاهنة أنّ حسّان مقيما بقصور لا يبرح قالت للبربر أنّه يريد المراعي والزّرع، فما أرى إلّا خرابها، فوجّهت إلى البربر يقطعون الشّجر ويهدمون الحصون، فأخربت ذلك كلّه فخرج من النّصارى ثلاث مائة رجل يستغيثون بحسّان، «وفي أثناء ذلك وصله **كتاب عبد الملك يأمره بالنّهوض إلى إفريقيّة قبل أن تخربها الكاهنة.**

فرجع بجميع عسكره إلى إفريقيّة فهزمها وقتلها وأمّن الرّوم»[4].

على أيّ الأحوال يمكن القول بأنّ حسّان وجد الكاهنة على غير الحال التّي خلّفها عليه في ما سبق، فقد خلّفها بالأمس قويّة الجانب عزيزة الأنصار، وعاد اليوم ليجد الرّوم والبربر منفضّين عنها، يستحثّون

---

[1] _ إبراهيم بيضون : ملامح التيارات السياسة، ص173.

[2] _إضافة من البيان المُغرب.

[3] _المالكي: المصدر السّابق، ج1، ص51، البكري: المُغرب، ص8، ابن عذارى: البيان المغرب، ج1، ص36 ، السّلاوي: الإستقصاء، ج1، ص43 .

[4] _المالكي: المصدر السّابق، ج1، ص53، 54.

حسّان في القضاء عليها، بل يبدو إلى جانب ذلك أنّ أهل البلاد كانوا قد سئموا طول كفاح العرب ومالوا إلى التّسليم، ولذلك لن تطول المقاومة هذه المرّة إلّا ريثما تقتل الكاهنة ، ثمّ يهدأ الأمر بعد ذلك ويسود الهدوء، ليبدأ الفاتحون تنظيم أمورها[1]، فنرى حسان بعد ذلك يهتمّ بشؤون الدواوين ويصالح على الخراج، ويتوجّه إلى الإصلاح والبناء والتّعمير[2].

وبهذا خلصت إفريقيّة لحسّان ولم تعد هناك قوّة تعارضه أو تعيق طريقه، أو تنتقص من إمارته على البلاد ، صحيح أنّ العرب الفاتحين لم يصلوا إلى بعض المناطق بعد، وأنّ بعض القبائل لم تسمع بمقدمهم، ولكن ذلك لا يمنع من القول بأنّ الفتح الحربيّ قد تمّ، وأنّ واجب الأمير العربيّ الآن أن يهتمّ بنشر الإسلام في البلاد وتقرير أمورها وخراجها وشؤونها وما إلى ذلك[3].

لقد كانت حركة الفتح مزيجا عجيبا من الغايات والوسائل، غاياتٌ لا ندري هل هي إقامة حضارة أم نشر دين، أم حبّ السيطرة أم شهوة الفتح، ووسائل فيها استعطاف وتحبّب وفيها تحدٌّ وعناد، وعقود من السّنين قد بلغت نصف قرن في مساحة من الأرض لم تكن بحاجة إلى كل هذه السّنين، ولولا وجود خليفة من أصحاب النّفَس الطّويل الذين لا ييأسون، ولديه أهداف إستراتيجية بالنسبة للدّولة ما استمر في دعم حركات الفتح التي حقّقت نتائجها المرجوّة والسّريعة في عهد حسان بن النّعمان، من الإستقرار والتنظيم الإداري[4].

- رسالة عبد الملك إلى أخيه عبد العزيز حين أعلمه بفتوح حسّان وموسى بن نصير:

-318 -

ذكر ابن قتيبة: « أنّ عبد العزيز كتب إلى عبد الملك: أما بعد، فإنّي كنتُ وأنت يا أمير المؤمنين في موسى وحسّان كالمُتراهِنين، أرسلا فرسيْهما إلى غايتهما فأتيا معًا، وقد مُدّت الغاية، وقد وجهته إليك لتقرأه، وتحمد الله عليه والسّلام، فكتب إليه عبد الملك:

أمّا بعد، فقد بلغ أمير المؤمنين كتابَك، وفهِم المَثل الذي مثّلته في حسان وموسى، ويقول لك عند أحدهما مزيد، وكلٌ قد عرف الله على يدِه خيرًا ونصرًا، وقد أجريتَ وحدك وكل مُجرٍ

---

[1] _ حسين مؤنس: فتح العرب للمغرب، ص258.

[2] _ ابن عذارى : المصدر السّابق، ص36-38.

[3] _ حسين مؤنس: فتح العرب للمغرب، ص259.

[4] _ شحاذة الناطور: تحديد الدولة، ص187، عبد اللّطيف السيد: العصر الأموي، ص257، حسن مؤنس: فتح العرب للمغرب، ص259.

بالخلاء[1] مَسرور والسلام»[2].

لقد كان إقليم المغرب تابعا إداريّا وعسكريّا إلى مصر، وكان والي مصر هو الذي يتحّكم في قادته كيفما شاء[3]، وذلك للصّلاحيات التي أعطاها الخليفة إياه، ويبدو هنا أنّ عبد العزيز كان يرغب في تولية موسى بن نصير لمخالفة حسّان إيّاه، لولا أنّ عبد الملك أمر بأن يكون حسّان بن النّعمان هو صاحب الولاية[4] ، غير أنّنا سنجد عبد العزيز بعدها يعزل حسّان ويولّي موسى بن نصير.

- رسالة عبد الملك إلى أخيه عبد العزيز حين عزل حسّان عن أفريقية:

-319 -

ذكر ابن قتيبة: أن عبد العزيز لمّا ولّى موسى بن نصير وعزل حسّان، وفتح الله لموسى، بلغ ذلك عبد الملك بن مروان فكرِهِ ذلك وأنكره، ثم كرِه ردّ رأي عبد العزيز، ثمّ همّ بعزل موسى لسوء رأيه فيه، ثم رأى أن لا يردّ ما صنع عبد العزيز، فكتب إليه:

«أما بعد: فقد بلغ أمير المؤمنيين ما كان من رأيِك في عزل حسّان، وتوليتك موسى مكانه، وعلِم الأمر الذي له عزلته، وقد كنتُ انتظر مثلها منك في موسى، وقد أمضى لك أمير المؤمنين من رأيك ما أمضيتَ، وولايتك من ولّيت، فاستوصِ بحسّان خيرا، فإنّه ميمون الطائر[5] والسّلام»[6].

وبهذا لم يشأ عبد الملك أن يردّ قرار أخيه عبد العزيز في توليته موسى بن نُصير أمر المغرب وكلّ هذا تقديرا لأخيه بمصر ورفعا لمكانته، وقد أختُلف في تاريخ عزل حسّان وتولية موسى ، فقد قيل أنّ ذلك كان سنة 79 هـ[7] ، وقيل سنة 77 هـ[8] ، فقدم حسّان على عبد الملك، فأمره بلزوم بيته[1].

---

(1) _ يقصد عبد الملك بذلك أنّ كل شخص يجري فرسه وحده، بدون فرس آخر معه يُسرّ في جريه لأنّه لا مفاضلة بينه وبين غيره، يريد عبد الملك أنّه لا يظهر فضل موسى على فضل حسّان إلا إذا ظهر عجز حسّان عن إدراك ما أدركه موسى.

(2) _ الإمامة والسّياسية، ج2، ص53، ، محمد ماهر: الوثائق، ص304، أحمد زكي: جمهرة رسائل، ج2، ص48.

(3) _ الكندي : المصدر السابق، ص38.

(4) _ ابن عساكر : تاريخ دمشق، ج12 ، ص 452.

(5) _ ميمون الطائر أي موفّقا وصاحب سلامة، والميمون المبارك عليهم، وهو خلاف المشؤوم. لسان العرب، مج 6، ص4967، مادة يمن.

(6) _ الإمامة والسياسية، ج2، ص52، 53 ، ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص40 .

(7) _ ابن عساكر : المصدر السّابق ، ج12 ، ص 452.

(8) _ تاريخ خليفة، ص174.

(1) _ المصدر نفسه، ص174.

والسّؤال المطروح هنا: ما سبب عزل حسان؟ هل هي تلك الإنجازات التي حقّقها لكونه أنجز ما لم ينجِزه سابقوه، وأصبح بذلك ينافس والي مصر نفسَه؟ أم الخلاف بينه وبين عبد العزيز هو السّبب، فقد سبق لحسان أن رفض قرارات عبد العزيز؟! أم سببه تلك الأموال التي جمعها حسّان، وطمع فيها عبد العزيز كما أجمعت عليه المصادر ؟ !"[1] وفي اعتقادنا أنّ أسباب العزل لا تخرج عن الإجابة عن تساؤلاتنا السّابقة، ولا يمكن فصل سبب عن الآخر[2].

- رسالة الوليد إلى عامله عبد الله بن مروان ليُرسل موسى بن نصير إلى إفريقية :

-320 -

قال ابن العماد الحنبلي: «أرسل الوليد إلى عمّة وعامله على مصر عبد الله بن مروان أن **أرسِل موسى بن نصير إلى إفريقيّة** ففعل»[3].

الحقيقة أنّ عبد الله بن عبد الملك أخا الوليد هو من كان يتولّى مصر لأخيه وليس عبد الله بن مروان[4]، فلمّا تولّى الوليد أقرّ موسى بن نصير على إفريقية لما كان له من فتوحات وبطولات في ولاية عبد العزيز.

لقد كان موسى بن نصير ذا رأي وتدبير وحزم وخبرة بالحرب ولي إمارة إفريقية فا فتتح –كما ذكرنا– بلادا كثيرة جدّا ومدنا وأقاليما، وافتتح بعدها بلاد الأندلس، وأسلم أهل المغرب على يده وبثّ فيهم الدّين والقرآن، فموسى نجم بالمغرب وقتيبة نجم بالمشرق[5].

لقد جنى الأمويّين ثمار جهودهم في بلاد المغرب، حيث صرفوا أذهان الرّوم عن شمال إفريقيا، واعتبروا حماية هذه المنطقة من أولى أولويّاتهم، وتمكّنوا من جعل شمال إفريقيا إقليما هاما من أركان الدّولة العربية الإسلامية[6].

---

[1] _ انظر ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص38.

[2] _ عيسى الذيب: حسّان بن النّعمان، ص56.

[3] _ شذرات الذهب، ج1، ص391، ابن عذارى: المصدر السّابق، ج1، ص 41.

[4] _ انظر تاريخ خليفة ، ص 198 ، تاريخ دمشق، ج36، ص354، ج29، ص345، فقد قال: أُقرّ عبد الله بن عبد الملك على مصر من 86 إلى 90هـ .

[5] _ ابن كثير : البداية والنهاية، ج9، ص142.

[6] _ جاسم صبكان: تاريخ صدر الإسلام، ص168.

- ردّ الوليد على موسى بن نصير لمّا أعلمه بفتح سَفُوما:

-321-

قال البكري: « لمّا وصل موسى بن نصير إلى طنجة، مال عياض بن عقبة[1] إلى قلعة يُقال لها سَفوما على مَقربة من فاس، ومال معه سليمان بن أبي المهاجر[2]، وسألا موسى الرّجوع معهما، فأبى وقال: هؤلاء قوم في الطّاعة، فأغلظا له القول حتى رجع فقاتل أهل سَفوما، فكان لهم على العرب ظهور ثم تسوّر عليها عياض بن عقبة من خلفهم في قلعتهم، فانهزم القوم واشتدّ القتل فيهم، فبادو وقلّت أوربة[3] إلى اليوم، و لمّا افتتح موسى سفُوما كتب إلى الوليد بن عبد الملك: أنه صار إليك يا أمير المؤمنين من سبي سفوما مائة ألف رأس ، فكتب إليه الوليد:

ويْحك أظنّها من بعض كِذباتك، فإنْ كنت صادقًا فهذا محشر الأُمم[4]» [5].

يبدو أنّ الوليد أدرك أنّ موسى بالغ في عدد السّبايا، وأنّ هذا لايمكن أن يحصل، وإنّما كان موسى يتودّد فقط للوليد بمثل هذا .

- رسالة الوليد إلى موسى بن نُصير حين استأذنه في فتح الأندلس:

-322-

[رسالة الوليد] قال المقّري: «شَوّق يُوليان[6] موسى بن نصير في غزو الأندلس، ووصف ثمارها ومياهها، وهوّن عليه مع ذلك حال رجالها، ووصفهم بالضّعف، فبعث موسى يوليان لاختبارها[7]، فدخل الجزيرة الخضراء[8] فأغار وسبى وقتل وغنم، وأقام بها أيّاما، ثم رجع بمن معه سالمين، وشاع الخبر عند المسلمين، فأنِسوا بيوليان واطمأنّوا إليه، وكان ذلك عقِب سنة تسعين، فكتب موسى بن نصير إلى أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك يخبره بالذّي دعا إليه يوليان من أمر الأندلس، ويستأذنه في افتتاحها، فكتب

---

(1) _ عياض بن عقبة الفهري، ذكر ابن حبيب أنّه دخل الأندلس من التابعين. التّكملة، ج4، ص34.

(2) _ أبوه أبو المهاجر دينار فاتح المغرب مولى بني مخزوم. الزركلي: الأعلام، ج3، ص4.

(3) _ أوربة قبيلة من البربر مساكنهم قرب فاس. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص278.

(4) _ في الاستقصاء"محشر الأمّة"

(5) _ المُغرب، ص117، 118، السلاوي: الاستقصا، ج1، ص44.

(6) _ يوليان: حاكم سبته، شوّه الملك القوطي لذريق شرف ابنته فحنِق عليه واستقبل موسى بن نصير بالهدايا فأقره على حكم سبته، فكشف يوليان نقاط الضعف عند القوط، ممّا سهّل فتح الأندلس على طارق .السلاوي: المصدر السابق، ج1، ص44، 45.

(7) _ في روايات أخرى بعث طريف ابن مالك . المقّري : المصدر السّابق ، ج1 ، ص253 .

(8) _ الجزيرة الخضراء مدينة مشهورة بالأندلس وقبالتها البر، وبلاد البربر سبته، وهي من أطيب المدن وأشرفها أرضا، متّصلة ببر الأندلس. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص136.

إليه الوليد:

خُضها بالسَّرايا حتّى ترى وتَختَبِر شأنها، ولا تغرِّر بالمسلمين في بحر شديدِ الأهوال» [1].

[جواب موسى] فراجعه موسى بن نصير: « أنّه ليس ببحر زخار[2]، وإنّما هو خليج منه يبين للنّاظر ما خلفه»[3].

-ردّ الوليد على موسى بن نصير حين طمأنَه في أمر الأندلس:

-323 -

فكتب له الوليد: « **وإنْ كان فلا بدَّ من اختباره بالسَّرايا قبل اقتحامه**»[4].

فبعث موسى عند ذلك رجلا من مواليه يُقال له طريف[5] في أربعمائة رجل معهم مائة فرس سار معهم في أربعة مراكب، فنزل بهم في جزيرة طريف، وبدأ فتح الأندلس[6].

بهذا التّخطيط وهذه التّعبئة العسكرية بدأ الزحف نحو الأندلس بإشراف من موسى بن نصير الرجل العسكري، الذي سبق له أن تمرّس في الجهاد البحري إبّان خلافة معاوية[7]، وبتنفيذ من طارق بن زياد الذي بسط نفوذه عليها، وسار وفق منهج توسّعي، محقّقا بذلك نصرا جديد للإسلام والمسلمين، فلم يكن فتح الأندلس مجرّد مغامرة صادفها التوفيق كان لها ما بعدها ، وإنّما كانت من أوّل الأمر فتحا جدّيّا غايته نشر العقيدة والإستقرار بالإقليم [8] .

إنّ الإنتصارات التكتيكية الباهرة التي حقّقها طارق، والمميّزات التي حصل عليها، كانت نتيجة حركة إستراتيجيّة، قام بها بهدف القضاء على ملِك الأندلس وقوّاته والقضاء على جذور هذه القوات داخل الأندلس كلها، ولقد كانت إستراتيجية طارق تمتاز بالحركة لكنّها كانت تحتاج للدّقّة والمهارة حيث كان

---

(1) _ نفح الطيب، ج1، ص253، ابن الأثير: الكامل، ج4، ص122، محمد ماهر: المرجع السابق، ص400.

(2) _ زخار أي ممتلىء عالٍ. لسان العرب، مج3، ص1820، مادة زخر.

(3) _ المقري: المصدر السّابق ، ج1، ص253.

(4) _ المصدر نفسه ، ص253.

(5) _ هو طريف بن مالك النّخعي يكنّى أبا زرعة، شارك في فتح الأندلس مع طارق ونزل بجبل سُمّي باسمه جبل طريف وكذا جزيرة طريف، مثل ماسمي جبل طارق نسبة إلى طارق بن زياد. المقري: المصدر السابق، ج1، ص253، السلاوي، المصدر السابق، ج1، ص45.

(6) _ المقري: المصدر السابق، ج1، ص253.

(7) _ فقد غزى قبرص وبنى بها حصونا . ابن عساكر: المصدر السابق، ج61، ص212.

(8) _ حسين مؤنس: فجر الأندلس ، ص59.

هدف الإستراتيجيّة آنذاك بسيطا ومباشرا ويتضمن البحث عن حركة سريعة[1].

- رسالة الوليد إلى موسى بن نصير لإيقاف فتوح الأندلس والقُدوم عليه:

-324 -

قال المقّري: «بينما موسى يعمل في فتح الأندلس ويُعدّ له أتاه مغيث الرومي[2] رسول الوليد بن عبد الملك ومولاه **يأمُره بالخُروج عن الأندلس والإضطراب[3]عن الوُغول فيها ويأخذه بالقُفول إليه**»[4].

لقد وضع الوليد بهذا القرار حدّا لفتوح الأندلس ، وأمر بإيقاف التّوسع والتّوغّل فيها، وليس ثمّة شكٌّ أنّ القرار كان في غير محلّه، وأضاع فرصة التاريخ التّي لم تتكرر من أيدي العرب باجتياح القارّة الأوربية[5].

- رسالة ثانية من الوليد إلى موسى بن نُصير يأمره بالقدوم ويُوبّخه:

-325 -

قال المقّري في روايته السّابقة: لما كتب الوليد إلى موسى مع مغيث الرّومي يأمره بالقفول من الأندلس إليه، «لم يكن في الأندلس بلد لم تدخله العرب غير جلّيقية[6]، فكان موسى شديد الحرص على افتتاحها فلا طف مغيثا رسول الخليفة، وسأله إنتظاره إلى أن ينفّذ عزمه في الدّخول عليها والمسير معه في البلاد أيامًا، فافتتحها، وبينما موسى كذلك **كتب إليه الوليد : يُوبّخه، ويأمره بالخُروج**»[7].

- رسالة ثالثة من الوليد إلى موسى بن نصير يأمره بالسّرعة في المجيء إليه:

-326 -

قال ابن عذارى: لمّا أرسل الوليد إلى موسى للقدوم عليه «خرج موسى حتّى انتهى إلى مصر فلم يبقَ بها فقيه ولاشريف إلّا وصله وأعطاه، ثمّ خرج من مصر متوجّها إلى فلسطين، فتلقّاه آل روح بن

---

(1) _أحمد علي علي: التعبئة العسكرية، ص76.

(2) _ قيل اسمه مغيث وقيل معتّب الرّومي ، فاتح قرطبة، وليس روميا على الحقيقة، وتصحيح نسبة أنّه مغيث بن الحارث بن الحويرث الغساني، سُبيَ من الرّوم بالمشرق وهو صغير، فأدّبه عبد الملك مع ابنه الوليد، ووجّهه الوليد غازيا إلى الأندلس مع طارق بن زياد، فافتتح قرطبة سنة92، ورجع إلى دمشق سنة 96 هـ بعد خلاف مع موسى بن نصير، توفي بقرطبة نحو سنة 100هـ. المزّي: تهذيب الكمال، ج8، ص 105، الزركلي: الأعلام، ج7، ص 276.

(3) _ أي نهاه عن التّوغل فيها، والمطرب: الطريق الضّيق، وإبل طراب تنزع إلى أوطانها. لسان العرب، مج4، ص2649، مادة طرب.

(4) _ المصدر السابق، ج1، ص 275.

(5) _ جاسم صبكان : المرجع السابق، ص161.

(6) _ ناحية قرب ساحل البحر المحيط، شمالي الأندلس في أقصاه من جهة الغرب وصلها موسى بن نصير لمّا فتح الأندلس والنّسبة إليها جلّيقي. ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج2، ص157.

(7) _ المصدر السابق، ج1، ص276.

زنباع...فأعطاهم عطاء جزِلا، ثمّ وافاه كتاب الخليفة الوليد بن عبد الملك: **يأمرُه بشدّ**[1] **السَّير إليه ليُدرِكه في الحياة**»[2].

فحمل موسى الدّرر والتّيجان والذّهب والفضة إلى الوليد بن عبد الملك[3].

الظّاهر أنّ الوليد عجّل على موسى قدومه حتّى يحاسبه على الأموال التّي غنمها من الأندلس، فلمّا قدم عليه حاسبه، وأشهَد عليه طارق، فصدّق طارق فيما قال وخوَّن موسى[4].

- رسالة سليمان إلى موسى بن نصير يأمره بالتّباطُؤ على الوليد:

-327 -

قال ابن عذارى: لمّا توجّه موسى إلى فلسطين «وافَاه كتاب الخليفة الوليد بن عبد الملك يأمره بشدّ السير إليه ليدركه في قيد الحياة-وكان مريضا-، ووافاه كتاب من سليمان بن عبد الملك وليّ عهد أخيه الوليد **يأمُره بالتأنّي والتّربُّص**[5].

فأسرع موسى، ولم ينظُر في كتاب سليمان إلى أن وصل إلى الوليد قبل موته بثلاثة أيّام، فقال سليمان لئِنْ ظفرتُ به لأصلبنّه، فدفع موسى الأموال والمائدة والدّر والياقوت والتّيجان والذهب والفضة إلى الوليد بن عبد الملك»[6].

فلأنّ الوليد كان مريضا أراد سليمان أن يستأثر بكلّ ما يأتي به موسى، بَيْد أنّ العجلة دفعت بموسى إلى القدوم على الوليد دون أن يقرأ كتاب سليمان.

وقد ذكرت المصادر أنّ سليمان حقدها على موسى، فلمّا توفّي الوليد سنة 96 هـ وولّي سليمان عذّبه وأوقفه في حرّ الشمس، وقال له كتبتُ إليك فلم تنظر كتابي[7]، وحبَسه لذلك، وطالبه بأموال عظيمة[1].

---

(1) _ عند الذهبي"بشدّة".

(2) _ البيان المغرب، ج1، ص45، الذّهبي: تاريخ الإسلام، ج3، ص206. وعند ابن قتيبة: «**فكتب له الوليد كتابًا يأمُره بالعجَلة في مسيره**» الإمامة والسّياسية، ج2، ص69 .

(3) _ ابن عذارى : المصدر السابق، ج1، ص45.

(4) _ ابن عساكر : المصدر السابق، ج24، ص418.

(5) _ التربّص هو الانتظار. لسان العرب، مج3، ص1558، مادة ربص.

(6) _ ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص45، المقري: المصدر السابق، ج1، ص280.

(7) _ ابن عذارى: المصدر السّابق، ص46.

(1) _ ابن عساكر: المصدر السابق، ج61، ص223.

غير أن الشكّ يحيط بذلك وكلّ مانستطيع قبوله هو أنّ سليمان أهمل موسى وتركه في زوايا النّسيان ومانظنّ أنّ رجلا كهذا كان يمكن عقابه بأقصى من ذلك، فخرج موسى من الميدان وعاش بقيّة حياته في ظلال النّسيان لانكاد نسمع من أخباره شيئا، لا تحدّثنا المصادر بشيء عنه بعد ذلك حتّى موته، فلم تعرف له الخلافة فضله ، ولم تجزه جزاءه الذّي كان يستحقّه[1].

ثالـــثا: الـــرّسائل الخاصة بالفـتوح على جبهة العراق والمشرق:

-رسالة يزيد إلى عبيد الله بن زياد يأمره بانتخاب رجال يبعثهم للغزو:

-328 -

قال مسلمة بن محارب بن سَلَم بن زياد: «ولّى يزيد بن معاوية سلم بن زياد[2]، خراسان فقدم سلم العراق وبها عبيد الله بن زياد، **وأعطاه كتاب يزيد بنُخبَة ألفَيْ رجل ينتخبهم، –وقال غيره بل نخبه ستة آلاف–** ، فكان سَلم ينتخب الوجوه والفرسان»[3].

ومنهم المهلّب بن أبي صفرة ، وبدأ الغزو سنة 61 هـ فغزا خوارزم فصالحوه على مال كثير، ثمّ عبر إلى سمَرقند فصالحوه[4]، وبهذا مهّد الطّريق للفاتحين بعده في هذا الإقليم.

- رسالة يزيد إلى عبيد الله بن زياد يأمره بتوجيه عبد الله بن خازم إلى خراسان :

- 329 -

غزا سلم بن زياد خوارزم وصالحهم وعبر منهم إلى سمرقند[5]، « **وكتب يزيد إلى عبيد الله بن زياد أن يوجه عبد الله بن خازم إلى خراسان لمعونة سلم بن زياد**»[6].

ومن دون شكّ أن يزيد لم يكتب إلى عبيد الله بهذا إلّا بعد أن طلب منه سلم بن زياد مددا وعونا في مهمّته.

---

(1) _ حسين مؤنس: فجر الأندلس ، ص 99.

(2) _ سبقت ترجمته في التمهيد.

(3) _ تاريخ الطبري، ج5، ص472 ، النّويري: نهاية الإرب ، ج20 ، ص 304 .

(4) _ تاريخ خليفة، ص176، النّويري : المصدر السّابق ، ج20 ، ص 304

(5) _ انظر تاريخ خليفة ، ص 146.

(6) _ الزّمخشري: ربيع الأبرار ، ج1 ، ص 67 ، 68.

- رسالة عبد الملك إلى الحجّاج بإرسال جيش مع عبد الله بن كعب إلى خراسان:

-330 -

قال محمد بن القاسم الأنباري فيما يرويه عن بعض أصحابه: «أنّ عبد الملك بن مروان كتب إلى الحجاج:

أنفِذْ مع عبد الله بن كعب[1] أربعة آلاف إلى خراسان، ففعل»[2].

لم تذكر هذه الرّواية تاريخ الحملة، و سبب إرسالها، والظّاهر أنها كانت حملة إستطلاعية توغّلت إلى خراسان، فيكون عبد الملك بذلك ممهّدا لعهد الوليد الذي شهدت فيه المنطقة فتوحا عظاما.

- ردّ عبد الملك على الحجّاج يأمره بالإنتقام من رَتبيل:

-331 -

كانت حملة عبيد الله بن أبي بكرة[3] سنة 79 هـ حملة تأديبيّة لرتبيل[4] ملك التّرك، الذي رفض دفع الإتاوة التي كان يعطيها للحجّاج، لذا أمر الحجاج عبيد الله بغزوه، وإن لايبرح حتى يستبيح أرضه، ويهدم قلاعة ويقتل مقاتلته ويسبي حريمه، ولكن النتيجة كانت بخلاف ما انتظره الحجاج، فقد هُزم أبوبكرة وأُبيد جيشه[5].

[رسالة الحجّاج] قال أبو مخنف: فكتب الحجاج إلى عبد الملك يُعلمه بمُصاب المسلمين بسجستان:

«أمّا بعد، فإنّ جند أمير المؤمنين الذين بسجستان أُصيبوا فلم ينجُ منهم إلّا القليل، وقد اجترأ العدو بالذي أصابه على أهل الإسلام، فدخلوا بلادهم، وغلبوا على حُصونهم وقصورهم وقد أردت أن أوجّه إليهم جندا كثيفا من أهل المصرين، فأحببتُ أن أستطلع رأي أمير المؤمنين في ذلك، فإن رأى لي بعثة ذلك

---

(1) _ قال الذهبي: عبد الرحمن بن كعب بن مالك الأنصاري السّلمي، مات في ولاية سليمان سنة 97أو 98هـ. تاريخ الاسلام، ج3، ص166، المزّي :المصدر السابق، ج15، ص446، 447.

(2) _ أبو الفرج النهرواني : الجليس الصالح، ج1، ص561.

(3) _ عبيد الله بن أبي بكرة الثقفي الأمير من أبناء الصّحابة، ولد سنة 14 هـ كان جودا شجاعا كبير القدر ولي إمرة سجستان سنة 50هـ، ثم عزل بعد ثلاث سنين، ثم وليها الحجاج، الذي أرسله لقتال رتبيل ملك الترك، فقُتل وعامة جيشه سنة 79 هـ بسجستان. الذهبي: سير أعلام، ج4، ص138.

(4) _ رتبيل ملك التّرك وقائدهم في سجستان، قاتل جيش عبيد الله بن أبي بكرة سنة 79 وأبادهم، ممّا دفع الحجاج إلى أن يوجه له حملة جديدة مع ابن الأشعث للإنتقام. الطبري: المصدر السابق، ج6، صص322.

(5) _ انظر في ذلك البلاذري: أنساب الأشراف، ج7، ص304، 305.

الجند أمضيته وإن لم يرَ ذلك فإنّ أمير المؤمنين أولى بجنده، مع أنّي أتخوف إن لم يأتِ رتبيل ومن معه من المشركين جندُ كثيف عاجلا أن يستولوا على ذلك الفرج كله»[1].

[ردّ عبد الملك] فكتب إليه عبد الملك: «**أمّا بعد فقد أتاني كتابُك تذكر فيه مُصاب المسلمين بسَجستان، وأولئك قوم كتب الله عليهم القتلَ فبَرزوا إلى مَضاجعهم، وعلى الله ثوابُهم، وأمّا ما أردت أن يأتيك فيه رأيي من تَوجيه الجنود وإمضائها إلى ذلك الفَرج الذي أُصيب فيه المسلمون أو كفِّها، فإنّ رأيي في ذلك أن تُمضي رأيَك راشدًا موفّقًا**»[2].

رواية أخرى لما سبق

-أ-331

وعن عوانه قال: «لما هلك عبيد الله بن أبي بكرة بسجستان غمّ الحجاج مهلكه غمًّا شديدا، وكتب إلى عبد الملك يُعلمه ذلك، ويستطلع رأيه في توليه هذا الفرج رجلا، فكتب إليه:

بلغني كتابُك بما ذكرتَ من مُصاب المسلمين بسجستان، حتّى لم يَنجُ منهم إلا الشّريد[3]وجُرأة العدو لذلك، وقوّتهم على أهل الإسلام، فأولئك قوم كُتب القتل عليهم، فبرزوا إلى مضاجعهم، وعلى الله عزوجل ثوابهم، فأمّا ما استطلعت فيه الرأي، فإنّ رأيي أن تُمضي ولاية من رأيت توليته موفقًا رشيدا»[4].

من مظاهر التّنظيم في فتوح هذه الجبهة حرص الحجاج على الإتّصالات المستمرّة مع الجيوش الفاتحة في المشرق، وذلك بقصد التّعرف على الصعوبات والعقبات التي تُصادف تلك الحملات، فتُعرض عليه تفاصيلها، ويتّبع أخبارها، فيقدّم نصائحه فيها و أوامره، ويعمل على حلها والتغلّب عليها، فكانت توجيهاته فعّالة وبناءة في سير الجهود العسكرية، وكثيرا ما كان رأيه مصيبا في الأمور التي يكتبها إلى قادته، وكانت الفتوح تدر على الحجّاج المال فينفق هذا المال في الإصلاح[1].

---

(1) _ الطبري: المصدر السابق، ج6، ص323، 324، مسكويه: تجارب الأمم، ج2، ص222.

(2) _ الطبري: المصدر السابق، ج6، ص327، مسكويه، المصدر السابق، ج2، ص223، أحمد زكي: المرجع السابق، ج2، ص186.

(3) _ الشريد هو الهارب أو الطريد. لسان العرب، مج4، ص2230، مادة شرد.

(4) _ البلاذري: أنساب الأشراف، ج7، ص309، ابن كثير: البداية والنهاية، ج9، ص26

(1) _ عبد الواحد ذنون طه: دراسات ، ص192، يوسف العش: الدّولة الأموية، ص224.

- رسالة الوليد إلى قتيبة بن مسلم بعد موت الحجّاج يُقرّه في الغزو ويرفع شأنه:

-332 -

قال علي بن محمد[1]:«بعث الحجاج جيشا من العراق، فقدموا على قتيبة سنة 95 هـ فغزا، فأتاه موت الحجّاج في شوال فغمّه ذلك وقَفل راجعا إلى مرو[2]، فأقام بها، وأتاه كتاب الوليد:

قد عرف أمير المؤمنين بلاءك وجدّك [واجتهادك] [3]في جهاد أعداء المسلمين، وأمير المؤمنين رافعُك، وصانعٌ بك كالذّي يجب لك فالمُم[4]مغازيك، وانتظر ثواب ربّك[5] ولا تَغِبْ[6] عن أمير المؤمنين كتُبك حتّى كأني انظر إلى بلادك والثّغر الذي أنت به »[7].

إنّه ممّا لاشك فيه أنّ انتصارات المسلمين العظيمة في الشرق كانت في الحقيقة نتيجة لجهود الحجاج، فقد عبّأ البلاد وهيأها لحركة الفتوحات في الشرق، ودعم قادته وجهّزهم بكل ما يحتاجون إليه، ففتح قتيبة بن مسلم بلاد ما وراء النهر ووصل حدود الصين، وعمل محمد بن القاسم على فتح بلاد السند والهند[8].

وبمجرّد موت الحجّاج أمر الوليد قتيبة بالإستمرار في الجهاد ، وفوّضه في أمره لحسن بلائه ، وحتّى لا تضيع الجهود السّابقة سُدى ، فمهمّة الفتح لاتزول بزوال الأشخاص .

إنّ التّعبئة العسكرية السياسية التي أعلنها الوليد انطلاقا من هذه الرّسالة ذات أهمية كبيرة من الدرجة الأولى، لأنّ التّعبئة السّياسية إذا كانت صحيحة للشّعب بأسره يغرق العدو في هذا المحيط البشريِّ المتماسك، إضافة إلى أنّ هذه التعبئة مناسبة-وبهذه الميزات- لسدّ ثغرات منها التخلّف في التسليح، وفي ميادين أخرى إقتصادية واجتماعية، ولم يكتفِ الأمويّون بتعبئة سياسية واحدة، إنّما كان يُعمل لها دائما وباستمرار لأنّ الأمويّين كانوا مهدّدين بالزوال من قِبل قوى داخلية وخارجية، وكانوا يواصلون الحروب بثبات

---

(1) _ كذا عند الطبري، وفي بقية المصادر الرواية بغير سند.

(2) _ مرو هي من أشهر مدن خراسان وقصبتها، وبينها وبين نيسابور سبعون فرسخا، وهناك مرو الروذ ومرو الشاهجان.ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج5، ص112.

(3) _ إضافة من المنتظم والكامل وفي تاريخ الطبري غير موجود.

(4) _ في الكامل "فأتمّ"

(5) _ من "لك فالمم...ربّك " ناقصة في المنتظم.

(6) _ كذا عند الطبري، وفي بقية المصادر"تغيّب"

(7) _ تاريخ الطبري، ج6، ص492، 493، ابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص335 ، ابن الأثير: الكامل، ج4، ص283، ابن كثير: المصدر السابق، ج9، ص98.

(8) _ عبد الواحد ذنون طه: العراق في عهد الحجاج، ص239.

ومثابرة مع ربط الحرب بتطور السياسة[1].

وقد كان قتيبة قائدا إداريًّا ممتازا حيث هيأ لجيشه كلّ مسلتزمات النصر، ولاسيما دراسة المشاكل قبل المعارك ووضع الخطط في مراحل سابقة، وتكديس التّجهيزات العسكرية والأسلحة، وقد منع اعتبار الأسلحة من جملة الغنائم حتى يستفيد منها لتشكيل قطعات جديدة، ولم يفعل ذلك أي قائد عربي آخر، مما أدّى إلى سرعة وسهولة نشر الدين الإسلامي واللغة العربية في الحاميات التي استقرت هناك، وقد نظّم قتيبة البريد بشكل ممتاز حيث كانت الأخبار تصل الكوفة وتعود[2].

فلاشكّ أن قيادة قتيبة الفذّة، وخططه العسكرية المحكمة، ودعم القيادة العليا له ممثّلة بالحجاج في العراق والخليفة بدمشق، إضافة إلى ما كان من طاقات روحية عند الجند جعل النّصر حليف قتيبة وجنده في هذا الميدان، وقد ساعد ذلك– والمعاملة الطيّبة لأهل البلاد –على تحويل المنطقة إلى دار إسلام[3].

– رسالة سليمان إلى يزيد بن المهلّب يأذن له في الغزو:

-333 -

قال هشام بن محمد الكلبي فيما يرويه عن أبي مخنق: « لمّا ولّي سليمان بن عبد الملك بن مروان الأمر ولّى يزيد بن المهلب بن أبي صفرة العراق، فخرج إلى خراسان لسبب ما كان من التواء قتيبة بن مسلم، وخلافه على سليمان، وقتلِ وكيع بن أبي سود[4] إياه، فعرض له صول التّركي في طريقه وهو يريد خراسان، فكتب إلى سليمان يستأذنه في غزوه **فأذِن له**،

فغزا جيلان[5]وسارية[1]، ثمّ أتى دهِستان[2]»[3].وعقد بها الصلح.

لم يرو لنا المصدر نصّ الرّسالة ، والظاهر أنّه كتب له بذلك، وأمضى له ما أراده وما كان يطمح إليه

---

(1) _ أحمد علي علي : التعبئة العسكرية، ص26.

(2) _ عبد الواحد ذنون طه : مواقف ودراسات، ص283.

(3) _ محمد ضيف الله : دراسة في تاريخ الخلفاء، ص227.

(4) _ سبقت ترجمته في الرسالة رقم 114.

(5) _ جيلان اسم لبلاد كبيرة تقع ما وراء بلاد طبرستان، وهي قرى في مروج بين جبال ليست مدينة. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص201.

(1) _ سارية: هي مدينة بطبرستان في الإقليم الرابع بينها وبين آمل ثمانية عشر فرسخا، وبينها وبين البحر ثلاثة فراسخ. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج3، ص170.

(2) _ دهستان بلد مشهور قرب خوارزم وجرجان.ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج2، ص492.

(3) _ البلاذري: فتوح البلدان، ص469 .

منذ زمن الوليد[1].

لقد توجّهت إهتمامات يزيد إلى مناطق أخرى تقع في الطّريق بين خراسان والعراق، وهي جرجان وطبرستان، حيث أنّ هذه المناطق كانت تهدّد مؤخرة الجيش العربي الفاتح وتقطع مواصلاته مع العراق، وقد أصاب يزيد النّجاح في هذه العمليات، إلّا أنها لا يمكن أن ترقى إلى ما وصل إليه قتيبة في تلك الفتوح، التي مثّلت ذروة المجد والجهد العسكري العربي الإسلامي في جبهة المشرق[2].

ولقد تغيّرت سياسية الدّولة الأموية بشأن الفتوح والعمليات العسكرية بعد وفاة الخليفة الوليد، فقد امتنع يزيد بن المهلب الذي عُيّن واليا على العراق وخراسان من قِبل سليمان عن القيام بحملات في بلاد ما وراء النّهر، وفي هذا إشارة إلى السّياسة الجديدة التي بدأها سليمان والتّي يسعلنها من بعده عمر بن العزيز صراحة، وهي تنصّ على وجوب الإنسحاب الكامل من كل بلاد ما وراء النّهر، ولعلّ السبب هو العمل على تقوية الفتوح السّابقة، والتّحكم في المكان[3].

- كتاب سليمان إلى الجند يجمّرهم:

-334-

عن الهلواث الكلبي قال: «كُنّا بالهند مع محمد بن القاسم فقتل الله داهرا[4]، وجاءنا كتاب من الحجاج أن اخلعوا سُليمان، فلمّا ولّي سليمان **جاءنا كتاب سليمان:**

أن ازرعوا واحرثوا فلا شَأْم[5] لكُم .

فلم نزَل بتلك البلاد حتّى قام عمر بن عبد العزيز فأقفَلَنا»[1].

الظاهر هنا أنه أمر بتجميرهم عقابا لهم على تأييدهم للحجّاج في عزله من ولاية العهد.

ومهما يكن فإنّ نظام استصلاح الأراضي وزراعتها على ثُغور العدوّ هو وسيلة من وسائل الإستيطان

---

(1) _ كان سليمان بن عبد الملك كلّما افتتح قتيبة فتحا قال ليزيد بن المهلب: أما ترى ما يصنع الله على يدي قتيبة، فيقول ابن المهلب: ما فعلتْ جرجان التي حالت بين الناس والطريق الأعظم، ويقول: هذه الفتوح ليست بشيء الشأن في جرجان، فلمّا ولي يزيد بن المهلب لم يكن له هم غير جرجان. انظر الطبري: المصدر السابق، ج6، ص539.

(2) _ عبد الواحد ذنون: مواقف ودراسات، ص199، 200.

(3) _ المرجع نفسه، ص199.

(4) _ داهر ملك مكران.

(5) _الشأم خلاف الميمنة، والشأم بلاد تذكّر وتؤنث سمُّيت بذلك لأنّها عن مشأمة القبلة، لسان العرب، مج4، ص 2177، مادة شأم.

(1) _ تاريخ الطّبري، ج6، ص 499.

وتثبيت قدم المسلمين هناك، وكذا ضمان لمورد من موارد الغذاء للمسلمين في جبهة من جبهات الفتح والقتال أبعد ما تكون عن عاصمة الدّولة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الباب الخامس:

الرّسائل المتعلّقة بالسّياسة الإقتصاديّة لخلفاء الدّولة الأمويّة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأوّل:

الرّسائل الخاصّة بالإقتصاد والمال

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أوّلا: الـــرّسائل الخاصّة بموارد بيت المال والنّقود:

تمهيـــد:

إنّ السّياسة الماليّة لكلّ دولة تعمل على تحقيق التّوازن بين مواردها ومصارفها، وقد سارت الدولة الإسلاميّة على هذه السياسة منذ نشأتها، فأنشأت بيتًا للمال يقوم على صيانته وحفظه والتّصرف فيه للمصالح العامّة للمسلمين، وهو بهذا يشبه وزارة المالية في العصر الحاضر، وصاحبة يقوم بمهمة وزير المالية[1]، ولقد تعدّدت موارد بيت المال في العهد الأموي وتنوعّت مشاربها فنجد في ذلك:

– **الغنيمة والفَيء**: الفيء هو مال وصل من المشركين إلى المسلمين عفوا وصلحا من غير قتال، ولا بإيجاف[2] خيل أو ركاب، وكان للنّبي ﷺ الفيء، يقسم خمسة أسهم متساوية كلّ سهم منها لأربابه، عملا بقول تعالى[3]:﴿مَآ أَفَآءَ اَللّٰهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنَ اَهْلِ اَلْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي اَلْقُرْبَى وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [4].

أمّا الغنيمة فهي كلّ ما أصابه المسلمون من عساكر أهل الشّرك بالقتال[5]، وقد شرح القرآن كيفيّة قسمتها فقال:﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ مَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي القُرْبَى وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾[6]فللإمام الخُمس وللفاتحين أربعة أخماس الباقية[7]،كما يُسهم للفرس بسهمين ولصاحبه سهم، وللراجل سهم واحد من الغنائم[8].

فلقد كانت أهمّ الأموال التي تُجبى في العصر الأموي هي الفيء والخمس، ولقد طبّق الأمويّون إلى حد بعيد القواعد الأساسيّة التي أوجدها عمر بن الخطاب، فمؤرّخونا اعتادوا على ذكر ما يحدث من تغيير،

---

(1) _ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج1، ص375.

(2) _ الإيجاف هو سرعة السير، والركاب الإبل. لسان العرب، مج6، ص4773، مادة وجف.

(3) _ الآية 7 من سورة الحشر.

(4) _ أبو زيد القيرواني: النوادر والزّيادات، ج3، ص196، الماوردي: الأحكام، ص227، 228، حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج1، ص385.

(5) _ الفراء: الأحكام، ص146، حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام، ج1، ص385.

(6) _ سورة الأنفال الآية 41.

(7) _ الواقدي: المغاري، ج1، ص98، ابن تيمية: السياسة الشّرعية، ص50، حسن إبراهيم حس: تاريخ الإسلام، ج1، ص385.

(8) _ الواقدي: المصدر السابق، ج1، ص522، ابن تيمية: السياسة الشرعية، ص50.

فسكوت المصادر عن ذكر تغيير ما معناه استمرار لما كان في السّابق[1]، هذا ونشير إلى أنّ الأرض التي تؤخذ من المشركين لها حكم الأموال المغنومة، وقيل أنّ الإمام فيها بالخيار في قسمتها بين الغانمين فتكون أرض عشر، أو يقفها على كافة المسلمين وتصير دار إسلام[2].

-الجِزية:

نُظّمت الجزية بمجموعة من الأحكام والقوانين المستمدّة من نصوص القرآن والسّنة، وعمل الخلفاء الراشدين، ودلّت هذه الأحكام والقواعد على أنّ لها صِبغة سياسية أكثر منها صبغة ماليّة نظرا لزهادة مقدارها، وإعفاء الكثير منها[3]، فكان دفعها من أهل الذمة وقيامهم بأدائها في الحقيقة رمزا لخضوعهم للدّولة الإسلامية وامتثالهم لأحكامها وقوانينها، فلم تكن ضريبة أو إتاوة لجمع موارد إضافية لخزينة الدّولة[4].

أمّا عن قضية الجزية التي اتُّهِم بها الأمويّون وولاتهم، بعدم رفعها عمن أسلم، والتّي يستغلها البعض ليؤكد أنّ هدف الفتوحات الأمويّة لم يكن نشر الإسلام، وإنّما جمع الأموال.

وفي الحقيقة أنّ عمّال الخراج هم من اشتكى إلى الحجاج هروب المزارعين، وانكسار الخراج[5]، أي أنّ قلّة الأيدي العاملة في الأراضي الزراعية كانت وراء هذه الشّكوى التي تحمل في طيّاتها عدم قدرة الدهّاقين[6] على جمع الأموال المطلوبة من أراضيهم ونواحيهم نتيجة لذلك، وقد كان بإمكانه أن يأمر بتحصيل الجزية من المسلمين الجُدد في الأمصار، وهو أمر لم يحدث ممّا يدلّ على أن غاية هذا الإجراء الأوّلي هو تعمير الريف واستيفاء خراجه[7].

وعلى كلّ حال، فإنّ سليمان بن عبد الملك تراجع عن إصلاحات الحجاج الماليّة، لمخالفتها للقواعد الشرعية، ولخرقها القواعد السياسيّة والشّروط الأصولية التي انبنى عنها العهد المعطى لأهل الذّمة، ولا ننسى كذلك أنه تراجع فيها زيادة على ذلك لأسباب شخصيّة، إذ كان مُبغضا للحجاج لموافقته الوليد

---

(1) _ نجدة خماش: الإدارة، ص168.

(2) _ الفراء: المصدر السابق، ص146، ابن رجب: الاستخراج لأحكام الخراج، ص22.

(3) _ أبو يوسف: الخراج، ص67، يحي بن أدم: الخراج ، ص108، 109، الماوردي: الأحكام، ص260،ابن القيم: أحكام أهل الذمة، ص79-105، حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج1، ص382.

(4) _حسن الممي : أهل الذمة، ص43.

(5) _ قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة، ص274، نجدة خماش: الإدارة، ص194.

(6) _ الدهاقين : فارسي معرب، نقول دهاق ودهقان أي تاجر وهم أيضا عمّال الأراضي. لسان العرب، مج2، ص1442، مادة دهق.

(7) _ نجدة خماش: الإدارة، ص194، عبد الواحد ذنون: العراق في عهد الحجاج، ص207.

على عزله[1].

-الخراج: وهو مقدار معيّن من المال أو الحاصلات، يُفرض على الأرض التي فتحها المسلمون عنوة، إذا عدل الخليفة عن تقسيمها على المحاربين، ووقفها على مصالح المسلمين، ويؤخذ عن الأرض التي أفاء الله بها على المسلمين، فملكوها وصالحوا أهلها على أن يتركوهم فيها بخراج يؤدّونه إلى بيت مال المسلمين، ولقد كانت هناك ثلاثة أنواع من الأراضي المفتوحة:

-أرض أسلم عليها أهلها فهي ملك لهم، وهي أرض عشر لاشيء فيها غيره[2].

-وأرض فتحت صلحا على خراج معلوم، فهم على ما صُولحوا عليه، ولا يلزمهم أكثر من ذلك[3].

-وأرض أُخذت عنوة، فهي التي اختلف فيها المسلمون، فقال بعضهم: سبيلها سبيل الغنيمة فتُخمس وتقسم، وقال بعضهم:الحكم فيها إلى الإمام إن رأى أن يجعلها غنيمة فيخمسها ويقسمها كما فعل النبي ﷺ بخيبر، فذلك لله، وإن رأى يجعلها فيئا، فلا يخمسها ولا يقسمها، ولكن تكون موقوفة على المسلمين عامّة ما بقوا كما فعل عمر بالسّواد[4].

ولقد كانت أراضي الخراج تدرّ أموالا كثيرة على الدّولة وميزانيتها، فممّا نقلته لنا المصادر في ذلك أنّ معاوية لما ولى عبد الله بن دراج مولاه الخراج بالعراق استخرج له من أرض البطائح[5]، ما بلغت غلّته خمسة آلاف ألف درهم[6]، لذلك عمد معاوية إلى مسح شامل للأراضي بالدّولة وقام ببسط النفوذ على الكثير منها[7]، فالأمويّون اعتمدوا منذ تولّيهم سدّة الخلافة سلسلة من الإجراءات الهادفة إلى تحقيق مشروعهم السّياسي في قيادة المجتمع الإسلامي، وأبرز هذه الإجراءات تناولت أوضاع الأرض والملكيّات

---

(1) _ حسن المّي: المرجع السابق، ص49.

(2) _ حميد بن زنجويه : كتاب الأموال، ص187، ابن رجب: الإستخراج لأحكام الخراج، ص20، حسن ابراهيم حسن، المرجع السابق، ص376.

(3) _ حميد بن زنجويه : المصدر السابق، ص187، الفراء: الأحكام، ص149.

(4) _ حميد بن زنجويه ، المصدر السابق، ص187، أبو زيد القيرواني: النوادر والزّيادات، ج3، ص361، الماوردي: الأحكام، ص243، 244، ضياء الدّين الرّيس: الخراج والنّظم الماليّة، ص107، محمد مراد: الأرض والسّلطة، ص 22.

(5) _ البطائح: جمع بطيحة، سمّيت كذلك لأن الماء تبطّح بها فسال واتسع، والبطائح أرض واسعة بين واسط والبصرة، سكنها المسلمون وزرعوا بها. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج1، ص450 .

(6) _ قدامة بن جعفر: الخراج، ص169.

(7) _ صفاء حافظ: ضياع بني أمية، ص17.

العقّاريّة لما يخدم ظهور الملكيّات الكبيرة، ويدعم مواقع النّفوذ للعناصر الطّامحة إلى السّلطة[1]، هذا وقد اختلفت طرائق التعامل مع الأراضي الخراجيّة فالبعض منها كان يعامَل على أساس المساحة، والبعض الآخر على أساس المقاسمة، ففي حالة المساحة كان يُضرب على المساحة المعلومة من الأرض مبلغٌ معين في السنة، وكان هذا المقدار يُؤخذ في كل الأحوال من أصحاب الأرض، سواء زُرعت أم لم تزرع، أما في حالة المقاسمة فتكون هناك نسبة معينة من الإنتاج تُؤخذ لبيت مال المسلمين[2].

فمقدار ضريبة الخراج لم يرِد نص يحدّدها، إلا أنّها كانت تحدَّد حسب جودة الأراضي، إذ يُعتبر مقدار ما يؤخذ من الأرض منها على ما تحتمله الأرض، وكان ميعاد أخذ الوارد غالبا ما يتمّ بداية فصل الربيع أي أيام النيروز[3]، وكانت الأراضي الخراجيّة تُسجل في سجلات خاصة تثبت ملكيتها في ديوان الخراج المركزيّ، ودواوين الأقاليم، ويُذكر أنه أُحرق ديوان الخراج في العراق سنة 82هـ في حرب ابن الأشعث، وهو الدّيوان الذي كان يتولّى تنظيم شؤون الخراج والأراضي الخراجية، والنّظر في مشاكل الأراضي، وكان ديوانا معروفا منذ الخلفاء الرّاشدين، ومن المحتمل أنّه كان يحتوي على جرد بالأراضي الخراجية، ومقادير غلّتها وإنتاجها، والمتغيّرات التي طرأت عليها بتحويل بعضها إلى أراضي عشرية، وقد أدى ذلك الحرق إلى قيام النّاس بالإستيلاء على أراضي الصوافي وأراضي الدولة[4].

-العُشر: أما من أسلم من أهل الصّلح فيُرفع الخراج عن رأسه وعن أرضه، وتصير أرضه عشريّة، إلا أن يكون من أهل صلح صولحوا على أن يُوضع عن رؤوسهم الجزية[5]، ولقد ثبت أنّ رسول الله ﷺ إفتتح فتوحا من الأرض العربيّة، فتركها ملكا لأصحابها ووضع عليها العشر، ولم يجعل على شيء منها خراجا[6].

وعلى هذا في العصور الأولى جبت قيمة عشر المحصول على كل أرض مزروعة ، وهناك ظاهرة حصلت في الدّولة الأمويّة نشير إليها وهي تحوّل أراضي الخراج إلى عشريّة، ولقد كان لهذه الظاهرة نتائج سياسيّة وإقتصادية سيّئة على الموارد، فهي من جانبٍ سياسي وديني شجعت على إسلام الذمّي الذي فُتحت أرضه صلحا، حتى يتخلص من ضريبة الخراج ويتحوّل إلى ضريبة العشر، إلّا أنّها من الجانب

---

(1) _ محمد مراد: المرجع السّابق، ص 36.

(2) _ الفراء : المصدر السابق، ص244، مرتضى جليل: الأراضي المفتوحة، ص4.

(3) _ النيروز هو عيد الاحتفال الربيعي عند الفرس.

(4) _مرتضى جليل : المرجع السابق، ص4.

(5) _ يحي بن آدم : الخراج، ص62، 63.

(6) _ أبو يوسف : المصدر السابق، ص58.

الإقتصادي قلّلت من وارد الدولة المالي حيث أدّى تحويل الأراضي من أراضي خراجية إلى أراضي عشريّة إلى نقص كبير في خزينة الدولة، لهذا قام الحجاج بإصدار أمر منع فيه تحوّل الأراضي الخراجية إلى عشريّة إذا أسلم صاحبها حتى لو كانت أراضي مفتوحة صلحا، معلّلا أنّ هذه الأراضي ملكا للدولة، وأنّ الخراج عليها هو بمثابة إيجار ولا يحل إسقاطه، وبذلك حدّ من عمليّة تحويل الأراضي الخراجية إلى أراضي عُشرية، وفي الوقت نفسه حدّ من دخول أهل الذمّة في الإسلام، وطبّق هذا الإجراء على أراضي الفُرات التي أسلم أهلها عندما دخلها الإسلام، فحُوّلت أراضيهم إلى أراضي عشرية، غير أن الحجّاج رفض ذلك وردها إلى أهلها كأرض خراجيّة[1].

–الزّكاة: تؤخذ من أغنياء المسلمين، وتوزّع بين فقرائهم، ، فكان على المسلمين أن يؤدّوا الزكاة بمقدار ربع العشر عمّا يملكونه من المال النّقدي وتؤخذ أيضا من الزروع والثمار والمعادن والإبل والغنم والبقر والجمال[2]، فإذا أدّى المسلم زكاة ماله سقط عنه العشور[3]، وقد جاء في رسالة عمر إلى سعد حين افتتح العراق: «...فهذا أمري وعهدي إليك، ولا عشور على مسلم ولا على صاحب ذمّة إذا أدّى المسلم زكاة ماله، وأدى صاحب الذّمة جزيته التي صالح عليها»[4]، وكان لها ديوان خاصّ في الدّولة الأمويّة[5] .

–**الضّرائب:** عرفت الدّولة الأمويّة فرض العديد من الضّرائب، فلم يراعِ خلفاؤها القواعد التي قرّرها أسلافهم، وفي هذا محاولة للعودة بنظام الضّرائب إلى ما كان عليه من قبل، خاصة في إقليم العراق، إذ أرجع الأمويّون فرض بعض الضّرائب السّاسانيّة التي ألغاها وأهملها عمر بن الخطّاب، لذلك سنرى أهل العراق ينضمّون إلى ثورة ابن الأشعث خارجين على حكم بني أمية[6].

لقد وقع خلفاء بني أميّة الذين سبقوا عمر في تجاوزات عديدة هدّدت حكمهم بسوء المصير، إلا أنّ أشد هذه التّجاوزات كانت في المجال الإقتصادي والمالي، لما لذلك من انعكاس سلبيّ على جميع المجالات الأخرى، خاصّة الجانب السياسي، ويتلخّص ذلك في مجانبتهم العدل في فرض الجباية واستيفائها على الأفراد والمناطق، مع ما اقترن بذلك من عنف بعيدا عن طرق الحق، ووفق سلطان الشرع، فولّدت هذه

---

(1) _ مرتضى جليل: المرجع السابق، ص4، الدّوري: ملك الأرض والمزارع في صدر الاسلام، ص 338.

(2) _ حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام، ج1، ص381.

(3) _ يحي بن آدم: المصدر السابق، ص85،86.

(4) _ المصدر نفسه، ص85، 86.

(5) _ المصدر نفسه، ص85، 86.

(6) _ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج1، ص386، ضياء الدّين الرّيس: الخراج والنّظم الماليّة، ص70، عبد العزيز الدّوري: النّظم الاسلاميّة، ص123.

التجاوزات هُوّة كبيرة بينهم وبين الرعية، فانتشر العصيان والتمرّد، فتعاملوا معها بمنطق القوّة والعنف، فتصنّعت لهم بالطاعة عند عجزها عن تحقيق أهدافها، انتظارا لهبوب رياح الفرص، حيث كانت تُسارع إلى المعصية عند أوّل بادرة خلل ووهن يتعرّض لها خلفاء بني أمية[1].

- الـــــرّسائل الخاصّة بموارد بيت المال والنّقود:

أ- الرسائل الخاصّة بموارد بيت المال:

- رسالة معاوية إلى زياد ليصطفي له الغنائم:

-335 -

[رسالة معاوية] عن خالد بن سليمان بن عبد الرّحمن بن صبح قال: كان الحكم بن عمرو[2] فاتحا في بلاد فارس لزياد فأصاب مغنما فكتبَ إليه زياد: «إنّ أمير المؤمنين [معاوية][3] **كتب إليَّ أصطفي**[4] **له صَفراء وبيضاء**[5] **والرَّوائع**[6]، فلا تُحرّكنّ شيئا حتى تُخرج ذلك»[7].

[جواب الحكم بن عمرو]: فكتب إليه الحكم: «أمّا بعد فإنّ كتابك ورد تذكر أنّ أمير المؤمنين كتب إليّ أن أصطفي له كل صفراء وبيضاء والرّوائع، ولا تُحرّكنّ شيئا، فإنّ كتاب الله عز وجل قبل كتاب أمير المؤمنين، وإنّه والله لو كانت السماوات والأرض رَتْقًا على عبد اتّقى الله عز وجل، جعل الله سبحانه وتعالى له مخرجا»[8] ، وقال للنّاس أغدوا على غنائمكم[9]، فعزل الخمس وقسم بينهم غنائمهم[10].

---

(1) _ محمد فرقاني: رسائل الخليفة عمر، ج2، ص597.

(2) _ سبقت ترجمته في الرسالة رقم261.

(3) _ إضافة من الكامل، وفي بقية المصدر ناقصة.

(4) _ في سير أعلام النبلاء "أن تصفي له".

(5) _ كذا في تاريخ الطبري وفي بقية المصادر "الصّفراء والبيضاء".

(6) _في هامش المحقّق عند الطبري "الرّوابع "، والرّوائع من الجمال والخيول أي الحسان التي تعجب روع من رآها، وقيل الشهمة الذّكية . لسان العرب، مج3، ص 1778، مادة روع.

(7) _ تاريخ الطبري، ج5، ص 251، ابن الجوزي: المنتظم، ج5، ص 229. ابن الأثير: الكامل، ج3، ص 324، الذهبي: سير أعلام، ج2، ص 474 .

(8) _ الطّبري: المصدر السابق، ج5، ص 252 وعند ابن كثير "فردّ عليه: إنّ كتاب الله قبل كتاب الأمير المؤمنين، أو لم يسمع لقوله صلى الله عليه وسلّم:" لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق". المصدر السابق، ج8، 41.

(9) _ الطبري: المصدر السابق، ج5، ص 252.

(10) _ ابن الجوزي: المنتظم، ج5، ص 229.

رواية أخرى لما سبق

-أ-335

عن حسان عن الحسن: «أنّ زياداً بعث الحكم بن عمرو على خراسان فأصاب مغنماً ، فكتب إليه: **إنّ أمير المؤمنين كتب إليَّ يأمرني أن أصطفي له كلّ صَفراء وبيضاء**، فإذا أتاك كتابي هذا فانظر ما كان من ذهب وفضّة فلا تَقسمه واقسم ماسِوى ذلك»[1]

رواية أخرى لما سبق

-ب-335

وروى ابن كثير ما سبق باختلاف قال: «استناب زياد بن أبيه الحكم عن عمرو بن مجدع على غزو جبل الأشلّ[2]، فغَنِم شيئا كثيرًا، **فجاء كتاب زياد إليه على لِسان معاوية أن يَصطفي من الغنيمة لمعاوية ما فيها من الذّهب والفضّة لبيت ماله**»[3].

لقد حاول معاوية أن يوطّد حقّ الحكومة المركزيّة بالحصول على المزيد من مداخيل هذه الفتوح الجديدة وكانت وسيلته البارعة لذلك، أو الشّديدة الوضوح على الأرجح في هذا المجال هي إحياء تطبيق ممارسة نبويّة سابقة كانت تقوم على اقتطاع أجزاء محدّدة من الغنائم دُعيت بالصّوافي، وطلب من الحكم أن يبعث لبيت المال المركزي جميع المبالغ النّقدية المجموعة في خراسان ، ولكنّ الحكم ورجاله لم يكونوا راضين بذلك، فتراجع معاوية بلباقة كعادته وبصورة مؤقّتة على الأقل[4].

وهنا لابدّ أن نوضّح أمرا مَفاده أنّ حقّ معاوية في هذه الغنائم هي الخمس فقط، أمّا أربعة أخماس فهي من حق الجيش الفاتح وهذه هي القسمة القرآنية والنّبويّة[5]، وعليه لا بدّ أن نحمل رسالة معاوية على أنّه طالب بالخمس فقط (الذهب والفضة كما توضّحه رواية البيان والتّبيين) ولا يكون بطلبه لكلّ المال مخالفا لله ورسوله.

ولا شك أنّ عرض هذه الرواية على هذا النّحو من السّطحية الظاهريّة يزري بمعاوية ويجعله في موقف المتّهم بتجاوز أوامر الله تعالى في تقسيم الغنائم، ونحن نعلم أنّ معاوية وزياد كانا أتقى لله من ذلك، بل إنّ

---

(1) _الجاحظ : البيان والتّبيين، ج2، ص 297 .

(2) _ الأشل: جبل في ثغور خراسان غزاه الحكم بن عمر. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج1، ص 200.

(3) _ البداية والنهاية، ج8، ص 41 .

(4) _ محمّد عبد الحي: صدر الإسلام، ص100، صالح بن محمّد : زياد بن أبيه، ص 174.

(5) _ الماوردي: الأحكام، ص 227، 228 .

زياد اختار الحكم بن عمرو واليا على خراسان لما عرفه من تدّينه[1].

وعليه لا بدّ من فهم هذه الرّواية فهما صحيحا.

- رسالة معاوية إلى مالك بن عبد الله وعبد الله بن قيس ليصطفيا له الخمس :

- 336 -

قال نصر بن حبيب السلامي: «**كتب معاوية إلى مالك بن عبد الله الخثعمي[2] وعبد الله بن قيس الفزاري[3]: يصطفيان له من الخمس.**

فأمّا عبد الله فأنفذ كتابه، وأمّا مالك فلم ينفذه، فلمّا قدما على معاوية بدأه بالإذن وفضله في الجائزة، فقال له عبد الله: أنفذتُ كتابك ولم يُنفذه، فبدأتَه بالإذن وفضّلته في الجائزة ؟! قال: إنّ مالكاً عصاني وأطاع الله، وإنّك أطعتني وعصيت الله ! فلمّا دخل عليه مالك قال: ما منعك أن تنفّذ كتابي ؟ قال مالك: أقبح بك وبي أن نكون في زاوية من زوايا جهنم، تلعنني وألعنك، وتلومني وألومك ، وتقول: هذا عملك، وأقول: هذا عملك ! »[4].

فهل صحيح أنّ معاوية أمر بخلاف ما أمر به الله تعالى، وهو عالم بذلك قاصد له ؟!

- رسالة معاوية إلى المغيرة ليبعث له أموالا:

-337 -

عن يونس بن عبيد قال: «كتب معاوية إلى المغيرة بن شعبة:

إنّي قد احتجت إلى مالٍ فأمِدَّني بمال.

فجّهز المغيرة إليه عيرا تحمل المال، فلمّا فصلت العير بلغ حِجرا وأصحابَه فجاء فحبس العير، قال:

---

[1] _ حمدي شاهين: الدّولة الاموية، ص 399

[2] _ هو مالك بن عبد الله بن سنان الخثعمي مالك السّرايا أبو حكيم ، قيل صحابي وقيل تابعي، كان يسكن لدّ من فلسطين، وكان من أبطال الإسلام، قاد جيوش الصّوائف أربعين سنة في عهد معاوية وقبله، توفّي في حدود سنة 60 هـ. ابن الأثير: أسد الغابة ، ص 1070، الذّهبي : سير، ج 4 ، ص109 ، 110 ، ابن حجر: تعجيل المنفعة ، ج2 ، ص 229.

[3] _ عبد الله بن قيس الفزاري ، ويقال الأنصاري ، ولّاه معاوية غزو البحر وركب من ساحل دمشق ، وفتح صقلية وغنم ، شتّى بأرض الرّوم سنة 57 هـ ، وتوفّي في هذه السّنة. تاريخ خليفة، ص 138، ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج32 ، ص 118 – 121، الزّيلعي: نصب الرّاية، ج4 ، ص 103.

[4] _ ابن عساكر: المصدر السّابق ، ج 56 ، ص473 ، 474 ، ابن الأثير: أسد الغابة ، ص1070.

لا حتى توفّي كل ذي حق حقه» [1]، فعفا عنه المغيرة .

لم تكن عاصمة الخلافة بمعزل عن الولايات الأخرى ، إذ كانت مرتبطة بها إداريّا وماليا ، فكانت الأموال تُحمل من الأقاليم إلى المركز عند الحاجة.

لقد عَنِي تأسيس حكم البيت الأموي تحويل الإدارة السياسية المركزية للأمّة إلى مؤسسة سُلطوية مستقلة بذاتها، مثّلت نواة تنظيم سياسي آخر للمجتمع العربي، هو تنظيم الدّولة، أو بعبارة أخرى كفّت الخلافة على كونها مجرد شكل راقٍ للإمارة القبليّة، وتحولت إلى سلطان وملك، لعل من أهم مدلولات هذين المصطلحين في لغة العرب آنذاك هو الإنفراد بالحكم، واستهلاك الثروة المادّية الإجتماعية، والقدرة على التحكم بالناس[2].

- رسالة معاوية إلى عبد الله بن درّاج يأمره أن يحمل إليه ما فضل عن نفقات الإقليم:

-338 -

كان لمعاوية كاتب يُقال له عبد الرّحمن بن درّاج[3] كان من مواليه فقلّده خراج العراق لما قلّد المغيرة الحرب، وطالب أهل السّواد بأن يُهدوا إليه في النّوروز والمهرجان[4] ففعلوا ذلك، فبلغ عشرة آلاف ألف درهم في السّنة [5].

[رسالة معاوية]: قال اليعقوبي: فكتب إليه معاوية:

«إحمل إليّ من مالها ما أستغني به.

[ردّ عبد الله]: فكتب إليه ابن دراج: إنّه كان لكسرى وآل كسرى صوافي يجتبون مالها لأنفسهم ولاتجرى مجرى الخراج » [6]، فأمره بإحصائها .

---

[1] _ ابن عساكر: المصدر السّابق، ج12، ص213. ابن العديم: بغية الطّلب في تاريخ حلب، ج5، ص2113، ابن كثير: البداية والنهاية، ج8، ص44

[2] _ أيمن إبراهيم: الإسلام والسلطة، ص313.

[3] _ سبقت ترجمته في التمهيد.

[4] _المهرجان هو الإحتفال بعيد الخريف عند الفرس، وقد وجد النبي ﷺ أهل المدينة يلعبون يوم النيروز ويوم المهرجان، فسأل عنهما، وقال: "إنّ الله قد أبدَلكم بهما خيرا منهما، يوم الأضحى ويوم الفطر". أبو داود: السّنن، ج5، ص 118، رقم 1127 عن أنس.

[5] _مسكويه: تجارب الأمم، ج2، ص 13 .

[6] _ تاريخ اليعقوبي، ج2، ص218 ، محمد ماهر: المرجع السابق، ص165.

- رسالة معاوية إلى عبد الرّحمن بن درّاج يأمره بأن يستصفي صوافي كسرى:

-339 -

كان من نتائج الفتح أنّ أراضي عديدة من العراق والشّام وغيرهما بقيت دون مالك إذ انجلى عنها أصحابها، وكانت تابعة للملوك ولرجال الدّين، وقد قرّر عمر ضمّها إلى بيت مال المسلمين وعرفت بالصّوافي ، لأنّه استصفاها أي جعلها خالصة للمسلمين[1] .

قال اليعقوبي: كتب ابن درّاج[2] إلى معاوية «يُعلمه أنّ الدّهاقين أعلموه أنّه كان لكسرى وآل كسرى صوافي يجتبون مالها فكتب إليه:

أن أحْصِ تلك الصَّوافي واستصفِها واضرب عليها المُسنّيات [3]» [4].

فاستخرج ابن دّراج ذلك واستصفاه لمعاوية فبلغت جبايته خمسين ألف ألف درهم – 50000000-، من أرض الكوفة وسوادها[5].

- رسالة معاوية إلى ابن أبي بكرة في استصفاء صوافي كِسرى:

-340 -

ذكر اليعقوبي في روايته السّابقة أنّ معاوية كتب إلى ابن درّاج: «أن أحصِ تلك الصّوافي واستصفها، واضرب عليها المسنّيات، **وكتَب إلى ابن أبي بكرة مثل ذلك في أرض البصرة، وأمرَهم أن يَحملوا إليه هدايا النّيرُوز والمهرجان**» [6].

لقد كانت الصّوافي موردا هامّا من موارد بيت المال استغلها معاوية ومن كان قبله[7]، هذا ولم تتوفّر تفصيلات أكيدة عن الطّريقة التي تمّ فيها إستغلال هذه الصّوافي ويبدو أنّها أُعطيت بالمزارعة، أو أنّها

---

(1) _أبو يوسف: الخراج، ص68، 69، نجدة خمّاش: الإدارة في العصر الأموي، ص197، ضياء الدّين الرّيّس: الخراج والنظم الماليّة، ص144.

(2) _سبقت ترجمته في التمهيد.

(3) _ المسنّيات مفرد مسنّاة، وهي حدود ترابيّة تبنى لدرء خطر المياه عند الفيضانات، سمّيت مسناة لأنّ فيها مفاتيح للماء بقدر ما يحتاج إليه ممّا لا يغلب، وهو مأخوذ من قولك سنيت الشّيء إذا فتحت وجهه . لسان لعرب، مج3، ص 2130، مادة سنا.

(4) _ تاريخ اليعقوبي، ج2، ص 218 ، وفي تجارب الأمم: **"أن استصفها واستخرج مافيها"**، ج2، ص13.

(5) _ تاريخ اليعقوبي، ج2،، ص 218.

(6) _المصدر نفسه، ص 218.

(7) _ أبو يوسف : المصدر السّابق ، ص68، 69، نجدة خمّاش : الإدارة ، ص197،
fred M. C. Graw donner: the early islamic conquests, p 240

أُقطعت للإستغلال فقط، ولم تهملها السّلطة المركزية [1]، ذلك أنّ الأمويين افترضوا أنّ مال الأمّة ملك لهم وتعوّدوا أن يتصرّفوا فيه كما يشاؤون، كما لو كان خالصا لهم، فحوّلوا الأراضي العامّة إلى ملكيّة خاصّة، كما فعل معاوية مع صوافي كسرى، والتّي لم تكن مواتا، وإلّا لما أثارت أيّة مشكلة بل كانت أراضي زراعيّة خراجيّة، الأمر الذّي سبّب سخط المسلمين على بعض أعمال بني أميّة[2].

- رسالة معاوية إلى زياد يأمره أن يبعث رجلا حازما على خراج خراسان:

-341 -

قال ابن أعثم: «دخل سعيد بن عثمان [3] على معاوية فقرّبه وأدناه، ثمّ قال له: اذهب فقد ولّيتُك خراسان فسِر إليها فعسى الله أن يفتحها على يديك [4] ، ثم عقد معاوية لزياد بالبصرة وكتب إليه:

يأمره أن يفرض لسعيد فرضًا، وأن يقوّيه بالمال والسّلاح، وأن لا يجعل له في ذلك عِلّة، وأن يبعث معه على الخراج رجلا حازِمًا يَجبي عليه المال ويحفظه» [5].

والمعلوم أنّ معاوية ولّى سعيدا سنة 56 وعزله سنة 57 هـ ، وكان زياد قد توفّي سنة 53هـ ، لذا فإنّ معاوية لم يكتب لزياد بل لعبيد الله بن زياد الذي عُيّن على البصرة سنة 55هـ [6].

- رسالة معاوية إلى عمرو بن العاص يأمره أن يحمل له خراج مصر:

-342 -

كان العرف السّائد في عهد الخلفاء الرّاشدين أن تُنفق كلّ ولاية مواردها الماليّة على ما تتطلّبه أحوالها من نفقات فإن فضل شيء رفع إلى بيت المال في العاصمة، فكانت بعض الولايات تتمتّع باستقلال مالي ذاتي، ولم يكن أمام معاوية عندما تولّى الخلافة من دخل يعتمد عليه سوى دخل الشّام، وهذا الدّخل قليل إذا قيس بمتطلّبات الدّولة من ناحية وحاجة الخليفة المتزايدة من ناحية ثانية، لذلك أمر معاوية أن تُسهم كل

---

[1] _صالح محمدّ: المرجع السابق، ص 177.

[2] _حسن منيمنة: نشوء الإقطاع في الإسلام، ص299.

[3] _هو سعيد بن عثمان بن عفان بن أبي العاص أبو عثمان القرشي الأموي المدني، أمّه فاطمة بنت الوليد بن عبد شمس قدم دمشق علي معاوية وولاّه خراسان سنة 56، وهو الذي فتح سمرقند، وكان فاتحا عظيما وأصيبت عينه بها، عزله معاوية سنة 57 هـ، وقتل بالمدينة بعدها. تاريخ خليفة، ص 138، ابن عساكر: المصدر السابق، ج21، ص 220، 223.

[4] _كانت ولاية سعيد بن عثمان لخراسان كما ذكرنا سنة 56، فغزا ومعه يزيد بن المهلّب سمرقند، وصالح أهل الصّغد. أنظر: تاريخ خليفة، ص 138، ابن عساكر: المصدر السابق، ج21، ص 223.

[5] _ الفتوح، ج4، ص 307.

[6] _ تاريخ خليفة، ص 137.

ولاية بإرسال الفائض لديها من الأموال إلى بيت مال دمشق [1].

إلاّ أنّه بمصر اصطدم بالشّرط الذي اشترطه عمرو بن العاص بأن لا يحمل إليه شيئا من مالها وأنّها طُعمة[2]، فأعرض معاوية عن طلبه في هذه الولاية، ومع هذا كان ابن العاص يحمل إليه أحيانا من خمس غنائم فتوح المغرب إلى بيت مال دمشق [3].

قال أبو حنيفة الدّينوري: «كتب معاوية إلى عمرو بن العاص، وهو على مصر، وقد قبَضها بالشّرط الذي اشترطه على معاوية:

أمّا بعد فإنّ سؤّال أهل الحجاز، وزُوّارا أهل العراق قد كَثّروا عليّ وليس عندي فضلٌ من أعطيات الجنود، فأَعِنّي بخراج مصر هذه السّنة» [4].

[جواب عمرو]: كتب عمرو إلى معاوية جواب كتابه:

«معاويَ إن تدركْكَ نفس شحيحة ـــــ فـــــما ورّثتني مصـر أمّـــي ولا أبي

وما نِلتها عفوا ولكن شَرَطـــتُّـها ـــــ وقد دارت الحرب العَوان[5] على قطبِ [6].

فلمّا رجع الجواب على معاوية تذمّم فلم يعاوده في شيء من أمرها » [7].

وقد شاهدنا مثل هذه الرّسالة، كتب بها عبد الملك إلى أخيه عبد العزيز لمّا رفض التّنازل عن الخلافة للوليد بن عبد الملك [8] وهذا يدل على أنّ خراج مصر وموردها كان يدرّ الكثير على بيت مال المسلمين.

- رسالة معاوية إلى وِردان يأمره أن يزيد على القِبط قيراطا:

-343 -

[رسالة معاوية] عن عبيد الله بن أبي جعفر قال: «كتب معاوية إلى وردان[9] مولى عمرو بن

---

(1) _ شحاذ النّاطور : تجديد الدولة الأموية، ص 364.

(2) _ اشترط عمرو بن العاص أن لا يحمل إلى معاوية شيئا من مال مصر. انظر البلاذري: أنساب، ج5، ص 104.

(3) _ محمد عبد الحي : صدر الإسلام، ص 92.

(4) _الأخبار الطوّال، ص 206 .

(5) _ حرب عوان أي كانت قبلها حرب. لسان العرب ، مج4، ص 3180، مادة عون.

(6) _ القطب هو الحديدة لتي تدور عليها الرّحى، وهو أيضا نصال الأهداف . لسان العرب، مج5، ص 3668،مادة قطب.

(7) _أبو حنيفة الدينوري: المصدر السابق، ص 206.

(8) _ انظر الفصل الأول من الباب الأول، رسالة رقم 32.

(9) _ سبقت ترجمته في الرّسالة رقم 284.

العاص:

أن زِد على كلّ إمرِئ من القِبط قِيراطا» [1].

[جواب وردان] فكتب إليه وردان: «كيف أزيد عليهم وفي عهدهم ألاّ يُزاد عليهم» [2].

رواية أخرى لما سبق

-أ-343

و عن عبيد الله بن عبد الله بن أبي جعفر قال: حدثني شيخ من أهل مصر [3] «أنّ معاوية كتب إلى وردان: **أنْ زِدْ على القِبط** [4] **قيراطا [قيراطا]** [5] **على كلّ إنسان»** [6].

لقد كان وردان هذا على خراج مصر من قِبل معاوية بعد موت عمرو بن العاص، فلمّا كتب إليه معاوية بالزّيادة رفض ذلك ، فعزله معاوية [7].

ولاشكّ أنّه ليس هناك شيء يؤثّر سلبا على التّنمية والإعمار كالظّلم ومضاعفة المغارم، وتعدّدها على الرّعيّة، إذ تشيط النّفوس ولا تُبسط الآمال عندما ترى ثمرة جهدها تذهب إلى جيوب غيرها، وتكون بذلك العاقبة أن تقلّ الموارد، ويؤثر ذلك على نفقات الدّولة [8]، فتعرّض المنتجين إلى مغارم ومظالم أدّى بهم إلى النّفور من النّظام القائم [9].

ونحن نعلم أنّ الجزية المفروضة على مصر لم تكن مُرهقة لأهلها، ولم تكن على غير القادرين حيث كانت دينارين على كل رجل قادر وخرج منها النّساء والصّبيان، ولم يكن القيراط الذّي أراد معاوية زيادته

---

[1] _البلاذري : فتوح البلدان، ص 305، محمد ماهر: مجموعة الوثائق، ص 164.

[2] _ البلاذري: فتوح، ص 305، أبو عبيد القاسم: المصدر السابق، ص 144، ابن عساكر: المصدر السّابق، ج62، ص 431. وفي رواية ابن عساكر عن يزيد بن حبيب قال: "فكتب إليه وكيف أزيد عليهم وبأيديهم كتاب ألاّ يزاد عليهم"، وقد استند وِردان إلى حديث عن النّبي ﷺ قال:"إنّكم تُقاتلون قوما فيتّقونكم بأموالهم دون أنفسهم وأبنائهم ويصالحونكم على صلح، فلا تأخذوا منه فوق ذلك فإنّه لا يحل لكم" رواه أبو داود في السنن، باب تعشير أهل الذّمة إذا اختلفوا بالتّجارات، ج3، ص 497، رقم 3046 عن رجل من جُهينة، وإن كان هذا الحديث ضعيفا فإنّ ذلك من ترك الوفاء بالعهد وهذا مُحرّم.

[3] _ السند نفسه في رواية ابن عساكر الأولى، ولابن عساكر رواية ثانية باختلاف عن الليث عن يزيد بن أبي حبيب.

[4] _نهاية رواية ابن عساكر الثّانية عن الليث عن يزيد بن أبي حبيب.

[5] _ إضافة من تاريخ دمشق وفي كتاب الأموال ناقصة.

[6] _أبو عبيد القاسم: كتاب الأموال، ص 144، ابن عساكر: المصدر السابق، الرواية الأولى والثانية، ج62، ص 431.

[7] _ ابن عساكر: المصدر السّابق، ج61، ص 432.

[8] _محمد فرقاني: رسائل الخليفة عمر، ج2، ص 601.

[9] _ fred M. donner:narratives of Islamic origins, p 169

بالذّي يرهق الرّعية فهو يساوي جزءا من عشرين جزءا من الدّينار، وعلى هذا فإنّ علينا أن نبحث عن سبب آخر لرفض وردان هذه الزّيادة، ولصمت معاوية بعد ذلك على طلبها[1].

وقد فسر لنا أبو عبيد ذلك فقال: «أمّا حديث عمر في أهل الصّلح أنه لا يضع عنهم شيئا[2] فلا أراه، ما داموا مُطيقين، ولو عجزوا لخفّف عنهم بقدر طاقتهم لأنّ رسول الله ﷺ اشترط أن لا يُزاد عليهم ولم يشترط أن ينقصوا إذا كانوا عاجزين عن الوظيفة، أمّا كتاب معاوية إلى وردان في الزّيادة على القبط، فإنّما نرى ذلك لأنّ مصر كانت عندي عُنوة، فلهذا استجاز الزّيادة وكانت عند وردان صلحا فكره الزيادة، فلهذا اختلفا»[3].

لقد اتّبع الأمويّون القواعد نفسها التي كانت متّبعة في عهد الرّسول ﷺ والخلفاء الرّاشدين، ويبدّو أن الجزية في مصر استُثني منها الرّهبان في بادئ الأمر (وهذا يدلّ على التخفيف من قبل عمر والأمويّين)، وأوّل جزية أُخذت منهم في عهد عبد العزيز بن مروان الذّي فرض دينارا جزية على كل راهب، وأحصى أسامة بن زيد عامل سليمان بعدها الرّهبان ووسمهم حتّى لا يترهّب أحد، وفرض عليهم دينارا جزية.

ولعلّ إتخاذ هذه الإجراءات يعود إلى أنّ العرب عندما فتحوا مصر حافظوا على ما كان موجودا قبلهم من التّقليد الذي يحرّم فرض أي ضريبة أو جزية على الرّهبان فوُجدت منذ الفتح طبقة ممتازة من المسحيّين لا تقع تحت طائلة الأعباء المالية، ولذا لجأ الكثير من الأقباط إلى الأديرة لكي يتلّخصوا من الضّرائب، فلمّا مُنع الترهيب وفُرضت الجزية قضى بذلك على الدّافع المادّي الذي كان يرغبّهم في الترهّب[4].

ومهما يكن فيبقى الأصل أنّ للإمام أن يزيد وينقص، وليس لمن دونه أن يفعل ذلك، فلا تقدير لأقلّها ولا أكثرها وهي موكولة لاجتهاد الولاة والخلفاء [5].

- كتاب عبد الملك إلى أخيه عبد العزيز يأمره بوضع الجزية عمّن أسلم:

- 344 -

عن رزين بن عبدالله المرادي قال : كان الحجاج بن يوسف أوّل من أخذ الجزية ممن أسلم، «**ثم كتب**

---

(1) _ حمدي شاهين : الدولة الأمويّة، ص 400، ضياء الدّين الرّيّس: الخراج والنظم الماليّة، ص126.

(2) _كان عمر قد جعلها على قدر طاقتهم فإذا كان فقيرا لم يأخذها منه. انظر ابن القيّم : أحكام أهل الذّمة، ص 127.

(3) _ كتاب الأموال، ص 144.

(4) _ نجدة حمّاش : الإدارة، ص 169-176.

(5) _الماوردي: الأحكام، ص 255، ابن القيم: المصدر السّابق، ص 127.

عبد الملك بن مروان إلى عبد العزيز بن مروان:

أن يضع الجزية على من أسلم من أهل الذّمة.

فكلّمه ابن حُجَيرة[1] في ذلك فقال: أعيذك بالله أيها الأمير أن تكون أوّل من سنّ ذلك بمصر، فواللّه إنّ أهل الذمّة ليتحمّلون جزية من ترّهب منهم، فكيف نضعها على من أسلم منهم فتركهم عند ذلك»[2]، فلمّا ولي عمر وضعها عنهم[3].

- كتاب عبد الملك إلى الحجّاج يأمره أن لا يستعمل ابن أبي بكرة على الخراج:

-345 -

عن مسلمة عن أبيه قال: «كتب عبد الملك بن مروان إلى الحجّاج:

لا تستعمل عبيد بن أبي بكرة على الخراج والجِباية فإنّه أَريحيّ[4]»[5].

كان عبد الملك لا يطيق الوّلاة المسرفين في أموال الدّولة، ويخشى أن تمتّ يد عمّاله إلى المال العام لذلك كتب إلى الحجّاج بهذا، كما نستشفّ من هذه الرّواية أن الحجّاج صار يعيّن العمّال والولاة على الأقاليم التّابعة إداريّا للعراق كخراسان وسجستان في الغالب، وهي جزء من سياسة الخليفة عبد الملك في الإتّجاه نحو اللاّمركزيّة الإداريّة وإعطاء ولاّته المزيد من الصّلاحيات الإدارية والعسكرية[6].

إنّ اهتمام الدّولة بأمور الخراج والجباية جزء من واجب الرّعاية المُلقاة على عاتقها وبخاصّة أنّ الخراج كان يشكّل عماد ماليّتها التّي كانت تستند إليها في القيام بواجبات الرّعاية وثبات مقدار الجباية عبر العصر الأمويّ – عدا سنين الفتن والكوارث– دليل على وجود سياسة ماليّة للدّولة الأمويّة قائمة على أصول وقواعد ثابتة وواضحة لدى أطراف العلاقة، وهذا ينفي إتّهام الأمويين بزيادة المطالبات الماليّة وإرهاق الموالي

---

[1] _عبد الرّحمان بن حُجيرة الخولاني ، أبو عبد الله ، ويقال له حُجيرة الأكبر ، كان فقيها ولي قضاء مصر لعبد العزيز بن مروان ، بعد بشير بن نصر سنة 69 هـ، وقيل ولي أيضا بيت المال، وبقي قاضيا إلى أن مات سنة 83 هـ ، وكانت مدّة توليه القضاء 12 سنة، ثمّ تولّى بعده مالك بن شراحيل. الكندي: كتاب الولّاة وكتاب القضاة ، ص 314 – 320، ابن حجر: رفع الإصر عن قضاة مصر، ص 214– 216، الزركلي : الأعلام ، ج3 ، ص303

[2] _ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب، ص 210.

[3] _المصدر نفسه ، ص 210.

[4] _الأريحي هو المسرف المنبسط إلى المعروف. لسان العرب، مج3، ص 1789، مادة ريح.

[5] _ البلاذري: أنساب، ج1، ص 499.

[6] _ عبد الجبّار محسن: الإتجاهات العامّة، ص 32.

بالضّرائب المتزايدة.

أمّا الجباية فلم تسلم من تعدّيات عمّال الخراج، وشارك عمّال الخراج من الموالي في هذه التعدّيات، وقد أصابت أثارها السّلبية كلاّ من الدوّلة ودافعي الخراج، ولكنها كانت تقع موقع التّشديد والإنكار والمعاقبة في أكثر الأحيان [1].

ب- الرّسائل الخاصّة بصكّ النّقود:

- رسالة عبد الملك إلى الحجّاج يأمره بضرب الدّراهم:

-346 -

كانت النقود المتداولة قبل مرحلة التّعريب التي حدثت في عهد عبد الملك من ضرب فارس والرّوم، فرأى الخليفة صرفها إلى الإسلام ، وكانت أولى محاولات تعريب النقود في العهود الإسلامية زمن عمر بن الخطّاب حيث ضرب الدّراهم على نقش الكِسروية، ونقش في بعضها الحمد لله، وبعضها محمد رسول الله، ولا إله إلا الله[2]، غير أنّ التعريب الحقيقي كان زمن عبد الملك بن مروان.

قال عبد الله بن ثعلبة بن صغير: كانت ترِد على أهل مكّة دنانير هرقل، ودراهم الفرس بالجاهلية فأقرّها الرسول ﷺ وأبو بكر وعمر ومعاوية، ثمّ ضرب مصعب بن الزّبير في أيّام عبد الله بن الزبير دراهم قليلة كُسرت بعده، «فلمّا ولّي عبد الملك بن مروان سأل وفَحص عن أمر الدّراهم والدّنانير، **فكتب إلى الحجّاج بن يوسف أن يَضرب الدّراهم على خمسة عشر قِيراطا[3] من قراريط الدّنانير**، وضرب هو الدّنانير الدّمشقيّة»[4].

رواية أخرى لما سبق

-346-أ

أمّا المقريزي فروى ما سبق باختلاف قال: «لما استوثق الأمر لعبد الملك ضرب النّقود بإشارة من خالد بن يزيد، ونهى عن التّعامل بدنانير الرّوم، فضرب الدّينار والدّرهم، **وكتب إلى الحجّاج بالعراق**:

---

[1] _ محمد ضيف الله: دراسة في تاريخ الخلفاء، ص 372.

[2] _ الخزاعي: تخريج الدّلالات السّمعية، ص 200 ، توفيق سلطان: التعريب، ص 11.

[3] _القيراط جزء من أجزاء الدينار وهو نصف عشر في أكثر البلاد، وأهل الشام يجعلونه جزءا من أربعة وعشرين. لسان العرب، مج5، ص3591، مادة قرط، وكان المثقال عندهم معروف الوزن، وزنه اثنان وعشرون قيراطا ووزن العشرة دراهم سبعة مثاقيل، وكان الرّطل اثنا عشر أوقية، وكل أوقية 40 درهما، فأقرّه الرسول ﷺ . فتوح البلدان، ص 653.

[4] _البلاذري : فتوح البلدان، ص 653.

أن اضرب قِبَلك، فضرب الحجّاج الدّراهم، ونقش فيها قل هو الله أحد، ونهى أن يضرب أحد غيره»[1].

من غير الممكن بحث الثّورة النقدية في معزل عن دور الخليفة الأمويّ عبد الملك بن مروان «الذّي واجه النّقد في المجتمع العربي، وبخاصّة الدّينار الواقع تحت هيمنة دولة أجنبية ممّا دفعه إلى القيام بالتّحولات غير العادية فاخترقت الثوابت الآنفة تحت ضغط المتغيّرات الجديدة المتمثّلة في الإستقرار السّياسي، وازدهار النّشاط الإقتصادي، هذا إلى جانب الشّعور بالأنفة العربية بعد تراجع أهمّية ومكانة الدّولة البيزنطّية، لقد كان التّغيير يفرض على الخليفة المسؤولية باستيعاب المرحلة القادمة ومتطلّباتها، وقد برز ذلك في الأدوار التّي مرّ بها كل من الدّينار والدّرهم»[2].

لقد كان الخليفة الأمويّ يرى أنّ ضرب النقود والعملات العربية ضرورة لازمة إقتضتها الظروف لتدعيم البناء الإقتصاديّ والسّياسيّ للدّولة الإسلاميّة، خاصّة بعد أن انتقلت الدّولة من مرحلة الفوضى والإضطراب إلى مرحلة البناء والإستقرار، ولتحقيق الإستقلال الإقتصادي للدّولة العربية أنشأ عبد الملك دارا لضرب السّكّة[3].

ويمكن أن نُجمل أسباب ضرب النقود العربية فيما يلي:

-إرادة عبد الملك في صبغ الدّولة بصبغة عربيّة، وهي سياسة رسمها بدقّة ونفذّها في الميادين الإداريّة والإقتصادية، وبالتّالي استقلالية الدّولة العربية.

-رغبة عبد الملك في إعادة حقّ ضرب النّقود إلى الخلافة كمظهر من مظاهر السّلطان والمركزيّة من جهة، وتحقيقًا للإستقرار من جهة أخرى.

-ضرب النّقود باسم الخليفة يعبّر عن سيادة الدّولة وتحرّرها من أي نفوذ أجنبي.

-تعريب النّقود من قِبل عبد الملك كان خطّة منه للتّخلص من الجزية المفروضة من ملك الرّوم.

-نقص النّقود الفارسية عند العرب بسبب ضعف الدّولة الفارسية.

---

(1) _ إغاثة الأمّة، ص 126.

(2) _ شحاذه الناظور: المرجع السابق، ص 256.

(3) _ حسان حلاق : تعريب، ص 33، 34.
Fred m. donner: opcit, p169.

-شيوع الزّيوف في العملات-ولا سيما الفارسية-أدّى إلى هبوط قيمة العملة وارتفاع الأسعار، وسوء الحالة الإقتصادية وهذا ما دفع إلى إصلاح نقديّ لتفادي الأضرار.

-الإختلاف في الأنظمة الماليّة السّائدة في الدّولة العربية من نظم مالية ساسانية وبيزنطية كان سببا واضحا في الإختلاف بين أحكام الجزية والخراج والعشور، لذا قرّر عبد الملك توحيد النّظم في عملة إسلامية[1].

ولهذا كانت ثورة صكّ وتعريب النقود فنقش الحجّاج في وجهها قل هو الله أحد، وفي الوجه الآخر: لا إله إلاّ الله، وطوّق الدّرهم بطوق، وكتب في الطوق الواحد: ضُرب هذا الدرّهم بمدينة كذا وفي الطّوق الآخر: محمد رسول الله أرسله بالهدي ودين الحق ليُظهره على الدّين كله ولو كره المشركون [2].

وهكذا تمخّضت حركة ضرب النقود العربيّة في عهد عبد الملك والحجاج عن إستقلال الإقتصاد والإدارة العربيّة من التبعيّة الفارسية والبيزنطية، واصطَبغت الدّولة بصبغة قوميّة عربية في المجالين الإقتصادي والإداري، ومن ثمّ السّياسي، وهي أهمّ الرّكائز التي تقوم عليها الدّولة [3].

-رسالة الوليد إلى أُسامة بن زيد بشأن صَنَم يصنعه فلوسا:

-347-

عن زيد بن عبد الرّحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جدّه: أنّ صنَما كان بالإسكندرية يُقال له شُراحيل على حشفة[4] من حشف البحر، مستقبلٌ بأصبع من كفّه قسطنطينية، فكتب أسامة بن زيد إلى الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين : « أنّ عندنا بالإسكندرية صنما يقال له شراحيل من نحاس، وقد غلبتْ علينا الفلوس، فإن رأى أمير لمؤمنين أن نُنزله ونضربه فلوسا فَعل، وإنْ رأى غير ذلك فليكتُب إليّ من أمره، فكتب إليه:

لا تُنزله حتّى أبعثَ إليك أُمَناء يحضرونه.

فبعث إليه رجالا أمناء حتّى أُنزل من الحشفة، فوجدوا عينيه ياقوتتين حمراوين ليس لهما قيمة، فضربه

---

[1] _ البلاذري: فتوح البلدان، ص 335 ، الماوردي : الأحكام السلطانيّة ، ص274 ، القلقشندي: صبح الأعشى، ج 1، ص 483، حسان حلاق: المرجع السابق، ص 42-45.

[2] _ الماوردي : الأحكام ، ص 274 ، المقريزي: إغاثة الأمّة، ص55، مراد لكحل: كتّاب الخلفاء الأمويّين، ص 184.

[3] _ حسان حلاق: المرجع السابق، ص 7.

[4] _ الحشفة صخرة رخوة في سهل من الأرض. لسان العرب، مج2، ص 887، مادة حشف.

فلوسا » [1].

المعلوم أنّ أسامة بن زيد لم يتولّ مصر للوليد بن عبد الملك وإنّما تولاها أوّل مرة لأخيه سليمان[2] ، وأنّ الرّسالة إن كان كتب بها أسامة فعلا فكانت لسليمان وليس للوليد .

ثانيا– الـرّسائل الخاصّة بسياستهم تجاه الإنفاق العامّ للدّولة:

تمـــــهيــد:

لقد كان المال الذي يأتي من الموارد المتقدّمة يُنفق في مصالح الدّولة على حسب ما يراه الإمام، فتُدفع منه أرزاق العمال بشتّى رتبهم، وينفق أيضا في خدمة مصالح الدّولة ومؤسساتها[3] فالأموال إذا كثُرت وادُّخرت في الخزائن لا تثمّر ولا يُستفاد منها، وإذا كانت في مصالح الرّعية، وإعطاء حقوقهم، وكفّ المؤنة عنهم، نَمَت وزكت وصلحت العامّة، وتزيّنت به الولاية، وطاب به الزمان[4]، وفي الإنفاق الواجب يقول الماوردي: «أن يكون مصرفه مستحقّا على وجه البدل كأرزاق الجند وأثمان الكُراع والسّلاح، فاستحقاقه غير مُعتبر بالوجود، وهو من الحقوق اللّازمة مع الوجود والعدم، فإن كان موجودا عُجّل دفعه كالدّيون مع اليسار، وإن كان معدوما وجب فيه على الإنتظار كالدّيون مع الإعسار»[5].

لقد بذل خلفاء بني أميّة أموالا كثيرة للرعية، تطييبا لهم ودرءا لمعارضتهم، فهذا معاوية يقول لرعيّته بعد أن صعد المنبر: إنّ في بيت مالكم فضلا عن عطائكم، وإنّي قاسم بينكم ذلك، فإن كان فيه قابلا فضل قسمته عليكم، وإلّا فلا عُتبة عليّ فإنّه ليس مالي، وإنّما هو فيء الله الذي أفاء عليكم[6].

وكان سعي الأمويّين الحثيث لتقوية تيّار الأنصار والمؤيّدين يضمن لهم فوزهم على التّيّار المعارض لسياستهم، لذلك أغدق الأمويّون الهبات والعطايا لزعماء القبائل لضمان ولائهم للحكم[7].

هذا ونشير إلى أنّ المال والإقتصاد كان عاملا ذو حدّين، فكما كان له دور في تأليف القلوب كان له دوره الفعّال في خلق روح العداء ضدّ الأمويّين مند عهد معاوية الذي جعل الولايات تساهم بنفقات

---

[1] _ تاريخ دمشق، ج8، ص 84.

[2] _ انظر تاريخ خليفة، ص 198، 199، ابن عساكر: المصدر السابق، ج8، ص 86.

[3] _حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام، ج1، ص387.

[4] _ ابن الأزرق: بدائع السلك، ج2، ص692.

[5] _ الأحكام السلطانية، ص355.

[6] _ ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، ج25، ص50.

[7] _ محمد مراد: الأرض والسّلطة، ص 37.

الدّولة، واعتبر العطاء لقاء الخدمة في الجيش، فحرم بذلك عددا كبيرا منه، ممّا سّبب نقمة النّاس على الأمويّين، وقد وجد المتذمّرون في ثورة ابن الزّبير وسيلة للتّعبير عمّا يجيش في صدورهم[1].

هذا وكان عطاء المقاتلين أيضا يُصرف من بيت المال حسب ضوابط تمّ وضعها منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب بالنّسبة للمسلحين في ديوان الجند، وكان في العراق ديوانان للجند في كلٍّ من الكوفة والبصرة، وقد تطوّر نظام العطاء في العصر الأمويّ، فلم تعد المقاييس التي وضعها عمر مثل السّبق في الإسلام والدّفاع عنه والحاجة[2] هي التي تقرر فرض العطاء، إنّما الذي أصبح يقرّر ذلك هو الولاء للدّولة، وكان الحدّ الأعلى من العطاء–ويدعى شرف العطاء–محدّدا لا يعطى إلا لمن أبدى بسالة في الحروب أو كان يقوم ببعض الأعمال الاداريّة أو القيادية، ولا توجد إشارة إلى عدد الرّجال في كل صنف من العطاء[3]، وللوالي أن يزيد في أرزاق الجند إذا كانت هناك حاجة لذلك وإذا نقص مال الخراج عن أرزاق الجيش طالب الخليفة بتمامها من بيت المال[4].

هذا ويكون وقت العطاء معلوما يتوقّعه الجيش عند الإستحقاق، وهو يُعتبر بالوقت الذي تُستوفي فيه حقوق بيت المال، فإن كانت تسوفى في وقت واحد من السّنة جُعل العطاء في رأس الشهر ليكون المال مصروفا إليهم عند حصوله، فلا يُحبس عنهم إذا اجتمع[5].

ولم يكن عطاء المقاتلة بنسبة واحدة في العصر الأموي ، فقد كان هناك حدّ أعلى من العطاء يدعى شرف العطاء، وكان يُدفع في بادىء الأمر لأهل السّبق والأيّام والفتوح الأولى ، مجازاة لهم لمساهمتهم في تلك الحروب الخطيرة الأولى ، وبلائهم فيها ، ولمّا كان شرف العطاء لا يورَّث فإنّ الخلفاء كانوا يضيفون بين الآونة والأخرى أسماء جديدة ممن أبدى بسالة في الحرب ، أو الأعمال الإدارية والقيادية[6].

ونقول ممّا سبق أنّ الأموال في أيّام بني أمية كانت كثيرة كما أنّ النّفقات كانت كثيرة، تُصرف في البناء والتعمير والإصلاح والتّشييد والحروب لتأييد شوكتهم، فقد حاربوا الحسن والمختار وابن الزبير، وحاربوا

---

(1) _ جاسم صبكان: تاريخ صدر الإسلام، ص 139.

(2) _ لقد فاضل عمر بن الخطاب بين الناس في العطاء ولم يساوِ بينهم فبدأ بأهل السّبق والبلاء في الإسلام. انظر في ذلك: البلاذري: فتوح، ص637.محمد سهيل طقوش: تاريخ الخلفاء الراشدين، ص343.

(3) _ عبد الواحد ذنون : مواقف ودراسات، ص298.

(4) _الفراء: المصدر السابق، ص35.

(5) _ الماوردي : الأحكام، ص345، الفراء: المصدر السابق، ص243، أحمد إسماعيل علي: تاريخ بلاد الشام، ص359.

(6) _ تاريخ الطّبري ، ج6 ، ص310 ، نجدة خماش : الإدارة ، ص262، أحمد علي علي: التعبئة العسكرية، ص38

الخوارج وغيرهم، ناهيك بما كان يقوم من الفتن بين القبائل العربيّة المضريّة واليمنية، وبين العرب والموالي[1].

ونشير إلى أنّ الأمويّين لما استولوا على الخلافة، واستتبّ لهم أمرها عملوا على تنمية الموارد الإقتصادية الخاصّة بهم حتى يتسنّى لهم القيام بالأمر، وكانت حاجة الأمويّين ماسّة إلى إستمالة القلوب بالمِنح والعطايا، هذا بالإضافة إلى منصب الخلافة وما يحتاجه من نفقات وتملّك للأراضي[2].

كما أنّ بعض الخلفاء كانوا يزيدون عطاء النّاس يوم تولّيهم الحكم، أو عند استنفارهم لأمر جَلَل، فكان ذلك بمثابة مكافآت تشجيعية أو تقديريّة، أو كسبا لعطف العامّة وولائها –كما ذكرنا–وقد فعل ذلك معاوية ويزيد[3].

- رسالة معاوية إلى الحسين بن علي لمّا أخذ أموال اليمن:

-348 -

قال ابن أبي الحديد: حُمل مال من اليمن إلى معاوية ،فلما مرّ بالمدينة وثب عليه الحسين بن علي ، فأخذه وقسمه في أهل بيته ومواليه ، وكتب إلى معاوية : «من الحسين بن علي إلى معاوية بن أبى سفيان ، أما بعد: فإن عيرا مرّت بنا من اليمن تحمل مالا وحُللا وعنبرا وطيبا إليك لتودعها خزائن دمشق ، وتعلّ[4] بها بعد النّهل[5] بنى أبيك ، وإنّي احتجت إليها فأخذتها و السلام ، فكتب إليه معاوية:

من عبد الله معاوية أمير المؤمنين إلى الحُسين بن علي سلام عليك، أمّا بعد: فإنّ كتابك ورد عليّ تذكر أنّ عِيرا مرّت بك من اليمن تحمل مالا وحُللا، وعَنبرا وطيبا إليَّ لِأُودعها خزائن دمشق، وأَعلَّ بها بعد النَّهل بنِي أبي، وإنّك احتجتَ إليها فأخذتَها ولم تكن جديرًا بأخذها إذ نسبتَها إليَّ، لأنّ الوالي أحقّ بالمال ثمّ عليه المَخرج منه، وأيم الله لو تركتَ ذلك حتى صار إليَّ لم أبْخسك حظَّك منه، ولكن قد ظننتُ يا ابن أخي أنّ في رأسك نَزْوة، وبوُدّي أن يكون ذلك في زماني فأعرفَ لك قدرك، وأتجاوز عن ذلك، ولكنّي والله أتَخوَّفُ أن تُبتلى بمن لا يُنظرك فَوَاق ناقة، وكتب في أسفل كتابه:

---

[1] _ جرجي زيدان: تاريخ التمدن، ج1، ص279.

[2] _ صفاء حافظ: ضياع بني أمية، ص13، ضياء الدّين الريّس: الخراج والنّظم الماليّة، ص193.

[3] _ أنور الرفاعي: الإسلام في حضارته، ص235.

[4] _ أعلّ أي شرب الشّربة الثانية، وعلّ القوم شربوا، وتعدّى البعض إلى استعمال العلل في الطّعام. لسان العرب، مج4، ص 3078، 3079، مادة علل.

[5] _ النّهل: أول الشّرب، نقول نهلت الإبل أي أوّل سقيها. لسان العرب، مج6، ص 4562، مادة نهل.

يا حُسين بن علي ليس ما جِئتَ بالسّائغ يوما في العِللْ[1].

أخذُك المال ولم تُؤمر بـه إنّ هذا من حُسينٍ لعجـــلْ

قد أجَزناه ولم نغضبْ لها واحتملنا من حُسين ما فعـلْ[2]

يا حُسين بن علي ذا الأمل لك بعدي وثبةٌ لا تُحتمـــلْ

إنّني أرهَبُ أن تُصلى بمـن عنده قد سبَق السّيفُ العَذلْ[3]»[4].

رواية أخرى لما سبق

-348 -أ

و عن مجالد عن الشّعبي[5] قال: « وكتب إليه معاوية أيضا -يقصد الحسين- في بعض ما بلغه عنه:

إنّي لأظُنّ أنّ في رأسك نَزوةً[6] فوددتُ أنّي أدركتُها [7] فأغفِرها لك»[8].

لقد تجاوز معاوية عن الحسين أخذه المال وصوّغه إيّاه بل زيادة على ذلك كان يفرض للحسن والحسين ويأمر لهما بالمال ويقول: خذوه وأنا ابن هند ما أعطاها أحد قبلي، ولايُعطيها أحد بعدي[9]، بل شاهدنا معاوية عند صلحه للحسن يبعث له صحيفة بيضاء مختوم على أسفلها، ويكتب إليه: أن اشترط في هذه الصحيفة ما شئتَ فهو لك، فاشترط عليه أموالا وخراجا[10] وكلّ هذا وذاك محاولة من معاوية

---

[1] _ العلل: الضُّر والحاجة. لسان العرب، مج4، ص 3080، مادة علل.

[2] _ هذا البيت غير موجود في الدّيوان.

[3] _ العذل هو اللّوم والضّرب لما قد فات، وقولهم في هذا المثل أنّ الحارث بن ظالم ضرب رجلا، فقتله، فأُخبر بعذره فقال: سبق السّيف العذل. لسان العرب ، مج4، ص 2862، مادة عذل. وانظر الأبيات في ديوان معاوية ص100، 101.

[4] _ شرح نهج البلاغة، ج4، ص 327، محمّد ماهر: المرجع السابق، ص 153، 154، أحمد زكي، جمهرة رسائل، ج2، ص 26، 27.

[5] _أخذ ابن عساكر روايته عن ابن سعد، أمّا في البداية والنّهاية فرواها عن شبابة بن سوار.

[6] _ كذا في طبقات ابن سعد، وفي تاريخ دمشق "فروة" والنزّوة معناها الوثبة. لسان العرب، مج6، ص 4402، مادة نزو.

[7] _ عند ابن عساكر وابن كثر "أدركها".

[8] _ابن سعد الطّبقات، ج6، ص 423، ابن عساكر: المصدر السابق، ج14، ص 206، ابن منظور: مختصر، ج7، ص 137، ابن كثير: المصدر السّابق، ج8، ص 139.

[9] _ ابن منظور: مختصر، ج7، ص 115.

[10] _ انظر في ذلك أبو حنيفة الدّنيوري: الأخبار الطّوال، ص 202، ابن الجوزي: المنتظم، ج5، ص 183، ابن الأثير: الكامل، ج3، ص 272.

لتطييب قلب الحسن والحسين وإخماد نار الفتنة التي يمكن أن يشبّ لهيبها، خاصّة وأنّ جراح الجمل وصفين لم تبرأ بعد.

إنّ الدّولة الأمويّة في حقيقتها برغم الإمتيازات التي أُحيطت بها الأسرة الحاكمة، والتي افترضت تأمين المزيد من الأموال حفاظا على هذه الإمتيازات واستمراريتها، فإنّ سياستها إزاء المعارضة لم تصل إلى هذا الحدّ من الغباء، وقِصر النّظر خاصّة وأنّها تجهل تماما سبل الوصول إلى كسب القلوب عن طريق المال[1].

- رسالة معاوية إلى النّعمان بن بشير يأمره بزيادة أعطيات أهل الكوفة:

-349 -

إتُّخذ العطاء في العصر الأموي وسيلة سياسية لتدعيم نفوذ الخلفاء وتثبيت أركان الدّولة واختلف مقدار العطاء باختلاف الخلفاء والولاّة وتبعا للظروف السياسية والإقتصاديّة، قال البلاذري: «إستعمل معاوية النّعمان بن بشير على الكوفة، **فكتب إليه يأمره أن يُلحق لأهل الكوفة في أُعطياتهم زيادة عشرة دنانير عشرة دنانير.**

فكان ينفّذ بعضها ويردّ بعضها ويقول: أنا قفل مفتاحه بالشّام، وكان يُكثر تلاوة القرآن على المنبر، ويقول: إنّ فقدتموني، لم تجدوا أحدا يحدّثكم عن رسول الله ﷺ **ثمّ جاءوا بكتب معاوية فعَمّهم بالزّيادة**»[2].

الظّاهر من خلال هذه الرّواية أنّ معاوية أنفذ إلى النّعمان عدّة كتب بشأن أعطيات أهل الكوفة، والزّيادة فيها، إلاّ أنّ النّعمان لم ينفّذ بعضها، فأنشد ابن همّام السّلولي يقول:

زيادتُنا نعمان لا تحبِسنّـــــــهـــا تقِ الله فينا والكتابَ الذّي تتــلُو

فلا تكُ باب الشر تُحسن فتحَـــه علينـــا وبابُ الخير أنت له قِفــلُ

وقد نلتَ سلطانا عظيما فلا تكُن لغيرك جمّاتُ[3] النّدى ولك البُخلُ

فعمّت الزيادة أهل الكوفة[4].

ممّا يوجّه لما جاء في هذه الرّسالة أنّ أهل العطاء في العراق كانوا يأخذون عطاءهم بالدّراهم

---

[1] _ إبراهيم بيضون: الدولة الأمويّة، ص 26.

[2] _ أنساب الأشراف، ج5، ص 22 ، أبو حيّان التّوحيدي: البصائر والذّخائر ،ج 5 ، ص146 .

[3] _ جمّات من الجمم وهو الكثير من كل شيء، والجمّ الكثير المجتمع، وجمّ المال كثر. لسان العرب، مج1، ص 686، مادة جمم.

[4] _ انظر نجدة خمّاش : الإدارة في العصر الأموي، ص 260 ، 261 .

لابالدّنانير ، لذا يبدو أنّ هذه الزّيادة بالدّنانير مبالغ فيها ، لأنّنا إذا تأمّلنا ما جاء في الرّسالة تكون الزّيادة 100درهم ، وهذا ما لم يحصل خلال العهد الأموي [1]، خاصّة في إقليم العراق الذّي كان كثير الفتن مما تطلب تسخير الأموال في إخمادها.

وليس بين أيدينا ما نعرف من خلاله الأسباب التي دفعت بالأمويّين إلى الزّيادة في الأعطيات أو الإنقاص منها، والظّاهر أنّ الظروف هي التّي كانت تتحكم في ذلك طلبا للإستقرار، ودفعا للفتنة والقلاقل.

- رسالة معاوية إلى مروان بأن يكمل عطاء أهل المدينة من صدقة اليمن :

- 350 -

قال عروة بن الزّبير: « سمعت مروان بن الحكم –وهو عامل معاوية على المدينة– قام على المنبر فقال: إنّ أمير المؤمنين معاوية قد أمر بأعطياتكم وافرة غير منقوصة، وقد اجتهد نفسه لكم، وقد عجز من المال مائة ألف، وذلك لما دخل فيكم من الإلحاق والفرائض، **وقد كتب إليّ أن آخذها من صدقة مال اليمن إذا مَرّتْ علينا**.

قال: فجَثا النّاس على رُكبهم، فنظرتُ إليهم يقولون: لا والله ما نأخذ منها درها واحدا، إنّا نأخذ حقّ غيرنا، إنّما مال اليمن صدَقة، والصدقة لليتامى والمساكين، وإنّما عطاؤنا من الجزية، فاكتب إلى معاوية يبعث إلينا ببقية عطائنا، فكتب إليه بقولهم فبعث إليهم معاوية ببقيّته»[2].

إنّ سبب إعراض أهل المدينة عن أخذ مال الصّدقة هي أنّ الصّدقة لا تدخل في شيء من حكم الغنيمة أو الفيء، إنّما هي زكاة أموال المسلمين، ومواضعُها الأصناف الثّمانية التي ذكر الله تعالى في سورة براءة[3]، ولا تكون عطاءً للمقاتلة ولا لبقيّة الرّعيّة[4]، ثمّ من المفترض أنّ صدقة كلّ منطقة توزّع على أهلها، فلماذا ينقل معاوية ذلك؟

وفي إعتقادنا أنّ هذا الفعل الذي عبّر عنه في رسالته، يبدو إجراءً مؤقّتا فقط لسدّ الثغرة الماليّة، ولحاجته إلى المال الذي لم يفِ بالمصاريف والعطاء، فحاول أن يسدّ نفقات قطاع بنفقات قطاع آخر وهذا

---

[1] _ البلاذري : أنساب، ج5، ص 22، وفيها تتمّة أبيات ابن همام ، أبو حيّان التّوحيدي: المصدر السّابق ،ج 5 ، ص146 .

[2] _حميد بن زنجويه: كتاب الأموال، ص 591.

[3] _ قال تعالى:﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ التوبة 60.

[4] _ حميد بن زنجويه: المصدر السابق، ص 591.

ما لم تستوعبه الرّعية من أهل المدينة.

- رسالة معاوية إلى زياد يأمره بقضاء دين عمرو بن الزّبير:

-351 -

قال الطّبري: «وكان معاوية أوّل من اتخذ ديوان الخاتم قال: وكان سبب ذلك أنّ معاوية أمر لعمرو بن الزّبير[1] في معونته، وقضاء دينه بمائة ألف درهم، **وكتب بذلك إلى زياد بن سميّة وهو على العراق.**

ففضّ عمرو الكتاب، وصيّر المائة مائتين، فلمّا رفع زياد حسابه أنكرها معاوية، فأخذ عمرو بردّها وحسبه، فأدّاها عنه أخوه عبد الله بن الزّبير، فأحدث معاوية عند ذلك ديوان الخاتم وخَزَم[2] الكتب ولم تكن تُخزَم»[3]، فصارت التّواقيع تصدر منه مختومة لا يدري أحد ما فيها، ولا يتمكّن أحد من تغييرها.

ونتساءل هنا: من أيّ مال دفع دين عمرو أمن مال الفيء أم الصدقة؟ وذلك ما لا يمكن تحديده لسكوت المصادر عن ذلك، ولعله لمّا كان دينا أمر بتسديده من مال الصّدقة.

فالذي يبدو أنّ أموال الدّولة الأموية لم تكن تُصرف على العطايا فقط، بل أحيانا، تُصرف في قضاء ديون الرّعيّة الذّين يعجزون عن سداداها، وهذا ما تؤكّده الرّواية، هذا وقد سبق أن أشرنا إلى أنّ معاوية كان يُصدق النّساء في الزّواج من بيت المال[4] مسهّلا على الرّعيّة إقامة دينهم وبناء أسرهم.

- رسالة معاوية إلى زياد في إنقاص أُعطيات أهل الشّرف:

-352 -

قال ابن الشّجري: «كان لبيد بن ربيعة[1] من شُعراء الجاهليّة وأدرك الإسلام فحَسُن إسلامه وترك

---

[1] _ هو عمرو بن الزّبير بن العوّام بن خُويلد بن أسد القرشي الأسدي الزّبيري، أمه أمّ خالد أَمَة بنت خالد بن سعيد بن العاص، وفد على معاوية وعلى يزيد، وعُدّ من تابعي أهل المدينة، كان مُعارضا لأخيه عبد الله، بل كان أشّد عداوة له، صلبه أخوه عبد الله حتى مات. ابن عساكر: المصدر السابق، ج46، ص5-11، الذهبي: تاريخ الاسلام، ج2، ص444-446.

[2] _ خزم الكتب معناه أن يلّف الكتاب كأنبوبة الرّمح، وتكون الكتابة من الدّاخل، ثمّ يلصق رأسه بنوع من اللّصاق الخفيف أو يخزم بخيط، ثم يختم بخاتم الخليفة، ويكون الختم على طرفي اللّصاق، ويكون اللّصاق بشمع يختم عليه بالخاتم حتى يظهر نقشه، وسمّى ذلك خزما أخذا من خزم البعير أي ثقب أنفه، وهذه الطّريقة علامة على عدم فتح الكتب. القلقسندي:صبح الأعشى، ج6، ص 232-243. أحمد السّيّد دراج: صناعة الكتابة، ص31، ناهد حمدي: المرجع في علم الديبلوماتيك، ص210 .

[3] _ تاريخ الطّبري، ج5، ص 330، الجهشياري: الوزراء والكتاب، ص 15، مسكويه: تجارب الأمم، ج2، ص 13، ابن الأثير، الكامل، ج3، ص 373، ابن طباطبا: الفخري، ص 113.

[4] _ البلاذري : أنساب، ج5، ص 248.

[1] _هولبيد بن ربيعة بن مالك أبو عقيل العامري أحد الشعراء الفرسان الأشراف في الجاهلية من نجد، أدرك الإسلام وسكن الكوفة، وعاش بها، وهو أحد أصحاب المعلّقات توفي سنة 41 هـ. الزركلي: الأعلام، ج5، ص 240.

قول الشّعر في الإسلام...فكان عطاؤه ألفين فزاده – عمر بن الخطاب– خمسمائة، وعاش إلى بعض أيّام معاوية، وكان عطاؤه بالكوفة، **وكتب معاوية إلى زياد بأنّ المال قد قلّ، وكثُر أهل العطاء، فأنقِص من أعطيات أهلّ الشّرَف خمس مائة.**

فنقصهم زياد عند أخذهم للعطاء رَجلا رجلا حتى انتهى إلى لبيد، فقال له: هذان الخَرجَان يا أبا عقيل، فما هذه العِلاوة، فقال له لبيد: أمضِها لا أبا لك، فعن قليل ما يرجع إليك الخرجان والعلاوة، فاستحيا منه زياد لسِنّه وشَرفه، فأعطاه عطاه على تمامه، ولم يفعل ذلك مع أحد غيره» [1].

رواية أخرى لما سبق

- أ – 352

أمّا ابن حجر فقال :كتب معاوية إلى زياد:

« **ان اجعل أعطيات الناس في ألفين** ، وكان عطاء لبيد ألفين وخمسمائة »[2].

فقال له زياد: أبا عقيل هذان الخراجان فما بال هذه العلاوة قال ألحِق الخراجين بالعلاوة فإنّك لا تلبث إلا قليلا حتى يصير لك الخراجان والعلاوة ، قال: فأكملها له زياد ولم يكملها لغيره ، فما أخذ لبيد عطاء آخر حتى مات[3].

لقد كان شرف العطاء كماسبق وأن ذكرنا يعطى لأهل السّبق في الإسلام ، ولمن أبدى بسالة في الحروب والقتال ، إلّا أنّ الأوضاع الإقتصادية والماليّة، والأزمات التّي كانت تمرّ بها الدّولة من حين إلى آخر، كانت أحيانا تفرض على النّظام القائم إتخاذ إجراءات جديدة، وترشيد النّفقات لسدّ حاجيات الدّولة، فمثل هذه الرواية توضح أن هذا الإجراء كان متخذا آنذاك، وينمّ عن خطة اقتصادية وماليّة واضحة سار عليها الخُلفاء فيما يتعلق بنفقات الخزينة.

- رسالة معاوية إلى معاوية بن خُديج في قسمة غنيمة إفريقيّة:

-353 -

عن عثمان بن صالح قال: لما انتهى معاوية بن خديج إلى مدينة القيروان بعث عبدَ الملك إلى جلولاء

---

[1] _ الأمالي الشّجرية، ج1، ص 15 .

[2] _ الإصابة في تمييز الصّحابة ، ج5 ، ص677.

[3] _ المصدر نفسه ، ص 677.

ففتحها وغنم، ورجع بالغنائم إلى معاوية بن خديج[1]، فكتب له معاوية بن أبي سفيان:

«**إن العسكر رِدءٌ للسَّريّة[2]فقسِّم ذلك[3] بينهم.**

فأصاب كل رجل منهم مائتي دينار، وضرب للفرس بسهمين، ولصاحبه بسهم» [4].

يظهر أن خلافا وقع بين المقاتلين ومعاوية بن خديج فكتب إلى معاوية بالذّي أراد هؤلاء المقاتلون من أن يختصّو بالغنيمة دون من لم يحضر معهم، فكتب معاوية بإشراك الجميع.

ولقد كانت القاعدة العامّة في النظام المالي الإسلامي أن يخصّص لكل مصر ما يجبي من المقاطعات التي فتحها مقاتلة ذلك المصر[5]، فأمر معاوية بقسمة الغنائم وتعميمها، ولابدّ هنا من التّسليم بأنه كانت هناك عقلية البدوي الذي تدفعه إلى إقتسام الغنائم بين المقاتلين الذين غنموها وحدهم فقط، وذلك ما كان يعني بالأحرى إستحالة قيام تنظيم للشّأن العام أو قيام مؤسسة مالية إدارية مستقلة[6]، يقول الفراء: «وأمّا الغنيمة فليست من حقوق بيت المال لأنّها مستحقة للغانمين الذين تعيّنوا بحضور الوقعة، لا يختلف مصر فيها برأي الإمام ولا اجتهاده في منعهم، فلم تصر من حقوق بيت المال إلا في الأرَضين» [7].

- رسالة معاوية إلى الوليد بن عقبة يأمره بالقدوم عليه في الإنفاق:

-354-

قال ابن حمدون: «وفد الوليد بن عقبة[8] على معاوية وقال: انظر يا أمير المؤمنين في شأني، فإنّ عليّ مؤونة وقد أرهقني دَين، فقال له معاوية ألا تستحي بحسَبك ونسبك، تأخذ ما تأخذه فتبذّره، ثم لا تنفكُّ تشكو دينا ؟ فقال الوليد: افعل ثمّ انطلق من مكانه وصار إلى الجزيرة وقال:

---

(1) _ انظر في ذلك ابن عذارى: البيان المغرب، ج1، ص16.

(2) _ ردء للسّرية: الردء هو المعين وترادأ القوم تعاونوا وتناصروا . لسان العرب ، مج3، ص1916، مادة ردأ.

(3) _ في المُغرب"فقسّم الفيء".

(4) _ فتوح مصر والمغرب، ج1، ص261، البكري: المُغرب، ص32.

(5) _ Juseph Burlot: la civilization islamiq, p39.

(6) _ كلود كاهن: الإسلام، ص49.

(7) _ الأحكام السلطانية، ص251.

(8) _ هو الوليد بن عقبة بن أبي معيط واسمه إبّان بن عمرو بن أميّة بن عبد شمش الأمويّ، له صحبة، وهو أخو عثمان بن عفان لأمّه أورى بنت كريز، استعمله عثمان على الكوفة ثم سكن الجزيرة بعد قتل عثمان، ولم يشهد شيئا من حروب علي معاوية، كان شاعرا سخيّا مات بالرّقة سنة 61هـ. ابن عساكر: المصدر السابق، ج63، ص 218. الذّهبي، سير، ج3، ص 412، 415، الزركلي: المرجع السابق، ج8، ص 122.

تأبى فِعـــال الخيرِ لا تروّى على الفُـــــــراتِ
فإذا سُئلتُ تقول لا وإذا سُئلت تقول هـــاتِ
أفَلا تميلُ إلى "نعــم" أو تَركِ "لا" حتّى الممات؟

وبلغ معاوية مَقدمُة إلى الجزيرة، **وكتب إليه أن اقبِل إليَّ.**

فكتب إليه:

أعفُّ واستغْنِي كما قد أمـرتَني فأعطِ سِواك ما بدا لك وانحلِ [1].
سأحْدو رِكابي عنك إنّ عزيمتي إذا أنابني أمر كَسلّة مِنصَـــلِ [2].

ورحل إلى الحجاز فبعث إليه معاوية بصِلته وجائزته» [3].

- رسالة معاوية إلى جِبلّة بن الأيهم الغساني يفرض له ولجماعته:

-355 -

عن عبد الله بن مسعد الفزاري[4] قال: «وَجَّهني معاوية إلى ملك الرّوم فوجدتُّ عنده جِبلّة بن الأيهم[5]–ملك نصارى العرب–فقال لي: أتَرى صاحبَك يفي لي إن خرجتُ إليه؟ قلتُ ما شئت أعرضُه عليه، قال يعطيني التّنيّة[6] فإنّها كانت منازلنا وعشرين قرية من الغُوطة[7] ويفرضَ لجماعتنا، ويُحسن جوائزنا، قلت: أبلّغُه، فلمّا قدِمت على معاوية قال: ودَدت أنّك أجبتَه إلى ما سأل، فأُجيزه له، **وكتب إليه معاوية**

---

[1] _من النّحل وهو العطية ومنه سميّ صداق المرأة نِحلة. لسان العرب، مج6، ص 4369، مادة نحل .

[2] _ المِنصل من أسماء السّيف. لسان العرب، مج6، ص 4447، مادة نصل.

[3] _التّذكرة الحمدونية، ج3، ص 121، 122.

[4] _ هو عبد الله بن مسعدة الفزاري له رؤية من الرّسول ﷺ قيل أنّه من بني فزارة، وأنّ النبي ﷺ وهبه لفاطمة ابنته، فأعتقته، وسكن دمشق، وكان معاوية بصفّين، وبعثه يزيد بن معاوية على جند دمشق يوم الحرّة، وبقي إلى أن بايع مروان بالخلافة بالجابيّة، وكان أن أوفده معاوية إلى ملك الرّوم، وشتّى بها سنة 49. تاريخ خليفة، ص 128 ابن عساكر، المصدر السّابق، ج33، ص 46-51، الذّهبي: تاريخ الإسلام، ج2، ص 431.

[5] _جِبلّة بن الأيهم الغساني أبو المنذر، وقال ابن عساكر: المنذر بن الحارث، ملك آل جفنة بالشّام، أسلم وأهدى للنّبي ﷺ هديّة، فلمّا كان زمن عمر ارتدّ ولحق بالرّوم، ثمّ ندم على ردّته، توفي في أوّل خلافة معاوية سنة 40 هـ بأرض الروم. ابن عساكر، المصدر السابق، ج72، ص 27، 28، الذّهبي: سير، ج3، ص 532، تاريخ الإسلام، ج2، ص 246.

[6] _ اسمها ثنيّة العُقاب، مشرفة على غوطة دمشق، يمرّ بها القاصد من دمشق إلى حمص، وثنية العقاب أيضا بالثّغور الشامية قرب المصّيصة. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج2، ص 85.

[7] _ في البداية والنهاية "من غوطة دمشق"، والغوطة هي الكورة التّي منها دمشق تُحيط بها جبال عالية، وتمتدّ بها عدة أنهر. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج4، ص 219.

يُعطيه ذلك، وما أدركَه البريد إلاّ وقد مات» [1].

لقد أنفق مؤسّس الدّولة الأمويّة الخليفة معاوية بن أبي سفيان أموالا كثيرة لتأليف القلوب وكسب الزّعماء والأشراف، وتوطيد أركان الدّولة الإسلامية التّي قامت بعد صراع ونزاع بين المسلمين، لذلك رأى معاوية أن إراقة بعض المال خيرٌ من إراقة كثير من دماء المسلمين، فأعطى هؤلاء الرّجال لاستمالة قلوبهم وقلوب أتباعهم وأنصارهم، ويبدو أنّ الخليفة معاوية قد تفطّن إلى إعطاء الرسول ﷺ المؤلّفة قلوبهم بعد فتح مكة، ليستميلهم نحو الدّين ويسلّ سخاؤُه نفوسَهم[2] قال ابن تيميّة في ذلك: «...لكن يجوزُ بل يجب الإعطاء لتأليف من يحتاج إلى تأليف قلبه، وإن كان هو لا يحلّ له أخذ ذلك، كما أباح الله سبحانه وتعالى في القرآن العطاء للمؤلّفة قلوبهم من الصدّقات» [3].

- رسالة معاوية إلى الوليد بن عتبة لإعطاء آل أبي هريرة وإكرامهم:

-356 -

قال ثابت بن قيس بن ثابت بن مسحل: «كتب الوليد بن عتبة —والي المدينة–[4] إلى معاوية يُخبره بموت أبي هريرة فكتب إليه:

انظُر من ترك ، فادْفع إلى ورثته عشرة آلاف درهم، وأحسِن جوارهم وافعل إليهم معروفاً ، فإنَّه كان ممّن نَصَر [5] عثمان، وكان معه في الدّار ، رَحِمَه الله تعالى » [6].

- ردّ معاوية على عبد الله بن عامرحين سأله مالًا:

-357 -

كتب عبد الله بن عامر يسألُه أن يُقطِعه مالًا بالطّائف فوقّع له معاوية في كتابه:

«**عِشْ رَجَبا ترى عَجَبا**» [1].

---

[1] _ المنتظم، ج4، ص 260، ابن كثير: البداية والنهاية، ج8، ص 58 وروايته لا سند لها.

[2] _ أحمد عبيد عيسى: عطاء الخلفاء الأمويّين، ص 79.

[3] _ السّياسة الشرعية، ص 73.

[4] _ تولّاها سنة 57 هـ وهي سنة وفاة أبي هريرة ، وبقي واليا عليها إلى أن مات معاوية . تاريخ خليفة ، ص138.

[5] _ في تاريخ الإسلام "ينصر".

[6] _ الحاكم النيسابوري: المستدرك، ج3 ، ص 581، رقم 6157، ذكر أبي هريرة، تاريخ دمشق، ج67، ص 391، الذّهبي: تاريخ الإسلام، ج2، ص 360.

[1] _ ابن عبد ربّه: العقد الفريد، ج4، ص 288، جرجي زيدان: المرجع السابق، ج3، ص 246.

لقد ضرب معاوية لابن عامر مثلا من أمثال الجاهليّة إذ كانوا يرفعون مظالمهم إلى رجب ثم يأتون فيه الكعبة فيدعون الله عز وجل فلا تتأخر عقوبة الظالم فكان المظلوم يقول للظالم: عش رجباً تَرَ عجباً، فيضرب مثلا في تحول الدهر وتقلبه وإتيان كل يوم بما يتعجب منه[1] .

لقد أوْمأ معاوية إلى عامله أنّ المال لا يخرج إلا بقَدر، وإلى من يستحقّه من الرّعية فلا يجوز عنده صرف المال في غير وجوهه المشروعة، ويجب أن يحسب حسابه لتقلّبات الزّمان وحاجات الدّولة والرّعيّة .

- ردّ معاوية على ربيعة بن عِسل حين سأله أن يُعينه في داره:

-358 -

كتب إليه ربيعة بن عِسل اليربوعي[2] يسألُه أن يُعِينه في بناء داره بالبصرة، بإثني عشر ألف جِذع فوقّع معاوية:

أدارُك في البصرة أم البصرة في دارِك؟» [3].

وهكذا كانت إجابة معاوية تحمل من الإنكار عليه ما تحمل، فجاءت في شكل إستفهام تعجبّي، لمـّح فيه أنّه لن يلبّي طلبه، ليَحمله على الزّهد في مقصده، واجتناب التّرف والإسراف، والإكتفاء بما هو ضروري.

- رسالة يزيد إلى زياد في زيادة أُعطيات أهل الكوفة:

-359 -

قال مجالد بن سعيد: بعد مقتل الحُسين «كتب يزيد إلى ابن زياد:

أما بعد، فزِدْ أهل الكُوفة أهلَ السّمع والطّاعة في أُعطياتهم مائة مائة» [4].

لقد تلطّخت سُمعة يزيد وساءت كثيرا بمقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما، إذ حجبتْ هذه الحادثة الأليمة كلّ ما له من حسنات، وأجّجت نار الحِقد ضدّه، فسعى جاهدا، وبشتّى السّبل إلى حفظ ماء وجهه وإخماد نار أهل الكوفة الذّين كتبوا للحسين بالقدوم، فبَذل لهم المال الوفير وزاد في أعطياتهم دون

---

[1] _ أبو هلال العسكري: جمهرة الأمثال، ج2 ، ص 53 ، البكري : فصل المقال، ص 464.

[2] _ربيعة بن عِسل اليربوعي: ذكره خليفة بن خياط فيمن غزا سمرقند والصّغد مع سعيد بن عثمان بن عفّان سنة 56 هـ، فصالحهم أهل الصّغد وأعطوهم رهائن. تاريخ خليفة، ص 138.

[3] _ ابن عبد ربّه: المصدر السابق، ج4، ص 288.

[4] _ البلاذري : أنساب، ج3، ص 420.

حساب، ممّا يؤثّر على ماليّة الدّولة ، فكان أكثر إغْداقا عليهم من والده، إذ المهمّ عنده أن لا تُفتح أبواب المعارضة والثّورة في وجهه، وأن يُحافظ على منصبه، وذلك هو حال يزيد الذّي ما فتِئ يُصدر الأوامر، ولا يحسب لها حسابا، ولا يضع لها تفاصيلا فلذلك فشلت سياسته الدّاخلية فشلا ذريعًا، كانت لها آثارها الوخيمة على مصير حكم الفرع السّفياني عموما.

- رسالة يزيد إلى ابن زياد في قضاء حوائج ابن الزّبير الأُسْدي:

-360 -

قال ابن الأعرابي: «لمّا قَدِم عبد الله بن الزّبير الأسدي[1] من الشّام إلى الكوفة، دخل على عبيد الله بن زياد **بكتابٍ من يزيد بن معاوية إليه: يأمرُه بصِيانته وإكرامه وقضاء دينه وحوائجه، وإدرار عطائه**»[2].

لقد بذل بنو أميّة المال لإكرام أصحاب الفضل والخدمة الموالين للدّولة وللنّظام القائم، فقد كان عبد الله بن الزّبير الأسدى واحدا من هؤلاء، من شيعة بني أميّة وذوي الهوى فيهم، والتعصّب والنّصرة على عدوّهم إلّا أنّه ارتكب خطأً فادحا خشي أن لا يغفره عبيد الله، وهو مدحُه لمصعب بن الزبير مدارة له[3]، فهرب إلى يزيد الذّي عرف حقّه وولاءه لبني أمية فكتب إلى عبيد الله بالذي كتب .

- رسالة يزيد إلى ابن زياد في إجازة المُنذر بن الزّبير:

-361 -

لمّا جاء وفد المدينة قبل وقعة الحرّة إلى يزيد «أكرمهم، وأعظم جوائزهم، وأجاز المنذر بن الزّبير[4] بمائة ألف **كتب لهُ بها إلى عُبيد الله**، فرجع إلى العراق فقَبضها»[1].

---

[1] _ هو عبد الله بن الزّبير بن الأشتم بن الأعشى الأسدي، يكنّى أبو كثير، كوفي المنشأ من شعراء الدّولة الأموية، وكان من شيعة بني أميّة مُتعصّبا على أعدائهم، كانت له وِفادة يزيد بن معاوية، ولمّا غلب مصعب على الكوفة أسَرَه ثمّ أطلقه وأكرمه فمدحه وانقطع إليه، مات في خلافة عبد الملك نحو سنه 75 هـ. أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ج10، ص 4885، الزركلي: المرجع السابق، ج4، ص 87.

[2] _ أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني: ج10، ص 4896.

[3] _ المصدر نفسه، ص 4885، وكان قد امتدح معاوية ويزيد. انظر ابن عساكر: المصدر السابق، ج28، ص 258.

[4] _المنذر بن بن الزّبير بن العوّام القرشي أمّه أسماء بنت أبي بكر، ولد زمن عمر، ووفد على معاوية، وغز القسنطنطينية مع يزيد بن معاوية، غاضب أخاه عبد الله فأقطعه معاوية بالبصرة ، كانت وفاته سنة 73 هـ. ابن عساكر: المصدر السابق، ج3، ص 381، الذهبي: سير، ج3، ص 381، الزركلي: المرجع السابق، ج7، ص 293.

[1] _ النّويري: نهاية الإرب، ج20، ص 305 .

- رسالة يزيد إلى أهل المدينة بالزّيادة في أعطياتهم:

-362 -

من المعلوم –كما ذكرنا من قبل- أنّ المدينة كانت قد رفعت لِواء المعارضة لتوريث الحكم من قِبَل معاوية لابنه يزيد، حتّى رحل إليهم معاوية فأخذ منهم ذلك بالتّرغيب والتّرهيب، ونتيجة لذلك فقد كانت سبّاقة إلى رفض خلافة يزيد بداية بمعارضة الحسين وابن الزّبير، وحادثة كربلاء، ثمّ كان خروج أهل المدينة لمّا سمعوا بمقتل الحسين، فحاول يزيد أن يترفّع عن القتال ويتجنّب كارثة لا تقلّ شناعة عمّا حصل في كربلاء، وسعى إلى ذلك بكلّ سبيل، من دعوتهم إلى الطّاعة وزيادة أعطياتهم ومضاعفتها، والتودّد إليهم[1].

فعن أبي معشر قال: أرسل يزيد مسلم بن عقبة المرّي [2] لأهل المدينة قبل وقعة الحرّة فقال:

«إنّ أمير المؤمنين يقرأ عليكم السّلام، ويقول: أنتم الأصْلُ والعشِيرة فاتقوا الله وأطيعوا، فإنّ لكم في عهد الله وميثاقِه عطاءين في كلّ سنة، عطاءٌ في الشّتاء وعطاءٌ في الصّيف»[3].

إلّا أنّ الأمر لم يكن بالسّهولة التي اعتقدها يزيد، فكان أن استمرّ أهل المدينة في عِنادهم وخُروجهم، وقالوا: نخلعه كما نخلعُ عمائمنا، فقاتلَهم مسلم بن عقبة أشدّ القتل واستباح المدينة [4].

يتّضح أنّ العطاء لم يكن متساويا بين الرّعايا في مختلف الأقاليم، فإقليم الشّام، كان يتّمتع بامتيازات ماليّة أكثر من غيره[5]، وبنو أميّة عرفوا أنّ تثبيت حكمهم لن يتأتّى إلاّ إذا فضّلوا طبقة معيّنة تخدمهم ويستندون إليها في إدارة دولتهم، وكان الذّي نهج هذه السّياسة المالية، ووضع أسسها الخليفة الأوّل معاوية بن أبي سفيان خلال حربه على عليّ بن أبي طالب، فقد كان من أسباب نصره المفاضلة في العطاء، ومن أسباب إخفاق عليّ مساواته في ذلك بين القريب والبعيد والشّريف والوضيع والمؤيّد والمخالف[1].

فكانت المفاضلة قاعدة عامّة سار عليها الخلفاء بعد معاوية وحتى عمر بن عبد العزيز الذي فضّل

---

[1] _البيهقي : المحاسن والمساوىء، ج1، ص 60، وانظر التّمهيد .

[2] _سبقت ترجمته في التمهيد.

[3] _ البيهقي : المحاسن والمساوئ، ج1، ص 60.

[4] _المصدر نفسه، ص 60، وانظر التمهيد.

[5] _ويظهر هذا جليّا في رسالة عبد الملك إلى أصحاب ابن الأشعث لمّا خرجوا عليه فقد اقترح عليهم مساواتهم بأهل الشّام في العطاء. انظر الفصل الثالث من الباب السّادس رسالة رقم 519.

[1] _ انظر التمهيد.

أهل الشام في الجائزة على أهل الكوفة[1].

- ردّ يزيد على سَلَم بن زياد لمّا استبطأه في الخراج

-363 -

كتب سلم بن زياد[2]عامل خراسان إلى يزيد يطلب تأجيل دفع الخراج ، فوقّع له يزيد:

«**قليلُ العِتاب يُحكِم مَرائر [3] الأسباب، وكثيرهُ يَقطع أَوَاخي الإنتساب**» [4].

يظهر أن يزيد بردّه هذا عليه علم أنه يتحجج في عدم دفع الخراج بغير عذر، وبذا راح يزيد يهدّد سلمًا بقطع نسبه المزعوم إلى آل أبي سفيان إذا ما هو استمرّ في ذلك.

- رسالة عبد الملك إلى عمرُو بن سعيد لإعطاء النّاس أرزاقهم:

-364 -

[رسالة عبد الملك] قال ابن كثير: خرج عمرو بن سعيد الأشدق على عبد الملك، وتحصّن بدمشق، ثم وقع بينهما الصّلح والأمان، «ودخل عبد الملك إلى دمشق إلى دار الإمارة على عادته وبعث إلى عمرو بن سعيد الأشدق يقول له:

رُدَّ على النّاس أُعطياتهم التّي أخذتها من بيت المال.

[جواب عمرو] فبعث إليه الأشدق: إنّ هذا ليس إليك، وليس هذا البلد لك فاخرُج منه»[5].

رواية أخرى لما سبق

-364-أ

و قال عوانة: لما تحصّن عمرو بن سعيد بدمشق وأمّنه عبد الملك دخل هذا الأخير دمشق، وكتب إلى عمرو:

«أن أعطِ النّاسَ أرزاقهُم.

---

[1] _ ابن أبي شيبة: المصنّف، ج12، ص 15.

[2] _ في المصدر مسلم بن زياد، والصّواب كما ذكرنا سلم بن زياد والي خراسان انظر تاريخ خليفة، ص 146. وقد سبقت ترجمته في التمهيد.

[3] _ المرائر هي الحبال المفتولة والمقصود استحكام الأمر وقوّته. لسان العرب، مج6، ص 4176، مادة مرر.

[4] _ ابن عبد ربّه : المصدر السابق، ج4، ص 289 .

[5] _البداية والنّهاية، ج8، ص 260.

فأرسل إليه عمرو: إنّ هذا ليس لك ببلد فاشْخَصْ عنه» [1].

من خلال هذا الأمر يبدو وكأنّ عمرو بقيت له سلطة، لذا فالأولى بالقبول هي رواية ابن كثير.

رواية أخرى لما سبق

- 364 – بج -

وعن أبي معشر قال: رجع عبد الملك فحاصر عمرو بدمشق، وصالحه على أنّه الخليفة بعده، ففتح له دمشق، وكان بيت المال بيد عمرو بن سعيد فأرسل إليه عبد الملك «**أن أخرِج للحرس أرزاقَهم** .

فقال: إذا كان لك حرسٌ فإنّ لنا حرسٌ أيضا»[2].

- رسالة عبد الملك إلى عبد الله بن عمرو بن عثمان لمّا طالبه بقضاء دَينه:

-365 -

[رسالة عمرو بن عثمان] قال المدائني: «كان عبد الملك يتهدّد أهل بيته بمثلِ ما صنع بعمرو بن سعيد، فكتب إليه عبد الله بن عمرو بن عثمان[3]: إنّك قد عرفتَ بلاء عثمان عندك وعند أهل بيتك، ورفعِه أقدارَكم، وما أوصاك به مروان من قضاء دين عمرو بن عثمان، وتأخيرك ذلك، فإن تُؤثر ما أوصاك به أبوك فأهله نحن، وإلاّ تفعل فسيُغني الله عنك والسّلام، وكان مروان أوصى عبد الملك بقضاء دين عمرو، **[ردّ عبد الملك]** قال فكتب إليه عبد الملك:

قد أتانِي كتابُك وعمرو بن سعيد كان أقربَ منك رحِمًا، وأوجبَ عليَّ حقًّا، فأخطأَ موضِع قدمِه، ففرَّقتُ بين رأسه وجسده، وقد هممتُ بأن أُلحِقك به»[4].

[ردّ عبد الله بن عمرُو]: فكتب إليه عبد الله بن عمرو:

«أتاني كتابُك بما ذكرتَ ممّا هممتَ، فإن تفعل فإنّي رجل مُعرَّقٌ[1] لي في الشّهادة، أنا ابن أمير

---

[1] _ تاريخ الطبري، ج6، ص 142، مسكويه: تجارب الأمم، ج2، ص 150.

[2] _ ابن قتيبة : الإمامة والسّياسة، ج2، ص 21، ابن عبد ربّه: المصدر السابق، ج5، ص 156.

[3] _ عبد الله بن عمرو بن عثمان: قال ابن عساكر: عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفّان الأمويّ، الشاعر المعروف بالعرجي، نسبة إلى عرج الطّائف لسكناه به بكنيّ أبا عثمان، غزا مع مسلمة البحر في خلافة سليمان، وتوفي بمصر سنة 99 هـ. ابن عساكر: تاريخ، دمشق، ج31، ص 223، الذهبي: تاريخ الإسلام، ج3، ص 165-225.

[4] _ البلاذري: أنساب، ج7، ص 214.

[1] _أعرق في الشيء إذا خالطه وتخلّق به، وله عروق فيه. لسان العرب، مج4، ص 2904، مادة عرق.

المؤمنين عثمان وابن أمير المؤمنين عمر [1]» [2].

- ردّ عبد الملك على عليّ بن الحسين يُصوِّغه مالا:

-366 -

قال المقبري: «بعث المختار إلى علي بن حسين[3] بمائة ألف فكرِه أن يقبَلها وخاف أن يرُدّها فاحتبسها عنده، فلمّا قُتل المختار كتب علي بن الحسين إلى عبد الملك: إنّ المختار بعث إليَّ بمائة ألف درهم، فكرهتُ أن أردّها، وكرهتُ أن آخُذها، فهي عندي فابعث من يقبضُها، فكتب إليه عبد الملك:

يا ابن عم خُذها فقد طيّبتُها لك، فقبِلها»[4].

لا شكّ أنّ خلفاء بني أميّة عرفوا مكانة أهل البيت ووزنهم في المجتمع، لذلك رفعوا أقدارهم وتودّدوا إليهم بالعطايا والهِبات، ولم يبخلوا عليهم بالمال، كيف لا وأهل البيت في نظر شريحةٍ عريضة من المجتمع أحقّ بالخلافة من بني أميّة.

لقد إنتهج عبد الملك سياسة من سبقه من الخلفاء في هذا البذل وخاصّة منهم معاوية الذي بذل للحسن والحسين ووهب لعبد الله بن جعفر ألف ألف في كلّ عام[5] معلنين بذلك – ظاهريا على الأقلّ- صفاء القلوب وانصهار العداوات.

- رسالة عبد الملك إلى الحجّاج يأمره أن يترُك خراج فارس للمهلّب:

-367 -

قال يوسف بن يزيد: «لمّا صارت فارس كلّها في يد المهلّب بعث الحجاج عليها عمّاله، وأخذها من المهلّب فبلغ ذلك عبد الملك فكتب للحجّاج:

أمّا بعد فدَع بيد المُهلّب خراج جبال فارس ، فإنّه لا بُدّ للجيش من قوّة، ولِصاحب[1]

---

[1] _ ذلك أنّ أمّه هي حفصة بنت عبد الله بن عمر بن الخطاب. البلاذري: أنساب، ج7، ص 214.

[2] _المصدر نفسه، ص 214.

[3] _هو علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي، القرشي، أبو الحسن الملقب بزين العابدين تمييزا له عن أخيه علي بن الحسين الأصفر الذي مات مع أبيه في كربلاء، كان صاحب حلم وورع وفقه، وهو رابع الأئمة الإثنا عشر عند الشيعة مات سنة 94، وقيل 95هـ. ابن عساكر، المصدر السّابق، ج41، ص 360-416. الذّهبي: سير أعلام، ج4، ص 387-401.

[4] _ ابن سعد: الطّبقات، ج 7 ، ص211 ، ابن عساكر: المصدر السّابق، ج41، ص 377، الذهبي: تاريخ الإسلام، ج3، ص 181 بالسّند نفسه.

[5] _ابن منظور: مختصرتاريخ دمشق، ح25، ص 64.

[1] _في تجارب الأمم "ولا لصاحب" [كذا].

الجيش من مَعونة، ودعْ له كُورة فَسَا[1] ودَار بُجَرْدْ[2] وكُورة اصْطخر[3]»[4] ، وذلك في سنة 77هـ.

لقد كانت الأموال تُنفق على الجنود[5]، وكان لثورات الخوارج أثرٌ كبير في استنزاف ماليّة الدولة، وعرقلة الفتوح والإصلاحات الدّاخليّة، وقد أدرك عبد الملك خطورة أن يحرِم المهلّب من أموال فارس، وتأثير هذا على صُمود عسكره في مواجهة الأزارقة، ورغم إستجابة الحجّاج لأوامر الخليفة إلاّ أنّ مشاعره بدأت تتغيّر تُجاه المهلّب، وتحرّكت عوامل العصبيّة القبلية في نفسه، وكان يتمنّى لو تولى أمر الخوارج رجل من القيسيّة، فيحوز المال والثروة واحترام الخليفة وتقديره[6].

- رسالة عبد الملك إلى الحجّاج يأمره أن يهَب عبد الله بن الزُّبير الأسدي مالًا:

-368 -

عن العُتبي قال: إمتدح عبد الله بن الزّبير الأسدي الشّاعر[7] عبد الملك بن مروان، فوهب له «عشرين ألف درهم وكسوة، **وكتب إلى الحجّاج بعَشرة آلاف درهم أخرى»**[8].

ذلك أنّ عبد الله بن الزبير الأسدي كان من شيعة بني أميّة متعصّبا لهم، مواليا لحكمهم مدح معاوية ويزيد وابنه معاوية ومدح عبد الملك والحجّاج[1].

ونذكر بالإضافة إلى ما سبق أنّ خلفاء بني أميّة كانوا يجازون الشّعراء وغيرهم ،فقد وفد عبد الله بن

---

[1] _فسّا: ويقال بسّا بسّا مدينة بفارس أنزهُ مدينة فيما قيل، بينها وبين شيراز أربع مراحل، قال ابن حردازية، هي أكبر مدن دار بجرد، وهي مدينة مفترشة لبلاد واسعة، ومن شيراز إلى فسّ ثلاث فراسخ .ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج1، ص 211، ابن خردازبة، المسالك والممالك، ص 40.

[2] _دار بُجرد: ولاية بفارس ، وهي قرية من كورة اصطخر، ودار بُجرد أيضا موضع بنيسابور ومنها إلى فسّا 18 فرسخا قال المقدسي: هي قصبة نفيسة لها مدن حصينة ذات بساتين ونخيل معتدلة الهواء، ولها آبار وأسواق. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص 419، المقدسي: أحسن التقاسيم، ص 312، ابن خردازبة: المصدر السابق، ص 46.

[3] _اصطخر: هي بلاد بفارس أنشأها اصطخر بن طهمورث ملك الفرس، وهي من أقدم مدن فارس وأكبرها. معجم البلدان، ج1، ص 211.

[4] _تاريخ الطبري: ج6، ص 301، مسكويه: المصدر السابق، ج2، ص 212، ابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص 193، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج4، ص 181 ، محمّد ماهر: الوثائق، ص 356، أحمد زكي: جمهرة رسائل، ج2، ص 160.

[5] _ fred M. Donner: narrratives of islamic origins, p 169 .

[6] _عبد المنعم سلطان: آل المهلّب، ص 54، وانظر كتاب الحجّاج للمهلّب يعاتبه بعد أن كتب عبد الملك له ابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص 193.

[7] _ سبقت ترجمته في الرسالة رقم 360.

[8] _ الأصفهاني : الأغاني، ج10، ص 4906.

[1] _اتظر المصدر نفسه، ص 4885-4906، ابن عساكر: المصدر السّابق، ج28، ص 258.

الحجاج الشّاعر على عبد الملك وتمثّل بين يديه شعرا فأمر له[1] وأمر لجرير[2] بأربعة آلاف درهم[3] وفرض الوليد للعديد منهم[4]، فعلى هذا ساروا باستثناء عمر بن عبد العزيز الذي قال للأعشى[5] حين مدحه ولم يعطِه شيئا: ما أرى للشّعراء في بيت المال حق[6].

- رسالة عبد الملك إلى الحجّاج يَحثُّه على الإقتصاد في النفقات:

-369 -

قال عوانة : «كتب عبد الملك إلى الحجاج:

أمّا بعد، فقد بلغَ أمير المؤمنين أنّك تُنفق في اليوم ما يُنفِق أمير المؤمنين في الجمعة، وتُنفق في الجمعة ما يُنفق أمير المؤمنين في الشّهر، وتُنفق في الشهر ما يُنفق امير المؤمين في السّنة، وهذا ما لا قِوام معه يا حجّاج،

عليكَ بتقوى الله في كل حالةٍ وكن لوعيد الله ربّك تخشــعُ

ووفِّر خراج المسلمين وفيئَهم وكنْ لهم حصنًا يذُود[7] ويمنَعُ» [8].

رواية أخرى لما سبق

-369-أ-

[رسالة عبد الملك] و قال أبو عبيدة معمر بن المثنّى :« لمّا قتل الحجّاج ابن الأشعث وصَفت له العراق قدّم قيسًا، واتّسع في إنفاق الأموال، فكتب إليه عبد الملك:

---

(1) _الأصفهاني: الأغاني، ج10، ص 4519.

(2) _هو جرير بن عطيّة بن حذيفة من بني تميم، أمّه آم قيس بنت معبد الكلبّية، ومعنى جرير حبل يكون في عنق الدّابة أو النّاقة، كان أشهر شعراء عصره، ولد ومات باليمامة عاش عمره كلّه يناضر شعراء عصره ويُساجلهم، فلم يلبث أمامه إلا الفرزدق والأخطل، عمّر نيّفا و ثمانين سنة. ابن قتيبة: الشّعر والشعراء، ج1، 374، أدب الكاتب، ص 67، الزركلي: الأعلام، ج2، ص 119.

(3) _الأغاني، ج6، ص 2617.

(4) _ المصدر نفسه، ج12، ص 5575.

(5) _الأعشى: هوعبد الرّحمن بن عبد الله بن الحارث أبو المصبح الهمذاني، المعروف بأعشى همذان شاعر فصيح من أهل الكوفة، وكانت تحته أخت الشّعبي الفقيه، وكان الأعشى بدوره فقيها قارئا ثم اشتغل بالشّعر وقدم دمشق في صدر أيّام بني امية وفي ولاية مروان، وخرج مع ابن الأشعث فقتله الحجّاج سنة 83هـ.الأصفهاني: الأغاني، ج5، ص 1951، ابن عساكر: المصدر السّابق، ج34، ص 478-487.

(6) _ الأصفهاني: الأغاني: ج8، ص 3929.وفي الشّعر الاموي استُخدم الهزل كثيرا ومجانبة الحقيقة التاريخية في كثير من الأمور أنظر: A.F.L Beeston: arabic literature, p 411.

(7) _ يذود أي يحامي ويدافع. لسان العرب، مج3، ص 1525، مادة ذود.

(8) _ البلاذري: أنساب، ج7، ص 238.

أمّا بعد، فقد بلغَ أمير المؤمنين أنّك تُنفق في اليوم ما لا يُنفِقُ أمير المؤمنين في الأسبوع[1]، وتُنفق في الأسبوع ما لا يُنفقه[2] أمير المؤمنين في الشهر،

عليكَ بتقوى الله في الأمر كلِّه وكن لوعيده تَخشَى وتَضرعُ[3]

ووَفِّر خَراج المؤمنين وفَيئَهم وكنْ لهم حِصنا يُجيرُ ويمنعُ» [4].

لقد أعطى خلفاء بني أميّة صلاحيّات واسعة للولّاة في إطار ونطاق مبدأ اللّامركزية التي انتهجوها في إدارة شؤون الدّولة، إلاّ أنّ هذه الصلاحيات كانت محلّ متابعة ورقابة خاصّة ما يتعلق منها بالجانب المالي، وبالأخصّ النّفقات، فكانت تلك سياستهم تجاه هذا الوجه من الإنفاق الإداريّ، بالتّخفيف من ظاهرة الإسراف في ذلك، والذّي استفحل خطره حتى أصبح يهدّد الدّولة بالإفلاس[5].

وهذه الرّسالة التي بين أيدينا واحدة من الرّسائل التيّ حارب فيها عبد الملك التّبذير وأنّبَ فيها الحّجاج على ذلك، راسِمًا بذلك خطّة ماليّة قائمة على التّرشيد والإقتصاد ووضع الأموال في سُلبها المشروعة.

[ردّ الحجّاج]: لما وصل الكتاب إلى الحجّاج كتب لعبد الملك:

أتَتْني كُتْب للخـــــليفة ضمَّنتْ قراطيس تُطوى كي تصانَ وتُطـــبعُ

ومنها كتابٌ فيه لين وشـــــدّةٌ وذكر، وفي الذّكرى لذي اللّبِّ منفَعُ

وكانت بلادٌ جئتُها ذات فتنـــــة بها نيرانُ كلّ الحوادث تلـــــــمعُ

فما زلتُ فيها أُعمل الحزم جاهدا فأُعطي كلّ حين العطاءَ وأمنـــــعُ

فلا تتّهـــمْني إنّني لك ناصـــحٌ ولستُ مع النّصح المبين أُضـــــيّعُ[1].

---

[1] _ كذا في الجليس الصّالح، وفي بقية المصادر "في أسبوع" .

[2] _ كذا في الجليس الصّالح، وفي بقية المصادر "ما لا يُنفق"

[3] _ في بقية المصادر "وكن لوعيد الله تخشى وتضرع"، والمثبت من الجليس الصّالح .

[4] _ أبو الفرج النّهرواني: الجليس الصالح، ج1، ص 461، ابن عساكر: المصدر السّابق، ج12، ص 153، ابن كثير: المصدر السّابق، ج9، ص 106. مع ملاحظة أن ابن كثير في روايته قال قبل سَوق الأبيات: "ثمّ قال-عبد الملك-: " فهو بذلك لم يعتبر الأبيات من الرّسالة بل أنشدها عبد الملك مشافهة بعد كتابة رسالته.

[5] _ محمّد فرقاني : رسائل الخليفة عمر، ج1، ص 453.

[1] _ البلاذري: أنساب، ج7، ص 238. ووردت الأبيات بشيء من الاختلاف في الجليس الصّالح، ج1، ص 461، تاريخ دمشق، ج12، ص 153، البداية والنهاية، ج9، ص 106.

بهذه الأبيات أوجد الحجّاج مُبررا لنفسه وكتب إلى عبد الملك أنّ الذي دعاه إلى بذل المال، إنّما هو كثرة الفتن والحوادث في إقليم شديد الإضطراب، فكيف كانت ردّة فعل عبد الملك لما وضح له الأمر؟

- ردّ عبد الملك على الحجاج بأن يَعمل برأيه في الإنفاق:

-370 -

جاء في الرّواية السّابقة عن عوانة قال: «فردّ عليه كتابه، وكتب في حاشيته: **صدَقتَ يا أبا محمد وبَرَرت**»[1].

رواية أخرى لما سبق

-370-أ-

وفي الرّواية السّابقة عن أبي عبيدة: لـمّا كتب الحجّاج إلى عبد الملك رسالته التّي وضّح فيها سبب إنفاقه وإطلاقه الأموال، كتب إليه عبد الملك :

«**إعمَل برأيِك**» [2].

فرواية البلاذري عن عوانة بيّنت أنّ عبد الملك كتب في حاشية كتاب الحجّاج وهو ما يعرّف بالتّوقيع في الكتاب، بخلاف الرّواية الثانية عن أبي عبيدة التي لم تذكر ذلك.

والظّاهر أنّ هذا كان بعد رفع ديوان العراق إلى عبد الملك بالشّام لمراقبته ومحاسبته ، إذ من غير المقبول أن يسمح عبد الملك بإسراف الأموال ، وطالما لام الحجّاج على ذلك، لذا تراجع عبد الملك عن قراره وأطلق يد الحجّاج في المال، وأمر بإمضاء رأيه وذلك لما توضّحت له الأمور وتجلّت له الأسباب، ، فالعراق إقليم شديد الإضطراب، كثير الفتن، وإنّ إصلاح حاله وإخماد فتنة لا يكون إلا ببذل المال، وبإعطاء هذا ومنع ذاك، وهذا ما وضّحه الحجاج الذي برهن في رسالته أنّه لا يقلّ حِنكة عن عبد الملك، وأنّه حريصٌ مثله على مال الأمّة، فلا يضع درهما في غير محلّه، ولا يُعطي من يجب في حقّه المنع، ولا يمنع من حقّه العطاء، فبهذا الحرص من الحجّاج، وهذه الرّقابة من عبد الملك حُفظ مال الأمة، وقادمت الدّولة على قدميها، وكان الإصلاح الدّاخلي والتّطوير شعار الخلافة وعمّالها.

---

[1] _ البلاذري : أنساب الأشراق، ج7، ص238.

[2] _ أبو الفرج النهرواني: المصدر السابق، ص 461، ابن عساكر: المصدر السّابق، ج12، ص 153، ابن كثير: المصدر السابق، ج9، ص 106.

- رسالة عبد الملك إلى الحجّاج يأمره بالإستمرار في دفع عطاء من خرج مع ابن الأشعث:

-371 -

[رسالة عبد الملك] قال ابن عياش: لمّا انهزم ابن الأشعث أمام الحجّاج يوم دير الجماجم[1] ، حرم الحجّاج من كان معه أعطياتهم عقابا لهم على صَنيعتهم، بل مع ذلك أراد قتل من بقي في ديوان ابن الأشعث من أصحابه حين ظفر بهم ، فكتب عبد الملك إليه:

« **أن يُعطي النّاس عَطاءهم**»[2].

[ردّ الحجّاج] فلمّا وصل الكتاب إلى الحجّاج، كتب جوابه إلى عبد الملك:

«إنّهم نكثوا العهد، ونقضُوا البيعة، وفارقوا الجماعة، وطعنوا على الأئمّة»[3].

- رسالة ثانية من عبد الملك إلى الحجّاج لمّا أعلمه بحبس عطاء أهل العراق بسبب خروجهم:

- 372 -

«فكتب إليه عبد الملك:

إنّما تجبُ طاعتنا عليهم بأن نُعطيهم حقُوقهم»[4].

رواية أخرى لما سبق

-372-أ-

وقال المدائني: «حرَم الحجّاج أهل العراق أعطياتهم لمظاهرتهم ابن الأشعث، وكتب إلى عبد الملك يعلمه ذلك، فكتب إليه عبد الملك:

إنّا إنّما نَستوجِب طاعتَهم بإدرار أرزاقهم، فأعطِهم إيّاها، فإنّ في ذلك أعظم الحُجّة لنا عليهم، وهَبْك حرمتَ المُقاتلة لسُوء الطّاعة فما بال الذّراري ؟»[1].

فرواية المدائني هذه لم تذكر أمر الرسالة السّابقة إلى الحجّاج وأورد هذه على أنّها أولى الرسائل بهذا

---

[1] _ سبق الحديث عنها في التمهيد.

[2] _أنساب الأشراف، ج7، ص 222.

[3] _ المصدر نفسه، ص 222.

[4] _ المصدر نفسه، ، الرّواية الأولى، ص 222.

[1] _ المصدر نفسه، الرواية الثانية ، ص 380.

الشّأن بخلاف رواية ابن عياش.

رواية أخرى لما سبق

-372-ب-

وقال البلاذري: «كتب الحجّاج إلى عبد الملك كتابا يقول فيه: إنّ الله إنّما نصَرنا بطاعته والوفاء ببيعة خليفته، وإنّما هلك أهل العراق بمعصيتهم وخلافهم ونكثهم، وإنّ لهم في هذا الفيء حقّا ونصيبًا، وأخاف إنْ حبَسناه عليهم أن ينصُروا علينا، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر لهم بحقوقهم فليفعل، وإلاّ فلا يحرمنّ أمير المؤمنين الذّرية الذّين لا ذنوب لهم، فكتب إليه:

أمُر للنّاس جميعا من أهل المِصرين مُقاتلهم وذريّتهم بحقوقهم.

فوضع الحجاج سريره في المسجد، ثمّ دعا النّاس بعد الجماجم بسنتين، فأعطاهم عطاءين للسّنة الأولى والثانية»[1].

إنّ هذه الرّواية كما عرضها البلاذري يُحيط بها الشّك، أو على الأقلّ في سببها، إذ ذكرت أنّ عبد الملك هو من قطع عطاء أهل العراق، وأنّ الحجّاج هو من طلب منه إجراءه عليهم، وهذا مخالف للرّوايات السّابقة، التّي جاء فيها أنّ الحجّاج هو من منعهم العطاء وأنّ عبد الملك هو من أمره بإجرائه عليهم، فهذه الرواية في اعتقادنا لا تصحّ لمخالفتها للرّوايات التّي نرجّح أنها أقرب إلى الصّحة.

- رسالة عبد الملك إلى الحجّاج في فَضل أموال السّواد:

-373 -

قال الماوردي : كتب الحجاج إلى عبد الملك بن مروان «يستأذنه في أخذ الفضل من أموال السّواد، فمنَعه من ذلك، وكتب إليه:

لا تكُن على دِرهمك المَأخوذ أحرصَ منك على درهمك المَترُوك، وأبقِ لهم لُحوما يعقِدون بها شُحوما»[1].

لقد أشار عبد الملك في رسالته هذه على الحجّاج بضرورة ترك بعض المال لأصحاب الأراضي ، حتّى يتسنّى لهم القيام بأعمالها واستصلاحها وزراعتها، إذ أنّ الإقتار وكثرة الضّرائب مُهلك لهم، وقد يحملهم على ترك أراضيهم وفي هذا سياسة حكيمة رشيدة.

---

[1] _ أنساب الأشراف، الرّواية الثالثة، ج7، ص 358.

[1] _ الماوردي: الأحكام ، ص 267 ، الثّعالبي : خاص الخاص، ص 128.

وهذا هو منهج عبد الملك الّذي وضّحه للحجّاج وبقية ولاته بعد أن قطع شوطا بعيدا في إصلاح الحال بتوزيع الثروة بعدل بين مختلف أقاليم الدّولة وسكّانها، إذ لم تبقَ الأغلبية السّاحقة تكدح، وثمرة جهدها تتمتع به القلّة الحاكمة، ولم يتحقّق ذلك إلاّ بعد تأصيل قيم الحقّ والعدل اللّتان هما أساس وفرة الثّروة وازدهار العمران وانتشار الأمن واستتابته [1].

- رسالة عبد الملك إلى الحجّاج يأمره بالفرض لخارجي:

-374 -

أمسك الحجاج أحد الخوارج وهمّ بقتله، فسمع ضجّة بالباب، فإذا هم ثلاثة وعشرون إمرأة، كلّهن أهل بيت هذا الخارجي الذي همّ بقتله، فتكلّمن عند الحجاج، وأخبرنه بأنّه مُعيلهم، فخلّى الحجّاج سبيله، وزاد في عطائه مائة دينار، وكتب إلى عبد الملك يُخبره بذلك، فكتب إليه عبد الملك:

«زِدْ في عطائه دنانير أخرى.

فصارت له زيادتان، زيادة الحجّاج وزيادة عبد الملك بن مروان»[2].

لقد أدى بذل المال لاصطناع الأحزاب من قِبل بني أميّة إلى خرق كثير من القواعد التي وضعها الخلفاء الرّاشدون، فقد اضطرّوا إلى إصطناع الرّجال، وجمع الأحزاب واسترضاء القبائل، ولم يُبالوا بشيء في سبيل تحقيق أغراضهم[3].

- رد عبد الملك على رجاء ويزيد بن سلام يهَبُهما ما تبقّى من مالِ قبّة الصّخرة:

-375 -

[رسالة عبد الملك] قال الواقدي: «لما فرغ من رجاء بن حيوة ويزيد بن سلام[1]من عمارة القبة على أكمل الوجوه، فضَل من المال الذي أنفقاه على ذلك ستمائة ألف مِثقال[2]، وقيل ثلاثمائة ألف مثقال، فكتبا إلى عبد الملك يخبرانه، بذلك فكتب إليهما:

قد وهبتُه لكُما.

---

(1) _انظر ابن عساكر: المصدر السّابق، ج56، ص 168.

(2) _ ابن أعثم: الفتوح، ج7، ص 66 وروايته لا سند لها.

(3) _ أحمد إسماعيل علي: تاريخ بلاد الشام، ص 310.

(1) _ يزيد بن سلام لم نحصل له على ترجمة.

(2) _المثقال هو الوزن المعلوم، والمثقال واحد مثاقيل الذّهب، ودينار ثاقل، إذا كان لا ينقص. لسان العرب، مج1، ص 494، مادة ثقل.

[ردّ رجاء ويزيد] فكتبا إليه: إنّا لو استطعنا لزِدنا في عمارة هذا المسجد من حليّ نسائنا»[1].

- ردّ عبد الملك على رجاء وابن سلام لمّا رفضا أخذ المال:

-376 -

وفي تتمّة رواية الواقدي السّابقة: لما كتب رجاء وابن سلام إلى عبد الملك: «إنّا لو استطعنا لزِدنا في عمارة هذا المسجد من حليّ نسائنا، فكتب إليهما:

إذا أبيتُما أن تَقبلاه، فأفرِغاه على القُبّة والأبواب .

فما كان أحدٌ يستطيع أن يتأمّل القبّة ممّا عليها من الذّهب » [2].

لقد تواصل اهتمام الخُلفاء في العصر الأموي ببيت المقدس لا سيما بعد أن أصبحت بلاد الشّام مركزا للدّولة العربية الإسلامية، وعلى الرغم من إختيار دمشق عاصمة سياسية للدّولة نجد أنّ بعض الخلفاء كانوا يُولُون مدينة القدس عناية واضحة، نظرا لقدسيّتها ومكانتها لدى المسلمين، فقد حرص معاوية قبل هذا أن يتلقّى بيعته بالخلافة في مدينة القدس، وهذا له دلالته الدّينية والسّياسية لتأكيد قدسيّة المدينة، وشهدت مدينة القدس في خلافة عبد الملك، اهتماما مُتزايدا فاق كلّ من كان قبله، فقد عمل على تثبيت مظاهر الإهتمام الفعلي بعمارة المسجد الأقصى، وقبّة الصّخرة فزاد إرتباط المدينة بغيرها من الأماكن، ويجب التأكد بأنّ هذا الإهتمام لم يأت أبدا من فراغ، بل من رغبة أكيدة في إظهار هذا المكان المقدّس بمظهره اللاّئق الذّي يناسب قدسيّته، واعتقاد المسلمين بأنّه قد عُرج بالرسول ﷺ إلى السّماء منه وفي هذا تأكيدٌ لحقّ العرب والمسلمين في هذه المدينة المقدّسة[3] وتخليدًا للمكان والذّكرى من قِبل عبد الملك وبالتّالي تخليد نفسه[1].

- رسالة عبد الملك ليُجبَى على عمر بن عبد العزيز عطاءه:

- 377 -

قال ابن عبد الحكم: سار عبد العزيز بن مروان إلى مصر أميرا عليها، ثمّ كتب إلى زوجته أمّ عاصم[2]

---

[1] _ ابن كثير: المصدر السّابق، ج8، ص 237.

[2] _ المصدر نفسه، ص 237.

[3] _عبد الواحد ذنون: مواقف ودراسات، ص 83-87.

[1] _ شحاذة النّاطور: تجديد الدّولة، ص 215.

[2] _أم عاصم: قيل اسمها ليلى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، أم عمر بن عبد العزيز، سكنت دمشق مدّة، أمّها أم عمارة بنت سفيان بن عبد الله الثقفي. ابن عساكر: المصدر السّابق، ج70، ص 249، 254.

أن تقدُم عليه، وتقدم بولدها عمر، «فأتتْ عمّها عبد الله بن عمر، فأعلمتُه بكتاب زوجها عبد العزيز إليها، فقال لها: يا ابنة أخي هو زوجك فالحقِي به، فلمّا أرادت الخروج قال لها: خلّفي هذا الغلام عندنا- يريد عمر- فإنّه أشبهكم بنا أهل البيت، فخلّفتهُ عنده ولم تُخالفه، فلمّا قدمت على عبد العزيز إعترض ولَده، فإذا هو لا يرى عمر، قال لها: وأين عمر؟ فأخبرته خبر عبد الله، وما سألها من تخليفِه عنده لشبهه بهم، فسُرّ بذلك عبد العزيز، وكتب إلى أخيه عبد الملك بن مروان يُخبره بذلك، **فكتب عبد الملك:**

أن يُجرَى عليه ألف دينار في كلّ شهر.

ثم قدِم عمر على أبيه بعد ذلك مسلّما عليه، فأقام عنده ما شاء الله»[1].

هذه واحدة من الرّوايات القليلة التّي ذكرت مقدار عطاء آل بيت بني أميّة، فقد أجرى ألف دينار على عمر، وهو مبلغ كبير آنذاك، إن لم نقل بالغت الرّواية في تقديره ، إلّا أن يكون سنويّا.

- ردّ الوليد على الحجّاج حين لامَه في مُخالفة أبيه:

-378-

قال ابن عبد ربّه: بلغ الحجّاج أنّ الوليد بن عبد الملك لم يحسن التّصرّف فيما خلّف له عبد الملك، فكتب إليه يُنكر ذلك عليه، ويعرّفه أنّه على غير صواب، فوقّع في كتابه:

« **لَأَجمَعنَّ المال جمعَ من يعيشُ أبدا، ولَأُفرّقنَّه تفريق من يموتُ غدًا**»[2].

- رسالة الوليد إلى الحجّاج بشأن أموال آل المهلّب:

-379-

كان الحجّاج كارها لآل المهلّب ، ولولاية يزيد الذّي ما فتِئ يعارضه ويستهين بفتوحات قائده قتيبة بن مسلم ، لذلك كان الحجّاج متتبّعا لأعماله شديد المراقبة له ولأهله ، ومحاسبا إيّاهم على الأموال .

قال الأصمعي: «كتب الحجّاج إلى الوليد بن عبد الملك يذكر عَسفَه آل المهلّب، ومطالبته إيّاهم بما اختانوا من الأموال، فوقّع في كتابه بخطه:

ليس لِلخائن حُرمة تبعثُ الأحرارَ عن ترفِيههم، فإيّاك وتضييع حقٍّ قد وجب، وأمانة مالٍ خطير يزيِّن ويحصّن الخلافة، ويُؤخذ من خائنٍ لم يشكر عليه، ويُدفع إلى ناصح يحتاج إليه.

---

[1] _ سيرة عمر بن عبد العزيز، ص 21 .

[2] _ العقد الفريد، ج4، ص 290 .

فلمّا قرأ الحجّاج كتابه أنشأ يقول متمثّلا بشعر رجل من بني كلاب:

وإنّي لـــــصوّانٌ لنفسي وإنّني على الهولِ أحيانا بها لَرحُومُ

وإنّي لأُزري[1] في خلال كثيرة على المرء أن يختال وهو لئيمُ» [2].

لقد حرص خلفاء بني أميّة على إنفاق المال في سبله المشرُوعة، وأحكموا القبض على كل من تسوّل له نفسه خيانة أو اختلاسا بغير وجه حقّ، فالمال عندهم أمانة، وهم مسؤولون عن المحافظة عليه وإنفاقه في سُبله المشروعة.

- رسالة الوليد إلى الحجّاج في مال أخيه محمّد بن يوسف:

-380-

قال المبّرد: كان محمّد بن يوسف أخو الحجّاج واليا على اليمن من قِبل عبد الملك وابنه الوليد[3]: فلمّا توفّي[4] كتب الحجّاج إلى الوليد: « أُخبر أمير المؤمنين أكرمه الله أنّه أُصيب لمحمد بن يوسف خمسون ومائة ألف دينار، فإنْ يكن أصابها من حِلِّها فرحمه الله، وإن تكن من خِيانة فلا رحمه الله، فكتب إليه الوليد:

أمّا بعد، فقد قرأ أميرُ المؤمنين كتابك فيما خلَّف محمد بن يوسف، وإنّما أصاب ذلك المالَ من تجارة أحْلَلناها له، فترحَّمْ عليه رحِمه الله»[5].

من خلال هذه الرّواية يظهر لنا تودّدٌ زائد من الحجّاج وتصنّعٌ أمام الوليد، لم يكن له لُزوم على ما يبدو، إلاّ أن الأهمّ في الرّواية ما نلمسه من أنّ الوليد كان وقّافا على أموال الدّولة وأين تنفق، وعلى أحوال ولاّته، لاتخفى عليه خافية من أنبائهم، خاصّة ما تعلّق بثروتهم ومالهم، فقد كان عالما بمكابسهم ومداخلهم، منتهجا في ذلك سياسة إداريّة محكمة شعارها من أين لك هذا ؟.

---

[1] _الأزر الإحاطة، وأزر في الأمر ساواه وحاذاه. لسان العرب، مج1، ص 70، 72، مادة أزر.

[2] _الجليس الصالح ، ج1، ص 530.

[3] _ انظر : تاريخ خليفة ، ص 199 ، ابن عساكر : تاريخ دمشق ، ج56 ، ص 308.

[4] _ كانت وفاته سنة 91هـ . ابن عساكر : المصدر السابق ، ج56 ، ص 316.

[5] _ الكامل في اللغة والأدب، ج1، ص 305.

الفصل الثّاني:

الرّسائل الخاصّة بخدمة الأرض والبناء و التّعمير

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تـمهيـــد:

إهتمّ الأمويّون بخدمة الأرض والبناء وبقيّة مجالات التعمير وقد أنفقوا على ذلك أموالا كثيرة، خاصّة ماتعلّق منها ببناء المساجد وزخرفنها، وخدمة الأراضي وإعمارها وتسهيل سُبل زراعهتها واستثمارها.

إنّ الإسلام عني بالزراعة عناية فائقة وأعطى أولويّة وأفضليّة العمل بها على غيرها من المهن الأخرى كالصناعة والتّجارة، وذلك بشحذ الهمم نحو الإنطلاق لآفاق واسعة رحبة في استصلاح أراضي جديدة وأعمارها، بإخراج مائها ومرعاها وقد كانت النّصوص والتعاليم الإسلامية الأساس الذي إرتكز عليه الفقهاء في القول بأنّ العمل بالزراعة من فروض الكفاية، بل كانت من أهمّ الأسباب التي حفّزت هِمّة الخلفاء المسلمين، وأجمعت كلمتُهم إلى العناية بكلّ ما يعود على الإستغلال الزّراعي بالخير والنّفع[1].

وتؤكد مشروعيّة الإحياء وما يترتّب عليه من محاسن، وما يحقّق من تطبيق أحكام الشرع في الدعوة إلى إصلاح الأرض، والتّرغيب بالبناء والعمران والزراعة، والإشادة بالمزارعين مع الدعوة إلى تنظيم الأرض، وإقامة البناء عليها، وما يترتّب على الإحياء من نماء الثّروة وزيادة الخصب وتوفير القُوت، وتأمين الغذاء[2].

وعلى هذا الأساس اتّجه خلفاء بني أمية إلى الإهتمام بالزراعة أصل جباية الخراج، كما اهتموا بمياه الأنهار، فأقاموا عليها السّدود خاصّة بالعراق لحمايتها من الفيضانات، وشقّوا الجداول، واستخدموا هذه المياه في الزراعة التي أبرزوا قصب السّبق فيها[3]، وشهد عهدهم عملية مسح الأراضي، ونقل المزارعين وتخفيف المستنقعات[4].

وقد ثبت أنّ مسلمة بن عبد الملك طلب من أخيه الوليد أن يعطيه خراج الأراضي المنخفضة بالبطائح لأجل أن يبني سدّها، فمنحه ذلك فحفر نهرين[5]، ولا عجب فقد اشتهر عهد الوليد بالزّراعة والبناء، وكان صاحب ضياع، فكان النّاس يتساءلون في زمانه عن البنيان والمصانع والضياع وشقّ الأنهار وغرس الاشجار[6].

«إنّ نظام إحياء الموات وإصلاح الأراضي البور، وتقديمها لمن يقوم عليها يحقّق التوزيع العادل لمصادر

---

(1) _ عاطف أبو زيد : إحياء الأراضي الموات، ص27.

(2) _ محمد الزحيلي : إحياء الأراضي الموات، ص17.

(3) _ عاطف أبو زيد : المرجع السابق، ص47.

(4) _ شحاذة الناطور : تجديد الدّولة الأموية، ص218.

(5) _ قدامة بن جعفر : الخراج، ص169، 170، صفاء حافظ: المرجع السابق، 30.

(6) _ مسكوية : تجارب الأمم، ج2، ص280، الطرطوشي: المصدر السابق، ص146.

الإنتاج للأفراد والأمّة، وإن إقترن بمساعدات من الدّولة، وتنظيم من إدارتها، وإشراف مباشر من هيئاتها، فإنّه يقضي على استغلال المالك للفلّاحين، ويزيل ويلات ومآسي ومشاكل النّظام الإقطاعي والرأسمالي، فتتحقق العدالة بين النّاس وتقلّ الفوارق الطبقية والإجتماعية بينهم»[1].

أما بخصوص العمران، فقد كان لانتقال الحكم إلى بني أميّة، وانتقال عاصمة الدّولة الإسلامية من المدينة إلى دمشق خاتمة لعصر الخلفاء الرّاشدين الذي غلب فيه على المسلمين تجنّب البذخ والتّرف، وبدأ الأمويّون يفكرون في تشييد مساجد توازي في العظمة كنائس المسحيين، ويتّخذونها تُحفا فنية تتّفق وعظمة ملكهم الجديد، وكان جل اعتماد الأمويين في بداية الامر على عمال وفنانين من بيزنطة ومن أهل البلاد كما كان من الوليد عند بنائه لمسجد دمشق[2].

مع ملاحظة أنّ عملية البناء والتّشييد هذه قد كلّفت ميزانية الدولة أموالا عظاما، بلغت أحيانا حد الإسراف والتّبذير، وقد ثبت أنّ الوليد لما بنى جامع دمشق أنفق عليه الكثير من الأموال، فلمّا تولى عمر بن عبد العزيز زهد في ذلك وقال: رأيت أموالا أنفقت في غير حقّها، أنا مستدرك ما استدركتُ منها، فرادُّه إلى بيت المال، أعمد إلى ذلك الفسيفساء والرّخام فأقلعُه وأطيّنه، وأنزع السلاسل وأجعل مكانها حبالا، فمنعه أهل دمشق فتراجع عن فعله[3].

ومهما يكن فإنّ الأمويّين بحق كانوا بنائين كبارا يبنون على مختلف طرز البناء فكانت مآثرهم جديرة باهتمام خاصّ، على الرغم من القليل الذي بقي على حالته الناجزة ، ورغم غمط حقّ بني أمية في ذلك زمنا طويلا، غير أنّ تاريخ الفن والبناء في عصرهم برهن بما لا يحتمل الشكّ على أنّهم في أمد يسير تذوّقوا من الفن ما لم يتذوقه غيرهم في قرون[4].

---

[1] _ محمد الزحيلي : المرجع السابق، ص18.

[2] _ زكي محمد حسن : في الفنون الإسلامية، ص10، 11.

[3] _ ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار، ج1، ص190، محمّد عبد الحي: صدر الإسلام ، ص132.

[4] _ يوسف العش: الدولة الأموية، ص347، كلود كاهن: الإسلام، ص80، 81 ، ظافر مظفر العميد: نظام الإستدعاء ، ص92.

أوّلا– الـــــرّسائل الخاصّة بخدمة الأرض وإعمـــــارها:

- رسالة معاوية إلى عامله بالمدينة في إجراء عين إلى أحد:

- 381 -

[رسالةمعاوية]عن جابر بن عبد الله قال: «**كتب معاوية إلى عامله بالمدينة أن يجري عينا إلى أُحد**[1]

[ردّ عامله] فكتب له عامله: إنّها لا تجري إلا على قبور الشهداء»[2].

- ردّ معاوية على عامله يأمره بتنفيذ ما أمر به:

- 382 -

فكتب معاوية إلى عامله : « **أن أنفذها**»[3].

رواية أخرى لما سبق:

- 382 – أ -

وذكر ابن الجوزي رواية أخرى لماسبق قال : «**فكتب: انبشوهم**»[4]

قال: فسمعت جابرا يقول فرأيتهم يخرجون على رقاب الرجال كأنهم نُوّم ، حتى أصابوا قدم حمزة فانبعثت دما[5].

ويظهر ممّا كتب به في تقديرنا خاصة من رواية ابن الجوزي أنّه أمر بنقل بعض شهداء أحد الذّين كشف مجرى السّيل عنهم، وقد حصل مثل هذا سنة 46 هـ ، حين حفر السّيل قبر عمرو بن الجموح وعبد الله بن عمرو الأنصاريّين، فحُفر عليهما ليغّير قبرهما وقد كانا في قبر واحد[6].

---

(1) _ يقصد المكان الذّي كانت فيه غزوة أحد.

(2) _ ابن الجوزي: كشف المشكل من حديث الصّحيحين ، ج1 ، ص712 ، صفة الصّفوة ،ج1، ص377.

(3) _ ابن الجوزي : كشف المشكل من حديث الصّحيحين ،ج1 ، ص712.

(4) _ صفة الصّفوة ،ج1، ص377.

(5) _ ابن الجوزي : كشف المشكل من حديث الصّحيحين ،ج1، ص712 .

(6) _ موطأ مالك، كتاب الجهاد ، باب الدّفن في قبر واحد، ص470، عن عبد الرّحمان بن أبي صعصعة.

- كتاب عبد الملك إلى عامله في إصلاح أرضه:

- 383 -

قال الأزهري :كتب عبدُ الملك بن مروان إلى وكيل له على ضيعة له:

« أمّا بعد فلا تَدَعْ خَقاً[1] في الأرض ولا لَقاً[2] إلا سَوَّيْتَه» [3].

- رسالة عبد الملك إلى عامله بمكّة في أمر السّيول:

-384 -

عن أبي خرّبوذ المكّي قال: كانت السّيول بمكة أربعة منها سيل أمّ نهشل[4] وكان في زمن عمر بن الخطاب أقبَل السّيل حتى دخل المسجد من على مكّة، فعمل عمر الرَّدْمَين[5] جميعا الأعلى والأسفل، وفي سنة ثمانين (80 هـ) زمن عبد الملك بن مروان ضجّ بهم السّيل، فذهب بأمتِعة الحُجّاج، وأحاط بالكعبة،

«فكتب عبد الملك إلى عبيد الله بن سفيان المخزُومي[6]، ويُقال بل كان عامله يومئذ الحارث بن خالد المخزومي[7] الشاعر يأمره بعمَل ضَفائر[8] الدُّور الشّارِعة[9] على الوادي وضَفَائر المسجد، وعمل الرّدم على أفواه السِّكك[1] لتجُصّ[2] دور النّاس.

---

(1) _ الخقّ هو الجُحر ، وشبه الحفرة ، ويطلع على الغدير اليابس إذا جفّ. لسان العرب، مج2 ، ص 1219، مادّة خقق.

(2) _ اللّقّ هو الصّدع ، والشّقّ المستطيل. لسان العرب، مج 5 ، ص4063، مادّة لقق.

(3) _ تهذيب اللّغة ، ج6 ، ص 541، مادّة خق، ابن منظور: لسان العرب، مج 3 ، ص 1536، مادّة خقق.

(4) _ سيل أمّ نهشل بمكّة. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص 299.

(5) _ الردّم أكثر من السدّ، وهو ما جُعل بعضه إلى بعض . لسان العرب ، مج3، ص 1627، مادة ردم.

(6) _ عبيد الله بن سفيان المخزومي بن عبد الأسد بن هلال القرشي المخزومي حجازي مشهور بكنيته، وهو أبو سلمة له صحبة، أمّه بنت عبد بن أبي قيس ن هاجر إلى الحبشة في الهجرة الثّانية، وقُتل يوم اليرموك شهيدا في خلافة عمر بن الخطاب. تاريخ خليفة، ص 71، ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج37، ص 466، 467، ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج2، ص 347.

(7) _ هو الحارث بن خالد العاص بن هشام القرشي المخزومي المكّي الشاعر، قيل أنه ولي مكّة لمعاوية، ولاّه يزيد بن معاوية مكة أيّام ابن الزبير سنة 63 هـ فلم تتمّ ولايته ، ووفد على عبد الملك في دمشق ويكنّى أبا وابضة ،وكان يهوى عائشة بنت طلحة بن عبيد الله وشبّب بها، تولّى مكة لعبد الملك وتوفي بعد سنة 80هـ. تاريخ خليفة ص 156، أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ج3، ص 1021، 1022،ابن عساكر: المصدر السابق، ج11، ص 415- 419، الزركلي: الأعلام، ج2، ص154.

(8) _ الضفيرة مثل المسنّات المستطيلة في الأرض، بهاخشب وحجارة والظفر البناء بغير كلس ولا طين. لسان لعرب، مج1، ص 2594، مادة ضفر.

(9) _ الشّارعة أي أبوابها مفتوحة إلى الوادي، والمقصود الفج الذّي تسلكه المياه. لسان العرب ، مج4، ص 2239، مادة شرع.

(1) _ السّكة الطريق، وهي أوسع من الزّقاق وسميت بذلك لاصطفاف الدّور فيها. لسان العرب ، مج3، ص 2051، مادة سكك.

(2) _ جصّ بالأصل طلاء بالجصّ، ويعني هنا تحصّن دور النّاس. لسان العرب، مج1، ص 630، مادة جصص.

وبعث لذلك رجلا نصرانيّا فاتّخذَ الضفائر وردَم الرّدم» [1].

إنّ رواية البلاذري هذه يكتنفها الغموض خاصّة في تحديد والي مكّة، ومن المستبعد أن يكون واليها زمن عبد الملك عبد الله بن سفيان المخزومي، فالمعلوم أنّه تُوفي يوم اليرموك في خلافة عمر بن الخطّاب كما هو مبيّن في ترجمته بالهامش، لذا نرجّح أنه كتب إلى الحارث بن خالد المخزومي بعمل الضفائر والردّم.

إنّ هذا الموقع لمكّة في واد غير ذي زرع، أدّى إلى أنّ سادة مكة، وخلفاء بني أميّة يأخذون على عاقهم حمل مسؤولية حمايتها من السّيول، وتهيئة طُرقها، وتحصين دور النّاس بها، هذا بالإضافة إلى توفير مياه السّكان وإيجادها، ممّا حَدى بهم الأمر إلى القيام بحفر الآبار الكثيرة ولا سيما للشّرب ، فالذي يتولّى أمر السّقاية تشغله مشكلة المياه وتوفّرها ، وذلك لأنّ توفير الماء الكافي للحجّاج لم يكن بالأمر السّهل أو الهيّن[2].

- رسالة الوليد إلى عمر وبقية الأقاليم بتسهيل الثّنايا وحفرّ الآبار:

-385 -

قال صالح بن كيسان[3]: «**كتَب الوليد إلى عمر: في تَسهيل[4] الثَّنَايا[5] وحفرِ الآبار بالمدينة ، وخرجت كُتبه إلى البلدان بذلك، وكتب الوليد إلى خالد بن عبد الله بذلك**»[6]. وكان ذلك سنة 88هـ.

---

[1] _البلاذري : فتوح البلدان، ص 72.

[2] _ نهال خليل : الآبار المكيّة، ص 2.

[3] _ صالح بن كيسان، الإمام الحافظ الثّقة أبو محمد المدني مؤدّب ولد عمر بن عبد العزيز، يقال مولى بني غفار، كان عالما جامعا للحديث والفقه، ولقي جماعة من الصّحابة، تتلمذ على يد الزّهري ومات في الثمانين من عمره بعد سنة 140، وقيل عمرة مئة سنة . ابن عساكر: المصدر السّابق، ج 23، ص 362-327، الذهبي: سير، ج5، ص 456، تاريخ الإسلام، ج4، ص 86، ابن حبّان: الثّقات، ج6، ص 454، 455.

[4] _تسهيل أي جعله سهلا، ووطّأة. لسان العرب ، مج3، ص 2134، مادة سهل.

[5] _الثّنايا: جمع ثنيّة وهي الطّريقة في الجبل، وقيل هي العقبة وقيل هي الجبل نفسه بعرض الطريق، فالطّريق تأخذ فيه، وكلّ عقبة مسلوكة ثنيّة .لسان العرب، مج1، ص 516، مادة ثنى.

[6] _ تاريخ الطّبري، ج6، ص 437 ، الذّهبي: تاريخ الإسلام، ج3، ص14 ، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج4، ص 247 ابن كثير: البداية والنّهاية، ج9، ص 63. وقد أخذ روايته عن الطّبري .

- رسالة الوليد إلى عمر في إنشاء فوارة بالمدينة:

-386 -

وقال صالح بن كيسان:

كتب الوليد إلى عمر بن عبد العزيز أن يعمَل الفوّارة التي عند دار يزيد بن عبد الملك اليوم.

فعَمِلها عمر، وأجرى ماءها، فلمّا حجّ الوليد وقف عليها، فنظر إلى بيت الماء والفوّارة فأعجبته، وأمر له بقُوّام يقومون عليها، وأن يُسقى أهل المسجد منها، ففعل ذلك» [1].

ثانيا: الـــــــرّسائل الخاصّة بالبـــــناء:

- رسالة معاوية إلى عامله بالمدينة بإقامة معالم الحرم :

- 387 -

قال الصحّاري : رأى معاوية أنّه من واجبه تجديد أنصاب الحرم فكتب إلى عامله بمكّة:

«يأمر إن كان كرز[2] حيا يكلّفه إقامة معالم الحرم لمعرفته بها.

وكان معمّرا فأقامهم عليها، وهي مواضع الأنصاب»[3].

- رسالة عبد الملك إلى الحجّاج يأمره بإعادة بناء الكعبة:

-388-

كان ابن الزّبير قبل مقتله هدَم الكعبة وبناها على أساسها، وأدخل الحجر فيها وجعل لها بابين موضوعين بالأرض، شرقيّا وغربيّا، يدخل من واحد ويخرج من الآخر، وقد كان وجد أساس الكعبة متّصلا بالحجر، فأعادها إلى بناء إبراهيم على ما كانت أمّ المؤمنين عائشة أخبرته عن النّبي ﷺ ، وجعل على بابها صفائح الذّهب[1].

---

[1] _ تاريخ الطّبري، ج6، ص 437 ، الذّهبي: تاريخ الإسلام، ج3، ص14 ، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج4، ص 247 ابن كثير: البداية والنّهاية، ج9، ص 63. وقد أخذ روايته عن الطّبري .

[2] _ يقصد كرز بن علقمة رضي الله عنه، قال ابن الأثير :"وهو الذي نصب أعلام الحرم أيام معاوية في إمارة مروان بن الحكم على المدينة". أسد الغابة ص1034.

[3] _ الصّحاري : الأنساب ، ص 308.

[1] _البلاذري، فتوح، ص 63، مصّنف عبد الرّزاق، ج5، ص 102، ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ج1، ص 94.

قال البلاذري: لما قتل الحجّاج ابن الزبير: «**كتب إليه عبد الملك : يأمرُه ببناء الكعبة، والمسجد الحَرام**، وقد كانت الحجارة[1] حَلحلت الكعبة، فهدَمها الحجّاج وبناها، فردّها إلى بناء قريش»[2].

رواية أخرى لما سبق

-أ-388

وقال الحميري : « لـمّا قُتل ابن الزبير رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ودخل الحجاج مكة كتب إليه عبد الملك:

أنّ ابن الزبير قد زاد في بيت الله ما ليس فيه وأحدث باباً آخر.

فهدم الحجاج منه ست أذرع وشبراً مما يلي الحجر وبناها على أساس قريش »[3].

والحق أنّ مازاده ابن الزبير من البناء وإدخال الحِجر الذي هو من الكعبة هو الصواب، بل إنّ عبد الملك عكس مابيّنت هذه الرواية كان موافقا على عمل ابن الزبير فيها، وكان يقول: وددت أنّي كنت حملت ابن الزبير أمر الكعبة وبناءها ما تحمّل[4]، ثمّ إنّ الحجّاج هو من كتب لعبد الملك في شأن زيادة ابن الزبير وليس ماذكرت الرواية هنا من أن عبد الملك هو من كتب مخالفا ابن الزبير.

رواية أخرى لما سبق

-ب-388

وقال ابن أعثم: «كان الحجّاج قد رمى الكعبة بالمنجنيق في حرب ابن الزّبير، وبعد الفراغ من حربه كتب إلى عبد الملك، يُخبره بأنّ الكعبة قد انتقَض بعضها لِما أصابها من حجارة المنجنيق، وقد كنتُ هممتُ على بنائها، فلم أحبّ أنّ أَقدِم على شيء من أمرها دون أن استطلع رأي أمير المؤمنين، فلمّا ورد كتاب الحجّاج على عبد الملك دفع إليه ما أحبّ من الأموال وكتب إلى الحجّاج:

إنّي قد بعثتُ إليك بأخي عبد الله بن مروان ليَكُون هو الذّي يَتولّى أمر الكعبة، فإنّ الكعبة لا يبنيها ولا يتولّى أمرها إلاّ قُرشيّ، فإذا قدِم عليك فقُم معه وأعِنه، وإن إحتاج شيئا من المال فادفَع له، واضمُم إليه جماعة من مَشايخ قُريش من أهل مكّة ليَقوموا معه في بناء الكعبة، والسّلام» [1].

---

[1] _يقصد حجارة المنجنيق.

[2] _فتوح البلدان، ص 63 .

[3] _الرّوض المعطار ، ص 94.

[4] _البلاذري: فتوح البلدان، ص63.

[1] _الفتوح ، ج6، ص 344 .

إنّ الشكّ يحيط كثيرا برواية ابن أعثم، وفي إعتقادنا أنّ عبد الملك لم يبعث بأخيه إلى الحجّاج في أمر الكعبة، بل الحجّاج هو من تولّى هدمها وبناءها، وردّها إلى بناء قريش.

ويظهر أنّ الحجّاج هدم جدار الكعبة الذي يلي الحجر، ثمّ بناه على مكان بناء قريش، وأخرج الحجَر، ، وسدّ الباب الخلفي، ورفع الباب الموجود الآن، وأعاد الكعبة على ما كانت عليه على بناء قريش، إلا الإرتفاع بقي كما هو على بناء ابن الزّبير[1].

- رسالة عبد الملك إلى أخيه عبد العزيز أن يوجّه لتونس ألف قِبطي يعمرُون دار الصّناعة:

-389 -

قال البكري: «دخل حسّان تونس، وبنى بها مسجدا، وخلف فيها طائفة من المؤمنين، وأغارت الرّوم من البحر على ما بقي فيها من المسلمين، فقَتلوا وسَبوا وغنموا، ولم يكن للمسلمين شيء يُحصّنهم من عدّوهم، ووصل الخبر إلى حسّان فرحل إلى تونس، وأرسل أربعين رجلا من أشراف العرب إلى عبد الملك بن مروان، وكتب إليه بما نال المسلمون من البلاد، فلمّا بلغ ذلك عبد الملك عَظُم عليه الأمر، وأشار عليه أنس بن مالك بالنُّصرة ليكون له ثوابها، فكتب عبد الملك أخيه عبد العزيز – وهو وال [على] [2] مصر– :

أن يوجّه إلى معسكر تونس ألف قِبطي بأهله وولده، وأن يَحمِلهم من مصر، ويُحسنُ عَونهم حتّى يَصِلوا إلى تَرشِيش[3] وهي تونس» [4].

رواية أخرى لما سبق

-389-أ

وذكر ابن أبي دينار رواية أخرى لما سبق قال: «وقيل أنّ الوليد بن عبد الملك بن مروان لما علِم أنّ الرّوم أغارت على تونس، وبلغ ذلك من المسلمين كلّ مبلغ، وأنّ حسّان بعث إلى الوليد يُعلمه بإذاية الرّوم، **كتب الوليد إلى عمّه عبد العزيز بن مروان وهو والٍ على مِصر وإفريقيّة أن يُوجّه ألف قِبطيّ وألف**

---

[1] _ الطّبري: المصدر السّابق، ج5، ص 582، مصنّف عبد الرّزاق، ج5، ص 89، ابن فضل الله العمري: المصدر السابق، ج1، ص 133، عمر فرّوح: الحجّاج بن يوسف، ص 8، شرف بن علي الشّريف: الكعبة، ص 140.

[2] _ما أُثبت من المؤنس.

[3] _ترشيش اسم مدية تونس التي بإفريقية وهو اسمها بالرّومية . ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج2، ص 22

[4] _المُغرب، ص 38 ، ابن أبي دينار: المُؤنس الرّواية الأولى، ص 11، 12 وأخذ روايته عن البكرى .

قِبطيّة، ويحملهم إلى بلاد إفريقيّة، وأمره أن يَخرق البحر إلى تونس»[1].

الثّابت أنّ هذا إنّما كان في ولاية عبد الملك وليس الوليد إذ أنّ حسّان لمّا قفل من إفريقية سنة 78هـ لم يعُد إليها وتولّى بعده موسى بن نصير إلى آخر خلافة الوليد[2]، ثمّ إنّ عبد العزيز بن مروان توفّي سنة 85 هـ قبل خلافة الوليد[3] وهذا ما يُفنّد صحّة كتابة الوليد إلى عمّه عبد العزيز، وإنّما كان ذلك على يد عبد الملك.

- رسالة عبد الملك إلى حسّان لبناء دار الصّناعة:

-390 -

قال البكري في تتمّة روايته السّابقة: «كتب عبد الملك إلى أخيه عبد العزيز –وهو وال على مصر– أن يوجّه إلى مُعسكر تونس ألف قِبطي بأهله وولده، وأن يحمِلهم من مصر، ويُحسن عونهم حتّى يصِلوا إلى ترشيش وهي تونس، **وكتب إلى ابن النُّعمان:**

يأمُره أن يبني لهم دار صناعة تكون قوّة وعُدّة للمسلمين إلى آخر الدّهر، وأن يجعل على البرّبر جرَّ الخشب لإنشاء المراكب، ليكون ذلك جارِيًا عليهم إلى آخر الدّهر، وأن يصنع بها المراكب، ويجاهد الرّوم في البرِّ والبحر، وأن يُغار منها على ساحل الرُّوم، فينشغلوا عن القيروان نظرا للمسلمين وتَحصينا لشأنِهم.

فوصل القبط إلى حسّان وهو مقيمٌ بتونس، فأجرى البحر من مرسى رادس[4] إلى دار الصّناعة، وجرّ البربر الخشب، وجعل فيها المراكب الكثيرة، وأمر القِبط بعمارتها»[5].

فبعد تطويد الأمور تفرّغ حسّان لتنظيم ما فتحه من مناطق فدوّن الدّواوين، وألزَم أهل البلاد بدفع خراج الأراضي، خاصّة الرّوم الذين فضّلوا البقاء في البلاد، كما بنى تونس كبديلٍ عن قرطاجنّة، وبنى بها دارا لصناعة السّفن وحفر قناتها البحريّة، وأنشأ المساجد في المدن والقرى[1] وبذلك يُعتبر حسّان المرسّخ الثّاني

---

(1) _ المصدر السابق ، الرّواية الثانية، ص 12.

(2) _انظر تاريخ خليفة، ص 174، ابن عساكر: المصدر السابق، ج12، ص 451.

(3) _تاريخ خليفة، ص 183.

(4) _ رادس: البحر الذي على ساحله تونس بإفرقية، وبذلك سُمّي ميناؤها ورادس أيضا اسم قرية بتونس. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص 12.

(5) _البكري: المصدر السابق، ص 38، 39. ابن أبي دينار : المصدر السابق، ص 12 وقد أخذ روايته عن البكري.

(1) _ ابن عساكر : المصدر السابق، ج12، ص 451، الذهبي: سير أعلام، ج4، ص 140.

للوجود الإسلامي بإفريقية بعد عقبة وأبي في المهاجر دينار، إلاّ أنّ عبد العزيز إستبدله بموسى بن نصير[1].

هذا وقد عُرف الأقباط بإتقانهم للصّناعة والبناء[2]، لذلك كتب عبد الملك، بتوجيه الأقباط لإعمار دار الصّناعة، فساهموا مع البربر في البناء، فتقرّر أن يكون جلب الخشب من الجبال الدّاخلية وتكليف يقومون به، أشبه بالخدمة الإلزاميّة، فلمّا كان موسى بن نصير عَمد إلى توسيع دار الصّناعة بتونس، وهذا الإهتمام من الأمويين بدار الصّناعة هو الذّي مهّد وساعد على غزو صقليّة في أيّام الأغالبة[3].

- رسالة الوليد إلى عمر بن عبد العزيز يأمرُه بِهدم مسجد الرّسول وتوسِعته:

- 391 -

قال محمد بن جعفر بن وردان البّناء: أمر الوليد بن عبد الملك بِهدم مسجد رسول الله، وهدم بيوت أزواجه وإدخالها في المسجد، فأبى عليه أعيان المدينة فكتب عمر إلى الوليد بما كان منهم، فبعث إليه «فدخل رسول الوليد على عمر بن عبد العزيز **بِكتاب الوليد** :

يأمرُه بإدخال حُجر أزواج رسول الله ﷺ في مسجد رسول الله، وأن يشتري ما في مُؤخَّره و نَواحيه، [وأن يُزاد فيه من جهاته الأربع][4] حتّى يكُون مائتي ذِراع [في مائتي ذراع][5] ويقول له: **قدِّم القِبلة[6] إن قدَرت وأنت تقدِر لمكان أخوالك، فإنّهم لا يُخالفونك، فمن أبى منهم فمُر أهل المصر فليُقوِّموا له قِيمة عدل ثم اهدم عليهم، وادفع إليهم الأثمان، فإنَّ لك سَلف صدق عمر وعثمان[7]»[8]**. وكان ذلك سنة 87هـ .

---

(1) _ تاريخ خليفة، ص 174.

(2) _البلاذري : فتوح، ص 13. وقد اعتمد عليهم الوليد في بناء وتوسعة المسجد النبوي أيضا . المصدر نفسه، ص 13.

(3) _ نجدة حمّاش، الإدارة، ص 222.

(4) _ إضافة تاريخ الإسلام.

(5) _ إضافة من النّجوم الزّاهرة، وفي بقية المصادر ناقصة.

(6) _في النجوم الزاهرة "وأن يقدّم القبلة" وهنا نهاية الرّواية عنده.

(7) _في الكامل "فإنّ لك في عمر وعثمان أسوة"

(8) _تاريخ الطّبري، ج6، ص 435، ابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص 283 ، ابن الأثير: الكامل، ج4، ص 246، الذّهبي: تاريخ الإسلام، ج3، ص 12، ابن كثير: البداية والنّهاية، ج9، ص 63، ابن تغري بردي: النّجوم الزّاهرة، ج1، ص 77. وقد أخذوا الرواية عن الطّبري. وعند البلاذري: " **يأمره بهدم المسجد وبنائه**" فتوح البلدان، ص 13.

- رسالة ثانية من الوليد إلى عمر بن عبد العزيز في هدم مسجد رسول الله وإعادة بنائه:

-392 -

وذكر ابن كثير في روايته السّابقة قال: لـمّا كتب الوليد بالذّي كتب إلى عمر بن عبد العزيز يأمره بهدم المسجد النّبوي وإضافة حُجر أزواج رسول الله ﷺ «جمع عمر بن عبد العزيز وجوه النّاس، والفقهاء العشرة[1] وأهل المدينة، وقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين الوليد فشقّ ذلك عليهم، وقالوا: لو تركها على حالها أولَى، لينظر إليها الحُجّاج والزُّوار فينتفعوا ويعتبروا، ويكون ذلك أدعى لهم إلى الزّهد في الدّنيا، فعند ذلك كتب عمر بن عبد العزيز إلى الوليد بما أجمع عليه الفقهاء العشرة، **فأرسَل إليه يأمرُه بالخَراب، وبناء المسجِد على ما ذكر وأن يُعلي سُقوفَه.**

فلم يجدْ عمر بُدّا من هدمها، ولما شرعوا في الهدم صاح الأشراف ووجوه النّاس من بني هاشم وغيرهم، وتباكَوا مثل يوم مات النّبي»[2].

هذا ونشير إلى أنّ المسجد النّبوي بقي على حاله زمن الصديق فلم يزد فيه شيئا، واكتفى بإصلاح ما نَخَر من سواريه بالجُذوع، ثمّ زاد عثمان فيه بعد الإستشارة زيادة كبيرة، وبنى جُدُره بالحجارة المنقوشة وسقفه بالسّاج[3] بعد توسعته ، فلم يشهد خلالها من الأعمال المعماريّة إلا ما قام به مروان بن الحكم الذّي بلّط حوله بالحجارة[4]، ثم كان الإهتمام الفعلي به في خلافة الوليد بن عبد الملك.

ولعلّ السّبب الذي حمل الوليد على ذلك هو شعوره بعدم اتّساعه للمصلّين، وليس ببعيد أن يكون الخليفة نفسه قد لمس هذا الضّيف عندما حجّ بالنّاس قبل البدء في الزّيادة، ويزيد من قُوّة هذا الإحتمال ما عُرف عن الوليد من حبّه للبناء، وبالأخصّ عمارة المساجد الجامعة التي عمّر في عهده منها، فتمّت كلّها على ما يُريد من دقّة الصّنعة وكمال البناء، ولئن كان أمرُ الوليد بإدخال حُجر أمّهات المؤمنين في المسجد هو السّبب في الضّجة التي أُثيرت حول عمارة الوليد ، فإنّه ما من سبيل أمام التّوسعة الكبيرة التي قام بها هذا الخليفة في المسجد النّبويّ سوى إضافة تلك الحجرات إلى المسجد الشّريف، لا سيما وأنّ هذه الدُّور

---

(1) _ ذلك أنّ عمر لمّا قدم المدينة واليا، دعا عشرة نفر من الفقهاء، منهم عروة بن الزّبير، وعبد الله بن عمر، وقال: إنّي دعوتُكم لأمرٍ تُؤجرون عليه، وتكونون فيه أعونا على الحقّ، وما أُريد أن أقطع أمرا إلاّ برأيكم أو برأي من حضر منكم. ابن عساكر: المصدر السّابق، ج45، ص 141.

(2) _ المصدر السابق، ج9، ص63.

(3) _ السّاج هو الطّين الرّقيق، ويقال سجّ السّطح أي طيّنه، والسجج النقوش الطيّبة. لسان العرب، مج3، ص 1938، 1939، مادة سجج.

(4) _ السّخاوي : التُحفة اللّطيفة، ج1، ص 45 ، محمد هذّاع : عمارة المسجد النّبوي، ص 105.

كانت قد خلتْ منهنّ تماما وقت إقرار الوليد لزيادة المسجد، وممّا يجدر ذكره هنا أنّ الحجاج فكّر في عهد عبد الملك في إدخال بعض الدّور المجاورة للمسجد إلى التّوسعة، أي أنّ حاجة المسجد الشّريف إلى التّوسعة كانت قائمة قبل مجيء الوليد للخلافة، ولذلك كتب الوليد رسالته إلى عمر بن عبد العزيز[1].

فلمّا وصل كتاب الوليد إلى عمر بدأ بتنفيذ هذا المشروع الضّخم وزاد منازل أزواج رسول الله في المسجد بعد هدمها[2] وكان ابن المسيّب يُنكر ذلك ويقول: لو تركوها، فيقدم القادم من الآفاق فيرى ما اكتفى به رسول الله ﷺ في حياته[3].

- رسالة الوليد إلى ملك الرّوم يطلب منه أن يُعينه في بناء مسجد الرّسول:

-393 -

عن صالح بن كيسان[4] قال: «ابتدأنا بهدم مسجد رسول الله ﷺ في صفر سنة 88 هـ، **وبعث الوليدُ إلى صاحب الرّوم يُعلمه أنّه أمَر بهَدم مسجد رسول الله ﷺ وأن يُعينَه فيه.**

فبعث إليه بمائة ألف مثقال من ذهب ، وبعث إليه بمائة عامل ، وبعث إليه من الفُسيفساء بأربعين حِملا، وأمر أن يتتبّع الفسيفساء في المدائن التي خربت، فبعث بها إلى الوليد فبعث بذلك إلى عمر بن عبد العزيز»[5].

ولم يكتفِ والي المدينة عمر بعمارة المسجد النّبوي، ولم يكتفِ أيضا بما أدخله على هذه العمارة لأوّل مرّة في تاريخ المسجد من عناصر معماريّة وزخرفيّة، وإنما عمد فوق هذا كلّه إلى استخدام أنواع كثيرة من الأساليب الزخرفيّة التي بدأت تزيّن المساجد ذلك الوقت[6].

- رسالة الوليد إلى ملك الرّوم يطلُب منه صُنّاعًا في بناء مسجد دمشق:

-394 -

قال ابن كثير: لمّا عزم الوليد على بناء مسجد دمشق كتب إلى ملك الرّوم:

---

(1) _ محمد هدّاع: المرجع السّابق، ص 107، الشريف أحمد محمد: القبة الخضراء، ص 27، 29.

(2) _ الطبري: المصدر السّابق، ج6، ص435، الذهبي: تاريخ الإسلام، ج3، ص 12.

(3) _الذهبي: تاريخ الإسلام، ج3، ص 12.

(4) _ سبقت ترجمته في الرسالة رقم 385.

(5) _الطّبري: المصدر السابق، ج6، ص 436، ابن الجوزي: المنتظم، ج، ص 284، ابن الأثير: الكامل، ج9، ص 246، ابن كثير: البداية والنهاية، ج9، ص 63.

(6) _ محمّد هدّاع : المرجع السّابق، ص 128.

«يطلُب منه صُنَّاعا في الرّخام وغير ذلك ليَستيعنَ بهم في عِمارة هذا المسجد على ما يُريد، وأرسلَ يتوعّده لئن لم يفعل ليَغزونّ بلادَه بالجُيوش وليخرِّبنَّ كلّ كنيسة في بلاده، حتّى كنيسة القُدس وهي قُمامة، وكنيسة الرُّها [1] وسائر آثار الرُّوم .

فبعث ملك الرّوم إليه صُنّاعا كثيرة جدّا مائتي صانع» [2].

ولا شكّ أنّ أمر تهديد الوليد مقحوم في هذه الرّواية وهو ممّا حاكه الرّواة ، إذ كيف يطلب الوليد الإعانة، ثمّ يهدّد بالغزو.

ومهما يكن فإنّ انتقال الحكم إلى بني أميّة وانتقال عاصمة الدّولة الإسلامية من المدينة إلى دمشق خاتمةً لعصر الخلفاء الراشدين الذي غلب فيه على المسلمين تجنّب البذخ والتّرف، فبدأ الأمويون يفكّرون في تشييد مساجد تُوازي في العظمة كنائس المسيحيين، ويتّخذون تُحفا فنّيّة تتّفق وعظمة مُلكهم الجديد، وكان جلُّ إعتماد الأمويّين في بداية الأمر على عمّال وفنانين من البيزنطيين والسّوريّين المسيحيّين الذين تتلمذ عليهم العرب، ونشأ على يد الجمع الطّراز الأمويّ في الفن الإسلامي [3].

لقد أردا الوليد أن يجذب أنظار العالم إلى بلاد الشّام وجمالها، وأن يجعل من دمشق جنّة يكيف بها، فجعل من مسجد دمشق مرحلة جديدة في تطوّر البناء، حيث اعتُبر أعظم وأكبر أثر أمويّ في بلاد الشّام[4] ، يقول ابن كثير:

«...والمقصود أنّ الجامع الأمويّ لمّا كمل بناؤه لم يكن على وجه الأرض بناءٌ أحسن منه ولا أبهى ولا أجمل منه، بحيث إذا نظر النّاظر إليه أو إلى جهة منه أو إلى أيّ بقعة أو مكان منه تحيّرَ فيها نظرُه لحسنة وجماله، ولا يملّ ناظره، بل كلّما أدمن النظر بانت له أُعجوبة ليست كالأخرى» [5].

---

[1] _ الرُّها: مدينة بالجزيرة بين الموصل والشّام، بينهما ستة فراسخ، قال ياقوت: بُنيت في السّنة السّادسة من موت الإسكندر واسمها بالرّومية أذاسا. معجم البلدان، ج3، ص 106.

[2] _ المصدر السابق، ج9، ص 122، ابن فضل الله العمري: المصدر السّابق، ج1، ص 183.عن مروان بن عبد الملك بن عبد الله بن مروان.

[3] _ زكي محمد حسن : في الفنون الإسلامية، ص 10، 11.

[4] _ أحمد إسماعيل علي: تاريخ بلاد الشام، ص 181.

[5] _ المصدر السّابق، ج9، ص 125.

- كتاب الوليد إلى قرّة بن شريك بالزّيادة في المسجد:

-395 -

قال الكندي: «أرسل الوليد قرّة بن شريك[1] واليا على مصر، ففتك بالشُّراة[2]، **ثمّ ورد كتاب الوليد بالزّيادة في المسجد الجامع**»[3] أي جامع عمرو بن العاص.

فلمّا وصل كتاب الوليد إبتدأ قرّة بهدم ما كان عبد العزيز بناه لمستهَلّ سنة 92 هـ [4].

- رسالة سليمان إلى خالد القسري ليجري عينًا :

- 396 -

عن عبد الرحمن بن حسن بن القاسم بن عقبة بن الأزرق عن أبيه[5]، قال: «كتب سليمان بن عبد الملك بن مروان إلى خالد بن عبد الله القسري: **أن أجرِ لي عينًا تخرج من الثّقبة[6]، من مائها العذب الزّلال، حتى تظهر بين زمزم والرّكن الأسود، ويضاهى بها ماء زمزم.**

قال: فعمل خالد بن عبد الله القسري البركة التي بفم الثّقبة، يقال لها: بركة القسري، عملها بحجارة منقوشة طوال، وأحكمها وأسال ماءها في ذلك الموضع، ثم شقّ لها عينًا تُسكب فيها من الثقبة، وبنى سد الثقبة وأحكمه، ثم شق من هذه البركة عينًا تجري إلى المسجد الحرام، فأجراها في قصب من رصاص، حتى أظهرها»[7].

ومن المرجّح أن خالدا فعل هذا لمّا قلّ ماء زمزم وليس مضاهاة لها، والغالب أنّ هذا كان في عهد الوليد بن عبد الملك، إذ أنّ خالدا عزل عن مكة عند تولّي سليمان[1].

---

(1) _ قرّة بن شريك القيسي والي ديار مصر للوليد قال الذّهبي: ظالمٌ جبّار عاتٍ فاسق، تولى مصر للوليد سنة90 هـ إلى أن مان بها سنة 96هـ . ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج49، ص 305-309 الذّهبي: سير أعلام، ج3، ص 409.

(2) _ الشُّراة هم الخوارج سمّوا بذلك لأنّهم غضبوا وجّوا، وقالوا نحن الشّراة لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَآءَ مَرْضَاتِ اللهِ وَاللهُ رَؤُوفٌ بِالعِبَادِ﴾ البقرة 207. أي يبيعها ويبذلها مقابل الجنّة فباعوا أنفسهم لله. لسان العرب، مج4، ص 2253، مادة شرى.

(3) _ولاة وقضاة مصر، ص 65.

(4) _ الكندي : المصدر السّابق، ص 65.

(5) _ السّند في أخبار مكّة للأزرقي .

(6) _ الثّقبة جبل بين حراء وثبير بمكّة، وتحته مزارع ، وقيل الثقبة شعب بهذا الجبل. الفاكهي : أخبار مكّة ، ج3 ، ص149، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج2 ، ص81.

(7) _ الفاكهي : المصدر السّابق ، ج3 ، ص149، الأزرقي : أخبار مكّة ، ج2 ، ص100.

(1) _ تاريخ خليفة، ص202.

الباب السّادس:

الرّسائل الخاصّة بمواقِفهم من التّيّارات الفكريّة والسّياسيّة المعارِضة، وعلاقتهم بالمُلوك المجاورين

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيـــد:

المعلوم أنّ الدّولة الأموية لم تكن مُستهدفة من المسيحيين فقط، بل حتّى من المعارضين المسلمين خاصة في الفكر[1]، إذ تعرّضت الدولة منذ قيامها وحتى سقوطها لظهور العديد من الحركات المعارضة للحكم الأمويّ، وإن اختلفتْ بواعث هذه الحركات ومنطلقاتها إلا أنّها تجتمع على مواجهة الحُكم الأموي وإشهار السّيف ضدّ هم و ضدّ أعوانهم[2]، وقد كان وراء حدوثها أسباب متعدّدة إمّا مذهبية ودينية أو سياسية ذات طابع شخصي، أو نزعة إقليمية أو عرقيّة، أو فكريّة سياسيّة.

لذا فقد شُغلت الدّولة عمّا كان ينبغي أن تشغل به، واستنزفت جهودها الماليّة، ووقتها وسقط العديد من الضحايا في مواجهة هؤلاء الخصوم، فأعاقت هذه الفتن الدّولة على تحقيق كثير من أهدافها العليا، كالإستمرار في الفتح، ونشر الدين، والإهتمام بتطوير وخدمة رعاياها، كما عرّضتها للمخاطر وطمعِ الأعداء المتربّصين في الداخل والخارج، ومع ذلك فقد تصدّى لها الخلفاء الأمويّون، وعالجوها بشيء من اليقظة والحزم حينا، وبالحكمة واللّين حينا آخر، بينما ظلّوا في عزيمة لم تَهِن، يواصلون تحقيق كثير من الخير للإسلام ودولته، وإن كان تكالب تلك الظروف واستمرار تلك الحركات قد أوهن جسم الدولة الأموية مع الأيام، فأدّى أخيرا إلى إنهيارها قبل أن تبلغ من العمر قرنا من الزّمان[3].

وأبرز تلك الحركات المعارضة الشّيعة والخوارج ،والمرجئة [4]والقدريّة الذّين قالوا أنّ الإنسان قادر خالق لأفعاله[5] ، فخالفوا خلفاء بني أمية الذّين برّروا كمهم بفكر الجبر[6]، وكذا الزّبيريون الذين ثاروا عليهم، وكانت هذه الأحزاب السّياسية تختلف في الأسس التي قامت عليها، وتتباين في أهدافها ومناهجها ووسائلها، وكان لكلٍّ منها قادته وأتباعه الذين ينافِحون عنه ويلاحُون دونه، ويستلّون أقلامهم وألسنتهم وسيوفهم في تقويض خصومه [7].

---

[1]-khalid yahya: the end of the jihad ,p29

[2] _ عبد الله بن عبد الرحمن : أثر العلماء، ص433.

[3] _ عبد الله بن حسين : الدّولة الأموية، ج1، ص53.

[4] _ هم الذّين يرجئون أصحاب الكبائر ، فالكبيرة عندهم لاتضرّ مع الإيمان ، فلايضرّ مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة المصدر نفسه ، ص37

[5] _ الشّهرستاني : الملل والنّحل ، ص 34.

[6] _ الجبر هو نفي الفعل حقيقة وإضافته إلى الرّب تعالى ، فالإنسان عندهم مجبر على أفعاله غير مخيّر . الشهرستاني : المصدر السّابق ، ص69.

[7] _أحمد محمد الحوفي : أدب السّياسة ، ص 262.

أوّلا: آل البيت ومن شايَعهم:

ذكرنا فيما سبق[1] أنّ جُذور العداء بين الأمويين وآل البيت من بني هاشم تعود إلى الجاهلية، إذ لمّا ظهر بنو هاشم كانوا ضعفاء إقتصاديا وعصبيًّا أيضا، في حين أنّ بني أمية كانوا أقوياء جدا، من أجل ذلك، كان كلّ تبديل في حياة قريش السّائدة يومذاك يضُر بني أمية حتما، وقد ينفع بني هاشم، فلم يكن من المُستغرب إذن أن يُسرع بنوهاشم إلى إعتناق الإسلام، وأن يعرض بنو أميّة عنه، وأخيرا عمَّ الإسلام شبه جزيرة العرب، ولم يجد بنو أمية مفرًّا من الدّخول فيه، ولكنّهم دخلوا أقوياء يحاولون الإحتفاظ بجميع الإمتيازات التي كانت لهم قبل إسلامهم، ولقد استطاعوا ذلك لمكان ثروتهم وعصبيّتهم، واتّجاههم الدنيوي المادي، الذي تعودّوه منذ جاهليتهم، إلا أنّ هذا أغاظ بني هاشم لأنّهم كانوا يرون أنهم هم من نصر الإسلام[2].

ومن هنا بدأ الصّراع يلُوح في الأفق، فأدّى إلى ظهور تيّار شيعي تعصّب لآل البيت وأعتقد بإمامة علي نصّا ووصيّة[3]، ورأى بأنّ الخلافة لاتخرج من آل البيت ، وبعد وفاة علي اضطر الحسن إلى التّنازل عن الخلافة ليُجنب المسلمين معاطب الفتنة والحروب، ولأنّه أيقن بعد أن خذله أهل العراق بأن لا طاقة له بمعاوية وجنده، فصالحه على أن يكون المسلمون بعد وفاة معاوية أحرارا يولّون عليهم من يشاؤون[4].

إنّ نجاح معاوية وتنازل الحسن عن الخلافة كان إقرارا بمبدأ الأمر الواقع المستنِد إلى القوّة في اختيار الخليفة، هذا المبدأ الذي عبَّر عنه معاوية عندما قدم المدينة عام الجماعة وصارت العلاقة تقوم على مؤاكلة حسنة، ومشاعر جميلة[5].

وأقدِّر أنه وجد أنّ معاوية خير لهذا العصر منه، ومعه من الأصحاب من يثق بهم، ويستطيع أن يشقّ بهم طريقه، فكان في نفس الحسن أن يسلّم الأمر لمعاوية ولم يكن في ذهنه أن يقاتل، إنّ نظرة الحسن غير نظرة علي، إذ كان أصغر منه في السّن، وألزم لحوادث العصر وكان ينظر إليها بمنظار رجال ذلك الجيل،

---

(1) _ أنظر التمهيد

(2) _ ابن خلدون: العبر، ج3، ص3، 4، المقريزي: النزاع والتّخاصم، ص38-40، عمر فروخ: تاريخ الإسلام، ص111.

(3) _ اعتقد الشّيعة أن النبي ﷺ أوصى لعلي، فقال شاعرهم عبد الله بن أبي سفيان:

ومنّا عليّ ذاك صاحب خيبر وصاحبُ بدر يوم مالت كتائبُهُ

وصيُّ النّبي المصطفى وابن عمّه فمن ذا يُدانيه ومن ذا يُقاربه. ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ج1، ص138، إلّا أن أهل السّنة لا يعتقدون بالوصية ولا بالعِصمة لعلي، ولا لأحد من الصّحابة.انظر ابن تيمية: الخلافة والملك، ص82.

(4) _ ابن الأثير: الكامل، ج3، ص272، أحمد محمد الحوفي: المرجع السابق، ص19.

(5) _ نجدة خماش : الإدارة، ص25.

وهكذا وجد أنه لا قِبل له بتولّي الخلافة، ذلك أنّ شروط العصر كانت لا تُلائم نفسه، ورأى أنّه ينبغي له ألا يثق بأصحابه وقد عرفهم وعرف ما قاساه والده عليّ منهم، وهكذا آثر أن يترك الخلافة لغيره على أن يُبتلى بهم[1].

على أنّ عام الجماعة وانتقال الخلافة إلى الأمويّين لم يقضِ على كلّ المشاكل، فإنّ روح الخلافة الرّاشدية استمرت عند فئة متصدّية معارضة، ووقف العراق والحجاز متحسّران على ضياع الحكم منهما، فيحاولان إعادته، وتصدّى العلويون لبني أمية وأحدثوا أثرهم هنا وهناك، ممّا خلق مشاكل للأمويين[2] دفعت بالخلفاء منذ عهد معاوية إلى إستخدام شتّى السّبل من أجل إخماد نار تلك المشاكل.

لقد كان التّشيع بمفهومه السّياسي أوّل الأشكال الحزبيّة في الإسلام، مرتبطا منذ نشأته بالصّراع على الخلافة، محور التجاذب والجدل بين الهاشميّين وخصومهم على السلطة، خاصّة بني أمية، فقد ظهر آنذاك تيّار المعارضة التي احتجّت على الحكم الأموي، وتكتّلت حول آل البيت أو من يرفع شعار نُصرتهم[3].

فالشّيعة هم الذين شايعوا عليا على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصّا ووصيّة، واعتقدوا أنّ الإمامة لا تخرُج عن أولاده، وإنْ خرجت فبِظلم يكون من غيره، أو بتقيّة من عنده، وقالوا إنّ الإمامة ليست قضية مصلحية تُناط باختيار العامة، بل هي قضية أصوليّة، وهي ركن الدّين لا يجوز للرّسل إغفاله وإهماله ولا تفويضه إلى العامّة[4].

وعلى هذا الأساس، وبالرّغم من مبايعة الحسن ودخوله وجموعَ أتباعه في طاعة معاوية إلّا أنّ أعداد كبيرة منهم لم يُرضِهم الأمر الواقع، على اختلاف بينهم في دوافعهم ما بين دوافع عاطفية لأهل البيت أو إقليمية عرقيّة أو دينية يهوديّة، لكن جمعهم الكُره لبني أمية، وقد أعطى بعضُ ولاة بني أميّة مبرّرات لهؤلاء لاتخاذ تلك المواقف ضدّ بني أمية بإثارتهم أمورا كان من الواجب تناسيها لرأب الصّدع، وكسب القلوب النّافرة، حيث دأَب هؤلاء الولّاة إلى إثارة مقتل عثمان ونُصرته والسعي للثأر[5].

هذا ونشير إلى أنّ مفهوم الشّيعة قد انحصر إبّان خلافة معاوية في النّواة الصغيرة من الكوفيّين الذين ظلّوا أوفياء لذكرى علي، وهكذا تكوّن في الأربعينات حزب الشّيعة السياسي الدّيني، وسوف يشهد القمع،

---

[1] _ يوسف العش : الدّولة الأموية، ص126.

[2] _ المرجع نفسه، ص134.

[3] _ ابراهيم بيضون: الدّولة الأموية، ص 39. فان فلوتن: السّيطرة العربية، ص157.

[4] _ أبو الحسن الأشعري: مقالات الإسلاميّين، ص 16، 17، الشهرستاني : الملل والنّحل، ص118.

[5] _ عبد الله بن عبد الرحمن: المرجع السابق، ص466.

وينمّي إتجاها دينيّا يترحَّم على إستشهاد الحسين في كربلاء، إنّه تشيع عربي وكوفي سينهج طريقه الخاصّة به طوال العصر الأموي، وسيظل أقليّة وسينفجر من حين لآخر في ثورات تشنّجية مآلها الفشل، ومع هذا فإنّ التّشيّع على هاشميته سيلعب على المدى البعيد، وعلى رهانات مختلفة وجديدة ستُفجر الدولة الأموية، ولنقل بالأحرى أنّ العباسين سيرفعون راية الثّورة باسم التشيع[1].

لقد حاول معاوية منذ البداية أن يتقرّب إلى بني هاشم بكلّ الطرق، ورغم ذلك فقد كان حذِرا منهم، صحيح أنّه قرّب عبد الله بن جعفر، وعقيل بن أبي طالب[2] إلّا أن المدقّق في الأمر يُدرك أنّ هؤلاء لا يشكّلون خطرا عليه، ولذلك حاول أن يصهر إلى بني هاشم[3]، ولمّا أعجزته الحيلة أخذ يُغدق عليهم الأموال، ولقد كان معاوية يسعى دوما لإبعاد بني هاشم عن الأضواء حتى لا تتطلّع أعين الناس إليهم، إلا أنّ ذلك لم يمنع بني هاشم من السّعي نحو المطالبة بالخلافة[4].

وقد تجسّدت هذه المطالبة الفعليّة بالخلافة زمن يزيد بن معاوية أين سعى الحسين إلى البيعة بالعراق بعد رفض بيعة يزيد، فلمّا اجتمع عليه النّاس هناك أيّده ابن الزبير قائلا: «فما يحبِسك؟ فوالله لو كان لي مثل شيعتك بالعراق ما تلوّمتُ في شيء»[5]، وفي المقابل كان أخوه محمد بن الحنفة يحذّره ويقول: «إنّ القوم إنّما يريدون أن يأكلوا بنا، ويَشيطوا[6] دماءنا»[7].

إلّا أنّ الحسين لم يستجب لمن نصحه بالتّروّي وعدم الخروج، ولم يحفظ الدّرس من أهل العراق الذين خذلوا أباه وأخاه، فسار متّجها نحو العراق، وفي طريقة إلتقى بجيش عبيد الله بن زياد يقوده عمرو بن سعد، فعرض عليه الحسن ثلاثة أمور، بين أن يتركوه يلحق بيزيد، أو يرجع من حيث جاء، أو يمضي إلى بعض ثُغور المسلمين ليُقيم فيها، ففرح عمرو بن سعد إلّا أن ابن زياد أمر أن لا يرضى حتّى ينزل على حكمه،

---

(1) _ هشام جعيط: الفتنة، ص325.

(2) _ عقيل بن أبي طالب هو أكبر إخوته وآخرهم موتا، شهد بدر مشركا، ثم أسلم وهاجر سنة 8هـ وشهد مؤته توفي زمن معاوية. الذهبي: سير أعلام، ج1، ص218، 219.

(3) _انظر الفصل الأول من الباب الأول رسالة رقم 66.

(4) _ محمد خريسات: الدولة الأموية، ص85.

(5) _ الأصفهاني: مقاتل الطالبيّين، ص72.

(6) _ شاط دم فلان أي ذهب وأُهدر حتى لايجب فيه شيء من الديّة، وأصل الشيط الإحتراق. لسان العرب، مج4، ص2375، مادة شيط.

(7) _ ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، ج7، ص136 كما نصحه العديد من أصحابه كابن عباس ويزيد بن الأصم، ولكنّه لم يسمع لهم. انظر تاريخ الرّقة، ص38.

فرفض الحسين، وعندها أرسل ابن زياد شُمر بن ذي الجوشن[1]، فقتل الحسين[2] وكان ذلك يوم عاشوراء من محرم سنة 61 هـ وهو ابن ست وخمسين سنة[3]، وحُمل رأسه إلى يزيد الذي ندم على ما جرى للحسين أشد النّدم، وكان يقول: «لعن الله ابن مرجانة[4] فإنّه أحرجه واضطرّه، وقد كان سأله أن يخلّي سبيله، أو يأتيني، أو يكون بثغرٍ من ثغور المسلمين حتى يتوفّاه الله، فبَغَضني بقتله إلى المسلمين وزرع في قلوبهم العداوة، فأبغضني البَرّ والفاجر، بما استعظم النّاس من قتلي حُسينا، مالي ولابن مرجانة قبّحه الله وغضب عليه» [5].

لقد أدرك يزيد أنّه فتح على نفسه بابًا ليثور عليه كل من تشيع لآل البيت أو أحبّ الحسين، إلّا أنّ تحسُّره هذا لا يعفيه من المسؤولية المباشرة على ما جرى، فتلطّخت سمعته وساءت كثيرا، وفشلت بذلك سياسية الدّاخلية فشلا ذريعًا، بل توجّه الناس إلى مبايعة ابن الزبير قائلين: «أيها الرجل أظهر بيعتك، فإنّه لم يبقَ أحد – إذ هلك حسين– ينازعك هذا الأمر» [6].

لقد كانت محاولة الحُسين أوّل إنتفاضة مسلمة ضد طغيان وسيطرة الأقلية الحاكمة التي استأثرت بالخلافة وحولتها إلى مُلك وراثي، متجاهلة مواقف الأكثريّة المجبَرة على الصّمت والمكرَهة على تقبّل الواقع، فالحسين وهو الممثّل الطبيعي للتّيار الإجتماعي الإصلاحيّ كان صوت الجماهير والطبقة الشّعبية التي إفتقدت مواقعها المكتسبة في الإسلام، القائمة على العدل والمساواة وتكافؤ الفرص، فمن الخطأ الفادح أن تقوَّم ثورة الحسين على أنّها حركة محلّية إتخذت من الكوفة مسرحا لأحداثها، أو مجرد تسجيل لموقف سطحيٍّ إرتجاليّ، بل هي ثورة على النظام القائم شَحذت الفكر السّياسي في الإسلام بمادّة جديدة من التّحدي الصعب، والإنتصار على الذات والتضحية من أجل المبدأ[7].

إلّا أنّ أهل الكوفة لم يبادروا إلى تنظيم أيّ حركة لدعم هذا الطلب، ولم تكن لدى الحسين ملامح

---

(1) _ شمر بن ذي الجوشن اسمه شرحبيل، ويقال عثمان بن نوفل العامري من كلاب، لأبيه صحبة وهو تابعيّ أحد من قاتل الحسين وولي جيش عمر وبن سعد بن مالك، كان أبرص، قاتل المختار وهزمه، توفي سنة 66 هـ . ابن عساكر: المصدر السابق، ج23، ص186-191، الزركلي : الأعلام، ج3، ص173.

(2) _ الأصفهاني : مقاتل الطالبيّين، ص75-78.

(3) _ أبو الحسن الأشعري: المصدر السّابق: ص 75، ابن الجوزي: صفة الصّفوة، ج1، ص763.

(4) _ يعني عبيد الله بن زياد.

(5) _ ابن كثير : البداية والنهاية، ج8، ص197.

(6) _ الطبري : تاريخ، ج5، ص475.

(7) _ إبراهيم بيضون : ملامح التيارات السياسية، ص191.

الزّعيم ولا صفاته، بل كان مُؤمنا –لا أكثر ولا أقل– بعدالة قضيّة ومطلبه، ورغم هذا أضاف بنو أمية بقتله إلى سجلّ مشاكلهم مشكلة جديدة، أثّرت تأثيرا عميقا في نفوس الكثير من المسلمين المتعاطفين مع آل البيت، كما أنّها أضافت إلى التّشيع هالة من الألم والحزن لم تكن معروفة في الإسلام من قبل[1]، فظهرت معارضتهم تحت غطاء حركة التّوابين.

لقد برزت هذه الحركة كردّة فعل إيجابي لقضية كربلاء باعتبار أنّ أهل العراق عامّة والكوفة خاصة تخاذلوا في نُصرة الحسين، وقد دفعهم ثِقل الذّنب ومرارة الندم لإيجاد مخرج لمِحنتهم وتصحيح موقفهم برفع راية العصيان على قتلة الحسين[2]، فقد شعورا أنّهم بحاجة إلى إرضاء الله بالتّكفير عن ذنبهم وإثمهم بالتّضحية بأنفسهم، مؤكّدين على الولاء لعليّ في خطوة أساسيّة لجعل القضيّة دينيّة صرفة، فسمَّوا أنفسهم التوّابين، ونادوا يالثارات الحُسين، ولأول مرة ينظّمون أنفسهم، فتكوّنت بذلك بعد مقتل الحسين بقليل منظّمة انضم إليها كثير من الأتباع، مدفوعين بدافع الضمير الديني لا العواطف، وولوا أمرهم سليمان بن صرد[3].

لم يكن للتّوابين هدفٌ واضحٌ معين، ولم يتّفقوا على الوسيلة المناسبة للتّضحية بحياتهم، وكان الهدف الذي راودهم هو الإستيلاء على الكوفة، وطردوا الأشراف منها لأنّهم المسؤولون عن قتل الحسين لتواطئهم مع الخلافة الأموية[4]، ثم راحوا يحاربون الدّولة الأموية، فالطّريق المتاح عندهم والسبيل الوحيد للأخذ بثأرهم هو الجهاد، جهاد الأمويّين الذين أحلّوا الدّم الحرام، وفتكوا حرمة البيت الحرام، فلا توبة من دون قتل قاتلي الحسين[5].

وإذا جِئنا نحكم على هذه الحركة نقول أنّها قامت بتأدية مهمتها الإنتقامية خير قيام، ولعلّ أبرز ما حقّقته هذه الحركة أنها عبّأت جماهير المجتمع الكوفي للثّورة، وعمّقت الكراهية والحقد ضد النّظام الأموي وأتباعه، الأمر الذي جعل الكوفة فيما بعد مسرحا لثورات الحزب الشّيعي المتلاحقة والمناهضة للنّظام[6]، «على أنّ الجماعة المعتدى عليها لا تقنع في الغالب بمجرّد الثأر بالمِثل، بل إنّها تثأر للضّرر الذي أصابها،

---

(1) _ كلود كاهن: الإسلام، ص64.

(2) _ شحاذة الناطور : تجديد الدولة، ص30، كلود كاهن: المرجع السابق، ص66.67.

(3) _ مسكويه: تجارب الأمم، ج2، ص84، فلهوزن: أحزاب المعارضة، ص189، مارشال هودجسون: كيف تطور التّشيّع إلى مذهب، ص143.

(4) _ جاسم صبكان : تاريخ صدر الإسلام، ص111.

(5) _ رضوان السيد : مفاهيم الجماعات، ص38.

(6) _ شحاذة الناطور : المرجع السابق، ص38، مارشال هودجسون: المرجع السّابق، ص143، 144.

كما تثأر بالدّرجة الأولى للمبادرة بالعدوان، إنّ الثأر هنا يأخذ صِبغة إعطاء درسٍ قاسٍ حتى لايعود المعتدي إلى العدوان، وطبيعيٌّ أن هذا الدرس القاسي يعني بالنّسبة إلى الجماعة البدوّية المحدودة في رجالها ومتاعها وممتلكاتها التخريب والدّمار، ومن ثمة يكون الصّمود أمام الأخذين بالثّأر يعني الصمود من أجل الحياة» [1] والحفاظ على الإمتيازات.

والحقّ أنّ حركة سليمان بن صُرد بتنظيمها وأهدافها ورموزها هي بلا شكّ بداية للتّشيع باعتبار علاقته مع السّلطة والحركة للتّغيير، فقد انحصرت معارضات من قَبله بالاشمئزاز من الإساءة لذكرى علي وآل بيت النبي ﷺ ، ومقدم الحسين إلى العراق لقيادة شيعة أبيه من أجل إقامة سُلطة إسلاميه عادلة، أمّا تحرك سليمان بن صرد ورفاقه، فقد غابت عنه قيادة آل البيت، واستطاع حشد النّاس من حوله رغم ذلك[2]. وأعلن الثّورة، فالتقوا بعبد الله بن زياد في عين الوردة سنة 65هـ ، فقُتل سليمان بن صرد وهُزم أصحابه[3]، ليحمل اللواء بعده المختار بن أبي عبيد الثقفي، ويعلِن معارضة جديدة بوجه جديد للحكم الأموي.

لقد كان المختار ينوي أن يتزعّم الشّيعة، ولكنّه لم يستطع أن ينال هذه الزّعامة من سليمان بن صرد، رغم ما صادفه من بعض النّجاح، ولكنّه تخلص من سليمان بما وقع لهذا الأخير في حملته ضد أهل الشّام، هناك استطاع أن يرث زعامته وهو مرتاحُ الضمير، لأنه طالما حذّر من القيام بتلك المغامرة، وتنبّأ بالمصير السيّء الذي آلت إليه، وراح في خُطبه يُعلن مقدّما هذا الإخفاق، فأخذ يُمسك بزمام الأمر بيدٍ قويّة، وأراد أوّلًا أن يبدأ بامتلاك ناحية الكوفة فوجّه الشيعة في هذا الإتجاه[4] .

كما أدرك المختار أنّه لن يكون بالإمكان القيام بحركة تمرّد على نطاق واسعٍ إذا ظلّت هذه الحركة تستنجد بوُجهاء الكوفة العرب المسنّين أحيانا المُتذبذبين أحيانا أخرى، من ذوي الآراء المغايرة أو قليلي الإنضباط على أيّ حال، وإنّما ما تحتاجه هذه الحركة هو جيش شديد الإنضباط، شديد الإخلاص والوفاء للقيادة، فاعتمد على الموالي مُقابل رفع مستواهم المعيشيّ، وهذا لا يكفي وحده، بل لابد من طالِب الخلافة أن يكون أهلًا لها، فكان ابن الحنفية الذي بقي من أبناء علي هو الشّعار الذي يجب الإنضواء تحت رايته[5].

---

[1] _ الجابري : العصبيّة والدّولة، ص176.

[2] _ رضوان السيد: المرجع السابق، ص55.

[3] _ مسكوية : المرجع السابق، ج2، ص68.69.

[4] _ فلهوزن : أحزاب المعارضة، ص201.

[5] _ كلود كاهن: الإسلام، ص68.

فعُرف أتباع المختار بالكَيسانية[1]، وزعموا أنّ محمد بن الحنفية هو الإمام وهو المهدي[2]، وكلّ هذا محاولة من المختار في كسب شرعيّة لحركته، فكان يُكاتب محمد ويلقّبه بالمهدي[3]، إلا أنّ هذا الأخير كان متحفّظا على ذلك[4]، وفي هذه المرحلة بدأت تظهر بعض العقائد الدّينية الساذجة أحيانا والمضطربة أحيانا أخرى، كتكفير الصّحابة والقول بالغيبة والرّجعة[5].

لقد استثمر المختار حركة التّوابين في إقامة أوّل حكم شيعيّ منذ تنازل الحسن، وهذا أسهم في بلورة الشّكل التنظيمي للحزب الشّيعي ووضوح مفاهيمه خاصّة في إطاره الإجتماعي، فنجح بفضل أطروحاته الإصلاحية في اختراق حواجز القمع والملاحقة، والوصول إلى عقول الجماهير التّواقة إلى المساواة والعدالة[6].

وبهذا نجحت ثورة المختار بالكوفة وتحقّقت تطلعاته في استلام الحكم، ولعلّ ذاك يعود –كما ذكرنا– إلى الإعتماد في الثورة على الفئات الشّعبية التي ضاقت بالإضطهاد الأمويّ، فرأت في هذه الحركة متنفّسا لتحقيق أمنيّتها، كما لا ننسى ما حَوَته هذه الحركة من القادة والسّاسة البارعين، الذين أسهموا بدور فعال كالمختار وابن الأشتر وغيرهم، هذا بجانب أنّ ولاة الكوفة من قِبل ابن الزبير لم يستطيعوا أن يقوموا بتغييرٍ سياسيّ قائم على برنامجٍ إصلاحيّ يُرضي القاعدة الشّعبية[7]، كما أنّ الأرضية كانت ملائمة حيث العواطف ثائرة، والنّفوس مشحونة، كما استطاع المختار أن يستثمر الأحداث من مقتل الحسين والتّوابين ووظّف ذلك أحسن توظيف[8].

فلم يجد مصعب بن الزبير والي العراق من قِبل أخيه عبد الله بُدًّا من وضع حدٍّ لهذا الأفّاك قبل أن يستفحل أمره، فأعدّ جيشا بقيادة المهلّب بن أبي صفرة لمقاتلته، فاستعمل هذا الأخير سياسية التّخذيل

---

(1) _ الكيسانية هم أتباع المختار الذي أخذ مقالته عن مولى لعلي يقال له كيسان، وقال بإمامة محمد بن الحنفية ولقّبه بالمهدي، وادّعى أنه لم يمت، وإنما هو وأصحاب يقيمون بجبل رضوى بالحجاز، وسيرجع إلى الدنيا ليملائها عدلا، بعدما امتلت جورا، وعُرفت الكسانية أيضا باسم المختاريّة. ابن حزم: الفصل، ج3، ص112. البغدادي: الفرق بين الفرق، ص46، أحمد أمين: المهدي والمهدوية، ص10.

(2) _ أبو الحسن الأشعري: المصدر السّابق، ص 18، جاسم صبكان: تاريخ صدر الإسلام، ص119.

(3) _ الطبري: المصدر السابق، ج6، ص62، والواقع أنّ شعار المهدوية من هنا سيكون شعارا رنّانا يرفعه كل من يريد الخروج على الأمويّين، وسنرى مثل هذا الشّعار في الدعوة العباسية.

(4) _ كلود كاهن : المرجع السابق، ص69 .

(5) _ أبو الحسن الأشعري: المصدر السّابق، ص 20، أحمد علي عبد العال: جوانب من التفكير في العقيدة، ص95.

(6) _ فان فلوتن : السيطرة العربية، ص161.

(7) _ شحاذة الناطور : المرجع السابق، ص42.

(8) _ الصلّابي : الدّولة الأمويّة، ج1، ص592.

لتفكيك صفّ المختار، ثم دارت الدائرة على هذا الأخير قُرب الكوفة بعد أن تفرّق عنه أتباعه، فحُوصر مع من تبقّى معه، فقاتل حتى قُتل سنة 67هـ [1].

فكان سقوطه بسرعة كعلوّ أمره بسرعة، وانتهت بذلك هذه الحركة التّي لم تكن في الواقع سوى نظام غوغَائي استغل الوضع المضطرب، والظّروف الحرِجة التّي مرت بها الدولة الإسلامية، لكن هذا النظام كان أعجَز من أن يتحدى السّلطة الحقيقة للأمويّين، أو حتى للزبيريّين، ولم يستطع أيضا أن يثبّت وجوده في الكوفة نفسها، بسب موقف قادتها وأشرافها من رجال القبائل العربية المعادية له[2].

وبقضاء مصعب على ثورة المختار فسَح المجال لسيطرة كاملة على إقليم العراق، وتطويق السّلطة الأموية وعزلها في الشّام، وفي الوقت نفسه تقديم خدمة جليله للسّلطة الأموية، والتّقليل من متاعبها في مقارعة المختار، وفسح المجال للخليفة عبد الملك وعامله الحجّاج للقضاء على هذا الخطر المداهم لهم ثم ابن الزبير[3].

إذن سقطت المحاولة الوحيدة التي قامت بها المعارضة الشّيعية لاستلام الحكم، وهي محاولة لايمكن قراءتها على أساس شخصيّة المختار والمرحلة وما رافقها من تفكّك على صعيد السّلطة الأمويّة، والمركزيّة التّي أقامتها، إذ لابدّ وأن تُعتبر هذه المحاولة في إقامة سلطة أهل البيت ثمرة نضال ودماء بدأ منذ عهد معاوية، وتوَّجهُ سقوط الحسين على مقربة من الكوفة، فضلا عن التّوابين وقائدهم سليمان بن صرد في عين الوردة[4].

وأيًّا ما كان الأمر في شأن صنيعة المختار، فإنّه أحدث آثارا لا يُبالغ قي تقديرها بسهولة، إذ كان التّشيع في الكوفة آنذاك قد لبس ثوبا جديدا، لقد كان تعبيرا عن الإتّجاه السّياسي العام لمعارضة العراق لسلطان الشّام، وأصبح بفضل استشهاد زعمائه وأوليائه ذا طابع مثاليّ خيالي، وكان أنصار سليمان بن صرد يرمون إلى الثّورة على أرستقراطية العشائر في الكوفة، ولكنّ المختار أوّل من نفّذ هذا الغرض، وحقّقه عمليا[5].

هذا من جهة ومن جهة أخرى لابد من أن نعترف أيضا بأنّها كانت حركة منظمة ومدروسة دأَبَت

---

[1] _ الطبري: المصدر السابق، ج6، ص107، ابن كثير: البداية والنهاية، ج8، ص243، 244.

[2] _ عبد الواحد ذنون طه: مواقف ودراسات، ص313، 314.

[3] _ إبراهيم رمّاش: دراسة في برامج ثورات غير الخوارج، ص112.

[4] _ زهير هواري : السّلطة والمعارضة، ص302، 303.

[5] _ فلهوزن : أحزاب المعارضة، ص238.

بصورة جِدّية على استقطاب الحزب الشّيعي بكل فصائله، وتعبئته لخوض معركة الإنتقام للحسين، ولكن التمزّق الذي أصاب هذا الحزب بسب تردّي بعض عناصره، واستنكاف البعض الآخر عن المشاركة وانتقاده زعامة الحركة التّي لم تضع أمامها مُخطّطا على السّلطة، فضلا على أنّ ظهور المختار بالكوفة كان في وقت شارفت فيه هذه الحركة على النّضج، فكان لظهوره الأثر الكبير في ارتداد الكثيرين عنها، واستمالتهم إلى دعوة أكثر واقعيّة بمضمونها السّياسي والإجتماعي، فهذه الأمور كلّها في النهاية أدّت إلى نتيجة حتمية، وهي الإخفاق العسكريّ المدمّر للحركة[1]، على أنّنا لن نرى بعد هذا في الدّولة الأموية معارضة متشيّعة لآل البيت تساوي أو تفوق حركة المختار بن أبي عبيد.

ثانيا: الخَوارج:

كان ظهور حركة الخوارج سابقًا لقيام الدّولة الأموية، حيث خرجوا على علي بن أبي طالب، فقاتلهم في معركة النّهروان[2]، وهم الذين خطّطوا لمقتل كلّ من علي ومعاوية، فلم ينجحوا إلا في قتل عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وأعلنوا "أن لا حكم إلّا لله" فلما استقر الأمر لمعاوية وبايعتهُ الأمة بعد تنازل الحسن، لم يعترف الخوارج بخلافة معاوية وخلفاء بني أمية، فهم حسب معتقدهم لا يُثبتون إلّا خلافة أبي بكر وعمر، وشطرًا من خلافة عثمان، لذلك واصلوا حروبهم وهجماتهم لتغيير المنكر بإزالة الحكم الأموي، وإقامة الخلافة الشّرعية من منظورهم[3]، فالخلافة عندهم حقٌّ لكل عربيّ مسلم حرٍّ، وأنه إذا اختِير الخليفة فلا يصحّ به أن ينزل عنها، وإذا جار استحلّوا عزله أو قتله إذا أقتضت الضّرورة[4].

وكانت العلاقة بين الدّين والسّياسية عند الخوارج علاقة جوهريّة جعلت الدين عندهم سياسية والسّياسية دينا، فهما عندهم وجهان لحقيقة واحدة، وكلّ ما بينهما من فرق هو أنّ الدين يمثّل الوجه النّظري، والسياسة تُمثّل الوجه العملي التّطبيقي، ومن ثَمّ كان تشدّدهم في هذه الآراء النّظرية مُنطلقا لتشدّدهم في المواقف السّياسية، وكانت مسألة الخلافة على رأس المسائل التي مزجوا فيها بين الدّين والدّولة،

---

[1] _ إبراهيم رماش: المرجع السابق، ص63.

[2] _ النهروان كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشّرقي، حدها على الأعلى متصل ببغداد، وكانت بها وقعة مشهورة لعلي بن أبي طالب مع الخوارج، وبها نهر النهروان المشهور. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج5، ص325 وكان الخوارج قد خرجوا على علي في حرب صفّين، وكفّروه والحكّمين، و وانحازوا إلى حروراء في 12 ألف، ولذلك سُميت الخوارج حروريّه. انظر: البغدادي: المصدر السابق، ص73، 74، الشّهرستاني: الملل والنّحل، ص92.

[3] _ عبد الله عبد الرحمن الخرعان: المرجع السابق، ص443، محمد أمحزون: تحقيق مواقف الصّحابة من الفتنة، ص528.

[4] _ حسن الحاج حسن : النّظم الإسلامية، ص160.

فلم يفرّقوا بين الدين وبين أطماعهم أو طموحاتهم السّياسية[1].

وبمجرّد انتقال الخلافة إلى بني أميّة رأى الخوارج أنّ حرب معاوية حقٌّ لاشك فيه، لاعتقادهم أنّه لم ينل الخلافة عن إجماع من المسلمين ورضًا منهم، ولِما اتّخذه من مظاهر الملك، لذا قامت منذ عهد معاوية وإلى آخر العصر الأموي حروبٌ كثيرة بين فرق الخوارج وولاة بني أمية، وخاصّة في العراق، فتصدّى لها ولّاة بني أمية على العراق كالمغيرة وزياد والحجّاج، ونجحوا في توجيه ضربات قاضية لنشاط الخوارج[2].

على أنّ أشهر فِرق الخوارج في العهد الأموي كانت كما يلي:

1-الأزَارقة: وهم أتباع نافع بن الأزرق الذين اجتمعوا على البِدع وبايعوه، وسمّوه أمير المؤمنين، وانضمّ إليهم خوراج عمّان واليمامة، فصاروا أكثر من عشرين ألف، واستولوا على الأهواز وما وراءه، وأرض فارس وكرمان وجَبَوا خراجها[3].

لقد كانت فرقة الأزارقة أشدّ طوائف الخوارج قسوة على مخالفيهم وبُغضا لهم، وكانوا يعتقدون بأنّ الدّار دار كفر، وأنّ كلّ من فيها كافر مخلّد في النار، كما كفَّروا عليا وكفروا القعدة، وأباحوا قتل أطفال المخالفين ونسائهم، واسقطوا الرجم عن الزّاني، واجمعوا على تكفير مُرتكب الكبيرة وإخراجه عن الإسلام، وأوجبوا الصيام عن الحائض والصّلاة[4]، والواقع أنّهم أحدثوا ذُعرا شديدا في أوساط مُخالفيهم حتّى في بقية الخوارج الذين لا يعتقدون بآرائهم، فكان نافع يقتُل أهل البصرة بلا هَوادة[5].

2- النَّجَدات: نسبة إلى نجدة بن عامر الحنفي، الذي انفصل عن الأزارقة حين أظهروا تكفير القَعَدة ورأوا قتل الأطفال، فصار نجدة إلى اليمامة شرق شبه الجزيرة العربية، فسيطر على المنطقة نتيجة التّفكك والتّجزئة التي أصابت الدّولة العربية في ظلّ غياب سلطة مركزية[6]، ثمّ خالفوا نجدة وبايعوا أبا فديك[7] حتّى بعث إليه عبد الملك جيشا فقُتل وحُمل رأسه إليه[1].

---

(1) _ محمد أبو سعدة : الخوارج، ص121.

(2) _ عبد الله بن الحسين: الدّولة الأموية، ج1، ص55.

(3) _ المبرّد: الكامل اللغة، ج2، ص207، 208، البغدادي: المصدر السابق، ص80.

(4) _ المبرّد: المصدر السابق، ج2، ص208، أبو الحسن الأشعري: المصدرالسّابق، ص86، الشهرستاني: المصدر السابق، ص95، 96، البغدادي: المصدر السابق، ص78، 79.

(5) _ ابن أبي الحديد : المصدر السّابق، ج4، ص260.

(6) _ المبرد:المصدر السابق،ج2،ص209، ابن العماد الحنبلي:شذرات الذهب،ج1، ص291،عبد الواحد ذنون طه:دراسات، ص125.

(7) _ سبقت ترجمته في الرسالة رقم 231.

(1) _ البغدادي : المصدر السابق، ص81-84.

وأهمّ إعتقادات فرقة النّجدات أنّهم استحلّوا دماء أهل العهد والذّمة وأموالهم، وقالوا بأنّ من كذب كذبة فقد أشرك، وقالوا لا حاجة للإمام وإنّما على النّاس أن يتناصفوا فيما بينهم، وهم بذلك خالفوا كل الفِرق من سنّة وشيعة ومرجئة ومعتزلة وبقيّة الخوارج، كما أسقطوا حد الخمر[1].

3-الصُّفريَّة: وهم أصحاب زياد بن الأصفر[2]، وقيل سمُّوا بذلك لصفرة وجوههم من العبادة[3]، وقد خالفوا الأزراقة والنَّجدات في أمور منها: أنّهم لم يكفّروا القعدة عن القتال، ولم يسقطوا الرّجم، ولم يحكموا بقتل أطفال المشركين وتكفيرهم وتخليدهم في النار[4].

هذا وقد خرج في خلافة معاوية سنة 50 هـ قريب الأزدي[5] وزِحاف الطائي[6] بالكوفة، فقاتلهم زياد أشد القتل[7]، بل حاول الخوارج اغتيال معاوية والتّخلص منه، فكان لتلك المحاولة الفاشلة دور كبير في دفع معاوية إلى اتخاذ قراره بالإعتماد على الشّرطة كحرس خاص لحمايته شخصيًّا وضمان عدم تكرار المحاولة[8].

لقد بدأ الخوارج يشكّلون خطرا كبيرا على الدّولة في العراق، ومن هذا المنطلق شدّد معاوية وزياد بالعراق على دور القبائل في منع أبنائها من الإلتحاق بصفوف الخوارج، مهدِّدا إيّاهم بوقف العطاء عنهم[9]، والواقع أنّ سياسته الأمويّين تجاه الخوارج لم تقتصر على قيام القبائل بمنع أبنائها من الإلتحاق بصفوف الخوارج فحسب، بل تعدّته إلى عدّة أساليب منها العقوبة المفرطة بحق الملتحقين بالخوارج، وسجن كل من يعيب معاوية، ووضع العيون عليهم، وتحميل رؤساء القبائل المسؤوليّة الشّخصية تجاه أفرادهم، وضرب الخوارج بالشّيعة للتّخلص من الطرفين[1].

---

(1) _ ابن حزم: الفصل في الملل، ج3، ص3، الشّهرستاني: المصدر السابق، ص99، البغدادي، المصدر السابق، ص83.

(2) _ زياد بن الأصفر رأس الصّفرية، كان يخالف الأزارقة في تكفير القَعَدة عن القتال، ولم يسقط رجم الزّاني المحصن. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج15، ص325.

(3) _البلاذري : أنساب، ج7، ص146، المبرّد: المصدر السابق، ج2، ص202.

(4) _ البلاذري : أنساب، ج7، ص146، الشهرستاني: المصدر السابق، ص110، البغدادي: المصدر السابق، ص 84، 85

(5) _قريب الأزدي خرج على زياد في العراق رفقة زحاف ابن خالته في سبعين رجلا، شهر رمضان سنة 53 هـ بالكوفة فقتله عبد الله بن أوس الطائي في نفس السنة، وهو من بني إياد. تاريخ خليفة، ص135، 136

(6) _ زحاف الطّائي هو ابن خالة قريب الأزدي خرج معه على زياد سنة 53 وأصله من طيء. المصدر نفسه، ص135.

(7) _ الطبري : المصدر السابق، ج5، ص237، ابن أبي الحديد: المصدر السابق، ج4، ص356.

(8) _ سهيل أحمد : تطوّر جهاز الشّرطة، ص68.

(9) _ البلاذري : أنساب، ج5، ص212، المبرد: المصدر السابق، ج2، ص191، الطبري: المصدر السابق، ج5، ص237.

(1) _ الطبري : المصدر السابق، ج5، ص237، محمد خريسات، المرجع السابق، ص80، 81.

لقد كانت القبيلة تسُود التّنظيم الخارجيّ كله ، كما تحتضن بداخلها الإسلام أيضا، وتحاول تجاوز نفسها فيما يتّصل بمسألة العصبيّة، فقد كان رجال حركات التّمرد الخارجية في القرن الأوّل يُصِرّون على أنّ الإيمان هو الذي جمعهم، والظّلم هو الذي أخرجهم، والإيمان هو الشّرط الأول والأخير للإنتماء إلى الجماعة، وهكذا أمكن أن يكون ضمن الحركة عناصر من قبائل مختلفة ومتناصرة في العادة، مثل تميم وبكر وتميم والأزد، وطيء وقيس، لكن هذا التّناصر لم يكن يتجاوز في الحقيقة درجة الحِلف القبليّ القديم[1].

إنّ مكافحة المعارضة السّياسية التي تبلورت بوضوح في عهد معاوية سواء في الإرهاصات الأولى للحركات الشّيعية أو في الحركة الخارجيّة حتّم بصورة قطعيّة ضرورة الحد من الإستقلالية القبليّة حين تكون مصالح السّلطة مهدّدة، فقمع المعارضة السّياسية ما كان له أن يستقيم إلا بإلغاء مبدإ التّضامن القبلي، وقطع العصبيّة القبلية قطعا تامًّا عن العمل أو التأثير، وقد اتّبع معاوية وزياد هذا المنهج بصورة حازمة متّسقة، حيث أنهما تمكّنا من عزل المعارضين عن قبائلهم، وبالتّالي عن سندهم المادّي والإجتماعي[2].

وجوهريا هناك أمران لابدّ من وضعهما في صالح معاوية: توطيد الدّولة المعزَّزة الآن بقوة ضاربة هي جيش الشّام، وتوسيع الإمبراطورية الممسك بزمامها بشكل رائع، لقد لجأ الأمويّون في بعض الأحيان إلى القوّة للحفاظ على وحدة هذه الأمّة المستعدة للتّشتت والتّفكك والتمزّق إلى ألف قطعة، فأعطوا الأولوية لمصلحة الدّولة العليا ولمستقبل الإسلام والعروبة، ووضعوا ذلك فوق كل إعتبار آخر[3].

وفي المقابل أدّت سياسة زياد العنيفة إلى إخماد تحرّكات الخوارج وفرضت هيبة الدّولة على الجميع، وحوّلت القبائل إلى طرف له دوره في سياستها ومنحها مهمة توفير الأمن داخل المصر، بعد أن كانت مهامها تقتصر على دفع الدّية والتأطير العسكري، إلّا أنّها أضعفت التّضامن القبلي، وأفقدت القبيلة القدرة وعلى حماية أبنائها الخارجين عن السّلطة، ولئن نجح زياد في إخماد تحرّكات المعارضين، فقد فشل في خنق إرادة الخُروج لدى قسم كبير من الخوارج [4]، لتستمرّ روح العداء ملتهبة في صدورهم، فكانوا يخرجون بين الفينة والأخرى، وبقي تأثيرهم حتّى نهاية الدّولة الأموية[5].

ولقد اشتغل الولّاة الأمويّون الذين عيّنهم عبد الملك على العراق بمحاولة تثبيت السّلطة الأمويّة فيه،

---

[1] _ رضوان السّيد : مفاهيم الجماعات، ص52.

[2] _ أيمن إبراهيم : الإسلام والسّلطة، ص338.

[3] _ هشام جعيط : الفتنة، ص224، patricia crone: Good's Rule,p293.

[4] _ الصّلابي : الدّولة الأموية، ج1، ص249.

[5] _ fred M.donner: narratives of islamic origins,p186.

ولكنّ القسم الأعظم من جهودهم كان موجّها إلى مكافحة الخوارج والتّقليل من خطرهم، فولّى عبد الملك أخاه بشر بن مروان، فشطّ على البصرة لمحاربة الخوارج بأمر من أخيه عبد الملك[1]، ثمّ كان الحجاج على حربهم وقتالهم.

وهناك ناحية هامّة لابدّ من الإشارة إليها أثناء الحديث عن ولاية العراق وهي أنّ زياد قبله استطاع أن يُدير أمور العراق ويضبطها دون مساعدة من الخارج، في حين أنّ الحجّاج لم يستطع ذلك إلّا بالإعتماد على جُند الشام، ولا يعود هذا إلى تقصير من الحجّاج، وإنّما إلى تغيّر الظروف، فالتّوتر بين الشّام والعراق كان فيما بين عصر زياد وعصر الحجّاج، قد اشتدّ كثيرا، فلمّا كانت ثورة ابن الأشعث مثلا لم يستطيع الحجاج القضاء عليها إلّا بمساعدة جند الشام[2].

لقد استطاع الحجّاج أن يقضي على كلّ الثّورات والحركات المناوئة التي قامت في العراق وخراسان، وقد ساعده في ذلك أمران:

الأوّل: طبيعة الثّورات العراقية ومواقف العراقيّين أنفسهم منها، والثّاني: سياسة الحجاج وطريقته في التعامل مع هذه الثّورات، إضافة إلى دعم الخلفية له، فبالنّسبة للأمر الأوّل نرى شدّة إندفاع أهل العراق إلى الثّورة في بداية الدّعوة إليها وفي أوّل قيامها، ولكنّهم بعد ذلك يتخلّون عن حملتهم الشّديدة، ويبدو أنّ هذه الطّبيعة كانت معروفة عن أهل العراق بسبب تنوّع التّركيبة الإجتماعية فيه [3].

إنّ مجيء الحجّاج واليا على العراق يُعتبر بحق نقطة تحوّلٍ في الصّراع ضدّ الخوارج بصورة عامة، والأزارقة منهم بصورة خاصة[4]، فكان لقائد جنده المهلّب بن أبي صفرة دورٌ هامٌّ في دحرهم وكبح جِماحهم والتّضييق عليهم، وقد كانت سياسته العسكريّة في تعامله مع الأزارقة تعتمد على التريّث ودراسة الموقف بدقّة، وعدم التّسرع في الإشتباك أو خوض معارك قد تؤدّي إلى نتائج عكسية، وأتت سياسته نتائجها في تقوية جيشه، وتقوية جُسور الثّقة بينه وبين أهل البصرة[5].

إنّ الجيش الأموي برغم تناقضاته القبَلية كان الأداة الفاعلة التي اعتمد عليها الخلفاء الأمويّون في

---

[1] _ عبد الواحد ذنون : العراق في عهد الحجاج، ص66، 67.

[2] _ نجدة خماش : الإدارة، ص126.

[3] _ عبد الواحد ذنون : العراق في عهد الحجاج، ص114- 116.

[4] _ عبد الأمير دكسن : الخلافة الأموية، ص286.

[5] _ عبد المنعم سلطان: آل المهلب، ص26، وقال ابن خلكان:" وأجمع علماء التاريخ على أنّه لم يكن في دولة بني أمية أكرم من بني المهلّب، كما لم يكن في دولة بني العباس أكرم من البرامكة"وفيات الأعيان، ج6، ص383.

ضرب الحركات الثّورية المعادية، فلم يحاربوا الفكر بفكر مضاد، فالطّابع العسكري كان من أكثر سِمات هذه الدّولة بروزا، فقد زامنها في جميع المراحل من الولادة التي تمّت بالقوة إلى السقوط[1].

والدّارس الواعي للتّاريخ لابدّ أن يقف مُستغربا ومُعجبا بالخوارج الذين قاوموا الدّولة الأموية وأرهقوها، وتمكّنوا من تحقيق العديد من الإنتصارات، والإعجاب من قدرتهم القتالية، فقد كانوا يقاتلوا بأعداد قليلة إذا ما قُورنت بجيوش الدّولة وصمودهم وصبرهم في القتال، أمّا الإستغراب والتّعجب فناتج أن كلّا من الحركتين الأزارقة والصّفرية تنتميان أصلا لوحدة الفكر الخارجي، وتقاومان عدوّا مشتركا فحربهما مصيريّة في آن واحد، فكيف لم يقوما بإعادة الوحدة ثانية؟! إذ مهما بلغت الخلافات المذهبة بين الزّعماء، كانت الضرورة تقتضي الوحدة والتّنسيق أمام العدو المشترك، ولكن إصرارهما على الفرقة سهّل على الدّولة القضاء عليهم[2].

ومهما يكن فقد تظافرت عدة عوامل أدخلت الخوارج في طور الإنحسار والضّعف، ومن أهم هذه العوامل –كما أسلفنا– قوّة المواجهة من جانب الأمويّين، إذ يبدو الفرق واضحا بين جيوش تجهّزها الدولة وتموّلها، وبين جماعات ومليشيات تعتمد السّلب والنهب، فليس لها مصادر ثابتة للتّمويل، فضلا عن فقدان الخوارج لمصداقيّتهم في نظر قطاعات عريضة من الشّعوب الإسلامية، إلى جانب المبادئ المتطرّفة التي اعتنقها الخوارج، كالتّكفير واستحلال دماء النّاس[3].

ثالثا : القـــدريّـــة:

مما يجدر ذكره أنّ المسلمين في القرن الأوّل الهجري عاشوا ، ومنهم من صحب الذّين عاشوا الواقع الذّي وصفته آيات القرآن والحقائق التّي قرّرتها، واكتفوا بالمعنى الإجمالي لما تشابه من الآيات، ولم يروا تناقضا فيها يثير فيهم الجدل العقائدي، وكان بينهم ماعرف بمذهب السّلف في العقيدة ويقوم العلماء على حفظه وتبيينه، وكان مرجعا للأمّة والخلفاء على السّواء، وأمّا من كان يسخط ويثور أمثال من ثار من أهل الأمصار على عثمان بن عفّان فإنّهم ثاروا غير ناظرين إلى مايشبه إجتهادات القدرية والجبريّة في أفعال وقدرة النّاس، وفعل مثل ذلك من خالف عليّ بن أبي طالب ومن خرج على معاوية ومن ثار على يزيد ،

---

(1) _ إبراهيم بيضون : ملاح التّيارات السياسية، صkhalid yahia: the end of the jihad,p29.150

(2) _ شحاذة الناطور: المرجع السابق، ص108، أحمد محمد الحوفي: المرجع السابق، ص108، محمد فرقاني: رسائل الخليفة عمر، ج3، ص937، أحمد علي عبد العال: المرجع السابق، ص84.

(3) _ محمد أبو سعدة : المرجع السّابق، ص68.

ومن شارك الأمويّين رداء الخلافة ومن وجّه الجيوش والزحوف نحو الحجّاج وغيرهم[1] .

رأى القدرية أن الإنسان حرّ في أفعاله واختياراته، وانعكست آراؤهم على الجانب السّياسي، فاصدموا بفكر الجبر الذّي برّر به بنو أميّة حكمهم، لذا قاومهم الأمويّون وتعقّبوهم فقتل الحجّاج معبد الجهني[2] لقوله بالقدر ، وشدّد عليهم عمر بن عبد العزيز بعده ، فمذهب القدريّة في الدّعوة إلى حرّية إرادة الإنسان ومسؤوليته عن أفعاله يتعارض ومفهوم القدر عند الأمويّين، ويشكّك في الأساس الذّي اتّخذه الأمويّون لتبرير أعمالهم وتسويغ سلطانهم على النّاس[3].

ومع ذلك موقف الأمويّين من القدريّة كان أيضا لبدعة القدريّة في العقيدة وخروجهم على مذهب السّلف في القدر، وهو الموقف الذّي وقفه الأمويّون من كلّ الإتّجاهات الفكرية المخالفة لمذهب السّلف ، وموقفهم هذا يجعلهم في نظر الجماعة حماة للدّين ومذهب السّلف، ممّا يستجلب طاعة والتفاف الجماعة حول سلطانهم.

رابعا: حركاتٌ وثورات مُعارضة لا تحمل فكر الشّيعة والخوارج:

لقد عرف العهد الأمويّ قيام حركات مناوئة للحكم والنّظام القائم، ووقفت منه موقف المعارضة، بل وأشهرت السّيوف في وجهه وأعلنت ثوراتها هنا وهناك، إلّا أنّها لم تكن تحمل فكرا خارجيّا بالأفكار والتّصورات التي عرضناها سابقا، وإنّما كان خروجها لأغراض غير التي سعى إليها الشّيعة والخوارج، وأبرز هذه الحركات حركة وقعة الحرّة[4]، وعمرو بن سعيد الأشدق وحركة الزبيريّين وأنصارهم، وكذا حركة عبد الرّحمن بن محمد بن الأشعث.

فزعماء وقعة الحرة استفادوا من الفراغ القيادي في المعارضة السّياسية مستثمرين النّقمة المتعاظمة على الخلفية الأموي، والمدينة نفسها كان لها موقفها من هذه التّطورات المثيرة، حيث كانت مسرحا لانتفاضاتٍ مسلّحة هي في الواقع محصّلة لتراث من الغضب المكبوت ضدّ ممارسات السّلطة المحلية، ولقد بدأ تحرك المعارضة في المدينة، بجملة من الإنتقادات الصّريحة ضد الخلفية وصلت حتّى التجريح بشخصيته والطّعن بسلوكه، وأعقبها موجة من السّخط استهدفت ممثّل السّلطة المركزية، وجاء مقتل الحسين الشّرارة التي ألهبت

---

(1) _ محمد ضيف الله بطاينة : دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويّين، ص393.

(2) _ سبقت ترجمته في الرّسالة رقم 52.

(3) _ محمد ضيف الله بطاينة: المرجع السّابق، ص390.

(4) _ انظر عن وقعه الحرّة التمهيد عند الحديث عن خلافة يزيد بن معاوية.

الموقف، وفجّرت مخزون الغضب في النّفوس فطردوا الأمويّين من المدينة، وهذا أول مظهر للعصيان[1]، ثمّ كان من أمرهم ما كان، فبعث إليهم يزيد مسلم، ابن عقبة المرّي، وانتدب معه اثنا عشر ألفا، فدخل المدينة واستباحها ثلاثة أيّام في المحرم من سنة 63هـ [2]. وبذلك أُخمدت نار هذه الحركة المعارضة.

أمّا الزّبيريون فثاروا على معاوية ويزيد وعبد الملك، لأنّ معاوية في نظرهم خالف القواعد فعهِد إلى إبنه وصيّر الخلافة كسروية أو قيصرية، واستأثر بفيء المسلمين، وآثر به أهله، على حين أنّ ابن الزّبير- على حد تفكيرهم- أولى بالخلافة من يزيد[3]، واستمرّ صراعهم لبني أميّة حتى طوى صفحتهم عبد الملك بن مروان[4].

ولعلّ أبرز وأخطر الحركات التي أثقلت كاهل الدّولة في عهد عبد الملك، وكلّفته الكثير من الرّجال والأموال هي حركة ابن الأشعث[5] الذي قرّر الخروج على الحجاج وعبد الملك، وفكّر في إسقاط الخلافة رغم نصح المهلّب له حيث كتب إليه: «أمّا بعد فإنّك وضعت رِجلك - يا ابن أم محمد- في غرز طويل الغيّ على أمّة محمد ﷺ ، الله الله فانظر لنفسك لاتُهلكها، ودماء المسلمين فلا تسفكها، والجماعة فلا تفرّقها، والبيعة فلا تنكُثها، فإن قلت أخاف النّاس على نفسي، فالله أحق أن تخافه عليها من النّاس، فلا تعرّضها لله في سفك دم، ولا استحلال محرّم والسلام عليك»[6].

لقد كان طموح قائد الحركة هو الإستيلاء على السّلطة، بيد أنّ الحركة أخذت تضمُّ عناصر أخرى لا علاقة لها بطموح ابن الأشعث، فمن جملة العوامل التي ساعدت على توسيع نطاق الحركة وانتشارها انضمام بعض القرّاء إليها لإعطائها صبغة دينيّة، ولكن بعض أحداث الحركة، ومواقف المشتركين فيها تشير إلى ما يُناقض هذا الإتّجاه الدّيني، فلم يكن أتباعها سوى أتباع دنيا خارجين عن النّظام القائم[7].

فحارب الحجّاج عبد الرحمن في عدّة مواقع، وهي حروب لم يكن منها بدٌّ لأن الحجّاج وال من ولاة الخليفة، عليه أن يصون ملكه، ويصدع بأمره، وما على الحجاج في هذا بأس[8]، لذا كان الجِدّ منه في قتاله

---

(1) _ إبراهيم بيضون: ملامح التيارات السياسية، ص192.

(2) _ تاريخ الطبري، ج5، ص482-488، ابن الأثير: الكامل، ج3، ص467 وما بعدها.وانظر التمهيد.

(3) _ أحمد محمد الحوفي: المرجع السابق، ص177.

(4) _ انظر في ذلك: البلاذري: أنساب، ج7، ص38، الطبري: المصدر السابق، ج6، ص176 وما بعدها.وانظر التمهيد.

(5) _انظر الحركة وأحداثها: الطبري: المصدر السابق، ج6، ص434 وما بعدها .

(6) _ المصدر نفسه، ص338.

(7) _ عبد الواحد ذنون : مواقف ودراسات، ص316، 317.

(8) _ أحمد محمد الحوفي : المرجع السابق، ص550.

فتمّ له ما أراد بعد كفاح مرير طويل .

وبالقضاء على ابن الأشعث وابن الزبير قبله استطاع الخليفة عبد الملك أن يُعيد للدّولة دورها الإستقطابي في الشّؤون السّياسية والإقتصادية والحضاريّة، بعد أن قضى على التّمحورات السّياسية المقلقة في أقاليم الدّولة العربيّة الإسلامية، فأعاد للدّولة الصّدارة والزّعامة، وبذلك تمكّن من الخروج من محنة الدّولة التي ألمّت بها، ورفع رايتها بعد أن وحّد مضمون الناحية السياسية[1].

[1] _ عبد الواحد ذنون : العراق في عهد الحجاج، ص114-116.

الفصل الأوّل:

الرّسائل الخاصّة بموقفهم من آل البيت وحُلفائهم:

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أوّلا: الرّسائل الخاصّة بالرّفق بآل البيت وحُلفائهم وتقريبهم والإحسان إليهم:

- رسالة معاوية إلى قيس بن سعد حين عارض خلافته:

-397-

قال الزّهري: «بايع الحسن لمعاوية واشترط لنفسه، فأمّر جيش الحسن قيس بن سعد[1] على أنفسهم، وتعاهدوا هو وهم على قتال معاوية حتّى يشترط لشِيعة علي عليه السلام ولمن كان اتّبعه، على أموالهم ودمائهم وما أصابوا من الفتنة ، فخلص معاوية حين فرغ من عبيد الله بن عباس والحسن عليه السّلام إلى مكايدة رجلٍ هو أهمّ الناس عنده مكايدة ومعه أربعون ألفا، وقد نزل معاوية بهم وعمرو وأهل الشّام، **وأرسل معاوية إلى قيس بن سعد يذكّره الله ويقول: على طاعة من تُقاتل، وقد بايَعَني الذّي أعطَيتَه طاعتك؟**

فأبى قيس أن يلين له»[2].

- كتاب معاوية إلى قيس بن سعد ليشترط لنفسه ما شاء:

-398-

قال الزهري: «أرسل معاوية إلى قيس بن سعد يذكره الله تعالى ويقول: على طاعة من تُقاتل، وقد بايعني الذّي أعطيتَه طاعتك؟ فأبى قيس أن يلين له حتى أرسل معاوية إليه بسجل قد ختم عليه في أسفله، وقال: **أكتب في هذا السّجِل ما شئتَ فهو لك**...

فلمّا بعث إليه معاوية بذلك السّجل اشترط قيس فيه له ولشيعة عليّ الأمان على ما أصابوا من الدّماء والأموال، ولم يسأل معاوية في سجلّه ذلك مالا، وأعطاه معاوية ما سأل، فدخل قيس ومن معه في طاعته»[3].

لقد سعى معاوية جاهدا إلى رأب الصّدع، وحقن الدّماء ما استطاع إلى ذلك سبيلا، فنراه هنا ينتهج النّهج نفسه الذي كان تعامل به مع الحسن حين تنازل له عن الخلافة ، ورغم أن عمرو بن العاص أشار عليه قائلا: لاتعطِه هذا وقاتِله، إلّا أن معاوية عبّر عن غايته الحقيقيّة حين قال: على رِسلك، فإنّا لا نخلُص

---

[1] _ هو قيس بن سعد بن عُبادة أبو عبد الملك الأنصاري الخزرجي، صاحب رسول الله ﷺ ،كان في صف علي وفي مقدّمة جيشيه، قدم على معاوية بدمشق، توفي بالمدنية آخر خلافة معاوية في رجب سنة 60. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج49، ص396-404، الذهبي، سير أعلام، ج3، ص101، تاريخ الإسلام، ج2، ص335.

[2] _ تاريخ الطبري، ج5، ص164، ابن الجوزي: المنتظم، ج5، ص186 ، ابن الأثير: الكامل ، ج3، ص274.

[3] _ الطبري: المصدر السابق، ج5، ص164، ابن الجوزي: المنتظم، ج5، ص186، ابن الأثير: الكامل، ج3، ص274.

إلى قتل هؤلاء حتى يقتُلوا أعدادهم من أهل الشّام فما خيرُ العيش بعد ذلك[1].

- رسالة معاوية إلى عامله بالكوفة ليبعث إليه الزّرقاء بنت عَدي ويُكرمها:

-399 -

عن سعيد بن حذافة الجُمحي قال: «سَمر معاوية بن أبي سفيان ذات ليلة فذكر كلاما للزّرقاء بنت عدي[2] بن مرة من أهل الكوفة، وكانت ممّن يُعين عليّا يوم صفين، فقال لأصحابه: أيّكم يحفظ كلام الزّرقاء بنت عدي؟ قال القوم: يا أمير المؤمنين كلُّنا نحفظه، قال: فما تُشيرون عليّ فيها؟ قالوا: نُشير بقتلها، قال: بِئس الذي أشرتم به، أيحسن بمثلي أن يتحدث النّاس أنّي قتلت امرأة بعد أن ملكتُ وصار الأمر إليّ، ثم دعا كاتبه في الليل، فكتب إلى واليه بالكوفة[3]:

أن أوفِد[4] عليّ الزّرقاء بنت عدي، مع ثِقة من مَحرَمها وعُدّة من فُرسان قومها، ومهِّد لها وطاءً ليِّنا، [ومَركبا ذَلُولا][5] ، واستُرها بسِتر خَصيف[6].

فلمّا ورد الكتاب ركب إليها فأقرأها الكتاب.

فقالت: أمّا أنا فغير زائغة عن طاعة، وإنْ كان أمير المؤمنين جعل المشيئة إليَّ لم أرُمْ[7] من بلدي هذا، وإن كان حتّم الأمر فالطّاعة له أَولى بي»[8]، فلمّا حملها إلى معاوية أكرمها[9].

رواية أخرى لما سبق

-399-أ

عن الشّعبي قال: حدثني جماعة من بني أميّة ممن كان يسمر مع معاوية، قال: كانت الزرقاء ابنة عديّ

---

(1) _ الطبري: المصدر السابق، ج5، ص164، ابن الأثير: الكامل، ج3، ص274.

(2) _ الزرقاء بنت عدي بن مرة الهمذانية الكوفيّة، أمرأه فصيحة استقدمها معاوية بن أبي سفيان فقدمت عليه، وكان له معها محاورة، فأكرمها وأقطعها، وقد كانت مع علي يوم صفين. ابن عساكر: المصدر السابق، ج69، ص165-167.

(3) _ ولّى معاوية الكوفة المغيرة بن شعبة ثم زياد، ثم الضّحاك بن قيس ثم عبد الرحمن بن أم الحكم.انظر تاريخ خليفة، ص138.ولا ندري لأي والٍ كتب معاوية بالرّسالة، ولعلّها في ولاية المغيرة الذي عُرف باللين، إذ لو وصلت إلى زياد لكانت المعاملة غيرها.

(4) _ في المستطرف "أن أنفذ إليّ".

(5) _ إضافة من المستطرف .

(6) _ خصيف أي غليظ والخصف ثياب غلاظ جدّا، لسان العرب، مج 2، ص 1175، مادة خصف.

(7) _ من الرِّيم وهو البراح أي لم أبرح مكاني وبلدي. لسان العرب، مج3، ص1795، مادة ريم.

(8) _ ابن طيفور: بلاغات النساء ، ص38، ابن عساكر: المصدر السابق، ج69، ص165، 166، الأبشيهي: المستطرف، ص189.

(9) _ ابن طيفور: المصدر السابق ، ص38 ، ابن عساكر: المصدر السابق، ج69، ص166.

بن غالب بن قيس الهمذانية مع عليّ يوم صفّين فلمّا كان معاوية سامرا مع أصحابه سأل عنها، فأشاروا عليه بقتلها فقال: «بِئس الرأي أشرتم به عليّ أيحسن بمثلي أن يُتحدّث عنه أنّه قتل امرأة بعدما ظفر بها، **وكتب إلى عامله بالكُوفة:**

أن يُوفدها إليه مع ثِقة من ذَوي مَحارمها، وعُدّة من فرسان قومها، وأن يُمهّد لها وطاء ليّنا، ويسترها بسِتر خصيف، ويوسِّع لها في النّفقة.

فأرسل إليها عامله فأقرأها الكتاب.

فقالت: إن كان أمير المؤمنين جعل الخيار إليّ فإني لا آتيه، وإن كان حتم فالطّاعة أوْلى، فحملها وأحسن جهازها على ما أمر به»[1].

- رسالة ثانية من معاوية إلى واليه بالكوفة يوصِيه بالزّرقاء وأهلها:

-400 -

وقال صاحب المستطرف في روايته السّابقة: لما أُوفدت الزرقاء على معاوية «أمر لها بكسوة، وأقطعها ضيعة تغلُّ لها في كلّ سنة عشرة آلاف درهم، **وكتب إلى واليه بالكوفة بالوصيّة بها وبعشِيرتها**»[2].

لقد تبيّن من خلال تعامله مع الزرقاء وأهلها أنّ معاوية سار بكل رفق ولين مع أصحاب عليّ ، وتناسى ما بدر منهم، وما كان لهم من مواقف معادية، بل واعتبر ذلك كله من الماضي الأليم الذي لا رجعة له ولا تثريب فيه، فهذا معاوية عام الجماعة قدِم المدنية وخطب على أهلها قائلا:«...غير أنّي سلكتُ طريقا لي فيه مُؤاكلة حسنة ومُشاربةٌ جميلة ما استقامت السّيرة، فإن لم تحدوني خيركم، فأنا خيرٌ لكم، والله لا أحمل السّيف على من لا سيف معه، ومهما تقدّم ممّا قد علمتموه فقد جعلته دُبر أذني، وإن لم تحدوني أقوَم بحقكم كلّه، فارضوا ببعضه فإنّ السيل إذا جاء تترى وإن قلّ أغنى...» [3].

- رسالة معاوية إلى واليه بالكوفة ليُوفد إليه أمّ الخير بنت الحريش:

-401 -

عن عبيد الله بن عمرو الغساني عن الشَّعبي قال: «كتب معاوية بن أبي سفيان إلى واليه بالكوفة:

---

[1] _ ابن عبد ربّه : العقد الفريد، ج1، ص347.

[2] _ الأبشيهي، ص189.

[3] _ انظر خطبته كاملة: الذهبي: سير أعلام، ج3، ص148، 149.

أنْ أوفِد عليّ أمّ الخير بنت الحَريش[1] بن سُراقة البَارقيّة رَحْلة[2] مَحمُودة الصُّحبة، غير مذمومة العاقِبة، واعلمْ أنّي مُجازيك بقولها فيكَ بالخير خيرًا وبالشّرِ شرّا»[3].

فلمّا ورد عليه كتابه ركب إليها فأقرأها كتابه.

فقالت: أمّا أنا فغير زائغةٍ عن طاعة ولا معتلّة بكذب، ولقد كنتُ أحبّ لقاء أمير المؤمنين لأمور تختلج في صدري [4] وقد كانت في صف علي.

فلما وفدت على معاوية سألها عن عثمان وطلحة والزبير، فقالت:«وأنا أسألك بحق الله يا معاوية- فإنّ قريشا تحدّثت أنّك أحلمها- أن تَسعني بفضل حِلمك، وأن تعفيني من هذه المسائل، وتسألني عمّا شِئت من غيرها فأعفاها وأمر لها بجائزة وردها مُكرَّمة»[5].

هذا ما جاء في الرّواية، ومن غير المقبول أن يكتب في استقدامها لهذا الذّي أشارت إليه الرّواية، وهناك غيرها خاصّة من الرّجال، فلم لم يكتب إليهم؟ فالأمر يبقى غامضا ما لم تظهر روايات أخرى توضّح ذلك، ثمّ إنّ المتأمّل فيها يرى أنّها مشابهة في أحداثها والجهة التي أُرسلت إليها للرّواية التي كتب فيها معاوية لواليه على الكوفة بشأن الزرقاء بنت عدي .

- رسالة معاوية إلى عبد الله بن عامر ليدفع المهر عن عامر بن عبد قيس:

- 402 -

عن الحسن قال: كتب معاوية إلى عبد الله بن عامر[6] في شأن عامر بن قيس[7] – وكان من أصحاب الحسن – :

---

(1) _ لم أجد لها ترجمة إلّا ماذكره ابن طيفور.

(2) _ رحلة وفي هامش التّحقيق في تاريخ دمشق "زحلة" والرّحلة إسم للإرتحال، وأرحلته إذا عاونته على رحلته، لسان العرب، مج3، ص1611، مادة رحل ، والزحلة السّرعة، لسان العرب، مج3، ص 1818، مادة زحل.

(3) _ ابن طيفور: بلاغات النساء ، ص 41 ، ابن عساكر: المصدر السّابق، ج70، ص233 ، الضّبّي: أخبار الوافدات، ص3، ابن عبد ربّه: طبائع النّساء، ص 120 ، العقد الفريد ، ج1، ص354 .

(4) _ابن عبد ربّه : العقد الفريد ، ج1، ص354.

(5) _ المصدر نفسه، ص354، ابن عساكر: المصدر السابق، ج70، ص334، 335.

(6) _ كان على البصرة لمعاوية. انظر تاريخ دمشق،ج29، ص265.

(7) _ هو عامر بن عبد الله المعروف بابن عبد قيس ، أبو عبد الله البصري الزّاهد ،أمّه الحصيبة بنت كامل ،من خيار التّابعين ، قدم دمشق في خلافة عثمان ، وكان من أصحاب الحسن وممن لازمه، نُفي من بلاد الشّام ، وكانت وفاته زمن معاوية ، وقبره ببيت المقدس .ابن عساكر: المصدر السّابق ،ج 26 ، ص3- 42 . الذّهبي : سير أعلام ، ج 4 ، ص 15 -19 .

«انظر عامر بن قيس فأحسن إذنه ، ومره أن يخطب إلى من شاء ، وأمهر عنه من بيت المال»[1]

فأرسل إليه ابن عامر وأخبره بأمر معاوية ، فقال: وما أصنع بالإذن فأنتم أحوج إلى ذلك مني؟ ،ثمّ قال عن المهر: «والذي نفسي بيده لأن تختلف الخناجر في جوارحي أحب إليّ من أكون هكذا ، أما والله لئن استطعت أن أجعل الهمّ هما واحدا لأفعلنّ» [2].

- ردّ معاوية على الحسَن يعطف عليه:

-403 -

قال الثّعالبي:«كتب الحسن بن علي إلى معاوية كتابا أغلظ فيه فوقّع إليه:

ليتَ طولَ حِلمنا عنك لا يدعُو جهل غيرنا إليك»[3].

لقد كان معاوية رحب الصدر كثير الحلم على الحسن رغم إغلاظه معه وإدلاله عليه، فمعاوية يدرك حق الإدراك أن خير وسيلة يتعامل بها مع آل البيت هي الإمساك عن أذيّتهم والحلم معهم، ما لم يتحوّل قولهم إلى فعل وما لم يُشهروا في وجهه سيفا، وقد سبق أن ذكرنا أنه كتب إلى الحسن في بعض ما بلغه عنه:«إني لأظنّ أن في رأسك نزوة فوددت أني أُدركها فأغفرها لك»[4].

- كتابه معاوية إلى عقيل بن أبي طالب يعتذِر منه :

-404 -

[رسالة معاوية] قال الأبشيهي: «كتب معاوية إلى عقيل بن أبي طالب يعتذر إليه من شيء جرى بينهما يقول:

من معاوية بن أبي سفيان إلى عقيل بن أبي طالب:

أمّا بعد، يا بني عبد المطّلب، فأنتم والله فُروع قُصي ولُباب عبد مناف، وصَفوة هاشم، فأين أخلاقُكم الرّاسية وعقولكم الكاسية، وقد –والله– أساء أمير المؤمنين ما كان جرى، ولن يعود لمِثله

---

[1] _ ابن عساكر : المصدر السّابق ، ج26 ، ص20.

[2] _ المصدر نفسه ، ص20.

[3] _ خاص الخاص، ص27 .

[4] _ انظر الرسالة، رقم 348- أ-

إلى أن يُغَيّب في الثّرى»[1].

[ردّ عقيل] لمّا ورد الكتاب على عقيل كتب إليه يقول:

صدقتَ وقلتَ حــقّا غير أنّي أرى أن لا أراك ولا تَراني

ولستُ أقول سوءً في صديقي ولكنّي أصُدّ إذا جَفَــاني

فركب إليه معاوية وناشده في الصّفح حتّى رجع[2].

– تعامل معاوية مع حجر وأتباعه:

- رسالة معاوية إلى المغيرة بمداراة حِجر بن عدي:

-405 -

كان حجر بن عدي[3] مواليا لعلي بن أبي طالب ومدافعا عنه بعد تولّي معاوية ، قال البلاذري: «رُوي أنّ المغيرة لما شتم عليّا قام إليه حجر بن عدي قال: والله لئن عُدت لمثلها لأضربنّ بسيفي هذا ما ثبت قائمهُ في يدي،فكتب المغيرة بذلك إلى معاوية.

فكتب إليه معاوية: **إنّك لستَ من رجاله فدَارِه»**[4].

- رسالة معاوية إلى المغيرة لأخذ أصحاب عليّ بالصّلاة في الجماعة:

-406 -

بعد أن قتل عليّ وتنازل الحسن عن الخلافة لمعاوية، صالح هذا الأخير زيادًا الذي كان في صفّ علي، فسأل زيادُ معاوية أن يأذن له في نزول الكوفة، فأذِن له، فشخَص إلى الكوفة، فكان المغيرة يُكرمه ويعظّمه، فكتب معاوية إلى المغيرة:

---

[1] _ المستطرف، ص189 .

[2] _ المصدر نفسه، ص189.

[3] _ هو حجر بن عدي بن جبلّة أبو عبد الرّحمن الكندي، من أهل الكوفة، قيل تابعي وقيل صحابي، والأصحّ أنّه صحابي، شهد الجمل وصفّين مع علي، كان ثقة معروفا، قتله معاوية وأصحابه بمرج عذراء سنة 51 هـ، وقيل سنة 53. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج12، ص207 – 232، الذّهبي: سير أعلام، ج3، ص 462، تاريخ الإسلام، ج2، ص303.

[4] _ البلاذري: أنساب الأشراف، ج5، ص261 .

«خُذْ زيادًا وسليمان بن صرد وحِجر بن عَديّ[1] وشِبث بن رِبعي[2] وابن الكَوّاء[3] وعمرو بن الحُمق[4] بالصّلاة في الجماعة.

فكانوا يحضرون معه في الصلاة»[5]، وإنّما ألزمهم ذلك لأنّهم كانوا من شيعة عليّ[6] .

والظّاهر أنّ ذكر زياد في الرّواية مقحم عليها، وهو من تلفيق الرّواة، إذ أنّ معاوية استمال زياد إلى صفه، فأقام عنده بالشّام ولم يبق بالكوفة.

فمع أنّ حركة الشّيعة لم تتبلور بصورة واضحة، إلّا أنّ معاوية كان يُدرك الخطر الّذي يمكن أن يسبّبه أولئك المتعاطفون مع عليّ بن أبي طالب وآل البيت[7]، ومن هنا كتب معاوية إلى المغيرة بن شعبة والي الكوفة أن يضع سليمان بن صرد وحِجر بن عدي وابن الكوّاء وعمرو بن الحمق فيما يشبه الإقامة الجبرية، والمتمثلة بالصّلاة في الجامع، فكانوا يحضرون مع المغيرة جميع الصّلوات[8]، وبهذا بقَوا تحت مراقبة السّلطة، لا تخفى من أخبارهم وتحركاتهم خافية.

- رسالة معاوية إلى زياد ليرفق بحِجر:

-407 -

[رسالة معاوية] قال البلاذري: «كان زياد قد كتب لمعاوية في حِجر أنّه وأصحابه يردّون أحكامي وقضاياي، وكتب يستأذنه في قتله، فكتب إليه:

---

(1) _ في الكامل "وحجر بن عدي وسليمان بن صرد"

(2) _ شبث بن رِبعي التّميمي اليربوعي أبو عبد القدّوس الكوفي، من بني يربوع بن حنظلة أحد الأشراف والفرسان، كان سيّد تميم ممّن خرج مع علي، وأنكر عليه التّحكيم، ثمّ تاب وأناب. المزّي: المصدر السابق، ج12، ص 351، الذهبي: سير أعلام، ج4، ص 150.

(3) _ ابن الكوّاء: هو عبد الله بن أوفى ويُقال عبد الله بن عمرو بن النّعمان بن ظالم أبو عمر ويقال أبو الكوّاء اليشكري المعروف بابن الكوّاء، كان نسّابًا عالما من شيعة علي وأصحابه، قدم دمشق على معاوية وكان مقيما بالكوفة. ابن النديم: الفهرست، ج1، ص 282، الباقلاني: مناقب الأئمّة الأربعة، ص179، ابن عساكر: المصدر السابق، ج27، ص 96- 101.

(4) _ سبقت ترجمته في الرّسالة رقم 213.

(5) _ الطبري: المصدر السّابق، ج5، ص 179، ابن الأثير: الكامل، ج3، ص 285 .

(6) _ ابن الأثير: الكامل، ج3، ص 285.

(7) _ تعتبر العصبية رابطة متينة بين الفرد والمجموعة التّي يدافع عنها ، على أنّ الفرد هنا يذوب في العصبيّة عندما تتعرّض لخطر ما، كما أنّ العصبيّة نفسها تتقمّص الفرد عندما يُصاب بأذى أو يلحقه مكروه، وهكذا، فالفرد عندما يتعصّب لعُصبته إنّما يتعصّب لنفسه باعتبارها هي إيّاه. الجابري: العصبيّة والدّولة، ص 168.

(8) _ محمّد خريسات: الدّولة الأموّية، ص 79، 80، أحمد محمّد الحوفي: أدب السّياسة، ص 39.

تَرفَّق حتّى تجد عليه حُجّة»[1].

[ردّ زياد]: فردّ عليه زياد: «إنّي قد وجدتُّ على حجر أعظم الحجّة خَلعك، وشهد الناس عليه بذلك»[2].

لقد كان معاوية حريصًا على حقن الدّماء ما استطاع إلى ذلك سبيلا، وعهد إلى ولّاته بذلك تجنّبا للفتنة الكامنة في نفوس الكثير ممن لم يرضوا بحكمه، خاصّة في إقليم العراق الذي كان يضجّ بالقلاقل، لذلك كتب إلى زياد بالرّفق معه ومع أصحابه.

- رسالة معاوية إلى زياد يأمره بحملِ حجر إليه :

-408 -

وعن محمّد بن سيرين قال: «خطب زياد بالكوفة يومًا في الجمعة فأطال الخُطبة وأخّر الصّلاة، فقال له حجر بن عدي: الصّلاة! فمضى في خطبته، فلمّا خشي حِجر فوات الصّلاة ضرب بيده إلى كفّ من الحصى، وثار إلى الصّلاة وثار النّاس معه، فلمّا رأى ذلك زياد نزل فصلّى بالنّاس، فلمّا فرغ من صلاته كتب إلى معاوية في أمره، [فاستشهد عليه جماعة من أهل مصره] [3] وكثّر عليه.

فكتب إليه معاوية:

أن شُدَّهُ في الحديد ثمّ احمِله إليّ.

فلمّا جاء كتاب معاوية أراد قوم حجر أن يمنعوه، فقال: لا ولكن سمعٌ وطاعة، فشُدّ في الحديد ثمّ حُمل إلى معاوية فالتقاهم بعذراء[4] فقتله»[5].

لقد انتهج زياد سياسة جديدة في التّعامل مع حِجر وأصحابه لم يسِر بها المغيرة أثناء ولايته للكوفة، فكثيرًا ما عارض حِجر المغيرة ولم يبعث به إلى معاوية، فجاء أصحاب المغيرة ينصحونه بقتله فقال: «إنّه قد إقترب

---

[1] _ أنساب الأشراف، ج5، ص261.

[2] _ المصدر نفسه، ص261.

[3] _ إضافة من المنتظم.

[4] _ عذراء هي قرية بغوطة دمشق من إقليم خولان، وإليها نُسب مرج عذراء ومعناها الرّملة التي لم تُوطأ، وفيها قُتل حجر بن عدي، قربها راهط التي وقعت فيها الوقعة المشهورة. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص 91.

[5] _ الطبري: المصدر السابق، ج5، ص 256، ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج12، ص 217، عن يعقوب بن سفيان، ابن الجوزي: المنتظم، ج5، ص 242، ابن كثير: المصدر السابق، ج8، ص 45، ابن خلدون :العبر، ج3، ص 13، أحمد زكي، جمهرة رسائل، ج2، ص 45.

أجلي وضعف عملي، ولا أُحبّ أن أبتدئ أهل هذا المصر بقتل خِيارهم وسفك دمائهم، فيسعدوا بذلك وأشقى، ويعزّ في الدّنيا معاوية ويذلّ يوم القيامة المغيرة، ولكنّي قابلٌ من مُحسنهم وعافٍ عن مُسيئهم، وحامدٌ حليمهم،وواعظ سفيههم حتى يفرّق بيني وبينهم الموت، وسيذكرونني لو قد جرّبوا العمّال بعدي»[1]

هكذا لم يتعدّ نشاط حِجر النّطاق الكلامي، وظلّت الكوفة هادئة شؤونها، وليس لدينا ما يوضّح فيما إذا كان حِجر قد تولّى أثناء نيله من معاوية مناشدة المسلمين بالثّورة عليه واستبداله بحاكم من أبناء علي، أو لنضع للعبارة صياغة أخرى: هل قام حجر بالدّعوة لإمامة الحُسين أو لشخص آخر من آل البيت؟ وإذا لم يكن ذلك لماذا يُقتل حجر؟ وفي اعتقادنا أنّ زيادا خشي استفحال الأمور وتفاقمها، فعالج القضية بسرعة وبغير هوادة ولا رويّة، فاعتقل حجرًا وأصحابه وبعث بهم إلى معاوية فقتلهم. [2]

- جواب معاوية لزياد حين بعث إليه حِجرًا:

-409 -

[رسالة معاوية]: قال أبو مخنف: «بعث زياد بحجر وأصحابه إلى معاوية، وكتب إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله معاوية أمير المؤمنين من زياد بن أبي سفيان أمّا بعد، فإنّ الله قد أحسن عند أمير المؤمنين البلاء، فكاد له عدوّه، وكفاه مؤنة من بغى عليه، إنّ طواغيت هذه التّرابيّة السّبئيّة رأسُهم حِجر بن عدي خالفوا أمير المؤمنين، وفارقوا جماعة المسلمين، ونصبوا لنا حربًا فأظهرَنا الله عليهم، وأمكننا منهم، وقد دعوتُ خيار أهل المصر وأشرافهم وذَوي السّن والدّين منهم فشهدوا عليه بما رأوا وعَلموا، وقد بعثتُ بهم إلى أمير المؤمنين، وكتبتُ شهادة صُلحاء أهل المصر وخيارهم في أسفل كتابي هذا، فلمّا قرأ الكتاب وشهادة الشّهود، قال: ما ترون في هؤلاء النّفر الّذين شهد عليهم قومُهم بما تستمعون؟ فقال له يزيد بن أسد البجلي[3]: أرى أن تفرّقهم في قرى الشّام فيكفيكهم طواغيتها، فحبَسهم، وكتب إلى زياد:

أمّا بعد، فقد فهمتُ ما اقتصصتَ به من أمر حِجر وأصحابِه، وشهادة مَن قِبَلك عليهم[1]،

---

[1] _ الطبري : المصدر السابق، ج5، ص 254.

[2] _ رياض عيسى : الحزبيّة السياسية، ص 170. وكان مقتل حجر سنة إحدى وخمسين، انظر تاريخ خليفة، ص 131.

[3] _ يزيد بن أسد البُجلي بن كريز بن عامر أبو الهيثم من أهل دمشق، كان في مقدّمة الجيش الذي أمدّ به معاوية عثمان مع حبيب بن مسلمة، وشهد صفين مع معاوية، ثمّ أغزاه أرض الرّوم ففتح قيسارية وسَبى منها 45 ألفا، ولي الصّائفة ليزيد بن معاوية. ابن عساكر: المصدر السّابق، ج65، ص 100- 106.

[1] _ في الأغاني "والشّهادة عليهم"

فنظرتُ في ذلك، فأحيانًا أرى قتْلهم أفضل من تركهم ، وأحيانًا أرى [أنّ][1] العفو عنهم أفضل من قتلهم والسّلام » [2]

[جواب زياد] فكتب إليه زياد:

«أمّا بعد فقد قرأتُ كتابَك وفهمت رأيك في حِجر وأصحابه، فعجبتُ لاشتباه الأمر عليك فيهم، وقد شهِد عليهم بما قد سمعت من هو أعلم بهم، فإن كانت لك حاجة في هذا المِصر فلا تردّنّ حجرًا وأصحابه إليّ» [3] فقتله معاوية سنة 51هـ.

الحقيقة أنّ معاوية عرف زيف ما رمي به حجر، ومبالغة زياد فيما كتب به ، فكتب بالذّي كتب به إليه، فردّ زياد عليه يزيّن قتله، وإن لم يكن فلا يعده إلى البصرة.

فخوّف زياد بذلك معاوية من حِجر أشدّ التّخويف فبعث في نفسه خشية ورهبة، ممّا دفع بمعاوية إلى قتلة والتّخلّص من تهديداته، هذا ونشير هنا أنّ زياد كتب شهادة الشّهود على حِجر بنفسه، لذلك كتب شريح بن هاني لمعاوية يُخرج نفسه من الشّهادة.[4]

فعلى الرّغم من أنّ حركة حِجر لم تكن ثورة مسلّحة إلّا أنّ معاوية اهتمّ بها اهتمامًا بالغًا خوفًا من الفتنة، وتجنّبًا للخطإ الّذي وقع به الخليفة عثمان، فرأى أن يأخذ حِجرًا وأصحابه بأقصى العقوبة، قبل أن يستطير شرّهم، ويكون في ذلك من البلاء على المسلمين ما هو أعظم من قتل حِجر وأصحابه [5].

ثم راح معاوية بعد ذلك يهدِّئ أصحاب حجر، ويتقرّب إليهم تسكينا لهم، وتفاديا لثورتهم وانتقامهم[6]، فهل معاوية حقيقة مقتنع بما فعل من قتل حجر؟

لاشكّ وأنّ معاوية نفسه لم يكن مقتنعا بما كتب به زياد، فراح ضميره يؤنّبه، ولم يفصح عن ذلك إلا

---

[1] _ إضافة من الأغاني.

[2] _ الطبري: المصدر السابق، ج5، ص 272، 273، أبو الفرج الاصفهاني: الأغاني، ج12، ص 5960، محمّد ماهر: الوثائق، ص 149، أحمد زكي: المرجع السابق، ج2، ص 48، خالد بن محمد: مرويات خلافة معاوية، ص 337.

[3] _ الطبري: المصدر السابق، ج5، ص 273.

[4] _ المصدر نفسه، ص 272، ولعلّ كتاب شريح بن هانئ هو الذي جعل معاوية يتردّد في قتل حجر، فقد جاء في كتابه: "... وإن شهادتي على حجر أنه كان ممن يقيم الصّلاة ويؤتي الزّكاة ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، حرام المال والدّم فإن شئت فاقتله". الأغاني، ج12، ص 5960.

[5] _ صالح محمّد: زياد بن أبيه، ص 223.

[6] _ أعطى مالك بن هبيرة الذي شفع في حجر مالا وبرر له أسباب مقتل حجر. انظر ابن الأثير: الكامل، ج3، ص363.

لواليه زياد كما ستبين الرسالة اللّاحقة.

– رسالة معاوية إلى زياد بِندمه على قتل حِجر:

-410 -

وقال المدائني: «كتب معاوية إلى زياد بعد مقتل حِجر:

إنّه قد تَلجَّجَ[1] في صدري شيءٌ من أمر حِجر، فابعث إليّ رجلا من أهل المصر له فضلٌ ودين وعلم»[2].

وبهذا صرّح معاوية عما كان يختلج صدره من حسرة على قتل حِجر بن عديّ الرجل الصّالح، فضميره أنّبه على ذلك، وندم أشدّ النّدم، فكتب إلى زياد بالذي كتب، فأرسل له زياد عبد الرحمن بن أبي ليلى[3] وأوصاه أن لا يقبّح له رأيه في أمر حِجر، وتوعّده بالقتل إن فعل، قال ابن أبي ليلى: فجئتُ إلى معاوية فقال لي: أما والله لوددت أنّي لم أكن قتلتُ حجرا، ووددتُّ أني كنت حبستُه وأصحابه أو فرّقتهم في كُور الشّام فكفتْنيهم الطّواعين، أو مننت بهم على عشائرهم فقلت: ووددتُّ والله أنّك فعلت واحدة من هذه الخِلال، فوصَلني[4].

هذه إذن عثرة من عثرات معاوية ، فمع ما ذكرنا من حِلمة وحنكته إلا أنّه أخطأ في أمر حجر وتسرعّ، ولعل زياد هو من يتحمّل الوزر الأكبر من هذا كله، إذ خوّف معاوية من أمره، ولم يترك له فرصة ليفكّر أو يُراجع حساباته.

– خروج الحسين وتعاملهم معه:

– رسالة مروان إلى معاوية باجتماع أهل الكوفة عند الحُسين بعد مقتل حِجر بن عَدي:

-411 -

قال أبو حنيفة الدينوري: « لمّا قُتل حجر بن عدي خرج نفر من أشراف الكوفة إلى الحُسين بن

---

[1] _تلجّج أي تحرّك الأمر في صدره وأقلقه.لسان العرب، مج5، ص4000، مادة لجج.

[2] _ البلاذري : أنساب، ج5، ص275 ،التّنوخي: الفرج بعد الشّدة ، ج3 ، ص206.

[3] _ عبد الرحمن بن أبي ليلى واسمه يسار ويقال بلال، الإمام الحافظ أبو عيسى الأنصاري الكوفي الفقيه ولد في خلافة الصّديق أو قبل ذلك، كان صاحب علي بن أبي طالب، وفد على معاوية، وكان من كبار من خرج مع ابن الأشعث، وقتل بوقعة الجماجم سنة83 هـ. المزي: تهذيب الكمال، ج17، ص372-376، الذهبي: سير أعلام، ج4، ص262-267.ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج2، ص548.

[4] _البلاذري : أنساب، ج5، ص275.

علي فأخبروه الخبر، فاسترجع وشقّ عليه، فأقام أولئك النّفر يختلفون إلى الحسين بن علي وعلى المدينة يومئذ مروان بن الحكم، فترقّى الخبر إليه، فكتب إلى معاوية:

يُعلمه أنّ رجالا من أهل العِراق قدِموا على الحسين بن علي رضي الله عنهما، وهم مقيمون عنده، ويختلِفون إليه، فاكتُب إليَّ بالذّي ترى»[1].

رواية أخرى لما سبق

-أ-411

وعن مجالد عن الشّعبي قال: كتب مروان إلى معاوية:

«إنّي لستُ آمن أن يكون حُسَين مَرصدًا للفتنة وأظنُّ يومكم من حُسين طَويلا»[2]

- جواب معاوية إلى مروان بأن لا يتعرّض للحُسين:

-412 -

[ردّ معاوية] :«كتب مروان إلى معاوية يُعلمه:

أنّ رجالا من أهل العراق قدموا على الحسين بن علي رضي الله عنهما وهم مُقيمون عنده يختلفون إليه، فاكتب إليَّ بالذّي ترى، فكتب إليه معاوية:

لا تعرِض للحُسين في شيء، فقد بايَعَنا، وليس بناقضٍ بيعتنا، ولا مُخفِرٍ ذمَّتنا»[3].

رواية أخرى لما سبق

-أ-412

أمّا البلادري فذكر ماسبق ببعض الإختلاف قال: كتب معاوية إلى مروان جواب كتابه السّابق:

«أن اترُك الحُسين ما تركَك، ولم يُظهر عدواته، ويُبدي صفحته، واكمُن[4] **عنه كُمون الثّرى إن شاء الله والسّلام»**[1].

---

[1] _ الأخبار الطّوال، ص207، 208 .

[2] _ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج6، ص423، ابن عساكر: المصدر السّابق ، ج14 ، ص 205، ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، ج7، ص137، الذهبي: تاريخ الإسلام، ج2، ص361 ، البلاذري: أنساب الأشراف، ج3، ص367 وروايته لا سند لها.

[3] _ أبو حنيفة الدّينوري: المصدر السابق، ص208.

[4] _ نقول كَمُن فلان إذا استخفى. لسان العرب ، مج5، ص3933، مادة كمن.

[1] _ أنساب الأشراف، ج3، ص367، مع ملاحظة أنّ ابن سعد لم يذكر جواب معاوية هذا.

لقد كان معاوية رضي الله عنه الرّجل الذي مارس آل البيت وشيعتهم ، فهو يفهم طباعهم أشدّ الفهم، ويعرف أهدافهم، و من أين تُؤكل الكتف، وكيف يخمد نارهم، وإنّ سعة الصدر التي تمتّع بها معاوية جعلته ينفُذ عن الإنتقام من خصومه، لا بل كان يبذُل لهم المال ويقرّبهم، وإذا لم يكفِ الحلم عمد إلى المخادعة أو البذل حيث كان لا يلتقي به واحد ممّن يأمن بطشهم إلا رجع راضيا، كما كان يحتمل الطّعن والنّقد من رؤساء العشائر ووجهائهم، وأهل البيوتات وزعماء الأحزاب ولو أطلقوا عليه ألسنتهم[1]، وحتّى قبل وفاته أوصى ابنه يزيد بهذه السّياسية مع الحسين فقال:«...أمّا الحسين بن علي فإنّه رجل حفيف[2]، وأرجو أن يكفيكه الله بمن قتل أباه وخذل أخاه، وإنّ له رحمًا ماسة، وحقّا عظيما بقرابة من محمد ﷺ ولا أظنّ أهل العراق تاركيه حتى يخرجوه، فإن قدرت عليه فاصفح عنه، وإنّي لو أنّي صاحبه عفوتُ عليه»[3].

- رسالة معاوية إلى الحُسين حين جاءه نَعْيُ الكوفة بعد مقتل حِجر:

-413 -

قال البلاذري: لمّا حذّر مروان معاوية من الحسين واختلاف النّاس إليه «كتب معاوية إلى الحسين بن علي:

أمّا بعد فقد انتهتْ إليَّ عنك أمورٌ أرغب بك عنها، فإن كانت حقًّا لم أُقَارَّك[4] عليها[5]، ولَعمري إنّ من أعطَى صفقة يمينه وعهد الله وميثاقه لحريٌّ بالوفاء، وإن كان باطلا فأنت أسعدُ النّاس بذلك[6]، وبحظّ نفسك تَبدأ، وبعهد الله تُوفي، فلا تحمِلني على قطِيعتك والإساءة بك، فإنّي متى أُنكرك تُنكرني، ومتى تكِدني أكِدك، فاتّق [الله يا حسين في][7] شقّ عصى هذه الأُمّة، وإن يرجعوا على يدك إلى الفتنة[1]، فقد جرّبتُ النّاس وبَلوتُهم، وأبوك كان أفضل منك، وقد كان اجتمع عليه رأي الذين يلُوذون بك، ولا أظنّه يصلُح لك منهم ما كان فسد عليه، فانظُر لنفسك ودينك ﴿وَلَا

---

(1) _ أحمد إسماعيل علي: تاريخ بلاد الشام، 309.

(2) _رجل حفيف من الحفف وهو الكفاف من المعيشة، والحفّة أيضا الكرامة التامّة. لسان العرب، مج2، ص932.931، مادة حفف.

(3) _ انظر وصية معاوية ليزيد تاريخ الطبري، ج5، ص323، 324.

(4) _ أقارك معناها تريد الكلام، أي لم أراجعك فيها. لسان العرب، مج5، ص3579، مادة قرر.

(5) _ في الرّواية الثّانية للبلاذري " إن كانت حقّا فإنّي لم أكن أظنّها بك رغبة عنها ".

(6) _ في الرّواية الثانية " أسعد النّاس بمجانبتها ".

(7) _ إضافة من الرّواية الثانية .

(1) _ في الرّواية الثّانية " وأن تُرْدِهم في فتنة" وهنا نهاية الرّواية الثانية للبلاذري .

يَستَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [1]»[2].

رواية أخرى لما سبق

413-أ-

أمّا أبو حنيفة الدينوري فذكر في روايته: لما كتب مروان إلى معاوية باجتماع أهل الكوفة على الحسين كتب إليه: «لا تعرض للحسين في شيء فقد بايعنا وليس بناقض بيعتنا ولا مُخفر ذمّتنا، وكتب إلى الحسين:

أمّا بعد، فقد انتهتْ إليَّ أمور عنك لستَ بها حَريّا، لأنّ من أعطى صفقة يمينه جديرٌ بالوفاء، فاعلم –رحمك الله– أنّي متى أُنكرك تَستنكِرني، ومتى تَكدني أكدك، فلا يستفزّنّك السّفهاء الذين يُحبّون الفتنة والسّلام»[3].

رواية أخرى لما سبق

413-ب-

وعن مجالد عن الشّعبي[4] قال: «كتب معاوية إلى الحُسين:

إنّ من أعطى الله تعالى صفقة يَمينه وعهده لَجديرٌ بالوفاء، وقد أُنبِئتُ أنّ قَومًا من أهل الكوفة قد دَعَوك إلى الشّقاق، وأهل العراق من قد جَرّبتَ قد أفسدوا على أبيك وأخيك، فاتّقِ الله واذكر الميثاق فإنّك متى[5] تَكدني أكدْك»[6].

تلك هي روايات هذه الرّسالة التي أحسن فيها معاوية التّعامل مع الموقف، فلمّا وصلت إلى الحسين كتب إلى معاوية جوابًا غليظا يعدّ عليه فيه ما فعل من قتل حِجر ويقول: «إنّك قد فُتنت بكَيد الصّالحين مذ خُلقت، فكِدني ما بَدَا لك»[1].

---

[1] _ سورة الرّوم الآية 60.

[2] _ أنساب الأشراف، الرّواية الأولى، ج5، ص128، الرّواية الثانية، ص367 ، وقد ذكرها ابن قتيبة باختصار في الإمامة والسياسة، ج1، ص154 ، محمد ماهر: المرجع السابق، ص172، أحمد زكي: جمهرة رسائل، ج2، ص56 أخذاها عن ابن قتيبة.

[3] _ الأخبار الطّوال، ص208، محمد ماهر: الوثائق، ص151.

[4] _ في سير أعلام النبلاء"عن يونس بن إسحاق عن أبيه"، وفي البداية والنهاية" عن شبابه بن سوار ".

[5] _في سير أعلام النبلاء من [كذا]

[6] _ ابن سعد: المصدر السابق، ج6، ص423، الذهبي: سير أعلام، ج3، ص29، تاريخ الاسلام، ج2، ص361، 362، ابن كثير: البداية والنّهاية، ج8، ص139.

[1] _ البلاذري: أنساب، ج3، ص367.

فبهذا اللّين وحسن الخطاب وعدم التّسرع والعجلة تعامل معاوية مع هذا الموقف فاحتواه قبل أن يستفحل، لقد كان معاوية رجلا يحتفظ برباطه جأش مُطلقة لا يتّخذ القرارات الحاسمة إلّا بعد تفكير طويل، يرفض استخدام القوة حلًّا لقضاياه، ويُعامل خصومه المغلوبين بشهامة وسخاء، فيحفظ لهم كرامتهم ومكانتهم، ويكسب ودّهم وولاءهم ، وكلّ ذلك مردُّه إلى عقليته الواقعيّة التي أوجدت لديه السياسة الواقعيّة الحكيمة الراشدة، وكان خبيرا بالرّجال نفسيتهم وأطوراهم، فيسخّرهم لخدمة أهدافه، ويسوسهم كما ينبغي، فينقلبون إليه متودّدين طائعين، وهو بعيد النّظر لا يدرس مسائل السّاعة بل يرى خلالها خطوط المستقبل، وكلّ شيء عنده يلبس لباس السّياسة[1]، وطالما قال: «لا أضَع سيفي حيث يكفني مالي، ولا أضع سوطي حيث يَكفيني لساني»[2].

- رسالة يزيد إلى ابن عباس حين خرج الحُسين:

-414 -

ذكر ابن سعد ومن تابعه في روايته [3] قال: «وكتب يزيد إلى ابن عباس :

يُخبره بخُروج الحُسين إلى مكّة، ونحسبه جاءه رجالٌ من أهل هذا المَشرق فمَنَّوهُ الخلافة، وعندك منهم خبر وتجربة، فإن كان فعل فقد قطَع وَاشِج[4] القرابة، وأنت كبير أهل بيتك والمنظُور إليه، فاكفُفه عن السّعي في الفُرقة[5]، وكتب بهذه الأبيات إليه وإلى من بمكة والمدينة من قريش[6]:

يا أيها الرّاكب الغادِي لطيَّتــــــــــه على عَذافِرةٍ[7] في سَيرِها قُحَـــــمُ[8].

أبلِغْ قُريشا على نــأْيِ المَزار بـــــها بيني وبين حُسين الله والرّحـــــــمُ

---

(1) _شحاذة الناطور: تجديد الدولة، ص2.

(2) _ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج56، ص173.

(3) _ رواية ابن سعد لا سند لها أمّا ابن عساكر فقال:"عن مجالد عن الشعبي قال ابن سعد وغير هؤلاء أيضا:..".وعند ياقوت الحموي:"عن موسى بن صالح قال:..."، وفي بقية المصادر بغير سند.

(4) _ رحم واشحة أي مشتبكة متصلة. لسان العرب، مج6، ص4841، مادة وشج، وفي البداية والنهاية"راسخ القرابة".

(5) _ نهاية رواية الذّهبي.

(6) _ من هنا تبدأ رواية ياقوت الحموي في معجم البلدان، وقد ذكر أن يزيد كتب بها إلى أهل المدينة بعد مقتل الحُسين معتذرا لهم عن ذلك.

(7) _ العذافرة: الناقة الشّديدة الأُمنية الوثيقة وقيل النّاقة العظيمة. لسان العرب، مج4، ص 2861، مادة عذف.

(8) _ القحم: الكبير من الإبل الذي اقتحمه السنّ تراه قد هرم في غير أوان الهرم، والقحمة أيضا المسنة والمقصود في البيت أنّها تسير ببطء لهرمها. لسان العرب، مج5، ص 3538، مادة قحم.

وموقفٍ بفنـــاء البيتِ أنْشُـــــــــده ... عهد الإله وما تُوفّى به الذِّمـــــمُ

عُنِّيتُم[1]قومكم فخـــــــــرًا بأمِّكـــم ... أمّ لعمري حـــصان بَرّةٌ كَـــرمُ

هي التّي لايُداني فضلها أحـــــــــد ... بنت الرّسول وخيرُ النّاس قد علموا

وفضلُها لكـــم فضلٌ وغيـــــــــركم ... من قومكم لهم من فضلها قِسَـــم

إنّي لأعـــــلم أو ظنًّا كعالِـــــــــمه ... والظّنُّ يصـــــدُق أحيانًا فينتظـــم

أن سوف يترُكُكم ما تـــــدّعون بـــهـا ... قتلى تَهَاداكـم العِقبان[2] والـــرّخم[3]

يا قومَنا لا تشبُّوا الحرب إذ سَكنـــت ... ومسِّكـوا بحبال السّـلم واعتصموا

قد غرَّت الحرب من قد كان قبلـــكم ... من القرون وقـــد بادَت بها الأمـــمُ

فأنصِفوا قومكم لاتهلكوا بـــــــذخًا ... فرُبّ ذي بَـــذخ زلَّتْ به القَـــدَم»[4].

[ردّ ابن عباس]: فكتب ابن عباس إلى يزيد جواب كتابه:

«إنّي لأرجو لا يكون خروج الحسين لأمر تكرَهه، ولست أدَع النّصيحة له فيما يجمع الله به الأُلفة ويطفئ به النّائرة [5]»[6].

لقد سعى يزيد في بداية الأمر إلى استخدام الوساطة كحلٍّ سلمي ناجع، فكتب إلى ابن عباس صاحب الحسين بُغية رد هذا الأخير عن عزمه ومطلبه ، فدخل ابن عباس على الحسين فكلّمة طويلا، ونصحه بعدم الخُروج إلى العراق وقال له: وإن كنت لابدَّ فاعلا فأقِم حتى ينقضي الموسم، وتلقى الناس وتعلم على ما يصدرون، ثمّ ترى رأيك، فأبى الحسين إلّا أن يمضي إلى العراق، فقال له ابن عباس والله إنّي

---

(1) _ في معجم الأدباء"عنفتم"والمعنى نفسه وفي تهذيب الكمال"غنيتم".

(2) _العقبان: قُرئت بضم العين وكسرها، وهي سباع الطير التي تصيد أمّا التي لا تصيد فتسمى الخشاش، وقيل عقبان الجرذان، والعقاب من الطيور معروف. لسان العرب، مج4، ص3029، مادة عقب.

(3) _الرّخم: من الرخمة وهو طائر أبقع على شكل النّسر مبقع بسواد، ويقال له الأنوَق. لسان العرب، مج3، ص1617، مادة رخم.

(4) _ الطبقات الكبرى، ج6، ص427، ابن منظور: مختصر، ج7، ص142، ابن العديم: بغية الطلب ، ج6 ، ص 2610، المزي: تهذيب الكمال، ج6، ص419، 420، الذّهبي: سير أعلام النبلاء، ج3، ص304، ابن كثير: المصدر السّابق، ج8، ص141، محمد ماهر: المرجع السّابق، ص209.

(5) _ في تهذيب الكمال"الثائرة"، ونقول نأرت نائرة في الناس أي هاجت هائجة. لسان العرب، مج6، ص4313، مادة نأر.

(6) _ ابن سعد: المصدر السّابق، ج6، ص427، ابن منظور: مختصر، ج7، ص142، ابن كثير: المصدر السّابق، ج8، ص142 .

لأظنّك ستُقتل غدا بين نسائك وبناتك، كما قُتل عثمان بين نسائه وبناته، والله إنّي لأخاف أن تكون الذي يُقاد به عثمان، وخرج مُغضبا من عند الحسين[1].

لقد تنبّأ ابن عباس بالمصير الحتمي الذي سيؤُول إليه أمره، فهو على علم بيزيد وسياسته، وحتى يزيد كما يظهر لنا لم يكن يرغب في بداية الأمر بإثارة الحسين والإساءة له، لكن لما استمر الحسين في عناده وتوجّه إلى العراق كان الأمر الذي لم يرغب فيه يزيد وخشيه وهو قتل الحسين في كربلاء تحت غطاء: قد أعذر من أنذر.

هذا وكتب مروان إلى عبيد الله بن زياد بالتّحذير والتخويف وأوصاه بالرّفق بالحسين، وذكّره بمنزلتة ، وخوّفه العاقبة في أمره قائلا: أما بعد فإنّ الحُسين بن علي قد تَوجّه إليك، وهو الحسين بن فاطمة وفاطمة بنت رسول الله ﷺ ، وبالله ما أحدٌ يُسلّمُه الله أحبّ إلينا من الحسين، فإيّاك أن تُهيّج على نفسك مالا يسدُّه شيء، ولا تَنساه العامّة، ولا تَدعُ ذِكره والسّلام »[2].

بهذا كتب مروان إلى ابن زياد في أمر الحسين فلماذا لم يحفظ ابن زياد هذا الدّرس من مروان؟ ولماذا عمل بخلافة؟

الواقع أنّ عمرو بن سعيد بن العاص كتب أيضا إلى ابن زياد يأمره بخلاف ما أمر به مروان قال: «أمّا بعد فقد توجّه إليك الحسين وفي مثلها تُعتق أو تُسترقُّ»[3]، فلم يستجب ابن زياد لنداءات مروان التّي ضاعت سُدى، فانتهت قضيّة الحسين بشكل مؤلم محزن نتيجة لانعدام الأناة والتّبصر في الأمور والعواقب من كلا الطرفين، خاصّة ابن زياد الذي لم يأخذ بالنّصائح وتصرّف تصرّفا أخرقا، وكأني به استَضعف يزيد ومروان، وتجاوز سلطانهما، مُحاولا بذلك أن ينال حُضوة عند يزيد، ولكنّه باع آخرته بدنيا غيره، فكثر السّاخطون عليه.

وتحولت حادثة كربلاء إلى مأساة هزّت ضمائر المسلمين، وكان لها تأثيرٌ على أركان النّظام الأموي والخليفة، ممّا أدّى إلى إفراز عدّة حركات ثوريّة فيما بعد، كحركة التّوابين وحركة المختار، وزاد مقتل الحسين وأصحابه في كربلاء النّقمة المتفاقمة على يزيد في مدينة الرسول ﷺ بجانب الممارسات المركزية والضّعف

---

[1] _ ابن سعد: المصدر السابق، ج6، ص427، ابن منظور:مختصر، ج7، ص142، والحقيقة أنّ هناك الكثير غير ابن عباس نصحوا الحسين بعدم الخروج منهم عمرو بن سعيد وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب والمسور بن مخرمة وأخوه محمد بن الحنفية. انظر في ذلك ابن منظور: مختصر، ج7، ص142.

[2] _ ابن سعد: المصدر السابق، ج6، ص492، ابن عساكر: المصدر السابق، ج14، ص212، ابن منظور: مختصر، ج7، ص143، الذّهبي: تاريخ الإسلام، ج3، ص363، 364، سير أعلام، ج3، ص304.

[3] _ ابن سعد : المصدر السابق، ج6، ص429، الذهبي: سير أعلام، ج3، ص304.

الإقتصادي، فتفجّر الموقف الذي انتهى به الأمر إلى قرار بالعصيان قبل موقعة الحرّة[1].

- كتابه يزيد إلى ابن زياد ليُرسل إليه أهل الحُسين:

-415 -

قال ابن الأثير: «وقيل إنّ آل الحسين لما وصلوا إلى الكوفة- بعد قتل الحسين- حبَسهم ابن زياد وأرسل إلى يزيد بالخبر، **فجاء البريد من يزيد يأمرُ بإرسالهم إليه**»[2].

فلما أُوفدوا إليه قال لابنة الحسين: يا ابنة أخي أنا لهذا كنت أكره، فأكرَمهم وأكرم عليّا بن الحسين[3].

لقد حمل يزيد وجهة نظر مَرِنة تجاه آل الحسين، فلم يشأ أن يحمّلهم عاقبة الأمور، وفضل أن يكسب عفوهم وودّهم بالإكرام والعطايا، لعلّ ذلك يطفئ غيظهم، ويذهب كيدهم، وقد وفد عبد الله بن جعفر عليه فسأله يزيد: كم كان معاوية يُعطيك، فقال: كان رحمه الله يُعطيني ألف ألف، فقال يزيد لقد زدناك لترحّمك عليه ألف ألف[4].

- رسالة يزيد إلى ابن الحنفيّة يدعوه إلى زيارته:

- 416 -

قال البلاذري: بايع محمد ابن الحنفية ليزيد بن معاوية حين أخذ معاوية له البيعة على النّاس دون أن يكون منه أي موقف معارض، فكان معاوية يشكر له ذلك ويصله عليه، «وكان يزيد يعرف ذلك له أيضاً، فلما ولي يزيد لم يسمع عن ابن الحنفية إلا جميلاً وببيعته إلا تمسكاً ووفاءً، وازداد له حمداً وعليه تعطّفاً، فلمّا قتل الحسين بن علي، وكان من ابن الزبير ما كان **كتب يزيد إلى ابن الحنفية يعلمه أنّه قد أحبّ رؤيته وزيارته إيّاه، ويأمره بالإقبال إليه**»[5].

فقال له عبد الله ابنه : لا تأتِه فإنّي لا آمنه عليك، فخالفه ومضى إلى يزيد، فلما قدم عليه أمر فأنزل منزلاً وأجرى عليه ما يصلحه ويسعه، ثم دعا به وأدنى مجلسه وقرّبه حتى صار معه، وأكرمه، و أمر له

---

(1) _ شحاذة الناطور: تجديد الدولة، ص5.

(2) _ الكامل في التاريخ، ج3، ص437 .

(3) _ المصدر نفسه، ص438.

(4) _ الأبشيهي: المستطرف، ص159، ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج3، ص1252.

(5) _ أنساب الأشراف، ج5 ، ص327.

بثلاثمائة ألف درهم فقبضها[1].

- ردّ يزيد على عبد الله بن جعفر حين طلب مالًا لخاصّته:

-417 -

قال ابن عبد ربه: «وقّع يزيد في كتاب عبد الله بن جعفر إليه يستميحه[2] لرجال من خاصّته [3]:

أحكم لهم بآمالهم إلى مُنتهى آجالهم ، فحكم لهم بتسعمائة ألف فأجازها »[4].

- رسالة عبد الملك إلى الحجّاج للرّفق بابن الحنفيّة قبل أخذ بيعته:

-418 -

كان محمد بن الحنفيّة محايدا لم يبايع لابن الزبير ولا لعبد الملك، وبقي متربّصا حتّى يجتمع النّاس على أحدهما، فإذا اجتمع النّاس بايع.

عن الحسن بن محمد بن علي[5] قال: «لم يُبايع أبي الحجّاج، فلما قُتل ابن الزبير بعث الحجّاج إليه فجاء، فقال: قد قتل الله عدوّ الله، فقال ابن الحنفية: إذا بايع النّاس بايعتُ، قال: والله لأقتلنّك، قال أوَ لا تدري أن الله في كلّ يوم ثلاثمائة وستين لحظة، في كلّ لحظة مائة وستون قضيّة، فلعلّه أن يكفيناك في قضيّة من قضاياه، قال فكتب بذلك الحجّاج إلى عبد الملك فكتب إليه:

قد عرفْنا أنّ محمّدا ليس عندهُ خلاف، وهو يأتِيك ويُبايعك فارْفق به[6]»[7].

- رسالة عبد الملك إلى الحجّاج يأمرُه بالإحسان إلى محمد بن الحنفيّة بعد بيعته:

-419 -

عن سهل بن عبيد بن عمرو الخابوري قال:«كتب ابن الحنفية إلى عبد الملك: أن الحجّاج قد قدِم

---

[1] _ أنساب الأشراف، ج5، ص327.

[2] _ يستميحه أي يطلب موافقته. لسان العرب، مج3، ص2088، مادة سمح.

[3] _ بداية رواية الثّعالبي:"كتب إليه يسأله أن يقضي عنه ذمام نفر من بطانته وخاصّته فوقّع..." والذّمام أي الحرمة والحق والكفالة. لسان العرب، مج3، ص1517، مادة ذمم.

[4] _ العقد الفريد، ج4، ص288، 289، الثّعالبي: خاص الخاص، ص 127.

[5] _ هو الإمام الحسن بن محمد بن الحنفية أبو محمد الهاشمي، أخو عبد الله بن محمد، كان رجلا خليلا فاضلا من علماء أهل البيت، توفي سنة مئة وقيل 99 هـ وقيل 101، وذكر البخاري أنّه توفي في خلافة عبد الملك، أمّه جمال بنت قيس بن مخرمة.تاريخ خليفة، ص208، البخاري: التاريخ الكبير، ج2، ص305، المزي: تهذيب الكمال، ج6، ص316-318، الذهبي: سير أعلام، ج4، ص130.

[6] _ في البداية والنهاية "فارفق به فهو يأتيك ويبايعك".

[7] _ ابن عساكر: المصدر السابق، ج54، ص351، ابن كثير: المصدر السابق، ج9، ص33.

بلدنا وقد خِفتُه، فأحبّ أن لا تجعل له عليَّ سلطانا بيدٍ ولا لسان، فكتب عبد الملك إلى الحجّاج:

إنّ محمّد بن علي كتب إلي يستعفيني منك، وقد أخرجتُ يدك عنه فلم أجعل لك عليه سُلطانًا بيد ولا لسان، فلا تَتعرّض له .

فلقِيَه في الطّواف فعضّ على شفتيه، ثمّ قال: لم يأذن لي فيك أمير المؤمنين»[1].

مع الإشارة إلى أنّ البلاذري ذكر أنّ هذا الأمر من عبد الملك كان قبل مقتل ابن الزّبير ولا نظنّ البلاذري أصاب بذلك، بل كانت بعد مقتله، إذا أنّ الحجاج لم يتولّ المدينة والحجاز إلّا بعد أن تخلّص من ابن الزبير[2]، وهذا ما تؤكّده بقية المصادر .

لقد أدرك عبد الملك أهميّة توثيق العلاقة واحترامها مع الشّخصيات البارزة في المجتمع، فقد حرص على كسبها وتأييدها، وبذلك نجح في الإحتفاظ بصِلات حسنة بين الأمويّين وبني هاشم، فكانت هذه ثمرة حسنة من سياسته وبُعد نظره[3]، كما أدرك عبد الملك أنّه بذل الكثير من الجهد والكثير من الأموال والدّماء في قضائه على ابن الزبير، ولم تَزل ثُثار في وجهه الثّورات والفتن، فهل يتعمّد إثارة محمد بن الحنفية وشيعته، ومحمد لا يطلب خلافة أو يسعى لها، وجلّ ما يطلبه الأمان له ولأصحابه وكفّ أذى الحجاج عنهم؟

إنّ عبد الملك بفطنته وحزمه وذكائه إلتفت إلى الأمر فوجد أبناء عليٍّ لا يُقيمون على الهوان، وأُمثولة الحسين في كربلاء لم تزل ماثلة أمام عينيه، فرأى من الأحرى والأحكم له كفّ أذى الحجّاج عنهم وتأمينهم، فيسلُس عليه قيادتهم، ويتّقي غضب الله النّاتج عن ظلمهم، فبرهَن–كما أسلفنا– عن قدرة سياسيّة عظيمة، وفِطنة وذكاء وبُعد أثر في السّياسة [4].

– كتابه عبد الملك لابن الحنفيّة يطلب منه القدوم إليه:

-420 -

قال عبد الله بن عبيد الله بن أبي رافع فيما يرويه عن أبيه: «لـمّا صار محمد بن علي إلى المدينة وبني

---

[1] _ مروج الذهب، ج3، ص84، محمد ماهر: الوثائق، ص354.

[2] _ تاريخ خليفة، ص168.

[3] _ الصلّابي: الدّولة الأموية، ج1، ص674.

[4] _ إبراهيم خليل: الخليفة عبد الملك، ص285. ويقول ابن طباطبا في ذلك: «واعلم أنّ الملك لرعيّته كالطّبيب للمريض، إن كان مزاجه لطيفا لطُف له التدبير ودسّ له الأدوية المكروهة في الأشياء الطيّبة، وتحيّل عليه بكلّ ممكن حتّى يبلغ غرضه من برئه، وإن كان مزاجه غليظا عالجه بمرّ العلاج وصريحه وشديده». الفخري، ص46.

داره بالبقيع كتب إلى عبد الملك يستأذنه في الوفود عليه، **فكتَب إليه عبد الملك يأذن له في أن يقدم عليه.**

فوفد عليه سنة ثمانٍ وسبعين، فقدم على عبد الملك بدمشق فاستأذن عليه فأذن له، وأمر له بمنزل قريب منه، وأمر أن يُجرى عليه نُزل[1] يكفيه ويكفي من معه، وكان يدخل على عبد الملك، ورفع له محمد حوائجه فقضاها» [2].

هذا وينبغي أن نفرق بين هذه الرّسالة سنة 78 هـ وبين الرّسالة التي سبق ذكرها[3]، حين أذِن عبد الملك لابن الحنفية في القدوم عليه سنة 72 هـ قبل التّخلص من ابن الزبير.

- رسالة عبد الملك إلى الحجّاج ليتجنّب دماء آل أبي طالب:

-421 -

قال ابن عبد ربه: كتب عبد الملك إلى الحجّاج بعد أن أمّن ابن الحنفية ووفد عليه: «**لا تعرِض لمحمّد ولا لأحد من أصحابه،**

وكان في كتابه:

جنِّبني دماء بني عبد المُطلب فليس فيها شفاء من الحَرَب[4]، وإنّي رأيتُ بني حرب سُلِبوا مُلكَهم لمّا قَتلوا الحسين بن علي، فلم يتعرّض الحجاج لأحد من الطالبيّين في أيّامه»[5].

رواية أخرى لما سبق

-421-أ

أمّا ابن سعد فقال: « وكتب عبد الملك بن مروان للحجّاج بن يوسف:

أما بعد يا حجاج، فجَنِّبني دِماء بني عبد المطّلب، فإنّي رأيتُ آل حرب لمّا قتلُوهم لم

---

(1) _ النُّزل هو المنزل وما يهيّأ للتنزيل، ومنه قوله تعالى: «وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا»، والنزل أيضا الضّيافة. لسان العرب، مج6، ص4400، مادة نزل.

(2) _ابن سعد: الطبقات الكبرى ، ج7، ص112 .

(3) _ انظر الرسالة رقم 25 .

(4) _ نهاية رواية الثّعالبي و الرواية الثانية لابن عبد ربه وفيها" من الطلب"، والحَرَب هو شدة الغضب. لسان العرب، مج2، ص816، مادة حرب.

(5) _ العقد الفريد : الرّواية الأولى، ج5، ص149 ، الرواية الثانية، ج4، ص289. الثّعالبي: المصدر السابق، ص27.

يُناظروا[1]»[2].

المؤكّد أنّه كتب إليه بشأن آل أبي طالب ، كما تؤكّده الرّوايات اللاحقة، وليس بني عبد المطّلب.

رواية أخرى لما سبق

421-ب-

عن الأصمعي قال: «وقال عبد الملك بن مروان للحجّاج بن يوسف:

جنِّبني دماء آل أبي طالب فإنّي رأيتُ بني حرب لمّا قَتلوا الحسين نزع الله مُلكهم»[3].

ورواية الأصمعي هذه لم تذكر أنها رسالة بل هي مجرّد قول لعبد الملك.

رواية أخرى لما سبق

421-ج-

وجاءت هذه الرّواية عند المسعودي باختلاف قليل عمّا سبق فقال: «وكتب عبد الملك إلى الحجاج:

جنّبني دماء آل أبي طالب، فإني رأيتُ المُلك استوحَش[4] **من آل حرب حين سَفكوا دِماءهم.**

فكان الحجّاج يتجنّبها خوفًا من زوال الملك عنهم» [5].

هذه في مجملها روايات رسالة عبد الملك للحجّاج في شأن آل أبي طالب والتّي جاءت متقاربة في ألفاظها ومعانيها، ويبدو أنّ عبد الملك هوّل الأمر فقط حتّى يبعث في نفس الحجّاج ولعًا يدفعه للإعراض عن آل أبي طالب، إذ هل كان سبب زوال ملك آل حرب قتلهم للحسين أم تنازل معاوية بن يزيد عن الخلافة؟

لقد عبّر عبد الملك من خلال رسالته هذه عن رغبته في تجنّب دماء آل البيت وحقنها ما استطاع إلى ذلك سبيلا، فمن الواجب عن السّلطان شرعا وسياسية إكتفاؤه بظاهر الطّاعة من غير تنقير عن باطن

---

(1) _ من النّظرة وهي تأخير الأمر ومراجعته والتراوض فيه، أي لم يُنظروهم وثاروا عليهم . لسان العرب ، مج6، ص4467، مادة نظر.

(2) _ المصدر السابق، ج6، ص456.

(3) _ البيهقي :المحاسن والمساوئ، ج1، ص51.

(4) _ كل شيء استوحش وأوحش أي خلا وذهب عنه الناس، فيُقال أوحش المكان من أهله أي انصرفوا عنه. لسان العرب، مادة وحش، مج6، ص4784.

(5) _ مروج الذهب، ج3، ص120.

حقيقتها[1]، لذا كان الود والإحترام غالبين على العلاقة بينهم وبين عبدالملك خاصّة منهم ابن الحنفيّة وعلي بن الحسين ، فكان بذلك أحبّ النّاس إليهما[2].

ثانيا– الـرّسائل الخاصّة بالشّدة على آل البيت ومن وَالاهم وقمعِهم والتّضييق عليهم:

- كتاب معاوية إلى زياد يتوعّده بعد تَولّيه الخلافة :

-422 -

«كان زياد بن عبيد عامل علي بن أبي طالب على فارس، فلمّا صار الأمر إلى معاوية **كتب إليه يتوعّدُه ويتهدّده.**

فقام زياد خطيبا فقال:

إنّ ابن آكلة الأكباد[3]، وكهف النّفاق وبقيّة الأحزاب كتب يتوعّدني ويتهدّدني، وبيني وبينه ابنا بنت رسول الله[4] في تسعين ألفا واضعي قبائع[5] سيوفهم تحت أذقانهم، لا يلتفت أحدهم حتّى يموت أما والله لئِن وصل إليّ ليجدني أحمَزَ[6] ضرّابًا بالسّيف»[7].

لقد كانت هذه السّياسية الشّديدة من معاوية في بداية أيّام خلافته، إذ عمد إلى هذا الأسلوب لحاجته إلى توطيد حكمه والحفاظ على مكانته ومنصبه، وهي السّياسة نفسها التي أوصى بها بسر بن أبي أرطأة حين وجّهه واليا على البصرة، فقد أمره بقتل من خالفه وكان هواه مع عليّ، فلمّا قدم بسر أخذ بني

---

(1) _ ابن الأرزق : بدائع السلك، ج2، ص559.

(2) _ تاريخ أبي زرعة ، ص 189 .

(3) _ يقصد هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان التي بقرت بطن حمزة بن عبد المطلب وأخرجت كبده. انظر ابن عساكر: المصدر السابق، ج70، ص177.

(4) _ يقصد الحسن والحسين.

(5) _ القبيعة التي على رأس قائم السيف وهي التي يدخل القائم فيها، وربما اتُّخذت من فضة على رأس السكين، وقيل ما فوق الغمد .لسان العرب، مج5، ص3515، مادة قبع.

(6) _ يقال فلان أحمز أي متقبّض الأمر مشمّرة، والحامز القابض، ويقال حمز حديدته أي حددها. لسان العرب، مج2، ص994، مادة حمز.

(7) _ تاريخ اليعقوبي، ج2، ص218.

زياد بن أبيه[1]، فلمّا لم يفلح هذا جرّب معاوية غيره، فادّعى زياد وألْحَقه بأبي سفيان وولّاه البصرة[2]، فكان له ما أراد ووصل إلى مبتغاه بأيسر الطّرق و أنجعِها.

- رسالة معاوية إلى عمّاله في منع مدح علي :

- 423 -

قال المدائني: «كتب معاوية نسخة واحدة إلى عمّاله بعد عام الجماعة:

أن برئت الذّمة ممن روى شيئا من فضل أبى تراب وأهل بيته.

فقامت الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر يلعنون عليا ويبرؤون منه، ويقعون فيه وفي أهل بيته ،وكان أشدّ الناس بلاء حينئذ أهل الكوفة، لكثرة من بها من شيعة عليّ، فاستعمل عليهم زياد بن سمية وضمّ إليه البصرة فكان يتتبّع الشيعة وهو أعلم بهم ، لأنّه كان منهم أيام علي بن أبي طالب، فتعسّف بهم وقتل منهم الكثير، وأخافهم وقطع الأيدى والأرجل وصلبهم على جذوع النخل ، وشردهم عن العراق حتّى لم يبق بها معروف منهم» [3] .

- رسالة معاوية إلى عمّاله ألا يجيزوا شهادة شيعة علي:

- 424 -

قال المدائني في روايته السّابقة :« وكتب معاوية إلى عماله في جميع الآفاق:

ألا يُجيزوا لأحد من شيعة عليّ وأهل بيته شهادة ، وكتب إليهم أن انظروا من قِبلكم من شيعة عثمان ومحبّيه وأهل ولايته، والذين يروُون فضائله ومناقبه فادنوا مجالسهم وقرّبوهم وأكرموهم ، واكتبوا لي بكلّ ما يروي كل رجل منهم، واسمه واسم أبيه وعشيرته»[4] .

ففعلوا ذلك حتّى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه لِما كان يبعثه إليهم معاوية من الصِّلات والكساء والقطائع، فكثُر ذلك في كل أنحاء الدّولة بل وتنافسوا فيه ، وكلّ واحد يروى في عثمان فضيله أو منقبه يُكتب اسمه ويُقرّب ويشفّع، ولبثوا على هذا الأمر مدّة[5].

---

[1] _البلاذري : أنساب، ج5، ص199.

[2] _ تاريخ اليعقوبي ، ج2، ص218. وانظر الباب الأوّل عند الحديث عن ادعاء زياد.

[3] _ ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ، طبعة دار إحياء الكتب، ج11 ، ص44.

[4] _المصدر نفسه ، ص44.

[5] _المصدر نفسه ، ص44،45 .

- رسالة معاوية إلى عمّاله في ذكر مناقب عثمان والحط من فضائل علي:

- 425 -

وجاء في رواية المدائني السّابقة ثم كتب إلى عماله:

«أن الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر وفي كل وجه وناحية، فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا النّاس إلى الرّواية في فضائل الصّحابة والخلفاء الأوّلين، ولا تتركوا خبرا يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب[1] إلّا وتأتوني بمُناقض له في الصّحابة، فانّ هذا أحبَّ إليّ وأقرُّ لعيني ، وأدحض لحجّة أبي تراب وشيعته ، وأشدّ عليهم من مناقب عثمان وفضله» [2].

لقد بيّنت الرسالة أنّ معاوية راح يبحث عن كلّ طريقة يحطّ بها من مكانة عليّ ، ويضعه موضع التّهمة، ليظهر هو بمظهر الحقّ، ولا شكّ أن هذا الأمر مبالغ فيه كثيرا وهو ممّا حاكه الرّواة ، إذ لامبرّر له من قِبل معاوية، وقد دفع النّاس والولّاة منهم بالخصوص إلى التّلفيق والإدّعاء على عليّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال المدائني بعد ذكره لرسالة معاوية: «فقُرئت كتبه على الناس ، فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصّحابة مُفتعلة لا حقيقة لها ، وجدّ الناس في رواية ما يجرى هذا المجرى، حتى أشادوا بذكر ذلك على المنابر، وألقي إلى معلّمي الكتاتيب فعلّموا صبيانهم وغلمانهم من ذلك الكثير الواسع، حتى رووه وتعلموه كما يتعلمون القرآن، وحتى علّموه بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم فلبثوا بذلك ما شاء الله»[3].

- رسالة معاوية إلى عمّاله يأمرهم بمحو شيعة علي من الدّيوان:

- 426 -

قال المدائني في روايته السّابقة :ثم كتب الى عمّاله نسخة واحدة الى جميع البلدان:

«انظروا من قامت عليه البيّنة أنّه يحب عليًّا وأهل بيته فامحوه من الدّيوان، وأسقطوا عطاءه ورزقه، وشفّع[4] ذلك بنسخة أخرى من اتهمتموه بموالاة هؤلاء القوم فنكّلوا به واهدموا داره »[5].

والذي يبدو أن معاوية أمر بمحو الرّجل من ديوان العطاء إذا أظهر عنادا ودعا إليه، وحشد النّاس

---

[1] _يقصد علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

[2] _ ابن أبي الحديد : المصدر السابق ، ص45.

[3] _المصدر نفسه ، ص45.

[4] _ شفع الكتاب أي جعل معه كتابا أخر زوجا ولم يتركه وترا. لسان العرب ، مج 4، ص 2289، مادة شفع.

[5] _ ابن أبي الحديد :المصدر السابق ، طبعة دار إحياء الكتب، ج11 ، ص45.

لنصرة ذلك ، فحرص ولّاته على إنفاذ أمره وتتبع المعارضين، فلم يكن البلاء أشد ولا أكثر منه بالعراق ولا سيما بالكوفة حتى إنّ الرجل من شيعة عليّ لياتيه من يثق به فيدخل بيته فيلقي إليه سرّه ،ويخاف من خادمه ومملوكه، ولا يحدثه حتى يأخذ عليه الأيمان الغليظة ليكتُمنّ عليه، فظهر بسبب ذلك الكثير من الأحاديث الموضوعة ، فصار النّاس يفتعلون الأحاديث ليحظوا بذلك عند ولاتهم ويقربوا مجالسهم ويصيبوا به الأموال والضياع[1].

- رسالة معاوية إلى زياد ليبعث له صعصعة بن صوحان:

- 427 -

عن تميم بن مالك القرشي قال : كان صعصعة بن صوحان[2] من أصحاب عليّ مقيما بالكوفة في خلافة معاوية ، فكتب معاوية بن أبي سفيان إلى زياد:

«**إبعث إليّ خطباء أهل العراق، وابعث إليّ بصعصعة بن صوحان**»[3].

فقدموا على معاوية ، فخطب فيهم ، ثمّ أمر صعصعة بالكلام فردّ عليه وخالفه ، فقال معاوية: أما والله لأحرمنّك عطاءك ولأقتلنّك، ثمّ أمر أن يحمل إلى العراق فيسبّ عليًّا ، فلمّا حمل أبى ذلك فسُكرت داره ، ومنع عطاؤه ، فجمع له سبعون ألفا فاشتكى صعصعة فأوصى أن يردّ إلى كل ذي حق حقه[4].

- رسالة معاوية إلى الحُسين يتَهدّده

-428 -

وقّع معاوية للحسين في أحد كُتبه إليه:

«**نحن الزّمان، من رَفعناهُ ارتفع ومن وضَعناه اتّضع**»[5].

إن صحّت الرّواية فقد حمل هذا التّوقيع في طيّاته تهديدا وتخويفا من معاوية للحسين بن علي، على أنّ المصدر لم ينقل لنا كتاب الحسين إلى معاوية، والذي دفع بمعاوية إلى التّوقيع بالذي ذكرنا .

---

(1) _ ابن أبي الحديد :المصدر السابق ، طبعة دار إحياء الكتب، ج11 ، ص45.

(2) _هو صعصعة بن صوحان بن حجر أبو عبيد العبدي، من أهل الكوفة ،كان في صفّ علي بن أبي طالب ، وقُتل أخوه سيحان يوم الجمل، كان خطيبا وفد على معاوية ، وأدرك خلافة ابنه يزيد . ابن عساكر : المصدر السّابق ، ج24 ، ص 79 – 97 .

(3) _ أبو العرب : المحن ، ص 350 .

(4) _المصدر نفسه ، ص 350 .

(5) _ الثعالبي : خاص الخاص، ص127.

- رسالة معاوية إلى الحَسن يأمرُه بقتال الخوارج:

-429 -

[رسالة معاوية]: «كان فروة بن نَوفل الأشجعي[1] اعتزل يوم النّهروان، فلمّا بلغه بعد ذلك صُلح الحسن وولاية معاوية أعلن خروجه بالنّخيلة[2]، وكان الحسن بن علي عليهما السّلام قد شخص يريد المدينة، **فكتَب إليه معاوية يدعُوه إلى قِتال فَروة**»[3].

[ردّ الحَسن]: فكتب الحسن إلى معاوية: «لو آثرتُ أن أُقاتل أحدا من أهل القِبلة لبدأتُ بقتالك، فإنّي تركتُه لصلاح أمر الأمّة وأُلفتها وحقن دِمائها»[4].

فأمسك عنه معاوية حينها وأرسل جماعة من أهل الشّام لقتال فروة[5].

الظّاهر أنّ معاوية كان يسعى إلى ضرب خصومه ببعضهم، إن لم نقل أنّه سعى إلى التّخلص من الحسن بدفعه لقتال الخوارج، فيبقى هو في موضع المتفرّج على الأحداث يتربّص من يتخلص من الآخر الخوارج أم الحسن، ويبقى هو في كِلا الحالتين منتصرا.

- ردّ معاوية على مروان بن الحكم لمنع دفن الحسَن مع النّبي ﷺ:

-430 -

قال البلاذري: يقال أنّ الحسن أوصى أن يدفن مع النّبي ﷺ فأظهر الحسين ذلك قبل موت الحسن فأنكره مروان بن الحكم، ولم يكن واليا حينئذ، وكتب بقول الحسين إلى معاوية.

[ردّ معاوية] فكتب إليه معاوية: «**إذا مات الحسَن فامنع من ذلك أشدَّ المَنع، كما مَنَعنا من دفن عُثمان مع النّبي ﷺ** »[6].

فبلغ ذلك الحُسين فأتى أخاه فأخبره بذلك، فقال يا أخي إجتنبتُ القتال في حياتي أفتُريد أن يكون

---

[1] _ هو فروة بن نوفل بن شريك الأشجعي من زعماء المحكّمة الخوارج ورئيسهم، اعتزل عليّا بعد التحكيم في 500 من أصحابه، وأقام بشهرزور إلى أن تنازل الحسن لمعاوية فزحف على الكوفة، فانتدب معاوية النّاس لصدّه فقُتل سنة 41 هـ.الذهبي: تاريخ الإسلام، ج2، ص574، الزركلي: الأعلام، ج5، ص143.

[2] _ سبق التعريف بها في التّمهيد.

[3] _ البلاذري : أنساب، ج5، ص169.

[4] _ المصدر نفسه، ص169.

[5] _ المصدر نفسه، ص169.

[6] _ المصدر نفسه ، ج3، ص298 .

ذلك عند سريري؟ فضمن له ألّا يفعل، ويُقال أنّه لم يَجِرِ بينة وبين الحُسين في ذلك شيء، فلمّا توفّي أراد الحسين دفنه مع النّبي فمنعه مروان من ذلك[1]، فدُفن بالبقيع[2].

وفي هذه الرّسالة نظر إذ أنّ عثمان لم يطلب دفنه مع الرّسول ﷺ ولم يمنع إطلاقا، ثمّ إنّ الأمر لعائشة إن شاءت أذنت وإن شاءت رفضت، ويؤكّد ذلك إذن عمر منها لمـّا طعن، وقد أوصى الحسن عند وفاته أخاه الحسين قائلاً: «...وكنت طلبت من عائشة رضي الله عنها أن أُدفن مع رسول الله ﷺ ، فقالت نعم، فإذا متّ فاطلب ذلك إليها، وما أظنّ القوم إلاّ سيمنعوك، فإن فعلوا فلا تراجعهم»[3].

- ردّ معاوية على مروان يشكُر له منعه دفن الحسن مع رسول الله :

-431 -

[كتاب مروان] قال ابن سعد: لـمّا مات الحسن سنة 50 هـ أتى الحسين إلى أمّ المؤمنين عائشة، فمنعهم مروان، فلبس الحسين ومن معه السّلاح، مخالفا بذلك وصية أخيه، فرّده أبو هريرة ثمّ دُفن بالبقيع إلى جنب أمّه رضي الله عنها «وأرسل مروان بريدًا إلى معاوية :

يخبره بما كان من ذلك ومن قيامه ببني أميّة ومواليهم، وإنّي يا أمير المؤمنين عقدت لوائي، وتلبّسنا السّلاح وأحضرتُ معي ممّن اتّبعني ألفي رجل، فلم يزل الله بمنّه وفضله يدرأ ذلك أن يكون مع أبي بكر وعمر ثالثا أبدًا، حيث لم يكن أمير المؤمنين عثمان المظلوم رحمه الله، وكانوا هم الذين فعلوا بعثمان ما فعلوا.

[ردّ معاوية]فكتب معاوية إليه:

يشكُر له ما صنع، واستعمله على المدينة ونزع ابن العاص، **وكتب إلى مروان: إذا جاءك كتابي هذا فلا تدَع لسعيد بن العاص قليلا ولا كثيرًا إلاّ قبضته»**[4].

ذلك أنّ سعيد بن العاص كان والي المدينة حينئذ.

---

[1] _ ابن سعد : الطبقات، ج6، ص396، ابن عساكر: المصدر السابق، ج21، ص188.

[2] _ ابن سعد : المصدر السابق، ج6، ص397.

[3] _السيوطي : تاريخ الخلفاء، ص195.

[4] _ ابن سعد : المصدر السابق ، ج6، ص396، 397، ابن عساكر: المصدر السّابق، ج21، ص188

- رسالة معاوية إلى مروان يطلب منه شراء دار كثير بن الصّلت:

- 432 -

قال جويرية: كان كثير بن الصّلت مواليا للحسن، فلمّا أفضى الأمر إلى معاوية «كتب معاوية إلى مروان:

أن اشتر دار كثير بن الصلت منه»[1] فأبى عليه.

- رسالة معاوية إلى مروان لأخذ مال كثير بن الصّلت:

- 433 -

لمّا أبى كثير بن الصّلت بيع داره كتب معاوية إلى مروان:

« أن خذه بالمال الذي عليه فإن جاء به وإلّا بع عليه داره»[2].

فأرسل إليه مروان فأخبره وقال: إني أؤجلك ثلاثاً، فإن جئت بالمال وإلا بعت عليك دارك، قال: فجمعها إلا ثلاثين ألفاً فقال: من لي بها؟ ثم ذكر قيس بن سعد بن عبادة فأتاه فطلبها منه ، فأقرضه فجاء بها إلى مروان، فلما رأى أنه قد جاءه بها ردها إليه ورد عليه داره فرد كثير الثلاثين ألفاً على قيس فأبى أن يقبلها[3].

- رسالة معاوية إلى ابن عبّاس وعبد الله بن جعفر ليُغيّرا اسم ولَديهما:

-434 -

عن إسحاق بن عيسى بن علي عن أبيه قال:« ولد أبو محمد علي بن عبد الله[4]سنة أربعين بعد قتل علي بن أبي طالب عليه السّلام، فسمّاه عبد الله بن العباس عليا، وكنّاه بأبي الحسن، وولد معه في تلك السّنة لعبد الله بن جعفر بن أبي طالب عليه السلام غلام فسمّاه عليًّا، وكنّاه بأبي الحسن، فبلغ ذلك معاوية، فوجّه إليهما:

---

(1) _ابن عبد البر : الإستيعاب ، ج2 ، ص 277 .

(2) _ المصدر نفسه ، ص277 .

(3) _ المصدر نفسه ، ص277 .

(4) _ هو علي بن عبد الله بن العبّاس بن عبد المطلب، الإمام السيد أبو محمد الهاشمي السّجاد، ولد عام مقتل علي فسُمّي باسمه، أمّه ابنة مشرح بن عدي الكندي، كان عالما عاملا جسيما وسيما مهيبا، توفي سنة 118 هـ. الذهبي: سير أعلام، ج5، ص252، 253

أن انقُلا اسم أبي ترابً وكُنيته عن ابنيكما وسمّياهما باسمي وكنّياهما بكُنيتي، ولكلّ واحد منكما ألف ألف درهم.

فلمّا قدم الرّسول عليهما بهذه الرّسالة سارع إلى ذلك عبد الله بن جعفر، فسمّى ابنه معاوية[1]، وأخذ ألف ألف درهم، وأمّا عبد الله بن عباس فأبى ذلك»[2].

- رسالة معاوية إلى ابن عباس ينقُل كُنية ابنه:

-435 -

جاء في الرواية السابقة:«...فأتى الرسول معاوية فأخبره بخبر ابن عبّاس فردّ الرسول وقال:

فانقل كُنيتَه عن كنيتِه ولك خمسمائة ألف درهم، فلمّا رجع الرسول إلى ابن عباس بهذه الرّسالة قال: أمّا هذا فنعم، وكنّاه بأبي محمد»[3].

لقد سعى معاوية بهذا إلى اكتساح القُلوب وجذبها إليه، والقضاء على كل ما من شأنه أن يبعث في قلوب المسلمين حبّ عليّ والعيش على وقع ذكراه ومآثره، فطلب من ابن عباس وعبد الله بن جعفر أن ينقلا اسمه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن الولدين محوًا لذكراه.

- رسالة معاوية إلى عبد الله بن جعفر يأمرُه بالإقتصاد في المال:

-436 -

[رسالة معاوية]: عن يونس بن ميسرة قال: «بلغ معاوية أنّ عبد اله بن جعفر أصابه حَفَف[4] وجَهد هذا أو نحوِه، قال فكتب إليه بيتين من الشِّعر[5]:

لَمَالُ المرءِ يُصلحه فيُغني مفَارِقهُ أعفُّ من القُنـوعُ

يَسدُّ به نَوائب تَعتـــريه من الأيّام كالنَّهر الشَّرُوع[6]

---

[1] _معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب القُرشي الهاشمي المدني، أمه أم ولد، كان ثقه مقدّما يُوصف بالفضل والعلم. البخاري: التاريخ الكبير، ج7، ص331، المزي: تهذيب الكمال، ج28، ص196، 197.

[2] _أبو الفرج النّهرواني : الجليس الصالح، ج4، ص200.

[3] _المصدر نفسه، ص200.

[4] _ الحفف هو الضّيق في المعاش، وقيل قلّة الطعام. لسان العرب، مج2، ص930، مادة حفف.

[5] _ البيتان للشّمّاخ بن ضرار الذّبياني ، انظر ديوان الشّماخ ، ص 221 ، 222 .

[6] _ نقول إبل شروع أي وردت مورد الماء فشربت منه، ومنه نهر شروع أي يُقصد للشرب. لسان العرب، مج4، ص2238، مادة شرع.

وكتب إليه:

يأمره بالقَصد ويُرغّبه فيه وينهاه عن السّرف[1] ويعِيبُه عليه»[2].

[ردّ عبد الله بن جعفر]: أجابه عبد الله بن جعفر:

سلي الطّارق المُعترّ[3] يا أمّ خالـد ... إذا ما أتَاني بين ناري ومجـــزري[4]

أ أبسُط وجهي أنه أوّل القِـــرى ... وأبذُل معروفي بهم دون مُنكـــري

وقد اشترِي عِرضي بمالي وما عسى ... أخُوك إذا ما ضيّع العِرض يشتري

يؤدّي إلى اللّيل إتيان ماجـــدٍ ... كريمٍ، ومالي سارحٌ[5] مالُ مُقـــترِ

فأعجب معاوية ما كتب إليه به، وبعث بأربعين ألف دينار إليه عَونا على دَينه[6].

إنّ الدّولة الأموية في حقيقتها برغم الإمتيازات التي أُحيطت بها الأسرة الحاكمة والتّي افترضت تأمين المزيد من الأموال حفاظًا على هذه الإمتيازات واستمراريتها، فإنّ سياستها تجاه المعارضة لم تصل إلى هذا الحدّ من الغباء وقِصر النّظر خاصّة وأنها لم تجهل تماما سُبل الوصول إلى القلوب عن طريق المال وتعزيز العطاء[7]، مع آل البيت، وعبد الله بن جعفر منهم بالخُصوص، إذ كانت له مكانة مرموقة عند معاوية فها هو يقول لابنه يزيد: إنّ لي خليلا من أهل المدينة فأكرِمه، قال: ومن هو؟ قال: عبد الله بن جعفر، فلمّا وفد بعد موت معاوية على يزيد ضاعف جائزته التّي كان معاوية يعطيه إياها[8].

- كتابه معاوية إلى عُمّاله أن يلعنُوا عليّا على المنابر:

-437 -

روى العُتبي عن أبيه قال:« لمّا مات الحسَن بن علي حجّ معاوية[1]، فدخل المدينة وأراد أن يلعنَ

---

(1) _ بالأصل"ينهاه عن السفر"، والتّصحيح من الهامش عند المحقّق.

(2) _ ابن عساكر: المصدر السابق، ج27 .

(3) _ رجل معترٌّ أي فقير، وقيل المتعرض للمعروف من غير أن يسأل. لسان العرب، مج4، ص 2874، مادة عرر.

(4) _ مجزري: من الجزارة وهما اليدان والرّجلان والعنق. لسان العرب، مج1، ص614، مادة جزر.

(5) _ لا يسمّى من المال سرح إلّا ما يُغدي عليه ويُراح، وقيل السّرح من المال ما سرح عليه. لسان العرب، مج3، ص 1984، مادة سرح.

(6) _ ابن عساكر : المصدر السابق، ج27، ص293.

(7) _ إبراهيم بيضون : الدّولة الأموية والمعارضة، ص26.

(8) _ ابن كثير: البداية والنهاية، ج8، ص195.

(1) _ كان ذلك سنة 51 هـ. انظر تاريخ خليفة ، ص 134.

عليًّا على منبر رسول الله ﷺ ، فقيل له: إنّ هاهُنا سعد بن أبي وقاص ولاتراه يرضى بهذا، فابعث إليه وخُذ رأيه فأرسَل إليه وذكرَ له ذلك، فقال: إنْ فعلتَ لأخرُجنّ من المسجد ثمّ لا أعود إليه ، فأمسَك معاوية عن لعنه، فلمّا مات لعَنه على المنبر، **وكتب إلى عمّاله أن يَلعنُوه على المنابر**»[1].

لقد أخطأ معاوية كلّ الخطأ في قراره هذا –ولَيته لم يفعل ذلك– فانحرف به عن النّهج الصّحيح في التّعامل مع صحابة رسول الله ﷺ ، وفتح على نفسه بابا للقدح في شخصه، فتحمّل وزره ووزر عمّاله الذين راحوا يشتُمون عليّا ويسبّونه، فهذا مروان أمير المدينة كان يسبّ عليّا كل جمعة على المنبر[2] ، «وكان معاوية يلعنه على رؤوس الأشهاد، وعلى المنابر في الجُمع والأعياد، في المدينة ومكّة وفي سائر مدن الإسلام، فقد شارك الخوارج في الأمر المكرُوه منهم»[3].

واستمرّ الأمر على هذا الحال – لكن بشيء من الفُتور– حتّى خلافة عمر بن عبد العزيز الذي أبطل سبّه ، وأثبت في الخطبة موضع السبّ قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يَأمُرُ بِالعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَآءِ ذِي القُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الفَحْشَآءِ وَالمُنْكَرِ وَالبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[4].

– رسالة معاوية إلى المغيرة بن شعبة يأمره بشَتم الإمام عليّ:

-438-

[رسالة معاوية]: عن عبد الله بن فائد وسحيم بن حفض قالا:«كتب معاوية إلى المغيرة:

أظهِرْ شَتم علي وتَنقّصه.

[ردّ المغيرة]: فكتب إليه: ما أحبّ لك يا أمير المؤمنين أن كلّما عتبت تنقّصت، وكلما غضِبت ضربت، ليس بينك وبين ذلك حاجزٌ من حِلمك ولا تجاوزٌ بعفوك»[5].

لقد حاول المغيرة إيقاظ ضمير معاوية وإحياء روح الحلم تجاه هذه القضية الخطيرة التي لا يُستهان بها، فكتب له بهذه الكلمات عسى أن تُؤتي أكلها ويجتني ثمرها، وهذا ما لم يتحقّق، بل انساق المغيرة نفسه

---

(1) _ ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج5، ص114 ،115.

(2) _ ابن عساكر: المصدر السابق، ج57، ص243.

(3) _ ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ج5، ص99، سوسن عبّاد حسين: زياد بن أبيه، ص92. والعجيب أنّ هذا حصل من خليفة طالما أنّب ولاته على شتم أبناء عليّ والإساءة إليهم، وقد ذكرنا في الباب الثّاني أن معاوية حذّر زيادا من الإساءة للحسين وأمَره بالإحسان إليه. انظر البلاذري: أنساب، ج3، ص294، ابن عبد ربّه.المصدر السابق، ج5، ص273.

(4) _ ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار، ج1، ص389.

(5) _ البلاذري : أنساب، ج5، ص30.

لطلب معاوية وراح يشتم عليّا وقتلة عثمان، يقول الطبري: «أقام المغيرة عاملا بالكوفة سبع سنين وهو من أحسن شيء سيره وأشدّ حبا للعافية غير أنّه لا يدَع ذمّ علي والوقوع فيه، والعيب لقتلة عثمان واللّعن لهم، والدّعاء لعثمان بالرحمة والإستغفار له»[1].

- رسالة معاوية إلى زياد يلومه في بعث الهدايا مع أخ الأشتر:

-439 -

قال ابن حمدون: «بعث زياد إلى معاوية بهدايا مع عبيد الله[2] أخي الأشتر النّخعي[3]، وفي الهدايا سَفط[4] فيه جوهرة لم يُرَ مثلها، فقدم عبيد الله بالهدايا، ثمّ قال: يا أمير المؤمنين إنّ زيادًا بعث معي بسَفط ما أدري ما فيه، وأمرني أن أدفعه إليك في خلاء، فقال أحضِره فلمّا فتحه قال: ما أظنّ رجُلًا آثر على نفسه إلّا سيؤثره الله تعالى بالجنّة إرجع به إليه، فإنّ من قِبَله من المسلمين أحقّ بهذا من معاوية، ثمّ كتب إلى زياد:

إنّكَ رفعتَ عليّ راية الأشتر حين وضَعها الله، بعثتَ مع أخيه بسَفط يَشهدُ به عليّ عند أهل العراق، فاردُده إليَّ مع رجل لا يفقَه عنّي ولا أفْقَه عنه، فردّه إليه زياد مع غلام من غلمانه» [5]

- رسالة معاوية إلى زياد يأمره بقتل عبد الرحمن بن حسّان العَنَزي:

-440 -

وقال الطّبري: «سأل معاوية عبد الرحمن العَنَزي[6] عن عليّ فقال: أشهد انّه كان من الذّاكرين الله كثيرًا، ومن الآمرين بالحقّ والقائمين بالقِسط، والعافين عن النّاس.

قال: فما قولك في عثمان.

---

[1] _ تاريخ الطبري، ج5، ص254.

[2] _ هو عبيد الله بن الحارث ذكره الذّهبي في ميزان الإعتدال وقال غير ثقة. ج4، ص 5.

[3] _ الأشتر النّخعي: اسمه مالك بن الحارث بن عبد يغوث، شهد اليرموك، ثمّ سيّره عثمان من الكوفة إلى دمشق، وكان من أصحاب عليّ، شهد معه الجمل وصفّين، وولّاه مصر فمات قبل أن يصل إليها سنة 37هـ. تاريخ خليفة، ص 117، ابن عساكر: المصدر السابق، ج56، ص 375، 376.

[4] _ السّفط هو الذي يُعبّأ فيه الطّيب وما أشبه من أدوات النّساء. لسان العرب، مج3، ص 2027، مادة سفط.

[5] _ التذكرة الحمدونيّة، ج1، ص 415، 416.

[6] _ عبد الرحمن بن حسّان العنَزي بن محدوج الكوفي، تابعيّ ممّن قدِم مع حجر بن عدي إلى عذراء فلمّا قُتل حجر حُمل عبد الرحمن إلى معاوية، وكلّمه بكلام أغلظ فيه، فبعث به إلى زياد فقتله بقسّ النّاطف سنة 51 هـ. ابن عساكر: المصدر السابق، ج34، ص 301، ج8، ص 27.

قال: هو أوّل من فتح باب الظّلم وارتجّ أبواب الحقّ.

قال: قتلتَ نفسك، فبعث به معاوية إلى زياد، وكتب إليه:

أمّا بعد فإنّ هذا العَنَزيّ شرٌّ من بعثتَ، فعاقِبه عُقوبة التّي هو أهلها، واقتله شرّ قِتله.

فلمّا قُدم به على زياد بعث به زياد إلى قس النّاطف[1] فدُفن به حيًّا» [2]

لقد أظهر معاوية قسوة غير مألوفة مع حِجر وأصحابه والعنَزي منهم بالخصوص، لِما بدر منه من صريح المعارضة لعثمان والنّصرة لعلي، فلماذا هذه الشّدة المفرطة من معاوية؟ ولماذا هذا العِناد والإصرار من هؤلاء الموالين لآل البيت؟.

والمتأمّل في العقوبة التي نفّذها زياد على عبد الرّحمن العَنَزي يرى فيها شيئًا من القسوة والإنفراديّة، فالمطّلع على الطّريقة التي حكم بها زياد العراق — من أول وهلة منذ خطب خطبته البتراء- يراها بمثابة إعلان حكم عرفيّ، فإنّ أخذ الوليّ بالمولى والمقيم بالظّاعن والمقبل بالمدبر والمطيع بالعاصي أمرٌ ليس جاريًا على القانون الشّرعي الذي يَقصُر المسؤوليّة على المجرم، وإنّما ذلك شيء يلجأ إليه الإداريّون لتخفيف آلام الفوضى والجرائم، ومن ذلك وضعه العقوبات التي شرعها للجرائم المحدثة —كدفن عبد الرحمن حيًّا- فهذه القوانين عُرفيّة شديدة رآها لائقة لأهل العراق، ورغم أنّها آتت أُكلها وأفادت في إصلاح حالهم، ألّا أنّ ميزة القسوة ظلّت ملتصقة به، لا نقول ذلك هضمًا لحق زياد، لأنّه يُعتبر أقلّ ولّاة العراق سرفًا في الدماء، ولم يحتج لتنفيذ ما أوعد به من العقوبات إلّا للقليل، لأنّ علمهم بصدقه في الإيعاد أخافهم وأرهبهم، وصيّرهم يقِفون عند الحدّ المشروع لهم.[3]

- رسالة يزيد إلى عبيد الله بن زياد يأمره بالسّعي في طلب مُسلم بن عقيل:

-441 -

قال عوانة: «كتب شيعة بني أميّة إلى يزيد من الكوفة يُخبرونه بأمر مسلم بن عقيل:

أمّا بعد، فإنّ مسلم بن عقيل قد قدم الكوفة فبايعه الشّيعة للحُسين بن علي، فإن كان لك بالكوفة حاجة فابعث إليها رجُلًا قويًّا ينفّذ أمرك، ويعمل مثل عملك في عدوّك، فإنّ النّعمان بن بشير رجل ضعيف أو هو يتضعّف، فلمّا اجتمعت الكتب عند يزيد استشار سرجون، فأخرج له عهدًا من معاوية إلى

---

[1] _ قُس النّاطف (بضم أوّله) موضع قريب من الكوفة على شاطئ الفرات الشّرقي. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج4، ص 349.

[2] _ الطّبري: المصدر السّابق، ج5، ص 277، محمّد ماهر: المرجع السّابق، ص 149. أحمد زكي: المرجع السابق، ج2، ص 49.

[3] _ محمّد الخضري: الدّولة الأمويّة، ص 307.

عبيد الله بولاية الكوفة، فبعث إليه بالعهد[1]، وولّاه الكوفة وكتب إليه:

أمّا بعد فإنّه كتب إليَّ شيعتي من أهل الكُوفة يُخبرونني أنّ ابن عقيل بالكوفة يجمع الجموع لشقّ عصا المسلمين، فسِر حين تقرأ كتابي هذا حتّى تأتي أهل الكوفة فتطلُب ابن عقيل كطلب الحَرَزة[2] حتّى تثْقَفه[3] فتُوثّقه أو تقتله أو تنفيه والسّلام» [4]

رواية أخرى لما سبق

-أ - 441

وجاءت هذه الرّواية عند ابن أعثم باختلاف قليل عمّا سبق قال: «أرسل الحسين مسلم بن عقيل فأخذ البيعة له من أهل الكوفة، فكتب شيعة يزيد من الكوفة إلى يزيد:

بسم الله الرحمن الرّحيم، لعبد الله يزيد بن معاوية أمير المؤمنين من شيعته من أهل الكوفة، أما بعد، فإنّ مسلم بن عقيل قد قدِم الكوفة، وقد بايعه الشّيعة للحسين بن علي رضي الله عنهما، وهم خلق كثير، فإن كان لك في الكوفة حاجة فابعث إليها رجُلًا قويًّا ينفّذ فيها أمرك، ويعمل فيها بعملك في عدوّك، فإنّ النّعمان بن بشير رجل ضعيف أو مضعّف والسّلام.

فاستشار يزيد سرجون بن منصور فأشار عليه بتوليه ابن زياد — وقد كان واليًا على البصرة–، فكتب يزيد إلى ابن زياد:

أمّا بعد فإنّ شيعتي من أهل الكوفة كتبوا إليَّ فخبّروني أنّ مسلم بن عقيل يجمع الجُموع، ويشقّ عصى المسلمين، وقد اجتمع عليه خَلقٌ كثير من شيعة أبي تُراب، فإذا وصل إليك كتابي هذا فسِر حين تقرأه حتّى تَقدم الكوفة فتكفيني أمرها، فقد جعلتُها زيادة في عملك، وضممتُها إليك، فانظُر أين تطلب مسلم بن عقيل بن أبي طالب بها، فاطلبه طلب الحَرَزة، فإذا ظفرت به فاقتله

---

[1] _ سبق ذكر هذا العهد في الرسالة رقم 264.

[2] _ نقول حرز الرّجل إذا أحكم أمره بعد ضعف، وحرزات الملك جواهر تاجه، والمقصود أن يجدّ في طلبه. لسان العرب، مج2، ص 1130، مادة حرز.

[3] _ ثقف فلانًا أي وجده وأخذه. لسان العرب، مج1، ص 492، مادة ثقف.

[4] _ الطبري: المصدر السّابق، الرّواية الأولى، ج5، ص 357، الرواية الثانية، ج5، ص 348 عن أبي جعفر الباقر، الدّينوري: الأخبار الطّوال، ص 214، مسكويه: تجارب الأمم، ج2، ص 25، الذهبي: سير أعلام، ج3، ص 306، محمّد ماهر: المرجع السابق، ص 197، 198، أحمد زكي: المرجع السابق، ج2، ص 75.

ونفِّذ[1] إليّ رأسه، واعلم أنّه لا عُذر لك عندي دون ما أمرتُك به، فالعَجل العَجل والوَحَا[2] الوحا والسّلام» [3]

رواية أخرى لما سبق

441 - ب-

وجاءت هذه الرّواية عند ابن كثير باختلاف قليل عمّا سبق قال: كتب شيعة بني أميّة إلى يزيد بأمر مسلم بن عقيل وضعف النّعمان بن بشير، فعزل النّعمان عن الكوفة وضمّها إلى عبيد الله بن زياد مع البصرة، وذلك بإشارة من سرجون مولى يزيد بن معاوية، «ثمّ كتب يزيد إلى ابن زياد:

إذا قدِمت الكُوفة فاطلب مسلم بن عقيل فإن قدَرت عليه فاقتُله أو انفِه» [4]

تلك هي روايات هذه الرسالة الّتي وجه فيها يزيد أمره إلى عبيد الله بقتل مسلم بن عقيل أو نفيه، أو بعثه إليه، وفي هذا الموقف اتّبع يزيد سياسة أبيه نفسها تجاه الشّيعة في الكوفة والبصرة، وهي السّياسة الإزدواجيّة الّتي تقوم على التّرهيب والتّرغيب، فنجح يزيد في جذب أهل البصرة إليه وبعض أهل الكوفة، بينما في الجانب الآخر أطلق العِنان لشُرطته تبحث عن مسلم بن عقيل.[5]

لقد كان والي الكوفة لما قدم مسلم بن عقيل هو النّعمان بن بشير الأنصاري فاشتبه في وجود شيء، ولكنّه لم يشأ أن يتّخذ إجراءات شديدة لمجرّد الشّبهة، فإنّ تقوى الله أسبق عنده من خدمة السّلطان، فلمّا علم يزيد بمسلكه استبدَل به – بناءً على مشورة سرجون– شخصًا أقلّ تحفّظًا وورعًا، وهو عبيد الله، فأسرع هذا من أقصر طريق، واختصر الأعمال، فأرسل إلى هانئ ومسلم بن عقيل. [6]

إنّ سلوك عبيد الله ينطوي على عناصر التّعبئة العمليّة من الوجهة السّياسيّة والنّفسيّة، حيث جاء إلى الكوفة ملثّمًا ومعه وجوه أهل البصرة فظنّه النّاس الحسين بن علي[7]، وهذا تخطيط أوّل ربح به الجولة

---

[1] _ نفّذ وأنفذ أي ابعثه إليّ، ويقال للخصوم إذا ارتفعوا إلى الحاكم، قد تنافذوا إليه أي خلصوا إليه. لسان العرب، مج6، ص 4497، مادّة نفذ.

[2] _ الوحا الوحا: يقصد السّرعة السّرعة، وتوحيّتْ توحيا إذا أسرعتُ وعجلتُ. لسان العرب، مج6، ص 4788، مادة وحى.

[3] _ الفتوح، ج5، ص 35، 36 .

[4] _ المصدر السابق، ج8، ص 132، ابن حبّان: الثقات، ج2، ص 307.

[5] _ عبد اللطيف السيّد: العصر الأموي، ص 107.

[6] _ فلهوزن: أحزاب المعارضة، ص 165.

[7] _ أنظر أحداث قدومه تاريخ الطّبري، ج5، ص 348وما بعدها.

الأولى، فلم يُثر في نفوس النّاس من أهل الكوفة شيئًا لاستخدامه الجاسوسيّة[1] لمعرفة من يبايع من أهل الكوفة، وقد نجح في إكتشافه وعرف أنّ خصمه مسلم بن عقيل عند هانئ بن عروة[2]، وأخيرًا إنّ المواجهة الحاسمة بين الخصمين كانت في إلقاء القبض على مسلم بن عقيل وصاحبه هانئ بن عروة وهما مجرّدان من كل قوّة وقتل الاثنين.[3]

وبالنّظر إلى ما سبق نرى جنوح العراق بعامّة إلى عليّ وبنيه من بعده، وثوراتهم المتكرّرة على الدّولة الأمويّة، إذ أبت الشّام أن تخضع لعليّ فتكون تبيعة للعراق، وأبت العراق أن تبايع لمعاوية فتصير تابعة للشّام، وليس أدلّ على مناوأة العراق للأمويّين من أنّ سكّان العراق كانوا طوال العصر الأموي يستجيبون لكلّ ناعق يقودهم إلى الثّورة عن الخلافة الأموية.[4]

- رسالة يزيد إلى ابن زياد يشكُره على قتل مسلم بن عقيل ويُخبره بمَسير الحُسين:

-442 -

[كتاب عبيد الله] عن يحي بن أبي حيّة الكلبي قال: «ثمّ إنّ عبيد الله لما قتل مسلمًا وهانئًا، بعث برؤوسهما مع هاني بن أبي حيّة الوادعي[5] والزّبير بن الأروح التّميمي[6] إلى يزيد بن معاوية، وكتب معهما:

أمّا بعد، فالحمد لله الّذي أخذ لأمير المؤمنين بحقّه، وكفاه مُؤنة عدوّه، أُخبر أمير المؤمنين أكرمه الله انّ مسلم بن عقيل لجأ إلى دار هانئ بن عروة المرادي، وإنّي جعلتُ عليهما العيون، ودسستُ إليهما الرّجال، وكِدتهما حتى استخرجتهما وأمكن الله منهما، فقدّمتهما فضربتُ أعناقهما، وقد بعثت إليك برؤوسهما مع هانئ بن أبي حيّة الهمذاني والزّبير بن الأروح التّميمي، وهما من أهل السّمع والطّاعة والنّصيحة، فليسألهُما أمير المؤمنين عمّا أحبّ من أمر، فإنّ عندهما علمًا وصِدقا وفهما ووَرعًا والسّلام،

[ردّ يزيد] فكتب إليه يزيد بن معاوية:

أمّا بعد فإنّك لم تَعْدُ أن كنتَ كما أُحبّ، عمِلتَ عمَل الحازِم، وصُلتَ صَولة الشُّجاع الرّابط

---

(1) _ كان ليزيد جاسوسين بالكوفة هما مسلم بن سعيد الحضرمي، وعُمارة بن عقبة . انظر أبوحنيفة الدينوري: المصدر السابق، ص 214.

(2) _ ابن الجوزي: المنتظم، ج5، ص 329، أحمد إسماعيل علي: تاريخ بلاد الشّام، ص 217.

(3) _ الطبري: المصدر السابق، ج5، ص 380، أحمد إسماعيل علي: المرجع السابق، ص 218.

(4) _ أحمد محمّد الحوفي: أدب السّياسة، ص 37.

(5) _ هانئ بن أبي حيّة الوادعي المرادي وقيل الهمذاني الكوفي. أبوحنيفة الدينوري: الأخبار الطوال، ص 223، ابن حيان: الثقات، ج5، ص 509.

(6) _ لم أجد عنه مايحتاج إلى ذكر سوى ما ذكرته مصادر هذه الرّواية.

الجَأش، فقد أغنيتَ وكفيتَ، وصدقت ظنّي بك ورأيي فيك، وقد دعوتُ رسولَيك فسألتُهما وناجَيتُهما فوجدتهما في رأيِهما وفضلهما كما ذكرتَ، فاستَوصِ بهما خيرًا، وإنّه قد بلَغني أنّ الحسين بن علي قد تَوجّه نحو العراق، فضَع المَناظِر[1] والمسَالح[2] واحترِس [واحبِس] [3] على الظَّنّ[4]، وخُذ على التّهمة، غير أن لا تَقتُل إلّا من قاتلك، واكتب إليَّ في كلّ ما يحدث من الخبَر[5] والسّلام عليك ورحمة الله» [6].

رواية أخرى لما سبق

442 - أ-

في حين قال أبو حنيفة الدّينوري: قتل عبيد الله مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة، «ثمّ بعث عبيد الله برؤوسهما إلى يزيد، وكتب إليه بالنّبأ فيهما، فكتب إليه يزيد:

لمْ نَعدُ الظّن بك وقد فعلتَ فِعل الحازم الجليد، وقد سألتُ رسوليك عن الأمر ففَرشاهُ[7] لي، وهما كما ذكرتَ في النّصح وفضل الرّأي فاستوصِ بهما، وقد بلغني أنّ الحسين بن علي قد فصل من مكّة متوجّهًا إلى ما قِبلك، فأدرِك العُيون عليه، وضع الإرصاد على الطّرق، وقُم أفضل القيام، غير أن لا تُقاتل إلّا من قاتلك، واكتب إليَّ بالخبر في كلّ يوم» [8]

رواية أخرى لما سبق

442 - ب-

أمّا ابن أعثم فروى ما سبق باختلاف قليل قال: كتب عبيد الله بن زياد إلى يزيد يخبره بقتل مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة وبعث كتابه مع الرّسولين[1]، فكتب إليه يزيد:

---

[1] _ المناظر: أشراف الأرض لأنّه ينظر منها. لسان العرب، مج6، ص 4467، مادة نظر.

[2] _ المسلحة كالثّغر والمرقب، والمسلحة أيضا قوم في عدّة بموضع رصد قد وكّلوا به، ومسلحة الجند يتجسّسون خبر العدو، ولا يدَعوهم يدخلون أرضهم، فهم قوم حراسة. لسان العرب، مج3، ص 2061، مادة سلح.

[3] _ زيادة من تاريخ دمشق، وفي المنتظم "واجلس"

[4] _ في تاريخ دمشق والمنتظم "الظنّة"

[5] _ في المنتظم "من خير إن شاء الله"

[6] _ الطبري: المصدر السابق، ج5، ص 380، 381، ابن عساكر، المصدر السابق، ج18، ص 306، 307، ابن الجوزي: المنتظم، ج5، ص 329 ، محمد ماهر: المرجع السابق، ص 200، أحمد زكي: المرجع السابق، ج2، ص 78.

[7] _ فرش الشيء والأمر أي بسطه وشرحه. لسان العرب، مج5، ص 3382، مادة فرش.

[8] _ المصدر السابق، ص 223.

[1] _ انظر رسالة عبيد الله كما أوردها ابن أعثم: الفتوح، ج5، ص 62، 63.

«أمّا بعد: فإنّك لم تَعْدُ إذ كنتَ كما أحبّ، عملتَ عمَل الحازم، وصُلت صَولة الشّجاع الرّابض[1]، فقد كفيتَ ووفّيت ظنّي ورأيي فيك، وقد دعوتُ رسولَيك فسألتهما عن الّذي ذكرتَ، فقد وجدتهما في رأيهما وفهمهما وفضلهما ومذهبهما كما ذكرتَ، وقد أمرتُ لكلّ واحد منهما بعشرة آلاف درهم، وسرّحتُهما إليك فاستوصِ بهما خيرًا، وقد بلغني أنّ الحسين بن علي رضي الله عنهما قد عَزم على المسير إلى العراق، فضع المراصِد والمناظر، واحترس واحبِس على الظّن، واكتب إليَّ في كلّ يوم بما يتجدّد لك من خير أو شرٍّ والسّلام»[2].

لقد حملت رسالة يزيد هذه إلى عبيد الله بن زياد في طيّاتها نوعًا من اللّين المُقترن بالحذر في التّعامل مع الحسين، إذ راح يوصيه بعدم القتال إلّا في حالة الضّرورة، وأن يكتب إليه بكلّ خبر، وكأنّي بيزيد قد أمسك يد عبيد الله في الحسين لعلمه بمكانة هذا الأخير، خاصّة وأنّ معاوية حذّره قبل وفاته من هذا اليوم الذي يخرج فيه الحسين[3]، إلّا أنّ عبيد الله كان خلاف ذلك، إرتجاليًّا في قراراته، لا يُراجع يزيد ولا يعمل برأيه، فالتّشيّع الذي عرفه العراق دفع به للشرّ أكثر، خصوصًا وأنّ نفسه كانت ميّالة للعُنف بطبيعتها، متطلّعة إلى الغلوّ في سيرتها متعطّشة إلى الدّماء في سلطانها، ومع ذلك كلّه استمد بطشه من تخاذل يزيد إن لم نقل موافقته.[4]

ومع هذا لابدّ أن لا نغفل عن أمر مهمّ، فنظرًا للتّركيبة الإجتماعية غير المتجانسة لمجتمع العراق في ذلك الزّمان، وكذا ما انتشر في هذا الوسط من أفكار متباينة متصارعة، فذلك كلّه كان له تأثيره الواضح على سلوك سكانه، بالتّالي على مواقفهم تجاه خلفاء بني أميّة الّذين عادَوهم وهم متفرّقين، معلنين عصيانهم لهم كلمّا وجدوا الفرصة مواتية، ولكن ردّ فعل الولّاة نحوهم كان يأتي دائمًا قويّا وعنيفا باستعمالهم أقصى أنواع الشدّة لتقويم اعوجاجهم، وإخماد فتنتهم، ومن دون شكّ فإنّ المبالغة في ذلك مع سكان هذا الإقليم كان عاملًا آخر أدّى إلى زيادة انحراف سلوكهم وتطرّفهم في مواقفهم الفكرية، والسّياسيّة، فصعُب بالتّالي إصلاح حالهم مادام السّوط والسّيف هما الوسيلتان الوحيدتان لعلاج هذا الإنحراف.[5]

---

(1) _ نقول ربض الأسد على فريسته أي انقضّ عليها، وربضته بالمكان أي ثبته. لسان العرب، مج3، ص 1558، 1559، مادة ربض.

(2) _ ابن أعثم : المصدر السابق، ج5، ص 63.

(3) _ انظر المبحث الأول من هذا الفصل.

(4) _ الصّلابي : الدّولة الأمويّة، ج1، ص 485.

(5) _ محمّد فرقاني: رسائل الخليفة عمر، ج1، ص 219. Hamid Dabashi: Authority in islam, p97

- رسالة ثانية من يزيد إلى عبيد الله بن زياد في شأن الحُسين لمّا خرج إلى الكوفة:

-443 -

ذكرنا من قبل أنّ الحسين خرج من المدينة إلى مكّة واستقرّ بها ثمّ خرج منها بعد تلك المراسلات التّي كتبت إليه من الزّعامات الشّيعيّة المتواجدة في الكوفة في الثّالث من ذي الحجّة، قال البلاذري حدّثني بعض قريش[1] أنّ الحُسين « خرج من المدينة إلى مكّة يوم الأحد لليلتين بقيتا من رجب سنة ستين (60هـ)، ودخل مكة ثمّ خرج منها لثلاث ليالٍ خلون من ذي الحجّة إلى الكوفة، وحدّثني بعض قريش أنّ يزيد كتب إلى ابن زياد:

بلَغني[2] مَسيرُ حُسين[3] إلى الكوفة، وقد ابتُلي به زمانك من بين الأزمان، وبلدُك من بين البلدان، وابتُليت به [أنت][4] من بين العمّال، وعندها تُعتق أو تعود عبدًا[5] كما يُعتبد العبيد» [6]

رواية أخرى لما سبق

-أ - 443

و عن أبي زبيد عن أبي حُصين[7] قال: «بلغ يزيد بن معاوية أنّ الحُسين عليه السلام يريد الخروج إلى الكوفة فغمّه ذلك وساءه، فأرسل إلى سرجون مولاهم – وكان كاتبه وأنيسه– فاستشاره فيمن يولّيه الكوفة، فأشار عليه بعبيد الله بن زياد، فقال إنّه لا خير عنده، قال: أرأَيت لو كان معاوية حيًّا فأشار عليك به، أكنت تُولّيه؟ قال: نعم، قال: فهذا عهد معاوية إليه بخاتمه، وقد كان ولّاه فلم يمنعني أن أُعلمك ذلك إلّا معرفتي ببُغضك له، فأنفَذَه إليه، وعزل النّعمان بن بشير، وكتب إليه:

أمّا بعد فإنّ الممدُوح مَسبوب يومًا، وإنّ المَسبوب ممدوحٌ يومًا ، وقد سُمّي بك يومًا إلى غاية

---

(1) _ عند ابن عبد ربه والذّهبي فقال:" عن محمّد بن الضّحاك بن عثمان الخزاعي عن أبيه قال:..."، وعند ابن عساكر "حدثنا محمد بن سليمان، حدثنا ابن الزّبير قال: ..."

(2) _ في العقد الفريد وتاريخ دمشق، "إنّه قد بلغني...".

(3) _ كذا في أنساب الأشراف، وفي بقية المصادر: "بلغني أنّ حسينًا سار إلى الكوفة"

(4) _ إضافة من مختصر تاريخ دمشق وفي بقية المصادر ناقصة.

(5) _ نهاية رواية العقد الفريد.

(6) _ البلاذري: أنساب، الرّواية الأولى، ج3، ص 371، ابن عبد ربّه: العقد الفريد، ج5، ص 130، ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج65، ص 395، 396، ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، ج7، ص 145، الذّهبي: سير أعلام، ج3، ص 305، تاريخ الإسلام، ج2، ص 364 .

(7) _ السند في أنساب الأشراف وفي بقية المصادر غير موجود.

أنت فيها ، [وقد انتميتَ إلى مَنصب][1] **كما قال الأوّل:**

رُفِعتَ فجاوزتَ السَّحاب وفوقَهُ فمَالك إلّا مَرقبُ الشّمس مقعدُ[2]

وقد ابتُلي بالحُسين زمانُك دون الأزمان، وبلدك دون البلدان، ونُكِيت[3] **به من بين العمّال، فإمّا أن تُعتق أو تعود عبدًا**[4] **كما يُعبد العبيد والسّلام »** [5]

المتأمّل في رواية البلاذري ومن تابعه يلاحظ أنّها ذكرت أمر هذه الرّسالة مع عهد يزيد إلى عبيد الله بالكوفة، وهذا في إعتقادنا غير صحيح، إذ أنّ يزيد – كما ذكرنا سابقا- كتب مع العهد إلى عبيد الله رسالته في شأن مسلم بن عقيل، أمّا رسالته بشأن الحُسين، فكانت بعد توجّه هذ الأخير إلى الكوفة، وذلك كان بعد مقتل مسلم بن عقيل.

رواية أخرى لما سبق

443 - ابن -

أما اليعقوبي فأورد رواية أخرى لما سبق قال: وكتب يزيد إلى عبيد الله:

«قد بلغني أنّ أهل الكوفة قد كتَبوا إلى الحُسين في القدوم عليهم، وإنّه قد خرج من مكّة متوجّهًا نحوهم، وقد بُلي به بلدك من بين البلدان وأيّامك من بين الأيّام، فإن قَتلتَه وإلّا رجعتَ إلى نسبِك وإلى أبيك عُبيد، فاحذر أن يفُوتك» [6]

الملاحَظ عن رواية اليعقوبي أنّ يزيد أمر عبيد الله بقتل الحسين، وهذا أمر يبدو مقحما على الرّواية، ثمّ إنّ التّهديد بإعادة ابن زياد إلى نسبه وإلى أبيه عبيد طعن شديد في بني أميّة وفي معاوية بالذّات، فهو الّذي استلحق زيادًا، ولسنا نصدّق أن يقول يزيد ذلك أو يهدّد به، فيشنّع على أبيه وأهله، وإن كنّا نرجّح تزيُّد الرّواة في هذه الرّواية فإنّنا أيضا نتحفّظ عن صدورها بهذا الغموض عن الخليفة في هذا الموقف الحرِج، حيث كان يُتوقّع منه في هذه الحال أن يُحدّد لعامله على العراق ما يجب أن يفعله بدقّة، وهذا ما حصل في

---

(1) _ في أنساب الأشراف ناقصة والإضافة من بقيّة المصادر.

(2) _ نهاية رواية البلاذري.

(3) _ أي أُصبت لسان العرب، مج6، ص 4545، مادة نكى.

(4) _ نهاية رواية ابن الجوزي.

(5) _ أنساب الأشراف: الرّواية الثانية، ج5، ص 407، الجهشياري: الوزراء والكتاب، ص 19، مسكوية: تجارب الأمم، ج2، ص 67، محمّد ماهر: المرجع السابق، ص 198.

(6) _ تاريخ اليعقوبي، ج2، ص 242.

الرّوايات الثلاثة الأولى حين أمره بأن يضع المناظر والمسالح، ولا يقتل إلا من قاتله[1]، ثمّ إذا كان يزيد أمر بقتل الحسين فلماذا يلوم عبيد الله بعد ذلك ويتأسّف عليه؟!!

وبالنّظر إلى الأحداث ومجرياتها يتبيّن أن الكوفيّين لم ينسوا عداءهم لأهل الشّام، وظنّوا أنّهم يستطيعون إعادة الإعتبار لهم ولإقليمهم بالمراهنة على جلب الحسين إلى الكوفة، فكاتبوه حتّى يقدم عليهم، ويحاربوا بني أميّة تحت لوائه، وكان الحسين عاقلًا فنظر في التّاريخ القريب فوجد أنّ الكوفيّين قد خذلوا أباه عليًّا ثمّ أخاه الحسن من بعده، فما يمنعهم من أن يخذلوه هو؟ ولم يُلبِّ ندائهم إلّا بعد أن توالت الرّسل وجاءه جمع غفير من الكوفة إلى مكّة، يعلنون استعدادهم لخوض المعركة إلى جانبه، فحسُن ظنّ الحسين بهم وسار إليهم.[2]

وعندئذ وجّه يزيد أمره لعبيد الله بن زياد، فكان أن قُتل الحسين رضي الله عنه وجملة من أصحابه، وحُمل رأسه إلى يزيد بن معاوية مع جماعة من أهله[3]، فكانت محنةً على المسلمين عامّة، وعلى بني أميّة خاصّة، فماذا نستخلص من تلك الحوادث؟ وهل نستطيع أن نعرف لمن كان الحق فيها؟ ومن هو المسؤول عنها؟ فتلك حوادث مرهبة معيبة يَندى لها الجبين، ويجب أن يُعرف المسؤول عنها، لا لأنّ التّاريخ يريد أن يحكم في المسائل، بل ليتبيّن التّاريخ مداها وأسبابها وعِللها، ولعلّ المسؤول الأوّل فيها هو النّظام، ذلك النّظام الذي أعطى الحريّة للقادة دون حسيبٍ أو رقيب، بل لو لم يكن يزيد صاحب أخطاء سياسية لاستطاع أن يتفادى ما حصل في عصره، ولاستطاع أن يؤجّل الفتنة بل ويطفئها في مهدها[4].

لقد كانت غلطةً من يزيد بدأ بها حياته ومشواره السّياسي، وظلّت تُلاحقه حتى مماته، ولم يستطع أن يتخلّص منها، وبدأت سلسلة الأخطاء تتوالى في حياة الخليفة، وكلّما ادلهمّت الأمور من حوله عظمت الأخطاء، وتضخّمت المشكلات، وكلّما أراد حلّ مشكلة عرض لها بمشكلة أخطر منها وأفضع، فمن الإصرار على عدم البيعة إلى تكوين جبهة معارضة تستعدّ للقتال، ومنها إلى معركة كربلاء وقتل سبط رسول الله ﷺ وإعلان ابن الزّبير الخروج على الخليفة.[5]

ولئن كان يزيد مسؤولا عن هذا أفليس خصومه أيضًا مسؤولين معه؟ إنّنا هنا نصل أيضا إلى مسؤوليّة

---

[1] _ حمدي شاهين : الدّولة الأموية، ص 215.

[2] _ عمر فرّوخ : تاريخ صدر الإسلام، ص 133.

[3] _ انظر الطبري : المصدر السابق، ج5، ص 411 وما بعدها.

[4] _ يوسف العش : الدّولة الأمويّة، ص 178.

[5] _ الصّلابي: المرجع السابق، ج1، ص 455.

من خرج على يزيد وهنا نرى أنّ خصوم يزيد يشابهونه بعاطفتهم وقلّة رويّتهم، فأهل الكوفة مثلًا تثُور عاطفتهم نحو الحسين فيدعونه إليهم، والحسين نفسه كان عاطفيًّا شديد العاطفة، فدفعه ذلك إلى أن يذهب إلى الكوفة بالرّغم من كل ما حُذِّر به!! [1]

- رسالة عبد الملك إلى هشام بن إسماعيل بأن يحمل آل عليّ على سبّ عليّ:

-444 -

قال مصعب الزّبيري: «كان عبد الملك بن مروان قد غضِب غضبة، فكتب إلى هشام بن إسماعيل وهو عامله على المدينة...:

أنْ أقِم آل عليّ يشتُمون علي بن أبي طالب، وأقِم آل الزّبير يشتُمون عبد الله بن الزّبير.

فقدِم كتابه على هشام فأبى آل علي وآل عبد الله بن الزّبير ذلك فجلد هشام بعضَهم» [2]

وهنا لابدّ أن نطرح سؤالًا: هل يُعقل أن يصدر أمرٌ خطير كهذا من عبد الملك لمجرّد غضبه غضبها؟! وفي نظرنا أنّ هذا الأمر لم يكن ليصدر عنه بهذه السّهولة التي صوّرتها الرّواية، ففي ما جاء في هذه الرّسالة نظر خاصّة مع ما ذكرنا من إحسان عبد الملك لآل البيت، وكُتبه إلى الحجّاج بالإحسان إليهم[3]، وكذا مع عبد الله بن الزبير وآله كما سنذكر لاحقًا[4].

- رسالة عبد الملك إلى هشام بن إسماعيل للتّحقق من أمر الحسَن بن الحسَن:

-445 -

عن أبي مصعب قال:«أنّ عبد الملك كتب إلى هشام بن إسماعيل عامل المدينة:

بلغني أنّ الحَسَن بن الحَسن[5] يُكاتب أهل العراق، فإذا جاءك كتابي هذا فابعث إليه فَليُؤتَ به[6].

قال فجيء به إليه، وشغَلهُ شيء فقام إليه علي بن الحسين فقال: يا ابن عم قل كلمات الفرج: لا

---

[1] _ يوسف العش: المرجع السابق، ص 182.

[2] _ نسب قريش، ص 57 .

[3] _ انظر المبحث الأول من هذا الفصل.

[4] _ انظر المبحث الثاني من الفصل الثالث من هذا الباب.

[5] _ الحسَن بن الحسَن بن علي الهاشمي العلوي أبو محمّد، أمّه خولة الفزارية، وفد على عبد الملك وكان شيعة العراق يمنّونه بالخلافة، توفي سنة 99 هـ وقيل 97. ابن عساكر: المصدر السابق، ج13، ص 61، 71، الذّهبي: سير أعلام، ج4، ص 483- 487.

[6] _ عند الذهبي "فاستحضره".

إله إلّا الله الحليم الكريم، لا إله إلّا الله العليّ العظيم، لا إله إلا الله ربّ السّماوات السبع ورب الأرض ربّ العرش الكريم، قال: فخُلّي» [1]

الظّاهر أنّ عبد الملك شكّ في أمر الحسن فأراد أن يتحقّق ممّا يشاع عنه، وكلّ هذا خشية أن يتكرّر شريط الأحداث الذي عرفه عصر يزيد بن معاوية مع الحسين، فسعى عبد الملك إلى احتواء الأمر قبل أن يستفحل خاصّة وأنّ أهل العراق كانوا يمنّون الحسن الخلافة.[2]

إنّ الثّورات التي تحدُث ضدّ الدّولة إنّما تقوم بها في الغالب إحدى العصبيّات الّتي كانت من قبل مُنضوية في عصبيّة الدّولة، فهذه العصبيّات هي التي تملك القوّة والجُرأة على الثّورة لكون أصحابها قد شاركوا في الحكم، واستفادوا منه خبرة وأموالًا وأنصارًا، ولأنّهم أيضا يعرفون كيف تَسنَّم صاحب الدّولة قمّة المجد حتى ترأّس عليهم، فإذا رأوا أنّ المؤهلات التّي رشَّحت صاحب الدّولة للرّئاسة عليهم بدأت تفسد وتزول قاموا بالثّورة لتحصُل لهم الرّئاسة والملك[3].

- رسالة عبد الملك إلى علي بن الحسين يؤنّبه في زواجه من جارية:

-446-

[رسالة عبد الملك] قال ابن عبد ربّه: «تزوّج علي بن الحسين جارية له وأعتقها، فبلغ ذلك عبد الملك **فكتَب إليه يُؤنّبه**».

[ردّ علي بن الحسين] «فكتب إليه علي: إنّ الله رفع بالإسلام الخَسيسة[4]، وأتمّ به النقيصة، وأكرم به من اللّؤم، فلا عار على مسلم، وهذا رسول الله ﷺ قد تزوّج أمَته وأمرأة عبده! فقال عبد الملك إنّ عليّ بن الحسين يَشرُفُ من حيث يتَّضع النّاس»[5].

فهل حقيقة أنّ عبد الملك يجهل حكم الزواج بالإماء وإعتاقهنّ ،وقد عُرف هذا منذ عهد الرّسول صلى الله عليه وسلّم ، وفعل ذلك العديد من الصّحابة، إذ جعلوا عتقها مهرها ؟

---

[1] _ ابن عساكر : المصدر السابق، ج13، ص66، 67، الذهبي: تاريخ الإسلام ج3، ص 132

[2] _ قال الذهبي : "وكان شيعة العراق يمنّون الحسن الإمارة"، سير أعلام، ج4، ص 487.

[3] _ الجابري : العصبيّة والدّولة، ص 229.

[4] _ رجل خسيس أي دنيء تافه. لسان العرب ، مج2، ص 1156، مادة خسس.

[5] _ العقد الفريد، ج7، ص 140 .

رواية أخرى لما سبق

-أ - 446

وعن علي بن محمّد عن عثمان بن عفّان قال: «زوّج علي بن الحسين أمّه من مولاه، وأعتق جارية له وتزوّجها: **فكَتب إليه عبد الملك يُعيِّره بذلك**.

فكتب إليه علي: لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة، قد أعتق رسول الله ﷺ صفيّة بنت حيي وتزوّجها، وأعتق زيد بن حارثة وزوّجه ابنة عمّه زينب بنت جحش» [1].

- رسالة عبد الملك إلى الحجّاج يأمره أن يطلّق ابنة عبد الله بن جعفر:

-447 -

عن العُتبي عن أبيه قال: «أمهَر الحجّاج ابنة عبد الله بن جعفر تسعين ألف دينار، فبلغ ذلك خالد بن يزيد بن معاوية فأمهَل عبد الملك حتّى إذا أطبق اللّيل دقّ عليه الباب فأذن له عبد الملك، ودخل عليه فقال له: ما هذا الطّروق أبا يزيد؟ قال: أمرٌ والله لم يُنتظر له الصّبح، هل علمتَ أنّ أحدًا كان بينه وبين من عادى ما كان بين آل أبي سفيان وآل الزّبير بن العوّام؟ فإنّي تزوّجتُ إليهم[2] فما في الأرض قبيلة من قريش أحبّ إليّ منهم، فكيف تركت الحجّاج وهو سهم من سِهامك يتزوّج إلى بني هاشم، وقد علمتَ ما يُقال فيهم في آخر الزّمان؟

قال: وصَلتْك رحم، **وكتب إلى الحجّاج يأمُره بطلاقها وألّا يُراجعه في ذلك**.

فطلّقها، فأتاه النّاس يعزّونه» [3].

---

[1] _ ابن عساكر : تاريخ دمشق، ج41، ص 399.

[2] _ تزوّج من رملة بنت الزّبير بن العوام بن خويلد ، ونقلها إلى دمشق، وكانت إمرأة عاقلة. ابن عساكر: المصدر السابق، ج69، ص 127، 128.

[3] _ ابن عبد ربّه: العقد الفريد، الرّواية الأولى، ج7، ص 132، مصعب الزّبيري: نسب قريش ، ص 83، المبرّد: الكامل في اللغة، ج1، ص 205 عن العتبي، ابن حمدون: التذكرة الحمدونية، ج8، ص 241 ،ابن عساكر : المصدر السابق ، ج12 ، ص125، عن محمد بن إدريس الشّافعي، ابن منظور: مختصر، ج6 ، ص205،

رواية أخرى لما سبق

-أ - 447

و عن بُديح[1] قال: «وفد عبد الله بن جعفر على عبد الملك بن مروان، وكان زوّج ابنته أمّ كلثوم من الحجّاج، قال بُديح: فلمّا خرج عبد الله بن جعفر إلى عبد الملك بن مروان خرجنا معه حتّى دخلنا دمشق فلامَه الوليد على تزويج ابنته من الحجّاج، فأجابه أنّ الولّاة ليصِلون رحمي ويعرفون حقّي، وإنّك وأباك منعتُماني ما عندكما حتّى ركبني الدَّين، فما راجعه الوليد حتّى دخل على عبد الملك غاضبًا، فسأله عبد الملك: ما بالك أبا العبّاس؟! قال: إنّك سلّطت عبد ثقيف وملّكته ورفعته حتّى تفخّذ نساء عبد مناف، وأدركَتْه الغيرة، **فكتب عبد الملك إلى الحجّاج يعزِم عليه إلّا يضع كتابه من يده حتّى يُطلّقها**.

فما قطع الحجّاج عنها رِزقا ولا كرامة يُجريها عليها حتى خرجت من الدّنيا، قال: ومازال واصلًا لعبد الله بن جعفر حتّى هلك سنة 80هـ »[2]

فهذه الرّواية ذكرت أنّ الوليد هو من أشار على عبد الملك بذلك وليس خالد بن يزيد.

رواية أخرى لما سبق

-ب- 447

وعن هشام بن عروة قال: لمّا بلغ عبد الملك زواج الحجّاج من ابنة عبد الله بن جعفر «أبرَد البريد إلى الحجّاج وكتب إليه:

يُغلظ له ويُقصر به، ويذكُر تجاوزه قدرَه، ويُقسم بالله لئن هو مسَّها ليَقطعنّ أحبّ أعضائه إليه، ويأمرُه بتسويغ[3] أبيها المَهر، وبتعجيل فِراقها ففعل، فسُرّ النّاس بذلك» [4]

إنّ هذه الرّواية التي أوردها الأصفهاني يبدو عليها الضّعف خاصّة وأنّها جاءت مُخالفة للصّحيح من الرّوايات السابقة، ثم لماذا يلوم عبد الملك الحجّاج على تجاوزه مع أنّه هو من زوّجه إيّاها[5]؟ ولماذا يُسرّ النّاس بذلك بل عكس ذلك حزنوا وعزّوه على فراقها كما سبق وأن ذكرنا.

---

[1] _ بُديح مولى عبد الله بن جعفر، يقال له بُديح المليح، وكان يُغنّي، وهو في عداد أهل المدينة، قدم على معاوية والوليد مع عبد الله بن جعفر. البلاذري: أنساب، ج2، ص 312، ابن عساكر: المصدر السابق، ج71، ص 368، 369.

[2] _ العقد الفريد : الرواية الثانية، ج1، ص 323.

[3] _ سوّغه المال أي أجازه له. لسان العرب، مج3، ص 2152، مادة سوغ.

[4] _ أبو الفرج الأصبهاني: الأغاني، ج11، ص 5031.

[5] _ أنظر رواية المبرّد فقد ذكر أنّ الحجّاج تزوجها بإذن عبد الملك.

رواية أخرى لما سبق

-ج- 447

و عن الهيثم بن عدي: «أنّ الوليد قال لعبد الله بن جعفر بن أبي طالب: أزوّجتَ الحجّاج ابنتك؟ قال: أبوك زوّجها، لم يقضِ ديني فزوّجتُها...**فكتب الوليدُ إلى الحجّاج يأمرُه بطلاقها**»[1]

تلك هي مجمل روايات هذه الرّسالة التي يظهر عليها كثير من الإختلاف خاصّة في سببها، ومن أشار على عبد الملك بطلاقها، وبالنّسبة لرواية البلاذري الأخيرة فإنّنا نستبعد أن يكون الوليد هو من كتب إليه بطلاقها، بل إنّ عبد الملك هو من فعل ذلك، أمّا بخصوص من أشار على عبد الملك برسالته فالرّاجح أنّه خالد بن يزيد بن معاوية الذي خوّف عبد الملك من زوال ما في صدورهم عن آل البيت، وسبب موقفه هذا هو الرّد عن موقف الحجّاج من زواج خالد ورملة بنت الزّبير، فقد ثبت أنّ الحجّاج لما سمع بزواج خالد من رملة أرسل حاجِبه وقال له قل لخالد ما كنتُ أراك تخطب من آل الزّبير حتّى تُشاورني، ولا كنت أراك تخطب إليهم وليسوا لك بأكْفاء، وقد قارَعوا أباك على الخلافة ورمَوه بكلّ قبيح، [2] فحقِدها خالد على الحجّاج وردّ له الصّاع صاعين.

- رسالة عبد الملك إلى الحجّاج يأمره أن يختبر ابن الحنفيّة بتهديده:

-448-

عن علي بن الحسن قال: «كتب ملك الرّوم إلى عبد الملك بن مروان يتهدّده ويتوعّده، ويحلف له ليحمِلنّ إليه مائة ألف في البرّ، ومائة ألف في البحر، أو يؤدّي إليه الجِزية فسقط في دِرعه، فكتب إلى الحجّاج – وهو إذ ذاك بالحجاز – :

أن اكتُب إلى ابن الحنفيّة[3] فتهدَّدْهُ وتَواعدْه، ثمّ أعلِمني ما يردُّ عليك[من جوابه][4]»[5].

فكتب الحجّاج إلى ابن الحنفية بكتابٍ شديد يتهدّده ويتواعده فيه بالقتل، قال: فكتب إليه ابن الحنفية: «إنّ لله تعالى ثلاثمائة وستّين لحظة إلى خلقه، وأنا أرجو أن ينظر الله عزّ وجلّ إليّ نظرة يمنعُني بها

---

[1] _ البلاذري: أنساب الأشراف، ج8، ص 82.

[2] _ ابن عساكر: المصدر السابق، ج69، ص 128.

[3] _ عند اليعقوبي أنّه أمره أن يكتب إلى علي بن الحسين وفي العقد إلى عبد الله بن الحسن.

[4] _ إضافة من المنتظم، وفي بقية المصادر ناقصة.

[5] _ أبو نعيم: حلية الأولياء، ج3، ص 176، تاريخ اليعقوبي، ج2، ص 304، ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج2، ص73، ابن عساكر: المصدر السابق، ج54، ص 332، ابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص 229، 230.

منك، قال: فبعث الحجّاج بكتابه إلى عبد الملك بن مروان، فكتب عبد الملك إلى ملك الرّوم[1] بنسخته»[2].

ولعلّ هذه من أكاذيب الرّوّاة للرّفع من قيمة آل البيت والحطّ من عبد الملك وهو من هو في علمه وفي تأسيس الدّولة الأمويّة من جديد، فكيف يعجز عن الرّد على ملك الرّوم في مثل هذه المواقف؟

- رسالة الوليد إلى عثمان المرّي لجَلد الحسن بن الحسَن:

-449 -

قال عبد الملك بن عُمير: كان أهل العراق يمنّون الحسن الخلافة ، «فكتب الوليد بن عبد الملك إلى عثمان بن حيان المُرّي:

انظُر الحَسن بن الحسَن[3] فاجلده مائة ضربة، وقِفه للنّاس يومًا ولا أَراني إلّا قَاتِله.

فبعث إليه فجيء به والخُصوم بين يديه، قال: فقام إليه عليّ بن حسين فقال: يا أخي تكلّم بكلمات الفرج يفرّج الله عنك: لا إله إلّا الله الحليم الكريم، سبحان الله ربّ السّماوات السّبع وربّ العرش العظيم، الحمد لله ربّ العالمين، قال فقالها، قال: فانفرجت فُرجة من الخصوم، فرآه فقال[4]: أرى وجه رجلٍ قد قُرفت عليه كِذبة، خلّوا سبيله أنا كاتبٌ إلى أمير المؤمنين بعُذره فإنّ الشاهد يرى ما لا يرى الغائب» [5]

قال ابن عساكر بعد ذكره للرّواية: «ورُوِيت من وجه آخر عن عبد الملك بن عمير، فزيد في إسنادها رجل[6]، وذكر أنّ الوالي كان هشام بن إسماعيل» [7]

يقصد الرّسالة التي ذكرناها سابقًا والتّي أرسلها عبد الملك إلى هشام بن إسماعيل، لاستحضار الحسن بن الحسن[8]، ونحن جعلناها رسالة منفردة هنا، ولم نجعلها رواية أخرى للسّابقة للإختلاف الكبير في نص الرّسالة وما أمر به كلّ خليفة، أمّا ما اشتركت فيه الرّوايتان فيتعلّق بقول علي بن الحسين للحسن فيما

---

(1) _ سنورد هذا الكتاب إلى ملك الرّوم كرسالة مستقلّة، في الفصل الرّابع من هذا الباب.

(2) _ أبو نعيم: المصدر السابق، ج3، ص 176، ابن عساكر: المصدر السابق، ج54، ص 332، ابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص 230.

(3) _ سبقت ترجمته في الرسالة رقم 445.

(4) _ يقصد عثمان بن حيان.

(5) _ ابن عساكر: المصدر السابق، ج13، ص 66، الذهبي: تاريخ الإسلام، ج3، ص 132.

(6) _ يقصد "عن عبد الملك بن عمير حدّثني أبو مصعب..." وهذا ما ذكرناه في الرسالة 445.

(7) _ المصدر السابق، ج13، ص66.

(8) _ الرّسالة رقم 445.

يخصّ كلمات الفرج.

- رسالة الوليد إلى عامله بالمدينة في إشخاص أبي هاشم:

-450 -

وقف علي بن أبي طالب ماله وأرضه وماءه صدقة على الفقراء والمساكين ، وذوي الرّحم من بني هاشم ، ووصّى بأن يقوم عليها حسين بن علي ، يأكل منها بالمعروف ويصرفها في وجوهها ، ثمّ بعده حسين بن علي [1].

عن أبي معشر قال: «كان علي بن أبي طالب اشترط في صدقته أنّها إلى ذي الدّين والفضل من أكابر ولده، قال: فانتهت صدقته في زمن الوليد بن عبد الملك إلى زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب[2]، فنازعه فيها أبو هاشم عبد الله بن محمّد[3]، فقال: أنت تعلم أنّي وإيّاك في النّسب سواء إلى جدّنا عليّ، وإن كانت فاطمة لم تلدني وولدتك، فإنّ هذه الصّدقة لعلي وليست لفاطمة، وأنا أفقَهُ منك وأعلم بالكتاب والسّنة، حتّى طالت المُنازعة بينهما، فخرج زيد من المدينة إلى الوليد بن عبد الملك، وهو بدمشق فكبّر[4] عنده على أبي هاشم، وأعلمه أنّ له شيعة بالعراق يتّخذونه إمامًا، وأنه يدعو إلى نفسه حيث كان، فوقع ذلك في نفس الوليد، ووقر في صدره، وصدّق زيدًا فيما ذكره، وحمله منه على جهة النّصيحة **وكتب الوليد إلى عامله بالمدينة**[5] **في إشخَاص أبي هاشم إليه**، وأنفذ بكتابه رسولًا قاصدًا يأتي بأبي هاشم.

---

[1] _ ابن شبّة : تاريخ المدينة ، ص225.

[2] _ زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، من أفاضل بني هاشم، والد الحسن بن زيد أمير المدينة، وفد على الوليد لخصومة وقعت بينه وبين أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفيّة، في ولاية صدقات علي على المدينة، خرج على هشام سنة 121 هـ وقتل يوسف الثّقفي، ومات بعد ذلك ببطحاء على بعد أميال من المدينة، ودُفن بالمدينة ، كان جوادًا مُمدّحًا كبير القدر. البستي: مشاهير علماء الأمصار، ص 81، ابن عساكر: المصدر السابق، ج19، ص 374- 381. الذهبي: سير، ج4، ص 487.

[3] _ هو عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب من أهل المدينة، وفد على الوليد، ويُقال على سليمان يعرف بأبي هاشم، وأمّه فتاة، وهو صاحب محمّد بن علي العبّاسي والذي صرف إليه الشيعة توفي بالحُميمة في خلافة سليمان سنة 98 هـ وقيل 99. ابن عساكر: المصدر السابق، ج32، ص 267- 272.

[4] _ في الوافي بالوفيات " فكثر" ج15، ص 19 ولم يذكر في روايته رسالة الوليد.

[5] _ لم تصرّح الرّواية من كان والي المدينة حينئذ، وقال ابن خياط في ذلك: "مات عبد الملك وعليها هشام بن إسماعيل المخزومي، فأقرّه الوليد سنتين ثمّ عزله وولّى عمر بن عبد العزيز بن مروان سنة سبع وثمانين...فأقام بها إلى سنة ثلاث وتسعين، ثمّ عزله الوليد وولّاها عثمان بن حيان المرّي، فلم يزل واليًا حتى مات الوليد" ولعلّ الرّسالة كانت مع هذا الأخير . تاريخ خليفة ص 198.

فلمّا وصل إلى باب الوليد أمر بحبسه في السّجن فمكث فيه مدّة» [1] ثمّ شفع فيه علي بن الحسين فخلّى سبيله.[2]

- كتاب الوليد إلى عمر بن علي يرفُض طلبه ولاية صدقة أبيه:

-451 -

قال مصعب الزّبيري : قدم عمر بن علي بن أبي طالب[3] مع أبّان بن عثمان على الوليد بن عبد الملك يسأله أن يولّيه صدقة أبيه علي بن أبي طالب، وكان يليها يومئذٍ ابن أخيه الحسن بن الحسَن بن علي، فعرض عليه الوليد الصِّلة وقضاء الدّين، وقال:« لا حاجة لي في ذلك إنّما جئتُ في صدقة[4] أبي، أنا أَولى بها، فأكتب لي في ولايتها، فكتب له الوليد رُقعة فيها أبيات ربيع بن أبي الحقيق[5] النَضَري :

إذا مالتْ دواعي الهَوَى وأنْصتَ السّامِعُ للقائـــــلِ

واصطرَع القوم بألبابِهـم نقضِي بـــحُكم عادلٍ فاضلِ

لا نجعلُ الباطل حقًّا ولا نَلِطُّ[6] دون الحقّ بالباطـــلِ

نخافُ أن تُسفَّه أحلامُنا فنَحملَ الدَّهر مع الخامـــلِ

ثمّ دفع الرُّقعة إلى إبّان، وقال: ادفعها إليه، وأعلِمه أنّي لا أُدخل على ولد فاطمة بنت رسول الله ﷺ غيرهم، فانصرف عمر غضبان لم يقبل منه صِلة»[7].

---

[1] _ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج19، ص 375، 376.

[2] _ المصدر نفسه، ص 376.

[3] _ هو عمر بن علي بن أبي طالب الهاشمي العلويّ يُعدّ من أهل المدينة، أمّه الصّهباء، وفد على الوليد في صدقة أبيه، ومولدهُ في أيّام عمر، وهو من ثقات التّابعين، يُقال قتل مع مصعب بن الزبير، وذلك لا يصحّ بل ذلك أخوه عبيد الله بن علي. ابن عساكر: المصدر السابق، ج45، ص 302- 307، الذهبي: سير أعلام، ج4، ص 134.

[4] _ في تاريخ دمشق "لصدقة".

[5] _ هو الرّبيع بن أبي الحقيق القرظي النّضري ، فارس وشاعر يهودي جاهلي من بني قريظة ، كان من سادات قريظة في الجاهليّة ، وكان أحد الرّؤساء يوم حرب بعاث ، حليفا للخزرج هو وقومه ، عاصر النّابغة الذّبياني وشارك في غزوة الأحزاب. توفّي قبل هجرة الرّسول ﷺ إلى المدينة بقليل. ابن هشام : السيرة النبوية ، ج2 ، ص 274. أبو الفرج الأصبهاني : الأغاني ، طبعة دار الفكر ، ج22، ص 133، 136.

[6] _ نقول لطّ الحق ولطط بمعنى منعه وجحده. لسان العرب، مج 5، ص4034، مادّة لطط.

[7] _ نسب قريش، ص 42، 43، ابن عساكر: المصدر السابق، ج45، ص 305، 306 .

- رسالة سليمان إلى أبي بكر بن حزم يأمره بالتّحقيق في أمر زيد بن حسَن:

-452 -

ذكرنا فيما سبق أنّ الوليد عزم قبل موته على عزل أخيه سليمان من ولاية العهد، وحاول حمل أعيان النّاس على تأييده في الذّي أقدم عليه.

قال عبد الله بن الحكم: «وكتب الوليد بن عبد الملك إلى زيد بن حسن بن علي بن أبي طالب يسألُه أن يبايع لعبد العزيز بن الوليد ويخلَع سليمان بن عبد الملك[1]، ففرِق زيد من الوليد فأجابه، فلمّا استخلف سليمان وجد كتاب زيد إلى الوليد بذلك، فكتب إلى أبي بكر بن حزم – وهو أمير المدينة–:

أدْعُ زيد بن حسَن فأَقرِئه هذا الكتاب، فإن عَرفَه فاكتُب إليّ بذلك، وإن نَكَل[2] فقدِّمهُ فأظهر يمينه على منبر رسول الله ﷺ: ما كتَب هذا الكتاب ولا أمَر.

فأرسل إليه أبو بكر بن حزم فأقرأه الكتاب، فقال انظِرني ما بيني وبين العِشاء استخير الله، قال: فأرسل زيد بن حسن إلى القاسم بن محمّد، وسالم بن عبد الله يستشيرهما...وقال إنّي لم أكن آمنُ الوليد على دمي لو لم أُجِبه، فقد كتبتُ هذا الكتاب، أفتَرون أن أحلف؟ فقالوا: لا تحلف، ولا تبارز الله عزّ وجلّ عند منبر رسول الله ﷺ، فإنّا نرجوا أن ينجّيك الله بالصّدق، فأقرّ بالكتاب ولم يحلف»[3].

إنّ آل البيت ما فتِئوا يتعرّضون لمساءلات وضغوطات من قِبل خلفاء بني أميّة تكريسًا لإيديولوجيا الطّاعة والإذعان، فلا شكّ أنّ هاجس البقاء في السّلطة، والخوف على ضياع المصالح هو الذي دفع بهم إلى أن ينحُوا هذا المنحى في التّعامل معهم، خاصة وأنّ الأسرة الأمويّة لم تمتلك الغِطاء العقائدي (الإيديولوجي)، في وقت استغلّت هذه النّاحية أحزاب المعارضة أوسع استغلال، وقد سعى بعض الخلفاء الأمويّين – ولاسيما عمر بن عبد العزيز– لتأمين مثل هذا الغِطاء، لكن بدون نجاح له سمة الاستمرارية والإنتشار[4].

---

(1) _ سبق ذكر هذه الرسالة في الفصل الأوّل من الباب الأوّل رقم 40.

(2) _ نكل عن الأمر إذا جبُن عَنه. لسان العرب، مج6، ص 4544، مادة نكل.

(3) _ ابن عبد الحكم: سيرة عمر بن عبد العزيز، ص 101.

(4) _ رياض عيسى: الحزبيّة السّياسيّة، ص 113، عبد المجيد الشّرفي: في قراءة النصّ الدّيني، ص 144.

- رسالة سليمان إلى أبي بكر بن حزم بضرب زيد بن حسَن:

-453 -

فأقرّ زيد بن حسن بالكتاب ولم يحلِف «فكتب بذلك أبو بكر بن حزم إلى سليمان، **فكتب سليمان إلى أبي بكر أن يضرِبه مائة سوط، ويُدرِّعه**[1] **عَباءة ويُمشيه حَافيًا**»[2]

بهذه الشّدّة والغِلظة والقسوة كتب سليمان إلى واليه في أمر زيد بن حسن محاولة منه الإنتقام لموقفه من عزل الوليد إيّاه، فهل تمّ لسليمان ما أراد؟ وأهل أُنفذ الحُكم في زيد بن حسن؟

قال ابن عبد الحكم بعد هذا: «فتشكّى سليمان، فقال عمر بن العزيز للرّسول، لا تخرُج حتّى نكلّم أمير المؤمنين فيما كتب إلى زيد بن حسن، لَعلّي استطيب نفسه فيترك هذا الكتاب، قال: فحبس الرّسول والكتاب، ومرض سليمان فقال عمر: لا تخرُج فإنّ أمير المؤمنين مريض، إلى أن رُمي في جنازة سليمان، وأفضى الأمر إلى عمر بن عبد العزيز فدعا بالكتاب فخرّقه[3]»[4]، وهكذا لم يُنفّذ حكم سليمان في زيد بن حسن بفضل وساطة عمر بن عبد العزيز الذّي عُرف بحبّه لآل البيت وتعهّده لهم.

---

(1) _ يدرّعه: أي يلبسه، والدّرعة أيضًا ثوب تجوب المرأة فيه، وتجعل له يدين. لسان العرب، مج2، ص 1361، مادة درع.

(2) _ ابن عبد الحكم: سيرة عمر بن عبد العزيز، ص 101.

(3) _ خرّقه أي شقّه ومزّقه. لسان العرب ، مج2، ص 1141، مادة خرق.

(4) _ ابن عبد الحكم: سيرة عمر، ص 101.

الفصل الثّاني:

الرّسائل الخاصّة بسياستهم تجاه الخوارج والقدريّة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أوّلا: الـــرّسائل المتعلّقة بالعـــفو عن الخوارج والقدريّة واللّين معهم، ومُحاورتهم ومُداراتهم:

- رسالة معاوية إلى عبد الله بن عامر لمّا أمّن أحد الخوارج:

-454 -

قال علي بن محمّد: خرج بالبصرة في ولاية عبد الله بن عامر لمعاوية يزيد بن مالك الباهلي – وهو الخطيم– هو وسهم بن غالب الهُجيمي[1]، فأصبحوا عند الجِسر فوجدوا رجُلًا يصلّي فقتلوه، ثمّ سألوا الأمان بعد ذلك، فآمنهم ابن عامر وكتب إلى معاوية: «قد جعلتُ لهم ذِمّتك، فكتب معاوية:

تِلك ذمّه لو أخْفَرْتَها[2] لا سُئِلتَ عنها، فلم يزالُوا آمنين حتّى عزل ابن عامر»[3].

وبهذا أمضى معاوية أمان ابن عامر، وحذّره أن يُخلف بعهده لهم، حفاظا على منزلته وسمعته في أوساط الجماهير.

- رسالة معاوية إلى المغيرة ليَسأل خارجيّين عن موقفهما من الخليفة :

-455 -

قال البلاذري: «بلغ المغيرة أنّ معين بن عبد المُحاربي[4] يريد الخروج عنهُ، وكان اسمه معنًا فصُغّر، فأرسل إليه فأتتْه الخيل وعنده جماعة، فنُذروا بها وتفرّقوا وأُخذ معين ورجل من تميم فحبسهما المغيرة، وكتب إلى معاوية بخبرهما، فكتب إليه:

إنْ شَهِدا أنّي خليفة فخلّ سبيلهُما إذْ كانا لم يَخرُجا ولم يقتُلا أحدًا»[5]

ففعل ذلك المغيرة، فأمّا الرجل التّميمي فشهِدت بنو تميم أنّه مجنون فخلّى سبيله، وأمّا معين فقال

---

[1] _ سهم بن غالب الهُجيمي من زعماء الخوارج وقادتهم الثائرين على معاوية خرج سنة 41 هـ بالبصرة، وقاتل حتّى فَني أكثر أصحابه، فاستخفى ثمّ ظهر، فطلبه زياد فتوارى، ومازال حتّى قبضه عبيد الله بن زياد فصلبه بالبصرة، مات سنة 54هـ. ابن الأثير: الكامل، ج3، ص281، الزركلي: الأعلام ، ج3، ص 142.

[2] _ نقول: أخفر الذّمة أي لم يفِ بها، وانتهكها وغدر. لسان العرب ، مج2، ص 1209، مادة خفر.

[3] _ الطبري : المصدر السابق، ج5، ص 171.

[4] _ معين بن عبد المحاربي أحد الشّجعان الأشدّاء من زعماء قومه، أراد الخروج على معاوية فعلِم المغيرة بأمره فقبض عليه وقتله سنة 41هـ. ابن الأثير الكامل، ج3، ص 277. الزركلي: المرجع السابق، ج7، ص 274.

[5] _ أنساب الأشراف، ج5، ص173، وعند ابن الأثير :" إن شهد أنّي خليفة فخلّ سبيله". الكامل في التاريخ، ج3، ص 277.

له: إشهد أنّ معاوية خليفة، وأنّه أمير المؤمنين، فقال أشهد أنّ الله حق﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي القُبُورِ﴾ [1] وقال: أشهد أنّ تميما أكرم من مُحارب فقتله [2].

لقد تأكّد قول معاوية حين قال: إنّي لا أحُول بين النّاس وألسنتهم ما لم يحُولوا بيننا وبين السلطان[3]، ولم يضع سوطه حيث كفاه لسانه، فالمهمّ عنده أن لا تقدح الرّعيّة في سلطانه أو ينافسوا عليه، وما سوى ذلك لا يحتاج عنده إلى سلّ السّيوف.

وحتى النّاظر في سلوك الخوارج أنفسهم زمن معاوية يجد أنّ خروجهم في ذلك العهد كان يستهدف إزعاج نظام حكم بني أميّة وإضعافه، دون أن يكون لهم أمل في القضاء عليه، وكان معاوية على وعي تامّ بحقيقة المعارضة الخارجيّة وموقفها من السّلطة ومن شخصيّته بالذّات، ولذلك كان مثل هذا الموقف هو الحلّ في التعامل معهم.[4]

- رسالة عبد الملك إلى إبراهيم بن عربي حين وجّهه لقتال الخوارج:

-456 -

قال أبو الحسن المدائني: «خرج رجل من بني مُحارب[5] بن عمرو بن وديعة سنة 78 قبل أن يُقتل قطري، فكتب الحجّاج إلى عبد الملك: إنّ قطريًّا قد شغل من قبلي من المُقاتلة، فإن رأى أمير المؤمنين أن يكتب إلى إبراهيم بن عربي[6] في أمر هذا الخارجيّ، فكتب إلى إبراهيم – وهو باليمامة-:

أن سِرْ إلى البحرين، فإن ظفَرت بالمحاربيّ فلا تقتُله وأحسِن إليه، واحفَظ بلاءه عند أمير المؤمنين مروان، فإنّه لجأ إليهم يوم الجمل ثمّ تَحوّل إلى بَني هُمَيم[7].

فخرج إبراهيم إلى البحرين في ألفين، فهزم الخوارج فتفرّقوا ورجع إلى اليمامة» [8] .

الظّاهر أنّ عبد الملك بحَث لنفسه عن مبرّرات يحقن بها دم هذا المُحاربي، فتذكّر موقفا من مواقف

---

[1] _ سورة الحج الآية 7.

[2] _ البلاذري: أنساب، ج5، ص 173، ابن الأثير: الكامل، ج3، ص 277 والذي تولّى قتله هو قبيصة الهلالي.

[3] _ الرّاغب الأصفهاني : محاضرات الأدباء، ج1، ص 226.

[4] _ الصلّابي: المرجع السابق، ج1، ص 247.

[5] _ بنو محارب هم ولد فهر بن مالك الذي كان له غالب ومحارب والحارث. ابن حزم: جمهرة أنساب، ص 12.

[6] _ هو إبراهيم بن عربي اللّيثي تولّى اليمامة لعبد الملك حتى مات عبد الملك، ثم أقرّه الوليد، ثمّ عزله عمر بن عبد العزيز ثمّ أعاده يزيد بن عبد الملك. تاريخ خليفة، ص 189، 198، 214، ابن حجر: لسان الميزان، ج1، ص 315.

[7] _ بنو هُميم: هم من بني نمر بن عامر بن صعصعة. ابن حزم: جمهرة أنساب ، ص 470.

[8] _ البلاذري: أنساب، ج8، ص 47.

قومه مع أبيه مروان، إذ لجأ إليهم يوم الجمل، فكان هذا شفيعًا للمحاربيّ عند أمير المؤمنين، وليس هذا فحسب، بل إنّ عبد الملك دون غيره كان يظهر بعض اللّين في التّعامل مع الخوارج، فلا يقسُو عليهم إلّا إذا دعت الضّرورة وألحّت الحاجة، بل كان يتحدّث معهم ويسمع كلامهم، بل ويُعجَب به أحيانًا.[1]

- رسالة عبد الملك إلى نجدة بن عامر الحَنفي يدعوه إلى الطّاعة:

-457 -

قال البلاذري:خرج نجدة بن عامر على عبد الملك ، وأظهر مخالفتة للدّين ، وسفك دماء المسلمين «فكتب عبد الملك إليه:

يدعُوه إلى طاعته وبيعته، على أن يَهدر له ما أصاب من الدِّماء والأموال، وأن يُولِّيه اليمامة وما حَولها»[2].

فكان هذا الكتاب من عبد الملك سببًا في تفرّق أصحاب نجدة عليه، فقد قال أحدهم، ما كاتبَه عبد الملك حتّى علِم منه إدهانًا في الدّين[3]، وخرجوا إلى عمّان مفارقين له، بل كانوا هم من قتَله بزعامة أبي فديك[4].

- رسالة عبد الملك إلى الحجّاج بالإحسان إلى أسْلم بن عبد البِكري:

-458 -

قال ابن عيّاش: كتب عبد الملك إلى الحجّاج بقتل أسلم بن عبد البكري، وكان يرى رأي الخوارج، فجاءت جارية من جوارِيه وأخبرتُه أنّه يعيل أربعة وعشرين امرأة ويساعدُهنّ فدخلن كلّهن عليه، «فقال لها الحجّاج: من أنت؟ فقالت: ابنته أصلح الله الأمير، ثمّ أنشأت تقول:

أحجّاجُ لم تشهد مقَام بنـــاتِه ... وعمّاته يَندُبنه اللّيل أجمـــعَا

أحجّاجُ كم[5] تَقتلْ به إن قتَلته ... ثَمانًا وعشْرا واثنتين وأربـــعَا

أحجّاجُ من هذا يقومُ مَقامـــه ... علينا فمهلًا إن تزِدنا تضعضُعَا

---

[1] _ انظر في ذلك ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ج5، ص 61.

[2] _ أنساب الأشراف، ج7، ص 184.

[3] _ وقد ذكرنا فيما سبق أنّ نجدة لمّا غزى المدينة كتب له عبد الملك في جارية فبعثها إليه نجدة، فلامه أصحابه على ذلك، وربّما هذا أيضًا دعّم موقفهم في الخروج عليه. انظر الفصل الأول من الباب الأول رسالة رقم 55.

[4] _ البلاذري: أنساب، ج7، ص 185، 186.

[5] _ في الكامل "لم" والمثبت من تاريخ دمشق والمختصر.

أحجّاجُ إمّا أن تجُود بنِعمـــــة علينا وإمّا أن تُقتّلنا مـــــعَا

قال: فما استَتمّت كلامها حتّى أسْبل الحجّاج دمعته من البُكاء[1]، وقال: والله لا أعنّت الدّهر عليكنّ، ولا زدتكنّ تضَعْضعا، وكتب إلى عبد الملك بخَبر الرّجل والجارية، فكتب إليه عبد الملك:

فإنْ كان الأمر كما ذكَرت فأحسِن إليه الصِّلة[2]، وتفقّد الجارية[3] وعجِّل بإسراحهِنّ»[4].

لقد قبِل عبد الملك شفاعة أهل الخارجيّ، وطلب إلى الحجّاج تقديم الإحسان لهم وصلتهم، وذلك راجعٌ إلى أنّ سياسة عبد الملك نفسها مع الخوارج كانت الضّغط على ذويهم من أجل إرجاع من خرج منهم إلى رحاب الطّاعة، فلذلك لم يكن له ليرفض شفاعتهم إذا اشفعوا.

- كتاب عبد الملك إلى الحجّاج في الرِّفق بأهل العراق:

-459 -

كتب الحجّاج إلى عبد الملك بن مروان يشكو إليه أهل العراق، وخروجهم فوقّع له:

« **إرفق بهم، فإنّه لا يكُون مع الرِّفق ما تَكره، ومع الخرْق ما تُحبّ**»[5].

تدلّ هذه المواقف وغيرها من عبد الملك على قدرته في السّيطرة على الأمور واحتوائها، فقد أبَان عن سياسة حكيمة مكنّته من استئصال خصومه، ولولا تشديده على الحجّاج بين الحين والآخر لاشتطّ في مُعاملته أكثر، فكم من كتاب وجّهه إليه، كان الحجّاج يرتجف بمجرّد استلامه والعرق يسيل على جبينه، وقد يسقط الكتاب من يده، إذ أنّ الإفراط في الشّدة والعنف قد يؤدّي إلى ردود فعل أشدّ عنفا، وأكثر تكليفا .

لقد كانت هذه الرّسائل وبخاصّة الأخيرة منها منهجًا واضح الأهداف لِسياسةٍ رشيدة، ولخليفة يرغب في السّير بأهل العراق نحو برّ الأمان، بعيدًا عن سياسة العُنف والشدّة اللّامُتناهية، وبيّنت الأحداث حكمة الخليفة ومنهجه السّياسي، فالصفح والمسامحة صفة من صفاته، وهي خير للدّولة في سبيل حقن الدّماء

---

[1] _ في الكامل "فبكى الحجّاج وقال:...".

[2] _ في الكامل "فأحسِن صلته".

[3] _ نهاية رواية الكامل.

[4] _ ابن عساكر : المصدر السابق، ج12، ص 145، 146، ابن منظور: مختصر، ج6، ص 210، 211، ابن الأثير: الكامل، ج4، ص 285. وجاءت عند ابن كثير بالسّند نفسه الذي أورده ابن عساكر عن ابن عيّاش قال: " **فكتب إليه عبد الملك يأمره بإطلاقه وحُسن صلته، وبالإحسان إلى هذه الجارية وتفقّدها في كلّ وقت**". البداية والنّهاية، ج9، ص 104.

[5] _ الثعالبي: خاص الخاص، ص 127 .

وتوفير الجهود، والحفاظ على الجبهة الدّاخلية الواحدة المتراصّة.[1]

-رسالة عبد الملك إلى الحسن البصري بشأن قوله في القدر:

- 460 -

[رسالة عبد الملك] كتب عبد الملك بن مروان إلى الحسن البصري يسأله عن قوله في القدر: «**من عبد الملك أمير المؤمنين إلى الحسن بن أبي الحسن**[2]: **سلام عليك، أمّا بعد فإنّي أحمد إليك الله الذّي لا إله إلّا هو وأسأله أن يصلّي على محمّد عبده ورسوله وبعد، فقد بلغ أمير المؤمنين عنك قول في وصف القدر لم يبلغه مثله عن أحد ممّن مضى ، ولا نعلم أحدا تكلّم به ممن أدركنا من الصّحابة رضي الله عنهم كالذّي بلغ أمير المؤمنين عنك، وقد كان أمير المؤمنين يعلم عنك صلاحا في حالك، وفضلا في دينك ودراية للفقه، وطلبا له وحرصا عليه، ثمّ أنكر أمير المؤمنين هذا القول من قولك، فاكتب إلى أمير المؤمنين بمذهبك، والذّي به تأخذ ، أعن أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلّم؟ أم عن رأي رأيته؟ أم عن أمر يُعرف تصديقه في القرآن؟ فإنّا لم نسمع في هذا الكلام مجادلا ولا ناطقا قبلك، فحصّل لأمير المؤمنين رأيك في ذلك وأوضحه، والسّلام عليك ورحمة الله وبركاتة**»[3].

[جواب الحسن البصري] فكتب إليه الحسن البصري رحمة الله عليه:

«لعبد الملك أمير المؤمنين من الحسن بن أبي الحسن البصري: سلام عليك يا أمير المؤمنين، فإنّي أحمد إليك الله الذي لا إله إلّا هو، أمّا بعد، أصلح الله أمير المؤمنين وجعله من الولّاة الذّين يعملون بطاعة الله ويتّبعون رسوله ويسارعون في اتّباع ما أمرهم به، فإنّ أمير المؤمنين أصلحه الله أصبح في قليل من كثير مضوا من أهل الخير، منظورٌ إليهم ومغفول عنهم ومقتدى بأعمالهم، وقد أدركنا يا أمير المؤمنين السّلف الذّين عملوا بأمر الله وروَوْا حكمته واستنّوا بسنّة رسوله ﷺ فكانوا لا ينكرون حقّا ولا يحقّون باطلا، ولا يلحقون بالرّبّ تبارك وتعالى إلّا ما ألحق بنفسه، ولا يحتجّون إلّا بما احتجّ الله به على خلقه في كتابه، فإنّ الله تبارك وتعالى يقول وقوله الحقّ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ

---

[1] _ شحاذة النّاطور : تجديد الدّولة، ص 131، 132.

[2] _في المنية والأمل لابن مرتضى ذكر أنّ الذّي كتب بها إلى الحسن هو الحجّاج بن يوسف ، ولم ينقل لنا نصّ الرّسالة، بل ذكر عبارات من جواب الحسن. انظر ص 12 ، 13، وفي الملل والنّحل للشّهرستاني أنّ عبد الملك كتب بها إلى واصل بن عطاء، وهو ما لم يكن. انظر ص 37.

[3] _ مصوّرة دار الكتب المصريّة رقم (5221 آداب)، نقلا عن محمد عمارة : رسائل العدل والتّوحيد ، ص 111 .

أَنْ يُّطْعِمُونِ ﴾[1] .

فأمرهم الله تعالى بعبادته التّي لها خلَقهم، ولم يكن ليخلقهم لأمر ثمّ يحول بينهم وبينه، لأنه تعالى ليس بظلّام للعبيد، ولم يكن أحد ممن مضى من السّلف ينكر هذا القول، ولا يحاول عنه، لأنّهم كانوا على أمر واحد متّفقين، ولم يأمروا بشيء منكر، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿قُلِ انَّ اللهَ لَا يَامُرُ بِالفَحْشَآءِ اَتَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ قُل اَمَرَ رَبِّي بِالقِسْطِ﴾[2]، وكان نهيه عن الفحشاء والمنكر والبغي﴿يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[3]، فكتاب الله تعالى حياة عند كلّ موت، ونور عند كلّ ظلمة، وعلم عند كلّ جهل، فما ترك الله لعباده بعد الكتاب والرّسول حجّة، وقال عزّ وجلّ: ﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيِيَ مَنْ حَيَ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[4].

ففكّر أمير المؤمنين في قول الله تعالى: ﴿فَمَنْ شَآءَ مِنْكُمْ أَنْ يَّتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[5]، وذلك أنّ الله جعل فيهم من القدرة ما يتقدّمون بها ويتأخّرون، وابتلاهم لينظر كيف يعملون، وليبلو أخبارهم، فلو كان الأمر كما يذهب إليه المخطئون لما كان إليهم أن يتقدّموا ولا يتأخّروا، ولمّا كان لمتقدّم أجر فيما عمل ولا على متأخّر لوم فيما لم يعمل، لأنّ ذلك بزعمهم ليس منهم، ولا إليهم ولكنّه من عمل ربّهم وإلّا لما قال: ويضلّ الله الظّالمين ﴿وَمَايُضِلُّ بِهِ إِلَّا الفَاسِقِينَ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ اللهُ بِهِ أَن يُّوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الارْضِ أُولئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ﴾[6].

فتدبّر يا أمير المؤمنين ذلك بفهم، فإنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿فبشّرْعبَادِي الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ القَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُولَئِكَ هُم أُولُوا الالْبَابِ﴾[7]، واسمع إلى قول الله تعالى حيث يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الكِتَابِ ءامَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ وَلَوْ أَنَّهُمُ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالانْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾[8]، وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ القُرَى

---

[1] _ سورة الذّاريات الآية 52.

[2] _ سورة الأعراف الآية 28، 29.

[3] _ سورة النّحل الآية 90.

[4] _ سورة الأنفال الآية 42.

[5] _ سورة المدثّر الآية 38.

[6] _ سورة البقرة الآية 26، 27.

[7] _ سورة الزّمر الآية 18.

[8] _ سورة النّساء الآية 65، 66.

ءامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَآءِ وَالارْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[1].

واعلم يا أمير المؤمنين أنّ الله لم يجعل الأمور حتمًا على العباد ولكن قال: إن فعلتم كذا فعلت بكم كذا، وإن فعلتم كذا فعلت لكم كذا، وإنّما يجازيهم بالأعمال كما قال: ﴿فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ﴾[2]، ولكنّ الله قد بيّن لنا من قدّم لهم ذلك، ومن أضلّهم فقال: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾[3]، فالسّادات والكبراء هم الذّين قدّموا لهم الكفر وأضلّوهم السّبيل بعد أن كانوا عليها، لأنّ الله تعالى يقول: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[4]، إمّا يشكر لهدايتنا له السّبيل وإنعامنا عليه، وإمّا أن يكفر﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾[5]، وكذلك قال عزّ وجلّ: ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾[6].

فقل يا أمير المؤمنين كما قال الله: فرعون الذّي أضلّ قومه ولا تخالف الله في قوله، ولا تجعل من الله إلّا مارضي لنفسه، فإنّه قال: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى وَإِنَّ لَنَا لَلآخِرَةَ وَالأُولَى﴾[7]، فالهدى من الله والضلال من العباد، ثمّ فكّر يا أمير المؤمنين في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا الْمُجْرِمُونَ﴾[8]، وقوله: ﴿وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾[9]، وقوله: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾[10]،وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَاتِيكُمْ بِهِ اللهُ إِنْ شَآءَ وَمَآ أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾[11]، يعني ما أنتم بناجين من عذابه إن أتاكم ولا بممتنعين منه، ولا ينفعكم نصحي حينئذ إن أردتّ أن أنصح لكم عند حلول العذاب بكم.

وقد علم نوح عليه السّلام أنّ العذاب إن نزل بهم وعاينوه لم ينفعهم الإيمان عند ذلك، وقد بيّن الله تعالى في الأمم التّي أهلكها بقوله: ﴿فَلَمْ يَكُن يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّةَ اللهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ

---

(1) _ سورة الأعراف الآية 96.

(2) _ سورة ص الآية 61.

(3) _ سورة الأحزاب الآية 67.

(4) _ سورة الإنسان الآية 3.

(5) _ سورة النّحل الآية 27.

(6) _ سورة طه الآية 79.

(7) _ سورة اللّيل الآية 13 .

(8) _ سورة الشّعراء الآية 99.

(9) _ سورة طه الآية 85.

(10) _ سورة الإسراء الآية 53.

(11) _ سورة هود الآية 33.

وَخَسِرَ هُنَالِكَ الكَافِرُونَ﴾[1]، فهذه سنّة الله لاتُقبل التّوبة عند معاينة العذاب.

وأمّا قوله: ﴿إِنْ كَانَ اللهُ يُرِيدُ أَنْ يُّغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[2] ،فإنّما يعني بالغيّ في هذا الموضع العذاب، وهو قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾[3]، أي عذابا أليما، وقد تقول العرب: لقي فلان اليوم غيّا، أي ضربه الأمير ضربا مبرحا شديدا، أو عذّبه عذابا أليما.

وممّا يجادلون فيه قول الله تعالى: ﴿فَمَنْ يُّرِدِ اللهُ أَنْ يَّهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ وَمَن يُّرِد اَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرِجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَآءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُومِنُونَ﴾[4]، فتأوّلوا بجهلهم على أنّ الله تعالى خصّ قوما بشرح الصّدور بغير عمل صالح قدّموه، وقوما بضيق الصّدور، يعني القلوب بغير كفر كان منهم ولا فسق ولا ضلال، ولا لهؤلاء سبيل إلى ما كلّفهم من الطّاعة، وهم مخلّدون في النّار طول الأبد، وليس ذلك يا أمير المؤمنين كما ذهب إليه الجاهلون المخطئون، ربُّنا أرحم وأعدل وأكرم من أن يفعل ذلك بعباده، كيف وهو يقول: ﴿لَايُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا اِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾[5].

وإنّما خلق الجنّ والإنس لعبادته، فجعل لهم أسماعا وأبصارا وأفئدة يطيقون بها أضعاف ما كلّفهم الله من عبادته، فمن أطاع منهم فيما أمر به فقد شرح الله صدره للإسلام، ثوابا منه بطاعته في العاجل من الدّنيا، ويخفّف به عليه أعمال البرّ ويثقل به الكفر عليه والفسوق والعصيان، فإن كان في حاله تيك مطيقا لجميع ما أمر به ونهى عنه، وكذلك حكم الله في كلّ من بلغ من الطّاعة مبلغه، من شريف أو وضيع، ومن ترك ما أمره الله به من الطّاعة، وتمادى في كفره وضلاله عاجل الدّنيا، وهو مع ذلك مطيق للإنابة والتّوبة، جعل الله صدره ضيّقا حرجا كأنّما يصّعد في السّماء، عقوبة منه له بكفره وضلالته في عاجل الدّنيا، والتّوبة مأمور بها، ومدعوّ إليها، كذلك حكم الله عزّ وجلّ فيمن بلغ من الكفر والفسوق مبلغه.

وإنّما ذكر الله يا أمير المؤمنين الشّرح والضّيق في كتابه رحمة منه لعباده وترغيبا منه لهم في الأعمال التّي يستوجبون بها في حكمته أن يشرح صدورهم، وتزهيدا منه لهم في الأعمال التّي يستوجبون بها في حكمته

---

(1) _ سورة غافر الآية 85.

(2) _ سورة هود الآية 34.

(3) _ سورة مريم الآية 59.

(4) _ سورة الأنعام الآية 125.

(5) _ سورة البقرة الآية 286.

تضييق الصّدور، ولم يذكر لهم ذلك ليقطع رجاءهم، ولا ليؤيّسهم من رحمته وفضله، ولا ليقطعهم من عفوه ومغفرته وكرمه إذا هم صلحوا، وقد بيّن الله عزّ وجلّ في كتابه فقال تعالى: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[1].

وقال[2] يذكر أنّ السّلف الماضين من صحابة النّبيّ عليه السّلام كانوا على كلامه لا ينكرون منه شيئا، ولا يجادلون فيه، لأنّهم كانوا على أمر واحد متّفق متّسق، لا ينكرون منه حقّا ولا يحقّون منه باطلا، ولا يلحقون بالرّبّ إلّا ما ألحق به نفسه، ولا يحتجّون إلّا بما احتجّ الله به على خلقه.

وذكر[3] لأمير المؤمنين أنّه إنّما أُحدث الكلام فيه حين أحدث النّاس النّكرة له، فلمّا أحدث المحدثون الكلام في دينهم ذكرتُ من كتاب الله خلافا لما قالوا وأحدثوا، وذكر من ذلك ما لا ينكره أمير المؤمنين، بل يعرفه ويعرف تصديقه في كتاب الله وسنّة رسول الله ﷺ ففي كتاب الحسن بعد كتاب الله الشّفاء والبرهان، وقد بعثتُ إليك يا أمير المؤمنين نسخة كتاب الحسن لتنظر فيه وتفهمه، ليزيدك الله هدى إلى هداك، وعلما إلى علمك، فافهمه وتدبّره، واعمل فيه برأيك وعقلك لنفسك وللمسلمين، ولا تُدخل عليه فيه شبهة، فإنّه واضح لمن تدبّره وعقَله وقبِل عدل الله فيه.

واعلم أنّه لم يبقَ ممن أخذ عن السّلف الماضي من أصحاب رسول الله ﷺ أحد هو أعلم بالله تعالى وأفقه في دين الله وأقرأ لكتاب الله من الحسن، ومع صلاح حاله وثقته في دينه وأمانته واهتمامه بأمور المسلمين، فأكرمه كرامة ترجو بها ثواب الله تعالى في الآخرة والأولى»[4].

كان هذا الجواب الذّي نسب إلى الحسن البصري ردّا على رسالة عبد الملك إليه، هذا ولم يكن الحسن ممن يخالف مذهب السّلف في أنّ القدر خيره وشرّه من اللّه تعالى، غير أنّ القدريّة كانوا ينتحلون الحسن وكان قوله مخالفا لهم[5]، وقد اتّهم بمذهب القدر غير واحد لم يكونوا قدريّة بل كانوا لايقبلون الإحتجاج على المعاصي بالقدر، منهم الحسن البصري[6]، بل كان الحسن نفسه يحذّر من معبد الجهني القدري ويقول: «إيّاكم ومعبد الجهني فإنّه ضالّ مضلّ»[7]، فلا يعقل أن ينهى عن مذهب القدر إذا كان

---

(1) _ سورة المائدة الآية 16.

(2) _ يقصد الحسن البصري، إذ من هنا حتّى نهاية الرّسالة قد تصرّف الرّاوي والنّاسخ في نصّها.

(3) _ يقصد الحسن البصري.

(4) _ محمّد عمارة: المرجع السّابق، ص 112 - 117.

(5) _ ابن سعد: الطبقات، ج9، ص175، الشّهرستاني: المصدر السّابق، ص37 .

(6) _ ابن تيميّة: منهاج السّنة، ج3، ص24، 25.

(7) _ ابن عدي: الكامل في ضعفاء الرّجال، ج1، ص53، ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج59، ص 322.

يقول به، قال الذّهبي: « وقد بدت منه هفوة في القدر لم يقصدها لذاتها فتكلّموا فيه فما التفت إلى كلامهم لأنّه لمّا حوقق عليها تبرّأ منها»[1].

والذّي يُفهم هنا أنّ الجديد الذّي أثار عبد الملك بن مروان، ودعاه للكتابة إلى الحسن البصري، إنّما هو المستوى الجديد الذّي أصبحت تتناول به مشكلة القدر، لا أنّ القضيّة لم تثر على عصر الصّحابة قبل هذا الوقت، وهو المستوى الذّي استدعته الصّراعات السّياسية التّي شهدها العالم الإسلامي على عهد الأمويّين، فقد جُعل من هذه القضيّة فعلا جماهيريّا ذا صلة وثيقة بالسّياسة والأحداث التّي عاشها النّاس[2].

ثانيا– رسائلــهم إلى الوُلّاة والأقاليم بقتال الخــوارج والشِّــدّة معــهم:

- رسالة معاوية إلى ابن عامر لقتال سَهم بن غالب:

-461 -

[رسالة معاوية] خرج على عبد الله بن عامر بالبصرة سَهم بن غالب في أيّام معاوية، وكان سهم من المُستبصرين في رأيه، وهو أوّل من سمّى أهل القبلة بالكُفر، ثمّ لم تكن الخوارج قبله تقطع بالشّهادة في الكفر والإيمان، وكان خروجه سنة 44هـ[3] في سبعين رجُلًا فيهم الخَطيم الباهلي، فقاتلهم ابن عامر وعرض عليهم الأمان فقبِلوه، فآمنهم فرجعوا، «**وكتب إليه مُعاوية يأمُره بقَتلهم،**

[ردّ ابن عامر] فكتب له ابن عامر: إنّي قد جعلتُ لهم ذمّتك»[4]

فأمضى له معاوية ذلك وبقوا آمنين حتى قدم زياد البصرة سنة45 هـ، فخافوا أن لا يُنفّد لهم أمان ابن عامر، فبعثوه إليه، فأبى وقتَلهم[5]، وأعلن بذلك رفع لواء الشّدة التي لم تكن معهودة من قبل.

لقد لجأ الأمويّون في بعض الأحيان إلى القوّة للحفاظ على وحدة هذه الأمّة المستعِدّة للتّشتّت

---

(1) _ ميزان الإعتدال،ج1، ص527.وقال الذهبي:"وقد روى عنه أيوب قال: فكذب على الحسن ضربان من النّاس: قومٌ القدر رأيهم لينفّقوه في النّاس بالحسن، وقومٌ في صدورهم شنآن وبغض للحسن، وأنا نازلته غير مرّة في القدر...وقد أدركت الحسن والله ما يقوله".سير أعلام النبلاء، ج4، ص580.

(2) _ محمد عمارة : المرجع السّابق ، هامش الصّفحة 111، 112 .

(3) _ هذا التاريخ في أنساب الأشراف، أمّا في تاريخ خليفة فأورد هذا سنة 41 هـ، انظر ص 124.

(4) _ البلاذري: أنساب، ج5، ص 179، 180.

(5) _ المصدر نفسه، ص180.

والتفكّك والتّمزق إلى ألف قطعة، فأعطَوا الأولويّة لمصلحة الدّولة العُليا، ولمستقبل الإسلام والعُروبة، ووضعوا ذلك فوق كلّ اعتبار آخر[1]، ولسنا ندَّعي أنّ أهل العراق لم يكونوا مُحاربين أقوياء، فهم أشدّ وأنكى في الحروب، غير أنّ شدّتهم لا تدُوم، وهم أمام الخوارج ضُعفاء في معظم الحين، ذلك أنّ الخوارج كانوا يُذهلونهم في حروبهم، فهم ذَوُوا بأس شديد، وشرٍّ مُستطير، ولهم طرق في الحرب تُدخل اليأس عند الخصوم[2].

- رسالة عبد الملك إلى المُهلّب يولّيه قتال الخوارج:

-462 -

قال الكلبي: «سار المهلّب إلى قَطري فقَاتله ثلاثة أشهر أو أكثر[3]، وقُتل مصعب بن الزّبير فبلغ خبر قتلِه قطريًّا قبل أن يبلُغ المهلّب، فناداهم الخوارج: ما تقُولون في مصعب؟ قالوا: إمامُ هُدى، قالوا: فما تقولون في عبد الملك؟ قالوا: ضالٌّ مضِلّ، فمكثوا يومين أو ثلاثة أيّام، ثمّ أتى المهلب قتل مصعب واجتماع النّاس على عبد الملك، **ووَرد على المهلّب كتابُ عبد الملك بتَوليته قِتال الخوارج**، فضَجُّوا في عسكَره»[4] .

فلمّا توافقوا ناداهم الخوارج: « ما تقولون في مصعب؟ قالوا: لا نُخبركم، قالوا: فما تقُولون في عبد الملك؟ قالوا: إمام هدى، قالوا: يا أعداء الله بالأمس ضالٌّ مُضلّ واليوم إمام هدى، يا عبيد الدّنيا عليكم لعنة الله» [5]

لقد توخّى الخلفاء الأمويّون في قادتهم ذات الصّفات التي كانت مطلوبة في عهد الرّاشدين، فكانوا يتحرّون من له القابِليّة على تحمّل المسؤولية، ويتّصف بالحزم، ورُسوخ العقيدة والثّقة بالنّفس،وتحرّوا فيهم العناصر القياديّة، والقابليّة لإدراك المعارك، ولم تكن قابليّتهم وكفاءاتهم إلّا إمتدادًا طبيعيًّا للقيادات الّتي برزت في عهد الرّاشدين، فكانوا بحقّ خلفاء لأولئك القادة[6] .

---

[1] _ هشام جعيط : الفتنة، ص 224.

[2] _ يوسف العش: المرجع السابق، ص 212.

[3] _ كان المهلّب في هذه الفترة عاملًا لمصعب وليس لعبد الملك .

[4] _ البلاذري : أنساب، ج7، ص 408 ، المبرّد : الكامل في اللغة والادب، ج2، ص 252.

[5] _ المبرّد : المصدر السّابق، ج2، ص 252.

[6] _ عبد الواحد ذنون طه : مواقف ودراسات، ص 264، 265.

- رسالة عبد الملك إلى أخيه بِشر يأمره بإمداد خالد بن عبد الله في قتال الخوارج:

-463 -

قال أبو مخنف : وجّه عبد الملك خالد بن عبد الله لقتال الخوارج سنة 72هـ ،وأمره بالمسير إليهم، وكتب لأخيه بشر بالكوفة:

«أمّا بعد، فإنّي قد كتبتُ إلى خالد بن عبد الله آمرُه بالنُّهوض إلى الخوارج، فسرِّح إليه خمسة آلاف رجل، وابعث عليهم رجُلًا مِن قِبَلك ترضاه، فإذا قضَوا غَزاتهم تلك صرَفتهم إلى الرّيِّ فقاتَلوا عدوّهم، وكانوا في مَسَالحهم[1]، وجَبَوْا فَيْئهم حتّى تأتي أيّام عَقِبهم فتُعقبهُم وتبعث آخرين مكانَهم» [2]

فانتدب خالد من أهل الكوفة خمسة آلاف، وبعث عليهم عبد الرّحمن بن محمّد بن الأشعث، وخرج خالد بأهل البصرة إلى الأهواز، وكان يعمل برأي المهلّب فهزم الخوارج.[3]

رواية أخرى لما سبق

-أ – 463

وقال أبو الحسن المدائني: «وكتب عبد الملك إلى بِشر بن مروان:

أن يُمِدّ خالد بن عبد الله بن خالد بجيش عليه عبد الرّحمن بن محمّد بن الأشعث الكِندي ففعل، وقال بِشر لعبد الرحمن: إذا فرَغتم من الحرب فسِر إلى الرّي»[4]

- رسالة ثانية من عبد الملك إلى بِشر ليُمِدّ خالدًا في الأمر السّابق:

-464 -

أرسل خالد المهلّب وابن الأشعث فهَزموا الخوارج، وأقام المهلّب بالأهواز، فكتب خالد بن عبد الله إلى عبد الملك:

---

[1] _ المَسلحة قوم يحرصون الثّغور. وقد سبق شرحها في الرّسالة رقم 442.

[2] _ الطبري: الصدر السّابق، ج6، ص 171، ابن الجوزي : المنتظم، ج6، ص 118، ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج4، ص 118، محمّد ماهر: المرجع السابق، ص 298.

[3] _ الطبري: المصدر السابق، ج6، ص 171، ابن الجوزي : المنتظم، ج6، ص 118.

[4] _ البلاذري : أنساب، ج7، ص 412.

«أمّا بعد فإنّي أخبر أمير المؤمنين –أصلحه الله– أنّي خرجتُ إلى الأزارقة الّذين مرَقوا من الدّين، وخرجوا من ولاية المسلمين، فالتقَينا بمدينة الأهواز، فتناهَضْنا، فاقتتلنا كأشدّ قتال كان في النّاس، ثمّ إنّ الله أنزل نصرَه على المؤمنين والمسلمين، وضرب الله وجوه أعدائه، فأتبعَهم المسلمون يقتلونهم، ولا يمنَعون ولا يمتنِعون، وأفاء الله ما في عسكرهم على المسلمين، ثمّ أَتبعهم داود بن قُحذم، والله إن شاء الله مُهلكهم ومُستأصلهم والسّلام عليك، فلمّا قدِم هذا الكتاب على عبد الملك، كتب عبد الملك إلى بشر بن مروان:

أمّا بعد، فابعث مِن قِبَلك رجلًا شجاعًا بصيرًا بالحرب، في أربعة آلاف فارس فَلْيسيروا إلى فارس في طلب المَارِقة، فإنّ خالدًا كتب إليَّ: أنّي قد بعثتُ في طَلبهم داود بن قُحذم[1]، فمُر صاحبَك الذي تبعث ألّا يُخالف داود بن قُحذم إذا ما التَقَيا[2]، فإنّ اختلاف القوم بينهم عَون لعدوّهم عليهم والسّلام.

فبعث بشر عِتاب بن وَرقاء[3] في أربعة آلاف فارس من أهل الكوفة إلى بلاد فارس»[4] فانهزموا وعادوا إلى الأهواز.

رواية أخرى لما سبق

-أ- 464

أمّا ابن الأثير فروى باختصار عمّا سبق قال: كتب خالد إلى عبد الملك بأمر الخوارج وهزيمتهم، «فلمّا وصل كتابه إلى عبد الملك **كتب إلى أخيه بِشر:**

يأمُره أن يبعث أربعة آلافٍ من أهل الكُوفة، مع رجلٍ بصيرٍ بالحرب إلى فارس في طلب الأزارقة، ويأمُر صاحبه بمُوافقه داود بن قُحذم إن اجتمعَا.

فبعث بِشر عِتاب بن ورقاء في أربعة آلاف فارس، فساروا حتّى لحقوا داود فاجتمعوا ثمّ اتّبعوا الخوارج حتّى هلكت خيولهم، وأصابهم الجوع والجهد، فرجع الجيش مُشاة إلى الأهواز»[5]

---

(1) _ لم نحصل على ترجمته.

(2) _ نهاية رواية ابن الجوزي في المنتظم.

(3) _ عتاب بن ورقاء: قال خليفة بن خياط: عتاب بن ورقاء الرّياحي، وجّهه عامر بن مسعود عامل الكوفة إلى الرّي سنة 64 هـ لمّا خرجوا عليه، فقتل البرجُمان وانهزم المشركون، ووجّهه الحجّاج لقتال شبيب فقُتل بالكوفة سنة 77هـ. تاريخ خليفة، ص 162، 173.

(4) _ الطبري: المصدر السابق، ج6، ص 172، 173، ابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص 118، محمد ماهر: الوثائق، ص 299، أحمد زكي: جمهرة رسائل، ج2، ص 133.

(5) _ الكامل في التاريخ، ج4، ص 118، 119.

لقد لجأ الأمويّون إلى قتال الخوارج منذ البداية لعلمهم بتطرّفهم ، فأيقنوا أنّها الوسيلة الوحيدة للتّعامل معهم، فلجؤوا إلى استعمال القوّة معهم بعد نفاذ الوسائط السّلمية الأخرى، لذلك ولإجراء تعبئة سياسيّة وكسب الحرب، لابدّ من تعبئة عسكريّة يُراد منها أرساء الأمن والقضاء على أيّ معارض، والحرب الأمويّة عمليًّا لا تنفصل عن تعبئة المجتمع الإسلامي تعبئة قائمة على المبادئ والعقيدة التّي تربط بين الجيش الأمويّ المجاهد والشّعب من ناحية، والمقدرة على تدمير وسحق القوات المعادية من ناحية أخرى.[1]

إنّ هذه الحملة الثّانية لم تعرف إنتصارًا مثل الحملة السّابقة التي جاءت بها البُشرى من خالد إلى عبد الملك، بل إنّها عرفت فشلًا في مهمّتها، وإخفاقا فيها كُلّفت به، رغم أنّ رسالة عبد الملك تحمل في طيّاتها حزمًا وشدّة يتطلبهما الموقف، خاصّة في إقليم ما وراء العراق، الذي كان يعرف على ما يبدو فراغًا سياسيا عسكريا، لبعده عن مركز القوة العسكريّة للدولة، لذلك كان وكرًا للخوارج ولكلّ حركة مناوِئة، فكان الخوارج جادّين بالِغِي الإيمان، لأنّهم كانوا رجالًا فعّالين لم يطلبوا الشّهادة على المِقصلة بل في ميدان الجهاد[2]، ممّا كلّف الدّولة عناءًا في سبيل دَحرهم والقضاء عليهم، فأُريقت لأجل ذلك دماء، وهُدرت أموالٌ، وشُغلت الخلافة بهم.

- رسالة عبد الملك إلى خالد بن عبد الله يعزله لمّا لم يبعث المهلّب لقتال الخوارج:

-465-

قال أبو الحسن المدائني : قدم خالد بن عبد الله البصرة واليا من قِبل عبد الملك بن مروان، وجّهة من الكوفة، فعزل خالد المهلب عن قتال الأزارقة، وولّى أخاه عبد العزيز[3]،«فكتب عبد الملك إلى خالد:

إنّي عهدتُّ إليك أن تولّي المهلّب قتال الخوارج، فلمّا ملكتَ أمرك آثرت هواك على طاعتي، فعزلتَ المهلّب وولّيته الجباية، وولّيت أخاك عبد العزيز قتال الأزارقة، فقبّح الله هذا الرأي، أتبعثُ أخاك وهو رجل من أهل مكة، وتدع المهلّب وقد مارَسهم، وقد قال الأوّل: يا عَجَبًا ظأن يَظْأن الرَّحَضَ[4]، ولَعَمري لو عاقبتُك على قدر جُرمك لأتاك ما لا بقيّه بعده، ولكنّي ذكرتُ الرّحم، فحجزَني ذلك، فجعلتُ عقوبتك عزلك»[5].

---

[1] _ محمد علي علي : التّعبئة العسكرية، ص 22.

[2] _ فلهوزن: أحزاب المعارضة، ص 59.

[3] _ هو عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص، ولي مكة لسليمان بن عبد الملك، وقيل وليها أيضا لعبد الملك، كان جودا ممدّحا، حج بالناس سنة 98 هـ وعزله يزيد بن عبد الملك سنة 103. ابن عساكر: المصدر السابق، ج36، ص292-298.

[4] _ الرحض والمرحضة.شيء يُتوضأ فيه مثل كنيف. لسان العرب، مج3، ص1608، مادة رحض.

[5] _البلاذري : أنساب، ج7، ص419.

رواية أخرى لما سبق

-أ-465

قال أبو العباس: بعد هزيمة عبد العزيز بن عبد الله في قتال الخوارج كتب خالد إلى عبد الملك بعُذر عبد العزيز، وقال للمهلّب: ما ترى عبد الملك صانعا بي؟ قال: يعزلك، قال أتُراه قاطعًا رحِمي، قال: نعم أتتْه هزيمة أميّة أخيك من البحرين، وتأتيه هزيمة أخيك عبد العزيز من فارس، قال أبو العباس: فكتب عبد الملك إلى خالد:

«أمّا بعد فإنّي كنت حَدَدتُّ لك حدّا في أمر المهلّب، فلما ملكتَ أمرك نبذتَ طاعتي، واستبددت برأيك، فولّيتَ المهلّب الجِباية، وولّيت أخاك حرب الأزارقة، فقبّح الله هذا رأيًا، أتبعثُ غلاما غرًّا[1] لم يجرّب الحروب وتترك سيّدا شجاعا مدبِّرا حازما، قد مارس الحروب تشغَله بالجباية، أما لو كافأتُك على قدْر ذنبك لأتاك من نكِيري مالا بقيّة لك معه، ولكن تذكرتُ رحِمك فلفتتني عنك، وقد جعلتُ عقوبتَك عزلك»[2].

فعزله وولّى بشر بن مروان وهو بالكوفة، وأوصاه بتوليه المهلب.

رواية أخرى لما سبق

-ب-465

أمّا أبو مخنف فقال: لما تولى خالد بن عبد الله البصرة أثبت المهلب على خراج الأهواز[3] ومعونتها، ونصب أخاه عبد العزيز إلى قتال الخوارج، فهُزم، فكتب خالد إلى عبد الملك:

«أمّا بعد فإنّي أخبر أمير المؤمنين أكرمه الله أني بعثت عبد العزيز بن عبد الله في طلب الخوارج، وأنّهم لقوه بفارس فاقتتلوا قتالا شديدا، فانهزم عبد العزيز لمّا انهزم عنه الناس، وأحببت أن أُعلم أمير المؤمنين ذلك ليأتيني رأيه وأمره أنزل عنده إن شاء الله والسلام عليك ورحمة الله، فكتب إليه:

أمّا بعد فقد قدِم رسولك في كتابك تُعلمني فيه بعثَك أخاك في قتال الخوارج، وبهزيمة من هُزم، وقتْلِ من قُتل، وسألتُ رسُولك عن مكان المهلّب فحدّثني أنّه عامل لك على الأهواز، فقبَّح

---

[1] _ الغر: هو الشّاب الذي لا تجربة له . لسان العرب، مج5، ص3235، مادة غرر.

[2] _ المبرّد: الكامل في اللغة والأدب، ج2، ص261، 262.أحمد زكي: المرجع السابق، ج2، ص134.

[3] _ الأهواز: جمع هوز وأصلها أحواز وأبدلت لكثرة الاستعمال، وكان اسمها أيام الفرس خوزستان، وهي سبع كور بين البصرة وفارس لكلّ كورة منها إسم، ويجمعها إسم أهواز، فُتحت أيام عتبة بن غزوان سنة 16، وتمتد من دجلة إلى نهر خوزستان. المقدسي: أحسن االتقاسيم، ص406، ابن خرداذبه: المسالك والممالك، ص42، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج1، ص284، 285.

الله رأيك حين تبعث أخاك أعرابيًّا من أهل مكة على القتال، وتدع المهلّب إلى جنبك يجبي الخراج وهو الميمون النّقيبة[1] الحسن السّياسية، البصير بالحرب، المُقاسي لها، ابنها وابن أبنائها ! أنظر أن تنهض بالنّاس حتى تستقبلهم بالأهواز ومن وراء الأهواز، وقد بعثتُ إلى بشر أن يمدّك بجيش من أهل الكوفة[2]، فإذا أنت لقِيت عدوّك، فلا تعمل فيهم برأي حتى تُحضر المهلّب، وتستشيره فيه إن شاء الله والسلام عليك ورحمة الله»[3].

هذه في مجملها روايات هذه الرّسالة من عبد الملك إلى خالد، والتّي قرر فيها عبد الملك وضع حد لتجاوزات خالد واستهانته بالرجال الأكفاء، لذلك وبّخه عبد الملك على سوء فعله بتوليته أخاه حرب الأزارقة مع علمه بجهل أخيه في الحروب، وتركه المهلّب، وهو ما هو، خبرة في الحروب ومقاساة لها، فخالف بذلك تعليمات عبد الملك مخالفة واضحة، ممّا أحفظ عبد الملك عليه فأمر بعزله [4].

والظّاهر أن خالد بن عبد الله أراد أن يولّي قرابته كضمان لعدم زوال نفوذه أو استبداله في الولاية، خاصّة وأنّ المهلب أظهر كفاءة وخدمة للدّولة، فقد يكون أجدَر من خالد بالولاية، إلّا أنّ الأمور جرت بخلاف ما اشتهى خالد، فحدث ما لم يكن في الحسبان وهو عزله ببشر بن مروان، وكان ذلك سنة 72هـ[5].

لقد ظهر في ميدان الإدارة في الدّولة الأمويّة بعض الولّاة الذين اصطبغت سيرتهم أو بعض جوانبها بمخالفة الخلفاء أو بشيء من الجور والظلم في سياستهم وتعاملهم مع الرعية والعمّال، وخاصّة في تلك الأقاليم التي عمد بعض خلفاء بني أمية فيها إلى تعيين ولاة عهد عنهم، مارسوا الشّدة والبطش طمعا في إخضاع تلك الأقاليم لسلطانهم[6]، لكن أحيانا تقع أعين الخلفاء على تقصيرهم وتجاوزاتهم فيدفعون ثمن ذلك بطريقة أو بأخرى.

---

(1) _ أي الأخلاق، ونقول حسن النقيبة أي جميل الخليقة. لسان العرب، مج6، ص4515، مادة نقب.

(2) _ انظر الرسالة الموالية.

(3) _ الطبري: المصدر السابق، ج6، ص171، ابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص117، 118، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج4، ص118، محمد ماهر: المرجع السابق، ص298، أحمد زكي: المرجع السابق، ج2، ص171.

(4) _ إبراهيم خليل: الخليفة عبد الملك، ص218.

(5) _ تاريخ خليفة، ص186.

(6) _ عبد الله بن عبد الرحمن: أثر العلماء، ص407.

- رسالة عبد الملك إلى أخيه بِشر يأمره أن يبعث المُهلّب لقتال الأزارقة:

-466 -

قال يونس بن إسحاق فيما يرويه عن أبيه: في سنة 74 هـ وجّه عبد الملك أخاه بشر بن مروان من الكوفة إلى البصرة واليا عليها، فلمّا صار بِشر إلى البصرة كتب عبد الملك إليه:

«أمّا بعد، فابعث المهلّب في أهل مِصره إلى الأزارقة، ولْيَنتخِب من أهل مِصره وجوهَهم وفرسانهم وأُولي الفضل والتّجرِبة منهم، فإنّه أَعرَف بهم، وخَلّه ورأيَه في الحرب، فإنّي أَوْثق شيء بتجربته ونصيحته للمسلمين، وابعث من أهل الكوفة بَعثا كثيفًا، وابعث عليهم رجُلًا معروفًا شريفًا[1]، حسيبًا صَليبًا يُعرف بالبأس والنّجدة والتّجرِبة للحرب، ثمّ انهض إليهم أهل[2] المِصرين فَليتبعُوهم أيَّ وجهٍ ما توجَّهُوا[3] حتّى يُبِيدهم الله ويستأصِلهم، والسّلام عليك»[4]

رواية أخرى لما سبق

-أ - 466

أمّا المبرّد فذكر رواية أخرى لما سبق قال: بعد عزل عبد الملك لخالد بن عبد الله وتولية أخيه بِشر البصرة كتب إلى بشر:

«أما بعد فإنّك أخو أمير المؤمنين يجمَعُك وإيّاه مروان بن الحكم، وإنّ خالدا لا مُجتَمَع له مع أمير المؤمنين دون أميّة، فانظُر المهلّب فوَلِّه حرب الأزارقة، فإنّه سيّدٌ بطلٌ مجرِّب، فأمدِده من أهل الكوفة بثمانية آلاف رجل»[5]

رواية أخرى لما سبق

-ب- 466

في حين قال البلاذري: لمّا عزل عبد الملك خالد بن عبد الله بن أُسيد جمَع لِبشر بن مروان الكوفة والبصرة، وكتب إليه:

---

[1] _ في تجارب الأمم "رجلًا معروفاحسيبا شريفا يُعرف بالبأس والنّجدة".

[2] _ في المنتظم "بأهل".

[3] _ في المنتظم "وجه توجّهوا " وهنا نهاية روايته.

[4] _ الطبري: المصدر السابق، ج6، ص 196، مسكويه: تجارب الأمم، ج2، ص 166، ابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص 143، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج4، ص 132.

[5] _ الكامل في اللغة، ج2، ص 262، أحمد زكي: المرجع السابق، ج2، ص 134.

«إنّك أخو أمير المؤمنين يجمعُك وإيّاه مروان، وإنّ خالدًا يجمعُني وإيّاه أُميّة، فانظُر لنفسك وانظر المهلّب فإنّه حازِمٌ صارم فوجِّههُ إلى هذه المارِقة، وأمِدَّه من أهل الكوفة بثمانية آلاف» [1].

رواية أخرى لما سبق

-ج- 466

أمّا ابن أعثم فروى ما سبق ببعض الاختلاف قال: ضمّ عبد الملك البصرة إلى أخيه بشر بن مروان فلمّا دخل واستقرّ بها، ورد عليه كتاب عبد الملك :

«أمّا بعد يا بِشر: فإنّ [كذا] **أخو أمير المؤمنين وشقيقُه، ومن زيَّنهُ زيَّنهُ وشيّنه شيّنه، فإنّ خالد بن عبد الله أمرتُه بأَمري فقدَّم أمْرَه وأخَّر أمري، وذلك أنّه عزل رجُلًا مثل المهلّب حجَر الإسلام وشَجا**[2] **العدوّ، واستعمل مَلكا لم يدْعُه إليه إلّا قُرب رحِمه واتّباع هواه، فإيّاك يا بِشر أن تعزل المهلّب عن حرب الأزارقة فأعزِلك كما عزلتُ خالدًا والسّلام»** [3]

هذه هي روايات رسالة عبد الملك لأخيه بِشر بشأن ولاية المهلّب والتي في نَظرنا يكمّل بعضها بعضًا باستثناء رواية ابن أعثم الّتي ذكرت تهديد عبد الملك لأخيه بالعزل إن خالف أمره.

- رسالة ثانية من عبد الملك إلى أخيه بِشر يعزِم عليه تولية المهلّب:

-467 -

ذكر المبرّد من بين جميع المصادر الّتي أوردت الرّسالة السّابقة من عبد الملك لبِشر بتولية المهلب أنّ عبد الملك لمّا كتب له بذلك تلقّاه المهلّب يدّعي المرض فهَمَّ بعزله، فنصحه أحد خواصِّه أن يُراجع عبد الملك ويُعلمه بمرض المهلب.

فكتب إليه يُعلمه عِلّة المهلّب، وإنّ بالبصرة من يُغْني غناءه، فلمّا وصلت رسل بِشر إلى عبد الملك، قال عبد الملك: ليست عِلّته بمانِعَته، أراد بشر أن يفعل فعل خالد:

«فكتب يَعزِم عليه أن يُولّي المهلّب»[4] فولّاه قتال الخوارج بالأهوار.

فهل حقيقة راجَع بِشر عبد الملك في أمره؟ ثمّ لماذا يدّعي المُهلّب المرض؟!

---

[1] _ أنساب الأشراف، ج7، ص 421، ابن كثير : البداية والنّهاية، ج9، ص 3.

[2] _ الشّجا ما اعترض حلق الإنسان، ومنه شجا العدو أي قاهِرهم. لسان العرب، مج4، ص 2203، مادة شجا.

[3] _ الفتوح، ج6، ص 365.

[4] _ المصدر السابق، ج2، ص 262.

وإن صحّت الرّواية فذلك يرجع إلى أنّ المهلّب كان يعرف ما يضمره بِشر له من الشرّ ففضّل التّخلي عن وظيفته ومهمّته، على أن يدخل في صِدام مع بِشر أو يعرّض حياته للخطَر.

والظّاهر من خلال الرّوايات أنّ انفعال عبد الملك لم يهدأ بما فعله خالد، وخشِي أن يفعل بِشر مثله فيُبعد المهلّب عن حرب الأزارقة، فكتب إليه ليولّي المهلّب قتالهم، وبدأ رسالته بإخبار بِشر بما يَعلَمه من نسَبه ونسب خالد، فألمح بذلك لواجب الفطنة والحكمة في أخذ الأمور، فمصلحة عبد الملك هي عَين مصلحة بِشر والخلافة فيهم، وما يُطلب من خالد في هذا المجال أقلّ ممّا يُطلب من بِشر، فخالد يعمل لغيره وبِشر يعمل لنفسه، والمصلحة في كلّ الأحوال تقتضي أن يتولّى المهلب قتال الخوارج لأنّه قادرٌ عليه مجرّب فيه ، واكتفى بالإيحاء والتّلميح في تحذيره من فعل خالد [1].

ويُفهم من النّصوص أنّ عبد الملك كان يُدرك أنّ حسم المعارك مع الخوارج خاصّة منهم الأزارقة ليس له إلّا المهلّب، وكان يثِق في مقدرته العسكريّة وخبرته الطّويلة في حربهم، لذلك رغب في تقوية جيشه ومساندته لإنجاز هذه المهمّة، فأطلق يد المهلّب في الرّجال والأموال[2]، فلمّا وصلت رسالة عبد الملك إلى بِشر دعا المهلّب فأقرأه الكتاب، وأمره أن ينتخب من شاء.

- رسالة عبد الملك إلى الحجّاج في قِتال الخوارج:

-468-

قال أبو علي القالي: « كتب الحجّاج إلى عبد الملك بن مروان يعظّم أمر قطري بن الفجاءة المازني، فكتب إليه عبد الملك:

[أمّا بعد فإنّي أحمد إليك السّيف و][3] أُوصيك بما أَوصى به البِكريُّ زيدًا» [4]

بهذا الكتاب الغامِض وجّه عبد الملك أمره إلى الحجّاج، فلم يفهم الحجّاج ما عَناه عبد الملك، وقال: من جاء بتفسير ما أوصى به البكري زيدًا فلهُ عشر آلاف درهم، فوَرد رجل يتَظلّم من بعض عمّاله، فقيل له: أتعلم ما أوصى به البِكري زيدًا؟ قال: نعم، قالوا: فأتِ الحجّاج به ولك عشرة آلاف درهم، فأتاه فأحضره، فقال أوصاه بِأن قال:

---

[1] _ إبراهيم خليل: الخليفة عبد الملك، ص 282، ضياء الدّين الرّيس: عبد الملك بن مروان، ص 234.

[2] _ عبد المنعم سلطان: آل المهلّب، ص 44.

[3] _ ما بين حاصرتين إضافة من مروج الذهب وفي الأمالي ناقصة.

[4] _ الأمالي، ج3، ص ،71، المسعودي: مروج الذهب، ج3، ص 120 ، أحمد زكي: جمهرة رسائل، ج2، ص 152.

أقولُ لزيدٍ لا تُبَربِر[1] فإنّهـــــــمْ يروْن المَنايا دُون قتلِهم أو قتــلي

فإن وضَعوا حَربًا فضعْها وإن أبَــوْا فشُبَّ وَقود الحرب بالحَطبِ الجَزْلِ[2]

وإنْ عضَّت الحرب الضَّرُوس بِنابها فعُرضة حدِّ السّيف مثلُك أو مِثلي

فقال الحجّاج صدَق أمير المؤمنين، وصدق البِكري، وبعث بذلك إلى المهلّب.[3]

لما تولّى الحجّاج على العراق كانت تنتظِره مهامّ ثقيلة، فكانت تلك الولاية يَغلي باطِنها، ولم يكن ذلك لمجرّد الصّراع حول الخلافة مع الشّيعة، والذي انتهى بقتل المختار، ولكنّها خلَقت في النّفوس نارًا متوقِّده ألهبتْ الخوارج فَتيلها[4]، فلزِم مُجابهة السّيف بالسيف.

إنّ حقيقة ولاية الحجّاج للعراق تُمثل مرحلة مهمّة جدًّا من تاريخه السّياسي والعسكري، لأنّها حِقبة تميّزت بتطوّرات مُتلاحقة لاسيما على صعيد التّنظيم العسكريّ، وتهيئة القوّات اللّازمة لمعالجة المشاكل الّتي رافقت هذه الحقبة من جهة وعلى رأسها الخوارج، ولتهيئة جيوشٍ قادرة على مَدِّ رُقعة الدّولة إلى المشرق، فقد كان العراق هو المركز الإداريّ المسؤول عن الحركات العسكرية في الجبهة الشّرقية في العصر الأمويّ.[5]

- رسالة عبد الملك إلى الحجّاج بأن يفوّض المهلّب فيما كُلِّف به:

-469-

وقال أبو الفرج الأصفهاني: كان الحجّاج يأمر المهلّب بقتال الأزارقة ثمّ يَستبطِئه ثمّ يُعجِّزه ويُضعِّفه في تأخير أمرهم – إحتقارًا له- فقال المهلّب لرسول الحجّاج: إنّما البلاء أنّ الأمر إلى من يَملكه لا إلى من يَعرفُه، فإن كنت نصَبتني لقتال هؤلاء القوم على أن أُدبّرها كما أرى فإن أمكَنتْني الفُرصة انتهزتُها، وإن لم تمكّني توقّفت، فأنا أُدبّر ذلك بما يُصلحه، وإن طلبتَ منّي أن أعمل وأنا حاضرٌ برأيك وأنت غائب، فإنْ كان صوابًا فلَك، وإن كان خطأً فعليَّ، فابعث من رأيتَ مكاني، فلمّا علِم عبد الملك بذلك كتب إلى الحجّاج:

---

[1] _ في الأمالي "لا تُترتر"، وتبرير من البربرة وهو كثرة الكلام والجلبة باللّسان، وقيل الصِّياح والكلام من غضب. لسان العرب، مج1، ص 254، مادة برر.

[2] _الجزل: هو الحطب اليابس، وقيل الغليظ، وقيل ما عَظُم ويبس منه. لسان العرب، مج1، ص 618، مادة جزل.

[3] _ المسعودي : مروج الذهب، ج3، ص 120، أبوعلى القالي: الأمالي، ج3، ص 71.

[4] _ فلهوزن : تاريخ الدّولة، ص 2018.

[5] _ عبد الواحد ذنون: مواقف ودراسات، ص 291.

«لا تُعارِض المهلَّب فيما يَراه ولا تُعجله، ودَعْه يدبِّر أمرَه» [1] .

لقد أعطى عبد الملك للمهلّب صلاحيّات واسعة، وطلب من الحجّاج عدم التّدخّل في أمره، لِما علِمه من حِذقه في الحرب وبسالته، ونظرا لاختلاف منهج المهلب عن منهج الحجّاج في حرب الخوارج فمنهج الحجّاج قائم على السّرعة والقوّة ومنهج المهلب قائم على الأناة وأسلوب النّفس الطّويل والتدبير المفضي إلى النّصر[2]، وزيادةً على ذلك كتب إلى الحجّاج بأن يترك الخراج بيد المهلّب.[3]

لقد أدرك عبد الملك خطورة أن يكبِح إمكانيات المهلّب أو أن يحرِمه أموال فارس، وتأثير هذا على صُمود عسكره في مواجهة الأزارقة، ورغم استجابة الحجّاج لأوامر الخليفة إلّا أن مَشاعره بدأت تتغيّر تجاه المهلّب، وتحرّكت عوامل العصبيّة القبليّة في نفسه، وكان يتمنّى لو تولّى أمر الخراج والجهاد رجلٌ من القيسيّة يحُوز المنصب بماله وثروته، ويحوز احترام الخليفة وتقديرَه.[4]

وقد أثبتت الحوادث والأيّام أنّ المهلّب كان أكثر خِبرة ومعرفة بالخوارج، إذ كتب إليه الحجّاج يستبطئه في حرب الأزارقة، فكتب إليه المهلّب: ما أنتظر بالقوم إلّا إحدى ثلاث: إمّا موتٌ شامل أو جوعٌ قاتل أو فُرقة، فأمّا غير ذلك فلا سبيل إليه.[5]

ورغم جهوده وانتصاراته كان مَوضِع حَسَد من جانب عناصر استبَدّ بها التّعصّب القبلي، وساءها أن يُسيطر الأزد على مُجريات الحرب ضدّ الأزارقة ويحُوزوا شرف النّصر، في الوقت الّذي فشل فيه غيرهم من المضريّة أن يحُلّوا محلّهم وكانت الخلافة الأمويّة تُدرك – كما أسلفنا- أنّه لا يستطيع التّصدّي للأزارقة إلّا المَهالبة،ورغم مضايقات الحجّاج والإستفزاز ظلّ المهلب يُداريه حتّى تمكّن في النّهاية من تحقيق النّصر على الأزارقة،وكانت ولاية خراسان هي الجائزة الّتي حصل عليها المهلّب لجُهوده في القضاء على خطر الأزارقة.[6]

-رسالة عبد الملك إلى الحجاج حين ذمّ آل المهلب:

-470 -

كان لآل المهلّب دور كبير في محاربة الخوارج، والتّصدّي لحملاتهم الشّرسة، فأعطاهم عبد الملك

---

[1] _ الأغاني، ج10، ص 4938 ، محمّد ماهر: الوثائق، ص 367، أحمد زكي: المرجع السابق، ج2، ص 152.

[2] _ فاروق عمر فوزي: تاريخ العراق، ص41 .

[3] _ انظر الفصل الأول من الباب الخامس رسالة رقم 367 .

[4] _ عبد المنعم سلطان : آل المهلّب، ص 54.

[5] _ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج61، ص 291، ابن منظور: مختصر، ج26، ص 39.

[6] _ عبد المنعم سلطان: المرجع السابق، ص 7، 8.

صلاحيات واسعة، ورفع يد الحجّاج عن يزيد بن المهلّب، لما علمه عنه من حذقه في الحرب وبسالته، قال المفضّل بن علي: «كتب الحجاج إلى عبد الملك يذمّ يزيد وآل المهلب بالزبيرية[1]، فكتب إليه عبد الملك:

إنّي لا أرى نقصا بآل المهلب طاعتهم لآل الزبير، بل أراه وفاءً منهم لهم، وإنّ وفاءهم لهم يدعوهم إلى الوفاء لي» [2].

يظهر من خلال هذه الرّسالة فراسة عبد الملك ومعرفته بالرّجال ومنازلهم، لذا أعطى لآل المهلب المكانة التي تليق بهم، صحيح أنهم كانوا مع ابن الزبير وهذا لم ينكره عبد الملك، لكن لم ينس أيضا في المقابل صفة الوفاء للقائد التي كانت متجذّرة فيهم، فشفعت لهم هذه الخلّة عند أمير المؤمنين، وبلّغها الحجاج ليعرف كيف يستغلها لصالح خدمة الدولة، فكان ما كان من بطولاتهم وإنجازاتهم في محاربة الخوارج وما ساهمو به في الفتوح[3].

- رسالة عبد الملك إلى الحجّاج ليطلب صالح بن مُسرح وشَبيب:

-471 -

حجّ عبد الملك بن مروان سنة 75هـ فهمّ صالح بن مُسرح وشَبيب بن يزيد بالفَتك به، فبلغ ذلك عبد الملك، «فكتب إلى الحجّاج بعد انصرافه **يأمُره بطَلبِهم**» [4]

وكان صالح يأتي الكوفة فيُقيم بها الشّهرين ونحوه، فيَلقى أصحابه ليعِدهم، فضاقت بصالح الكوفة لما طلَبه الحجّاج فترَكها.[5]

- رسالة عبد الملك إلى الحجّاج في تجهيز محمّد بن موسى إلى سجستان:

-472 -

قال أبو بكر بن عيّاش: بعث عبد الملك بن مروان محمّد بن موسى بن طلحة[1] على سجستان سنة

---

(1) _ أي من أتباع ابن الزبير والموالين له.

(2) _ تاريخ الطبري، الرّواية الأولى، ج6،ص 395، الرواية الثّانية ، ص397 ، عن أبي المخارق الرّاسبي، مسكويه : تجارب الأمم، ج2، ص246 ، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج4، ص227 ، محمد ماهر: الوثائق، ص357، أحمد زكي: جمهرة رسائل، ج2، ص205.

(3) _ أنظر الفصل الثاني من الباب االرابع عند الحديث عن فتوح المشرق.

(4) _ الطبري: المصدر السّابق، ج6، ص 215، ابن كثير: البداية والنّهاية، ج9، ص 10.

(5) _ الطبري: المصدر السابق، ج6، ص 215.

(1) _ سبقت ترجمته في الرّسالة رقم 271.

76هـ [1]، و«كتب إلى الحجّاج:

أمَّا بعد فإذا قدِم عليك محمّد بن موسى، فجهِّز معه ألفَيْ رجُل إلى سجستان وعجِّل سراحه، وأمر عبد الملك محمّد بن موسى بمُكاتبه الحجّاج» [2]، إلّا أنّ الحجّاج وجّهه لقتال شبيب بالجزيرة قبل توجيهه إلى سجستان[3].

- رسالة عبد الملك إلى الحجّاج ليَسير بنفسه لقتال شبيب:

-473 -

وقال ابن أعثم: خرج رجل من بني شَيبان يُقال له شبيب بن يزيد – وكان يرى رأي الشُّراة– فأرسل إليه الحجّاج، ولكنّ شبيبًا قتل الرّسول، فبلغ ذلك عبد الملك، «فضاقت عليه الأرض بما رَحُبت، **ثمَّ كتب إلى الحجّاج يأمُره أن يَخرج إليه بنفسه**» [4].

لقد تولّى شبيب قيادة الخوارج بعد قتل صالح بن مُسرح على يد محمّد بن مروان بالجزيرة، فأظهر شَبيب بَسالة في القتال وقُدرة، وألحق بجيش الحجّاج هزائم في العديد من الوقائع[5]، ولعلّ هذا ما دفع عبد الملك إلى الكتابة للحجّاج بأن يسير إليه بنفسه، خوفًا من أن يستفحل أمر شبيب، فتضيع جهود سنوات طويلة سُدى، فكان الظّفر في النّهاية للحجّاج، وغرق شبيب في نهر دجيل بالأهواز [6].

لقد شكّل شبيب خطرًا حقيقيًّا على العراق بأكلمه، وكان الحجّاج مُحافظًا في تفكيره عند حربه له ، لأنّه لم يتبنّ إستراتيجية جديدة تُقابل تكتيك حرب العِصابات الذي تبنّاه شبيب ، بل أرسل جيشا كبيرًا لهذه المهمة ولمحاربة تلك العصابات [7]، فتمكّن شبيب من تحدّي الحجّاج في عُقر داره، وجعله يُدرك عجزه الحقيقي في مواجهته والتّصدّي له، فالخطر يُحيط به من كلّ جانب ويُداهمه، وقد عَجزت الجيوش المُتتالية عن تحقيق النّصر، ولم يجد الحجّاج سِوى أن يضع الخليفة ضِمن الإطار الحقيقي للأحداث، ويطلب منه

---

[1] _ قال خليفة بن خياط: "وفي سنة ستّ وسبعين عزل عبد الملك عبد الله بن أميّة ووجّه موسى بن طلحة بن عبيد الله وذلك لقِتال شبيب الخارجي". ص 172.

[2] _ الطّبري: المصدر السابق، ج6، ص 242.

[3] _ المصدر نفسه، ص 242.

[4] _ الفتوح، ج7، ص 58.

[5] _ انظر تاريخ خليفة، ص 172.

[6] _ المصدر نفسه، ص 173.

[7] _ جاسم صبكان : المرجع السابق، ص 143.

النّجدة والمساعدة، فاستغاث بالخليفة بعد أن ضاقت عليه السُّبل، وهنا تَبرز قُدرة الخليفة في التّصدّي للأحداث الخطيرة التي تُواجهها الدّولة، فكان المدد.[1]

- رسالة عبد الملك إلى الحجّاج بقتل أَسْلم بن عبد البِكري:

-474 -

قال ابن عيّاش:كان أسلم بن عبد البكري يرى رأي الخوارج، فكتب عبد الملك بن مروان إلى الحجّاج بن يوسف:

«إذا ورَد عليك كتابي هذا فابعثْ[2] إليَّ برأس أَسْلم بن عبد البِكري، لِمَا قد بلَغني عنه»[3].

فلمّا ورد الكتاب على الحجّاج أحضر أسلم ليُعاقبه، ثمّ عفا عنه لما علِم أنّه يُعيل أربعة وعشرين امرأة، وكتب بأمره إلى عبد الملك، فعفا عنه.[4]

- رسالة عبد الملك إلى الحجّاج رَدّا على رسالته بشأن ابن الجارُود وأتباعه من العراق:

-475 -

خرج عبد الله بن الجارود[5] على الحجّاج سنة 75 هـ بالبصرة وسبب ذلك أن الحجاج لما ندب الناس إلى اللحاق بالمهلب رفع عنهم الزيادة التي زادهم ابن الزبير في أعطياتكم وقال: هي زيادة فاسق منافق ولست أجيزها، فقام إليه عبدالله بن الجارود العبدي فقال: إنها ليست بزيادة فاسق منافق ولكنها زيادة أمير المؤمنين عبدالملك قد أثبتها لنا فكذبه وتوعده، فخرج ابن الجارود على الحجاج وتابعه وجوه الناس فاقتتلوا قتالا شديدا فقتل ابن الجارود وجماعة من أصحابه وبعث برأسه ورؤوس عشرة من أصحابه إلى المهلب [1].

[رسالة الحجّاج] قال البلاذري: «كتب الحجّاج إلى عبد الملك بعد التّخلّص من ابن الجارود:

---

[1] _ شحاذة النّاطور : تجديد، الدّولة، ص 103.

[2] _ بداية رواية ابن كثير "أن ابعث..."

[3] _ ابن عساكر: المصدر السابق، ج12، ص 145، ابن منظور: مختصر، ج6، ص 210، ابن كثير: المصدر السابق، ج9، ص 104.

[4] _ ابن عساكر: المصدر السابق، ج12، ص 145، ابن الأثير: الكامل، ج4، ص 284 ، ابن كثير: المصدر السابق، ج9، ص 104.

[5] _ سبقت ترجمته في الرّسالة رقم 121.

[1] _ تاريخ الطّبري، ج6، ص211.

«أمّا بعد فالحمد لله الذي حفظ أمير المؤمنين وإنّي لما نزلتُ منزلي من رُستَقَابَاذ[1] وثَب عليّ أهل العراق فخالفُوني ونَابذُوني، ودُخل فُسطاطي، وانتُهبت أموالي، وقالوا: أخرج من بلادنا إلى من بعثَك إلينا، ففارَقَني البعيد وأسلَمني القريب، ويئِس منّي الشّفيق، فشددتُ عليهم بِسيفي، ولقيتهم بشيعتي، وقلتُ الموت قبل البَراج فوالله مارُمتُ العرَصَة[2] حتّى جعل الله لأمير المؤمنين منهم أنصارًا، فضربتُ بمُقبلهم مدبرهم، وبمطيعهم عاصِيهم، فقتل الله عزّ وجلّ طاغية القوم عدوّ الله ابن الجارود، وثمانية عشر من رؤوسهم، وضرب الله عزّ وجلّ وجوههم فأخذوا شرقًا وغربًا، ثمّ إنّي آمنتُ النّاس غائِبَهم وشاهدهم، فتراجعوا واجتمعوا، وألحقتُ النّاس بأمصارهم، ولله الحمد كثيرًا والسّلام.

[ردّ عبد الملك] فكتب إليه عبد الملك:

أمَّا بعد فقد بلَغني كتابُك وأنت النّاصح النّجيب الأمينُ بالغَيب القليل العَيب، فإذا رَابَكَ من أهل العراق رَيبٌ فاقتُل أدناهم يرعُب منك أقصاهم والسّلام»[3]

بهذه العبارات رسَم عبد الملك للحجّاج خُطة واضحة المعالم في التّعامل مع أهل العراق الذّين كانوا أسهل النّاس خروجًا عليه، يسمعون كلام كلّ ناعق، ويمشُون مع كل تيّارٍ متمرّد، لذا على الحجّاج أن يبقى في نفير دائم، مستيقظًا حرِصًا، ويُبقي السّيوف مسلولة.

إنّ الحرب هي استمرار بسيط للسّياسة بوسائل أخرى، فعندما تبلُغ السّياسة مرحلة معيّنة من التّطوّر لا يمكن تجاوُزها بالوسائل العادية، تنشب حربٌ لرفع العقَبات القائمة، وطالما لم تُرفع العقبة تمامًا، ينبغي مواصلة الحرب لإيصالها إلى نهايتها، وجماهير السّكان الواسعة لا تقبل بإيقاف الحرب حتّى تُنجز هدفها السّياسي التّام، "ولهذا يمكن القول: إن السّياسة حرب بدُون إراقة دماء، وإنّ الحرب سياسة بإراقة دماء"[4].

---

[1] _ رستقاباذ: مدينة بفارس ناحية كرمان من أرض دستوا. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص 43.

[2] _ العَرصة موضع بالمدينة، ومن أفضل بقاعها، وأكرم أصقاعها، وتسمّى عرصة العقيق، سميت بذلك لاعتراص الصبيان فيها، أي لعبهم. المصدر نفسه، ج4، ص 101.

[3] _ أنساب الأشراف، ج7، ص 292 .

[4] _ أحمد علي علي : التّعبئة العسكرية، ص 20.

- رسالة الوليد إلى عثمان بن حَيّان للإمساك بأحد الخوارج:

-476 -

عن أبي الحسن علي بن محمّد قال: «طَلب الحجّاج أبا بيهس الهيصَم بن جابر[1] – أحد الخوارج- فهرب إلى المدينة فطوَّل شعره، ولعِب بالحمام، واختضب[2] فلم يعرفه بها أحد، وطلَبه الحجّاج وسأل عنه فأعياه وجرّده، وبلغ الوليد بن عبد الملك أنّه بالمدينة، **فكتب إلى عثمان بن حيّان المُرّي فيه ووَصف له صِفته وحُلَاه**[3].

فقرأ عثمان الكتاب على النّاس، والهيصم بن جابر جالس، فنظر إليه رجل إلى جنبه، فقال:إنّك لَصاحب الصّفة، وما أنا بمُخلّيك، قال: إنّك إن فعَلتَ أُثمت واقترفتَ ذنبًا عظيمًا، فأخذه وأتى به عثمان، فأقرّ أنّه الهيصم، فأعجبه ما أرى منه فحبسه، وكتب إلى الوليد بأخذِه إيّاه» [4]

- جواب الوليد إلى عثمان بمعاقبة الهيصم بن جابر:

-477 -

كتب عثمان بن حيّان إلى الوليد بأخذه أبا بيهس الهيصم بن جابر، «وكان عثمان بن حيّان يُرسل إليه في كلّ ليلة فيُسامره ويحدِّثه، وكان مُعجبًا به، فأتاه كتاب الوليد:

أن اقْطع يدَيه ورِجليه واقتله ، فقال له عثمان: اعهد عَهدك، فقد كتب أمير المؤمنين يأمر بقتلك، فقال أجمعًا أم متفرّقا؟ قال: متفرّقًا، فأوصى بِبُنيّة إليه بالمدينة تُرَدّ إلى أهله، وأنفذ فيه أمر الوليد».[1]

---

[1] _ الهيصم بن جابر: هو أبو بيهس هيصم بن جابر الضّبعي، من بني سعد بن ضبعة رأس الفرقة البيهسيّة من الخوارج، كان فقيها مُتملّكًا من الأزارقة، فكفّر بيهس نافع بن الأزرق، وخرج في أيّام الوليد، طلبه الحجّاج فهرب إلى المدينة، فظفر به واليها عثمان بن حيان فاعتقله، فأمر الوليد بصلبه وقتله سنة 94هـ . البلاذري: أنساب، ج8، ص 97، الزركلي: الأعلام، ج8، ص 105.

[2] _ اختضب: غيّر لونه بحُمرة أو صفرة أو حنّاء أو غيرها، وكل ما غُيّر لونه فهو مخضوب وخضيب ومختضّب. لسان العرب، مج2، ص 1179، مادة خضب، ، مرتضى الزّبيدي: تاج العروس، ج2، ص 366، مادة خضب.

[3] _من حلل الرّجل أي متاعه والحلّة الثّوب واللّباس. لسان العرب، مج2، ص 978، مادة حلل.

[4] _البلاذري : أنساب الأشراف، ج8، ص 97.

[1] _ المصدر نفسه، ص 97، 98.

الفصل الثّالث:

رسائلهم الخاصّة بسياستهم تُجاه المُمتنعين عن البيعة والمُعارضين من غير الشّيعة والخوارج

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أوّلا- الـرّسائل الخاصّة بِوقعة الحُرّة ومنهجهم في التّعامل مع شخصيّاتٍ معارِضة لحُكمهم:

أ- الرّسائل الخاصّة بتعامل يزيد مع أهل المدينة ووقعة الحرة:

-رسالة يزيد إلى أهل المدينة لمّا خَلَعوه قبل وقعة الحرّة:

-478 -

لـمّا رجع وفد المدينة من عند يزيد[1]، وسمِعوا بمقتل الحسين، أغاضهم ذلك فهاجوا وأشاعوا عليه شرب الخمر وترك الصّلاة والمُجون، وتعدّي حكم الكتاب[2]، وأعلنُوا التمرّد وطردوا بني أميّة من المدينة، فكتب مروان إلى يزيد بالذّي كان من رَأي القَوم وكان ذلك سنة 63 هـ[3].

قال الوليد بن هشام[4]: لما بلغ يزيد خَلع أهل المدينة له وتوليتهم ابن الغِسّيل[5]، بعث يزيد إلى النّعمان بن بشير فقال له: إنّ عدد النّاس بالمدينة الأنصار، وهم قومك، فأتِهم فافْثَأهم[6] عمّا يُريدون، فصار النّعمان إلى قومه فاستنهاهم من أنفسهم، وحذّرهم جنود أهل الشّام، وكان مع النّعمان كتاب يزيد إلى أهل المدينة نُسخته:

«من عبد الله يزيد أمير المؤمنين إلى أهل المدينة، أمّا بعد: فقد أنظَرتكم حتّى لا نَظِرة، ورفقتُ بكم حتى عُجِّزتُ عِندكم، وحملتُكم على رأسي ثمّ على عَيني ثمّ على فمي، ثمّ على صدري، وأيمُ الله لئِن وضعتُكم تحت قدمي لأَطَأنّكم وطأةً أُقِلُّ منها عَددكم و أجعلُكم بها أحاديث تُؤثر مع أحاديث عاد وثمود، وتمثّل بهذين البيتين:

أظنُّ الحِلم دلَّ عليَّ قومـي ... وقـد يُستجهل الرّجلُ الحـليمُ

ومارستُ الرِّجال ومارسُوني ... فمُعوجٌّ عليَّ ومُستقيـــــم[7]

---

[1] _سبق التّفصيل في هذا في التمهيد.

[2] _ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، ج28، ص27، 28.

[3] _ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج58، ص104، البداية والنّهاية، ج8، ص185، 186.

[4] _كذا في الأخبار الموفّقيات وفي أنساب الأشراف عن أبي مخنف .

[5] _هو عبد الله بن حنظلة، وقد سبقت ترجمته في التمهيد.

[6] _فَثأ قومه أي كسر غضبهم وسكنّهم. لسان العرب، مج5، ص3348، مادة فثأ.

[7] _نهاية رواية البلاذري .

ولـكنّي أُلاقِي مُنكـــــراتٍ فأُنكِرُ وما أنا بالظَّلُـــــــــوم

والله ما أدري[1] يأتيني بعد كتابي هذا إلاّ خَلْعكم، ولا يأتِيكم مِنّي إلاّ نِقمتكم، فإذا شِئتم فلا أفلَح من ندِم»[2].

فأخرج أهل المدينة من كان من بني أميّة بالمدينة وهتَفوا بِخلع يزيد[3].

رواية أخرى لما سبق

-أ-478

وقال أبو حيّان التوحيدي :كتب يزيد بن معاوية إلى أهل المدينة:

« أما بعد يا أهل المدينة، فوالله لقد رفقت بكم حتى أخرقتكم، ولبستكم حتى أخلقتكم، والله لأبو سفيان أحلم من حرب، ولَمعاوية أحلم من أبي سفيان، وليزيد أحلم من معاوية، ثم أنشد:

إذا ما حَلِمْنا كان آخر حِلْمنا زيادة باعٍ عن يــد المتطاولِ

وقد كتب إليكم أمير المؤمنين كتاباً فاسمعوه: بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله يزيد أمير المؤمنين: سلام عليكم، أما بعد يا أهل المدينة، فوالله لقد حملتكم على رأسي ثمّ على عيني ثم على أنفي ثم على نحري ، ووالله لئن جعلتكم تحت قدمي لأطأنّكم وطأة المُتثاقل، ولأُشرّدنكم عن أوطانكم، ولأترُكنّكم أحاديث وأياديَ سبأ، تنسخ فيها كتبكم ككتب عاد وثمود، ثم أنشد:

أظنُّ الحلم دل عليّ قومي وقد يُستجهل الرجل الحليم

ومارست الرّجال ومارسوني فمُعوجٌّ عــــلي ومستقيـــــم»[4].

رواية أخرى لما سبق

-ب-478

وقال العُتبي[5]: كتب عثمان بن محمّد إلى يزيد بن معاوية بما أجمع عليه أهل المدينة من الخلاف،

---

[1] _في هامش المحقّق: "في الأصل: ما أدنى".

[2] _ الزبير بن بكّار: الأخبار الموفّقيات، ص172، البلاذري : أنساب، ج5، ص339.

[3] _البلاذري : أنساب، ج5، ص339.

[4] _ البصائر والذّخائر ، ج9 ، ص122 ، 123 .

[5] _رواية العقد لا سند لها.

فكتب إليهم يزيد بن معاوية:

«**[بسم الله الرّحمان الرّحيم]** [1]**، أمّا بعد،** ﴿إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[2]، ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ مِنْ وَّالٍ﴾[3] **[و]**[4] **إنّي والله قد لبَستكم فأخلقتُكم**[5] **ورقعتُ بكم فاخْترقتُكم ثمّ وضعتُكم**[6] **على رأسي ثمّ على عيني ثمّ على فمِي ثمّ على بَطني، وأيمُ الله** [7]**لئِن وضعتُكم تحت قدمي لأَطأنّكم وطأة أُقِلُّ بها عددكم، وأترككم أحاديث تُنسخ بها أخباركم مع أخبار عادٍ وثمود**[8] ثمّ تمثّل:

لعلّ الحِلم دلّ عليَّ قومي وقد يُستضعَف الرّجلُ الحليم

ومارستُ الرِّجال ومارسُوني فمُعوجٌّ عليَّ ومستقيـــــــم»[9].

رواية أخرى لما سبق

-ج-478

ويذكر ابن قتيبة رواية أخرى باختلاف عمّا سبق قال: كتب يزيد إلى أهل المدينة:

«**بسم الله الرّحمان الرّحيم، أما بعد، فإنّي قد نَفَستكم**[10] **حتّى أخلَقتُكم، ورفعتُكم حتّى أخرُقتكم، ورفعتكم على رأسي، ثمّ وضعتكم، وأيمُ الله لئن آثرتُ أن أضعكُم تحت قدمي لَأَطأنّكم وطأةً أقِلُّ منها عددكم، وأترككم أحاديث تناسخ كأحاديث عادٍ وثمود، وأيمُ الله لا يَأتيكم منّي أَوْلى من عُقوبتي فلا أفلح من نَدِم»**[11].

---

[1] _إضافة من العقد، وفي عيون الأخبار ناقصة.

[2] _ سورة الأنفال الآية 58.

[3] _ سورة الرعد الآية 11.

[4] _في عيون الأخبار ناقصة.

[5] _أخلقتكم أي قدّرتكم، والخلاق الحظّ والنّصيب من الخير والصّلاح، لسان العرب، مج2، ص4364، مادة خلق.

[6] _في العقد وصبح الأعشى"ورفعتكم".

[7] _في العقد" والله".

[8] _نهاية رواية العقد وصبح الأعشى.

[9] _ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج1، ص300، 301، ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج5، ص137، القلقشندي: صبح الأعشى، ج6، ص390، 391، مآثر الأناقة في معالم الخلافة ، ج1 ، ص 463، أحمد زكي: جمهرة رسائل، ج2، ص86.

[10] _أي عظّمتكم وأكبرتكم والنّفس أيضا السّعة. لسان العرب، مج6، ص4501، 4502، مادة نفس.

[11] _الإمامة والسّياسة ، ج1، ص177 .

تلك هي روايات الرّسالة التّي بعث بها يزيد إلى أهل الدينة، قبل أن يبعث إليهم جيشه مع مسلم بن عقبة المرّي، محاولة منه إحتواء الموقف قبل الوصول إلى الإنفجار الأكبر، يقينًا منه أنّ توجيهه جيشه نحو المدينة ستكون له مضاعفات خطيرة، ولكنّ المحاولة باءت بالفشل، لأنّ الأمور كانت بَلغت ذِروة عدم الإتّفاق والثّقة بين الحكم والمعارضة المدينيّة، فلذلك عوّل يزيد على مهمّة جيشه، فإمّا أن ينجح في إطلاق عمليّة ضبط الموقف، أو الإنهيار المتلاحق خاصّة وأن مأساة الحُسين ليست ببعيدة[1].

كما أنّ وفد المدينة قد أشاع على يزيد شرب الخمر وترك الصّلاة والمُجون، ومخالفة الكتاب، فأعلن أهلها التمرّد وأخرجوا بني أميّة من المدينة، والسّؤال الذي يُطرح هنا، إذا كانت هذه خِصال يزيد فلماذا سكت أهل الحجاز عامّة وأهل المدينة خاصّة عن يزيد؟ ولماذا لم يُعلنوا الثورة عن يزيد منذ البداية؟ ومن ناحية أخرى: كيف عرَف هؤلاء أن يزيد صاحب شراب؟ ولماذا لم يذكر ذلك الحسين ويتّخذه ذريعة للخروج على يزيد؟[2].

ولكنّ الحقيقة اعترف بها محمّد بن الحنيفة لمَّا جاءه ابنُ مطيع[3] يُخبره بخلع يزيد – للأسباب الآنفة– فقد قال لهم: «ما رأيتُ منه ما تذكُرون وقد حضَرته وأقمتُ عنده، فرأيته مُواضبًا على الصّلاة مُتحرِّيا للخمر، يسأل عن الفِقه مُلازمًا للسّنة، قالوا: فإنّ ذلك كان منه تصنُّعًا لك، قال: وما الذّي يخاف مِنّي، أَفَأطلَعكم على ماتذكرون من شُرب الخمر؟ فلَئِن كان أطلَعكم على ذلك إنّكم لشُركاؤه، وإن لم يكن أطلَعكم فما يحِلّ لكم أن تشهدوا بما لم تعلموا»[4].

قد نتّفق جدلاً على أنّ يزيد لم يكن أهلاً للخلافة من النّاحية السّياسية، ولكنّ المبرّرات الدّينية لم تكن على ألسنة زعماء الحركة سوى سِتارًا لِما وراءها، أمّا الباعث الحقيقيّ لهم على الثورة فكان هو شَهوة المجد والسّيادة، وهم لم يكونوا يريدون خلع يزيد لأنّه كان يشرب الخمر ويلهُو، بل لأنّهم كانوا يأملون أن يعيدو للمدينة مكانتها وقيادتها على يد رجل قرشي، ولذلك كان عند أهل الشّام من الأسباب ما يُبرّر لهم أن يرَوا في مسألة الحقّ الشّرعي التي يُثيرها خصومهم تمويهًا ونفاقًا يستُر وراءه مسألة التطلّع إلى السّلطان[5].

---

(1) _زهير هواري : السّلطة والمعارضة، ص293.

(2) _محمّد خريسات: الدّولة الأموية، ص148.

(3) _سبقت ترجمته في التمهيد.

(4) _ابن منظور : مختصر، ج28، ص28.

(5) _فلهوزن : تاريخ الدّولة، ص161، 162.

-رسالة يزيد إلى أهل المدينة مع مُسلم بن عُقبة المرّي:

-479 -

قال أبو الحسن المدائني:أرسل يزيد جيشا إلى أهل المدينة بقيادة مسلم بن عقبة المرّي[1]، فالتقى بني أميّة ومعهم مروان وعبد الملك، فقال مسلم: «أخبِرني خبَر النّاس وكيف ترى؟

فقال له- عبد الملك-: أرى أن تسير بمن معك حتى تأتِيهم من قِبَل الحرّة[2].

ففعل، وقال: يا أهل المدينة، **إنَّ أمير المُؤمنين يزيد يزعُم أنّكم الأصلُ ويقول: إنّي أكرَه إراقة دِمائكم**، وإنّي أؤجّلكم ثلاثًا فمن راجَع الحقّ أمنته، ورجعتُ عنكم وسِرتُ إلى هذا المُلحد الذي بمكّة[3]، وإن أبَيتم فقد أعذرنا إليكم. فلمّا مضت الأيّام الثلاثة قال: يا أهل المدينة ما تصنعون؟ قالوا: نُحارب، فقال: لا تفعلوا وادخلوا في الطّاعة، فقالوا: لا نفعل»[4] فقاتلهم.

لقد سعى يزيد في آخر محاولة مع مسلم بن عقبة المرّي أن يُثني أهل المدينة عن عصيانهم، ويعيدهم إلى رحاب الطّاعة والولاء، إلاّ أنهم استمّروا في عنادهم وخرُوجهم، فحاربهم مسلم بن عقبة، وأباح المدينة ثلاثًا، واستعرض أهلها بالسّيف، وقتل أبناء المهاجرين والأنصار، وأخذ البيعة ليزيد بن معاوية كلّ واحد يُبايِع على أنه عبدٌ لأمير المؤمنين يزيد[5]، إلاّ أنّ هذا التطرّف والغلوّ من مسلم بن عقبة لا مبرّر له بأيّ حالٍ من الأحوال وإنّ الإنسان ليتحسّر على هذا التّهوّر من كلا الجانبين خاصّة من جانب السّلطة الأمويّة التّي لم تُراعِ حرمة المدينة وحُرمة دماء أهلها، فكان الأولى أن يُضرب عليها الحصار حتى تسقط دون مقاومة[6].

لقد احترق يزيد بنار الأخطاء الفادحة التّي ارتكبها خلال مدّة وجيزة من الزّمن، فلعلّه أراد بوحيٍ من قناعاته، أو بتأثيرٍ من مستشاريه الضّرب بقوة لمن عارض حكمه ، وذلك حتّى يحمل الجميع على الطّاعة والسّكينة، هذه السّياسة المقترِنة بالتّحدّي، أوقعت بالخليفة في التطرّف الذي بلغ حدًّا لم تستسِغه

---

(1) _أوصى معاوية ابنه يزيد فقال له: "إنّ لك من أهل المدينة يومًا، فإن فعلوا فارمِهم بمسلم بن عقبة، فإنّه رجل قد عرفت نصيحته". تاريخ خليفة، ص148، تاريخ الطبري، ج5، ص405.

(2) _سبق التعريف بالحرة في التمهيد.

(3) _يقصد عبد الله بن الزّبير.

(4) _ابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص14.

(5) _ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة، ج3، ص190.

(6) _محمد الخضري : الدّولة الأمويّة، ص329.

الأسرة الأمويّة نفسها في ذلك الوقت[1].

ولَئِن كان يزيد مسؤولاً عن هذا، أفليس خُصومه أيضًا مسؤولين معه؟ فلئن وُصف يزيد بأنّه عاطفي في تصرّفه، فأهل المدينة أيضًا لم يكونوا مُتروّين في فعلهم، وجمحت عاطفتهم أيضا، فلقد رأيناهم ينتقضون بيعة يزيد بشكل عاطفيّ، ولو تروَّوا لرأوا أنّ فعلهم سيقود إلى فتنة كبيرة، وأنّ هناك طرقًا أخرى لإصلاح الحال، على أنّ وراء هذه العاطفة شيءٌ كان يحرّكها ويوجّهها وهو مصلحة تلك الأطراف، فالمصلحة هيّجت العواطف[2].

- ردّ يزيد على مسلم بن عقبة لمّا كتب إليه بما صَنع أهل المدينة:

-480 -

جاء في توقيعات يزيد بن معاوية: «وكتب إليه مسلم بن عقبة المُرّي بالذّي صنع أهل الحرّة، **فوقّع في أسفل كتابه:**﴿فَلَا تَاسَ عَلَى القَوْمِ الفَاسِقِينَ﴾ [3] »[4].

- رسالة يزيد إلى عامله بالمدينة لحبس عبد الله بن مطيع:

- 481 -

قال الصّفدي :« لمّا غلب ابن الزبير على مكّة كتب يزيد بن معاوية إلى عامله بالمدينة:

يأمره بحبس عبد الله بن مطيع، وخاف وثوبه فحبسه، فذهب فتيان بني عدي فأخرجوه من السجن عنوة»[5].

لقد خشي يزيد أن يصبح ابن مطيع ساعدا لابن الزّبير فيتحالفان ضدّه ، لذلك كتب بالذي كتب، وبالفعل فقد انضمّ ابن مطيع لعبد الله وأصبح واليا له على الكوفة[6].

---

[1] _ابراهيم بيضون : تاريخ بلاد الشّام، ص142.

[2] _يوسف العش : الدّولة الأمويّة، ص182، 183.

[3] _سورة المائدة الآية 26.

[4] _ابن عبد ربّه : العقد الفريد ، ج4، ص289 .

[5] _ الصّفدي : الوافي بالوفيات ، ج8 ، ص 215.

[6] _ ابن خلّكان : وفيات الأعيان ، ج3 ، ص71.

ب – الـرسائل الخاصة بمواجهة عبد الملك لتمرّد زفر بن الحارث:

-رسالة عبد الملك إلى إبّان بن عُقبة يوجّهه لقتال زُفر بن الحارث :

-482-

ما إن تولّى عبد الملك زِمام الخلافة حتّى بدأ مشروعه الدّاخلي في القضاء على المعارضة، وإعادة الأقاليم إلى رِحاب الخلافة، فكان عليه أوّلاً أن يقضي على الإنشِطار الذي حصل بالشّام نفسها بين القيسيّة واليمنيّة[1]، أو لنقل بين المؤيّدين لبيعة مروان والمعارضين لها، هذا الإنشطار الذي بدأ في إجتماع الجابيّة كوُجهات نظر، ليتحوّل إلى حرب بالسّيوف في معركة مرج راهط ، فعكف عبد الملك منذ أوّل لحظة تقلّد فيها الحكم على إنهاء تلك المعارضة وبعث الوحدة من جديد .

قال الهيثم بن عدي: بعد مرج راهط[2] سار زُفر بن الحارث إلى قَرقيسياء معارضا لخلافة مروان، واجتمعت قيس عليه، «فلمّا مات مروان بن الحكم[وولي ابنه عبد الملك] [3] كتب عبد الملك إلى إبّان بن عقبة بن أبي مُعيط[4] وهو على حمص: **يأمُره أن يسِير إلى زُفر**»[5].

لقد كان زفر زبيريَّ الإتجّاه، لا يعترف إلا ببيعة عبد الله، مُستغلاً هشاشة النّظام القائم، فكانت رسالة عبد الملك أمرًا وتوجيها في العمل، فسلك أسلوبًا مباشرًا غايته بلوغ المعنى فحسب، لذلك كانت موجزةً متماشية مع الظّرف.

- رسالة عبد الملك إلى زُفر بن الحارث يدعُوه إلى الطّاعة:

-483 -

قال البلاذري: ثمّ كتب عبد الملك إلى زُفر بن الحارث « **كتابًا يدعُوه فيه إلى الطّاعة ولُزوم الجماعة، ويُرغِّبه ويُرهِّبه**، وبعث بالكتاب مع رجاء بن حيوة الكندي والحجّاج بن يوسف الثّقفي، فأتَيا زُفرًا بالكتاب، وكلّماهُ فأَبى الصّلح»[1].

---

[1] _انظر التّمهيد.

[2] _سبق الحديث عن معركة مرج راهط في التّمهيد .

[3] _إضافة من الكامل في التّاريخ.

[4] _إبّان بن عُقبة بن أبي معيط، قال ابن عساكر إبّان بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط أبو يحي القُرشي، كان كثير القُدوم على معاوية. المصدر السابق، ج6، ص161.

[5] _البلاذري: أنساب، ج7، ص52، ابن الأثير: الكامل، ج4، ص113، ابن خلدون: العبر، ج3، ص46، 47.

[1] _أنساب الأشراف، ج7، ص47، 48.

ذلك هو نهج عبد الملك أن يحقِن الدّماء ما استطاع إلى ذلك سبيلا، ويُعالج المواقف بأقلّ تكلفة، ولا يُخرج سيفه من غمده إلاّ إذا كابَدَه الأعداء العناد والحرب، وهو بكتابه هذا يختار المفاوضات كحلٍّ أوّليّ، ولم يُعلن الحرب عليه إلاّ بعد أن رفض زفر الإذعان[1]، خاصّة وأنّ الوقت لم يكن ليسمح لعبد الملك بالمزيد من التّماطل والرّفق بزفر، فلمّا أعلن عبد الملك القتال وهزمه، عندئذٍ أذعَن زُفر وصالح عبد الملك فأعطاه الأمان، وصالحَه على وضع الدّماء والأموال، وألاّ يقاتل زفر عبد الملك، وأن يُعطى زفر وأصحابه مالاً[2]، وبهذا توصّل عبد الملك إلى تسويةٍ نهائيّة مع زفر وأتباعه، كما سنراه يتخلّص من عمرو بن سعيد وأتباعه، فلم يبقَ إلاّ عبد الله بن الزّبير بالحجاز وأخوه مصعب بالعراق.

ج – الـرسائل الخاصّة بتعامل عبد الملك مع عمرو بن سعيد الأشدق:

- رسالة عبد الملك إلى عمرو بن سعيد حين خرج عليه:

-484 -

إتّفق بنو أميّة في اجتماع الجابيّة على أن يكون مروان خليفة ومن بعده عمرو بن سعيد الأشدق، ولكنّ مروان تراجع وعقد البيعة لابنيه عبد الملك وعبد العزيز، ولـمّا تولّى عبد الملك بقي عمرو بن سعيد طامعا في الخلافة، وفي سنة 70 هـ سار عبد الملك إلى قرقيسياء وخلّف عمرو بن سعيد على دمشق، فاستغلّ هذا الأخير الفرصة وتحصّن بها ودعى النّاس إلى بيعته، فلمّا سمع به عبد الملك كرّ راجعا وكاتبه[3].

[رسالة عبد الملك] قال أبو عبيدة:«كتب عبد الملك إلى عمرو بن سعيد حين خرج عليه:

أمّا بعد فإنَّ رحِمي لك تصرفني عن الغضب عليك، لتمكّنِ الخُدَع منك، وخِذلان التّوفيق إيّاك، نهضتَ بأسبابٍ، وهمَّتْك أطماعُك أن تستفيد بها عِزًّا، كنت جديرًا لو اعتدلتَ أن لا تدفع بها ذلاًّ، ومن رحَل عنه حُسن النّظر واستوطنَته الأماني ملَك الحِينُ تصريفه، واستترتْ عنه عواقب أمرِه، وعن قليلٌ يَتبيّنُ من سلك سبيلك ونهض بمثل أسبابك، أنّه أَسِير غفلةٍ، وصَرِيع خَدْعٍ، ومَغيض[1] ندم، والرّحِم تحمل على الصّفح عنك ما لم تَحلُل بك، عواقب جهلك، وتزجُرْ عن الإيقاع بك، وأنت إن ارتَدعتَ في كنَف[2] وسِتر السّلام.

---

[1] _عبد الأمير دكسن : الخلافة الأمويّة، ص151.

[2] _البلاذري : أنساب، ج7، ص48، إدهام فاضل خطاب : زفر الحارث، ص237.

[3] _تاريخ اليعقوبي، ج2، ص 270، ابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص89 – 91.

[1] _مغيض أي حبس ونقصان ندم. لسان العرب ، مج5، ص3327، مادة غيض.

[2] _ الكنف هو الحفظ والسّتر والرّحمة. لسان العرب، مج5، ص3940، مادة كنف.

[ردّ عمرو بن سعيد]فكتب إليه عمرو: أمّا بعد فإنّ استدراج النّعم إيّاك أفادك البغي، ورائحة القدرة أورثَتْك الغفلة، زَجرت عمّا واقعتَ مثلَه، ونَدَبت إلى ما تركتَ سبيله، ولو كان ضُعف الأسباب يؤنس الطلاّب ما انتقل سلطان ولا ذلَّ عِزّ، وعمّا قليلٌ تتبيّن من أسيرُ الغفلة وصريع الخدع، والرّحم تعطِف على الإبقاء عليك، مع دفعك ما غيرُك أقوَمُ به والسّلام»[1].

رواية أخرى لما سبق

-أ-484

أمّا المسعودي فروى ما سبق باختصار قال: خرج عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق على عبد الملك فكاتبه ،« وكان فيما كتب إليه عبد الملك:

إنّك لتُطمع نفسك بالخلافة ولَستَ لها بِأهل.

فكتب إليه عمرو: استدراجُ النّعم إيّاك أفادك البغي، ورائحة الغَدر أورثَتك الغفلة، زجرت عمّا وافقت عليه، وندبت إلى ما تركت سبيله، ولو كان ضُعف الأسباب يُؤنس الطّالب ما انتقل سلطان ولا ذلّ عزيز، وعن قريب يتبيّن من صريع بغي وأسير عفلة»[2].

- **رسائل عبد الملك إلى عمرو بن سعيد يعده ويمنّيه:**

-ب-484

قال أبو مخنف: « **ولم يَزل – عبد الملك – يُراسله ويُمنّيه ويعدُه، وضَمِن له أن يُولّيه الدّيوان، ويَجعل له ولاية الأمر بعده، مُقدَّمًا على عبد العزيز، وكتب بينه وبينه بما شرط له كِتابًا**»[3].

الظّاهر أنّ عبد الملك كتب إلى عمرو عدّة كتب كما أشارت الرّواية، فقبل ذلك وسكن إليه[1].

لقد أذكى ترشيح عمرو في الجابيّة للخلافة في نفسه جذوة الطّموح لاعتلاء هذا المنصب، وأصبح إنغماسه في الشّؤون العامّة منذ عهد مروان مرتبطًا بسعيه للخلافة، لا دعمًا ومؤازرة للخليفة كما كان الشأن قبل إجتماع الجابيّة، فبدأ حُضوره وفاعليته تزدادان قوّة وتأثيرًا في السّاحة السّياسيّة[2]، لتكون هذه

---

(1) _الجاحظ: البيان والتّبيين، ج4، ص87، محمّد ماهر: الوثائق، ص295، أحمد زكي: المرجع السّابق، ج2، ص129.

(2) _مروج الذهب، ج3، ص74 .

(3) _أنساب الأشراف، ج6، ص59 ،60.

(1) _المصدر نفسه، ص 60.

(2) _مضر عدنان طلفاح: عمرو بن سعيد الأشدق، ص14.

المرّة محاولة جادّة ميدانية منه لتولّي الخلافة .

ويظهر لنا في هذه الرّسائل، وخاصّة الأولى منها عن أبي عبيد تَلميحٌ وتلويح، تلميحٌ بالعفو، وتلويحٌ بالقوّة، وتصوير للمُنزلق الخطير والطّريق الوعر الذي يسير عليه عمرو، ابتدأ رسالته بالحديث عن الرّحمة وختمها بالحديث عن الصفح، لقد حاول عبد الملك أن يتخلّى عن سلاح القوّة والتّلويح فيها، فأظهر بذلك ذكاءً ومكرًا وحُسن مصانعة[1] مع رجل يبحث لنفسه عن مَوطئ قدم في السّاحة السّياسة.

لقد اتّخذ عبد الملك من صفحِه عن عمرو وتأمينه له الخطوة الأولى للقضاء عليه بأسير السّبل حفاظًا على سيوف أهل الشّام، بل زيادة على ذلك ولاّهُ الدّيوان، وضمن له ولاية العهد بعده- كما تذكر رواية البلاذري- فرسالته والحالة هذه لم تكن وليدة إنفعال بحدث التّمرّد والعصيان، إنّما كانت وليدة فكر ومَكر وخداع، وتبصُّرٍ بالأمور ورُيّةٍ فيها[2].

- رسالة عبد الملك إلى عمرو بن سعيد يستَقدمه:

-485-

قال أبي معشر: صالحَ عبد الملك عمرو على أنّه الخليفة من بعده، فلمّا كان يوم من الأيّام «أرسَل عبد اللك إلى عمرو بن سعيد نصف النّهار، **أن ائتني أبا أُميّه**[3] **حتّى أُدَبّر معك أمورًا**» [4].

فلمّا وصل ذلك عمرو قالت له امرأته: لا تذهب إليه فإنّني أتَخَوّف عليك منه، فلم يأخذ برأيها وأتاه، فخرج إليه فقتله[5]، وكان ذلك سنة 70 هـ[1]. وقال عبد الملك: «لو علِمتُ أنّك تبقى ويصلح لي مُلكي لفَديتك بدم النّاظر، ولكن كلمّا اجتمع فَحلان في ذَود[2] إلاّ عدا أحدُهما على الآخر»[3]، وإن كان لحَمّالاً للعظائم باهِضًا للمكارم، لكنّا كما قيل:

---

(1) _إبراهيم خليل: الخليفة عبد الملك، ص277.

(2) _المرجع نفسه، ص278.

(3) _نهاية رواية ابن قتيبة.

(4) _الإمامة والسياسة، ج2، ص21، ابن عبد ربّه: العقد الفريد، ج5، ص156.

(5) _ابن عبد ربّه: العقد الفريد ، ج5، ص156، وقد سنّ عبد الملك بذلك سياسة الغدر للوصول إلى غايته، وكذا عدم الإلتزام بالمواثيق والعهود مسلكًا للوصول إلى المآرب. مضر عدنان: المرجع السابق، ص29.

(1) _تاريخ خليفة، ص166، ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج46، ص40.

(2) _الذود هو الإبل وموضع اجتماعها. لسان العرب، مج3، ص 1525، مادة ذود.

(3) _ابن عبد ربه: المصدر السابق، ج5، ص156.

أُجازِي من جزاني الخير خيرًا وجازِي الخير يُجزي بالنَّـــوالِ

وأجزِي من جزاني الشّرِ شرًّا كما تُحذى النِّعالُ على النّعالِ [1].

قد يكون عبد الملك مُحقًّا بعض الشيء لأنّه اعتقد أن ليس هناك مكان للطّموحين في ذلك الظّرف السّياسي المضطرب، ممّا قد يُقوّض وحدة الدّولة العربيّة الاسلامية وأمنِها، فكان مقتل عمرو عِبرة للآخرين[2].

ولعلّ وجهة الحسم إذًا التّي اعتمدها عبد الملك تنطلق من اعتبارات مُتشابكة في مقدمتّها الظّرف الإستثنائي الذي تجتازُه الخلافة، فقد شهدت إنقسامًا ثُلاثيّا بين العراق والشّام والحجاز، هذا أوّلاً، وثانيا هناك المُعطَى العائلي إذ أنّ انتقال ولاية العهد إلى عمرو بن سعيد يعني أنّ الخلافة مفتوحة على التّحوّل عن الفرع المرواني إلى فرع العاص، وبذلك يكون الفرع المرواني الذّي آلت إليه السّلطة مجرّد مرحلةٍ إنتقالية نحو فرع ثالث داخل بني أميّة، وهذا يعني حرمانه من الخلافة، لاسيما وأنّ عمرو كان صاحب عصبيّة وقوّة حقيقية لا يُستهان بها[3]، فهناك صراع داخل البيت الأمويّ يحتاج إلى عمليّة حَسم أمام تدافُع المخاطر وهكذا كان، لكنّ مصرع عمرو بن سعيد لم يكن الأخير في قائمة ضحايا السُّلطة[4].

د – الرّسائل الخاصّة بمنهج سليمان في التّعامل مع من أيّد الوليد في عزله:

- ردّ سليمان على قُتيبة بن مسلم لمّا هدّده بخلعه:

-486-

كان قتيبة بن مسلم مؤيّدا للوليد في خلع أخيه سليمان من ولاية العهد ، فلمّا مات الوليد وتولّى سليمان خاف أن ينتقم سليمان منه جزاء صنيعه ،فكتب إليه يتَهدّده بالخلع، فوقّع له سليمان في كتابه:

«**زعَمَ الفَرزدق أن سيَقتُل مرْبَعًا أبشِرْ بِطُول سلامةٍ يا مربَعِ**» [1].

---

[1] _المزّي: تهذيب الكمال، ج22، ص38، 39.

[2] _جاسم صبكان: تاريخ صدر الاسلام، ص131.

[3] _ذكر ابن عبد ربّه أنّ عمرو بن سعيد لمّا أقبل على عبد الملك كان معه أربعة آلاف من أهل الشّام. انظر المصدر السابق، ج5، ص151.

[4] _زهير هوّاري : المرجع السابق، ص46.

[1] _ابن عبد ربّه: العقد الفريد، ج4، ص290 .والبيت لجرير انظر ديوانه ص272.

-جوابٌ آخر من سليمان إلى قُتيبة في كتابه:

-487 -

وقال ابن عبد ربه في توقيعات سليمان لقُتيبة: «ووقّع في كتابه أيضًا: **العاقِبة للمُتّقين**»[1].

لم ينقل لنا المصدر كتاب قتيبة إلى سليمان ولا مضمُونه والظّاهر أيضا أنّه كتاب يتعلّق بخلعه لسيمان.

-جوابٌ آخر من سليمان إلى قُتيبة في أحد كتبه:

-488 -

ووقّع سليمان إلى قُتيبة جواب وَعِيده:﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُواْ لَا يَضِرْكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا [2]﴾ [3] .

-رسالة سليمان إلى يزيد بن المهلّب في خُروج قُتيبة:

-489 -

قال ابن أعثم: «كَرِه قُتيبة ولاية يزيد العراق، وقال: لَئِن كان ولاّه العراق فقد ولاّه خراسان، وأمر قتيبة أصحابه بالتّأهّب للخروج إلى فرغانة ليتحصّن بها وخرجوا على كُره منه، واتّصل الخبر بسليمان بن عبد الملك: فكتب إلى يزيد بن المهلّب، فأشخَصَه من البصرة إلى ما قِبَله ثمّ قال:

إعلَم أنّ قُتيبة قد خاف من ولايتك أرض خراسان خوفًا شديدًا لا يكون لنا معه طاعة، فالرّأي أن تَكتبَ إليه كتابًا تُزيّن له المَسير إلى فَرغانة، وتُصوِّب له رأيه أن لا يخرج عنها حتّى يفتحَ الله قِلاعها، وتأمرَ الرّسول الذي يصِل إليه بالكتاب أنّ يقول للنّاس بأنّ أمير المؤمنين قد زادكم في العَطَايا مائة مائة، وقد أذِن لِمن أحبَّ منكم القُفُول أن يقفِل إلى منزله، فإنّ النّاس يُحبُّون القُفول إلى منازلهم، وقتيبة يمنعهم من ذلك فيُخالفونه»[1].

فكتب يزيد إلى قتيبة بما أمر به سليمان، فلمّا ورَد الكتاب إلى قتيبة استبشر وفرِح وقرأه على النّاس، فلمّا فرغ من قراءته قام رسول يزيد وقال: إنّ أمير المؤمنين قد زادكم في أُعطياتكم وأَذِن لمن أحبّ منكم

---

[1] _المصدر السّابق، ص290.

[2] _سورة هود الآية 31.

[3] _ابن عبد ربّه : العقد الفريد،ج 4 ، ص290.

[1] _الفتوح ، ج7، ص169.

القُفول إلى منزله أن يَقفِل، فعلم قتيبة أنّ هذا الرّسول يُغري النّاس، فأعلن عندها مخالفة سليمان ودعى النّاس إلى ذلك[1].

الواقع أنّ فتوحات قُتيبة قد توقّفت باستخلاف سليمان ، إذ كان بينهما خلاف حول ولاية العهد، فقُتيبة كما ذكرنا أيّدَ الوليد في عزل سليمان، يُضاف إلى ذلك موت الحجّاج وقد تأثّر لموته قتيبة كثيرًا، كلّ هذه الأمور أذْكَت الصّراع، ودفعت بقتيبة إلى التّفكير في التمرّد ضدّ سليمان بن عبد الملك، والإستقلال بولايته عن العراق لكنّه لم يُصادف توفيقًا فقُتل سنة 96هـ [2].

و أنّ المُدقّق في أمر هذه الرّواية يرى أنّ قتيبة قد بنى عزله على كتاب سليمان إلى يزيد، وفي هذا ظنٌّ غير قائم على يَقين، خاصّة وأنّ النقمة بينهما كانت قبل تولّي سليمان ، ثمّ إنّه لم يكن ليزيد سلطان على مرو، فكيف يكتب إليه؟ ولكنّ المرجّح أن قتيبة لما رأى تعيين ابن المهلّب على العراق لكي يقتَصّ من آل الحجّاج ومن عمّاله، أدرك أنّ مَصيره سيكون مثل مصير محمّد بن القاسم، ولذلك بادَر بالخلع قبل يُخلع ويُقتل[3].

فوضعت خلافة سليمان بذلك حدّا فاصلاً للفتوح الاسلاميّة في جبهة ما وراء النّهر، فمع أنّ سليمان أقرّ قتيبة على خراسان، فإنّ قتيبة شَعَر بأنّ هذا إجراء مؤقّت، وأنّ سليمان سينتقم، لذلك تسرّع وأعلن التّمرّد فدارت الدّائرة عليه، ولو تريّث لربّما كان مصيره غير ذلك[4]، فكان هذا القائد البطل ضحِيّة للأهواء السّلبيّة والحِقد الشّخصي، بعدما أبلى البلاء العظيم في حماية المناطق الشّرقية للدّولة، وتوطيد الإستقرار وسلطة الخلافة فيها، إضافة إلى نشر الإسلام واللّغة العربية، ولا تزال هذه البلاد تنعم بفضل القائد العظيم الذي كان السبّب في هداية الملايين من أبنائها إلى الإسلام[1].

- رسالة سليمان إلى صالح بن عبد الرّحمان يأمره بالقبض على آل بني عقيل :

- 490 -

قال خليفة بن خياط : «**كتب سليمان بن عبد الملك إلى صالح بن عبد الرحمن: أن يأخذ آل**

---

(1) _ابن أعثم: المصدرالسّابق، ج7 ، ص169.

(2) _ تاريخ خليفة، ص200 ، جاسم صبكان: المرجع السابق، ص150.

(3) _محمد خريسات : الدّولة الأموّية، ص232.

(4) _عبد الواحد ذنون طه : مواقف ودراسات، ص197، 198.

(1) _المرجع نفسه، ص277، 278.

بني أبي عقيل، ويحاسبهم»[1].

و سبب هذه الإحنة هو تأييد محمد بن القاسم والحجّاج للوليد بشأن خلع سليمان، ولذلك لمّا تولى سليمان الخلافة سعى إلى الإنتقام من ارتبط بأبي عقيل بنسب.

- رسالة سليمان إلى خالد القِسري لشتم الحجّاج:

-491 -

قال ابن عبد ربّه: «صعد خالد بن عبد الله القِسري المنبر يوم الجمعة، -وهو إذ ذاك على مكة- فذكر الحجّاج، فحَمد طاعته، وأثنى عليه خيرًا، فلمّا كان في الجمعة الثّانية **وَرَد عليه كتابُ سليمان بن عبد الملك يأمرُه فيه بشَتم الحجّاج، ونشرِ عيُوبه، وإظهار البَراءة منه»**[2].

فهل حقيقة أنّ خالد مدح الحجّاج وهو يعلم سخط سليمان عليه ، ومايكنّه له من بغض حتّى بعد موته ؟ إذ لمّا أفضَت الخلافة إلى سليمان سعى جاهدًا إلى الإنتقام من خُصومه الذّين وافقوا أخاه الوليد في عزله، وخاصّة الحجّاج الذي كان نفسه مضطرمة عليه قبل ولايته، وزاد حِقد سليمان على الحجّاج أنّ يزيد بن المهلّب كان على خلاف معه أثناء ولايته لخراسان، فالتجأ يزيد إلى سليمان وأثاره أكثر فأكثر على الحجّاج، فاضطرَم الخِلاف بين الإثنين[3].

---

[1] _ تاريخ خليفة ، ص 203 .

[2] _المصدر السّابق، ج5، ص289.

[3] _يوسف العش : المرجع السابق، ص253.

ثانيا– الـــرّسائل المُتعلقة بالصّراع الأُمويّ الزّبيري ومنهجهم في التّعامل معه ومع شخصيات الصّراع فيه:

-جواب معاوية إلى ابن الزّبير في اقتتال غِلمانهما:

-492 -

[رسالة ابن الزبير]: عن سحيم بن حفص قال:«كانت لعبد الله الزّبير أرضٌ إلى جانب أرض معاوية، فاقتَتل غِلمان معاوية وغلمان ابن الزبير، فكتب ابن الزبير إلى معاوية بن أبي سفيان: أمّا بعد، فقد غَلبْتنا بحُمرانك وسُوادنك، ولقد التقتْ حَلَقتا البِطان[1]، واسْتَوَت بنا وبِك الأقدام، علمت من عبد الله أنّ سُودانك وحُمرانك لا يُغنون عنك شيئًا.

[جواب معاوية] فقرأ معاوية الكتاب ثمّ رمى به إلى ابنه يزيد، فقال: ما عندك؟ قال: تبعثُ إليه من يقتله فتستريح من حُمقه وعُجبه، قال: يا بُنيّ له بَنُون وعشيرة تمنعه، إن بعثتُ بمائة رجل وأعطيتُ كلّ رجُل ألفًا بلغ ذلك مائة ألف، ولا أدري على من تكون الدَّبْرة، فإن غُلبوا بعثتُ ألفًا وأعطيتُهم ألف ألف، ولكنّي أكتُب إليه، فكتب إليه:

من عبد الله معاوية أمير المؤمنين إلى عبد الله بن الزّبير، أمابعد، فقد جاءَني كتابُك تذكر أَنَّا غَلبْناك بحُمرانا وسُودانا، وأنّه إن التَقتْ حلَقَتنا البِطان، واستوتْ بنا وبِك الأقدام علِمنا أنّ حُمرانا وسُودانا لا يُغنون عنّا شيئًا، وإنّ أمير المؤمنين قد وَهب لك ذلك المال بحُمرانه وسُودانه، فخُذه خِضْرًا نضرًا والسّلام»[2].

[ردّ عبد الله بن الزّبير]: فكتب إليه عبد الله بن الزّبير:

«لعبد الله معاوية أمير المؤمنين، من عبد الله بن الزّبير، أمّا بعد، فقد غلَبْتنا بحِلمك، وجدتَ لنا بمالك، فجزاك الله يا أمير المؤمنين خير جزاء، فلمّا أتى معاوية الكتاب قال ليزيد: يا بُنّي أهذا خيرٌ أم ما أردت ؟»[1].

---

[1] _حَلَقتا البِطان: البِطان هو الحزام الذي يلي البطن، والذي يُجعل تحت بطن البعير، يُقال: التقت حلقتا البِطان للأمر إذا اشتدّ. لسان العرب، مج1، ص305، مادة بطن.

[2] _البلاذري : أنساب، ج5، ص60، 61.

[1] _المصدر نفسه ، ص61.

فهل حقّا كتب ابن الزبير بالذي كتب به إلى معاوية، وهل هدّده بما كتب؟ وماذا يملك من قوّة حتّي يتوعّده ؟

وإن صحّ ذلك فقد أثبتَت هذه الرّواية حِنكة معاوية وتَروِّيه في التّعامل مع الآخرين، خاصّة كبار الصّحابة الذين كانوا يُضاهونه في المنزلة، وجديرٌ بالذّكر هنا ابن الزّبير لم يُمَنّ نفسه الخلافة بعدُ ولم يطمع فيها، وإنّما هو مجرّد سُوء تفاهم بينه وبين معاوية، لا يَرقى إلى حدّ النّزاع السّياسي الذي عُرف بعد موت معاوية، ممّا يدّل على حنكة وخبرة معاوية السّياسية، وأيضا قوّة شخصيّته ودهائه السّياسي، وهذا ما جعله يحافظ على وحدة المسلمين وتماسكهم طوال تسعة عشر عامًا ويزيد[1].

- رسالة معاوية إلى ابن الزّبير لمّا رفض بيعة يزيد:

-493 -

كتب معاوية إلى سعيد بن العاص وهو على المدينة يأمُره بأن يدعُو أهل المدينة إلى البيعة، ويكتب إليه بمَن سارع ومن لم يُسارع، فلمّا فعل كتب إليه بإبطاء بني هاشم ، فكتب معاوية إلى ابن الزّبير:

«رأيتُ كِرام النّاس إن كُفّ عنهم بحِلمٍ رأَوا فضلاً لمن قد تحلَّمَا

ولا سِيَما إن كان عفوًا بقُـــدرة فذلك أحْرى أن يُجلّ ويُعظـــمَا

ولستَ بذي لَوم فتُعذر بالـــذّي أتاهُ بالأخلاق من كان ألْوَمَـــا

ولكن غِشًّا لستَ تعرفُ غيـــرَه وقد غشّ قبلَ اليوم إبليسُ آدمَا

فما غشَّ إلاّ نفسه في فِعالـــه فأصبح مَلعونًا وقد كان مُكـــرمَا

وإنّي لأَخشى أن أنَالك بالـــذّي أردتَ فيَجزي الله من كان أظلمَا»[2].

فهذه شدّة من معاوية إقتضاها الموقف، ولها ما يُبرّرها، مع ملاحظة أنّ هذه الشّدة لا نلمسها في التّعامل مع الحسين.

لقد رأى ابن الزّبير أنّ الخلافة لقريش وحدها، كما أعلن ذلك أبو بكر يوم السقيفة، ولكن لابدّ من قصرها على الأكفاء، وعبد الله أكفأ القرشيّين المعاصرين ليزيد، بل كان يرى نفسه أكفأ من معاوية، لكنّه

---

[1] _عبد اللّطيف السّيد : العصر الأموي، ص103.

[2] _ ابن قتيبة: الإمامة والسّياسة، ج1،ص 154، محمّد ماهر: المرجع السّابق، ص174، أحمد زكي: المرجع السابق، ج2، ص56. خليل عبد المجيد: شعر الحركة الزّبيرية، ص342.

لم يجد في عهده بُدًّا من الصّمت، لأجل ذلك لم يلبث أن عارض البيعة ليزيد، ونقَضها بعد موت معاوية، ثمّ أعلنها ثورة فِعليّة بعد مقتل الحسين، فهبّ يدعو إلى نفسه[1]، وبذلك إتّضح فكر ورؤية معاوية في عبد الله بن الزّبير عندما حذّر ابنه يزيد منه، إتّضح هذا بعد مقتل الحسين، إذ أعلن عبد الله نفسه أميرًا للمؤمنين في مكة والحجاز وبُويع له فيها[2].

- رسالة يزيد إلى عبيد الله بن زياد بإنفاذ قطائع المنذر بن الزّبير:

-494 -

عن الزّبير قال: «وكتب يزيد بن معاوية للمُنذر بن الزّبير إلى عبيد الله بن زياد **بإنفاذ قطَائعه، فأنفَذها له عبيد الله**، فأقطَعه زيادة فيها»[3].

كان معاوية قد أقطع المنذر قطائع بالبصرة، فصوّغه يزيد إيّاها، ولما نُهي عن ذلك لعَداوة أخيه عبد الله بن الزّبير، قال: أكره أن أردّ شيئًا فعَله أبي[4]،و هذا الأمر من يزيد كان بعد وفود المنذر ابن الزّبير عليه مع أصحاب وقعة الحُرّة قبل وقوعها.

- رسالة يزيد إلى ابن زياد في القبض على المُنذر ابن الزّبير:

-495-

لـمّا أنفَذ عبيد الله للمنذر بن الزّبير قطائعه «ورد على يزيد بن معاوية خلافُ عبد الله بن الزّبير له وإبَاؤه بيعته، فكتب إلى عبيد الله بن زياد:

إنّ عبد لله بن الزُّبير أبَى البيعة وصار إلى الخِلاف، وقِبَلك أخوه المُنذر فاستَوثِق منه، وابعث به إليَّ»[1].

ذلك أنّ المنذر بن الزّبير كان بالكوفة لـمّا بلغه خلاف أخيه على يزيد[2].

فورد كتابه بذلك على عبيد الله بن زياد، فأخبر المنذر بما كتب إليه به يزيد، وقال له: إختر مِنّي

---

(1) _أحمد محمّد الحوفي : أدب السّياسة، ص116، 117.

(2) _عبد اللّطيف السّيّد : المرجع السابق، ص114.

(3) _تاريخ دمشق، ج60، ص292.

(4) _المصدر نفسه، ص289.

(1) _ المصدر نفسه ، ص299.

(2) _ الذّهبي: سير أعلام النّبلاء ، ج 3 ، ص 381.

إحدى خُلّتين: إن شئت اشتَملتُ عليك، ثمّ كانت نفسي دون نفسك، وإن شئت فاذهب حيث شئت، وأنا أكتُم الكتاب ثلاث ليال، ثمّ أُظهِره وأطلبُك فإن ظفرتُ بك بعثت بك إليه، فاختار أن يكتُم الكتاب عنه ثلاثًا، ففعل، وخرج المنذر فأصبح بمكّة[1].

رواية أخرى لما سبق

-أ-495

قال محمّد بن عبد العزيز بن عبد الرّحمان بن عوف: «رجع المنذر بن الزّبير من عند يزيد بن معاوية، فقدِم على عبيد الله بن زياد بالبصرة، فأكرمه وأحسن ضيافته- وكان لزياد صديقًا- إذ سقط إليه كتابٌ من يزيد بن معاوية- حيث بلغَهُ أمر أصحابه بالمدينة-[2] :

أن أوثِق المُنذر بن الزّبير واحبِسه عندك حتّى يَأتيك فيه أمري.

فكرِه ذلك عبيد الله بن زياد...فأذِن له فانطلق حتّى لحق بالحجاز، فأتى أهل المدينة، فكان فيمن يُحرّض النّاس على يزيد»[3].

رواية أخرى لما سبق

-ب-495

وقال مصعب الزّبيري: سوّغ معاوية المنذر بن الزّبير مالا ، «ثمّ بدا ليزيد **فكتب إلى عبيد الله بن زياد يأمره بحبس ذلك المال عن المنذر ، وألّا يدع المنذر يخرج من البصرة .**

وذلك حين خالفه عبد الله بن الزّبير، فخاف أن يلحق بأخيه فيكون عونا له ، فأرسل إليه ابن زياد فأخبره الخبر...فانطلق المنذر قِبل مكّة وكان مع أخيه حتّى قُتل»[1]

رواية أخرى لما سبق

-ج-495

عن أبي مخنف قال: «لمّا بلغ يزيد خلع أهل المدينة وتولية ابن الغِسّيل أمرهم، **كتب إلى ابن زياد**

---

[1] _ابن عساكر : المصدر السابق، ج60، ص299.

[2] _يقصد أصحاب وقعة الحرّة وما كان منهم.

[3] _الطبري : المصدر السّابق، ج5، ص480، محمّد ماهر: المرجع السّابق، ص208.

[1] _نسب قريش ، ص 245.

في حَمل المُنذر بن الزّبير إليه، فكرِه ابن زياد ذلك لأنّه كان ضيفه، وصديق أبيه زياد»[1].

[جواب ابن زياد] : لمّا وصل كتاب يزيد إلى عبيد الله بن زياد كتب إليه: «إنّه إنّما صار إليَّ مُتبرئًا من أصحابه مُخالفًا لقولهم وفِعلهم.

ثمّ تركه يرجع إلى الحجاز فرجع وألَّب على يزيد»[2].

وبهذا أفصح المُنذر على ما كان يُضمره ويُكِنّه ليزيد، فانساق مثله مثل أصحاب وقعة الحرّة، يحرّض النّاس على يزيد ويدعوهم إلى خلعه، ويتّهمه ويشنّع عليه، ثمّ إنّ تساهل عبيد الله بن زياد، ومخالفته لقرارات الخليفة كان له أيضًا دور في مُجريات الأحداث وانتفاضة الجماهير على يزيد.

- رسالة يزيد إلى عمرو بن سعيد يأمره أن يرسل إليه ابن الزّبير في جامعة:

-496 -

قال عبد الرّحمان بن أبي الزّنّاد فيما يرويه عن أبيه: «عزل –يزيد– الوليد بن عتبة عن المدينة وولاّها عمرو بن سعيد بن العاص **وأرسل إليه: إنّ أمير المؤمنين يُقسِم بالله لا يَقبل من ابن الزّبير شيئًا حتّى يُؤتَى به في جامعة .**

فعرضوا ذلك على ابن الزّبير فأبى، فبعث يزيد بن معاوية الحُصين بن نمير، وعبد الله بن عضاه الأشعري[3] بجامعة إلى ابن الزّبير»[4].

لقد استمّر ابن الزّبير معارضا لخلافة يزيد، وقال: «اللّهم إنّي عائذٌ ببيتك، وقد عرضتُ عليهم السّمع والطّاعة، فأبَوا إلاّ أن يُخلوا بي ويستحِلّوا منّي ما حرمّتَ، فمِن يومئذٍ سُمّي العَائذ»[1].

- رسالة يزيد إلى عبد الله بن الزّبير لمّا رفض البيعة وتحصّن بمكّة:

-497 -

لقد كان للعوامل الدّينية دورها الفعّال في تأييد عدد كبير من المسلمين لثورة عبد الله بن الزّبير، وقد

---

[1] _البلاذري : أنساب، ج5، ص338.

[2] _المصدر نفسه، ص338 وبقيّة المصادر لم تذكر جواب عبيد الله في رواياتها.

[3] _ قال ابن عساكر: عبد الرّحمان بن عضاه بن الكَركر الأشعري من جند دمشق، كان أبوه من أوائل الصّحابة، وكان عبد الرّحمان من أهل الفروسية والنّجدة والعفاف والسّياسة والحرب. تاريخ دمشق، ج35، ص132.

[4] _المصدر نفسه، ج28، ص208.

[1] _المصدر نفسه، ص208.

شعر عبد الله بأهميّة هذا العامل فاستغلّ قُدسيّة مكة، واتّخذها مركزًا لثورته، وأطلق على نفسه لقب عائذ، وكانت قرابته من الرّسول ﷺ من جهة أبيه وأمّه، واعتقاد أهل الحجاز أنّ أولاد الصّحابة أحقّ من غيرهم بالخلافة، من الأمور التّي ساعدت على إصباغ الصّفة على نفسه[1].

عن هشام بن عروة عن أبيه: «أنّ يزيد بن معاوية كتب إلى عبد الله بن الزّبير- لـمّا أظهر خِلافهُ وتحصّن بمكّة-:

إنّي قد بعثتُ إليك سِلسلة من فضّة وقَيْدَين[2] من ذهب، وجامِعة[3] من فضّة، وحَلفتُ بالله لتأتنّي في ذلك، [فأَبِرَّ قسَمي، ولا تشُقّ العصا] [4].

فألقى عبد الله بن الزّبير الكتاب وقال:

ولا أَلِينُ لغير الحقّ أسألُه حتّى يَلينَ لضِرس الماضغِ الحجَرُ» [5].

رواية أخرى لما سبق

-497-أ

و قال عوانة: أرسل يزيد إلى عبد الله بن الزبير لـمّا خالفة وأبى بيعته:

« **إنّي قد جعلتُ عليَّ نَذرًا أن يُؤتَى بك في سِلسلة.**

قال: فلا أبَرَّ الله قسَمه، ولا وفّق له الوفاء بنَذره»[1].

فمرّ الحُصين بن نمير، وعبد الله بن عضاه الأشعري بالمدينة فبعث إليه مروان معهما عبد العزيز بن مروان يُكلّمه في ذلك، ويُهوّن عليه الأمر...فكتب ابن الزّبير إلى مروان يَجزيه خيرًا، ويقول: قد عرفتُ عِنايتك ورأيك، فأمّا هذا فإنّي لا أفعلُه أبدًا، فليُكفّر يزيد عن يمينه أو يَدع»[2].

---

[1] _جاسم صبكان : تاريخ صدر الإسلام، ص138.

[2] _كذا في الحلية وعند ابن كثير " وقيدًا".

[3] _الجامعة هي السّلسلة التي تُجمع الجزور. لسان العرب، مج1، ص681، مادة جمع.

[4] _ما بين حاصرتين إضافة البداية والنهاية، وفي الحلية غير ثابت.

[5] _أبو نعيم: حلية الأولياء، ج1، ص331، ابن كثير: المصدر السابق، ج8، ص287، وأوردها الطبري باختصار عن شيبة بن نصّاح. تاريخ الطبري، ج5، ص344 وابن عساكر: تاريخ دمشق،ج28، ص207، 208، عن عبد الرّحمان بن أبي الزّناد عن أبيه.

[1] _البلاذري: أنساب الأشراف، ج5، ص320، محمّد ماهر: الوثائق، ص209 أخذها عن البلاذري.

[2] _ابن عساكر: المصدر السّابق، ج28، ص207، 208.

لقد أشفق يزيد – على ما يبدو– أن يجِدّ في قتال ابن الزّبير، لأنّه كان عائِذًا بمكّة، وهي بيت الله الحرام التّي لا يصِحّ فيها القتال وسفك الدّم، لذا مارس عليه نوعا من التّهديد لاخضاعه دون إراقة دماء، أو انتهاك لحرمة البيت، غير أنّ ابن الزّبير ردّ البريد ورفض السّلسلة، وتمثّل بما قاله، ومن هنا بدأت المعركة[1].

– رسالة يزيد إلى عبيد الله بن زياد يوجّهه لابن الزّبير:

-498 -

عن جرير عن مغيرة قال:«وكتب يزيد لابن مرجانه[2]:

أن اغزُ ابن الزّبير،فقال: لا أجمعُهما للفاسق أبدًا، أَقتُل ابن بنت رسول الله ﷺ، واغزُو البيت؟!»[3].

رواية أخرى لما سبق

-498-أ

أمّا ابن كثير فقد قال باختلاف عمّا سبق: «وقد كان يزيد كتب إلى عبيد الله بن زياد: **أن يسِير فيُحاصره بمكّة**، فأبى عليه، وقال: والله لا أجمعُهما للفاسق أبدًا»[4].

يبدو التّناقض واضحًا بين رواية الطّبري ورواية ابن كثير، إذ ثّمة فارقٌ كبير بين أن يأمر يزيد بغزو البيت أي إنتهاك حُرمته، وبين أن يأمر بالحِصار أي استسلام ابن الزّبير سِلميا واحترام قُدسية المكان، فبِأيّهما أمر يزيد؟.

– رسالة يزيد إلى عمرو بن سعيد الأشدق يأمره أن يبعث جيشًا لمقاتلة ابن الزبير:

- 499 -

عن عمرو بن دينار قال:«كتب يزيد بن معاوية إلى عمرو بن سعيد[1]:

---

(1) _كان أبو دُهبل الجمحي مُساندًا لابن الزّبير فيما فعل، وأنشد قائلاً:

لا يَجعلنَّك في قـــيدٍ وسلسلةٍ كَيمَا يقول أتانا وهو مَغلـــــولُ

بين الحواريّ والصّدِّيق ذو نسبٍ صافٍ وسيف على الأعداء مسلولُ

البلاذري : أنساب، ج5، ص321، والأبيات مثبتة في ديوان أبي دهبل، ص76، وفيه "الجواري" بدل " الحواريّ".

(2) _يقصد عبيد الله بن زياد.

(3) _الطبري : المصدر السابق، ج5، ص483، مسكويه : تجارب الأمم، ج2، ص54، ابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص13.

(4) _البداية والنّهاية، ج8، ص186 .

(1) _كتب له هذا بعد أن رفض عبيد الله بن زياد تولّي المهمّة، وقد كان عمرو بن سعيد واليا على المدينة كما أسلفنا.

أن استعمِل عمرو بن الزّبير[1] **على جيش، وابعثه إلى ابن الزّبير، وابعث معه أنِيس**[2] **بن عَمرو**»[3]. فساروا إليه فهُزم جيش عمرو وسجنه عبد الله.

رواية أخرى لما سبق

-أ-499

وقال الواقدي: طلب يزيد أن يؤتى إليه بابن الزبير مقيّدا، فلمّا قدِمت رسل يزيد عليه وليس ابن الزّبير معهم، وأعلَموه ما يقول،« كتب إلى عمرو بن سعيد الأشدق:

يأمره بأن يُوجِّه إلى عبد الله بن الزّبير جَيشا من أهل العطاء والدّيوان لمُحاربته، ويُولِّي أمرَهم رجُلاً حازمًا مُناصحًا.

وكان عمرو بن الزّبير على شرطة عمرو بن سعيد، فسأله توجيهه على ذلك الجيش –وكان مُباينا لأخيه عبد الله بن الزّبير يُظهر عيبه، ويُكثر الطّعن عليه، وكان عمرو عظيم الكِبر شديد العُجب ظلومًا، وقد أساء السّيرة وعسَف النّاس، فولاّه الجيش– فسار إلى مكة، فتفرّق الجند عن عمرو، فأسَره أخوه»[4].

رواية أخرى لما سبق

-ب-499

عن عبد الرّحمان بن أبي الزناد وغيره قال:«كتب يزيد بن معاوية إلى عمرو بن سعيد **أن يُوجِّه إليه جُندًا.**

فسأل عمرو بن سعيد: من أعدى النّاس لعبد الله بن الزّبير، فقيل أخوه عمرو فولاّه شُرَطه بالمدينة، فضرب ناسًا كثيرًا من قريش والأنصار بالسّياط، وقال: هؤلاء شيعة عبد الله بن الزّبير...ثمّ وجّهه إلى عبد الله بن الزّبير في جيش من أهل الشّام ألف رجل، وأمَره بقتاله»[1].

والأصحّ أن عمرو بن الزّبير كان على الشّرطة قبل أن يرِد كتاب يزيد كما جاء في الرّوايات السّابقة، ثمّ إنّ عمرو بن سعيد يعلم كُره عمرو بن الزّبير لأخيه وعداوته، فلماذا يسأل عن ذلك؟

---

(1) _سبقت ترجمته في الرّسالة رقم 351.

(2) _ لم نحصل له على ترجمة: وذكر ابن حجر أنس بن عمرو من رجال الشّيعة من أهل الكوفة. لسان الميزان، ج2، ص224.

(3) _تاريخ الطّبري، الرّواية الأولى، ج5، ص345 ، وفي الرّواية الثانية " **أن ابعث جيشا إلى ابن الزّبير**" ، ص344 عن شيبة بن نصّاح. ابن الأثير :الكامل ، ج3، ص380، النّويري: نهاية الإرب، ج20، ص239.

(4) _البلاذري : أنساب، ج5، ص397، ابن أعثم: الفتوح ، ج5، ص153.

(1) _ابن سعد: الطبقات الكبرى ، ج6، ص479، ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج46، ص10.

هذه هي روايات رسالة معاوية إلى عمرو بن سعيد، والتّي يظهر فيها اختلاف بَيّنٌ في أمر يزيد لعمرو بن سعيد، فرواية الطّبري ذكرت أنّه أمره بتوجيه الجيش تحت قيادة عمرو بن الزّبير بخلاف رواية الواقدي التّي ذكرت أنّ يزيد خيّر عمرو بن سعيد فيمن يولّيه أمر الجيش، المهمّ أن يكون رجُلًا حازما مناصحًا، أمّا بقيّة الرّوايات باستثناء رواية ابن الأثير فأشارت فقط إلى أمر يزيد بتوجيه جيش إلى ابن الزّبير، وخاصّة رواية ابن أعثم التّي كانت أشدّ غموضًا إذ لم تذكر هذا كلّه، وجاءت فقط بذكر أنّ يزيد كتب إلى عمرو يُخبره بخبر عبد الله بن الزّبير، ولا أظنّ أنّ هذه الرّسالة بهذا المضمون تَتماشى مع الموقف المُحتدم، إذ كيف يكتب يزيد إلى عمرو دون أن يُشير عليه بما يجب أن يقوم به؟!.

- رسالة يزيد لابن الزّبير حين وجّه إليه جيشه الأخير:

-500 -

قال البلاذري: لمّا عرض يزيد جنده «كتب لابن الزّبير رُقعة لطيفة أفرد بها رسولاً، ويُقال: إنّه لم يكتُب ولكنّه قال قولاً ظاهرًا:

استعْدِ ربَّك في السّمـــاء فـإنّنـي أدعُو إليك رجالَ علكَّ[1] وأشْعَـرِ[2]

ورجالَ كلبٍ والسَّكونِ[3] ولَخْمِها[4] وجُذَام[5] تَقدُمُها كَتائبُ حِمْيَـرِ

كيف النّجاءُ أبا خُبيب[1] منهـمُ فاحتلْ لنفسِك قبل أَتْيِ العسكَرِ»[2].

لم تفصل لنا رواية البلاذري هذه فيما إذا كان يزيد كتب بهذه الرّسالة إلى ابن الزّبير، أم أنّه أوصى

---

[1] _هم قوم نُسبوا إلى علكّ بن عدنان أخو مُعد، وهم باليمن. البلاذري: أنساب، ج1، ص13، 14، الجزري: اللّباب في تهذيب الأنساب،ج2، ص 352، لسان العرب، مج4، ص3059، مادة عكك.

[2] _قبيلة يمنيّة منهم أبو موسى الأشعري.

[3] _بالفتح حيٌّ من اليمن، وهو بطن من كنده، وقيل أيضا موضعٌ من أرض الكوفة. الجزري: المصدر السّابق،ج2، ص 125، لسان العرب، مج3، ص2056، مادة سكن.

[4] _لخم حيٌّ من اليمن، ينسب إلى مالك بن عدي بن الحارث القحطاني، ومنهم كانت ملوك العرب في الجاهليّة. البلاذري: أنساب، ج1، ص 36، الجزري: المصدر السّابق، ج3، ص130، لسان العرب، مج5، ص4018، مادة لخم.

[5] _جُذام قبيلة من اليمن تزعم نُسّاب مضر أنّهم من مُعد، وقيل هم من ولد أسد بن خُزيمة. البلاذري: أنساب، ج1، ص 36. الجزري: المصدر السّابق، ج1، ص265، لسان العرب، مج1، ص579، مادة جذم.

[1] _ وهو كنية عبد الله بن الزّبير إذ كان يُعرف بأبي خُبيب لأنّ له ابنا يسمى خبيبا. انظر ابن عساكر: المصدر السابق، ج28، ص140، المزّي: تهذيب الكمال، ج14، ص509.

[2] _أنساب الأشراف، ج5، ص341.

بذلك له مُشافهة، أم أنّه تمثّل فقط بهذه الأبيات، ومهما يكن فالأمر البَيّن هنا أنّ سياسة يزيد قد كشفت عن وجهها الحقيقي القائم على العُنف والشّدة في فضّ النّزاعات، وحسم الأمور، إلاّ أنّ هذا الأمر لم يتّم ليزيد،بل أدركته المنيّة قبل أن يتخلّص من ابن الزّبير،فكانت للأحداث وجهة أخرى غير التي كانت مُنتظرة.

وجديرٌ بالذّكر هنا أنّ هذه الرّسالة من يزيد إلى ابن الزّبير كانت بعد المحاولات السّلمية التي قام بها يزيد معه، وكان آخرها ما ذكرنا آنفًا من أنّه أرسل إليه يحلفُ عليه ليأتِينّه في جامعة، ثمّ كتب إليه يُعاود طلب البيعة، وأنّ أحبّ الأمور إليه ما فيه السّلامة، وبعد نفاذ كلّ هذه السّبل أدرك يزيد أنه لا مجال للمُهادنة مع ابن الزّبير، وأنّ الحرب هي المسلك الوحيد في التّعامل معه، خاصّة وأنّ نفوذ ابن الزّبير وشعبيّته بدأت تتوسّع، فخير أمرٍ يُدبّره يزيد في إعتقاده هو التّعجيل بالقضاء عليه، فكان عمرو بن الزّبير هو صاحب المهمّة الذي اختاره يزيد وعمرو بن سعيد لِما يعلَمانه من عداوةٍ بينه وبين أخيه، إلاّ أنّ هذه المبادرة باءت بالفشل فكان أن هُزم جيش يزيد وأُسِر عمرو بن الزّبير وقُتل على يد أخيه عبد الله[1]، ممّا زاد الأمر تعقيدًا على الخليفة، وعندها يكون مُسلم بن عقبة المرّي هو رجل هذه المهمّة الصّعبة، خاصّة وأنّه أثبت قدرته وولاءه يوم الحرّة.

وليس من الصّعب علينا كشف العوامل التّي ساعدت على تغيير ميزان القِوى، بحيث أصبحت لصالح ابن الزّبير، فلقد كان مقتل الحُسين في كربلاء، وإذلال أهالي المدينة عَملين مُهمّين أثارا نِقمة الحجازيّين على حكم يزيد، وفقد أهل الحجاز الثّقة بهم، وأخذوا لا يرَون في الأمويّين أهلاً للخلافة، كما لا ننسى سُمعة يزيد بن معاوية المتّسمة بالعبَث والمجون والفسق، عكس ابن الزّبير التّقيّ الورِع الفقيه[2].

وفي مقابل أهل الحجاز كان أهل الشّام يرَون الخلفاء الأمويّين مُمَثّلين للإسلام والنّظام، وكانوا لا يرَون في الإستيلاء على المدينتين المُقدّستين سوى تدبيرٍ ضروري دعا إليه الموقف العدائي لأهل الحجاز، دون أن تُراود فكرة انتهاك الحُرمة المقدّسة أيًّا منهما[1].

- رسالة مروان إلى الحُصين بن نُمير ليُواصل مُهمّته في قتال ابن الزّبير:

-501 -

بعد وقعة الحرّة مات مسلم بن عقبة وهو في طريقه إلى مكّة لقتال ابن الزّبير، فتولّى قيادة الجيش بعده

---

(1) _ابن سعد: المصدر السابق، ج6، ص479، الطبري: المصدر السابق، ج5، ص345، ابن الأثير: الكامل، ج3، ص380.

(2) _شحاذة النّاطور : تجديد الدّولة، ص16.

(1) _فان فلوتن : السّيطرة العربيّة، ص71.

الحُصين بن نُمير السّكوني، وبينما هم في حصار ابن الزبير إذ أدركت المنيّة يزيد بن معاوية، وكان ذلك في صفر سنة 64هـ،« فكتب مروان إلى الحُصين بن نُمير السُّكوني:

لا يهولنَّك ما حدث وامضِ لشَأنك»[1].

وفي هذه الرّواية نظر، إذ أنّ مروان لم يكن له من الأمر شيء بعد وفاة يزيد، بل إنّ الحصين انسحب بعد الفراغ الذّي حصل في الخلافة بموت يزيد ، والأمر لم يُعقد لمروان ، بل مروان نفسه كان يميل إلى مبايعة ابن الزّبير قبل الجابيّة لولا أنّ عبيد الله بن زياد أثناه عن عزمه[2] .

والحقّ أنّ الحُصين اقترح على ابن الزّبير الخروج إلى الشّام لأخذ بيعته، خاصّة وأنّ منصب الخلافة لا يزال شاغرًا، وبنو أميّة مختلفون وقال له: إنّ يزيد قد مات، وابنه صبيٌّ، فهل لك أن أحملك إلى الشّام، فليس بالشّام أحد فأُبايعَ لك، فليس يَختلف عليك اثنان؟ فرفَض، فقال له الحُصين: من زعم أنّك داهية فهو أحمق، ثمّ انصرف[3].

وكانت هذه فرصة أضاعها ابن الزّبير وندِم عليها بعد ذلك، ولو خرج إلى الشّام لربّما كان الأمر سيجري بخلاف ما كان، خاصّة وأنّ الأيّام أثبتت مقدِرة أهل الشّام على تحقيق الحسم التّاريخي[4].

– مواصلة عبد الملك قتال ابن الزبير وأخيه مصعب:

- رسالة عبد الملك إلى خالد بن عبد الله في قِتال مصعب بن الزّبير:

-502 -

عن أبي مخنف قال: «وجّه عبد الملك خالد بن عبد الله إلى البصرة، فاقتتل مع الزّبيريِّين، وأقبل مصعب بن الزّبير من الكوفة حين بلَغَه خبر خالد بن عبد الله، وشُغل عبد الملك بن مروان عنه بعمرو- بن سعيد- وبزفر بن الحارث **وكتابِه إلى خالد أنَّه لا يُمكنه وُرُود العراق في عامه، لِما انتشرعليه من الأمُور**، فوَهن أمر خالد»[1]، وهرَب إلى عبد الملك فصالح عبد الملك زُفرًا وانصرف إلى الشّام، ثمّ انصرف

---

(1) _تاريخ اليعقوبي، ج2، ص253.

(2) _انظر التّمهيد.

(3) _تاريخ اليعقوبي، ج2، ص253.

(4) _ المصدر نفسه، ص253، حمدي شاهين : الدّولة الأموية، ص295.

(1) _البلاذري : أنساب، ج6، ص80.

إلى العراق لقتال مصعب[1].

لم يكن عبد الملك يَعتبر الخلافة التي أخذها عن مروان خيرٌ مَحضٌ، بل هو مسؤوليّة وتَركة ثقيلة، وهمٌّ مؤرِّق، ويتبيّن أنّ ما آل إليه ليس نعمة خالصة، ولكن أيضا مِحنة ستُكلّفه الكثير من الجهود المُضنية، وسيُبتلى فيها فِكره وعزيمته وإرادته إلى آخر مدى تتحملّه القدرة البشريّة، ذلك أنّه إذا نظر إلى ما حوله ماذا يرى؟ يرى أنّه يوجد في الجانب الآخر من الدّولة خليفةٌ آخر، فلم يعُد هناك خليفة واحد بل خليفتان[2]، خصمٌ قويٌّ عنيد، وشخصية كبيرة ذات تاريخ مجيد لا يُستهان به، وأبوه حواريّ رسول الله ﷺ ومن أهل الشّورى، وهذا هو عبد الله بن الزّبير الذي أبى منذ البداية أن يبايع ليزيد، وأعلن خلافته عَقِب وفاته، وبويع باليمن ومصر والحجاز وخراسان والعراق[3].

فمن وُجهة نظر عبد الملك لا يمكن السّكوت إذن على هذه الحال، وإلّا سيعظُم الضّرر ويتفاقم الخطر، لابّد أن تُبذل الجهود لإ نقاذ الدّولة من هذا التّصدّع وإزالة الإنقسام، فتُجمع كلمة الأمّة مرّة ثانية، وتنتظِم تحت لواء واحد، وتستأنف سيرها قُدمًا تحت قيادة خليفة واحد، فإلى متى سيستمر الحال إذا سكت عبد الملك؟ ومن يكون الخليفة؟![4].

- رسالة عبد الملك إلى المروانيّة لمّا توجّه لقتال مُصعب:

-503-

إنتشر أمر ابن الزبير بسرعة فاستخلص العراق من المختار بن أبي عبيد وعيّن عليه أخاه مصعب، لكنّ عبد الملك كانت عينه على العراق ينتظر عمّن تدور الدّائرة، على المختار أم مصعب، عندها يعمد إلى المنتصر فيقاتله وقد خارت قواه، فلمّا استقرّ الأمر لمصعب قصد عبد الملك العراق لاستخلاصه منه، واستعان في ذلك بأنصاره المتواجدين في العراق، فسار إليه عبد الملك سنة 71 هـ، وبعث بين يديه السّرايا، ودخل بعضُ من أرسله إلى البصرة، فدعا أهلَها إلى عبد الملك في السّرّ،

«**وكتب عبد الملك إلى شِيعته بالبصرة أن يَخرجوا على مُصعب، وأخبرَهم أنّه بَاعثٌ إليهم**[1]

---

[1] _ البلاذري : أنساب، ج6، ص80، 81.

[2] _قال الماوردي : "وأمّا إقامة إمامين أو ثلاثة في عصر واحد فلا يجوز إجماعًا". أدب الدّنيا والدين، ص113، وانظر التّفصيل في ذلك: ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء، 3، ص4، 5.

[3] _ضياء الدّين الرّيس : عبد الملك بن مروان، ص15.

[4] _المرجع نفسه، ص186.

[1] _في تاريخ دمشق" أنّه راكب إليهم".

بألفٍ من أهل الشّام»[1].

فأجابُوه كلّهم[2].

لقد بيّنت الرّواية أنّ هدف عبد الملك القضاء على مصعب والإستيلاء على البصرة كخُطوة أولى نحو السّيطرة على العراق، إذ كانت الجبهة الدّاخلية الهاجِس الرّئيسي لدى عبد الملك، حيث أَوْلاها المقام الأوّل من إهتماماته، وذلك عبر برنامجٍ مرحليٍّ مُنظّم، ومن البديهي أنّ خلافة الحجاز كانت لا تزال العقَبة الكأْداء التّي تَحُول دون استعادة المركزيّة السّياسّية لدولة الأُمويّين، فكان التّخطيط لضربها في مُقدّمة القرارات التّي اتّخذها عبد الملك من خلال جهازه العسكريّ القوّي، بَيْد أنّ الخليفة لما اتّخذ قراره لم يبدأ بالحجاز، وإنّما بدأ بالعراق، لأنّه رأى فيها خطرًا وتدعيمًا للحجاز[3].

وهكذا أدرك عبد الملك أنّ المعركة الفاصلة ستكون في العراق، فبدأ يتجهّز للقاء مصعب، ويقرّر المسير إليه بنفسه، لأنّه كان يُدرك أنّ مصعبًا هو سيف عبد الله وساعِده، والقضاء عليه إنّما يعني القضاء على الحركة الزّبيريّة، وبالفعل فإنّ عبد الله بن الزّبير لم يستطع الصّمود أكثر من عامين بعد مقتل أخيه[4].

- رسالة عبد الملك إلى الأحنف بن قيس صاحب مُصعب يدعُوه لنفسه:

-504-

قال المدائني: «دخل الأحنف[5] على مصعب فأنكر تَكبّره، ويُقال أنّه مدّ رِجليه بين يديه وهو جالسٌ معه على السّرير، فقال عَجبًا لمن يتكبّر ويتجبّر وقد جرى في مجرى البَول مرّتين، فلمّا بلغ عبد الملك قول الأحنف بعث إليه:

إنّه قد بَلَغني تَنكُّر صاحِبك لك، فهَلُمَّ إلينا فَلك عندنا ولايةُ الشّام.

فقال الأحنف: يا عجبًا لابن الزّرقاء يدعوني إلى نفسه وأهل الشّام، والله لوَددت أن بيننا وبينهم بحرًا من نار لا يعبُره إلينا منهم أحد إلاّ احترق، ثمّ قال: اللهمّ أَمِت الأحنف قبل أن يرى لأهل العراق

---

(1) _ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج6، ص496، الطّبري : المصدر السابق، ج6، ص156عن أبي زيد ، ابن أعثم: الفتوح، ج6، ص327، ابن عساكر: المصدر السّابق، ج58، ص239، مسكويه: تجارب الأمم، ج2، ص156 ، ابن كثير: البداية والنّهاية، ج8، ص266.

(2) _ الطّبري : المصدر السابق، ج6، ص156، مسكويه: تجارب الأمم، ج2، ص156.

(3) _ابراهيم بيضون : ملامح التّيارات السّياسية، ص224.

(4) _ابراهيم خليل : الخليفة عبد الملك، ص55.

(5) _كان الأحنف بن قيس متشيّعًا لآل البيت، ثمّ تحوّل إلى عبد الله بن الزّبير، وقد سبقت ترجمته في الرّسالة رقم 259 .

غدرًا، فمات بالكوفة بعد يسير»[1] ، ولم يقبل عرض عبد الملك.

- رسالة عبد الملك إلى مُصعب بن الزّبير في بيعة أخيه :

-505 -

قال أبو الحسن المدائني: أرسل عبد الملك إلى مصعب رجُلاً من كلب فقال له:

«**اقرِئْ ابن أُختك السّلام، وقل له يدَعُ أن يدعُوَ إلى أخيه، وأدَعُ أن أدعُوَ إلى نَفسي، وأُصيِّر الأمر شُورى** ، فقال مصعب: قل له: السّيف بيننا»[2]، وعندها بدأ عبد الملك القتال.

فهل حقّا أنّ عبد الملك دعا إلى ذلك بعد المحن التّي لاقاها في التّمكين له، وكرّر فعل معاوية؟

وإن أمكننا قبول هذه الرّسالة الشّفوية من عبد الملك فهي آخر جولة في مفاوضاته مع مُصعب، فقد حاول أن يجعل بينهما أرضيّة حوار وتفاهم مؤقّتًا على الأقل، ولاشكّ أنّها نوعٌ من التّحايل والمكر من عبد الملك، إذ كيف يُخرج نفسه عن الخلافة وهو يُقاتل عليها ، وأراق في سبيلها الكثير من الدّماء ؟!، ولعلّ هذا ما لمسه مصعب، فرفض إقتراحه بالجملة، فكانت الحرب هي المخرج الوحيد بينهما كآخر أداة لرجال الفكر السّياسي.

لقد كانت المُعطيات في العراق طبقًا للأهداف المرسومة للخطّة العسكريّة التي وضعها عبد الملك، فسقطت العراق بأقّل من الجهد المتوقّع، وبذلك أصبحت جُزءًا من الدّولة الأمويّة الجديدة[3]، فتمَّ النّصر لعبد الملك واستولى على الكوفة والعراق، وكم كان هذا الأمر عزيزًا بعيد التّحقيق فمكنّه الله منه، وبذا قطع جناح ابن الزّبير، واتّسعت حدود دولته، وأصبح قريبًا من تحقيق هدفه الأكبر، وهو توحيد الدّولة[4].

لقد فشل ابن الزّبير في العراق بسبب السّياسة التي سار بها مصعب من جهة، وبسبب عدم إخلاص أهل العراق له من جهة أخرى، يقابل ذلك حُسن التّصرّف الذي قام به عبد الملك مع رؤساء القبائل وأشرافها ممّا جعلهم يُفضّلونه على ابن الزّبير[1].

وهكذا تمّ العزل السّياسي والجغرافي لعبد الله بن الزّبير، ليبقى في ميدان النّزاع السّياسي خصمان

---

[1] _البلاذري : أنساب، ج7، ص25، 26.

[2] _الزّبير بن بكّار: الأخبار الموفّقيات، ص426، البلاذري : أنساب، ج7، ص91.

[3] _شحاذة الناطور: تجديد الدّولة، ص80.

[4] _ضياء الدّين الرّيس: عبد الملك بن مروان ، ص214، 215، ابراهيم رمّاش: دراسة في برامج ثورات، ص110.

[1] _محمّد خريسات : الدّولة الأمويّة، ص199.

قويّان عبد الملك بن مروان وعبد الله بن الزّبير، غير أنّ موقف ابن الزّبير كان أثْبت في الظّاهر، فالحِجازيّون كانوا يُريدون رجُلاً منهم، وأهل العراق وإن كانوا لا يُحبّون ابن الزّبير فإنّهم يَكرهون بني أميّة أشدّ الكُره، أمّا مصر والعراق فقد دخَلَتا في طاعة عبد الملك كرهًا بعد أن كانتا في طاعة ابن الزّبير[1].

- رسالة عبد الملك إلى عُروة بن أُنيف ليعُود إلى الشّام:

-506 -

عن أبي صفوان العطّاف بن خالد عن أخيه قال: لمّا بُويع عبد الملك بالشّام بعث إلى المدينة عُروة بن أُنيف[2] في ستّة آلاف من أهل الشّام، وأمره أن لا يدخل المدينة، وأن يُعسكر بالعرَصَة[3]، فأقام شهرًا، «ولم يبعث إليهم ابن الزّبير أحدًا، ولم يَلقَوا قتالاً، **فكتب إليهم عبد الملك أن يُقبلوا إلى الشّام**

ففعلوا، ولم يتخلّف منهم أحد»[4].

كانت هذه أوّل خُطوة في صراع عبد الملك لعبد الله بن الزّبير بعد مقتل مصعب، ولا شكّ أنّ هذه الحملة كانت حملة إستطلاعيّة للحجاز أكثر منها حربًا مكلّفة، كما أنّ عبد الملك طمع على ما يبدُو في أن يَحُوز على بيعة ابن الزّبير دون تكلفة، أو على الأقلّ كان ينتظر من ابن الزّبير أن يبعث إلى عُروة من يُفاوضه، ويضَع شروطه على مائدة الحوار، ولما لم يحصل ذلك أمر عروة بالقفول إلى الشّام.

لقد أجبرت السّرايا المتتالية التّي كان عبد الملك يبعثها إلى الحجاز ابن الزّبير على أن ينحصر في مكّة والمدينة دون بقيّة الحجاز، وإذا شئنا أن نُسميّ هذه السّرايا، أطلقنا عليها بما يُشبه في التّاريخ الحديث حرب الإستنزاف قبل الموقعة الكبرى التّي تكون نهاية للأحداث[5]، خاصّة وأنّ غذاء أهل المدينة كان يأتيها من خارجها، فصار أصحاب ابن الزّبير يأكلون لُحوم الفرس في الحصار، وكان أهل الشّام ينتظرون فناء ما كان عند ابن الزّبير من الطّعام، فكانت المجاعة التي أصابت النّاس في أيّامه[1].

---

(1) _عمر فرّوخ : تاريخ صدر الاسلام، ص143.

(2) _بعثه عبد الملك بن مروان واليًا على المدينة في ستّة آلاف فهرب عامل ابن الزّبير منها. ابن عساكر: تاريخ دمشق ، ج40، ص210.

(3) _سبق التعريف بها في الرّسالة رقم 475.

(4) _ ابن عساكر: المصدر السابق، ج40، ص210 ، ابن الأثير : الكامل ، ج4، ص121 .

(5) _عبد اللّطيف السّيد : العصر الأموي، ص187.

(1) _البلاذري : أنساب الأشراف، ج7، ص120-122.

- كتاب عبد الملك إلى ابن الزّبير يتوعّده:

- 507 -

قال عاصم بن الحدثان: «**كتب عبد الملك بن مروان إلى عبد الله بن الزبير كتابا يتوعّده فيه،** وكتب فيه:

إنّي لَعِندَ الحرب تحمل شِكَّتي[1] إلى الرَّوْع[2] جَرْداء السَّيَالة[3] ضامرُ[4]»[5]

- رسالة عبد الملك إلى الحجّاج يُوبّخه لابن الزّبير:

-508 -

قال البلاذري :«كتب ابن الزّبير بعد قتل مُصعب إلى أهل العراق يدعوهم إلى طاعته، وبعث بكتابه إليهم مع رجل من الأنصار، فرُفع ذلك إلى بِشر بن مروان، فأخذ الأنصاريّ فقتله، وبعث بشر بالكتاب الذي كتبه ابن الزّبير إلى عبد الملك، فكتب إلى الحجّاج :

أن سِرْ إلى ابن الزّبير، فانْزل معه واشْغَله، فقدِم مكة وحصره»[6].

على الرغّم من أنّ خُطّة عبد الملك العسكرية نحو الحجاز كانت تفترض إعداد جيش كبير للقضاء على مركز الخلافة التّي مضى عليها ما يقارب ثماني سنوات (65-72هـ)، وأنّ الغزو سيكون في عَرين الطّامح ابن الزّبير، إلاّ أنّنا نجد عبد الملك لا يُعطي الحجاز الأهميّة المنتظرة، فهو لم يعدّ الجيش بنفسه كما فعل في قَرقيسياء مع زفر بن الحارث، وفي العراق مع مصعب بل اكتفى بأن أرسل قائده الحجّاج، وذلك لقناعته بأنّ جناحي دولة ابن الزّبير قد قُطعا فالجناح الأوّل هو مصر، والآخر هو العراق، فهو بذلك جسمٌ غير قادر على الحركة فضلاً عن المقاومة[1].

---

(1) _الشّكّة السّلاح ، وقيل مايلبس من السّلاح .لسان العرب، مج 4 ، ص2309 ، مادّة شكك.

(2) _الرّوع هو الفزع . لسان العرب، مج3 ، ص1777، مادة روع.

(3) _الجرد من الأرض ما لا ينبت ، أي عارية ، والسّيالة موضع ، ويقال السّيال شجر له شوك أبيض، لسان العرب، مج 1، ص587 ، 588، مادة جرد ، مج 3 ، ص2173 مادّة سيل.

(4) _الضُّمر من الرّجال الضّامر البطن الهزيل ، وناقة ضامر كذلك. لسان العرب، مج 4 ، ص2606، مادة ضمر.

(5) _أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني ، طبعة دار الفكر ، ج14 ، ص302. وقد ذكر أنّ الشّعر للعبّاس بن مرداس.

(6) _أنساب الاشراف ، ج7، ص138.

(1) _شحاذه النّاطور : المرجع السّابق، ص80، 81.

- ردّ عبد الملك على الحجّاج حين استأذنه في قِتال ابن الزّبير:

-509 -

عن عوانة بن الحكم قال: وجّهَ عبد الملك الحجّاج لقتال ابن الزّبير، فسار الحجّاج حتّى نزل الطّائف، فوقعت بينهم مُناوشات خاطفة يُهزَم فيها ابن الزبير ، « ثمّ إنّه كتب إلى عبد الملك: إنّك متى تَدَع ابن الزّبير وتكّف عنه، ولا تأمر بزحمه ومُصادمته يكثر عَدده وعُدده وسلاحه، فأذَنْ لي في قتاله ومناجزته، فكتب إليه: **إفعلْ ما تَرى**.

فأمر أصحابَهُ بالتّجهّز للحجّ ثمّ أقبل من الطّائف، وقدّم مقدّمته، فنَصبوا المنجنيف»[1].

لقد حصر عبد الملك المعارضة ليس في حدود الحجاز فحسب، بل على نحو أدقّ في مكة، وهذا ما دعاه إلى توجيه الحجّاج إلى الطّائف كموقعٍ أمامي لحصار مكة، محاولاً إسقاطها عبر سياسة الإستدراج إلى الخارج، والضّغط منه، وهي سياسة لم تنجح، واستغرقت حوالي ستّة أشهر[2]، ممّا دفع بالحجّاج إلى فرض الحصار، والعمل على إختراق مكة، وكان عبد الملك عبر الأسلوب الأوّل تَلافى تلك الضّجّة التّي أثارتها عمليّة الحُصين عندما قذف الكعبة بالمنجنيق، ممّا أدّى إلى إحراقها، وكان من البديهي أن تتلاشى قوّة ابن الزّبير المحليّة، بعد أن تبخّرت قِواه الخارجيّة تِباعًا[3].

وبهذه الرّسالة أطلق عبد الملك يد الحجّاج في مُحاربة ابن الزّبير، وأعطاه كامل الصّلاحيات في التّعامل معه، وفوّضه في اختيار الطريقة التي يراها مناسبة للمقام، وبذا بدأت المعركة الحقيقيّة بين عبد الملك وابن الزّبير.

- رسالة عبد الملك إلى طارق بن عمرو يأمره أن يَلحق بالحجّاج:

-510 -

عن شرحبيل بن أبي عون قال[1]:« لما قتل عبد الملك بن مروان مصعب بن الزّبير بعث الحجّاج بن

---

[1] _البلاذري: أنساب، ج7، ص116،وعند الطّبري عن عبّاد بن عبد الله بن الزّبير " **فجاءه كتاب عبد الملك**" المصدر السّابق، ج6، ص175، مسكويه :تجارب الأمم، ج2، ص161 ، ابن عساكر: المصدر السّابق، ج28، ص233عن أمّ بكر بنت المسور، ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب، ج1، ص378

[2] _انظر في ذلك: البلاذري: أنساب، ج7، ص116 وما بعدها، تاريخ الطبري، ج6، ص175 وما بعدها.

[3] _زهير هوّاري : السّلطة والمعارضة، ص304.

[1] _ عند الطبري: " عن عباد بن عبد الله بن الزّبير:..." كما في الرّسالة السابقة، وفي تاريخ دمشق" عن أم بكر بنت المسور قالت:...".

يوسف إلى عبد اللّه بن الزّبير بمكّة في ألفين من جُند أهل الشّام [1]، **وكتب إلى طارق بن عمرو يأمُره أن يلحَق [بمن معه من الجند][2]بالحَجّاج.**

فسار طارق في أصحابه وهم خمسة آلاف، فلحِق بالحجّاج[3]، سنة 72 هـ، فحصروا ابن الزّبير وقاتلوا، ونصبوا عليه المنجنيق»[4].

- رسالة عبد الملك إلى أهل مكّة بالأَمان إن دَخلوا في طاعته:

-511 -

قال الطّبري في سنة 72 هـ: « وجّه عبد الملك الحجّاج بن يوسف إلى مكّة لقتال ابن الزّبير...فبعثه في جيش كثيفٍ من أهل الشّام، فسار حتّى قدم مكّة، **وقد كتب إليهم عبد الملك بالأمَان إنْ دخلوا في طاعَته»**[5].

تلك هي السّياسة نفسها التّي سار عليها عبد الملك في العراق لما توجّه لقتال مصعب، فلقد سعى إلى تجريد ابن الزّبير من أصحابه ومؤيّديه ، ليبقى وحيدًا في ساحة المعركة، فيظفِر به بأقّل تكلفه، وهو ما تمّ فعلاً لعبد الملك.

- كتابه عبد إلى الحجّاج ليدعو ابن الزّبير إلى الطّاعة:

-512 -

وقال ابن أعثم: لمّا سأل الحجّاج عبد الملك المدد أمدّه بستّة آلاف، فاقتتلوا مع ابن الزّبير أيّامًا كثيرة، وبلغ ذلك عبد الملك، فكتب إلى الحجّاج:

«أمّا بَعد، فقد بَلغني ما كان من مُحاربتِك لعبد الله بن الزّبير، فإذا ورَد عليك كتابي هذا فابعث إليه، واسأله الدُّخول في طاعتي وأعطِه الأمان، فإن هو قَبِل ذلك فاحمِله إليَّ مُكرّمًا، وإن أبى

---

[1] _بداية رواية الطّبري: " كتب الحجّاج إلى عبد الملك يستأذنه في حصار ابن الزّبير ودخول الحرم، ويخبره أنّ شوكته قد كلّت، وتفرّق عنه عامة أصحابه، ويسأله أن يمدّه برجال، فجاءه كتاب عبد الملك، وكتب عبد الملك إلى طارق بن عمرو:..." أي الرسالة السابقة.

[2] _ما بين حاصرتين إضافة من تاريخ الطبري، وفي بقية المصادر ناقصة.

[3] _عند الطبري: "فسار في خمسة آلاف من أصحابه حتّى لحق بالحجّاج"، والمثبت من طبقات ابن سعد.

[4] _ابن سعد: المصدر السابق، ج7، ص225، الطبري: المصدر السّابق، ج6، ص175، مسكويه: تجارب الأمم، ج2، ص161. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج28، ص233، ابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص119، 120، ابن الأثير: الكامل ، ج4، ص122 ، ابن كثير: البداية والنهاية، ج8، ص275، ابن خلدون: العبر، ج3، ص49.

[5] _المصدر السّابق، ج6، ص174.

فجُدَّ في حربه ولا تُقصّرنّ فيما كتبتُ به إليك .

فلمّا بلغ الكتاب الحجّاج أرسله إلى ابن الزّبير، فدخل على أمّه أسماء بنت أبي بكر، فقالت له: يا بُنيّ إنّك قد ناديتَ القوم بالمُنافرة، وأسرعت لهم المُدافعة، وغير هذا أخصَب جَنابًا لعيشك، فأمّا إذا كنت لا تُريد أن تكون ذَنَبا لبني أمّية، فاجعل الثّقة بالله حَشوَ قلبك، ولا تحتجِرنّ على بغي يُوبقك مصدرُه والسّلام»[1].

وبذلك أعلن ابن الزّبير القتال، وأدرك الحجّاج أنّه لن يُجيبه إلى الطّاعة، فرمى المسجد الحرام بالمنجيق، وقاتل ابن الزّبير حتّى قُتل في ثلاثة عشر ليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة 73 هـ[2]، و بمقتل ابن الزّبير انتصَرت سياسة الشّام انتصارًا نهائيّا، فماهي أسباب فشل ابن الزبير ؟.

لعلّ ذلك راجعٌ إلى أنّ الحجاز لم يكن باستطاعته أن يبقى مركزًا للخلافة، نظرًا لموقعه الذي لا يتوسّط الأقطار الإسلاميّة، فلا يصلح لأن يكون عاصمة لدولة مترامية الأطراف، كما لم يكن بيد الخليفة في الحجاز جيش منظّم، ولا شُرطة تحميه[3]، هذا وإنّ ابن الزّبير لم يظفر بالأمويّين لأسباب أهمّها، حِرصه على المال، وبُخله بالعطاء على طلاّب العطاء، وانصرافه عن تأليف القلوب بالهِبات، على حين أنّ بني أميّة كانوا أسخياء، وكانوا يصطنعون النّاس بالأموال، ويشترون التّأييد من القبائل والأفراد، ثمّ إنّ العلويّين لم يُناصروه، فقد امتنع في بداية الأمر محمّد بن الحنيفة من مبايعته لأنّه كان مواليًا ليزيد بن معاوية[4].

ونُضيف أيضًا أنّ الحجاز من النّاحية الإقتصادية لم يكن مكانًا خصبًا يوفّر مصادر الرّزق للعدد الكثير، ولا يمكن له أن يتحمل الحِصار مدّة طويلة[1].

لقد تحكّمت الجغرافيّة بقضيّته أشدَّ التّحكم، ومع الإقرار أنّه لم يكن من السّهل عليه إيجاد مقرّ بديل لسُلطانه يخرج إليه، ويترك مكّة والحجاز، فإنّ مكّة منذ العهد النّبوي كانت فقدت إمكاناتها العسكرية المتواضعة، وبعد تولّي بني أميّة استقرّت القِوى العسكرية العربية، والزّعامات السّياسيّة والإدارية والماليّة خارج

---

(1) _الفتوح، ج6، ص339 ، الكتبي: فوات الوفيات، ج2، ص175.

(2) _تاريخ خليفة، ص168 وعند ابن أعثم أنّه قُتل لثلاثة عشر ليلة بقيت من جمادى الأولى سنة 73 هـ وهذا غير صحيح .انظر: المصدر السّابق، ج6، ص342 .

(3) _يوسف العش : الدّولة الأمويّة، ص202.

(4) _أحمد محمد الحوفي : أدب السيّاسة، ص121.

(1) _شحاذة النّاطور : المرجع السابق، ص86، وقد وقع في الخطأ نفسه محمّد النّفس الزّكية الذي خرج في العهد العباسي، فتحصّن بالحجاز فضُرب عليه الحصار حتّى هُزم. انظر ابن طباطبا : الفخري، ص36.

الحجاز، ومَلكت الأمصار زِمام القرار الحاسم[1].

على أنّ ابن الزّبير لم يُخفِق هو في شخصِه، فلقد كان رجلَ دولة قديرًا فاهمًا، لكن الذي أخفق إنّما هو السّياسة التّي تمسّك بها، وعدم خروجه من الحجاز، خاصّة بعد أن سيطر عبد الملك على العراق ومصر اللتان كانتا تموّلانه بمواردها الوفيرة، وبهزيمة سياسة الحجاز انتصرت سياسة الأمويين بالشّام[2].

ونشير هنا إلى نُقطة مهمّة، وهي قضيّة رمي الحجّاج للكعبة بالمنجنيق، فلقد كان عبد الملك أمر الحجّاج عند إرساله لمحاربة ابن الزّبير أن لا يهتِك الكعبة وأستارها، ولا يرمي أحجارها، بل يحاصر ابن الزّبير حتّى يموت أو يستسلم، وبعد سنة غيَّر عبدُ الملك رأيه، ووافق على حصار مكّة، وضرب الكعبة بالمنجنيق لأسباب عديدة منها:

إستغلال ابن الزّبير حُرمة مكّة والمدينة لأغراض سياسيّة، مُعتقدًا أنّ عبد الملك لا يستطيع مُهاجمتها دون أن تُثير ردّ فعلٍ شديد ضدّه بين المسلمين، وربّما كان عبد الملك يُدرك أنّ اعتصام ابن الزّبير بالحرم واستغلاله له كان يُهدّد وحدة العالم، طالما أنّ مؤيّدي عبد الملك كانوا يُمنعون من آداء فريضة الحج[3].

والأهمّ من ذلك فإنّه من المستحيل آنذاك وجود خَليفتين للمسلمين في آن واحد، وعلى هذا الأساس يُمكن القول أنّ الأسباب الدّينية التّي منعت عبد الملك من مُهاجمة مكّة والمدينة هي نفسها دفعته لمثل هذا الهجوم[4]،فكلّ هذه المعطيات اضطرّتهم إلى ذلك الموقف بعد نفاذ كلّ السُّبل[5]، وبعد مقتل ابن الزّبير أعاد بناء الكعبة على ما كانت عليه في عهد النبوّة[6].

ثمّ إنّ أيّ مَساس بالكعبة لابدّ أن يتحمّل ابن الزّبير نصيباً من تَبِعته، فهو الذي عرّض مكّة والبلد الحرام لتبِعات الحرب، وأثار القتال، وكان بوسعه أن ينتقل إلى أيّ بقعة في العالم الإسلامي، بل كان بوسعه أن ينتقل إلى المدينة بعد ما خرج أهلها عن يزيد.

---

(1) _رياض عيسى : الحزبيّة السّياسيّة، ص279.

(2) _يوسف العش : المرجع السابق، ص207.

(3) _جاسم صبكان : تاريخ صدر الاسلام، ص137.

(4) _المرجع نفسه، ص137.

(5) _حمدي شاهين: المرجع السابق، ص347.

(6) _المرجع نفسه، ص137، عبد الواحد ذنون: العراق في عهد الحجّاج، ص41، حمدي شاهين: المرجع السّابق، ص205.

- كتب عبد الملك إلى الحجّاج يأمره بتَعَاهد عُروة بالرّعاية:

-513 -

كان عروة ابن الزّبير مخالفا لأخيه عبد الله، ومعارضا لسياسة ولّاة بني أميّة ، ولمّا قَتل الحجّاج عبد الله بن الزّبير أرسل إلى عبد الملك بأنّ أموال عبد الله عند عروة أخيه، وطلب أن يُرسله إليه، فكتب عبد الملك إلى الحجّاج ينهاه عن الكتابة فيه، «**وكانت كُتب عبد الملك بن مروان إلى الحجّاج مُتّصِلة يأمُره بتَعاهد عُروة، وأن لا يَسُوءه في نَفسه وماله**»[1].

لقد أبَانت هذه الرّواية عن وجود عدّة كتب كان عبد الملك يكتُب بها إلى الحجّاج في أمر عروة والإحسان إليه، وذلك راجع إلى أنّ الحرب إنّما كانت بينه وبين عبد الله ابن الزّبير، ولا يتحمّل غيره تبِعتها وعقوبتها.

لقد أدرك ذلك عبد الملك حقّ الإدراك، فكان يُكرم أهل ابن الزّبير، ويُحسن إليهم[2]، بل كتب إلى إبّان بن عثمان حين طلب منه مُخالفة قضاء ابن الزّبير: «إنّا لم ننقِم على ابن الزّبير ما كان يقضي به، ولكنّا نقِمنا عليه ما كان أراد من الإمارة»[3].

- رسالة عبد الملك إلى الحجّاج يأمره أن لا يتعرّض لعُروة بن الزّبير:

-514 -

المدائني عن عامر بن حفص قال: «كتب الحجّاج إلى عبد الملك: إنّ عروة كان مع أخيه، فلمّا قُتل عدوُّ الله أخذ مالاً من مال الله وهرب، فكتب إليه عبد الملك: إنّه لم يهرب ولكنّه أتاني مُبايعًا، وقد آمنته وحَلَلته ممّا كان، وهو قادمٌ عليك، فإيّاك وعُروة[1]، فعاوَدَه فكتب إليه:

أعرِض عنه ولا تُرادَّني فيه»[2].

---

(1) _البلاذري: أنساب، ج7، ص131.

(2) _ثبت أنّ ثابت بن عبد الله بن الزّبير قدِم على عبد الملك فأكرمه، وردّ عليه أمواله. انظر ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج11، ص128.

(3) _انظر الرسالة رقم 191. و ابن عساكر: المصدر السابق، ج28، ص243.

(1) _الرسالة سبقت رقم 147.

(2) _البلاذري: أنساب، ج7، ص131، 132.

- رسالة عبد الملك إلى هشام بن اسماعيل يأمره بإطلاق سراح ثابت بن عبد الله بن الزّبير:

- 515 -

قال عبد الله بن مصعب: لعن ثابت بن عبد الله بن الزّبير[1] في خطبته أناسا فأقبل عليه هشام بن إسماعيل فقال: ما أراك تسب منذ اليوم إلّا رهط أمير المؤمنين! وأمر به إلى السجن، فأخذه الأعوان يسحبونه،فقال في سجنه[2]:

فلولاَ أنَّ تَغْلِبَ خالُ أمّي[3] وأنّكَ بعدُ منّي ذُو مكـانِ[4]

ترامَيْنا[5] بِمُرِّ القَوْلِ حـتّى يقالَ[6] كأنّنَا فرَسَا رِهَـانِ

«فلم يزل في السجن حتّى **كتب عبد الملك في إطلاقه**، وأعجبه ما قال»[7].

ثالثا– الرّسائل الخاصّة بالتّصدّي لفِتنة ابن الأشعث ومنهج التعامل معه ومع أتباعِه:

- رسالة عبد الملك إلى الحجّاج لمّا أعلَمه بخُروج ابن الأشعث:

-516 -

كان عبد الرّحمان بن الأشعث كارها للحجّاج وسياسته في العراق ، فلمّا وجّهه الحجّاج لقتال رتبيل ملك التّرك سنة 81 هـ ، سئم ابن الأشعث من أوامر الحجّاج التّي لازالت تلاحقه في مهمّته ، واستغلّ كره الجند له، فحرّضهم على الخروج عليه، فأعلنوا التّمرد والعصيان، وتحوّلت الحملة إلى العراق للسّيطرة عليه،

---

(1)_هو ثابت بن عبد الله بن الزّبير بن العوّام الأزدي، أبو مصعب ، أمّه تماضر بنت منظور الفزاريّة ، كان ثابت يشهد القتال مع أبيه، ويبارز بين يديه ، وقدم على عبد الملك فأكرمه، ثمّ وفد على سليمان بدمشق ، وتوفّي منصرفا من عنده بمُعان، وهو ابن 87 سنة . الرّازي: الجرح والتّعديل ، ج2 ، ص454 ، ابن عساكر : تاريخ دمشق ، ج11 ، ص 125 – 132 .

(2)_البيتان للنّابغة الجعدي ، انظر ديوانه ، ص 181.

(3)_في الدّيوان " رهط أمّي".

(4)_في الدّيوان " وكعب وهو منّي ذو مكان".

(5)_في الدّيوان " تراجمنا ".

(6)_في الدّيوان " حتّى نصير ".

(7)_الزّبير بن بكّار : جمهرة نسب قريش ، ج1 ، ص ص95.

في محاولة للتّخلّص من الحجّاج[1].

قال أبو الفرج الأصفهاني: كتب عبد الرّحمان بن الأشعث إلى الحجّاج يُهدّده، ويتوعّده، ويُبيّن خَلْعه للطّاعة، فكتب الحجّاج بذلك لعبد الملك، فكتب إليه عبد الملك:

«**أمّا بعد فإنّي أجبتُ عَدوَّ الرّحمان بلا حول ولا قوّة إلا بالله، ولَعمرُ الله لقد صدَق وخلَع سلطان الله بيمينه وطاعتَه بشِماله، وخرج من الدّين عُريانًا كما ولَدتهُ أمُّه، على أنّ مثلي ومثله كما قال الآخر**[2]:

أناةً وحِلمًا وانتظارًا بِكم غـــــدًا فمَا أنا بالوَانِي[3]، ولا الضّرَع الغُمْرِ[4]

أظُنّ صُروف الدّهر والجهل مِنهم ستحمِلهُم مِنّي على مَركب وَعْـــــرِ

فلَيتَ شِعري! أَسَمَا عدُوّ الرّحمان لدعائم دين الله يَهدِمها، أم رَام الخلافةَ أن ينالَها، وأوشَكَ بأن يُوهِن اللهُ شوكَته، فاستعِن بالله، واعلم أنّ ﴿اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [5]»[6].

رواية أخرى لما سبق

-أ-516

أمّا المسعودي فذكر رواية أخرى تختلف عمّا سبق وعمّا هو آتٍ من روايات قال:

«وكتب الحجّاج بن يوسف إلى عبد الملك يُعلمه بخَبر ابن الأشعث وتمرّده، فكتب إليه عبد الملك:

لَعَمري لقد خلَع طاعة الله بيمينه وسلطانَه بشماله، وخرج من الدّين عُريانًا، وإنّي لأرجُو أن يكون هلاكُه وهلاك بيته واستِئصَالهم في ذلك على يَدَي أمير المؤمنين، وما جوابه عندي في خلعِ الطّاعة، إلّا كقول القائل:

أناةً وحِلمًا وانتظارًا بهم غـــــدًا فما أنا بِالوَاني ولا الضّرعِ الغُمرِ

---

(1) _انظر الحركة وأحداثها : تاريخ الطّبري، ج6 ، ص 434 وما بعدها، شحاذه الناطور: تجديد الدّولة، ص170.

(2) _الأبيات للحارث بن وعلة الجُرمي. انظر الأغاني، ج16، ص7804.

(3) _الواني: أي الضّعيف، وقيل التّعبان، وتواني أي قصّر وبطيء . لسان العرب، مج6، ص4928، مادّة ونى.

(4) _الغمر: الماء الكثير، والضّرع الغمر أي كثير اللبن الجواد. لسان العرب، مج5، ص3294، مادة غمر.

(5) _سورة النحل الآية 128.

(6) _ الأغاني، ج16، ص7804.

أظنُّ صُروف الدّهر والجهل منهم ستَحملهم منّي على مركبٍ وَعْـرِ

ألم تعلموا أنّي تُخاف غَرامـــتي وأنّ قَنَاتي لا تلينُ على الكَســرِ»[1].

رواية أخرى لما سبق

516-ب-

وقال عمر بن بشير: كتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج بن يوسف:

«إنما مثلي ومثل أهل العراق كما قال الأول:

فإني وإياهم كمـــن نبه القـــطا ولو لم تنبه باتت الطير لاتسري

أناة وحلما وانتظارا بهم غـــــدا فما أنا بالواني ولا الضرع الغمر

أظن صروف الدهـــر بيني وبينهم ستحملهم منّي على مركب عسر

ألم يعلموا أني تخـــاف عرامتي[2] وأن قناتي لا تلين على القســـر

فما بال من أسعى لأجبـــر عظمه حفاظا وينوي من سفاهته كسـرى

أعود على ذي الجهل والذنب منهم بحلمي ولو عاقبت غرقهم بحري»[3].

رواية أخرى لما سبق

516-ج-

سار ابن الأشعث ومن معه من القرّاء حتّى نزلوا الأهواز، ثمّ كتبوا إلى الحجّاج:

خلَع الملوكَ وسار تحت لِـوائه شجرُ العُـرى[1] وعَرائرُ[2] الأقـــوامِ[3]

قال المبرّد : فأرسل الحجّاج كتابه إلى عبد الملك بن مروان ،

فكتب عبد الملك إليه:

---

[1] _مروج الذّهب ، ج3، ص94.

[2] _أي شدّتي ، والعرام الأذى. لسان العرب، مج 4، ص 2913، مادّة عرم.

[3] _ابن أبي الدّنيا: الحِلم، ص 52.

[1] _شجر العُرى: ما بقي له خضرة في الشّتاء، تتعلّق به الإبل حتّى يدرك الرّبيع، وقيل ما له أصل باقٍ في الأرض. لسان العرب، مج4، ص2919، مادة عرا.

[2] _يُقال العَرائر أي الشّريف، والعرارة الرفعة والسّؤدد. لسان العرب، مج4، ص 2876، مادة عرر.

[3] _أبو حنيفة الدّينوري : الأخبار الطّوال ، ص289.

ما بالُ من أسعَى لأَجبُر عَظمـهُ حِفاظًا ويَنوي من سَفاهته كَسرِي[1]

أظُنُّ خُطوب الدَّهر بيني وبينهم[2] **ستحمِلهم مِنِّي على مَركبٍ وعْـرِ**

وإنِّي وإيّاهم كمَن نبَّه القَـــطَا[3] **ولو لم تُنبَّه باتَت الطّيرُ لا تَسرِي**[4]

أناةً وحِلمًا وانتظارًا بهم غـــدًا فما أنا بالوَانِي ولا الضَّرع الغُمرِ»[5].

هذا وقد أشارت رواية العقد أنّ عبد الملك كتب بها إلى ابن الأشعث، وليس إلى الحجّاج، فهل هذا حاصلٌ حقيقة؟ وفي اعتقادنا أنّ عبد الملك كتب بذلك إلى الحجّاج وليس إلى ابن الأشعث إذ أنّ هذا الأخير تعامل في حربه ومراسلاته مع الحجّاج بالعراق، ونحن نستبعد أن يكون بينه وبين عبد الملك أيّ مراسلات.

رواية أخرى لما سبق

-516-د-

و عن أميّة بن خالد قال: «تمثّل ابن الأشعث حين سار إلى العراق:

خَلع الملوكَ وسار تحت لِوائه شجرُ العُرا وعرائرُ الأقوامِ

...فقَدِم لأيُّ بن شفيق بن ثور السُّدوسي[1] على الحجّاج، فأخبره فحمَله من ساعته إلى عبد الملك، فرّده عبد الملك إلى الحجّاج **يأمُرُه بالتّشمِير والجِدّ حتّى تَأتيه الجُنود**»[2].

هذه في مجملها روايات رسالة عبد الملك إلى الحجّاج في أوّل أمر بشأن حرب ابن الأشعث، و يظهر لنا من خلال الرّسالة – خاصّة رواياتها الأولى– أنّ عبد الملك لم يكن يَعِي خطورة الحركة ومقدار قوّتها، ولو كان مُدركًا لذلك لكانت رسالته أشدّ حزمًا وتحذيرًا وتصريحًا، وأكثر جِديّة، ولَوجّه إليه أمرًا مباشرًا بالقتال

---

(1) _نهاية رواية العقد الفريد.

(2) _في الأخبار الطّوال " أخال صروف الدّهر للحين منهم ".

(3) _القطا طائر معروف، سمّي بذلك لثِقل مشيه، وواحده قطاة. لسان العرب ، مج5، ص3684، مادة قطا.

(4) _البيت الثّاني والثّالث فقط مثبتان في الأخبار الطّوال.

(5) _الكامل في اللّغة والأدب، ج1، ص161، الدّينوري: الأخبار الطّوال، ص289، 290، ابن عبد ربّه: العقد الفريد، ج4، ص289. وفي الأمالي نسبت الأبيات إلى ابن أذينة الثّقفي وليست في ديوانه، انظر ج2، ص172،173.

(1) _هو لأي بن شفيق بن ثور السّدوسي، كان مع ابن الأشعث لمّا وجّهه الحجّاج إلى رتبيل، وهو من جاءه بخبر خروج ابن الأشعث. تاريخ خليفة، ص176.

(2) _المصدر نفسه، ص176.

والتّصدّي، وهذا ما لم نلمسه في الرّوايات السّابقة باستثناء رواية خليفة بن خياط.

ولا يخفى أنّ للحجّاج دور فيما حدث، فقد أفسَد عليه قادتَه وجيشه، لشكّه وريبته بهم، وما ارتكبه من مظالم بحقّ رعاياه كرِهه النّاس بسببها، وجعلهم يَقبلون بالخروج عليه، وكذلك شدّته وبأسه على من يخالفه جعل النّفوس تَنفِر منه[1].

- جواب عبد الملك على كتابٍ في فتنة ابن الأشعث:

-517 -

وقّع عبد الملك في كتابٍ في فتنة ابن الأشعث:

«**كيف يَرجُون سِقاطي بعدما شَمِل الرّأسُ مَشيبٌ وصَلَعْ**»[2].

هذا ما جاء في الرّواية التّي لم تذكر لنا الكتاب الذي أُرسل إلى عبد الملك ولا الجِهة التي أرسلته وبلا شكّ جاءه الكتاب من الحجّاج في جولة من جولات حَربه مع ابن الأشعث.

- توقيع عبد الملك في كتاب الحجّاج حين أعلمه بقوّة ابن الأشعث:

-518 -

وقّع عبد الملك في كتاب الحجّاج لما أخبره بقوة ابن الأشعث: «**بِضعفِك قَوِيَ وبِخُرقك**[3] **طَلع**»[1].

- رسالة عبد الملك لابن الأشعث وأهل العراق يعرض عليهم عزل الحجاج وزيادة العطاء:

-519 -

[رسالة عبد الملك] قال الواقدي: لما اشتدّ القتل في دير الجماج في فتنة ابن الأشعث، «واستمرّ هذا الحال مدّة طويلة، واجتمع الأمراء من أهل المشورة عند عبد الملك بن مروان، فقالوا له: إن كان أهل العراق يُرضيهم منك أن تعزل عنهم الحجّاج فهو أيسرُ من قتالهم وسفك دمائهم، فاستحضر عبد الملك عند ذلك أخاه محمد بن مروان، وابنه عبد الله بن عبد الملك بن مروان، ومعهما جنودٌ كثيرة جدّا، وكتب

---

[1] _عبد الله بن فرّاج : مرويات خلافة عبد الملك، ص297.

[2] _ابن عبد ربّه : العقد الفريد ، ج4، ص289 .والبيت لسويد ابن كاهل اليشكري في عينيّته ، ويقول فيه:
كيف يرجون سقاطي بعدما لاح في الرّأس بياض وصلع. أنظر ديوان سويد اليشكري، ص 32.

[3] _الخرق هو الحمق، وقد سبق شرحها في الرّسالة رقم 87.

[1] _ابن عبد ربّه : العقد الفريد، ج4، ص289.

معهما كتابا إلى أهل العراق، يقول لهم:

إنْ كان يُرضيكم منّي عزل الحجّاج عنكم عَزلتُه عنكم، وبعثتُ إليكم أُعطياتكم مثل أهل الشّام، وليختر ابن الأشعث أيّ بلدٍ شاء، يكونُ عليه أميرا ما عاش وعشتُ، وتكون إمرة العراق لمحمّد بن مروان.

وقال في عهده هذا: **فإن لم تُجب أهل العراق إلى ذلك فالحجّاج على ما هو عليه، وإليه إمرةُ الحرب، ومحمد بن مروان وعبد الله بن عبد الملك في طاعة الحجّاج وتحت أمره، لا يخرجُون عن رأيه في الحرب وغيره»**[1].

فلمّا علم الحجّاج بذلك كتب إليه:

«والله لئن أعطيتَ أهل العراق ما يُحبّون من نزعي، وعرفوا أنّك تحبّ مُداراتهم، لم يلبثوا إلاّ قليلا حتّى يخالفوك، ويسيروا إليك، ألم تسمع بوثوب أهل الكوفة على عثمان، فلمّا سألهم عمّا يريدون قالوا: انزع سعيد بن العاص، فلمّا نزعه لم تتمّ لهم السّنة حتى ساروا إليه فقتلوه، وإنّ بعض الشدّة أبلغ في السّياسة، وأحزم في الرأي، فإنّ الحديد بالحديد يفلح، خار الله لك فيما ارتأيت»[2].

وأبى عبد الله إلاّ عرض هذه الخلال على أهل العراق طلبا للعافية، فرفضوا واستمروا في خروجهم وأقرّ عبد الملك الحجّاج وندبه لقتالهم، فهزمهم ونكّل بهم[3].

لقد جرّب عبد الملك جميع السّبل مع ابن الأشعث، وأبى كعادته مع منافسيه إلّا أن يطرق الأساليب الدّبلوماسيّة والمفاوضات، تجنّبا للفتنة وإراقة الدّماء، ووضع له على طاولة الحوار عروضًا مُغرية ولكن بلا جدوى.

فنظرًا لقوّة التّمرّد واتّساع المساحة الجغرافية التي تمّ السيطرة عليها إزدادت مخاوف الخلافة الأمويّة من النّتائج الوخيمة التّي قد تَنجُم عن نجاح المتمرّدين، لذلك حوّل عبد الملك ابنه وشقيقه للتّفاوض مع ابن الأشعث بشأن استسلامه ومُؤيّديه، لقاء شروط تحفَظ وِحدة الأمة، وهي عزل الحجّاج عن العراق ومنح أهل العراق عطاءً مساويا لأهل الشام، ومنح ابن الأشعث أيّ ولاية شاء في العراق مدى الحياة طالما كان

---

[1] _ ابن كثير: المصدر السّابق، ج9، ص 35. وعند البلاذري: "**وكتب إليه – يقصد أخاه محمّد – بمثل ما أوصى به ابنه عبد الله وقوم يزعمون أن محمّدا كان حاضرا فأوصاه مشافهة والأوّل أثبت**". أنساب الأشراف، ج7، ص 337.

[2] _ البلاذري: أنساب: ج7، ص 337، ابن كثير: المصدر السابق، ج9، ص 35.

[3] _ البلاذري : أنساب، ج7، ص 337 وما بعدها.

عبد الملك خليفة[1].

ولكن من حُسن حظِّ الحجّاج أنّه لمّا عُرضت الفكرة على أهل العراق رفضوها بقوّة مع أنّ ابن الأشعث قبِلها، وحثّهم على قبولها، بل جدّدوا الخَلع، وكان الأَوْلى بابن الأشعث أن لا ينساق لما تطلبه الجماهير، فقد ضاعت فُرصة كبيرة في التّخلص من الحجّاج، وكان بإمكانهم رفع سقف المطالب، والضغط على عبد الملك حتّى يستجيب لرفع المظالم، وإقامة العدل المنشود، ولكن يبدو أنّ الحِسّ السّياسي لدى زعماء ثورة ابن الأشعث كان غائبًا، كما أن مبايعة أهل العراق لابن الأشعث جاءت في لحظاتٍ عاطفيّة ثوريّة حماسيّة، ولم تكن نتيجة لمعرفةٍ تامّة به، ففضّلوا القتال، وكانت النّتيجة هزيمة ساحقة لهم في دير الجماجم بعد مئة يوم من القتال المرير[2].

- جواب عبد الملك إلى الحجّاج حين استغاثه في حرب ابن الأشعث الأخيرة:

-520 -

قال اليعقوبي ومن تابعه في روايته: «وأقبل الحجّاج من البصرة إلى ابن الأشعث، فسلك في البَرّيّة حتّى نزل قريبًا منه، وخرج ابن الأشعث فنزل دِير الجماجم، وجُعلت خيلهما تروح وتغدُو للقتال، وأهل الكوفة يستَعلُون على خيل الحجّاج ويهزمونهم في كلّ يوم، فاشتدّ على الحجّاج ما رأى من ذلك، وكتب إلى عبد الملك كتابًا بعث به بِأَحثّ سَيرٍ: أمّا بعد، فيا غوثاه ثمّ يا غَوْثاه[3]! فلمّا قرأ عبد الملك الكتاب كتب إليه:

أمّا بعد ، فيا لَبّيْك ثمّ يا لَبّيْك ، ثمّ يا لبّيْك، ثمّ وجّه جيشا بعد جيش، وكانت وقائِعهم كثيرة شديدة أُخراهنّ وقعة مَسكَن هزمُه فيها الحجّاج»[1].

لقد كانت حركة ابن الأشعث في بداياتها قوّية مُؤثّرة، وتحّولت إلى الإتّجاه الذي يُريده غالبيّة المساهمين فيها من الفرس الذّين كان عددهم يساوي عندئذٍ جنده من العرب، ولكن نتيجة المواجهة العسكرية التّي أرادوها في دير الجماجم جاءت مُخيبّة لآمالهم، فانتهى التمّرد، وعادت وحدة الأمّة كما كانت، سليمة قوية، بفضل حَزم وإرادة قادتها الأكفاء، وبقي الفرس يحلمون بزوالها، وينتظرون فُرصًا أخرى للإنقضاض عليها،

---

(1) _ابن كثير: البداية والنهاية، ج9، ص35، عربيّة قاسم أحمد: دور المال في سياسة خلفاء العصر الأموي، ص293، عبد الجبّار محسن: الأمير محمد بن مروان، ص 78 .

(2) _ تاريخ خليفة، ص176 وما بعدها، تاريخ الطبري، ج6، ص357 وما بعدها، الصّلابي : الدّولة الأموية، ج1، ص641.

(3) _عند المسعودي: "واغوثاه يا الله ، واغوثاه يا الله".

(1) _تاريخ اليعقوبي، ج2، ص278، المسعودي : مروج الذّهب، ج3، ص94، محمد ماهر: الوثائق، ص324 .

وذلك بالإنضواء تحت راية حركة أخرى مناهضة[1].

- رسالة عبد الملك إلى الحجّاج بقتْل بعض الأسرى في حَربه ابن الأشعث:

-521 -

عن أبي معشر عن عون قال: «حاصر المهلّب أصحاب ابن الأشعث وأسَر منهم اثنا عشر رجلاً من وجوه النّاس عامّتُهم من قُريش، فبعث بهم إلى الحجّاج فحبسهم عنده، وكتب إلى عبد الملك يُخبره بأمرهم، وجعل يذكر في كتابه أنّ سعيد بن جُبير قد أنكر الخروج مع هؤلاء: **فكتب إليه عبد الملك:**

يأمُره بِضرب أعناقِهم ويقول في كتابه: لم أبعثْك مُشَفِّعًا، وإنّما بعثتُك مُنفِّذًا مُناجزًا لأهل الخِلاف والمَعصية .

فأبرزهم الحجّاج وقتلهم»[2].

وفي اعتقادنا أنّ هذا الأمر لم يكن من عبد الملك وهذا ما تؤكّده رواية خليفة الموالية، إذ لو كان أمر بذلك لماذا يلوم الحجّاج فيما بعد على القتل وتبذير الأموال في حرب ابن الأشعث، ويَحكُم عليه في العمْد القُود، وفي الخطأ الدّيّة، وفي الأموال ردّها إلى مواضعها؟![3] بل ممّا كتب له: «وإذا أعطاك الظّفر على قوم فلا تَقتُلّن جانحًا ولا أسيرًا»[4]، وأوصاه كما في الرسالة اللاحقة بأن لا يقتل إلّا من نصب راية ، وهذا كلّه يدفعنا إلى رفض مثل هذه الرّوايات التّي تُبالغ في تعامل عبد الملك مع أصحاب ابن الأشعث، وتضخّم الأحداث أكبر من نصابها.

- رسالة عبد الملك إلى الحجّاج في التعامل مع أصحاب ابن الأشعث:

-522 -

عن علي بن محمّد بن عبيد الله بن عمر البكراوي قال: كتب عبد الملك إلى الحجّاج بعد فتنة ابن الأشعث:

«أن ادعُ النّاس إلى البيعة، فمن أقَرَّ بالكُفر فخلِّ سبيله، إلاّ رجُلاً نَصَب رايةً أوشَتم أمير

---

[1] _ عبد الواحد ذنون : مواقف ودراسات، ص320

[2] _ابن قتيبة : الإمامة والسّياسة، ج2، ص386، محمد ماهر: المرجع السّابق، ص386.

[3] _ انظر الفصل الأول من الباب الثاني في رد مظالم الحجّاج.

[4] _ انظر الرسالة رقم 109 – أ -.

المؤمنين، فدعا النّاس إلى البيعة على ذلك»[1].

رواية أخرى لما سبق

-أ-522

أمّا ابن عبد ربّه فقال باختلاف عمّا سبق: «وكان عبد الملك كتب إلى الحجّاج في أسرى الجماجم: **أن يعرِضَهم على السيّف، فمن أقَرَّ منهم بالكُفر بِخروجه علينا فخلِّ سبيله، ومن زَعم أنّه مُؤمن فاضرب عُنقه**، ففعل»[2].

لقد أبانَت هذه الرّسالة عن منهجٍ واضح من عبد الملك في التّعامل مع مُؤيّدي ابن الأشعث، إذ أنّ إقرارهم بالكفر على فعلتهم دليلٌ على توبتهم وندمهم، أمّا إذا أقرّوا بإيمانهم مع ما فعلوا فذلك يعني من وجهة نظر عبد الملك أنّهم لا يزالون على خُروجهم وتمرّدهم، يتقرّبون إلى الله بذلك، فهم أشبَه بالخوارج لذا فلا سبيل معهم عندئذٍ إلاّ لُغة السّيف والقتل، حتى لا تعود وقائع يوم الزّاوية[3] ودير الجماجم.

فلمّا وصل كتاب عبد الملك إلى الحجّاج دعا النّاس إلى البيعة، وقرأ عليهم الكتاب فنَهض عمران أن بن عصام[4]، فدعا به الحجّاج فقال: أتَشهد على نفسك بالكُفر؟ قال: ما كفرتُ بالله منذ آمنت به، فقتله[1].

هذا ونشير في هذا المقام أنّ الدّراسة الجادّة لسياسة الحجّاج تُظهر لنا مواقف كثيرة تدلّ على أنّه كان ينبُذ سياسة الشّدّة، ويَظهر فيها من اللّين والتسّامح ما يَدحض الكثير من الإتّهامات الموجّهة نحوه، فقد كان يفسح أمام الأسرى في فتنة ابن الأشعث مجالاً لمُناقشته وحواره ويعفو عنهم[2]، إنّ هذا يبيّن بوضوح

---

(1) _تاريخ خليفة ، ص177، ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج43، ص516 وقد أخذ روايته عن خليفة بن خياط بالسّند نفسه.

(2) _العقد الفريد،الرّواية الأولى، ج5، ص312 الرّواية الثانية باختلاف قليل، ج2، ص296، أحمد زكي: جمهرةرسائل،ج2، ص197.

(3) _الزّاوية موضع قُرب البصرة كانت به الواقعة المشهورة بين عبد الرّحمان بن محمد بن الأشعث والحجّاج، قُتل فيها خلق كثير من الفريقين، وكانت الوقعة في المحرم سنة 82 هـ، وقال الطبري محرم 83هـ ، وكان القتال فيها شديدًا، انتصر فيها الحجّاج. تاريخ خليفة، ص178، تاريخ الطبري، ج6 ، ص368 ، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج3، ص128.

(4) _هو عمران بن عصام أبو عمارة الضّبعي من أهل البصرة، وفد على عبد الملك لمّا أرسله الحجّاج ليُزيّن له بيعة الوليد، كان أعوَرًا شريفًا من بني هميم، ولكن الحجّاج قتله لخروجه مع ابن الأشعث سنة 83 هـ. تاريخ خليفة، ص177، 178، ابن عساكر: المصدر السّابق، ج43، ص509، الذهبي: تاريخ الاسلام، ج3، ص63.

(1) _تاريخ خليفة، ص177، 178، ابن عساكر: المصدر السابق، ج43، ص516، 517، وقد ذكر خليفة بن خياط أنّ هذا الأمر كان بعد الزاويّة سنة 82هـ.

(2) _ومن ذلك أنّ الحجّاج عفا عن مُطرّف بن عبد الله لما أقرّ بالكفر. انظر ابن عبد ربّه: العقد، ج2، ص297.

أنّ سياسة الحجّاج لم تكن كلّها شدّة وقسوة، ولم يكن الكره هو الذّي يوجّه سياسته، فالذّي كان يوجّهها هو إقرار الأمن في العراق، وتثبيت الحكم الأمويّ فيه، فقد كان يشتغل لدولته بالدّرجة الأولى ويعمل لأجلها[1].

- رسالة عبد الملك إلى الحجّاج يأمره أن يشغل أهل العراق بالغزو بعد فتنة ابن الأشعث:

-523 -

بعد انتهاء فتنة ابن الأشعث كتب عبد الملك إلى الحجّاج:

«أن جَمِّر[2] أهل العراق وتابع عليهم البُعوث، واستَعِن عليهم بالفَقر، فإنّه جُند الله الأكبر.

ففعل ذلك بهم سَنتين»[3]، أي من سنة 85هـ إلى 87 في فتوحات المفضّل بن المهلّب وقتيبة بن مسلم بخراسان[4].

وجدير بالذّكر هنا أنّ هذه الثّورة كان لها الأثر الكبير، وبخاصّة طريقة قمعها، فقد عمّقت الجراح بين أهل العراق والدّولة الأمويّة لكثرة من قُتل فيها، وبخاصّة من الفقهاء والقراء، وكلّفت الكثير من الأرواح والأموال، وازداد أهل العراق نُفورا من بني أميّة[5].

- رسالة عبد الملك إلى قتيبة بن مسلم ليردّ إليه الشّعبي :

-524 -

عن علي بن عثام عن أبيه قال: خرج الشّعبي مع القرّاء على الحجّاج في فتنة ابن الأشعث ، فطلبه الحجّاج فهرب إلى خراسان لمّا سمع بولاية قتيبة عليها ، «**فكتب عبد الملك إلى قتيبة بن مسلم في طلبه وردِّه إلى حضرته**»[1].

وفي هذه الرّواية نظر إذ أنّ الحجّاج عفا عن الشعبي، وإنّما طلب منه أن يرسله إليه يستأنس برأيه وقد

---

[1] _عبد الواحد ذنون طه : العراق في عهد الحجّاج، ص232.

[2] _جمّر الجند أي أبقاهم في ثغر العدوّ ولم يُقفلهم، وحبسهم عن العَود إلى أهلهم، وقد نُهي عن ذلك. لسان العرب، مج1، ص675، مادة جمر ، مرتضى الزبيدي : تاج العروس، ج10، ص46، مادة جمر.

[3] _البلاذري : أنساب، ج7، ص358.

[4] _انظر في ذلك تاريخ الطّبري، ج6 ، ص 424 .

[5] _شحاذه النّاطور : المرجع السّابق، ص126.

[1] _ابن عساكر : تاريخ دمشق ، ج25، ص393 - 395.

بعثه سفيرا إلى ملك الرّوم[1].

- رسالة الوليد إلى خالد القِسري فيمن هرب من العراق إلى مكّة بعد فتنة ابن الأشعث:

-525 -

قال ابن تغري بردي: كان سعيد بن جبير ممن خرج مع ابن الأشعث، فلمّا فشلت الثّورة هرب إلى مكّة مستجيرًا بالله، ومُلتجئًا إلى حرم الله، فبعث به خالد القسري إلى الحجّاج، وكان الحجّاج كتب إلى الوليد: «إنّ جماعة من التّابعين قد إلتجؤوا إلى مكّة، فكتب الوليد إلى عامل مكّة خالد القسري بعد عزل عمر: **إحمِلهم إلى الحجّاج.**

وكانوا خمسة:سعيد بن جُبير،وعطاء[2] ومُجاهد [3] وعمرو بن دينار[4] وطَلق بن حبيب[5]،فأمّا عمرو وعطاء فأُطلقا،وأمّا طلق فمات في الطّريق،وأمّا مجاهد فحُبس حتى مات الحجّاج،وأمّا سعيد بن جُبير فقُتل»[1].

رواية أخرى لما سبق

-525-أ

أمّا اليعقوبي فقال: «وكتب الوليد إلى خالد بن عبد الله القسري عامله على الحجاز:

يأمُره بإخراج من بالحِجاز من أهل العِراقَين وحَملهم إلى الحجّاج بن يوسف.

---

[1] _الأصفهاني: الأغاني، ج 8، ص 3687، ابن عساكر : المصدر السّابق، ج25، ص386 .

[2] _هو عطاء بن يسار مولى ميمونه أمّ المؤمنين، من تابعي أهل المدينة ، كان إمامًا فقيهًا حجّة، كبير القدر ملازمًا للمسجد، مات سنة 103 وقيل 97هـ. ابن عساكر: المصدر السابق، ج40، ص437-441، الذهبي: سير أعلام، ج4، ص449.

[3] _مجاهد بن جبر المكّي الفقيه مولى عبد الله السّائب القارئ، قدِم على سليمان وعمر، وشهد وفاته، كان عالما بالتّفسير، غزير العلم، مات ساجدًا سنة 102 هـ وقيل 103، وقيل 104. ابن عساكر: المصدر السابق، ج57، ص17-24، الذّهبي: سير أعلام، ج4، ص449-456.

[4] _عمرو بن دينار أبو محمّد الجُمحي، أحد الأعلام وشيخ الحرم في زمانه، ولد في إمرة معاوية سنة 45 هـ، وعُدّ في كبار التّابعين، أفتى بمكة ثلاثين سنة، قال عنه الزهري: "لم يكن بأرضنا أعلَم من عمرو بن دينار"، توفي سنة 126 هـ. الذهبي: سير أعلام، ج5، ص300-307، ميزان الإعتدال، ج4، ص260. الزركلي: الأعلام، ج5، ص77.

[5] _طلق بن حبيب تابعي جليل بصري زاهد، كان طيّب الصّوت بالقرآن، روى عن جابر وأنس، وابن عبّاس وابن عمر، قيل أنّه كان يرى رأي المرجئة، وكان ممّن خرج مع ابن الأشعث، فقتله الحجّاج سنة 93 هـ، وقيل لم يقتله وإنّما مات قبل أن يصل إليه. الذهبي: سير أعلام، ج4، ص601-603، ابن كثير: المصدر السابق، ج9، ص85.

[1] _النجوم الزّاهرة، ج1، ص292 ، ابن الأثير :الكامل ، ج4، ص280.

فبعث خالد إلى المدينة عثمان بن حيان المُرّي لإخراج من بها من أهل العراقين، فأخرجهم جميعًا إلى الحجّاج»[1].

فهؤلاء بايعوا عبد الملك على السّمع والطّاعة ، ثمّ البيعة والعهد ، ومنهم سعيد بن جبير[2]، ومن ثمّ فالقتل في حقّ هؤلاء مبرّر ، غير أنّه لو عفا عنهم الحجّاج لكان أسلم لدينه .

لقد أثبتت هذه الرسالة أنّ مُخلّفات ثورة ابن الأشعث طَالت الرّجال الصالحين، فقد استمر تتبّع أثر من شارك فيها حتّى عهد الوليد بن عبد الملك، بوِشايةٍ وتأليب من الحجّاج الذي كانت له نفس تحبّ العُلوّ في الأرض، ولا تقبل أن يقف في طريقها عظيمٌ من العظماء، أو سيّدٌ من السّادات، فإن فعل أحد شيئًا من ذلك هاجت تلك النّفس، ولم تُبالِ بشيء في سبيل تأييد سلطانها ونفاذ كلمتها، وإذ كانت لتلك النفس قوّة، فهناك العذاب الأكبر والعسف الشّديد، فعاقب أهل العراق، وأذلّ عظماءهم، حتّى لم يكن عندهم إمتناع، أسرف في القتل والجور لتأييد سلطانه، وسلطان من وَلّاه، حتى انتهى أمره إلى السّلطان القاهر والكلمة التي لا تُرّد[3]، لذلك وقف القراء منه موقف العداوة وساندوا ابن الأشعث[4].

لقد وقف القراء إذًا مع ابن الأشعث صفًّا واحدًا ضدّ الحجّاج، مواجهة لظلمه وإبقائه الجزية على من أسلم، وتأخيره الصّلاة، واستمرّوا في القتال مع ابن الأشعث إلى آخر لحظة[1]، فبناءُ الدّولة الأمويّة كدولة تتصرف بمنطق القوّة جعل القُرّاء يدخلون في صدام معها ومع من يتصدّرون النُطق باسمها، لقد دخل القّراء في صراع مع الدّولة الأمويّة في الوقت الذّي أخذت تُقيم فيها مؤسّساتها كدولة[2]، ومع هذا ليس للمرء أن ينظر إلى هؤلاء على أنّهم يُؤلّفون طبقة محدّدة، بل هم كانوا غير واضحي المعالم، كذلك لم يكونوا يُؤّلفون حزبًا سياسيًا ذا برنامج مُحدّدٍ ثابت[3].

---

(1) _تاريخ اليعقوبي، ج2، ص290،وفي أنساب الأشراف عن عمرو بن قيس:"**فكتب الوليد إلى خالد القسري فيهم**"، ج7، ص367، تاريخ الطبري، ج6، ص488، ابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص318.

(2) _سعيد بن جبير كان ممن بايع عبد الملك فجعله الحجّاج على نفقات الجند لمّا بعثه مع ابن الأشعث فخرج معه، لذلك قتله. انظر: ابن كثير: المصدر السابق، ج9، ص81، وكان سعيد بن جُبير يقول في حكم بني أميّة:

يا دولة الجُور قد طالت لياليها وطال تعذِيبُنا من فِسق واليها.

يُسارُ فينا بما لـوْ سِير في جُـزر لاشتّـــد محمية منها لـــواليها. ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج3، ص1364.

(3) _محمد الخضري : الدّولة الأمويّة، ص368.

(4) _انظر في قائمة القرّاء الذين خرجوا على ابن الأشعث. تاريخ خليفة، ص180، 181.

(1) _انظر في ذلك المصدر نفسه، ص180، ابراهيم رمّاش: دراسة في برامج ثورات غير الخوارج، ص112.

(2) _علي أو مليل : السّلطة الثقافية، ص35.

(3) _فلهوزن : أحزاب المعارضة، ص19.

الفصل الرّابع:

رسائلهم إلى المُلوك المُجاورين

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أوّلا– الرّسائل الخاصّة بالعلاقات والمَصالح بين الأمويين والرُّوم:

-رسالة معاوية إلى ملك الرّوم في الهُدنة:

-526-

شغل معاوية بن أبي سفيان في بداية ولايته بتهدئة الأوضاع الدّاخلية، خاصّة بإقليم العراق الذّي لا يزال يضمر العداء للأمويّين بالشّام[1].

قال ابن طباطبا: «و أرسل معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى ملك الرّوم رسولاً من أقاربه، كان يعتمِد عليه لتقرير أمر الهُدنة[2]، **واشتَرط معاويةُ شُروطًا غَليظةً**، فلمّا حضر الرّسول عند ملك الرّوم إجتهد على تحقيق الشّروط، فلم يقبل فخَلَا به ملك الرّوم وأغْراه بالمال حتّى خفّف الشّروط، وأمضى الهُدنة، ثمّ رجع إلى معاوية، فلّما نظر معاوية في الكتاب عِلم بالحال، فقال له: ما أراك عمِلت إلاّ لهُ وعَزَله»[3].

هذا ما جاء في الرّواية التّي لم تذكر نصّ الهُدنة، وما جاء فيها من شروط، فهل صحيحٌ أنّ رسول معاوية أُغرِيَ بالمال وتدّخل في تخفيق الشّروط وتقديم التّنازلات؟!

وإنّ صحت الرّواية فالظّاهر أنّ هذه الشّروط كانت لصالح معاوية ودولته، باعتباره يرى نفسه في موضع قوّة، لذلك لم يرضَ بالتّنازلات التي قدّمها رسوله فجعل عقوبته عزله، إلّا أنّ الروم غدرت بالمعاهدة، فلم يستحل معاوية والمسلمون قتل من في أيديهم من رهنهم، وخلوا سبيلهم وقالوا: وفاء بغدر، خير من غدر بغدر[4].

- رسالة عبد الملك لمُوادعة ملك الرّوم:

-527-

صالح عبد الملك ملك الرّوم على ألف دينار في كلّ جمعة لشُغله عن محاربته بالقلاقل الدّاخليّة، واقتدى في صُلحه هذا بمعاوية حين شُغل بحرب أهل العراق، فإنّه صالحهم على أن يَودِّي إليهم مالاً[5].

فعن يونس بن ميسرة قال: «وتولّى عبد الملك الخِلافة والفِتن في كلّ مكان، فقضى على عمرو بن

---

[1] _البلاذري : فتوح البلدان ، ص 218.

[2] _لعلّه جُنادة بن أبي أميّة الذي شتّى بأرض الرّوم سنة 58، 59 هـ . انظر تاريخ الطبري، ج5، ص315.

[3] _الفخري ، ص73.

[4] _البلاذري : فتوح البلدان ، ص 217.

[5] _المصدر نفسه، ص218.

سعيد، وحاصر زفر بن الحارث، وسمِع بتقدّم طاغية الرّوم إلى الشّام، فلمّا ورد دمشق وجّه حُميد بن حريث بن بحدل الكلبي[1] بهدايا وألطافٍ إلى طاغية الرّوم، **وكتَب إليه معه يسألُه المُوادعة على إتُاوة**، وأعطاه إيّاها، كما فعل معاوية حين إتيان العراق، فقبل الطّاغية الهدايا وما بذل له عبد الملك من الإتاوة، وأعطاه رهنًا من أبناء الرّوم صيّرهم ببعلَبك»[2].

فعبد الملك صالحه لانشغاله بمحاربة الخارجين عليه، واقتدى في صلحه بمعاوية حين شغل بحرب أهل العراق، فإنّه صالحهم على أن يؤدّي إليهم مالا وارتهن منهم رهائن، إلّا أنّ الرّوم غدرت بعد ذلك فوجّه عبد الملك أخاه مسلمة فانتقم منهم[3].

فالذّي يظهر لنا أنّ ملك الرّوم البيزنطيين قد استغلّ مرور الدّولة الإسلاميّة بحالة من الإضطرابات الدّاخلية التي شهدتها بين الخليفة ومعارضيه، وصراعاتٍ آلت إليها الخلافة، فعُقِدت هذه العهود التي التزم بها بنو أميّة، سواء بحقبتها المُحدّدة في العقد، أو الإلتزامات التّي تضّمنتها، ولم يذكر المؤرّخون أنّ خلفاء بنّي أميّة قد نقَضوا العهد بينهم وبين الطّرف الآخر إلاّ بعد إنقضاء مُدّته، وهذا ما يّوضح إلتزامهم بالشّريعة الإسلاميّة وأحكامها.

على أنّ استمرار الصّراع الحربي بين الدّولتين عبّر عن أحد مساوئ دبلوماسيّة ذلك العصر، وفشلها في حلّ العديد من المشكلات ، إذ أنّ هذه الدّبلوماسيّة كانت في أحد جوانبها إستعراضا للقوّة قام به كلا الطّرفين، الأمر الذّي أسهم بهذا القدر أو ذاك في تصعيد حدّة التّوتّر بينهما، في حين نجحت هذه الدّبلوماسيّة في حلّ أهمّ المشكلات المعلّقة بينهما، تلك هي قضيّة أسرى الحرب، إذ تمّ تنفيذ عدّة عمليّات لتبادلهم دون وساطة جهة ثالثة[4]، ولعلّ هذا الأمر بحدّ ذاته عبّر عن إمكانيّة التّفاهم المباشر بين الدّولتين، على أنّ هذا لم يشمل إنهاء حالة الحرب بينهما.

---

[1] _حُميد بن حريث بن بحدل من وجوه دمشق وفرسان قحطان، ولي الشّرطة ليزيد بن معاوية، وكان مقرّبًا عند عبد الملك. ابن عساكر: المصدر السابق، ج15، ص276، 277.

[2] _البلاذري: أنساب، ج7، ص42.

[3] _البلاذري: فتوح، ص219.

[4] _أنظر في فداء الأسرى ابن عساكر: تاريخ دمشق ، ج3 ، ص419، وكذا دعوة ملك الرّوم إلى الإسلام ابن الجوزي: سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص 195.

- ردّ الوليد على ملك الرّوم بعد هَدم كنيسة دمشق:

-528 -

لما ولّي معاوية بن أبي سفيان أراد أن يزيد كنيسة يوحنّا في المسجد الجامع بدمشق، فأبى النّصارى ذلك فأمسك[1]، ثمّ طلبها عبد الملك بن مروان في أيّامه بمثل ما كان طلبها معاوية، وبذل لهم مالاً فأبَوا أن يُسلّموها إليه، ثمّ إنّ الوليد بن عبد الملك جمعهم في أيّامه، وبذل لهم مالاً عظيمًا على أن يُعطوه إيّاها فأبَوا، فقال: لئِن لم تفعلوا لأهدِمنّها، فهدمها بعد ذلك وأدخلها في المسجد[2].

[كتاب ملك الرّوم] قال خالد بن سعيد القرشي فيما يرويه عن أبيه[3]: لما هدم الوليد كنيسة دمشق كتب إليه ملك الرّوم: إنّك هدمت الكنيسة التّي رأى أبوك تركها فإن كان صوابًا فقد أخطأ، وإن أخطأ فما عُذرك؟

[ردّ الوليد] فكتب إليه:[4] **﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ[5]إِذْ نَفَشَتْ[6]فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينْ﴾»** [7].

ولمّا استخلف عمر بن عبد العزيز شَكى إليه النّصارى ذلك، فكتب إلى عامله يأمره بردّ ما زِيد في المسجد منها عليهم، فكَرِه أهل دمشق ذلك، فأقبل الفُقهاء على النصّارى يسألونهم أن يُعرضوا على طلبهم مُقابل أن يرجعوا إليهم كنائسهم الأخرى فأبوا[8]، فعوّضهم عمر كنيسة أخرى من كنائس دمشق لم تكن في صُلحهم[9].

---

(1) _قال البلاذري: "لمّا حاصر خالد بن الوليد مدينة دمشق سنة 14هـ صالحهم وكتب لهم:" بسم الله الرّحمان الرّحيم، هذا ما أعطى خالد بن الوليد أهل دمشق إذ دخلها، أعطاهم أمانًا على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم، وسور مدينتهم لا يُهدم، ولا يُسكن شيء من دورهم...إذا أعطوا الجزية". فتوح البلدان، ص166. ولعلّ هذا ما جعل معاوية يمسك عن عزمه.

(2) _قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة، ص294.

(3) _ في عيون الأخبار و العقد الفريد عن الرّيّاشي.

(4) _ سورة الأنبياء الآية 78.

(5) _أورد ابن عساكر هذا الجزء من الروايّة وقال بعدها" إلى آخرها" دون أن يكمل الآية.

(6) _نفشت الغنم إذا رعت ليلا بلا علم صاحبها وبلا راعي. لسان العرب، مج6، ص4504، مادة نفش.

(7) _ابن قتيبة : عيون الأخبار، ج1، ص297، ابن عبد ربّه: العقد، ص72، ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج63، ص177، ابن منظور: مختصر، ج26، ص322، وقيل كتب له :﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكَلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾الأنبياء 79 .انظر ابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص269، ابن كثير: المصدر السّابق، ج9، ص122، ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ج1، ص183.

(8) _قُدامة بن جعفر: المصدر السّابق، ص294، 295.

(9) _ابن فضل الله العمري : المصدر السّابق، ج1، ص190.

- كتاب الوليد إلى صاحب أرمينيّة يأمُره أن يكتب إلى مَلك الرّوم:

-529 -

عن محمّد بن عائذ عن الوليد قال:« إنّ الوليد بن عبد الملك لما عزم على غَزو الطُّوانة[1] **كاتَبَ طاغيةُ الرُّوم بكُتبٍ أمَر صاحب أرمينيَّة أن يَكتُب بها إليه، ممّا اجتمعتْ به خَزَر من غزوة، وقِلَّة من معه، وكثرة من يَتخَوَّفُه من خَزر، ومن تَأشَّبَ[2] إليهم من مُلوك جبال أرمينيّة ومن فيها من الأُمم المُخالِفة للإسلام.**

ففعل ذلك صاحب أرمينيّة، وتابع كتبه، وقطع الوليد البعث على أهل الشّام إلى أرمينيّة، وأكثَفه وجهّزه وقوّاه، واستعمل عليه مسلمة بن عبد الملك، وأعانه العباس بن الوليد، حتّى يبلغ جِهازهم ما يُريد، ثمّ سيّرهم إلى الجزيرة، ثمّ أعْطفهم إلى أرض الرّوم»[3]، ثمّ هاجموا الجراجمة وأوقعوا بهم وافتتحوا مدينتهم، وذلك سنة 89 هـ[4].

رواية أخرى لما سبق

-529-أ-

أمّا ابن الأثير فقال في حوادث سنة 88 هـ: «وفي هذه السّنة غزا مَسلمة بن عبد الملك والعبّاس بن الوليد بلد الرّوم، وكان الوليد **قد كتب إلى صاحِب أرمِينيَّة يأمرُه أن يكتب إلى ملِك الرّوم يُعرِّفه أنّ الخَزَر[5] وغيرهم من مُلوك جبال أَرمينيّة قد أجمَعُوا على قصْدِ بلاده.**

ففعل ذلك، وقطَع الوليد البعث على أهل الشّام إلى أرمينيّة، وأكثر وأعظم جهازه، وساروا نحو الجزيرة ثمّ عطفوا منها إلى بلد الرّوم، فاقتتلوا هم والرّوم فانهزم الرُّوم»[6].

إنّ الذّي يظهر لنا من خلال الرّسالة هو حرص الوليد على محاربة الرّوم وتأديبهم، فجعل حالة إستنفار قصوى في المناطق الحدوديّة المتاخمة لبلادهم، ورأى أنّ خير وسيلة للدّفاع هي الهجوم، واستمر العمل بهذا المنهج مع الرّوم إلى آخر خلافة الوليد، وكان مسلمة بن عبد الملك هو صاحب المهمّة والقيادة

---

(1) _الطّوانة بلد بثغور المصّيصة على أرض الرّوم، كان يزيد بن معاوية يغزو منها الرّوم. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج4، ص45.

(2) _أي اختلط معهم. لسان العرب ، مج1، ص84، مادة أشب.

(3) _ابن عساكر : تاريخ دمشق، ج26، ص443.

(4) _البلاذري: فتوح، ص 220.

(5) _الخزر هي بلاد التّرك. معجم البلدان، ج2، ص367، 368.

(6) _الكامل في التاريخ، ج4، ص246، النّويري: نهاية الإرب، ج21، ص188.

العسكرية، وقد كان معاوية قبل هذا أوصى آل بيته قائلاً: «أنْ شدُّوا خِناق الرّوم فإنّكم تضبِطون بذلك غيرهم من الأُمم»[1].

ثانـــيا: رسائل تهديدٍ وإجابات لـــملِك الـــرُّوم:

- جواب معاوية إلى ملِك الرّوم حين سأله:

-530 -

عن ابن عباس قال: «أنّ ملك الرّوم كتب إلى معاوية يسأله عن أحبِّ الكلام إلى الله عزوجلّ، ومن أكرم العباد على الله عزّ وجل، ومن أكرم الإماء على الله عزّ وجلّ، وعن أربعة فيهم الرّوح لم يَركُضوا في رَحِم، وعن قبرٍ سار بصاحبه، وعن مكان في الأرض لم تطلع فيه الشّمس إلاّ مرّة واحدة، وعن قوس قزح ما هو؟ وعن المجرّة، فبعث معاوية فسأل ابن عبّاس عنهُن، فكتب ابن عباس إليه:

«أمَّا أحبّ الكلام إلى الله فسُبحان الله، والحمدُ لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله، وأكرمُ العباد على الله آدم، خلَقه بِيده، ونَفَخ فيه من رُوحه، وأَسْجَد له ملائكته، وعلّمه أسماء كلِّ شيء، وأكرمُ الإماء على الله مريم بنت عمران، وأمَّا الأربعة الذِّين لم يركُضوا في رَحِم فآدم وحوّاء وعَصى موسى، وكبش إبراهيم الذّي فَدَى به اسماعيل، - وفي رواية **وناقةُ صالح- وأمّا القبرُ الذّي سار بصاحبه فهو حُوت يونس، وأمّا المكان الذّي تُصِبه الشّمس إلاّ مرّة واحدة فهو البَحر لمَّا انفَلق لموسى حتّى جازَ بنو إسرائيل فيه، وأمّا قوس قُزح فأمَانٌ لأهل الأرض من الغَرق، والمجرّة بابٌ في السّماء** وفي رواية **الذّي ينشَقُّ منه.**

فلمّا قرأ ملِك الرّوم ذلك أعجبه، وقال: والله ما هي من عند معاوية، ولا من قوله، وإنّما هي من عند أهل النبيّ ، وقد ورد في هذه الأسئلة روايات كثيرة فيها، وفي بعضها نَظر والله أعلم»[2].

رواية أخرى لما سبق

-530-أ

و عن أبي جويريّة الجُرمي قال:«كتب قيصر إلى معاوية أخبِرني عمّن لا قِبْلة له، وعمّن لا أبَا له، وعمّن لا عَشيرة له، وعمّن سار به قبره، وعن ثلاثة أشياءٍ لم تُخلق في رَحِم، وعن شَيء ونصف شيء ولا

---

[1] _تاريخ خليفة ، ص143.

[2] _ابن كثير : البداية والنّهاية، ج8، ص257.

شيء، وابعث إليّ في هذه القارورة بِبُزْرِ[1] كلّ شيء، فبعث معاوية بالكتاب والقارورة إلى ابْن عبّاس فقال:

أمّا مَن لا قِبلة له فالكَعبة، وأمّا من لا أبَا لهُ فعيسى، وأمّا من لا عَشِيرة له فآدم، وأمَّا من سار به قبرُه فيُونس، وأمّا ثلاثة أشياء لم تُخلَق في رَحِم فكبش إبراهيم وناقة ثمود وحَيّة موسى، وأمّا شيءٌ فالرَّجُل له عقلٌ يعمل بعَقله، وأما نِصف شيءٍ فالرّجل ليس له عقل ويعمل بِرأيِ ذَوِي العقول، وأمّا لا شيء فالذّي ليس له عَقلٌ يعمل به، ولا يَستعين بعقل غيرِه، وملأ القارُورة ماءً وقال: هذا بُرز كلّ شيء، فبعث به إلى معاوية، **فبعث به معاوية إلى قيصر**، فقال: ما خرج هذا إلاّ من بيت نُبوّة»[2].

رواية أخرى لما سبق

-ب-530

و عن ابن مجاهد عن أبيه قال: «كتب هِرقل إلى معاوية يسأله عن ثلاثة أشياء: أيُّ مكانٍ إذا صلّيتَ فيه ظننتَ أنّك لم تُصلّ إلى القبلة، وأيُّ مكانٍ طلعت فيه الشّمس مرّة، ولم تطلُع فيه قبلٌ ولا بعد، وعن المَحوِ[3] الذي في القمر، قال فابتغى معاوية عِلم ذلك، وكان يُحبُّ أن يَعلمه من غير ابن عبّاس فلم يَجِده، فكتب فيه إلى ابن عبّاس فكتب إليهم:

أمَّا المكان الذّي إذا صلَّيتَ فيه ظَننتَ أنّك لم تُصلّ إلى القِبلة فهو ظهر الكعبة، وأمّا المكان الذّي طلعتْ فيه الشّمس مرّة، ولم تَطلع فيه قَبل ولا بعد فالبحر حين فرَّقه الله لموسى، وأمَّا المَحوُ الذي في القمر، فالله تعالى يقول: ﴿فَمَحَوْنَا ءَايَةَ اللَّيْلِ﴾ [4] **فهو المَحو**»[5].

هذه هي روايات جواب معاوية إلى ملِك الروم عن أسئلته، والتّي يظهر الإختلاف فيها بَيّنا وفي مضمون أسئلتها وأجوبتها، ثمّ إنّنا لا ندري ما هو سبب كِتابة ملك الروم بهذه الأسئلة إلى معاوية، وما غرضه منها؟ خاصّة وأنّ بعض أسئلتها تخصّ المسلمين، ثمّ هل ملك الرّوم يؤمن بنوّة محمّد حتى يقول أنّ هذا من بيت نبوّة؟ والذّي يظهر أنّ مثل هذه الرّوايات قد تكون من مبالغات الشّيعة تمجيدا لآل البيت وحطّا من قدر معاوية، وإظهاره في صورة الرّجل الجاهل بمثل هذه الأمور.

---

(1) _البُزر هو البَذر. لسان العرب ، مج1، ص274، مادة بزر.

(2) _ابن عبد ربّه : العقد الفريد، ج2، ص71، 72، محمّد ماهر: الوثائق، ص168.

(3) _المحو: هو السّواد الذي في القمر، كأنّ ذلك كان نيّراً فمُحي. لسان العرب ، مج6، ص4150، مادة محا.

(4) _ سورة الإسراء من الآية 12.

(5) _مصّنف عبد الرزّاق، ج5، ص86، رقم 9080.

- ردّ عبد الملك إلى ملك الرّوم حين تَهَدّده وتواعَدَه:

-531 -

لـمّا قضى عبد الملك على مصعب بن الزبير وأخيه عبد الله ، قطع الهدنة التّي عقدها بينه وبين الرّوم سنة 70 هـ[1] ، كما كتب شعارات إسلامية في صدوركتبه إلى ملك الرّوم[2]، وسعى إلى تعريب النّقود فضرب العملة وكتب عليها شعارات إسلامية أغاضت ملك الرّوم[3] ،

قال علي بن حسن: «كتب ملك الرّوم إلى عبد الملك بن مروان يتَهَدّده ويتوعّده، ويحلِف له ليحمِلنَّ إليه مائة ألف في البرّ، ومائة ألف في البحر، أو يُؤدّي إليه الجزِية، فسقط في دِرعِه، فكتب إلى الحجّاج: أن اكتُب إلى ابن الحنفيّة، فتهدّده وتواعَده، ثمّ أعلِمني ما يردُّ عليك[4]، فكتب الحجّاج إلى ابن الحنفيّة بكِتاب شديدٍ يتهدّده ويتواعده فيه بالقتل، قال: فكتب إليه ابن الحنفيّة:

إنَّ لله تعالى ثلاثُمائةٍ وستِّين لحظةً [في كلّ يوم] [5] إلى خَلقه، وأنا أرجُو أن يَنظر الله عزّ وجلّ إليَّ نَظرة يَمنعُني بها مِنك. قال: فبعث الحجّاج بكتابه إلى عبد الملك بن مروان، **فكتب عبد الملك بن مروان إلى ملك الرُّوم نُسخته.**

فقال ملك الرّوم: ما هذا خرج منك، ولا أنت كتبتَ به، ما خرج إلاّ من بيت نُبوّة»[6].

رواية أخرى لما سبق

-531-أ

وجاءت هذه الرّواية عند ابن كثير باختلاف قليل عمّا سبق قال: «وقيل أنّ الحجّاج لما قتل ابن الزّبير بعث إلى ابن الحنفيّة: قد قُتل عدوّ الله فبايِع، فكتب إليه: إذا بايع النّاس كلُّهم بايعتُ، فقال الحجّاج: والله لأقتُلنّك، فقال ابن الحنفيّة:

---

(1) _البلاذري : فتوح البلدان ، ص 219.

(2) _النّويري : نهاية الإرب، ج21، ص137، ابن خلدون: العبر، ج3، ص57.

(3) _البلاذري : فتوح ، ص 653، المقريزي : إغاثة الأمّة ص 126.

(4) _أشرنا إلى هذه الرّسالة في الفصل الأوّل من هذا الباب رسالة رقم 448.

(5) _إضافة من المنتظم وفي بقية المصادر غير موجود.

(6) _أبو نعيم: حليه الأولياء، ج3، ص176، ابن عساكر: المصدر السّابق، ج54، ص332، ابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص229، 230.

إنّ للّه في كلّ يومٍ في كلّ يوم ثلاثمائةٍ وستيّن نَظرةً في اللّوح المحفوظ، في كلّ نظرة ثلاثمائة وستّون قضيّة، فلعلّ الله تعالى أن يجعلني في قضيّة منها، فيَكفِنيك.

فكتب الحجّاج إلى عبد الملك بذلك، فأعجبه قولُه...**وكتب عبد الملك بكلامه ذلك– إنّ لله تعالى ثلاثمائة وستيِّن نظرة– إلى ملك الرُّوم.**

وذلك أنّ ملك الرّوم كتب إلى عبد الملك يتهدَّده بجموع من الجنود لا يُطيقها أحد، فكتب إليه بكلام ابن الحنفيّة»[1].

لقد اختار عبد الملك ابن الحنفيّة لعِلمه وأنَاتِه، وتقديره لعقله، ولجأ لأُسلوب التّهديد ليستخرج الجواب المناسب من صدره، دون أن يعلم ابن الحنفيّة بحاجة عبد الملك لهذا الجواب[2].

- كُتبٌ من عبد الملك إلى ملِك الرّوم:

-532 -

ضرب عبد الملك بن مروان الدّنانير والدّراهم الإسلامية، وهو أوّل من أحدَث ضربها في الإسلام، وكان سبب ذلك «أنّه **كتَب في صُدور الكُتب إلى الرُّوم، ﴿قُل هو الله أحد﴾، وذكر النَّبيّ ﷺ مع التّاريخ.**

فكتب إليه ملك الرّوم: إنّكم قد أحْدثتُم هذا فاتركوه، وإلاّ أتاكم في دنانيرنا من ذِكر نبيِّكم ما تكرهون، فعظُم ذلك على عبد الملك، واستشار خالد بن يزيد بن معاوية، فقال: حَرِّم دنانيرهم، واضرب للنّاس سكّة فيها ذكر الله تعالى، فضَرب الدّنانير والدّراهم، ونقش عليها: قل هو الله أحد»[3].

لقد أشارت هذه الرّواية إلى وجود عِدّة كتب ورسائل جرَت من عبد الملك إلى ملك الرّوم، لا نعرِف مضمونها، ولا أهدافها، ولعلّها كُتبٌ متعلّقة بالمصالح المُتبادلة، وشؤون الدّولة، كأيِّ كتُب تجري بين دولتين، والأهمّ هنا أنّ ما تضمّنته هذه الكتب من عبارات إسلاميّة لم تُرضِ ملك الرّوم، فراح يُهدّد عبد الملك، ويتوعّده، فتحرّكت هِمّة الخليفة إلى ضرب النّقود، ورأى صَرفها إلى الإسلام، وكَرِه الضّرب الجاري

---

[1] _المصدر السّابق، ج9، ص33.

[2] _ابراهيم خليل: الخليفة عبد الملك، ص126، وعند هذا الباحث أنّ الكتاب كان لعبد الله بن الحسن وهذا خطأ، وقد أشرنا إلى ذلك سابقًا.انظر الرسالة رقم 448.

[3] _البلاذري: فتوح ، ص 335 ، 336 ، ابن الأثير: الكامل ،ج 4 ، ص 167 ، النويري: نهاية الإرب، ج21، ص137: ابن خلدون: العبر، ج3، ص57.

عندهم من الرّوم[1].

فتعريب النّقود إذًا يعود في الأوّل والأخير إلى الصّراع بين عقيدتَي التّوحيد والتّثليث، وكذا محاولة الإستقلال النقدي والتّحرّر من التّبعية النّقدية، وذلك ما أذْكى النّزاع بين عبد الملك وملك الرّوم، وكان سببًا مُباشرًا للإصلاح النّقدي[2]، نُضيف إلى ذلك أنّ الخليفة الأموّي يرى أنّ ضرب العُملات العربيّة الإسلاميّة ضرورةٌ لازمة إقتضتها الظّروف لتدعيم البناء الإقتصادي والسّياسي القومي للدّولة العربية، خاصّة بعد أن انتقلت الدّولة من مرحل الفوضى والإضطراب، إلى مرحلة البناء والإستقرار، ولتحقيق الإستقلال الإقتصادي للدّولة العربية الإسلامية أنشأ عبد الملك دارًا الضرب السّكّة[3].

- كتابٌ من عبد الملك إلى مَلِك الرّوم مع الشّعبي:

-533 -

وعن الشّعبي قال: « أرسَلني عبد الملك بن مروان إلى ملِك الرّوم، فلمَّا قدمتُ إليه **ودفعتُ إليه كتابه** جعل يسألُني عن أشياء، فأُخبِرُه بها، فأقمتُ عنده أيّامًا، ثمّ أخذتُ جواب كتابي، فلمّا انصرفتُ دفعتُ الكُتب إلى عبد الملك، فجعل يقرأُها، ويتغيّر لونه، ويصفرُّ ويخضرّ، قال: يا شعبي علِمتَ ما كتَب الطّاغية؟ قلتُ: يا أمير المؤمنين، كانت الكتبُ مختومةً، ولو لم تكن مختومة، لمَا قرأتُها وهي إليك: قال: إنّه كتب إليَّ أنّه لم يكن ينبغي للعرب أن تُملِّك عليها إلاّ من أرسلتَ به إليَّ، قال: فقلت يا أمير المؤمنين إنّهُ لم يرَك، قال: فسرّى عنه ما كان به وضحِك»[4].

لم تذكر الرّواية ما تضمّنه كتاب عبد الملك إلى ملك الرّوم، ولعلّه كتابٌ دعاه فيه إلى الإسلام، أو لحاجةٍ عند عبد الملك ومصلحةٍ من مصالح الدّولة.

---

[1] _الخُزاعي : تخريج الدّلالات السّمعيّة، ص200.

[2] _عبد الجبّار حَمَد السّبهاني : النّقود في الإسلام، ص223.

[3] _ البلاذري : فتوح البلدان ،ص 335 ، الماوردي : الأحكام السلطانيّة ، ص274 ، تاريخ الطّبري، ج6، ص 256، القلقشندي: صبح الأعشى، ج 1 ، ص 483، حسان حلاق: تعريب النّقود، ص32.

[4] _ابن عساكر : تاريخ دمشق ، ج25، ص 386 ، ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج4، ص1477.

الخاتمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ها قد أتينا إلى نهاية هذا البحث الذّي عرضنا فيه تجربة دامت أكثر من ثمانية وخمسين سنة (58) من عمر الدولة الأمويّة، وتعرضنا فيه إلى مختلف جوانبها السياسية و العسكرية و الإقتصادية و الإجتماعية، وما نستنتجه من كل ما وقفنا عليه و على شواهده و نصوصه مايلي :

– من خلال الرّسائل يبدو جليّا أنّ الأمويّين أولوا عناية كبيرة لمراسيم ملكهم ولآل بيتهم، فرفعوا مكانتهم وجعلوا الإمامة حكرا عليهم، فأدخلوا بذلك طابع الملك على الطريقة الفارسية والبيزنطية وأحدثوا الحكم السّلالي الأسري، وابتعدوا بذلك عن نظام الحكم الذّي عرفه الراشدون بتقديم السّابقين الأوّلين للإسلام، فحصروا السلطة داخل أسرتهم "السفيانيّون ثم المروانيون" و نقلوا العاصمة إلى الشّام .

– لقد كان حصر الأمويّين الخلافة فيهم سببا في حمل أخطاء السابق منهم على اللاحق، بالإضافة إلى تولية العهد وما نتج عنها من مؤامرات وصراعات، ومحاولات العزل، كلّ ذلك كان عاملا أخر أوهن موقفهم أمام هجمة المعارضة و أضعف عصبتهم، ودفع الناس إلى التّخلي عنهم بالتّدرج .

– كان للبطانة الصّالحة التّي قرّبها خلفاء بني أمية دور مهمّ جدا في توجيه السّياسة وإرشادها، فحملوا الخلفاء على أحسن التّدابير و السياسات، و نصحوا و وجّهوا، و أوجدوا الحلول للمعضلات، بل وتدخلوا فى الكثير من المواقف في الأقاليم و المركز، خاصّة ما تعلق منها بولاية العهد، واتّخذوا قرارات جنّبت الدّولة صراعا حتميا، كان سيودى بها إلى الإنقسام و السقوط .

–ومن خلال عرضنا لنصوص الرّسائل اتّضح أنّ خلفاء بني أمية أولوا أهمية خاصّة و رعاية كاملة للقضاء وردّ المظالم، حتى وقف على قدميه و أصبح جهازا كاملا مستقلا، فحرص الخلفاء على إرجاع الحقوق إلى أصحابها، والأخذ بيد الظالمين، سواء كانوا عمالا أو رعية و الإقتصاص منهم، مانحين الحرّية التامّة للقضاء، فاستقل عن أيّ سلطة أخرى، حتى سلطة الوالي الذي لم يكن له أن يتدخّل فى أعمال القاضي و اجتهاده وحكمه، كما حاربوا أيّ شكل من أشكال العلاقات التّي تخدم المصالح الشّخصية على حساب العدل .

– لقد جعل جلّ خلفاء بني أميّة كتاب الله وسنّة نبيه والفقه الإسلامي مصدرا لأحكام القضاء والعقوبات، فالإسلام دين الدولة، وأحكامه مرجعية وحيدة لأحكام القضاء، والخلافة في نظرهم تخدم الفكرة الإسلامية عامة، و تحكيم الدين من أولى الأوليات.

– من خلال بعض المراسلات تأكّد أنّ تيّار الشعور بالنسب و الإنتماء القبلي ظلّ يسيطر على أفكار النّاس فى العصر الأموي، فكان أهم رابطة بينهم، ومصدرا لاعتزازهم، فعمل الخليفة الأوّل معاوية على إبرام

علاقات مميزة بينه وبين الكلبيّين، وعمل على إقامة توازن بين العصبيّات و القبائل، وسار على خطاه عبد الملك الذّي سلك طريقا وسطا أيضا، وهذا ما أدّى إلى التخفيف من غلواء السّيطرة اليمنية، و بذلك لم تقاوم القيسية عبد الملك فقرّب رجالاتهم ووسدهم الأمور، إلّا أن معظم الخلفاء غير معاوية وعبد الملك و عمر بعدهما عملوا على إذكاء هذه الخصومة القبليّة، ولعبوا على وتر العصبيات، فانقلب هذا السّلاح ضدهم، وكان سببا في سقوطهم.

– ولقد اقتضى الوضع السياسي و الإجتماعي الجديد في العصر الأموي تنظيما إداريّا جديدا، وضع أسسه معاوية بن أبي سفيان الذّي عمل على اتخاذ اللّامركزية في الإدارة سبيلا لتسير الدولة، و إعادة استقرارها و توسيع رقعتها، فعمدوا بذلك إلى حسن إنتقاء القادة و الولاة الذّين سيتولون تنفيذ الإدارة الجديدة، فكانوا من شيعة بني أميّة المخلصين، أو من تربطهم رابطة الدّم أو روابط مادية بالدولة الأموية، ولقد بقيت عيون الخلفاء ترقبهم، فتابعوا أعمالهم واستمرّوا في توجيههم بالكتابة إليهم والحدّ من تجاوزاتهم.

– من خلال عرضنا للرّسائل المتعلّقة بالجهاد والفتح تأكّد لنا ممّا لا يبعث مجالا للشكّ أنّ القيام بالدّعوة إلى الله ونشر دينه القويم وحرية العقيدة كان الهدف الأسمى للدولة في الإسلام منذ نشأتها، فاستأنف الأمويّون ذلك في حركة فتح كبرى بلغت أوجّها في عهد الوليد بن عبد الملك، فكانت هذه من أعظم إنجازات الدولة، إذ لم ينقضِ القرن الأوّل حتى وصل المجاهدون الفاتحون في دولة بني أمية براية الإسلام إلى حدود الصّين شرقا و الأندلس غربا.

– أمّا التعليم والأمر بالمعروف و النّهى عن المنكر فوسّعوا من دائرة الإهتمام به وتولوا ذلك بأنفسهم ، وحثّوا عمّالهم على إحتذاء حذوهم، وأشركوا المسلمين فى القيام بدورهم في هذا السبيل، ورغم قلة النصوص التّي عرضناها عن هذا إلّا أن فيها ما يشير إلى هذا الدور.

– أمّا من الناحية المالية فلقد وقع خلفاء بني أمية وولّاتهم خلال هذه الفترة في عدة تجاوزات هدّدت حكمهم بالإنهيار، لِما في ذلك من انعكاس على جميع المجالات الأخرى، خاصة الجانب السياسي فلم يلتزموا العدل في فرض الجباية وتوزيع الثروة ممّا ولّد هوّة كبيرة بينهم وبين الرعية، و أدى إلى إنتشار العصبيّات و التّمردات، أو على الأقل إضمار الأحقاد بينهم، وانتظار الفرص المناسبة للخروج عليهم.

– لقد كان المال عاملا عظيما ذا تأثير قويّ إستخدمه الأمويّون في تأييد سلطانهم، فكانوا يصطنعون به الأحزاب ويقرّبون الأعداء، فيبذلونه للقادة و الشّعراء والزّعماء، فأخمدوا بذلك نار المعارضين، وهذا ما أكّدته الرّسائل.

– فطن خلفاء بني أميّة إلى أنّ الإهتمام بالزّراعة يعني زيادة الموارد المالية من خلال ارتفاع مدخول الخراج

والعشور، فاهتمّوا بها و انتفعوا بمياه الأنهار، وأقاموا عليها السّدود، وشقّوا الجداول، فاقترنت الزّراعة بمساعدات الدولة وتنظيم من إداراتها، مما حقّق نجاحا في هذا المجال.

– إهتم الأمويّون بالبناء و التّشييد، خاصّة منهم الوليد بن عبد الملك، فعكفوا على إقامة مساجد و قصور توازي أو تفوق في العظمة كنائس المسيحيّين، اتّخذوها تُحفا تتماشى و عظمة ملكهم الجديد، واستخدموا لذلك قسما كبيرا من الخزينة، رغم أنّ هذه المشاريع لم تكن ذات أهمية إقتصادية تُذكر.

– كشفت الرّسائل أنّ سياسات بعض الحكّام و الولّاة الأمويّين كانت سببا في قيام العديد من الحركات المعارضة التّي أرهقت كاهل الدولة، فشُغلت بإخمادها و أراقت في سبيل ذلك كثيرا من الدّماء، واستنزفت المال و الجهد، فكانت بذلك عقبات أعاقت الدّولة عن تحقيق كثير من أهدافها العليا، كالإستمرار في الفتح ونشر الدّين و البناء و التعمير، بل وفوق ذلك عرّضتها لطمع الأعداء المتربّصين في الدّاخل و الخارج.

– ومن خلال مراسلات الخلفاء لولّاتهم بشأن آل البيت تبيّن أن جلُّ خلفاء بني أميّة عملوا على حقن دماءهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، وسعوا إلى تقريبهم و بذل المال لهم، ولم يسلّوا السيوف عليهم إلّا إذا اقتضت الضرورة ذلك، لمعرفتهم بمكانتهم وما وراءهم من جماهير موالية لهم ومدافعة عنهم، و متخذة من آل البيت والإنتصار لهم ذريعة وشعارا للخروج و العصيان .

– كانت خطّة الأمويين للقضاء على الخوارج تركّز على دور القبائل في منع أبنائها من الإلتحاق بصفوفهم، مهدّدين إيّاهم بوقف العطاء، ولم تقتصر على ذلك وحسب، بل تعدّته إلى عدة أساليب منها العقوبة المفرطة بحق الملتحقين بالخوارج، وسجن كلّ من يعيب الخلفاء، ووضع العيون عليهم، و تحميل رؤساء القبائل المسؤولية الشّخصية تجاه أفرادهم، وكذا ضرب الشّيعة بالخوارج للتّخلص من الطرفين.

– إنّ العوامل الدّينية كان لها دورها الفعّال في تأييد عدد كبير من المسلمين لثورة عبد الله بن الزبير، الذّي تقاسم الخلافة مع البيت الأموي مدّة من الزّمن، وقد شعر عبد الله بأهميّة هذا العامل، فاستغلّ قدسية مكة، و اتخذها مركزا لثورته، وبقي مناوِئا، إلى أنهى طموحاته عبد الملك بن مروان، فانتصرت بذلك سياسة الشّام على سياسة الحجاز، وعادت وحدة الدولة و الخلافة.

وفي الختام يبدو أنّ رسائل الخلفاء التّي عرضناها أسهمت إلى حدّ بعيد من نقل صورة حقيقيّة عن الدّولة وسياسات خلفائها، وكشفت لنا عن الكثير من الحقائق، وبل وصحّحت ووضّحت الكثير من القضايا والمواقف التّي كانت محلّ أخذ وردّ بين الباحثين والمؤرّخين، ومن وجهة نظرنا أنّ الدّولة الأمويّة درست من لدن الكثير من جانبها السّياسي المحض، وتعرضّت إلى إسقاطات العصر الذّي نعيش، ولو تُقرأ بتجرّد وموضوعيّة متمرّسة، فإنّ كثيرا من الآراء الحادّة التي حكمت وحاكمت وقاضت الخلافة الأمويّة

خصوصا ما يتعلق منها بالجوانب السيّاسية وشخص الخلفاء، فإنّها ستأخذ منحى آخر، قد ينصف دور الخلفاء والولاّة، والعصر بأكمله، وربما تزيل ظاهر اللّبس وسوء التفسير وقسوة الأحكام التي أساءت ظاهرا وباطنا إلى الحكم الأموي، فاختزلت وشّوهت دور الخلفاء الأمويّين السّياسي والحضاري.

لذا فإنّ الأخبار اللاّزمة للكشف عن أحداث ثمانية وخمسين سنة آنفة الذّكر، وإصابة الحكم فيها تبقى غير كافية، ويعتريها النّقص والإنقطاع أحيانا، فضلا عن التّشويه و التّحريف و الوضع، ومع ذلك فهناك جملة طيّبة من الأخبار الموثوقة، وهناك جملة أخرى من الأخبار يمكن أن يُستنبط منها بعض ما ينتفع به في عملية البناء التاريخي، وكلّما زاد تسلح الباحث بالأخبار الموثوقة، و قاوم الخضوع لإغراء إطلاق التّعميمات، و تخلّص من الميل إلى إصدار الأحكام المطلقة القطعية، كلّما كان عمله أكثر أمانا ونزاهة وعدلا، وإزاء هذه الأوضاع يظلّ الباحث في العصر الأموي يشعر بالحاجة إلى إبقاء باب الدّراسة مفتوحا ويتطلّع إلى ما هو أفضل.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملحق الرّسائل الموضوعة:

1- رسالة معاوية إلى زياد يضمُّ له الحجاز:

عن عمر قال حدثني علي قال: «كتب زياد إلى معاوية: قد ضبطتُ لك العراق بشمالي ويميني فارغة، فاشغلها بالحجاز، وبعث في ذلك الهيثم بن الأسود النخعي[1]، **وكتب له عهدَه مع الهيثم**» [2]، فلمّا بلغ ذلك أهل الحجاز أتى نفر منهم عبد الله بن عمر بن الخطاب، فذكروا ذلك له فدعوا الله عليه، فأصيب بالطاعون في يده فكفّ عنها، ومات بعدها[3].

فهل حقّا طلب زياد ضم الحجاز إليه فوافقه معاوية على ذلك؟ هل كان في أجِندة معاوية ومخططاته أن يضم الحجاز إلى العراق فيجعلها ولاية واحدة؟ وفي اعتقادنا أنّ هذا لم يكن ليحصل، فإدارة الحجاز لم تخرج عن أفراد البيت الأموي، ثمّ إنّ توسيع نظر الوالي في عدّة أقاليم يؤدّي إلى فقدان السّيطرة عليها ، والطبري نفسه ذكر رواية قبل هذه عن كثير بن زياد قال: «كتب زياد إلى معاوية إنّي ضبطت العراق بشمالي ويميني فارغة، فضم إليه معاوية العروض[4] وهي اليمامة ومايليها-فدعا عليه ابن عمر فطعن ومات- ؟!» [5].

رواية أخرى لما سبق

-أ-

ويذكر اليعقوبي رواية أخرى لما سبق قال: «كتب زياد إلى معاوية إنّي قد شغلت شمالي بالعراق ويمني فارغة، فإن رأى أمير المؤمنين أن يولّيني الموسم؟ **فكتب إليه بولاية الحجاز وقيل بولاية المَوسم**» [6].

وحتى رواية اليعقوبي التي يظهر عليها التذبذب لم تفصل لنا الأمر، بل زادته تعقيدا، إذ كيف يطلب

---

(1) _هو الهيثم بن الأسود النخعي المذحجي، أبو العريان الكوفي، أدرك عليا ووفد على يزيد بن معاوية بدمشق، غزا القسطنطنية مع مسلمة سنة 98هـ، كان شاعرا خطيبا من خيار التابعين، توفي نحو 100 هـ .المزي: تهذيب الكمال، ج30، ص 362، 363، الزركلي: الأعلام، ج8، ص103.

(2) _ تاريخ الطّبري، ج5، ص289، ابن الجوزي: المنتظم، ج5، ص261.وبداية روايته"قال أبو رجاء:...".ابن الأثير: الكامل، ج3، ص341.

(3) _الطبري: المصدر السابق، ج5، ص289.

(4) _ العروض بفتح أوله، قيل مكة واليمن.وقيل مكة والطائف وماحولها، وسميت بذلك لأنها معترضة بلاد اليمن والعرب، مابين تخوم فارس إلى أقصى أرض اليمن. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج4، ص112.

(5) _ تاريخ الطبري، ج5، ص288، 289.

(6) _ تاريخ اليعقوبي، ج2، ص229.

زياد من معاوية ولاية الموسم فيوليه الحجاز؟ ثم يضيف اليعقوبي: وقيل أنه ولاه الموسم، وهذا أيضا لم يحصل أبدا في ولاية زياد وخلافة معاوية[1]، وهذا يؤكّد أنّ الرواية مختلقة.

2-رسالة معاوية إلى عمرو بن العاص ليولّي عقبة بن نافع إفريقية:

قال اليعقوبي:« وجّه معاوية عقبة بن نافع الفهري إلى إفريقية، فافتتحها واختطّ قيروانها وبناه... وكان ذلك سنة 50هـ، ثم ولّى معاوية دينارا أبا المهاجر مولى الأنصار مكان عقبة بن نافع الفهري، فأخذ عقبة بن نافع فحسبه وقيّده، فأقام في الحبس شهورا، ثم أطلقه، فلما صار إلى مصر رده عمرو بن العاص إلى المغرب، وقيل **ورد كتاب من معاوية على عمرو يأمره بذلك**.

فلمّا قدم عقبة إفريقية أخذ دينارا فحبسه» [2].

هذا ما جاء في رواية اليعقوبي التي لا نعتقد بصحّتها إذا أن عمر وبن العاص كان قد توفي سنة 43هـ [3]، قبل الولاية الأولى لعقبة، وأنّ ولاية عقبة الثانية على إفريقيا كانت سنة 62 هـ في خلافة يزيد بن معاوية وليس في خلافة معاوية !! والوالي يومئذ بمصر مسلمة بن مخلد الذّي أغزى معاوية بن خديج[4].

3- رسالة معاوية إلى مروان بأخذ البيعة ليزيد من أهل المدينة بعد تزكية الوفود كما أوردها المسعودي[5]:

قال المسعودي: « في سنة 59 هـ وفدت الوفود من الأمصار، من العراق وغيرها وأخذت البيعة ليزيد، وأُنفذت الكتب إلى الأمصار، وكتب معاوية إلى مروان بن الحكم- وكان عامله على المدينة- **يُعلمه باختيار يزيد ومبايعته إيّاه بولاية العهد، ويأمرُه بمبايعته وأخذ البيعة له على من قِبَله**» [6].

فلمّا قرأ مروان ذلك خرج مُغضبًا في أهل بيته وأخواله من بني كنانة حتّى أتى دمشق فنزلها، ودخل على معاوية يمشي، وتكلّم بكلام يُوبّخ به معاوية، وجاء في كلامه، أقم الأمور يا ابن أبي سفيان، واعدل في

---

(1) _ كانت ولاية زياد على البصرة من سنة 45 إلى 53 هـ ولم يتولَّ خلالها الموسم أبدا. انظر تاريخ خليفة في نهاية السنوات المذكورة ص126-137.

(2) _ اليعقوبي: المصدر السابق، ج2، ص229 .

(3) _ تاريخ خليفة، ص125.

(4) _ المصدر نفسه، ص155، ابن عذارى، البيان المغرب، ج1، ص23، ابن عساكر: المصدر السابق، ج40، ص535.الذهبي: سير، ج3، ص533.

(5) _رواية أخرى للرّسالة رقم 9.

(6) _مروج الذهب، ج3، ص22 .

تأميرك على الصّبيان، واعلم أنّ لك من قومك نظراء وأنّ لك من مناوأتهم وزراء.

فقال له معاوية: أنت نظير أمير المؤمنين وعدّته في كل شديدة، وعضده والتّالي بعد وليّ عهده، وجعله ولي عهد يزيد وردّه إلى المدينة، ثم عزله بعد ذلك ولم يفِ بما جعل له من ولاية العهد[1].

إن الرسالة كما أوردها المسعودي وما صاحبها من أحداث هو ما يطرح علامة الإستفهام،إذ تذكر معارضة مروان وسفره إلى دمشق، وهذا ما لم نجده في السابق من الروايات الصحيحة! ثمّ إنّ القاعدة الإداريّة في ذلك الوقت أنّ الوالي لايخرج من ولايته إلّا بأمر من الخليفة.

وهذا يبعث الشّك في الروّاية التي أوردها المسعودي، ثمّ لماذا يعارض مروان أمر معاوية وهو واليه، ويعلم أنّه هو نفسه لن يبلغ الخلافة وفي المدينة من هو أفضل منه من صحابة رسول الله؟ ثم إن إيراد هذه الرسالة سنة 59 يلقى عليها الشك أيضا، إذ أنّ مروان عزل عند المدينة سنة 57هـ!! [2].

ثم إذا كان معاوية جعل مروان ولي العهد بعد يزيد، لماذا لم يطالب بها مروان بعد موت يزيد وتولي معاوية الثاني؟! بل أن مروان نفسه لم يطالب بالخلافة بعد شغور هذا المنصب بوفاة معاوية الثاني؟ وهو نفسه هم بمبايعة ابن الزبير قبل مؤتمر الجابية[3].

كل هذه المعطيات تجعلنا نقول أنّ ما أورده المسعودي غير صحيح بالصّيغة التّي ذكرها بها، وتجعل من روايته بعيده عن الصواب.

4- رسالة معاوية إلى سعيد بن العاص يأخذ البيعة ليزيد:

[رسالة معاوية] روى ابن قتيبة أنّ معاوية «كتب إلى واليه على المدينة سعيد بن العاص بعد عزل مروان: **يأمره أن يدعو أهل المدينة إلى البيعة، ويكتب إليه بمن سَارع ممن لم يسارع**»[4].

فلما أتى سعيد بن العاص الكتاب دعى الناس إلى البيعة، وأظهر الغلظة، وأخذهم بالعزم والشّدة، وسطا بكل من أبطأ عن ذلك، فأبطأ النّاس عنها لاسيما بني هاشم.

[جواب سعيد بن العاص] فكتب سعيد إلى معاوية: «أمّا بعد فإنّك أمرتني أن أدعو النّاس لبيعة يزيد ابن أمير المؤمنين، وأن أكتب إليك بمن سارع ممّن أبطأ، وإنّي أخبرك أنّ النّاس عن ذلك بطاء، لاسيما

---

[1] _ مروج الذهب، ج3، ص22.

[2] _انظر تاريخ خليفة بن خياط، ص141.

[3] _انظر التمهيد.

[4] _الإمامة والسّياسة، ج1، ص153.

أهل البيت من بني هاشم، فإنّه لم يحبني منهم أحد، وبلغني عنهم ما أكره، وأمّا الذي جاهر بعداوته وإبائة لهذا الأمر فعبد الله بن الزّبير، ولست أقوّى عليهم إلاّ بالخيل والرجال أو تقدم بنفسك فترى رأيك في ذلك والسّلام» [1].

5- ردّ معاوية على سعيد بن العاص حين أخبره عن إبطاء النّاس في البيعة ليزيد:

قال ابن قتيبة: لمّا وصلت رسالة سعيد إلى معاوية رد عليه:

«أمّا بعد: فقد أتاني كتابك وفهمتُ ما ذكرت فيه من إبطاء النّاس عن البيعة، ولاسيَما بني هاشم وما ذكر ابن الزّبير، وقد كتبتُ إلى رؤسائهم كتبا[2] فسلّمها إليهم وتنجز جوابها، وابعث بها إليّ حتّى أرى في ذلك رأيي، ولتشتدّ عزيمتك، ولتصلُب شَكيمتك[3] وتحسن نيّتك، وعليك بالرّفق وإياك الخُرق[4]، فإنّ الرّفق رشد والخرق نكد، وانظر حسينا خاصّة، فلا يناله منك مكروه، فإنّ له قرابة وحقّا عظيما لا ينكره مسلم ولا مسلمة، وهو ليث عرين[5]، ولست آمنك إن شاورته ألاّ تقوى عليه، فأمّا من يردد مع السّماع إذا وردت ويكنس[6] إذا كنست فذلك عبد الله بن الزّبير فاحذره أشدّ الحذر، ولا قوة إلا بالله، وأنا قادم عليك إن شاء الله والسّلام»[7]

6- رسالة أخرى من معاوية إلى سعيد بن العاص ليأخذ البيعة بغلظة وشدّة:

[رسالة معاوية] وأورد ابن قتيبة أيضا رواية أخرى فقال: لما رفض بنو هاشم البيعة ليزيد، وكاتب الحسن وابن الزبير فأجابوه بالرّفض «كتب إلى سعيد **يأمره بأخذ أهل المدينة بالبيعة ليزيد أخذًا بغلظة وشدّة، ولا يدع أحدًا من المهاجرين والأنصار وأبنائهم حتّى يبايعوا، وأمره أن لا يحرّك هؤلاء النّفر**

---

[1] _ الإمامة والسّياسة، ج1، ص154.

[2] _كتب إلى ابن عبّاس وعبد الله بن جعفر والحسين وأمر سعيد بن العاص أن يوصلها إليهم.

[3] _شكيمتك: من الشكم وهو الجزاء، والشكيمة الأنفة والانتصار من الظّلم، وقيل للصرامة والحزم، ورجل شكيم أي غضوب. لسان العرب ، مج4، ص2313، مادة شكم.

[4] _الخرق: الجهل والحمق، وهو أخرق إذا حمق، وهو ضد الرّفق، وقد سبق شرحها في الرّسالة رقم 87.

[5] _عرين: والعرينة مأوى الأسد الذي يألفه، والمراد هنا أنّه لا يفارق مكانه. لسان العرب ، مج4، ص2916، مادة عرن.

[6] _يكنس: نقول كنست السبّاع أي دخلت في الكناس، وهو موضع في الشجر يختفي فيه ويستتر. لسان العرب ، مج5، ص3938، مادة كنس.

[7] _الإمامة والسّياسة، ج1، ص153، 154 ، محمد ماهر حمادة: الوثائق السّياسيّة، ص170. أحمد زكي صوفت: جمهرة رسائل، ج2، ص54.

الثلاثة[1] **ولا يهيّجهم**»[2].

[ردّ سعيد] فكتب سعيد إليه: «إنه لم يبايعني أحد، وإنّما الناس تبع لهؤلاء النّفر، فلو بايعوك بايعك النّاس جميعاً ولم يتخلف عنك أحد» [3].

7- رسالة معاوية إلى سعيد بن العاص أن لا يحرّك النّفر الثلاثة:

لما أعلم سعيد معاوية بأن الناس لم تبايع، وأنهم تبع للنفر الثلاثة «كتب له **يأمُره أن لا يحرّكهم إلى أن يقدم**» [4].

فعقد معاوية العزم على السفر إليهم بنفسه، وبالفعل سافر وأخذ البيعة ليزيد، ووّطد الأمور وقفل راجعاً إلى الشام[5].

إنّ هذه الرسائل الأربعة التي أوردها ابن قتيبة والتي انفرد بها عن كل المؤرخين لا ينبغي أن تقبل ولا أن نسلّم بصحتها وذلك لعدة أسباب منها:

أنّ هذه الرسائل والروايات جاءت معارضة للروايات الصّحيحة التي ذكرناها قبل هذه الرسائل[6] ولا تنسجم معها، خاصة إذا علمنا أنّ بداية أخذ معاوية البيعة ليزيد كان بعد تولّي مروان المدينة في عهدته الأخيرة وأنّه سافر إليها في هذه العهدة لأخذ البيعة من النفر الثلاثة، ولم تكن لسعيد ولاية بعدها على المدينة بل بعد مروان كان الوليد بن عتبة إلى أن توفي معاوية[7]، فمتى كتب معاوية هذه الرسائل لسعيد؟ ومتى سافر إلى المدينة لأخذ البيعة ليزيد؟!.

ثم هل ابن الزبير والحسين كانوا عصبة حتّى لا يقوى عليهم ابن العاص إلاّ بالخيل والرجال كما ذكر لمعاوية؟! فكل هذه المعطيات تؤكّد عدم صحّتها.

8- رسالة معاوية إلى عمرو بن العاص والمغيرة أن يقدما إليه بشأن ولايتهما:

عن إسحاق التّميمي قال: «**كتب معاوية إلى عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة في القدوم.**

---

[1] _يقصد الحسين وابن الزّبير وعبد الله بن جعفر.

[2] _الإمامة والسّياسة، ج1، ص157، أحمد زكي صفوت: المرجع السابق، ج2، ص64 .

[3] _ابن قتيبة: الإمامة والسّياسة ، ج1، ص157.

[4] _المصدر نفسه، ص157.

[5] _المصدر نفسه، ص157 وما بعدها.

[6] _انظر الفصل الأوّل من الباب الأوّل.

[7] _انظر تاريخ خليفة، ص141.

فقدم عمرو من مصر والمغيرة من الكوفة، فقال عمرو للمغيرة بن شعبة، ما جمعنا إلا ليعزِلنا، فإذا دخلت عليه فاشكُ الضّعف، واستأذنه في إتيان المدينة أو الطائف، فإنّي سأسأله إتيان مكة أو المدينة، فسيقع في قلبه أنّا إنّما نريد إفساد الناس عليه، ففعل المغيرة ذلك، ثم دخل عمرو فسأله أن يأذن له في إتيان مكة أو المدينة، فقال: قد تواطأتُما على أمر وإنّكما لتريدان شرًّا، فارجعا إلى عملكما»[1].

ويبدو أنّ هذه الطّرائف غير ممكنة الحدوث وهي ممّا حاكه الرّوّاة ، إذ لايمكن أن يفعلا ذلك، ذلك أنّهما في عملهما أشدّ تأثيرا على معاوية منهما خارج السّلطة ،ثمّ إذا وجد فيهما معاوية أمرا ينذر بالشّرّ لما ولّاهما أو أقرّهما على ما كانا عليه .

9- رسالة معاوية إلى ابن عامر ليُطلّق زوجته:

قال ابن حمدون: «قال معاوية لابنه يزيد: هل بقي في نفسك من النّساء شيء؟ قال: نعم، هند بنت سهيل بن عمرو[2]، وكانت يومئذ عند عبد الله بن عامر، فكتب معاوية إلى عبد الله:

إنّك إن طلّقتها زوّجتُك ابنتي هندا[3]» [4].

قال: فطلقها ابن عامر، فقدمت المدينة، فأرسل بأبي هريرة يخطبها على يزيد ابنه، ويتلطّف لها في ذلك، قال فلقيه الحسن فقال: لأمرٍ ما قدمت يا أبا هريرة، لا وقت حجّ ولا غيره؟! قال بعثني معاوية أخطب هندا بنت سهيل بن عمرو على ابنه يزيد، قال: فإذا ذكرت يزيد فاذكرني لها بعده، قال فدخل عليها أبو هريرة، فأبلغها عن الحسين بن علي، فقالت ما ترى يا أبا هريرة؟ قال أرى أن تتزوّجي الحسين، وإن استطعت أن تضعي فاك حيث رأيت رسول الله ﷺ وضع فاه فافعلي، فتزوجت الحسن[5].

---

[1] _ البلاذري: أنساب، ج5، ص50.الرّاغب الأصبهاني: محاضرات الأدباء، ج1، ص171، ابن حمدون: التّذكرة الحمدونيّة ، ج8 ، ص 228.

[2] _هند بنت سهيل بن عمرو والدها سهيل صاحب رسول الله الذي تولى أمر الصلح بالحديبيّة عن المشركين مات بالطاعون في الشّام سنة 18هـ .ابن الأثير: أسد الغابة، ص531، الزركلي: الأعلام، ج3، ص142.

[3] _هي هند بنت معاوية بن أبي سفيان زوجة عبد الله بن عامر بن كريز، أمّها فاخته بنت قرظة، كانت ذات حسن وجمال. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج70، ص186-189.

[4] _التذكرة الحمدونية، ج9، ص269.

[5] _المصدر نفسه، ص269.

10-رسالة معاوية إلى مروان ليخطب له هند بنت سهيل بن عمر[1] :

قال أبو الفرج النّهرواني: «**قصّة خياليّة في احتيال معاوية لتطليق زوج ابن عامر ليتزوّج هو منها:** عن ابن عائشة عن محمّد بن المختار عن أبيه، يزيد بعضهم عن حديث بعض قالوا: كان عند معاوية بن أبي سفيان جماعة نفر من سمّاره في ذات ليلة، فقال: والله لقد فني منّي اللّذات من المطاعم والمشارب إلاّ من صبي صغير يلاعبني وألاعبه، وأضّمه إلى صدري، فقال عمرو بن العاص: أفلا أدلّك يا أمير المؤمنين على امرأة لو تزوّجتها عدت بها شاباً في سن ابن الثّلاثين سنة، ثمّ لا تزال معها أنعم النّاس عيشا بقيّة عمرك، قال معاوية من هي؟(قال محمد بن القاسم أبو العيناء[2] دون الجماعة هي فاطمة بنت عبد الرّحمان بن سهل[3]، وقالت الجماعة دون محمد بن القاسم هي هند بنت سهيل بن عمرو وأحسبه هو الثبت)، قال معاوية: أو ليست تحت عبد الله بن عامر بن كريز، قال بلى، قال: فبئس ما عرضت به إليّ، أن تذكر زوجة رجل من خيار قريش قال عمرو: رأيتك حدّثت نفسك بشيء، فعرضتُ عليك ما عرضت، وقد يتزوّج الرّجل المرأة ويتزوّجها غيره، فقال معاوية: أكتموا هذا الأمر ولا تشهروه، فلعمري إن قال أحد حاجته بالرّفق والتّأنّي والحيلة لأنالنّه منها، فتحايل معاوية على ابن عامر، ووعده بأن يزوّجه ابنته إذا طلّق زوجته ففعل، فلمّا انقضت عدّتها **كتب معاوية إلى مروان بن الحكم وهو عامله على المدينة يأمُره أن يخطبها عليه** فاستشار الحسن، فطلب الحسن منه أن يخطبها له، فاختارت الحسن وتزوّجته» [4].

11- رسالة مروان إلى معاوية يطلب أمره في شأن الحسَن:

استشارت هند الحسن فتزوّجها هو «وبلغ الخبر مروان، فأرسل إلى الحسن، فحبسه، وأرسل إليها فحسبها .

وكتب إلى معاوية يُعلمه أنّ الحسَن وثب فتزوّجَها بغير عِلمٍ قاضٍ، ولا سلطان ولا وليّ، جُرأة عليك وخِلافا لك، وإنّي قد أمرتُ بحبسِهما إلى أن يأتيني منك رأيٌ»[5].

---

[1] _رواية أخرى للرّسالة رقم 69.

[2] _هو محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر الهاشمي، أبو العيناء، أديب فصيح، اشتهر بنوادره ولطائفه، كان خبيث اللسان في سبّ النّاس والتّعريض بهم كفّ بصره في سن الأربعين توفي سنة 202هـ، وقال عنه الذهبي ليس بقوي . ميزان الإعتدال، ج4، ص13، الزركلي: الأعلام، ج3، ص142.

[3] _هي فاطمة بنت عبد الرحمان بن سهل بن يزيد بن كعب بن عامر الأنصاري صاحب رسول الله ﷺ. ابن عساكر: المصدر السابق، ج34، ص419، الذهبي: أسد الغابة، ص768.

[4] _الجليس الصّالح، ج3، ص284، 288.

[5] _ أبو الفرج النّهرواني : الجليس الصّالح، ج3، ص288.

12-ردّ معاوية على مروان بشأن زواج الحسَن:

[ردّ معاوية]: «فكتب إليه معاوية:

قد فهمتُ ما كتبتَ به من أمر الحسَن وأمرِها، وقد أجَبتُ في ذلك بكتاب بعثتُ به إليك مَختوما[1]، فاجمَع إليك ثلاثين رجُلا من قُريش ثم فُضَّ الخَاتم بحضرة الحسَن وحضرة القوم، ثمّ إقرأ كتابي واعمل بما فيه»[2].

13-كتاب معاوية إلى مروان بتخلية الحَسن:

ففعل ذلك مروان فإذا فيه:

«أمَّا بعد فإنّك كتبتَ إليَّ تذكر من تَزويج الحسَن بغير حُكم حاكم ولا عِلم سلطان، وسألتَني أنْ أكتبَ إليك برأيي فيهما ومكانِهما، ولعَمري ما بَلغ من أمر معاوية أن يحرّم شيئا قد أحَلّه الله، أو يحلّ شيئا قد حرّمه الله، والحسن إنّما ترك أن يُعلِم السّلطان لمَخافتِه منّي، لِما سبَق من خِطبتي المرأة قبله، واختارتْهُ وآثرتهُ عليَّ، فإذا قرأتَ كتابي هذا فخلِّ عن الحسَن وادفع إليه زوجتَه، ولا تعرِض لهما في شيء يؤذيهما، وادفع إلى الحسن من مالي قِبلك عشرة آلاف دينار، مَعونة له على تَزويجه، وادفع إلى زوجته خمسة آلاف دينار وأحسِن جِوارها.

فلمّا قرأ مروان الكتاب قبِل ما أمر به وأعانها أيضا من ماله، ومنع معاوية عن ابن عامر ابنته[3]، وقال له: إنّما زوجتُك على أن أتزوّج امرأتك وبنتي صغيرة حتى تبلغ»[4].

في هذه الرّوايات يتبيّن أن معاوية خطبها لنفسه وليس لابنه يزيد كما سبق وأن أشرنا، والخاطب هنا هو مروان بن الحكم وليس أبا هريرة كما سبق، ونحن نستبعد أن تكون هذه الرواية والقصة التي تضمنتها صحيحة فأبو الفرج نفسه أوردها تحت عنوان" قصّة خيالية"، فقد فنّد صحتها وحكم عليها بالوضع منذ البداية، هذا بالإضافاة إلى ضعف روّاتها كمحمد بن القاسم أبو العيناء الذي اشتهر بنوادره ولطائفه، ثمّ هل يحق هذا الخداع والمكر غير المشروع في حق ابن العاص ومعاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ، مع رجل هو من خيار قريش وممّن قدم للدوّلة خدمات جليله؟ ثم أن رواية الخطبة ليزيد هذه يظهر فيها الحسن أيضا على مسرح الأحداث،

---

(1) _ هذا الكتاب هو الرّسالة الموالية.

(2) _ أبو الفرج النّهرواني : المصدر السابق، ج3، ص288.

(3) _ كان معاوية وعد ابن عامر أن يزوّجه من ابنته إن طلّق زوجته. المصدر نفسه، ص288.

(4) _ المصدر نفسه، ص288.

فلماذا في كل مرة يحاول معاوية فيها الخطبة ليزيد يظهر الحسن ليلعب دور المفسد للخطط والمبطل بلا هدف، فهذا كله يبعث الشك في مثل هذه الرّوايات، ويجعلها مجرّد قصص، لم تكن يومًا أمرًا واقعا.

- 14- رسالة معاوية إلى جَعدة بنت الأشعث لتُسمّم الحسَن:

عن جرير عن مغيرة قال: لمّا أراد معاوية البيعة ليزيد لم يكن له شيء أثقل من أمر الحسن، فكتب إلى جعدة بنت الأشعث[1]:

«**إنِّي مُزوّجك بيزيد ابني على أن تسُمّي الحسَن بن علي**، وبعث إليها بمائة ألف درهم، فقبِلت وسمّت الحسن، فصوّغها المال، ولم يُزوّجها بيزيد»[2].

- 15- جواب معاوية إلى جعدة لمّا طالبته بما وعدها من تزويجها بيزيد :

وعد معاوية جعدة أن يزوّجها بيزيد إن هي سمّمت الحسن ، «فلما توفي الحسن بعثت إلى معاوية تطلب قوله، فقال لها في الجواب: **أنا أضن**[3] **بيزيد**» [4].

هل صحيح أنّ معاوية أمر بتسميم الحسن؟ ! ثم هل يُعقل أن يفعل صحابيّ جليل في مستوى معاوية فعلا كهذا بحق رجل طالما أكرمه وعرف قدره؟ أم أنّ السياسة تلعب دورها على مسرح الأحداث؟ ثمّ من فعل ذلك معاوية أم يزيد؟

إنّ هذه من أراجيف أعداء معاوية محاولين تفسير أسباب وفاته، ملصقين إيّاها به، وهو بريء من ذلك، وحتّى المدائني يبدو عليه أنّه يشكّ في أمرها فعبّر عن ذلك بقوله: سمعتُ بعض من يقول، وقال: وروى بعضهم، ممّا يضعف روايته، وابن كثير نفسه قال بعد أن ذكر رواية المدائني هذه: «وعندي أنّ هذا ليس بصحيح، وعدم صحّته عن أبيه معاوية بطريق الأولى والأخرى»[5].

وحتّى ابن عساكر لمّا تحدث عن هذه الحادثة وجعدة بنت الأشعث قال – معبّرا بذلك عن شكّه

---

(1) _ جعدة بنت الأشعث : والدها هو الأشعث بن قيس الكندي من ملوك كندة، أسلم وشهد القادسية ثم سكن الكوفة وشهد صفين مع علي توفي سنة 40هـ، وكانت هي تحت الحسن بن علي .الذهبي: سير أعلام، ج2، ص37، 42.

(2) _ الأصفهاني: مقاتل الطالبيّين، ص48، ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء، ج1 ، ص140، وفي البداية والنّهاية عن المدائني:" **أن سمّي الحسن وأنا أتزوجك من بعده**". ج8، ص38.

(3) _ من البخل بالشّيء، نقول أضنّ به ضنّا أي أبخل ، فيقال رجل ضنين. ابن فارس : معجم مقاييس اللغة ، ج3، ص 357، ابن سيّدة: المحكم والمحيط ، ج 8، ص 156.

(4) _ ابن أبي أصيبعة : عيون الأنبياء ، ج1 ، ص404 .

(5) _ البداية والنّهاية، ج8، ص38.

في أمرها – : «وزعموا أنّها هي من سمّمته»[1].

ونضيف أنّ هذه القصّة غير واقعة لعدّة أسباب: أوّلهما أن معاوية ما كان ليتّقي من الحسن بأسا وقد سلّم الأمر له، والثّاني: أنّنا لم نر أيّ أثر لهذا الإغتيال، فلم تكن هناك أيّ مطالبة بالثّأر بعدها، كما أنّ الدّافع لا يكفي لارتكاب جريمة القتل، ثمّ إنّه أمر مغيّب لا يعلمه إلا الله، فلا يجوز إدّعاؤه بغير بينة، خاصّة وأنّ الأحداث دُوّنت بعد هذه الحادثة بزمن بعيد، لذلك فالقول بهذا قول بلا علم، وهو من أحاديث الشّيعة[2].

قال ابن تيمة: «فهذا ممّا ذكره بعض النّاس، ولم يثبت ذلك ببيّنة شرعيّة أو إقرار مُعتَبر، ولا نقُل يجزم به، وهذا مالا يمكن العلم به، فالقول به قول بلا علم» [3].

16- جواب معاوية إلى مروان حين أعلَمه بشِكاية الحسن :

قال ابن حمدون: «جُعل لجعدة بنت الأشعث إمرأة الحسن بن علي عليهما السّلام مائة ألف درهم على أن تسمّه...وكان يقول سُقيت السمّ مِرارا ما أصابني فيها ما أصابني في هذه المرة... ولما كتب مروان إلى معاوية بشِكايته كتب إليه:

أَرْقِل المَطِيَّ[4] إليَّ بخَبر الحَسَن، ولمّا بلغه موتُه سُمع تكبيرٌ من الخضراء ، فكبّر أهل الشّام لذلك التكبير»[5].

رواية أخرى لما سبق

-أ-

أما ابن قتيبة فروى ما سبق باختلاف قال: «فلمّا كانت سنة إحدى وخمسين مرض الحسن بن علي مرضه الذي مات فيه، فكتب عامل المدينة[6] إلى معاوية يُخبره بشِكاية الحسن، فكتب إليه معاوية:

---

(1) _ تاريخ دمشق، ج9، ص145.

(2) _ خالد بن محمد الغيث: مرويات خلافة معاوية، ص317، وقد ناقش الباحث هذه القضيّة وفنّد الرواية.انظر، ص318 وما بعدها.

(3) _ منهاج السنة، ج4، ص469.

(4) _ في عيون الأنباء " أقبل المطي" وأرقل المطي من الإرقال وهو سرعة سير الإبل، نقول أرقلت الدابة أي أسرعت. لسان العرب ، مج3، ص1708، مادة رقل.

(5) _ التّذكرة الحمدونيّة ، ج9، ص294، ابن أبي أُ صيبعة : المصدر السّابق ، ج1 ، ص405.طبعة مولر انظر هامش المحقق.عن عوانة بن الحكم.

(6) _ عامل المدينة في هذه السنة هو سعيد بن العاص.انظر تاريخ الطبري، ج5، ص286.

إنْ استطعت أن لا يمضي يومٌ يمرّ بي إلا يأتني فيه خبَره فافعل.

فلم يزل يكتُب إليه بحاله حتّى توفّي فكتب إليه بذلك فلمّا أتاه الخبر بذلك أظهر فرَحا وسُرورا حتى سجد وسجد من كان معه»[1].

إن ممّا يجعلنا نرفض هذه الرّواية ونلقي بظلال الشكّ عليها هي أنّ الحسن بن علي توفّي سنة 49هـ[2]وليس كما تذكر الرواية سنة51، ثمّ لماذا سيجد معاوية وأصحابه بعد سماعهم الخبر؟ أليس معاوية هو من كان يُظهر دائما حُسن المعاملة والتقدير لآل البيت؟ وفي تقديرنا أنّ هذه الرواية لا تصح بحق معاوية.

17- رسالة معاوية إلى عبد الله بن سلام بالقُدوم عليه لأجل زواج يزيد:

قال ابن قتيبة: وكانت أرينب بنت اسحاق[3] مَثَلا في جمالها شرفها، وكثرة ما لها، فتزوّجها رجل من بني عمها يُقال له عبد الله بن سلام[4]، وكان من معاوية بالمنزلة الرّفيعة من الفضل، « ووقع أمر يزيد من معاوية موقعا ملأه همّا وأوسعه غماّ، فأخذ في الحيلة والنّظر أن يصل إليها، وكيف يجمع بينه وبينها حتّى يبلغ رضا يزيد فيها، فكتب معاوية إلى عبد الله بن سلام، وكان قد استعمله على العراق:

أن أقبِل حين تنظر في كتابي هذا لأمرٍ حظّك فيه كامل، ولا تتأخّر عنه، فأعدّ المصير والإقبال» [5].

18- رسالة معاوية إلى ابنه يزيد يعلمه بطلاق أُرينب بنت إسحاق:

ولمّا قدم ابن سلام على معاوية بالشّام وجد عنده أبا هريرة وأبا الدّرداء رضي الله عنهما، فلمّا قدم أمر معاوية أن ينزل منزلاً قد هيّء، وبعث له أبا هريرة وأبا الدّرداء يعرضان عليه الزّواج بابنته ، وذهب معاوية إلى ابنته وقال لها: إن جاءك أبو هريرة وأبو الدّرداء، فقولي إنّ ابن سلام رجل كفؤ كريم، غير أنّ تحته أرنيب بنت اسحاق، وأنا خائفة أن يعرض لي من الغيرة ما يعرض للنّساء، ولست بفاعلة حتّى يفارقها،

---

[1] _ الإمامة والسياسة، ج1، ص150، محمد ماهر: الوثائق السّياسيّة، ص 101 .

[2] _انظر : تاريخ خليفة، ص128.ابن كثير : المصدر السابق، ج8، ص29.

[3] _ لم نحصُل على ترجمة لها.

[4] _هو عبد الله بن سلام بن الحارث أبو يوسف، كان اسمه الحُصين، وكان يهوديّا وأسلم وسماه النبي ﷺ عبد الله، وشهد له بالجنّة شهد الجابية مع عمر بن الخطاب، مات في خلافة معاوية سنة 43 هـ بالمدينة. ابن سعد: الطبقات، ج5، ص377-388، ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج29، ص67-136، النويري: نهاية الإرب، ج6، ص152.

[5] _الإمامة والسّياسة، ج1، ص168.

فلّما جاءها أبو هريرة وأبو الدّرداء قالت ما قال أبوها، فعرضا الأمر على ابن سلام ففرح، وطلق بعد ذلك زوجته، فلمّا طلّق عبد الله أرينب، أظهر معاوية أسفا وقال: «ما أستَحسِن له طلاق زوجته ولا أحبّبْته، ولكنّ الأقدار غالبة ثمّ كتب إلى يزيد ابنه: **يُعلمه بما كان من طلاق أُرينْب بنت إسحاق عبدُ الله بن سلام**»[1].

فخطبها معاوية ليزيد، وأبت بعد ذلك بنت معاوية الزواج من ابن سلام بحجّة أنّها مالت عنه، فبدا غير مناسب لها[2].

هذه هي رواية ابن قتيبة التّي لا تخلو من الخيال التّلفيق ، إذ كيف بمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يعمد إلى هذا الخداع والمكر مع رجل يحبّه وله المنزلة الرفيعة عنده- على حد تعبير ابن قتيبة-!! بل ثبتّ أنّ معاوية نفسه لام عامله على المدينة لمّا أمر أحد الرّعيّة بتطليق زوجته وتزوّجها هو، وأمره بطلاقها وإرجاعها إلى زوجها[3]، فكيف ينهى معاوية عن خلق ويأتي مثله؟!! ثمّ إنّ المصادر لم تذكر لنا أنّ معاوية استعمل على العراق عبد الله بن سلام[4]، فكيف انفرد ابن قتيبة بهذا؟! ثمّ إنّ ابن سلام كان مقيما بالمدينة ومات بها وليس بالعراق![5].

فرواية ابن قتيبة صّورت الأمر بكل بساطة من طلاق، ومجيء وغيرها وكأنّها مسرحيّة تلعب، فهي إلى الوضع أقرب منها إلى الحقيقة التاريخية.

- 19- رسالة معاوية إلى يزيد في اللّهو:

قال الأصبهاني: « كتب معاوية إلى ابنه يزيد بهذه الأبيات:

شمِّر نهاراً في طلاب العُلا واصبر على هجر الحبيب القريبِ

حتى إذا الليل أتى مقبـــلاً واكتحلتْ بالغمض عين الــرقيبِ

فقابل الليل بما تشتـــهي فإنّما اللّيل نـــــهار الأريـــبِ

---

(1) _ ابن قتيبة: الإمامة والسّياسة، ج1، ص169.

(2) _المصدر نفسه، ص168-172.

(3) _انظر ابن كثير: البداية والنّهاية، ج8، ص72 .

(4) _للتّأكد من ذلك ارجع: تاريخ خليفة، ص123-141 لم يذكر تولية عبد الله بن سلام.

(5) _ابن سعد: المصدر السّابق، ج5، ص386، ابن عساكر: المصدر السابق، ج29، ص135، 136.

كم فاسقٍ تحسبه ناســـكاً يستقبل اللّيل بأمـــــر عجيـــــبِ»[1].

فهل صحيح أنّ معاوية حرّض يزيد على اللّهو وهو الذّي ما انفكّ يلومه فيه ، ويعاتبه عنه ؟!! إنّ هذا الكلام ممّا دسّ وكذب به على معاوية ، خاصّة إذا علمنا أنّ هذه الأبيات نسبت للشّاعر العبّاسي أبو الفضل يحي خالد البرمكي[2] ، أي بعد معاوية بحوالي مائة عام، لذا من غير الممكن أن يقول بها معاوية.

20- رسالة معاوية إلى ابنه يزيد يوصيه قبل موته كما جاء عند ابن أعثم[3]:

قال ابن أعثم: عهد معاوية إلى يزيد وكتب إليه قبل موته:

«باسم الله الرّحمان الرّحيم ، هذا ما عهد معاوية بن أبي سفيان أمير المؤمنين إلى ابنه يزيد، أنه قد بايعه وعهد إليه وجعل له الخلافة من بعده، وأمر بالرّعيّة والقيام بهم، والإحسان إليهم، وقد سمّاه " أمير المؤمنين" وأمره أن يسير بسيرة أهل العدل والإنصاف، وأن يعاقب على الجرم ويجازي على الإحسان، وأن يحفظ هذا الحيّ من قريش خاصّة، وأن يبعد قاتلي الأحبّة، وأن يقدّم بني أميّة وآل عبد شمس على بني هاشم، وأن يقدّم آل المظلوم والمقتول أمير المؤمنين عثمان بن عفّان على آل أبي تراب وذريته، فمن قرئ عليه هذا الكتاب وقبله حقّ قبوله وبادر إلى طاعة أميره يزيد بن معاوية فمرحبا وأهلا، ومن تأبّى عليه وامتنع فضرب الرّقاب أبدا، حتّى يرجع الحقّ إلى أهله، والسّلام على من قرئ عليه وقبل كتابي هذا»[4]

وما أوصى به معاوية يزيد في هذا العهد من ضرب الرّقاب والإساءة إلى بني هاشم مخالف لما أوصاه به قبل وفاته من الإحسان إلى الحسين ومداراته[5].

21- رسالة يزيد إلى الوليد بن عتبة في موت معاوية كما أوردها ابن أعثم[6]:

قال ابن أعثم: كتب يزيد إلى الوليد بن عتبة بعد موت معاوية:

«من عبد الله يزيد بن معاوية أمير المؤمنين إلى الوليد بن عتبة، أمّا بعد: فإنّ معاوية كان عبد

---

(1) _ الأصفهاني : محاضرات الأدباء ، طبعة مطبعة الهلال ، ص 233.

(2) _المصدر نفسه ، ص233.

(3) _رواية أخرى للرّسالة رقم 105.

(4) _ الفتوح ، ج4 ، ص347، 348.

(5) _ انظر الفصل الثّاني من الباب الأوّل.

(6) _رواية أخرى للرّسالة رقم 12.

الله من عباده[كذا]**، أكرمه الله واستخلفه وخوّله، ومكّن له، ثمّ قبضه إلى روحه وريحانه ورحمته وغفرانه، عاش بقدر ومات بأجل، عاش برّا تقيّا، وخرج من الدنيا راضيّا زكيّا، فنعم الخليفة كان– ولا أزكيّه على الله وهو أعلم به منيّ– وقد كان عهد إليّ عهداً ، وجعلني له خليفة من بعده، وأوصاني أن أحدث آل أبي تراب**[1] **بآل أبي سفيان، لأنّهم كانوا أنصار الحقّ وطلاّب العدل، فإذا ورد عليك كتابي هذا فخذ البيعة على أهل المدينة والسلام»**[2].

إن رواية ابن أعثم تختلف كلية عمّا ذكرناه سابقا، وهي رواية يصعب تقبّلها،خاصّة في أسلوبها السّجعي المنتظم، والثابت أيضا أنّ يزيد كتب إليه في هذه الرسالة المعلنة بموت معاوية فقط، أما ما ذكره ابن اعثم من طلبه أخذ البيعة له فهذا ما لم يتضمّنه الكتاب، بل طلب البيعة جاء في كتاب منفرد لوحده كما سبق وأن ذكرنا[3]، ثمّ إذا كان يزيد طلب من الوليد بن عتبة في هذه الرسالة أن يأخذ البيعة له، فلماذا يفرد رسالة بعدها إلى الوليد يطلب منه أخذ البيعة كما ذكر ابن أعثم؟! فهذه رواية بعيدة كل البعد عن الصّواب في تقديرنا .

22- رسالة يزيد إلى الوليد بن عتبة لأخذ البيعة من النّفر الثلاثة الذين عارضوا بيعته[4]:

قال ابن أعثم: لمّا توفيّ معاوية كتب يزيد إلى واليه على المدينة بموت معاوية، وأخذ البيعة من أهل المدينة، «ثمّ كتب إليه في صحيفة صغيرة كأنها أذن فأرة :

أمّا بعد فخُذ الحسين بن علي وعبد الرّحمان بن أبي بكر، وعبد الله بن الزّبير وعبد الله بن عمر بن الخطاب أخذًا عنيفا ليست فيه رخصة، فمن أبى فاضرب عنقه، وابعث إليّ برأسه»[5].

هذه رسالة تختلف روايتها ومضمونها عن كل ما سبق ذكره من روايات، بل تحمل في طيّاتها شدة أكثر وعنفا زائدا، وعبارات مخالفة لما ذكرناه فيما سبق من الرّوايات التّي أوصى فيها بالرّفق وهذا ما يبعث إليها الشك.

ولعلّ ما يجعلنا نرّد هذه الرّواية جملة وتفصيلا هو ذكره لعبد الرّحمان بن أبي بكر في الرّسالة مع أنّ

---

[1] _يقصد آل علي بن أبي طالب.

[2] _الفتوح ، ج5، ص10.

[3] _انظر الفصل الأول من الباب الأوّل رسالة رقم 13.

[4] _رواية أخرى للرّسالة رقم 13.

[5] _الفتوح، ج5، ص10 .

عبد الرحمان توفي قبل هذه السنّة التي تولّى فيها يزيد[1]، فكيف يأمر بأخذ البيعة من ميّت؟!

ثم إن إقرار مثل هذا الذّي أمر به يزيد من ضرب الأعناق لا نلمسه عند طلب واليه الوليد بن عتبة البيعة من هؤلاء النّفر؟ فلماذا لم يضرب أعناقهم؟! وما حاجته إلى أن يستشير مروان بن الحكم في أمرهم؟ بل ضرب الأعناق هذا كان نصيحة من مروان لما استشاره الوليد، وهو مدسوس في الرّسالة هنا[2].

رواية أخرى لما سبق

-أ-

في حين أن اليعقوبي ذكر أن يزيد كتب إلى الوليد بن عتبة:

«إذا أتاك كتابي هذا فأحضر الحسين بن علي وعبد الله بن الزّبير فخذهما بالبيعة لي، فإن امتنعا فاضرب أعناقهما وابعث لي برؤوسهما. وخذ النّاس بالبيعة، فمن امتنع فانفذ فيه الحكم، وفي الحسين بن علي وعبد الله الزّبير والسّلام»[3].

نلمس في هذه الرّواية الشّدة نفسها التي في رواية ابن أعثم، وهذه أيضا من الصعب تقّبلها للأسباب الآنفة، كما أنّ ألفاظها تحمل نوعا من التكرار، فقد أمره في البداية بأخذ البيعة من الحسين وابن الزبير وإن أبيا يضرب أعناقهما ثم يعاود الكلام نفسه في آخر الرّسالة، ومثل هذا مستبعد في شخص يزيد الذّي عرف بفصاحته[4].

رواية أخرى لما سبق

-ب-

في حين أورد ابن قتيبة رواية أخرى تختلف عمّا سبق، إذ جاء عنده:«كتب يزيد إلى خالد بن الحكم[5] وهو عامله على المدينة:

---

[1] _كانت وفاة عبد الرحمان بن أبي بكر سنة 58هـ. انظر تاريخ خليفة، ص135.

[2] _لمّا استشار الوليد مروان نصحه بأخذ البيعة منهم وإلاّ ضرب أعناقهم. انظر: أنساب الأشراف، ج5، ص314، تاريخ الطبري: ج5، ص339، 340.

[3] _تاريخ اليعقوبي، ج2، ص241.

[4] _انظر في ذلك الذهبي، سير، ج4، ص37.

[5] _خالد بن الحكم: لم نعثر على رجل بهذا الأسم، ولم يذكر في ولاة المدينة ولعله قصد مروان بن الحكم، وهذا لم يحصل في ولايته، وإنّما في ولاية الوليد بن عتبة.

أمّا بعد فإنّ معاوية بن أبي سفيان كان عبدًا استخلفه الله على العباد، ومكّن له في البلاد[1]، وكان من حادث قضاء الله جلّ ثناؤه وتقدّست أسماء فيه ما سبق في الأوّلين والآخرين، لم يدفع عنه ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل، فعاش حميدا، ومات سعيدًا، وقد قلّدنا الله عزوجلّ ما كان إليه، فيا لها من مصيبة وما أجلها، ونعمة ما أعظمها، نقل الخلافة وفقد الخليفة، فنستوزعه[2] ونستهله الحمد، ونسأله الخير في الدّارين معا، ومحمود العقبى في الآخرة والأولى، إنّه ولي ذلك، وكل شيء بيده لا شريك له، وأنّ أهل المدينة قومنا ورجالنا ومن لم نزل على حسن الرّأي فيهم، والاستعداد بهم، واتباع أثر الخليفة فيهم، والإحتذاء على مثاله لديهم، من الإقبال عليهم والتّقبّل من مُحسنهم، والتّجاوز عن مُسيئهم، فبايع لنا قومنا ومن قِبلك من رجالنا بيعة منشرحة بها صدوركم، طيّبة عليها أنفسكم، وليكن أوّل من يبايعك من قومنا وأهلنا الحسين وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وعبد الله بن الزّبير، وعبد الله بن جعفر، ويحلفون على ذلك بجميع الأيمان اللاّزمة، ويحلفون بصدقة أموالهم غير عشرها، وجزية رقيقهم وطلاق نسائهم بالثّبات على الوفاء بما يُعطون من بيعتهم، ولا قوّة إلاّ باللّه والسّلام»[3].

ولا ينبغي علينا أيضا أن نسلّم بهذه الرسالة، لما جاء فيها من إطناب وسجع لا يستدعيه الموقف الذي فيه يزيد، والمحنة التي يمرّ بها، كذلك ذكره أن والي المدينة خالد بن الحكم يدفعنا إلى أن نحكم عليها بمثل ما حكمنا على رواية ابن أعثم السّابقة، ثمّ ما هي هذه الأيمان التي طلب منهم أن يحلفوا بها؟ يحلفون بصدقة أموالهم! وجزية رقيقهم! وطلاق نسائهم! أيّ يمين هذا الذي يعرضه يزيد على صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟!!

23- رسالة ثانية من يزيد إلى الوليد بن عتبة بأخذ البيعة له بعد رفض أهل المدينة:

وأورد بن أعثم رسالة ثانية من يزيد إلى الوليد بن عتبة قال: كتب الوليد بن عتبة إلى يزيد يخبره بأمر ابن الزّبير والحسين وأنّه ليس يرى لنا عليه طاعة ولا بيعة، فلمّا ورد الكتاب على يزيد غضب وكتب إلى الوليد:

«من عبد الله يزيد أمير المؤمنين إلى الوليد بن عتبة أما بعد: فإذا ورد عليك كتابي هذا فخذ

---

[1] _هذا جزء من خطبة يزيد عند تولّيه وليس رسالة، انظر التّمهيد.

[2] _أي نستلهمه ونستعينه. لسان العرب ، مج6، ص4825، 4826، مادة وزع.

[3] _الإمامة والسّياسة، ج1، ص174، 175 .

البيعة ثانيا على أهل المدينة بتوكيد منك عليهم، وذر عبد الله بن الزّبير فإنّه لن يفوتنا ولن ينجو منّا أبداً ما دام حيّا، وليكن مع جوابك إليّ رأس الحسين بن علي فإن فعلت ذلك جعلت لك أعنّه الخيل عندي الجائزة والحظ الأوفر والنّعمة واحدة والسّلام» [1].

إنّ هذه الرسالة تنافي ما ذكرناه من أمر يزيد بالرّفق بالحسين، وفي اعتقادنا أنّ يزيد لم يبعث برسالة ثانية في هذه الموقف، بل بعث برسالة لمّا خرج الحسين قاصداً العراق لبيعته[2].

24- رسالة يزيد بن معاوية إلى الوليد بن عتبة يعزله عن المدينة:

عن عبد الله بن عروة قال: لمّا ولّى يزيد كان على المدينة الوليد بن عتبة فكتب ابن الزبير إلى يزيد: «إنّك بعثتَ إلينا رجلا أخْرَق[3] لا يتّجه لأمر رشد، ولا يَرعوي لعِظة الحكم، ولو بعثت إلينا رجلا سهل الخلق ليّن الكَنَف[4] رجوتُ أن يسهّل من الأمور ما استوعر منها، وأن يجتمع ماتفرّق، فانظر في ذلك، فإنّ فيه صلاح خواصّنا وعوامنا إن شاء الله والسلام، **فبعث يزيد بن مُعاوية إلى الوليد فعَزله**» [5].

ونحن نشكّك في أمر هذه الرّسالة إذ أنّ يزيد لم يعزل الوليد عن المدينة إلّا سنة 62 هـ[6]وولّى مكانه عثمان بن محمد بن أبي سفيان[7] ثمّ إنّ ابن الزّبير في هذه الفترة كان لائذا بالحرم بعدما طلب منه الوليد بن عتبة البيعة ليزيد ولم يخرج منه حتّى قتل[8].

25- رسالة يزيد بن معاوية إلى أبي المهاجر ليبعثه له عقبة:

قال الواقدي : ولي عقبة بن نافع إفريقية فاختط القيروان، « ثم عزله يزيد سنة اثنين وستين بأبي المهاجر، فحينئذٍ قبض على عقبة وضيّق عليه **فكتب إليه يزيد يبعثه إليه**، وأعاده واليا على إفريقية، فحبس

---

[1] _الفتوح، ج5، ص18، 19 .

[2] _انظر الباب السّادس في موقفهم من آل البيت.

[3] _ أخرق من الخرق، وهو الجهل والحمق، وهو ضد الرفق أيضا. لسان العرب ، مج2، ص1143، مادة خرق.

[4] _كنف الرجل حضنه وصدره. لسان العرب ، مج5، ص3940، مادة كنف.

[5] _ تاريخ الطبري، ج5، ص479.

[6] _تاريخ خليفة، ص157.

[7] _عثمان بن محمد بن أبي سفيان بن حرب الأموي، ولي إمره المدينة زمن يزيد وكان بدمشق عند وفاة معاوية، أمّه أم عثمان بنت أسيد، حج بالناس سنة59، 62، 63هـ، وأُخرج من المدينة مع بني أمية قبل الحرّة. تاريخ خليفة، ص147، 148، 157، ابن عساكر: المصدر السابق، ج40، ص22-24. أخرق من الخرق، وهو الجهل والحمق، وهو ضد الرفق أيضا. لسان العرب، مج2، ص1143،مادة خرق.

[8] _انظر التّمهيد.

أبا المهاجر إلى أن قتلهم جميعا كسيلة ملك البَرَانس»[1].

والحقيقة أن معاوية هو من ولّى أبا المهاجر إفريقيّة سنة 57هـ ، وكتب له بهذا كمابيّنا سابقا، فلمّا تولّى يزيد أرسل عقبة من جديد وعزل أبا المهاجر[2].

26- رسالة مروان إلى النّعمان بن بشير يطلب بيعته:

أورد ابن أعثم رسالة من مروان إلى النعمان بن بشير قال: لـمّا قتل مروان بن الحكم الضّحاك بن قيس وأصحابه واستوثق له الأمر كتب إلى النعمان:

«أمّا بعد فقد يلغني ما كان من معونتك للضّحاك بن قيس، وقد قتل الله الضّحاك وشيعته، وأمكن منهم، وقد استقرّ الأمر قراره فانظر إذا ورد عليك كتابي هذا فزوّج ابنتك عمرة[3] من ابني عبد الملك، وادخل في طاعتي، وادع لي هنالك بالخلافة على منبر حمص، فإن فعلت ذلك محوت ما كان منك إليَّ من خطئتك، وإن أنت تربّصت أو ارتبت بعثت إليك من يقتلك، ويأخذ ابنتك غصبا والسّلام» [4].

فرفض النّعمان طلب مروان وقال ما كنت لأدخل في طاعة مروان الطّريد ابن الطّريد[5]، ولا أزوّج ابنتي ابنه، فجهّز جيشا يريد مكة، ويريد مبايعة ابن الزّبير، ولكن جيش مروان أدركه قريبا من حمص، فقتل النعمان وجزّ رأسه[6].

هذا ما جاء في رواية ابن أعثم، التي نشكّك في صّحتها، فالحقيقة أن النّعمان سمع بمقتل الضّحاك ولم يُراسله مروان، ثم إنه لما توجه إلى مكة يريد ابن الزّبير قتله أهل حمص وليس مروان ابن الحكم هو من فعل ذلك؟![7]

---

[1] _ ابن خلدون : العبر، ج3، ص13.

[2] _ راجع الرّسالة رقم 313، المالكي: رياض النفوس، ج1، ص33..

[3] _هي عمرة بنت النعمان بن بشير اسمها ليلى بنت هانيء الكندي: إمرأة شاعرة، سكنت دمشق، وخطبها الحارث بن خالد، وتزوجها المختار بن أبي عبيد، قتلها مصعب بن الزبير، سنة 67هـ. ابن عساكر:المصدر السابق، ج69، ص294-298.

[4] _الفتوح، ج5، ص172.

[5] _قوله الطريد بن الطّريد ذلك أن الرسول ﷺ نفى أباه الحكم إلى الطائف وكان معه مروان، ثم أقدمه عثمان بعدها. انظر: ابن عساكر، المصدر السابق، ج57، ص236، الذهبي: سير أعلام، ج3، ص477.

[6] _ابن أعثم: المصدر السابق، ج5، ص171، 172.

[7] _ البلاذري: أنساب، ج6، ص283، وانظر التمهيد.

27- رسالة عبد الملك إلى ابن عمر يطلب بيعته:

قال المدائني: بعد القضاء على ابن الزّبير «كتب عبد الملك إلى ابن عمر: **أن يبايع الحجّاج، فإنّ قِبلك خصالًا لا تصلح لك معها الخلافة منها البُخل والعَيّ**[1]» [2].

فلمّا وصل الكتاب لابن عمر قال: « سمعنا وأطعنا غفرانك ربّنا وإليك المصير، يعيّرني ابن مروان بالبخل والعيّ، فو الله لو ولّيت فأعطيت النّاس حقوقهم ما كان ذلك من مالي، وما من قرأ كتاب الله، وترك القول فيما لا يعنيه بعيّ» [3].

نلمس من هذه الرّسالة أنّ ابن عمر سعى للخلافة وطلبها، فهل هذا وارد حقيقة؟

إنّ هذا ممّا حاكه الرّوّاة على عبد الملك وابن عمر، إذ الواقع أنّ ابن عمر لم يطمع بالخلافة ولم يطلبها ، بل كان زاهدا فيها مناصحا لمن طلبها [4] ، خاصة وأنّ سنه تجاوز 83 سنة، بل هو نفسه أجاب الحجاج لمّا كتب إليه :بلغني أنّك طلبت الخلافة ، فكتب له ابن عمر: «أمّا ماذكرت من الخلافة أنّي طلبتها ، فما طلبتها وما هي من بالي »[5] .

28- رسالة عبد الملك إلى الحجّاج حين اقترح عليه تولية العهد للوليد بعده:

روى ابن قتيبة قال: لمّا فرغ الحجّاج من قتل الخوارج وتمّ أمر العراق، واستقّر ملك عبد الملك كتب إليه الحجّاج أن يبايع للوليد ابنه وليكتب له عهده للنّاس، فأبى ذلك عبد الملك لأنّ أخاه عبد العزيز كان حيّا، وكان استعمله على مصر، وكانت البيعة لهما بالشّام جميعا، لذلك «**كتب عبد الملك إلى الحجّاج يُوبّخه**» [6]، وكان عبد العزيز نظير عبد الملك في الحزم والرّأي، والعقل والذكاء واستمر عبد الملك في ذلك حتّى مات عبد العزيز سنة 85 هـ، فعندها عقد البيعة للوليد وسليمان[7].

هذا ما جاء في رواية ابن قتيبة والتّي لم تنقل لنا عبارات التّوبيخ، وأسلوب عبد الملك الذي عبّر به

---

(1) _العيّ من عيا واستعيا أي العجز والضعف، والدّاء العياء الذي لا دواء له فكأنما أعيا الأطباء. لسان العرب، مج4، ص2201، 2202، مادة عيا.

(2) _البلاذري : أنساب الأشراف، ج7، ص140، محمد ماهر حمادة: الوثائق، ص305.

(3) _البلاذري: أنساب، ج7، ص139، 140.

(4) _انظر ابن عساكر: تاريخ دمشق ،ج 31 ،ص193 .

(5) _ المصدر نفسه ،ص185.

(6) _الإمامة والسّياسة، ج2، ص44 .

(7) _المصدر نفسه، ص44، 45.

عن موقفه فهل حقيقة أنّ عبد الملك وبّخ الحجاج؟ إنّ هذا الأمر مستبعدٌ خاصّة ونحن نعلم أنّ عبد الملك كان يرغب في ذلك، بل هّم بتنفيذه لولا تدخّل قبيصة بن ذؤيب الذي نهاه عن خلع أخيه عبد العزيز، وحذّره العار، وقال له: لعلّ الموت يأتيه فتستريح منه، فكّف عبد الملك عن ذلك حتّى مات عبد العزيز[1].

فمادام عبد الملك يرغب في تولية الوليد وعزل أخيه عبد العزيز، فلِم يُلام الحجّاج ويوبَّخ؟! إنّ هذا يجعلنا متحفظيّن على هذه الرّواية، إلا أن يكون هذا التوبيخ عبارة عن تمويه من عبد الملك حتّى ينفّد الأمر في سرّية تامة، أو متى تحين الفرصة.

29- رسالة عبد الملك إلى أخيه عبد العزيز ليبعث بِشرا واليا على البصرة:

عن سعيد بن يزيد مولى مسلم قال: « لـمّا أراد عبد الملك أن يوّلي أخاه بشر بن مروان على العراق كتب إلى أخيه عبد العزيز بن مروان وهو بمصر وبشر معه يقود الجنود، وكان يومئذٍ حديث السّن:

إنّي قد ولّيت أخاك بشرا البصرة فأشخص معه موسى بن نصير وزيرًا ومشيرًا، وقد بعثتُ إليك بديوان العراق فأدفعه إلى موسى، وأعلمه أنّه المأخُوذ بكل خَلل أو تقصير»[2]، فشَخَص بشر من مصر إلى العراق ومعه موسى بن نصير[3].

ولا شكّ أن هذه الرسالة التي أوردها ابن قتيبة، لم يبعث بها عبد الملك، وهي غير صحيحة لعدّة أسباب: فعبد الملك لم يولِّ بشرا البصرة بل ولاّه الكوفة فقط[4]، ولم يجمع له البصرة إلاّ بعد مقتل واليها خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد[5] سنه74هـ[6]، ثم إنّ بشرا كان بالعراق مع عبد الملك لما ولاّه الكوفة، فلّما ولاه خطب فيهم: «إنّي استعملت عليكم رجلا من أهل بيت لم يزل الله عز وجل يُحسن إليهم في ولايتهم، أمرته بالشّدة والغلظة على أهل المعصية، وباللّين على أهل الطّاعة، فاسمعوا له وأطيعوا، وهو بشر بن مروان، وقد خلّفت معه أربعة آلاف من أهل الشام منهم روح بن زنباع الجذامي، ورجاء بن

---

(1) _ابن سعد: الطبقات، ج5، ص233، 234، تاريخ الطبري، ج6، ص212، الجهشياري: الوزراء والكتّاب، ص20. والحقيقة أنّ عبد العزيز ناشد أخاه ألاّ يعكّر عليه بقية حياته، فإنه لا يدري إلى أيّهما يسبق الموت.

(2) _ ابن قتيبة: الإمامة والسّياسة، ج2، ص48، محمد ماهر: الوثائق، ص297، أحمد زكي: جمهرة رسائل، ج2، ص138.

(3) _ ابن قتيبة: المصدر السابق، ج2، ص48.

(4) _ تاريخ خليفة ، ص168، ابن كثير: المصدر السابق، ج8، ص268.

(5) _ خالد بن عبد الله بن خالد بن أُسيد كان مع مصعب بالعراق، ثمّ لحق بعبد الملك وولاه البصرة ثم عزله وضمّها إلى أخيه بشر وكانت وفاته بدمشق. ابن حزم: جمهرة أنساب، ص114، ابن عساكر: تاريخ دمشق ، ج16، ص122.

(6) _تاريخ خليفة ، ص169، ابن عساكر: المصدر السابق ، ج10، ص255، 261.

حيوة الكندي»[1]، هذا ولم تذكر لنا المصادر شخوص موسى ابن نصير معه إلى العراق ، ثمّ هل كان بشر حقيقة حديث السن، ولو كان كذلك كيف يقود الجنود إذن؟! والحقيقة أن عمره كان يومئذ أربعين سنة أو يزيد[2]، وعليه فروايته ابن قتيبة لا محل لها من الصّحّة.

30- رسالة عبد الملك إلى الإصبغ بن عبد العزيز بن مروان ليطلّق سكينة بنت الحسين:

أبو الحسن الأسدي عن الرّياشي قال:«خطب عبد الملك سكينة بنت الحسين[3]، فقالت أمّها، لاواللّه لا يتزوجها أبدًا، وقد قتل ابن اختي-تعني مصعبا- فتزوجت الإصبغ بن عبد العزيز بن مروان[4]- وكان يتولّى مصر- وبلغ عبد الملك زواجه منها، فغاضه الأمر فكتب إليه:

اختَر مصر أو سكينة.

فبعث إليها بطلاقها، ولم يدخل بها، ومتّعها بعشرين ألف دينار»[5].

هذا ونشير إلى أن الإصبع بن عبد العزيز لم يُذكر في ولاة مصر بل كان أبوه عبد العزيز بن مروان عليها ، فمات عبد العزيز سنة خمس وثمانين فولاّها عبد الملك ابنه عبد الله بن عبد الملك[6] الذي بقي واليا إلى سنة 89هـ.[7] وعليه لا نعتقد بأنّ عبد الملك كتب بهذا إلى ابن أخيه.

31- رسالة عبد الملك إلى الحارث بن خالد حين أخّر الصّلاة يؤنّبه:

عن الزّبيري قال: ولّى عبد الملك الحارث بن خالد مكّة ، وأذّن المؤذّن يومًا، وخرج إلى الصّلاة،

---

[1] _ابن عساكر: المصدر السابق، ج10، ص262.

[2] _المصدر نفسه، ج10، ص253، 266، الذهبي: سير، ج4، ص145، 146.

[3] _هي سكنية بنت الحسين بن علي، كانت بديعة الجمال، تزوّجها ابن عمّها عبد الله بن الحسن الأكبر، فقُتل مع أبيها قبل الدّخول بها، ثمّ تزوّجها مصعب بن الزّبير، كانت شهمة مهيبة، توفيت سنة 117هـ. ابن عساكر: المصدر السابق، ج69، ص206-220، الزركلي: الاعلام ، ج5، ص262، 263.

[4] _ الإصبغ بن عبد العزيز بن مروان أمير من بني أميّة، كانت لأبيه إمرة مصر، توفي بالاسكندرية شابًا قبل وفاة أبيه سنة 86هـ. الزركلي: المرجع السابق ، ج1، ص339.

[5] _ أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ج12، ص5548.

[6] _عبد الله بن عبد الملك بن مروان أمّه أمّ ولد، وصف بحسن الوجه والمذهب، ولي العشر في خلافة أبيه ثمّ غزا أرض الرّوم، ففتح الله على يديه عدة حصون، وبنى المصيصة سنة 84هـ وتولّى مصر سنة 86 وعزل سنة 90هـ، وكانت وفاته سنة 100هـ. ابن عساكر: المصدر السابق، ج29، ص343-353، الذهبي: تاريخ الإسلام، ج3، ص164.

[7] _تاريخ خليفة، ص188.

فأرسلتْ إليه عائشة بنت طلحة[1] أنّه بقي عليّ شيء من طوافي لم أُتمّه، فقعد وأمر المؤذّنين، فكفّوا عن الإقامة، وجعل النّاس يصيحون حتّى فرغت من طوافها، فبلغ ذلك عبد الملك بن مروان فعزله، وولّى مكّة عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد بن أسيد[2] وكتب إلى الحارث:

«ويلك أتركت الصّلاة لعائشة بنت طلحة؟

فقال الحارث: والله لو لم تقضِ طوافها إلى الفجر لما كبّرت» [3]، وقد كان يحبّها وشبّب بها.

هذه هي ر رسالة عبد الملك في لوم الحارث بن خالد، فهل حقيقة أنّ الحارث أخّر الصّلاة بسبب عائشة بنت طلحة؟! وفي اعتقادنا أنّ هذا لم يحصل، ونحن نشكّك في هذا الأمر خاصّة ما دُمنا لا نعتقد بأنّ عبد الملك ولّى الحارث على مكة ولا عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد بن أُسيد[4] إلّا إذا حصل له هذا في ولايته على مكّة زمن يزيد بن مُعاوية[5]، فعوقب بالعزل جزاء فعلته.

32-رسالة عبد الملك إلى الحجّاج يولّيه العراق كما أوردها ابن قتيبة[6]:

أمّا أبو معشر فقال: لما مات بشر بن مروان-وكان على الكوفة والبصرة -كتب إليه عبد الملك:

«**أن سِر إلى العِراقين واحتل لقَتلهم، فإنّه قد بلَغني عنهم ما أكره**...توجّه ومعه ألفا رجل من مقاتلة أهل الشّام وحماتهم، وأربعة آلاف من أخلاط الناس، وتقدم بألفي رجل، وتحرّى دخول البصرة يوم الجمعة في حين أوان الصلاة، فلما دنا من البصرة أمرهم أن يتفرّقوا على أبواب المسجد، على كلّ باب مئة رجل بأسيافهم» [7].

فلمّا دخل الحجاج المسجد حصبوه وسارع الناس في الخروج من المسجد، فتلقاهم جنود الحجاج

---

[1] _ هي عائشة بنت طلحة ابن عبيد الله التّيميّة، بنت أخت أم المؤمنين عائشة، أمّها أم كلثوم بنت الصدّيق، تزوجها ابن خالها عبد الله بن عبد الرحمن بن إبي بكر الصديق، ثم بعده مصعب بن الزّبير، ثم عمر بن عبد الله التّيمي، وفدت على هشام بن عبد الملك وبقيت إلى قريب من سنة 110 هـ. ابن عساكر: المصدر السابق، ج69، ص 248- 260، الذّهبي: سير، ج4، ص 369، 370.

[2] _ هو عبد الرّحمن بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن العيص بن أميّة، كان والده واليا على الكوفة لزياد، ثم عزله بعد موته. تاريخ خليفة، ص 134.

[3] _ أبو الفرج الاصفهاني: الأغاني، ج3، ص 1048، ابن حمدون : التّذكرة الحمدونيّة، ج6، ص 179 .

[4] _ قال خليفة ابن خياط في ولّاة مكّة زمن عبد الملك: "شخص الحجّاج سنة خمس وسبعين ،واستخلف على مكّة قيس بن مخرمة ،فعزله عبد الملك وولّى نافع بن علقمة بن صفوان ، فلم يزل عليها حتّى مات عبد الملك ". تاريخ خليفة، ص 186.

[5] _ تولى الحارث مكة ليزيد بن معاوية، انظر تاريخ خليفة، ص 156، ابن عساكر: المصدر السّابق، ج11، ص 415، 416.

[6] _رواية أخرى للرّسالة رقم 269.

[7] _ ابن قتيبة : الإمامة والسياسية، ج2، ص25.

بالسّيوف، فقتل منهم بضعة وسبعون ألفا، حتّى سالت الدماء إلى باب المسجد وإلى السكك !! [1].

ورواية ابن قتيبة أيضا تشير إلى أنّ عبد الملك أمر الحجاج بقتل أهل العراق، وأطلق يده في الدماء ! وهذا مستبعد تماما، ومخالف للروايات الصحيحة، ثم إنّ الحجاج سارإلى الكوفة وليس إلى البصرة كما ذكر ابن قتيبة ومعه جماعة قليلة من أصحابه وليس جيشا! بل راح ابن قتيبة يذكر أنّه قتل ممن كان في المسجد سبعين ألفا؟! وسالت الدماء في الطرقات!! وهذا كله يجعل منها رواية من الروايات الأسطورية التي لا تمتّ بصلة إلى الواقع والحقيقة.

33-جواب عبد الملك للحجّاج حين طلب عزله عن العراق:

ذكر المفضل بن محمد[2] أنّ الحجاج مرّ حين وفد على عبد الملك بديرٍ فنزله، فوجد هناك شيخا من أهل الكتب عالما، فأخبره أنّ سليمان سيلي الخلافة، فسأله الحجاج: أتعلم ما ألي ؟ قال: أعلم.قال: فمن يليه بعدي؟ قال: رجل يقال له يزيد، قال: في حياتي أم بعد موتي؟ قال لا أدري، قال: أفتعرف صفته، قال: يغدر غدره لا أعرف غير هذا، »فوقع في نفسه أنّه يزيد بن المهب وارتحل فسار سبعا، وهو وجِلٌ من قول الشيخ، وقدم فكتب إلى عبد الملك يستعفيه من العراق، فكتب [إليه عبد الملك] [3]:

يا ابن أم الحجاج قد علمتُ الذي تغزو وأنّك تريد أن تعلم رأيي فيك، ولَعمري إنّي لأرى مكان نافع بن علقمة[4] فالهُ عن هذا حتى يأتي الله بما هو آت، [ثم أجمع الحجاج على عزل يزيد][5]»[6].

هذه هي الرواية التي ذكرت أمر الحجاج، وما حصل له مع الشيخ من تنبؤات بنى عليها الحجاج طلب العزل خوفا من يزيد، فهل صحيح أنّ الحجاج بنى قرارا سياسيا بمستوى إقالته على تخمين راهب وتنبؤات غيبيّة؟

---

(1) _ ابن قتيبة : الإمامة والسياسية، ج2، ص25، 26.

(2) _ كذا عند الطبري، ورواية ابن خلكان لاسند لها.

(3) _إضافة من وفيات الأعيان.

(4) _ نافع بن علقمة النوفلي من أهل دمشق وسكن مكة، وأصله من قريش من بني عبد نوفل بن عبد مناف، تولى مكة لعبد الملك فلم يزل عليها حتى مات عبد الملك.فأقره الوليد سنتين ثم عزله سنة 89 هـ بخالد بن عبد الله القسري. تاريخ حليفة، ص186، 198.ابن عساكر: المصدر السابق، ج61، ص410-412.

(5) _ إضافة من وفيات الأعيان.

(6) _ تاريخ الطبري، ج6، ص393، 394، ابن خلكان: وفيات لأعيان، ج6، ص289، ابن كثير: البداية والنهاية، ج9، ص 97 . وأخذ روايته عن الطبري.

إنّه من المستبعد أن يتخذ الحجاج قراره على سماع خبر من راهب فيه من الكذب والتّزوير أكثر مما بقي من الحقيقة، ولاسيما أنّ الخبر يشير إلى أن سليمان بن عبد الملك سيلي الخلافة، فلو كان الحجاج مصدّقا له فلمَ انحرف بعدها مع الوليد في رغبته بيعة أحد من أبنائه وعزل أخيه سليمان من ولاية العهد، ممّا جر عليه نقمة سليمان، فنكّل بقرابته، مع أنّ هذا من أمور الغيب التي لا يعلمها إلا الله، ولم يكن الحجاج ذا مستوى بسيط من التّفكير ليصدّق كل متقوّل مدّع شيئا من علم الغيب، كما تصوره الرواية السابقة، فهي رواية عليها طابع الوضع ظاهرا وأشبه ما تكون بالأساطير[1].

34-رسالة عبد الملك إلى أهل مكّة بولاية خالد القِسري:

لمّا هُزم ابن لأشعث لحق سعيد بن جبير بمكّة -وكان مع ابن الأشعث- وذكروا أنّ مسلمة كان واليا على مكة، فبينما هو يخطب على المنبر، إذ أقبل خالد بن عبد الله القسري من الشّام واليا عليها، فدخل المسجد، فلمّا قضى مسلمة خطبته، صعد خالد المنبر، فلما ارتقى في الدرجة الثالثة تحت مسلمة، أخرج طومارا مختوما، فقبضه ثم قرأه على النّاس فيه:

«لبسم الله الرّحمن الرّحيم من عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين إلى أهل مكة، أما بعد، فإنّي ولّيت عليكم خالد بن عبد الله القسري، فاسمعوا له وأطيعوا، ولا يجعلنّ امرؤ على نفسه سبيلا، فإنّما هو القتلُ لا غير، وقد برِئت الذّمة من رجل آوى سعيد بن جُبير والسلام»[2].

هذا ما جاء في الرّواية التي لا نعتقد بصحّتها خاصة ونحن نعلم أنّ مسلمة لم يتولّ مكة لأبيه عبد الملك، وكذا خالد القسري[3] فهذا الأخير ولي الموسم[4]، ثمّ ولي مكة في خلافة أخيه الوليد[5] بإشارة من الحجّاج وليس في خلافة عبد الملك كما سبق وأن ذكرنا، وصحيح أنّ خالد القسري هو من أمسك بابن جبير وبعث به إلى الحجاج ليقتله وذلك سنة 95هـ[6]، في خلافة الوليد، أمّا أن تجري هذه الأحداث في خلافة عبد الملك فهذا ممّا لا نسلّم به.

35- رسالة عبد الملك إلى موسى بن نصير يُكافئه عن الفتح:

قال ابن قتيبة: لمّا وصل خبر فتوح موسى بن نصير بالمغرب إلى عبد الملك كتب إليه:

---

[1] _ عبد الله فراج : مرويّات خلافة عبد الملك، ص391.

[2] _ابن قتيبة : الإمامة والسياسية، ج2، ص42 .

[3] _ انظر تاريخ خليفة، ص186 في تسمية عمال عبد الملك على مكة.

[4] _ ابن عساكر: المصدر السابق، ج58، ص27.

[5] _ تاريخ خليفة، ص198، ابن عساكر: المصدر السابق، ج16، ص138.

[6] _ الذهبي : سير أعلام، ج4، ص336.

«يُعلمه أنه قد فرض لجميع ولده فَيْء مئة، وبلغ به هو المِئتين، وفرض في مواليه وأهل الجزاء والبلاء ممّن معه خمس مئة رجل ثلاثين ثلاثين وكتب إليه: إنّ أمير المؤمنين قد أمَرَ لك بمئة ألف التي أغرمها لك فخُذها من قِبَلك من الأخماس»[1].

وفي هذه الرّواية نظر، إذ أنّ هذا الأمر من عبد الملك يعدّ تعدّيا على مال الأمة، إذ أنّ الخمس يعود إلى بيت المال، والمسلمون فيه شركاء، وليس من حقّ عبد الملك أن يهب منه لمن شاء.

36- رسالة الوليد بعزل أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن المدينة :

قال وكيع: لمّا رأى الأحوص الشّاعر تحامل ابن حزم عليه إمتدح الوليد بن عبد الملك ثم شخص إلى الشّام يمدحه ويذم ابن حزم وينسبه وأهله إلى الخروج على عثمان، فقال الوليد: «صدقتَ والله لقد أغفلنا ابن حزم ثم دعا كاتبه وقال:

أكتب عهد عثمان بن حيان المُرّي على المدينة، واعزل ابن حزم، واكتُب إليه أن يستصفي أموال ابن حزم، وأن يُسقَطوا من الدّيوان، ولابن حزم قضايا كثيرة» [2].

فكيف يصدّق الوليد شاعرا ماجنا يلفّق على النّاس ويهجوهم، ثمّ إنّ ابن حزم لم يتولّ المدينة إلّا بعد عزل عثمان بن حيّان زمن سليمان بن عبد الملك وكان قبل ذلك قاضيا[3].

37- رسالة الوليد إلى سليمان يعاتبه على تمنّي موته:

[رسالة الوليد] قال المسعودي: «اشتكى الوليد، فبلغه عن أخيه سليمان تمنٍّ لموته، لما له من العهد بعده، فكتب إليه الوليد: **يعتب عليه الذي بلَغه**، وكتب في آخر كتابه هذه الأبيات [الطويل]:

تمنّى رجالٌ أن أمـوت وإنْ أمُـــتْ ... فتلك سبيل لستُ فيها بأوحـــــدِ

[وقد علموا ولو ينفع العـلم عندهـم ... لئن متّ ما الدّاعي عليّ بمـخلـــــد] [4]

لعل الذي يرجو فنائي ويـــــدّعي ... به قبل موتي أن يكون هو الـــرّدي

فما موت من قد مات قبلي بضائِري ... ولا عيش من قد عاش بعدي بمُخلدي

---

[1] _ الإمامة والسياسية، ج2، ص56 .

[2] _ وكيع : أخبار القضاة، ج1، ص95.

[3] _ تاريخ خليفة ، ص 198 ، ابن عساكر : تاريخ دمشق ، ج66 ، ص 45 .

[4] _البيت مضاف من التّذكرة الحمدونيّة .

فقل للّذي يرجو خلاف الذّي مـضى تزّود لأخرى غيرها فكأن قـــــــــدِ

منيّته تجري لـــوقت وحتفُـــــــه سيُلحِقه يومًا على غير مـــــــــوعدِ» [1].

فالمسعودي انفرد بهذه الرّواية التّي نشكّك في صحّتها فهذه الأبيات نسبت للإمام الشّافعي[2] ، وقيل بل كتب بها يزيد بن عبد الملك إلى هشام لـمّا بلغه أنّه سُرّ بشكايته [3]، لذا حكمنا بالوضع على هذه الرّسالة وما يليها من رسائل في هذا الشّأن.

[ردّ سليمان]«فهمتُ ما قال أمير المؤمنين، ووالله لو كنتُ تمنيّت ذلك لما يخطرُ بالبال إنّي لأوّل لاحقٌ به، ومنعيٌّ إلى أهله، فعلامَ أتمنّى زوال مدّة لا يلبث متمنّيها إلاّ بقدر ما يحلُّ السّفرُ بمنزل ثمّ يظعنون[4] عنه؟ وقد بلغ أمير المؤمنين ما لم يظهر من لفظي، ولا يُرى من لحظي، ومتى سمع أمير المؤمنين من أهل النّميمة، ومن ليس له رويّة، أوشك أن يسرع في فساد النّيّات، ويقطع بين ذوي الأرحام والقربات وكتب أسفل كتابه:

ومن لا يغمض عينه عن صديقه وعن بعض ما فيه يَمتْ وهو عاتبُ

ومن يتّبع جاهدًا كلّ عثـــرةٍ يجدْها ولم يسلَم له الدّهر صاحبُ»[5].

- 38- ردّ الوليد على جواب أخيه سليمان:

وذكر المسعودي في تتمّة روايته السّابقة قال: فكتب الوليد إلى أخيه سليمان:

«ما أحسن ما اعتذرتَ به وحذوتَ عليه، وأنت الصّادق في المقال، والكامل في الفِعال، وما شيء أشبه بك من اعتذارك، ولا أبعد ممّا قيل فيك والسّلام»[6].

39- رسالة الوليد بن عبد الملك إلى موسى بن نصير لمّا أساء لطارق بن زياد وسجنه:

عن اللّيث بن سعد قال[7]: لمّا فتح طارق الأندلس، واستأثر بالفتح والغنائم حبسه موسى بن

---

(1) _مروج الذهب، ج3، ص117، ابن حمدون : التّذكرة الحمدونيّة ، ج5، ص37 .

(2) _تاريخ دمشق ، ج51 ، ص 428 ، والأبيات الأربعة الأولى مثبتة في ديوان الشّافعي مع بعض الأختلاف ،ص49.

(3) _انظر الدّينوري : المجالسة وجواهر العلم ، ص557 ، ابن عساكر: المصدر السّابق ، ج65 ، ص306.

(4) _يظعنون: من الظعن وهو ضد الإقامة، أي الإرتحال. لسان العرب، مج4، ص2747، مادة ظعن.

(5) _مروج الذهب، ج3، ص117 ، ابن حمدون: المصدر السّابق، ج5، ص37.

(6) _مروج الذهب، ج5، ص117.

(7) _ كذا في فتوح مصر لابن عبد الحكم وفي تاريخ دمشق عن الحميدي .

نصير، وكان مغيث الرّومي مولى للوليد بن عبد الملك، فبعث إليه طارق: إنّك إن رفعت أمري للوليد وأنّ فتح الأندلس كان على يديّ، وأنّ موسى حبسني يريد قتلي، أعطيتُك مائة عبد، فبلّغ معتب ذلك للوليد، «**فكتب الوليد إلى موسى يُقسم بالله لئِن ضربْتَه لأضربنّك ولئن قتلته لأقتُلَنّ ولدك به**، ووجّه الكتاب مع مغيث الرّومي، فقدم على موسى، فلما قرأه أطلق طارقا وخلّى سبيله» [1]

إنّ هذه الرّواية يحيط بها الكثير من الشّكّ أذ أنّ الفتح قد تمّ بأمر موسى، وليس قرارًا إرتجاليًّا من عند طارق[2]،ثمّ ما هو السبب الذي حمل موسى على سجن طارق أهو استئثاره بالغنائم، أم عدم أخذ الإذن في الفتح؟

ففي هذه الرّواية يسهب ابن عبد الحكم – على غير عادته – في تفصيل مافعل موسى بطارق ومافعله مغيث من مساعدة طارق والإسراع إلى الخليفة لإنقاذه، ولسنا نفهم سببا لهذا الإسهاب إلّا أن تكون أخبار كهذه قد شاعت وتداولها النّاس في المشرق، ولمّا كان مغيث هو الوحيد الذّي أتيح له الحديث إلى الخليفة فلا يستبعد أن يكون صاحب هذه الشائعات[3]، وهذا ما تؤيّده رواية المقري، إذ ذكر أنّ موسى بعث برسولين إلى الخليفة الوليد يُنهيان إليه أخبار الفتح العظيم، وكان مغيث أحد الرّسولين، والذّي يبدو أنّه كان حانقا على موسى لشيء في نفسه، أو لأنّه ساءه أن ينسب فضل الفتح كلّه إلى نفسه، مغفلا دور طارق في ذلك، فلم يأل جهدا في تنقّص موسى وتشويه سمعته، فكان لكلامه أسوأ الأثر على مصير موسى فيما بعد[4].

40- رسالة سليمان إلى أسامة بن زيد يأمره بالشّدة مع أهل مصر:

كتب سليمان بن عبد الملك إلى أسامة بن زيد[5] وهو على مصر:

«**أحلب الدُّرّ[6]حتّى ينقطع واحلب الدّم حتى ينصَرم**[7]، فذلك أول شدة دخلت على

---

[1] _ ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ج1، ص 283 ، ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج24، ص 420 .

[2] _ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج1، ص 391.

[3] _ حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص93 .

[4] _ نفح الطّيب، ج1، ص274، 275.

[5] _ هو أسامة بن زيد بن عدي أبو عيسى التنوخي الكاتب الكلبي، مولى سُليح، ولي الكتابة للوليد بن عبد الملك، وولى الخراج لهشام.دخل مصر أميرا من قِبل سليمان سنة 96 أو 97 هـ وعزل بعبيد الله بن الحيجاب. ابن عساكر: المصدر السابق، ج8، ص 83-86، ابن حبان: الثقات، ج6، ص74.

[6] _ الدر هو الحليب. لسان العرب، مج 2، ص1356، مادة درر.

[7] _ ينصرم أي ينقطع وقيل القطع البائن. لسان العرب ، مج3، ص2437، مادة صرم.

مصر»[1].

الحقيقة أنّ سليمان لم يكتب بهذا إلى أسامة، بل أوصاه به قبل أن يتوجّه إلى مصر، وقال له: «احلب حتى ينفيك[2] الدم، فإذا أنفاك فاحلب حتى ينفيك القيح، لا تنفيها لأحد بعدي»[3] ، ولا نعتقد أنّ سليمان أعاد له الكتابة بذلك.

41- رسالة سليمان إلى عبد الله بن موسى بن نصير ليبعث رجالا لأخيه عبد العزيز:

عن محمد بن عبد الملك قال: لمّا بلغ عبد العزيز بن موسى بن نصير[4] ما فعله سليمان بأبيه وتعذيبه إيّاه، تكلّم بكلام وحملته حميّة لما صُنع بأبيه على حسن بلائه، فنمَت إلى سليمان فخاف أن يخلعه عبد العزيز، فكتب إلى عبد الله بن موسى[5]:

«إنّي نظرتُ فإذا عبد العزيز بإزاء[6] عدوّ يحتاج فيه إلى العناء والبلاء، فسأل أميرُ المؤمنين، فأُخبِر أنّ معك رجالا منهم فلان وفلان فأشخِصْهم إلى عبد العزيز بن موسى»[7].

42- رسالة سليمان إلى عبد العزيز بن موسى بن نصير يُمدّه بالرّجال:

وذكر ابن قتيبة في روايته السّابقة قال: وكتب سليمان إلى عبد العزيز بن موسى:

«أمّا بعد، فإنّ أمير المؤمنين قد علِم ما أنت بِسَبيله من العدوّ، وحاجتك إلى الرّجال أهل الذّكاء والعَناء، فذُكر له أنّ بإفريقيّة رجالا منهم، فكتب أمير المؤمنين إلى عبد الله بن موسى يأمره بإشخاصهم إليك فولِّهم أطرافك وثغورك، واجعلهم أهل خاصّتك»[8].

---

[1] _ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج1، ص296.

[2] _ أي يخرج وينفصل. لسان العرب، مج 5، ص 3451، مادة فكك.

[3] _ ابن عساكر : المصدر السابق، ج8، ص86.

[4] _ هو عبد العزيز بن موسى بن نصير اللّخمي ، أمير فاتح ولّاه أبوه إمارة الأندلس عند عودته إلى الشّام سنة 95 هـ ، فضبطها وسدّد أمورها وافتتح مدائن ،كان شجاعا حازما فاضلا في أخلاقه وسيرته ، ولمّا سخط سليمان على أبيه موسى بعث إليه الجند فقتلوه سنة 97 هـ. ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، ج4، ص300، الزّركلي : الأعلام ، ج4 ، ص 28.

[5] _ هو عبد الله بن موسى بن نصير اللّخمي ، أمير من رجال الفتوح في المغرب ،كان مع أبيه بإفريقيّة قبل دخوله الأندلس ، واستخلفه أبوه على القيروان سنة 93 هـ فاستمرّ إلى 97 هـ ، فعزله سليمان وولّى محمّد بن يزيد القرشي ، قتله بشر بن صفوان سنة 103 هـ .ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج61، ص 216 ، ابن الأثير: الكامل ،ج4، ص300، الزركلي: المرجع السّابق، ج4 ، ص 140، 141.

[6] _ أي بمحاذاة ومقابلة العدو. لسان العرب ، مج1، ص75، مادة أزا.

[7] _ابن قتيبة: الإمامة والسياسية، ج2، ص79، محمد ماهر: الوثائق، ص414، أحمد زكي: جمهرة رسائل، ج2، ص263.

[8] _الإمامة والسياسة، ج2، ص79، أحمد زكي: المرجع السابق، ج2، ص264.

43- رسالة سليمان إلى بعض الرّجال ليقتلوا عبد العزيز بن موسى بن نصير:

وزاد ابن قتيبة في روايته السابقة عن محمد بن عبد الملك قال: لمّا كتب سليمان إلى عبد الله بن موسى بإمداد أخيه بالأندلس بمجموعة من الرجال «كتب سليمان إلى حبيبت بن أبي عبيدة[1] وابن وعلة التميمي[2] وسعد بن عثمان بن ياسر[3] وعمر بن زياد اليحصبي[4] وعمرو بن شرحبيل[5] :

إنّي قد بعثتُ لكم بكتاب أهل الأندلس بالسّمع والطّاعة لكم، والغدر في قتله، فإذا أولاكم أطرافه فاقرؤوا عهدي على من قِبَلكم من المسلمين، ثم ارجعوا إليه حتّى تَقتلوه»[6].

وكان ذلك سنة 97 هـ ، فلمّا أشخصهم عبد الله بن موسى إلى الأندلس، قدموا على عبد العزيز فقرّبهم وأكرمهم وولّاهم نواحي، فخرجوا عليه وقتلوه، وكان الذي تولّى قتله حبيب بن أبي عبيدة[7]، فحمل رأس عبد العزيز إلى سليمان، فولّى حبيبا قتال الخوارج البربر بإفريقيّة مكافأة له[8]، وولّى الأندلس عبد الرحمن الثقفي[9] ، وعزل عبد الله بن موسى بن نصير عن إفريقية[10].

إنّ القول بأنّ سليمان هو الذّي أوعز بقتل عبد العزيز كما تذكر الرّوايات الثّلاثة الأخيرة هو قول لايجد مايؤيّده ، لأنّ الخليفة لم يكن عاجزا عن عزله إن أراد ، ولم يكن ليخشى ثورته بالجند لأنّ الجند كان

---

(1) _ حبيبت بن أبي عبيدة مصري سكن الأندلس وولي بها ولايات، وأبو عبيدة هو ابن عقبة بن نافع الفهري، كان حبيب من وجوه أصحاب موسى وأحد الأمراء الشجعان، توفي سنة 124. ابن عساكر: المصدر السابق، ج12، ص42، الزركلي: الأعلام، ج2، ص165.

(2) _ ابن وعلة التميمي: هو عبد الرحمن بن وعلة، ويقال ابن اسميقع السبئي المصري، كان شريفا بمصر في أيامه، وله وفادة على معاوية، وصار إلى افريقية، وبها مسجده ومواليه وأصوله من سبأ. المزي: تهذيب الكمال، ج17، ص478، 479.

(3) _ لم نحصل على ترجمته.

(4) _ عمر بن زياد اليحصبي عداده في أهل مصر يكنّى أبو فراس، يروي عن رجال من أصحاب رسول الله. ابن حبان: الثّقات، ج5، ص175.

(5) _ عمرو بن شرحبيل، لم نحصل على ترجمته، وذكر الذهبي رجلا بهذا الاسم عمرو بن شرحبيل أبو مسيرة الهمذاني الكوفي مات في ولاية عبيد الله بن زياد. انظر الذهبي: سير أعلام، ج4، ص136، المزي، المصدر السابق، ج32، ص60.

(6) _ الإمامة والسياسة، ج2، ص79، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، ج4، ص300 ، محمد ماهر: المرجع السابق، ص414، أحمد زكي: المرجع السابق، ج2، ص263.

(7) _ ابن قتيبة : الإمامة والسياسة، ج2، ص79.

(8) _ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج12، ص42.

(9) _ هو عبد الرحمن بن عبد الله بن بشير الغافقي أبو سعيد أمير الأندلس من كبار الغزاة الشّجعان، أصله من اليمن رحل إلى افريقية واتصل بموسى بن نصير ودخل الاندلس وتولى الشاطئ الشرقي منها، ثم ولاه هشام بن عبد الملك الأندلس ودحر جيوش شارل مارتل توفي سنة 114. ابن الأثير: الكامل، ج4، ص300، الزركلي: المرجع السّابق، ج3، ص310.

(10) _ ابن الأثير: الكامل ، ج4، ص300 .

مختلفا عليه ، وليس بمعقول أن يكون حقد سليمان على عبد العزيز أشدّ من حقده على أبيه موسى ، ثمّ لسنا نفهم كيف عرف الجند أنّ عبد العزيز قد تنصّر كما زعموا ، لمجرد عمل لايعلمون نيته فيه كما جاء عند ابن الأثير؟ ولماذا لم يثوروا على من شرب الخمر وأسرف في المحرّمات وقد كان جند الأندلس أكثر إسرافا في هذه الأمور ؟[1].

ومصداق ذلك أنّ سليمان لمّا بلغه مقتل عبد العزيز بن موسى شقّ عليه ذلك ، فولّى إفريقيّة محمد بن يزيد القرشي[2] ، وأمره سليمان في فعلة حبيب بن أبي عبيد وزياد بن النّابغة من قتل عبد العزيز بالتّشدّد في ذلك ، وأن يقفلهما إليه ومن شركهما في قتله ، فممّا يُفهم أنّ الأمر دبّر بغير علم الخليفة بين محمّد بن يزيد عامل إفريقيّة وبين حبيب بن أبي عبيدة ونفر من الجند[3] .

ومن المحتمل أنّ عبد العزيز تكلّم بشيء من السّخط على بني أميّة بسبب ما فعله سليمان بأبيه ، ولكن لم يبلغ به الأمر حدّ الخلع ، ولو خلع لأبعد حبيب بن أبي عبيدة من معسكره ولاحتاط منه على الأقل. [4]

44-رسالة سليمان إلى أخيه مَسلمة يقفله من أرض الرّوم:

قال ابن أعثم:«كتب سليمان إلى أخيه مسلمة بن عبد الملك، ومسلمة يومئذ بأرض الرّوم على باب القسنطنطينية...قال:

فكتب إليه سليمان بن عبد الملك كتابا لَطيفا يُعزّيه في أبيه عبد الملك وفي أخيه الوليد وخبّره في كتابه بأمر يزيد بن المهلب[5]، وأمَرَه في كتابه بالانصراف إلى ما قِبله ليُوجّه به إلى خراسان»[6] فعاد إلى الشام.

وفي اعتقادنا أنّ هذه الرواية لابن أعثم غير صحيحة، فصحيح أنّ مسلمة ضرب الحصار على

---

[1] _ حسين مؤنس : فجر الأندلس، ص 118 .

[2] _ محمد بن يزيد القرشي بالولاء، أمير إفريقية ، أرسله سليمان بن عبد الملك من الشام سنة 97 هـ واليا عليها، وكانت الاندلس تابعة لها، وعزله الخليفة عمر بن عبد العزيز بعد وفاة سليمان بن عبد الملك سنة 99، ولما ولي الخلافة يزيد ابن عبد الملك سنة 101 هـ ، ولى على إفريقية يزيد بن أبي مسلم، كاتب الحجاج، فأراد هذا أن يسير في إفريقية بسيرة الحجاج في العراق، فقتله أهلها وأعادوا محمد ابن يزيد ، فأقر محمد بن يزيد على عمله، فكانت ولايته الثانية، ولم تطل مدته فان الخليفة يزيد أرسل بشر بن أبي صفوان من مصر، فتولى إفريقية، كانت وفاته بعد سنة 101هـ.تاريخ خليفة ، ص 209، ابن الأثير: الكامل ج4 ، ص300 ،الزركلي: الأعلام ، ج7 ، ص 143.

[3] _ انظر ابن عذارى : البيان المغرب ، ج1، ص 47 . إذ لم يأمرهم بقتل عبد العزيز وإنّما محاسبته .

[4] _ حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص 118 ، 119 .

[5] _ يقصد فتوح يزيد بن المهلب بجرجان.

[6] _ ابن أعثم : المصدر السابق، ج7، ص197 .

القسطنطينية في خلافة أخيه سليمان[1]، لكنّ المصادر لم تذكر لنا توجّه مسلمة إلى خراسان في خلافة أخيه سليمان ولا تولاها[2]، ثمّ لماذا يعزّيه سليمان في كتابه بأبيه عبد الملك، وقد مضى على وفاته عشر سنوات على الأقل؟!! ثم إنّ الصحيح هو أن عمر بن العزيز هو من أقفل الجيش وأعاده إلى الشام[3].

45- نص الرّسالة التّي عهد فيها سليمان بن عبد الملك بالخلافة لعمر بن عبد العزيز كما أوردها ابن قتيبة[4]:

«بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما عهد به عبد الله سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين و خليفة المسلمين، عهد أنّه يشهد لله بالربوبية الوحدانية، وأنّ محمدا عبده ورسوله، بعثه إلى مُحسني عباده بشيرا، و إلى مذنبيهم نذيرا، وأنّ الجنّة حق وأنّ النار حق مخلوقتان، خلق الجنّة رحمة لمن أطاعه و النّار عذابا لمن عصاه، و أوجب العفو لمن عفا عنه، وأنّ إبليس في النّار وأن سليمان مقرٌّ على نفسه بما يعلم الله من ذنوبه، موجب على نفسه استحقاق ما خلق من النقمة، راجٍ لما وعد من الرّحمة و المغفرة، وأنّ المقادير كلها خيرها وشرها من الله، وأنه هو الهادي وهو الفاتن، لم يستطع أحد لمن خلق الله لرحمته غواية ، ولا لمن خلق لعذابه هداية، وأنّ الفتنة في القبور بالسؤال عن دينه ونبيّه الذي أرسل إلى أمته حق يقين، لا منجى لمن خرج من الدّنيا إلى الأخرة من هذه المسألة.

وسليمان يسأل الله بواسع فضله وعظيم منّه الثّبات على الحق عند تلك المسألة، و النجاة من أهوال تلك الفتنة و أنّ الميزان حقّ يقين يضع الموازين القسط ليوم القيامة، فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون، ومن خفّت موازينه فأولئك هم الخاسرون، وأنّ حوض محمد (صلى الله عليه وسلم) يوم الحشر و الموقف حقّ، عدد آنيته كنجوم السماء، من شرب منه لم يظمأ أبدا، وسليمان يسأل الله برحمته أن لا يردّه عنه عطشانا.

وأنّ أبا بكر وعمر خير هذه الأمّة بعد نبينا ﷺ والله يعلم بعدها حيث الخير وفيمن الخير من هذه الأمة، وأن هذه الشّهادة المذكورة في عهده هذا يعلمها من سرّه وإعلانه وعقد ضميره، وأنّ بها عبد ربه في سالف أيامه، وماضي عمره، وعليها أتاه يقين ربّه وتوفّاه أجله وعليها يُبعث بعد الموت إن شاء الله، وأنّ سليمان كانت له بين هذه الشهادة بلايا وسيّئات لم يكن له عنها محيص، ولا

---

[1] _ الطبري : المصدر السابق، ج6، ص 530، 531.

[2] _ انظر: تاريخ خليفة، ص203.

[3] _ تاريخ خليفة، ص204، الطبري: المصدر السابق، ج6، ص531.

[4] _رواية أخرى للرّسالة رقم 43.

دُونها مَقصَر[1] بالقدر السابق و العلم النّافذ في محكم الوحي، فإن يعفُ و يصفح فذلك ما عُرف منه قديما ونُسب إليه حديثا، وتلك الصّفة التّي وصف بها نفسه في كتابه وكلامه النّاطق، وأن يعاقب و ينتقم فيما قدمت يداه، و ما الله بظلّام للعبيد، وإنّي أحرج على من قرأ عهدي وسمع ما فيه من حكمة أن ينتهي إليه في أمره ونهيه بالله العظيم وبمحمد ﷺ، وأن يدع الإحن ويأخذ بالمكارم، و يرفع يده إلى السّماء بالابتهال الصّحيح، والدعاء الصّريح، يسأله العفو عنّي، و المغفرة لي، و النجاة من فزعي، والمسألة في قبري، لعلّ الودود أن يجعل منكم مُجاب الدّعوة لما عليّ من صفحه يعود إن شاء الله.

وإنّ وليّ عهدي فيكم وصاحب أمري بعد موتي في كلّ من استخلفني الله عليه، الرّجل الصالح عمر بن عبد العزيز ابن عمّي لِما بلَوت من باطن أمره وظاهره، ورجوتُ الله بذلك، وأردت رضاه ورحمته إن شاء الله، ثم ليزيد بن عبد الملك من بعده، فإنّي ما رأيت منه إلا خيرا، ولا اطّلعت له على مكروه، وصغار ولدي وكبارهم إلى عمر إذ رجوتُ ألّا يأ لوهم رشدا وصلاحا، والله خليفتي عليهم وهو أرحم الراحمين، وأقرأ عليكم السلام ورحمة الله.

ومن أبى عهدي هذا وخالف أمري فالسّيف، ورجوت ألّا يخالفه أحد، ومن خالفه فهو ضالّ مضلّ يُستعتب، فإن أُعتِب وإلا فالسيف، والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله القديم الإحسان»[2].

فالموقف الذي فيه سليمان في لحظاته الأخيرة لا يستدعي هذا الإطناب في الكتاب.

---

[1] _مَقصر: بفتح الميم وسكون القاف ابتعاد وانتهاء ، ومعناها ايضا الحبس. لسان العرب ، مج5 ، ص 3646، مادّة قصر.

[2] _ابن قتيبة : الإمامة والسياسة، ج2، ص95،96.

الـــفـــهارس:

1 – قائمة المصادر والمراجع

2 – فهرس الرّسائل

3 – فهرس الموضوعات

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قائمـة المصادر والمـراجع[1]

القرآن الكريم.

أولا- المـــــــصادر:

أ

*ابن الأبّار أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي(ت658هـ):

1- إعتاب الكتّاب، تحقيق: صالح الأشر، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ط 1،1961.

2- التّكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عبد السلام الهراس، دار الفكر، بيروت، 1995.

3- الأبشيهي شهاب الدين أحمد(ت852هـ): المستطرف في كلّ فن مستظرف،مطبعة المعاهد، القاهرة، 1933.

*ابن الأثير أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني(ت630هـ):

4- أسد الغاية في معرفة الصحابة،دار ابن حزم، بيروت،ط1، 2012.

5- الكامل في التاريخ، تحقيق: أبو الفداء عبد الله القاضي،دار الكتب العلمية، بيروت،ط1، 1987.

6- ابن الأثير ضياء الدّين(ت637هـ): المثل السّائر في أدب الكاتب والشّاعر، تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي بطانة، دار الرّفاعي، الرّياض،1983.

7- أحمد بن حنبل أبو عبد الله أحمد بن محمد الشّيباني(ت241هـ): المسند، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرّسالة ، ط2، 1999م، 1420هـ.

8- الأحوص عبد الله بن محمّد بن عبد الله بن عاصم الأنصاري(ت105هـ): ديوان الأحوص، جمع وتحقيق: عادل سليمان جمال، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1990.

9- ابن الأزرق الأندلسي أبو محمد(ت896هـ): بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق: محمد بن عبد الكريم، الدار العربية للكتاب، تونس.

10- الأزرقي أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد(ت210هـ): أخبار مكّة وما جاء فيها من الآثار،

---

[1] _ رتّبت المصادر والمراجع دون احتساب "**ابن**"، "**أبو**"، "**عبد**"، "**ال**".

تحقيق: علي عمر، مكتبة الثّقافة الدّينية، ط 1.

11- الأزهري أبو منصور محمّد بن أحمد(ت370ه): تهذيب اللغة، تحقيق: عبد السّلام محمّد هارون، الدّار المصريّة للتّأليف والتّرجمة.

12- أبو إسحاق القيرواني إبراهيم بن علي الحصري(ت 453 ه): زهر الآداب وثمر الألباب، تحقيق: يوسف علي طويل، دار الكتب العلميّة بيروت، ط1، 1997م، 1417ه.

13- ابن إسحاق محمد بن يسار المطلبي المدني(ت151ه): السيرة النبوية، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2004.

14- الإستانبولي إسماعيل حقّي بن مصطفى الحنفي(ت1127ه): تفسير روح البيان، دار إحياء التّراث العربي، د.ط.

15- الأشعري أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق(ت324ه): مقالات الإسلاميّين واختلاف المصلّين، تحقيق: هلموت ريتر، دار فرانز شنايز، فيبادسن – ألمانيا – ط2، 1980.

*الأصفهاني أبو الفرج علي بن الحسين(ت356ه):

16 - الأغاني، تحقيق: محمد حسين الأعرجي، الجزائر، 2007./ طبعة دار الفكر، تحقيق: سمير جابر، بيروت،ط2.

17- مقاتل الطالبيّين، تحقيق: كاظم المظفر، مؤسسة دار الكتب للطباعة، إيران، ط2، 1965.

18- ابن أبي أصيبعة موفّق الدّين أبو العبّاس أحمد بن القاسم الخزرجي(ت668ه): عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء، تحقيق: عامر التّجار، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1996.

19- ابن أعثم الكوفي أبومحمد أحمد(ت314ه): الفتوح ، تحقيق: علي بشيري، دار الأضواء ، بيروت ، ط1، 1991م.

20- أوس بن حجر بن مالك التّميمي(ت620م): ديوان أوس بن حجر، تحقيق: محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت ، ط3، 1967.

* ب *

21 – الباقلّاني أبو بكر محمّد بن الطيب بن محمد(ت403ه): مناقب الأئمّة الأربعة، تحقيق: سميرة فرحات، دار المنتخب العربي، بيروت، ط1، 2002.

*البخاري:أبو عبد الله أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي(ت252ه):

22- الأدب المفرد، تحقيق: محمّد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 1989م، 1403هـ.

23 - التاريخ الكبير، دار الكتب العلمية، بيروت، 1986.

24 - صحيح البخاري، دار ابن كثير، دمشق،ط1، 2002.

*ابن عبد البر القرطبي أبو يوسف بن عبد الله بن محمد(ت463هـ):

25- الإستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، تحقيق: سالم محمّد عطا، محمّد علي معوّض، دار الكتب العلميّة، بيروت، 2000م.

26 - الإستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد معوض،عادل أحمد عبد الموجود،دار الكتب العلمية، بيروت، 1995.

27- بهجة المجالس وأنس المجالس، تحقيق: محمد مرسي الخولي، دار الكتب العلمية، بيروت،ط2 ، 1981.

28- البسوي أبو يوسف يعقوب بن سفيان(ت277هـ): كتاب المعرفة والتاريخ، تحقيق: أكرم ضياء العمري،مكتبة المدار، المدينة المنورة، ط1، 1410.

29- البغدادي عبد القادر بن عمر(ت1093هـ): خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق: محمد نبيل طريفي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998.

30- البغدادي أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد(ت1038هـ): الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم، تحقيق: محمد عثمان الحشب، مكتبة ابن سينا،القاهرة.

31- البقاعي برهان الدّين أبو الحسن إبراهيم بن عمر(ت885هـ): نظم الدّرر في تناسب الآيات والسّور، تحقيق: عبد الرزّاق غالب المهدي، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1995.

*البكري أبو عبيد (ت487هـ):

32- فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، تحقيق: إحسان عبّاس، عبد المجيد عابدين، مؤسسة الرّسالة، بيروت، 1983.

33- المُغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، دار الكتاب الاسلامي، القاهرة.

*البلاذري أحمد بن يحي بن جابر(ت279هـ):

34- أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار، رياض زركلي، دار الفكر، بيروت، ط1 ، 1996.

35- فتوح البلدان، تحقيق: عبد الله أنيس الطباع،عمر أنيس الطباع،مؤسسة المعارف،بيروت.

36- البوصيري أحمد بن أبي بكر بن اسماعيل(ت839هـ): إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة ، دار الوطن، الرّياض، ط1، 1999م، 1420هـ.

37- البيهقي إبراهيم بن محمد(ت320هـ): المحاسن والمساوئ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف.

*البيهقي أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي(ت435هـ):

38- السّنن الكبرى ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الباز، مكّة، 1994هـ.

39- شعب الإيمان، تحقيق: محمد السّعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 1410هـ.

* ت *

40- الترمذي أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة(ت279هـ): الجامع الصحيح(سنن الترمدي)، تحقيق: أحمد محمد شاكر،مطبعة مصطفى الباي الحلبي،مصر، ط2 ، 1978.

41- ابن تغري بردي جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي(ت874هـ): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق: محمد حسين شمس الدين،دار الكتب العلمية بيروت.

42- التّلمساني أبو عبد الله محمد بن عبد الحق بن سليمان اليفرني(ت625هـ): الإقتضاب في غريب الموطّأ وإعرابه على الأبواب، تحقيق: عبد الرّحمان بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان، الرياض، 1421هـ.

43- التّنوخي أبو علي المحسن بن علي(ت384هـ):الفرج بعد الشّدة ، تحقيق: عبّود الشّالجي، دار صادر ، بيروت، 1978.

44- التّوحيدي أبو حيّان علي بن محمّد بن العبّاس(ت414هـ):البصائر والذّخائر، تحقيق: وداد القاضي، دار صادر بيروت، ط1، 1988م.

*ابن تيمية أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحنبلي(ت728هـ):

45- الخلافة والملك، تحقيق: حماد سلامة، مكتبة المنار،الأردن،ط2 ، 1994.

46- السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، تحقيق: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد،جدة.

47- منهاج السنة النبوية، تحقيق: محمد رشاد سالم، السعودية ، ط1، 1986.

* ث *

48- الثّعالبي عبد الرّحمان بن محمّد بن مخلوف(ت875هـ): الجواهر الحسان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعظمي للمطبوعات، بيروت.

49- الثعالبي عبد الملك بن محمد بن اسماعيل(ت430هـ): خاص الخاص، تحقيق: مأمون بن محي الدين الجنان،دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1994.

* ج *

*الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر(ت255هـ):

50- البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي،القاهرة،ط7 ، 1998.

51- المحاسن والأضداد ، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1994.

52- جرير بن عطيّة الخطفي(ت114هـ): ديوان جرير، دار بيوت للطباعة، بيروت، 1986.

53- الجزري أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني(ت630هـ): اللّباب في تهذيب الأنساب، دار صادر، بيروت، 1980.

54- الجصّاص أحمد بن علي أبو بكر الرّازي(ت418هـ): أحكام القرآن، تحقيق: محمد الصّادق قمحاوي، دار إحياء التّراث العربي، بيروت.

55- الجهشياري أبو عبد الله محمد بن عبدوس(ت331هـ): الوزراء والكتاب، تحقيق: عبد الله اسماعيل الصّاوي، مطبعة المشهد الحسيني، القاهرة، 1938.

*ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمان بن علي بن محمد(ت597هـ):

56- أخبار الحمقى والمغفّلين، المكتب التّجاري ، بيروت.

57- ذمّ الهوى، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، د.ط، د.ت.

58- سيرة عمر بن عبد العزيز، دار الفجر للتراث، القاهرة،ط1، 1999.

59- صفة الصفوة، تحقيق: محمد فاخوري ، دار المعرفة، بيروت، ط3، 1985.

60- كشف المشكل من حديث الصّحيحين، تحقيق: علي حسن البوّاب، دار الوطن، الرّياض، 1997م، 1418هـ.

61- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا،دار

الكتب العلمية بيروت،ط1 ، 1992.

ح

62- الحاكم النّيسابوري أبو عبد الله محمد بن عبد الله(ت405هـ): المستدرك على الصّحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلميّة بيروت، ط1، 1990م ، 1411هـ.

*ابن حبان البستي أبو حاتم بن أحمد التميمي(ت354هـ):

63- كتاب الثقات، تحقيق: محمد عبد المعبد خان، مطبعة مجلس دائرة المعارف الإسلامية حيدر أباد الهند، 1973.

64- صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة،ط1 ، 1988.

65- مشاهير علماء الأمصار، تحقيق: مجدي بن منصور بن سيد الشوري، دار الكتب العلمية بيروت،ط1، 1995.

*ابن حجر العسقلاني أبو الفضل أحمد بن علي(ت852هـ):

66- الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: محمد علي البجاوي، دار الجيل، بيروت،ط1 ، 1412هـ.

67- تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمّة الأربعة، تحقيق: إكرام الله إمداد الحق، دار البشائر، بيروت، ط1، 1996.

68- تهذيب التهذيب، تحقيق: إبراهيم الزيبق، عادل مرشد،مؤسسة الرسالة،1995.

69- رفع الإصر عن قضاة مصر، تحقيق: علي محمّد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1998م، 1414هـ.

70- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز وآخرون، دار المعرفة ، بيروت.

71- لسان الميزان، تحقيق: عبد الفتاح أبو عدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية،1420.

72- ابن الحدّاد محمّد بن منصور بن حبش الموصلي(ت673هـ): الجوهر النّفيس في سياسة الرّئيس، تحقيق: رضوان السيّد ، مركز ابن الأزرق لدراسات التّراث السّياسي، بيروت، ط2، 1983.

73- ابن أبي الحديد عز الدين أبو حامد بن هبة الله(ت656هـ): شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم ، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت،2011./ دار إحياء الكتب العربيّة، تح : محمّد أبو الفضل إبراهيم.

74- الحرّاني أبو علي محمد بن سعيد بن عبد الرحمان القشيري(ت334هـ): تاريخ الرقة ومن نزلها من أصحاب رسول الله(ص) والتابعين والفقهاء والمحدّثين، تحقيق: إبراهيم صالح ،دارالبشائر، دمشق،ط1 ، 1998.

*ابن حزم الظاهري الأندلسي أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد(ت456هـ):

75- جمهرة أنساب العرب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف،القاهرة،ط5 ، 1982.

76- الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق: أحمد شمس الدين،دار الكتب العلمية، بيروت،ط3، 2007.

77- ابن عبد الحكم أبو محمد بن عبد الله(ت214هـ): سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه مالك بن أنس وأصحابه، تحقيق: أحمد عبيد، مكتبة وهبة، دمشق،ط2، 1954.

78- ابن عبد الحكم أبو القاسم عبد الرحمان بن عبد الله المصري(ت871هـ): فتوح مصر والمغرب، تحقيق: عبد المنعم عامر، القاهرة،1961.

79- ابن حمدون محمد بن الحسن بن محمد بن علي(ت562هـ): التّذكرة الحمدونيّة، تحقيق: إحسان عباس ، بكر عباس، دار صادر،بيروت، ط1، 1996.

80- الحميري محمد بن عبد المنعم(ت900هـ): الرّوض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عبّاس، مؤسسة ناصر للطباعة، ط2، 1980.

خ

81- ابن الخرّاط أبو محمد عبد الحق بن عبد الرّحمان الإشبيلي(ت581هـ): الأحكام الشّرعيّة الكبرى، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة، مكتبة الرّشيد، الرّياض، 2001.

82- ابن خرداذبة أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله(ت912هـ): المسالك والممالك.مطبعة بريل، ليدن،1989.

83- الخزاعي علي بن محمد بن مسعود(ت789هـ): تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد الرسول الله(ص) من الحرف والصّنائع والعمالات الشرعية، تحقيق: إحسان عباس،دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، ط1، 1895م، 1405 هـ .

84- ابن خزيمة محمد بن إسحاق أبوبكر السّلمي النّيسابوري(ت311هـ): صحيح ابن خزيمة، تحقيق: محمّد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، 1970م، 1390هـ.

85- الخطيب البغدادي أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت(ت463هـ): الفقيه والمتفقّه، تحقيق: عادل

يوسف العزازي، دار ابن الجوزي، السعودية، 1417هـ.

*ابن خلدون عبد الرحمان أبو زيد وليّ الدين(ت808هـ):

86- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت.

87- المقدمة، دار الفكر ، بيروت،2004م،1424هـ .

88- ابن خلّكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر(ت671هـ): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

89- خليفة بن خياط أبو عمر العصفري(ت240هـ): تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: مصطفى نجيب فواز، حكمت كشلي فواز، دار الكتب العلمية، بيروت1995م.1415هـ .

90- ابن أبي خيثمة أحمد بن زهير بن حرب(ت279هـ): أخبار المكّيين من كتاب التّاريخ الكبير، تحقيق: إسماعيل حسن حسين، دار الوطن، الرّياض، 1997.

د

91- ابن أبي داود أبو بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث السجستاني(ت316هـ):كتاب المصاحف، تحقيق: محب الدين عبد السجّان واعظ ، دار البشائر الإسلامية، ط2 ، 2002 م.

92- أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني(ت275هـ):كتاب السّنن ، تحقيق: محمد عوامة، مؤسسة الريان،بيروت،ط1 ، 1998.

93- ابن دريد الأزدي أبو بكر محمد بن الحسن(ت321هـ) : كتاب المجتنى، دائرة المعارف العثمانيّة، الهند، ط2، 1962.

* ابن أبي الدّنيا أبو بكر عبد الله بن محمد (ت281هـ):

94- الإشراف في منازل الأشراف، تحقيق: نجم عبد الرّحمان خلف، مكتبة الرّشيد، الرّياض، ط1، 1990.

95- الحِلم، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط1، 1413.

96- الرقة والبكاء، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت، ط3، 1998.

97- الدّولابي أبو بشر محمّد بن أحمد بن حمّاد(ت310هـ): الكنى والأسماء، تحقيق: أبو قتيبة نظر بن

محمّد الفاريابي، دار ابن حزم بيروت، 2000.

98- أبو دهبل الجمحي وهب بن زمعة بن أسيد بن أحيحة بن خلف(ت125هـ): ديوان أبي دهبل الجمحي رواية أبي عمروالشيباني ، تحقيق: عبد العظيم عبد المحسن ، مطبعة القضاء، النجف، ط1، 1972.

99- ابن أبي دينار أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني(ت1698م): المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، المصلحة الدولية التونسية، تونس، 1286هـ .

100- الدّينوري أبو بكر أحمد بن مروان بن محمّد القاضي(ت323هـ): المجالسة وجواهر العلم، دار ابن حزم ، بيروت، ط1، 2002م.

101- الدينوري أبو حنيفة أحمد بن داود(ت282هـ): الأخبار الطوال ، تحقيق: عمر فاروق الطباع، دار الأرقم ، بيروت.

ذ

102- أبو ذؤيب الهذلي خالد بن خويلد(ت27هـ): ديوان أبي ذؤيب، تحقيق: أحمد خليل الشّال، مركز الدّراسات والبحوث الإسلاميّة، بورسعيد، ط1، 2014.

*الذهبي أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان(ت748هـ):

103- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ، بيروت،ط1 ، 2005.

104- تذكرة الحفّاظ، تح: زكريّاء عميرات، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1998.

105- سير أعلام النبلاء، تحقيق: محمد نعيم العرقوسي، شعيب الأزنؤوط، مأمون صاغري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2 ، 1982.

106- العبر في خبر من غبر، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 19851.

107- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: محمد البجاوي، دار المعرفة ، بيروت،1963.

ر

108- الرازي أبو محمد عبد الرحمان بن أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر التميمي(ت327هـ): كتاب الجرح والتعديل، دار الكتب العلمية، بيروت،ط1،1953.

109- الرّاغب الأصبهاني أبو القاسم حسين بن محمد(ت502هـ): محاضرات الأدباء ومحاورات الشّعراء

والبلغاء، دار مكتبة الحياة، بيروت،1961./ مطبعة الهلال، مصر، تح: إبراهيم زيدان،1902.

110- ابن رجب الحنبلي أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد(ت795 هـ): الاستخراج لأحكام الخراج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1985.

ز

*الزبير بن بكار أبو عبد الله بن مصعب(ت256هـ):

111- الأخبار الموفّقيات، تحقيق: سامي مكي العاني، دار عالم الكتب، بيروت، ط2، 1996م ، 1441هـ .

112- جمهرة نسب قريش وأخبارها، تحقيق: عبّاس هاني الجرّاح، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 2010.

113- الزّجاجي أبو القاسم عبد الرّحمان بن إسحاق(ت337هـ): أخبار أبي القاسم الزّجاجي، تحقيق: عبد الحسين المبارك، دار الرّشيد، العراق، 1978.

114- أبو زرعة الدّمشقي عبد الرحمان بن عمرو بن عبد الله بن صفوان النّصري(ت281هـ): تاريخ أبي زرعة الدمشقي، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 ، 1996.

115- الزّمخشري أبو القاسم محمود بن عمر(ت538هـ): ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، تحقيق: عبد الأمير مهنّا، منشورات مؤسّسة الأعلمي، بيروت ، ط1، 1992.

116- ابن زنجويه حميد(ت251هـ): كتاب الأموال، تحقيق: شاكر ذيب فياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات، الرياض ط 1،1986م،1406 هـ .

117- أبو زيد القيرواني أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمان(ت386هـ): النّوادر والزّيادات على ما في المدوّنة وغيرها من الأمّهات، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، دار الغرب الإسلامي، بيروت،ط1، 1999.

118- الزّيلعي جمال الدّين أبو محمد عبد الله بن يوسف(ت762هـ): نصب الرّاية لأحاديث الهداية، تحقيق: محمد عوانة، مؤسسة الرّيان ، بيروت، ط1، 1997.

س

119- السّبكي تاج الدّين بن علي بن عبد الكافي(ت771هـ): طبقات الشّافعيّة الكبرى، تحقيق: محمود محمد الطّناجي، عبد الفتّاح محمد الحلو، دار هجر للطّباعة، ط2، 1413هـ.

120- السّخاوي شمس الدين(ت902هـ): التّحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، تحقيق: أسعد

طرابزوني الحسني،1979.

121- ابن سعد محمد بن منيع الزهري(ت230ه):كتاب الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة،ط1، 2001م،1421ه .

122- أبو سعيد العلائي بن خليل بن كيكلدي(ت761ه): جامع التّحصيل في أحكام المراسيل، تحقيق: حمدي عبد المجيد السّلفي، دار عالم الكتب، بيروت، ط2، 1986م، 1407ه.

123- السّلاوي أحمد بن خالد الناصري(ت1315ه): الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، دار الكتاب، الدار البيضاء،1955

124- السمعاني أبو سعد عبد الكريم بن محمد(ت562ه): أدب الإملاء والإستملاء، تحقيق: أحمد محمد عبد الرحمان محمد محمود، جدة، 1993

125- السّمهودي نور الدّين علي بن أحمد(ت911ه): وفاء الوفا بأخبار دارالمصطفى، تحقيق: محمّد محي الدّين عبد الحميد، دار الكتب العلميّة بيروت، ط4، 1984م، 1404ه.

126- السّهيلي أبو القاسم عبد الرحمان بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن الخثعمي(ت571ه): الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: مجدي بن منصور بن سيد الشورى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1.

127- ابن سيد الناس اليعمري أبو الفتح محمد بن محمد(ت734ه):عيون الأثر في فنون المغازي والشّمائل والسير ، تحقيق: محمد العبد الخطراوي، محي الدين متو، مكتبة دار التراث،المدينة.

128- ابن سيّدة المرسي أبو الحسن علي بن اسماعيل(ت458ه): المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلميّة، بيروت، 2000.

*السيوطي جلال الدين (ت911ه):

129- تاريخ الخلفاء ، تحقيق: أبو عبد الله محمد بن الجميل.دارالبصيرة، الإسكندرية،2004.

130- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلميّة بيروت، ط1، 1998.

ش

131- الشّافعي أبو عبد الله محمّد بن إدريس(ت204ه): ديوان الإمام الشّافعي، تحقيق: أبو زكرياء يحي سعيدي، دار البلاغ، الجزائر، ط1 ، 2002

132- ابن شبّة أبو زيد عمر النّميري البصري(ت262ه): تاريخ المدينة المنوّرة، تحقيق: علي محمّد دندل، ياسين سعد الدّين، دار الكتب العلميّة، بيروت،1996

133- ابن الشّجري ضياء الدين أبو السّعادات هبة الله بن علي بن حمزة العلوي الحسني(ت542ه): الأمالي الشّجرية، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد،1349ه.

134- الشّمّاخ بن ضرار الذّبياني(ت22ه): ديوان الشّمّاخ، تحقيق: صلاح الدّين الهادي، دار المعارف، مصر، 1968.

135- الشّهرستاني أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد(ت548ه): الملل والنّحل ، تحقيق: صدقي جميل العطار، دار الفكر، بيروت،2008

136- الشيباني أبو بكر أحمد بن عمرو بن الضّحاك(ت797ه): الآحاد والمثاني، تحقيق: باسل فيصل أحمد الجوابرة، دار الرّاية، الرّياض، ط1، 1991م، 1417ه.

137- ابن أبي شيبة أبوبكر عبد الله بن محمد العبسي الكوفي(ت235ه): المصنف، تحقيق: محمد عوامة، الدار السلفية الهنديّة.

ص

138- الصّحاري أبو المنذر سلمة بن مسلم العوتبي(ت511ه): الأنساب، مكتبة المصطفى.

*الصّفدي صلاح الدين خليل بن أيبك (ت764ه):

139- أمراء دمشق في الإسلام ، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط2 ،1983.

140- الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرنؤوط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1 ،2000

141- الصّنعاني عبد الرزاق بن همام (ت211ه): المصنف، تحقيق: حبيب الرحمان الأعظمي ، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1، 1403ه .

142- الصّولي أبو بكر محمّد بن يحي(ت335ه): أدب الكاتب، تحقيق: محمد بهجة الأثري، المكتبة السّلفيّة، القاهرة، 1341ه.

ض

143 - الضبّي العبّاس بن بكّار (ت222ه): أخبار الوافدات من النّساء على معاوية بن أبي سفيان، تحقيق: سينة الشّهابي، مؤسسة الرّسالة، بيروت، ط1، 1983.

ط

144- أبو طاهر أحمد محمد السّلفي(ت576هـ): كتاب الأربعين البلدانية المسمّى الأربعين المستغني بما فيه عن المعين، تحقيق: عبد الله رابح، دار البيروتي، دمشق،ط1 ،1992.

145- ابن طباطبا محمد بن علي(ت709هـ):الفخري في الأداب السلطانية والدول الإسلامية، تحقيق: محمد عبد القادر محمد مايو،دار القلم العربي، حلب ط1، 1997.

*الطّبراني أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب (ت360هـ):

146- المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، دار الحرمين، القاهرة، 1415هـ.

147- المعجم الصّغير، تحقيق: محمّد شكور محمود الحاج أمرير، المكتب الإسلامي، دار عمّان، بيروت، ط1، 1985.

148- المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السّلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط2، 1983م، 1404هـ.

*الطبري أبو جعفر محمد بن جرير (ت310هـ):

149- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دارالمعارف، مصر،ط2، 1960.

150- جامع البيان في تأويل القرآن المعروف بتفسير الطّبري، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسّسة الرّسالة ، ط1، 2000م ، 1420 هـ .

151- الطّبري محبّ الدّين أبو العبّاس عبد الله بن محمد (ت694هـ): ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، تحقيق: أكرم البوشي، مطبعة القدس، مصر، ط1.

152- الطرطوشي أبو بكر محمد بن محمد بن الوليد الفهري(520هـ): سراج الملوك ، تحقيق: نعمان صالح نعمان، دار العاذرية، الرياض، ط1، 2005.

153- ابن طولون محمد بن علي (ت953هـ): قيد الشّريد من أخبار يزيد، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب، دار الصحوة للنشر، القاهرة، ط1، 1986.

154- ابن طيفور أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر(ت280هـ): بلاغات النّساء وطرائف كلامهنّ ومُلح نوادرهنّ وأخبار ذوات الرّأي منهنّ وأشعارهنّ في الجاهليّة وصدر الإسلام، مطبعة مدرسة والدة عبّاس الأوّل ، القاهرة، 1908.

ع

*ابن عبد ربه الأندلسي أحمد بن محمد بن عبد الله(ت337هـ):

155- طبائع النّساء وما جاء فيها من عجائب وأخبار وأسرار، مكتبة القرآن، القاهرة، 1405هـ.

156- العقد الفريد، تح: مفيد محمد قميحة، عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983.

157- ابن العبري أبو الفرج غريغوريوس بن أهرون الملطي(ت685هـ):تاريخ مختصر الدول، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية،بيروت، ط1، 1997.

158- أبو عبيد القاسم بن سلام(ت224هـ): كتاب الأموال ، تحقيق: محمد خليل هراس، دار الفكر، القاهرة، ط3، 1981.

159- ابن العديم الصّاحب كمال الدّين بن أحمد بن أبي جرادة(ت660هـ): بغية الطّلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر ، بيروت.

160- ابن عدي عبد الله بن عبد الله بن محمّد أبو أحمد الجرجاني(ت365هـ): الكامل في ضعفاء الرّجال، تحقيق: يحيى مختار غزاوي، دار الفكر، بيروت، 1988.

161- ابن عذارى المراكشي(ت695هـ): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج.س.كولان، ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ط3، 1983.

162- أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم بن تمّام التّميمي(ت33هـ): المحن، تحقيق: عمر سليمان العقيلي، دار العلوم ، الرّياض، 1984.

163- ابن عساكر أبو القاسم علي بن الحسن(ت571هـ): تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر ، بيروت، 1995.

164- ابن العماد الحنبلي شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد (ت1089هـ): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرنؤوط، دار ابن كثير،بيروت، ط1، 1986.

غ

165 - الغزالي أبو حامد محمد بن محمد (ت505هـ): التّبر المسبوك في نصيحة الملوك – عرّبه عن الفارسيّة إلى العربيّة أحد تلاميذه - ، تحقيق: أحمد شمس الدّين ، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 1988.

ف

166- ابن فارس أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريّاء (ت395هـ): معجم مقاييس اللّغة، تحقيق: عبد السّلام محمد هارون، دار الفكر ، بيروت، 1979.

167- الفاكهي محمد بن إسحاق بن العبّاس أبو عبد الله(ت257هـ): أخبار مكّة في قديم الدّهر وحديثه، تحقيق: عبد الملك عبد الله دهيس، دار خضر، بيروت، 1414هـ.

168- الفرزدق همام بن غالب بن صعصعة التّميمي(ت110هـ): ديوان الفرزدق، تحقيق: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1987.

169- ابن فضل الله العمري أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يحي (ت749هـ): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: أحمد زكي باشا، دار الكتب العلمية، القاهرة، 1924.

170- الفراء أبو يعلى محمد بن الحسين(ت408هـ): الأحكام السلطانية ، تحقيق: محمد حامد الفقّي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983.

ق

171- القالي أبو علي اسماعيل بن القاسم البغدادي(ت356هـ): كتاب الأمالي، دار الكتب العلمية، بيروت.

172- ابن قانع أبو الحسن عبد الباقي (ت351هـ):معجم الصحابة، تحقيق: أبو عبد الرحمان صلاح بن سالم المصراتي، مكتبة الغرباء الأثرية، القاهرة،

*ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري(ت276هـ):

173- أدب الكاتب، تحقيق: درويش جويدي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت،2009.

174- الإمامة والسياسة، تحقيق: طه محمد الزّيني، دار المعرفة، بيروت.

175- الشّعر والشعراء، تحقيق: إحسان عباس، محمد يوسف نجم الدين، الجزائر،2007.

176- عيون الأخبار ، تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1986.

177- المعارف، دار الكتب العلمية ، بيروت ،1987م،1407هـ .

178- قدامة بن جعفر أبو الفرج بن قدامة بن زياد (ت328هـ): الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق: محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد للنشر ،العراق ،1981.

179- القرافي شهاب الدين أحمد بن إدريس (ت 684 هـ): الذخيرة، تحقيق: محمد حجي ، دار الغرب

الإسلامي، بيروت1994.

180- القرطبي شمس الدّين أبو عبد الله محمد بن أبي بكربن فرج الأنصاري (ت671هـ) : الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: هشام سمير البخاري ، دار عالم الكتب ، الرياض ، 2003م، 1423هـ.

*القضاعي محمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله الشافعي(ت454هـ):

181- الإنباء بأنباء الأنبياء وتواريخ الخلفاء وولايات الأمراء، تحقيق: عمر عبد السّلام تدمري، المكتبة العصريّة، صيدا، بيروت، 1998.

182- عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف المعروف بتاريخ القضاعي، تحقيق: جميل عبد الله محمد المصري، مكتبة الملك فهد الوطنية ، السعودية،1995.

*القلقشندي أحمد بن علي (ت861هـ):

183- صبح الأعشا في صناعة الأنشا، المطبعة الأميرية، القاهرة،1915.

184- مآثر الأناقة في معالم الخلافة، تحقيق: عبد الستّار أحمد فرّاج، مطبعة حكومة الكويت، ط2، 1985.

185- ابن قميئة عمرو بن قميئة بن ذريح بن سعد بن مالك(ت85ق.هـ): ديوان عمرو بن قميئة، تحقيق: حسن كامل الصّيرفي، معهد المخطوطات العربيّة ، جامعة الدّول العربيّة، 1965.

186- ابن قيّم الجوزيّة شمس الدّين أبو عبد الله محمّد بن أبي بكر (ت571 هـ) : أحكام أهل الذّمّة ، تحقيق: أبو البراء يوسف بن أحمد البكري، شاكر توفيق العاروري، مؤسّسة رمادي للنّشر، المملكة العربيّة السّعوديّة، ط1، 1997.

ك

187- الكتبي محمد بن شاكر (ت764): فوات الوفيات ، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر ، بيروت ، ط 1، 1974.

188- ابن كثير عماد الدين أبو الفداء اسماعيل القرشي(ت774): البداية والنهاية، أحمد شعبان بن أحمد ،مكتبة الصفا، القاهرة،2003.

189- الكلاعي أبو الرّبيع سليمان بن موسى الأندلسي(ت634هـ): الاكتفاء بما تضمّنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، تحقيق: محمد كمال الدين، عز الدّين علي، دار عالم الكتب، بيروت ، ط1، 1418هـ.

190- الكندي أبو عمر محمد بن يوسف المصري(ت350):الولاة وكتاب القضاة، تحقيق: رفن كست،مطبعة الأباء اليسوعيين، بيروت،1908.

ه

191- مؤلف مجهول (ت بعد712هـ): مفاخر البربر، تحقيق: عبد القادر بوباية، دار أبي رقراق، الرباط ،ط1، 2005.

*مالك بن أنس أبو عبد الله بن أنس بن مالك الأصبحي(ت179هـ):

192- المدونة الكبرى برواية سحنون بن سعيد التّنوخي عن الإمام عبد الرحمان بن القاسم ، تحقيق: الحاج محمد أفندي ساسي المغربي التونسي، مطبعة السعادة، مصر.

193- الموطّأ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت،1985./ رواية محمّد بن الحسن الشّيباني، تحقيق: تقي الدّين النّدوي، دار القلم ، دمشق، ط1، 1991م، 1413هـ.

194- المالكي أبو بكر عبد الله بن محمّد (ت453هـ): رياض النّفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقيّة وزهّادهم ونسّاكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تحقيق: بشير البكّوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1994.

*الماوردي أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري(ت450هـ):

195- الأحكام السّلطانية والولايات الدينية، تحقيق: عبد اللطيف السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت،ط3، 1999.

196- أدب الدّنيا والدين ،دار الكتب العلمية، بيروت، ط4، 2005.

197- المبرّد أبو العباس محمد بن زيد(ت285هـ): الكامل في اللغة والأدب، مؤسسة المعارف، بيروت.

198- ابن مرتضى أحمد بن يحي(ت840هـ): باب ذكر المعتزلة من كتاب المنية والأمل في شرح كتاب الملل والنّحل، تحقيق: تومارلند، دار المعارف، حيدرأباد، 1316هـ.

199- مرتضى الزّبيدي محبّ الدين أبو فيض السيد الحسيني(ت1205هـ): تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد القادر أحمد سراج وآخرون، مكتبة حكومة الكويت،2001.

* المزّي جمال الدين أبو الحجاج يوسف(ت742هـ):

200- تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، تحقيق: عبد الصّمد شرف الدّين، المكتب الإسلامي، الدّار القيّمة، ط2، 1983م، 1403هـ.

201- تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت،ط1، 1988.

*المسعودي أبو الحسن علي بن الحسين بن علي(ت346هـ):

202- التّنبيه والإشراف، طبعة ليدن، مطبعة بريل،1893.

203- مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: يوسف البقاعي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1.

204- مسكويه أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب(ت461هـ): تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق: سيد كسروي أحمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003م،1424هـ.

205- مسلم بن الحجاج القشيري النّيسابوري أبو الحسن(ت261هـ): صحيح مسلم المسمى الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله(ص)، تحقيق: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار طيبة، الرياض،2006م،1427هـ.

206- مصعب الزبيري أبوعبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب(ت236هـ):نسب قريش، تحقيق: ليفي بروفنسال، دار المعارف،القاهرة، ط3.

207- معاوية بن أبي سفيان(ت60هـ): ديوان معاوية، جمع وتحقيق: فاروق أسليم أحمد، دار صادر، بيروت، ط1، 1996.

208- ابن مفرغ يزيد الحميري(ت69هـ): ديوان ابن مفرغ، جمع وتحقيق: عبد القدوس أبو صالح، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1982.

209- ابن مقبل تميم بن أبي عوف القيسي(ت بعد 658 هـ): ديوان ابن مقبل ، تحقيق: عزة حسن، دار الشروق العربي، بيروت،1995.

210- المقدسي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر(ت380هـ): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل، ليدن، ط2، 1906.

211- المقدسي محمد بن مفلح بن محمّد(ت763هـ): فروع الفقه الحنبلي، عالم الكتب، ط4، 1985.

212- المقري أحمد بن محمد التّلمساني(ت1041هـ):نفح الطيب من غصن الأندلس الرّطيب، تحقيق: إحسان عباس،دار الأبحاث، الجزائر، ط1، 2008.

*المقريزي تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي(ت845هـ):

213- إغاثة الأمة بكشف الغمة، تحقيق:كرم حلمي فرحات،عين الدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية، مصر، ط1، 2007.

214- المواعظ والإعتبار بذكرالخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، مؤسسة الحلبي وشركاؤه، القاهرة.

215- النّزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم، تحقيق: صالح الورداني، الهدف للإعلام.

*ابن منظور جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم الأنصاري(ت711هـ):

216- لسان العرب ، تحقيق: عبد الله عبد الكبير وآخرون ،دار المعارف، القاهرة.

217- مختصر تاريخ دمشق، تحقيق: رياض عبد الحميد مراد وآخرون، دار الفكر، دمشق، ط1، 1984.

218- ابن منقذ أسامة(ت584هـ): لباب الآداب، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مكتبة السّنّة ، القاهرة، ط1، 1354هـ.

ن

219- النّابغة الجعدي قيس بن عبد الله بن عدس بن ربيعة(ت50هـ): ديوان النّابغة الجعدي، جمع وتحقيق: واضح الصّمد ، دار صادر، بيروت ، ط1، 1998.

220- النحاس أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل(ت338هـ): عمدة الكتاب، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، دار ابن حزم ، بيروت،ط1، 2004م،1425هـ.

221- ابن النّديم أبو الفرج محمد بن إسحاق(ت377هـ):الفهرست، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ، لندن،2009.

222- أبو نعيم بن أحمد بن عبد الله الأصفهاني(ت430هـ): حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الفكر، بيروت،1996 .

223- النّهرواني أبو الفرج المعافي بن زكريا الجريري(ت390هـ): الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، تحقيق: محمد مرسي الخولي، دار عالم الكتب، بيروت، ط1، 1993.

224- النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب(ت733هـ): نهاية الإرب في فنون الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2004.

هـ

225- ابن هشام أبو محمد عبد الملك(ت213هـ): السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، دار الكتب المصرية.

*أبوهلال العسكري الحسن بن عبد الله بن سهل(ت395هـ):

226- كتاب جمهرة الأمثال، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، عبد المجيد قطامش، دار الفكر، ط2، 1988.

227- كتاب الصّناعتين –الكتابة والشعر- ، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت،1986.

و

228- الواقدي محمد بن عمر بن واقد(ت207هـ): كتاب المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، لندن، 1966.

229- وكيع بن الجراح محمد بن خلف بن حيان(ت306هـ): أخبار القضاة، تحقيق: سعيد محمد اللحام، دار عالم الكتب مصر.

ي

*ياقوت الحموي أبو عبد الله شهاب الدين بن عبد الله الرّومي البغدادي(ت656هـ):

230- معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي،بيروت، ط1، 1993.

231- معجم البلدان، دار صادر ، بيروت، 1977م،1397هـ.

232- يحي بن آدم القرشي(ت203هـ):كتاب الخراج، تحقيق: حسين مؤنس، دار الشروق، ط1، 1987.

233- يزيد بن معاوية بن أبي سفيان(ت64هـ): ديوان يزيد بن معاوية، تحقيق: واضح الصّمد، دار، بيروت، ط1، 1998.

234- اليشكري سويد بن أبي كاهل(ت50هـ): ديوان سويد بن أبي كاهل، جمع: شاكر العاشور، دار الطّباعة الحديثة، البصرة، ط1، 1972.

235- اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح(ت284هـ): تاريخ اليعقوبي، دار

صادر ، بيروت، ط2، 2010.

236- أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم(ت182هـ): كتاب الخراج، دار المعرفة، بيروت،1979 .

ثانيا: المــراجع باللغة العــربية

أ

*إبراهيم بيضون:

237- تاريخ بلاد الشام- إشكالية الموقع والدور في العصور الإسلامية، دار المنتخب العربي.

238- الدّولة الأموية والمعارضة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1985.

239- ملامح التّيارات السياسية في القرن الأوّل الهجري، دار النهضة، بيروت،1979 .

240- إبراهيم القاسم رحاحلة: النّقود ودور الضرب في الإسلام في القرنين الأوّلين، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1999.

241- أحمد اسماعيل علي: تاريخ بلاد الشّام منذ ما قبل الميلاد وحتى نهاية العصر الأموي- دراسة سياسية اجتماعية اقتصادية،فكرية وعسكرية - ،دار دمشق، ط3، 1994.

242- أحمد أمين: المهدي والمهدوية، دار المعارف، مصر،1951.

243- أحمد زكي صفوت: جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة، المكتبة العلمية، بيروت،ج2.

244- أحمد السّيد درّاج: صناعة الكتابة وتطورها في العصور الإسلامية، دار الأصفهاني، جدة، 1980.

245- أحمد محمد الحوفي: أدب السياسة في العصر الأموي ،دار القلم، بيروت،1965.

246- أحمد محمد صالح الشريف: القبّة الخضراء مسجد الرسول (ص)، مكتبة دار العروبة،الكويت،1981.

247- الألباني محمّد ناصر الدّين : سلسلة الأحاديث الصّحيحة وشيء من فقهها وفوائدها ، مكتبة المعارف، الرياض، 1995.

248- عبد الأمير عبد حسين دكسن: الخلافة الأموية 56-86هـ دراسة سياسية، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1973.

249- أنور الرّفاعي: الإسلام في حضارته ونظمه الإدارية والسياسية والأدبية والعلمية والاجتماعية

والاقتصادية والفنية، دار الفكر، دمشق، ط3، 1997.

250- أيمن إبراهيم:الإسلام والسّلطان والملك – دراسة تاريخية في العلاقة بين ظهور الإسلام وتأسيس الدولة العربية الإسلامية الأولى في مرحلة صدرالإسلام(1-60هـ) -،دار الحصاد، سوريا، ط1، 1998.

ب

251- بثينة بن حسين:الدّولة الأموية ومقوّماتها الإيديولوجية والاجتماعية ،المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، ط1.

ت

252- الجابري محمد عابد: فكر ابن خلدون العصبيّة والدّولة- معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي - ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،ط6 ، 1994.

253 – جاسم صبكان علي: تاريخ صدر الإسلام والخلافة الأمويّة ، دار الفكر ، عمّان، الأردن، ط1، 2002.

254- جرجي زيدان: تاريخ التّمدن الإسلامي، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط2.

ح

255- حسان علي حلاق: تعريب النّقود والدواوين في العصر الأموي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1986.

256- حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام- السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجيل، بيروت، ط15، 2001م،1422هـ .

257- حسن الحاج حسن: النّظم الإسلامية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1987.

258- حسن الممّي: أهل الذّمة في الحضارة الإسلامية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1998.

259- حسين عطوان: الفقهاء والخلافة في العصر الأموي، دار الجيل،بيروت، ط1، 1991.

* حسين مؤنس:

260 – فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، الاسكندرية.

261- فجر الأندلس- دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدّولة الأمويّة، دار الرّشاد، القاهرة، ط2، 2008م، 1429هـ.

262- حمدي شاهين: الدّولة الأموية المفترى عليها، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، 2001.

خ

263- خالد بن محمد الغيث: مرويّات خلافة معاوية رضي الله عنه في تاريخ الطبري- دراسة نقدية مقارنة -،دار الأندلس الخضراء، جدة، ط1، 2000.

264- خليل إبراهيم جفّال: الخليفة عبد الملك بن مروان الناقد الأديب، دار النضال، بيروت، ط1، 1991م،1411هـ.

ر

265- رضوان السيّد:مفاهيم الجماعات في الإسلام- دراسات في السّوسيولوجيا التّاريخية للإجتماع العربي الإسلامي - ، دار المنتخب العربي، بيروت، ط1، 1993.

266- رياض عيسى: الحزبيّة السياسية منذ قيام الإسلام حتى سقوط الدولة الأموية، دمشق، ط1، 1992.

* الريّس محمد ضياء الدين:

267- الخراج والنّظم الماليّة للدّولة الإسلاميّة، دار التّراث القاهرة، ط5، 1985.

268- النظريّات السّياسيّة الإسلاميّة، دار التّراث، القاهرة، ط7.

269- عبد الملك بن مروان موحّد الدولة العربية- حياته وعصره- ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة،1962.

ز

270- الزركلي خير الدين: الأعلام ، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، 2002.

271- زكي محمد حسن:في الفنون الإسلامية، دار الآثار العربية، مصر،1938.

272- زهير هوّاري: السلطة والمعارضة في الإسلام- بحث في الإشكالية الفكرية والاجتماعية-11-132هـ-، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،ط1، 2003.

س

273- السيد سابق:فقه السنة ، دار الفتح للإعلام العربي ،القاهرة، ط2، 1999،ج4.

ش

274- شحاذة الناطور: تجديد الدّولة الأموية في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان، دار الكندي للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 1996.

ص

275- صالح الحمارنة: الناس والأرض- دراسات في تاريخ جنوب بلاد الشام في القرون الثلاثة الأولى- دار الينابيع، الأردن،1991.

276- صالح محمد الرّواضية: زياد بن أبيه ودوره في الحياة العامة في صدر الإسلام، جامعة الأردن، ط1، 1994.

277- صفاء حافظ عبد الفتاح: ضياع بني أمية في عصر الخلافة (41-132هـ) ، دار الكتب،1991.

278- الصلّابي علي محمد: الدولة الأمويّة عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، دار المعرفة، بيروت، ط2، 2008،ج1.

ع

279- عاطف أبو زيد سليمان علي: إحياء الأراضي الموات في الإسلام ، مطابع رابطة العالم الإسلامي، مكة، 1416هـ .

280- عبد الرّحمن ابراهيم عبد العزيز الحميضي: القضاء ونظامه في الكتاب والسّنّة، جامعة أمّ القرى، ط1، 1989.

281- عبد العزيز الدّوري: النّظم الإسلاميّة، مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت، 2008.

282- علي أومليل: السلطة الثقافية والسلطة السياسية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط2، 1998.

* عماد الدّين خليل:

283- مدخل إلى الحضارة الإسلامية ، المركز الثقافي العربي ، بيروت، 2005.

284- حول القيادة والسّلطة في التّاريخ الإسلامي، مكتبة النّور، مصر، 1985، 1405.

285- عمر فرّوخ : تاريخ صدر الإسلام و الدّولة الأموية، دار العلم للملايين ، بيروت، ط7، 1986.

286- عمر أبو النضر : عبد الملك بن مروان ، المكتبة الأهلية ، بيروت ، ط1، 1962.

ف

287- فاروق عمر فوزي: تاريخ العراق في عصور الخلافة العربيّة 1 – 656 هـ / 656 – 1258 م، مكتبة النّهضة بغداد، ط1، 1988.

288- فان فلوتن :السيطرة العربيّة والتشّيع و المعتقدات المهديّة في ظلّ خلافة بني أمية ، ترجمة :إبراهيم بيضون، دار النهضة ، بيروت، 1996.

ك

289- كلود كاهن :الإسلام منذ نشوءه حتّى ظهور السلطة العثمانية ، ترجمة :حسين جواد قبيصي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ، لبنان، ط1، 2010.

ل

290- عبد اللّطيف عبد الهادي السيد:العصر الأموي، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية ، 2008.

291- عبد الله عبد الرحمن بن زيد الخرعان : أثر العلماء في الحياة السياسية في الدّولة الأموية ، مكتب الرشد، الرياض، ط1، 1424هـ .

* م *

292- محمّد أمحزون: تحقيق مواقف الصّحابة في الفتنة من روايات الإمام الطّبري والمحدّثين، دار السّلام ، القاهرة، ط2، 2007.

293- محمّد الحسيني :مَقاتل الأمويّين ، مؤسسة البلاغ للطباعة ،بيروت ط1، 1990.

294- محمد عبد الحي محمد شعبان : صدر الإسلام والدّولة الأموية (600-750م) دار الأهلية، بيروت، 1987.

295- محمد الخضري : الدّولة الأموية – محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية – ، دار المعرفة ، بيروت، ط8، 2005.

296- محمد أبو سعدة: الخوارج في ميزان الفكر الإسلامي ، كلية الآداب، جامعة حلوان ، القاهرة، ط2، 1998.

297- محمد سهيل طقّوش :تاريخ الخلفاء الرّاشدين – الفتوحات والإنجازات السياسية – ، دار النفائس، بيروت، ط 1، 2003.

298- محمد ضيف الله بطاينة : دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويّين ، دار الفرقان ،الأردن، ط1، 1999.

299- محمد عبد القادر خريسات : الدولة الأموية من النّهوض إلى السقوط ، دار اليازوري، الأردن، ط1، 2011.

300- محمّد عمارة: رسائل العدل والتّوحيد، دار الشّروق، القاهرة، ط2، 1988.

301- محمد فرقاني: خطب أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز- جمعا ودراسة وتحقيقا – دار بهاء الدّين، قسنطينة، ط1، 2008.

302- محمد كرد علي : أمراء البيان ، دار الأمانة ، بيروت، ط3، 1969 م، 1388هـ.

303- محمد ماهر حمادة : الوثائق السياسية و الإدارية العائدة للعصر الأموي (40-132هـ) ، دار النفائس ، بيروت، ط4 ، 1985.

304- محمد هزّاع الشهري: عمارة المسجد النّبوي منذ إنشائه حتّى نهاية العصر المملوكي، مكتبة دار القاهرة ، القاهرة، ط1 ،2001.

305- عبد المجيد الشرفي وآخرون : في قراءة النّص الدّيني ، الدار التونسية للنشر، ط2، 1990.

306- عبد المنعم عبد الحميد سلطان : آل المهلب في المشرق الإسلامي و دورهم السياسي و الحربي حتى سقوط الدولة الأموية، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية، 1990.

307- محي الدين متّو : عبد الله بن عمر الصّحابي المؤتسي برسول الله (ص)، دار العلم، دمشق، ط5، 1996.

ن

308- ناهد حمدي :المرجع علم الديبلوماتيك العربي واستراتيجيات النّقد و التّحليل ، دار العربي ،القاهرة، ط1، 2001.

309- ناهض القيسي: موسوعة النّقود العربية الإسلامية ، دار أسامة ،عمان، 2001.

*نجدت خماش:

310- الإدارة في العصر الأموي ، دار الفكر، دمشق، 1980.

311- الشّام في صدر الإسلام من الفتح حتى سقوط خلافة بني أمية – دراسة الأوضاع الاجتماعية والإدارية – ، دار طلّاس للدراسات و الترجمة و النشر، دمشق ط1، 1987.

هـ

*هشام جعيط :

312- الفتنة- جدلية الدّين و السياسة في الإسلام المبكر-، ترجمة :خليل أحمد خليل ، دار الطليعة ، بيروت ، ط4، 2000.

313- الكوفة - نشأة المدينة الإسلامية - مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، ط1، 1980.

و

*عبد الواحد ذنون طه:

314- دراسات في تاريخ و حضارة المشرق الإسلامي ،دار المدار الإسلامي ، بيروت، ط1، 2005.

315- العراق في عهد الحجاج بن يوسف الثّقفي ،دار المدار الإسلامي، بيروت ط1، 2004.

316- مواقف و دراسات في التاريخ والتراث ، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط 1، 2011.

ي

317- يوسف العش: الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهّدت لها ابتداء من فتنة عثمان ، دار الفكر، دمشق، ط2، 1985.

*يوليوس فلهوزن:

318- أحزاب المعارضة السياسية الدينية فى صدر الإسلام - الخوارج و الشيعة - ،ترجمة : عبد الرحمن بدوي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة، 1958.

319- تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية ، ترجمة :محمد أبو الهادي أبو ريدة ، لجنة التأليف و الترجمة والنشر، القاهرة، ط2، 1968.

ثالثا - المجـــلّات و الـــدوريات:

320- أحمد عبيد عيسى ، عذال إبراهيم حسين: عطاء الخلفاء الأمويّين في الجوانب السياسية والعسكرية والاجتماعية ، مجلة آداب الفراهيدي ،قسم التاريخ ، كلية التربية ، جامعة كركوك ،عدد 13 ، 2012م.

321- إدهام فاضل خطاب ، فاضل عزاي عبيد: زفر بن الحارث الكلابي ودوره في أحداث عصره ، مجلة

أبحاث كلية التربية الأساسية ، جامعة الموصل، مج8، عدد4، 2009.

322- برهان غليون: أصل السّلطة في الإسلام – الخلافة والدّولة – ، مجلة الاجتهاد، دار الاجتهاد، بيروت، عدد14، 1992م، 1412هـ .

323- توفيق سلطان اليوزبكي: التّعريب فى العصر الأموي و العباسي .المجلة التاريخية المصرية ، مطبعة الجبلاوي، القاهرة ، مج24، 1977.

324- جاسم على جاسم ، خيري شيت شكري الجوادي: التّحول من مبدإ الشورى إلى سياسة ولاية العهد فى العصر الأموي (41-132هـ/661-749م) ، مجلة التربية والعلم ، قسم التاريخ، كلية التربية، جامعة تكريت، مج17، عدد2، 2010.

325- عبد الجبار حمد السبهاني: النقود في الإسلام ،مجلة الحكمة، المدينة المنورة، عدد12،د .ت.

*عبد الجبار محسن السامرّائي:

326- الاتجاهات العامة في سياسة الخليفة عبد الملك بن مروان في اختيار عمالة وولاته لإدارة شؤون الدولة العربية الإسلامية (65-86هـ/684-705م) ، مجلة سر من رأى ، جامعة تكريت ، عدد12، تشرين الثانى 2008م.

327- الأمير محمّد بن مروان وجهوده العسكرية والإدارية من سنة 65-91هـ/684-709م، مجلة التربية و العلم، قسم التاريخ ، كلية التربية ،جامعة تكريت ، مج14 ، عدد2007،3.

328- حسن منيمنة: نشوء الإقطاع في الإسلام،؟، مجلة الإجتهاد، دار الإجتهاد، بيروت، عدد 1، 1988

329- حمد بن ناصر الدّخيل: فن التوقيعات الأدبية في العصر الإسلامي الأموي و العباسي ،مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة و اللغة العربية وآدابها ،الرياض ، عدد22، ربيع الإول 1422هـ، مايو 2001

330- رضوان السيّد: رؤية الخلافة وبنية الدّولة في الإسلام، مجلة الاجتهاد، دار الاجتهاد، بيروت، عدد13، 1991م ، 1412هـ.

331- طاهر مظفر العميد: نظام الاستدعاء وأثره في الفنون والعمارة العربية الإسلامية، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد. د-ت.

332- طه الولي: المدينة في الإسلام، مجلة الاجتهاد، دار الاجتهاد، بيروت، عدد 6، 1990م ، 1410 هـ.

*عبد الستار اسماعيل عبد الرحمن الطائي:

333- موقف العلماء من ولاية العهد في العصر الأموي، مجلة التربية و العلم ، قسم التاريخ، كلية التربية، جامعة الموصل، مج19،عدد3 ، 2012.

334- وصايا الخلفاء في العصر الأموي – دراسة فى المنظور السياسي و العسكري، مجلة كلية التربية والعلم، قسم التاريخ، كلية التربية، جامعة تكريت، مج 18 عدد2 ،2011.

335- سوسن عباس حسن: زياد بن أبيه – دراسة تاريخية – مجلة جامعة كربلاء العلمية ، كلية التربية ، مج 10، عدد 1 ،2012.

336- شرف بن علي الشريف: الكعبة و بعض أحكامها المهمة، مجلة جامعة أم القرى، عدد14، 1996م، 1417هـ.

337- عاصم اسماعيل كنعان: نظام حماية الحدود في العصر الأموي، مجلة الفتح، كلية التربية، جامعة ديالي، العراق، عدد 32،2008 .

338- عربية قاسم أحمد: دور المال في سياسة خلفاء العصر الأمويّ –العهد المروانى –، مجلة جامعة تكريت للعلوم ، قسم التاريخ، كلية التربية ،مج18، عدد1، كانون الثاني 2011.

339- عبد العزيز الدّوري: ملك الأرض والمزارع في الإسلام، مجلة الاجتهاد، دار الاجتهاد، بيروت، عدد 1، 1988.

340- علي صدام نصر: الدوافع المادية للفتوح الأموية (41-132هـ/661-749م) ، مجلة دراسات تاريخية ، كلية التربية للبنات ، جامعة البصرة، عدد12 ، حزيران 2012.

341- عيسى بن الذّيب: حسان بن النّعمان وأثره فى إرساء قواعد الدولة الإسلامية في بلاد المغرب، مجلة الثقافة و التراث ، الإمارات ، عدد82 ، شعبان 1434هـ ،حزيران يونيو2013م.

342- فالح القيسي: استعمال اللغة العربية في الدواوين المالية ، مجلة دراسات تاريخية ، جامعة دمشق، عدد21-22 ، حزيران 1986.

343- مارشال هودجسون: كيف تطوّر التّشيّع إلى مذهب؟، مجلة الاجتهاد، دار الاجتهاد، بيروت، عدد 19، 1993م ، 1413هـ .

344- محمد الزّحيلي: إحياء الأرض الموات، مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، 1990.

345- محمّد مراد: الأرض والسّلطة في عهود الخلافة العربيّة الإسلاميّة،، مجلة الاجتهاد، دار الاجتهاد، بيروت، عدد 33، 1996م، 1417 هـ.

346- مرتضى جليل جعيلان، مهند عبد الرضا حمدان: الأراضي المفتوحة صلحا في عصر الرسول (ص) والخلفاء الراشدين، مجلة كلية التربية للبنات، مج22، 2011.

347- مضر عدنان طلفاح: عمرو بن سعيد الأشدق ودورة في الدولة الأموية (50-70هـ/670-

689م)، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار ، الجامعة الأردنية ، اليرموك ، مج6،عدد 1، 2012.

348- ناظم ظاهر مدغش الشّمري، السيد سعدون عبد المنعم جليل: محاولة تغيير ولي العهد في العصر الأموي (65-132هـ)، مجلة العلوم الإسلامية عدد10، 1433هـ.

349- نهال خليل يونس الشرابي: الآبار المكية وأهميتها الاقتصادية و الاجتماعية، مجلة آداب الرافدين ، عدد60 ، 1432هـ، 2011 م.

رابعا- الـــرّسائل الـــجامعية:

350- إبراهيم رماش: دراسة فى برامج ثورات غير الخوارج في العهد الأموي (41-132هـ/661-750م)، رسالة ماجستير، قسم التاريخ ، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة ،2010/2009.

351- أحمد علي عبد العال: جوانب من التفكير في العقيدة الإسلامية في العصر الأموي ، رسالة دكتورا هـ، كلية الشريعة ، جامعة الملك عبد العزيز، السعودية، 1979م.

352- أحمد علي علي: التعبئة العسكرية عند الأمويّين ، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية ، جامعة القديس يوسف ، بيروت، 1979،1978م.

353- خليل عبد المجيد عبد الحميد صلاح: شعر الحركة الزّبيريّة – جمع وتوثيق ودراسة – رسالة ماجستير، جامعة الخليل، كانون الأوّل 2005م، ذو القعدة1426هـ.

354- خوجلي أحمد صديق محمد: الرّقابة الإدارية في الدولة الإسلامية منذ نشأتها و حتى نهاية العصر الأموي، رسالة دكتوراه، كلية الشريعة والدّراسات الإسلامية ، جامعة أم القرى، 1413هـ.

355- سهيل أحمد أبوليدة: تطور جهاز الشرطة في صدر الإسلام و العهد الأموي (1-132هـ)، رسالة ماجستير، قسم التاريخ و الآثار، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، غزة، 1432-2011م.

356- عبد الله بن حسين الشنبري الشريف: الدولة الأموية في عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك (101-105هـ)، رسالة ماجستير ، كلية الشريعة و الدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، السعودية، 1410هـ،ج1.

357- عبد الله بن فراج بن صالح الشهري: مرويات خلافة عبد الملك بن مروان فى كتاب تاريخ الرسل و الملوك لمحمد بن جرير الطبرى – دراسة نقدية مقارنة (73-86هـ/692-705م) – رسالة دكتوراه، كلية الشريعة و الدراسات الإسلامية ، جامعة أم القرى ، السعودية 1432هـ -2002م.

358- محمد فرقاني: رسائل الخليفة عمر بن عبد العزيز جمعا و دراسة وتحقيقا ، رسالة دكتوراه ، قسم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة 2003-2004.

359- مراد لكحل: كُتّاب الخلفاء الأمويّين- دراسة فى المهام والوظائف - (40-132هـ/661-750م)، رسالة ماجستير، قسم التاريخ ، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2010/2009.

360- ناصر بن محمد بن عبد الله الأحمد: حركة الجهاد و الفتح الإسلامي في عهد الدولة الأموية وأثرها

في الدعوة إلى الله تعالى وانتشار الإسلام، رسالة دكتوراه، قسم الدراسات العليا، معهد الدعوة الجامعي، بيروت، 2008.

361- وجيه لطفي طالب ذوقان: ولاية العهد في العصر الأموي (41-132هـ/661-750م)، رسالة ماجستر، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية ، نابلس فلسطين، 1426-2005.

خامسا – المراجع باللّــغة الأجنبية:

362-A-F-L-Beeston ,T.M.johstone ,R.B.serjeant and G.R.smith: Arabic liturat ure to the end of the umayyad period ,combridge university press, combridage, p1-1983.

363-D.M.Dun lop: Arabic civilization AD1500,lon g man librarie du liban,p2,1985.

*Fred M.C.Graw don mer:

364-the early islamic conquests, Princeton University press, princeton , newjersey, united kingdom, 1981.

365-Narratives of Islamic origins-the begnnings of Islamic historical writing -the darwin press, incprinceton, new jersey, 1998.

366-Joseph borlot : la civilization islamique , paris, Hachette,1990.

367-Hamid dabashi : authority in islam from the .rise of muhammed to the establishment of the umayyads, tronsaction publishers, new brun swick, (U.S.A) ,1989.

368-Khalid yahya blamkinship: the and of the jihad state

-the reign of hishom ibn Abd Al.Malik and the collapse of the Umayyads suny series in middle est History , state University of new York press .1994.

369-Patricia crone: God`s Rule-Government and islam, Columbia University press, new York ,1983.

370-Patricia Crone and Martin Hinds : God`s Caliph

-Religious authority in the first conturies of islam , combridge Univesity press, combridage , united Kingdom ,P1, 2003.

فهرس الرّسائل

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الباب الأوّل: رسائل الخلفاء الخاصة بالصّراع حول الخلافة و شخصياتهم و أفراد أسرتهم و آل بيتهم :

الفصل الأول:رسائل الخلفاء الخاصة بالبيعة وشخصياتهم و أفراد أسرتهم:

رقم الرسالة	عنوانها و الجهة التي أرسلت إليها
أوّلا	الرّسائل المتعلّقة بالبيعة وولاية العهد:
1	رسالة معاوية إلى عبادة بن الصامت ليبايعه :"إن أصحاب النّبي ﷺ قد اجتمعوا عليّ فاكتب إليّ ببيعتك..."
2	رسالة معاوية إلى عمرو بن العاص في إمامة قريش :"سمعت الرسول ﷺ يقول: قريش ولاة الناس..."
3	رسالة معاوية إلى مروان يحذّره حين حرّض عمرو بن عثمان على المطالبة بالخلافة: " أواضع رجل فوق أخرى يعدّنا..."
4	رسالة معاوية إلى زياد يستشيره في البيعة لولاية العهد لابنه يزيد :"كتب إلى زياد يستشيره"
5	رسالة معاوية إلى مروان بن الحكم يستشيره فيمن يوليه الخلافة : "إنّي قد كبرت سنّي..."
5 – أ-	رواية أخرى لما سبق
6	رد معاوية على مروان فيمن يولى الخلافة : " أن سمِّ يزيد"
6 – أ-	رواية أخرى لما سبق
7	رسالة معاوية إلى عمالة ليوفدوا إليه الوفود لأجل أخذ البيعة ليزيد: "كتب إلى عمالة بتقريظ يزيد ووصفه..."
7– أ-	رواية أخرى لما سبق
8	رسالة معاوية إلى الآفاق يأمر بولاية العهد ليزيد: " وكتب إلى الأفاق بذلك"
9	رسالة معاوية إلى مروان بأخذ البيعة ليزيد من أهل المدينة بعد تزكيه الوفود: "أن أدع أهل المدينة إلى بيعة يزيد..."
9-أ -	رواية أخرى لما سبق
10	رسالة معاوية إلى عبد الله بن جعفر حين امتنع عن بيعة يزيد :"أما بعد فقد عرفت أثرتي إياك على من سواك... "

11	معاوية يغري ابن عمر بالمال ليبايع ليزيد: "ثم أرسل إليه أن يبايع ليزيد"
12	رسالة يزيد إلى الوليد بن عتبة في موت معاوية: "بسم الله الرحمن الرحيم من يزيد أمير المؤمنين إلى الوليد بن عتبة... "
13	رسالة يزيد إلى الوليد بن عتبة لأخذ البيعة من النفر الثلاثة الذين عارضوا بيعته: "أن أدع الناس فبايعهم... "
13-أ-	رواية أخرى لما سبق
13-ب-	رواية أخرى لما سبق
13-ج-	رواية أخرى لما سبق
14	كتاب يزيد إلى ابن الزبير يدعوه للبيعة: "كتب يزيد إلى ابن الزبير يدعوه إلى بيعته "
15	رسالة يزيد إلى مسلمة بن مخلد لأخذ البيعة له: "كتب يزيد بن معاوية إلى مسلمة بن مخلد بأخذ البيعة له..."
15-أ-	رواية أخرى لما سبق
16	رسالة يزيد إلى ابن عباس بشأن بيعته :"أما بعد فقد بلغني أن الملحد بن الزبير دعاك..."
16-أ-	رواية أخرى لما سبق
16-ب	رواية أخرى لما سبق
17	رسالة يزيد إلى بن عباس ردا على رسالته بشأن البيعة: "كتب يزيد إلى ابن عبّاس يأمره بالخروج إلى الوليد بن عتبة و مبايعته..."
18	رسالة مروان إلى حسان بن مالك ليبايع له: "كتب مروان لحسان بن مالك بن بحدل يدعوه أن يبايع له..."
19	رسالة مروان إلى عبيد الله بن زياد يستشيره في البيعة: " فأرسل إلى عبيد الله..."
20	رسالة عبد الملك إلى ابن زياد يعلمه بموت مروان و يأمره بأخذ البيعة: "فكتب إليه عبد الملك بوفاته وأخذ البيعة له..."
21	رواية أخرى لما سبق رسالة عبد الملك إلى أهل العراق يدعوهم لنفسه: "كتب عبد الملك إلى أشراف أهل العراق يدعوهم إلى نفسه ويمنيهم..."

22	رسالة عبد الملك إلى ابن الأشتر يدعوه إلى مبايعته:"أما بعد فإن آل الزبير انتزوا على أئمة الهدى..."
22-أ-	رواية أخرى لما سبق
23	رسالة عبد الملك إلى ابن الأشتر لينضمّ إليه ويترك مصعبا: "بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عبد الملك أمير المؤمنين إلى إبراهيم بن الأشتر..."
23-أ-	رواية أخرى لما سبق
24	جواب عبد الملك إلى ابن عمر حين كتب إليه بإخراج نفسه من طلب الخلافة: "أنا أخرج نفسي إن أخرج بن الزبير نفسه..."
25	رسالة عبد الملك إلى ابن الحنفية يستدرجه إلى الشام حتى يحظى ببيعته: "إنّه قد بلغني أن ابن الزبير قد ضيّق عليك..."
25 – أ-	رواية أخرى لما سبق
25–ب-	رواية أخرى لما سبق
26	رسالة عبد الملك إلى ابن الحنفية حين نزل الشام يدعوه للبيعة له:"إنك قدمت بلادي فنزلت في طرف منها..."
26 –أ-	رواية أخرى لما سبق
26–ب-	رواية أخرى لما سبق
26– ج-	رواية أخرى لما سبق
27	رسالة عبد الملك إلى ابن الحنفية يطلب منه البيعة ثانية بعد القضاء على مصعب بن الزبير:" أما بعد فإذا أتاك كتابي هذا فاخرج إلى الحجّاج..."
27 – أ-	رواية أخرى لما سبق
28	رسالة عبد الملك لعبد الله خازم يطلب بيعته: "إن لك خراسان سبع سنين على أن تبايع..."
28-أ-	رواية أخرى لما سبق
28–ب-	رواية أخرى لما سبق
29	رسالة عبد الملك إلى بُجير ليبايعه: "كتب عبد الملك إلى رجل من بني تميم يقال له بجير من أوس أن يبايع له"

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

30	رسالة عبد الملك إلى أخيه عبد العزيز ليتنازل عن الخلافة للوليد: "إن رأيت أن تصيّر هذا الأمر لابن أخيك"
31	رسالة ثانية من عبد الملك لأخيه عبد العزيز ليجعل الوليد من بعده: " فاجعلها له من بعدك..."
32	رسالة عبد الملك إلى أخيه عبد العزيز يأمره أن يحمل إليه خراج مصر: "احمل إليّ خراج مصر"
33	رسالة عبد الملك إلى أخيه عبد العزيز بأنّه لن يعتب عليه: "لعمري لا أعتب عليك بقيّة عمرك"
34	رواية أخرى لما سبق كتاب عبد الملك إلى البلدان للبيعة للوليد وسليمان: "وكتب بالبيعة لهما على البلدان ..."
34 – أ –	رواية أخرى لما سبق
34 – ب–	رواية أخرى لما سبق
35	كتاب عبد الملك إلى أهل المدينة يعاتبهم: "كتب عبد الملك بن مروان إلى أهل المدينة يعاتبهم"
36	كتاب عبد الملك إلى هشام بن اسماعيل في شأن امتناع ابن المسيّب عن البيعة للوليد وسليمان : "وماكان من حاجتك إلى رفع هذا عن سعيد بن المسيّب..."
36 – أ –	رواية أخرى لما سبق
36 – ب–	رواية أخرى لما سبق
36 – ج –	رواية أخرى لما سبق
37	رسالة عبد الملك إلى هشام بن اسماعيل يلومه على ضرب ابن المسيب: "كتب عبد الملك إلى هشام يلومه على مافعل من ذلك..."
37 – أ –	رواية أخرى لما سبق
37 – ب –	رواية أخرى لما سبق
38	رسالة الوليد إلى أحد عمال أبيه بشأن بيعته: "أما بعد ، فقد أتاني كتابك تذكر ما اختص الله به أمير المؤمنين ..."
39	كتاب الوليد إلى عماله بالبيعة لابنه عبد العزيز: "وكتب الوليد إلى عماله أن يبايعوا لعبد العزيز..."
40	رسالة الوليد إلى زيد بن حسن في شأن البيعة لابنه عبد العزيز: "يسأله أن يبايع لعبد العزيز بن الوليد ويخلع سليمان..."

41	رسالة من الوليد إلى عمر بن عبد العزيز: "وقّع عمر إلى الوليد في كتابه..."
42	رسالة الوليد إلى أخيه سليمان بالقدوم عليه لمّا رفض التّنازل عن الخلافة: "كتب الوليد إلى سليمان يأمره بالقدوم عليه"
43	كتاب سليمان بولاية العهد لعمر بن عبد العزيز: " بسم الله الرّحمن الرّحيم، هذا كتابٌ من عبد الله سليمان بن عبد الملك لعمر بن عبد العزيز إنيّ قد ولّيتُه الخلافة من بعدي..."
ثانيا	**الرسائل المتعلقة بإيفاد شخصيات إليهم:**
44	رسالة معاوية إلى زياد ليبعث إليه أبناءه: "أن أوفد إليّ بنيك..."
45	رسالة معاوية إلى زياد ليبعث له ابنه عبيد الله: "إذا جاءك كتابي هذا فأوفد إليّ ابنك عبيد الله"
46	رسالة يزيد إلى عبيد الله ليبعث له ابن همام السلولي : "أن احمل إليّ ابن همام السلولي "
47	رسالة يزيد إلى ابن همام السلولي في العفو عنه: "كتب يزيد إلى ابن همام بالرضا عنه وبجائزته"
48	رسالة يزيد إلى عبد الله بن جعفر أن يبعث له جارية: "إما أهديتها إليّ و إما بعتها بحكمك"
49	رسالة عبد الملك إلى الحجاج أن يختار له رجلا ليسامره : "إذا قرأت كتابي هذا فاطلب لي رجلا يحب أن يعدل في النصيحة ..."
50	رسالة عبد الملك إلى الحجاج لبعث له عالما يستأنس به : "انظر لي رجلا عالما بالحلال و الحرام..."
50 – أ -	رواية أخرى لما سبق
50 – ب-	رواية أخرى لما سبق
50 –ج -	رواية أخرى لما سبق
51	ردّ عبد الملك على أخيه عبد العزيز حين طلب إرسال الشعبي إليه: "إني آثرتك به على نفسي..."
52	رسالة عبد الملك إلى الحجاج يطلب منه أن يبعث له رجلا يبعثه لملك إلى الروم:"أن ابعث إليّ رجلا عالما أبعثه إلى ملك الروم "
53	رسالة عبد الملك إلى الحجاج ليبعث له كاتبه محمد بن يزيد الأنصاري : "أن أحمله إليّ"
54	رسالة عبد الملك لعبد الله بن جحش في القدوم عليه: "فكتب إليه يأمره بالقدوم عليه ..."
55	كتاب عبد الملك إلى نجدة الخارجي يسأله أن يطلق سراح أحد بنات عثمان ويبعثها إليه: "فكتب إليه

	عبد الملك في شأنها..."
56	رسالة الوليد إلى عامله بمكة ليبعث له ابن سريج الشاعر: "أن أشخص إليّ ابن سريج"
57	رسالة سليمان إلى عاملة بالأردن ليبعث له عدي بن الرقاع: "اجمع يدي عدي بن الرقاع إلى عنقة وابعث به إليّ ..." "
ثالثا	**الرسائل المتعلقة بأحوالهم الشخصية و حاجاتهم وحاجات أبنائهم:**
58	كتاب معاوية إلى والي مصر بسلامته : "...ثم قدم علينا كتابه بسلامته "
59	رسالة معاوية إلى زياد يحثّه على الاعتراف بنسبة نسبه إلى أبي سفيان : "من أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان أما بعد: فإن المرء ربما طرحه الهوى ..."
60	كتاب معاوية إلى الآفاق باستلحاق زياد: " كتب بذلك إلى الأفاق"
61	رسالة معاوية إلى مروان ليبعث عبد الملك في فتوح المغرب : " أن ابعث عبد الملك بن مروان على بعث المدينة ..."
62	رد معاوية على عبد الله بن عامر يعاتبه ويفتخر ببني أمية: "بيت أمية في الجاهلية أشرف من بيت حبيب..."
63	رسالة معاوية إلى مروان يأمره أن يخطب إليه أمامة : "أن زوجني أمامة بنت أبي العاص..."
64	رسالة معاوية إلى مروان ليعرض عن أمامة: " أن أعرض عنها "
65	رسالة معاوية إلى عبد الله بن الزبير يخطب ابنته على ابنه يزيد : "أرسل معاوية بن أبي سفيان رسولا وكتب معه إلى عبد الله بن الزبير يخطب ابنته..."
66	رسالة معاوية إلى مروان يأمره أن يخطب لابنه يزيد أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر: "أما بعد فإنّ أمير المؤمنين قد أحب أن يرد الألفة..."
66 – أ –	رواية أخرى لما سبق
66 – ب–	رواية أخرى لما سبق
67	رسالة معاوية إلى ابن طلحة يخطب منه أخته لابنه يزيد: "إن معاوية كتب إليّ يخطبها على يزيد"
68	رسالة معاوية إلى مروان ليخيّر ابنة طلحة : "أن خيرها ""
69	رسالة معاوية إلى أبي هريرة لخطبة هند بن سهيل بن عمرو على يزيد: " كتب معاوية إلى أبي هريرة أن

	يخطبها على يزيد بن معاوية"
70	رسالة معاوية إلى مروان ليحوز ضيعة اشتراها : "وكتب معاوية إلى مروان: حُزها "
71	رسالة معاوية إلى مروان ليعرض عن أخذ الضيعة: "اعرض عنها وصوّغ المال عبد الله بن جعفر"
72	رسالة معاوية إلى سليمان المشجعي ليتخذ له ضياعا : "اتخذ لي ضياعا ولا تكن بالدّاروم المجداب..."
73	رسالة معاوية إلى زياد يشكو قرابته : "كتب معاوية إلى زياد يشكو قرابته"
74	رسالة معاوية إلى عائشة رضي الله عنها يطلب نصحها: "أن عظيني ولا تطيلي"
74 – أ –	رواية أخرى لما سبق
75	رسالة معاوية إلى ابنه يزيد بمرضه : "لمّا مرض معاوية كتب ليزيد بحاله"
76	رسالة مروان إلى النعمان بن بشير يخطب أم إبان بنت النعمان لإبنه عبد الملك : "بسم الله الرحمن الرحيم من مروان بن الحكم إلى النعمان بن بشير سلام عليك..."
77	رسالة عبد الملك إلى هشام بن اسماعيل ليخطب له: "اخطب إليّ امرأة من قريش من كمالها وطولها ومن بياضها"
78	رسالة عبد الملك إلى المغيرة بن عبد الرحمن للقدوم عليه ليخطب إليه أخته : "فكتب إلى أخيها المغيرة بن عبد الرحمن يأمره بالشخوص إليه "
79	رسالة عبد الملك إلى الحجاج ليبعث إليه بجواري : "كتب عبد الملك إلى الحجاج يأمره أن يبعث إليه بثلاثين جارية..."
80	كتاب عبد الملك لرجل عزاه بابنه مروان : "كتبت تسأل عن صبري لتعلمه..."
81	رسالة الوليد إلى الحجاج ينعى عبد الملك : "ثم كتب بعدها إلى الحجاج فنعى إليه أباه عبد الملك"
82	رسالة الوليد إلى مسلم بن سليم بالدعاء له: "أن احضره أناسا من قدمائهم و صالحيهم فليدعو للأمير بالصلاح..."
83	رسالة الوليد إلى أبي بكر بن محمد بن حزم في صداق يزيد بن عبد الملك: إنه بلغ من اللّؤم أن يزيد بن عبد الملك تزوج فلانة و أصدقها مالا كثيرا..."
84	رسالة سليمان إلى أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ليبني له قصرا: "كتب إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن يبنى له قصرا بالجرف ينزله "

رابعا	الـــرسائل الخاصة بسياستهم في الرعية:
85	ردّ معاوية على زياد يبين له كيفيّة سياسته للنّاس : "إنه لا ينبغي لي ولك أن نسوس الناس سياسة واحدة..."
85- أ-	رواية أخرى لما سبق
85- ب-	رواية أخرى لما سبق
85- ج-	رواية أخرى لما سبق
85- د-	رواية أخرى لما سبق
86	رسالة ثانية من معاوية إلى زياد يبين سياستهما مع الرعية : "ليكن بيني وبينك في سياسة الرعية شعرة ممدودة..."
87	رسالة معاوية إلى عمرو بن العاص حين عاتبه في التّأني: "أما بعد فإن التفهّم زيادة و رشد..."
87- أ-	رواية أخرى لما سبق
87- ب-	رواية أخرى لما سبق
88	رسالة معاوية إلى عمرو بن العاص يلومه في كلامه فيه: " وفّقك الله لرشدك، بلغني كلامك ..."
89	رسالة معاوية إلى ابن عباس يطلب منه الخروج للجهاد مع يزيد: "يا أبا العباس أن أحببت خرجت مع ابن أخيك..."
مجموع الرسائل الأصلية	89
مجموع الرسائل المكررة	39

الفصل الـــثاني : رسائلـــــهم إلى آل بيتهم:

رقم الرسالة	عنوانها والجهة التي أرسلت إليها
أوّلا	**الرسائل المتعلقة بأوامرهم لآل بيتهم ومراقبة أفراد الأسرة الحاكمة:**
90	رسالة معاوية إلى سعيد بن العاص يأمره بمصادرة أموال مروان وهدم داره: "يأمره حين عزل مروان

	بقبض أموال مروان التي بذي المروة..."
90 – أ-	رواية أخرى لما سبق
90 – ب-	رواية أخرى لما سبق
90– ج-	رواية أخرى لما سبق
90 – د-	رواية أخرى لما سبق
90 – هـ-	رواية أخرى لما سبق
91	رسالة معاوية إلى سعيد بن العاص يؤكّد عليه باصطفاء أموال مروان وهدم داره: " فأعاد عليه الكتاب مرة ثانية يأمره باصطفاء أموال مروان "
92	رسالة معاوية إلى مروان بن الحكم يأمره بهدم دار سعيد بن العاص: " كتب إليه بهدم دار سعيد "
92 – أ-	رواية أخرى لما سبق
93	رسالة معاوية إلى مروان بقبض أموال سعيد:" كتب إلى مروان يأمره بقبض أموال سعيد بن العاص بالحجاز"
94	كتاب مروان إلى معاوية لمّا علم بأمره لسعيد بن العاص:" كتبت إلي تأمرني بعقّ..."
95	جواب معاوية إلى سعيد بن العاص حين كتب إليه يلومه في تحريض مروان عليه: " فكتب أليه يتنصّل من ذلك..."
96	رسالة معاوية إلى مروان بن الحكم لمّا بلغه قول أخيه الحارث : " أما بعد فقد بلغني قول أخيك الحارث بن الحكم..."
97	رسالة معاوية إلى مروان يذم رجلا : " والله لفلان أهون عليّ من ذره..."
98	رسالة عبد الملك إلى بعض أولاده حين عصاه: "أما بعد فإني أمرتك بأمر فأتيت غيره..."
99	رسالة عبد الملك إلى أخيه عبد العزيز حين بعث إليه الشعبي: "إني قد بعثت إليك الشعبي فانظر هل رأيت مثله قط"
100	رسالة الوليد إلى أخيه سليمان يلومه على ما يقدّمه من هدايا ليزيد بن المهلب: "يا خالفة أهل بيته..."
101	رسالة الوليد إلى عمه عبيد الله يذمه: " قد وصلت إليّ القطيعة وأنت يا عم أحمق..."

102	رسالة الوليد إلى أخيه عبد الله يحاسبه عن ماله : " أن أكتب لي أموالك "
ثانيا	**الرسائل الخاصّة بالوصايا والنصائح لآل بيتهم :**
103	رسالة معاوية إلى ابنه يزيد ينصحه: "من معاوية بن أبي سفيان أمير المؤمنين إلى يزيد بن معاوية أما بعد: فقد أدّت ألسنة التصريح إلى إذن العناية بك..."
104	رسالة معاوية إلى بني أمية يوصيهم حين حضرته الوفاة: "يا بني أمية إنه لما قرب ما لم يكن بعيدا وخفت أن يسبقكم الموت إليّ..."
105	رسالة معاوية إلى ابنه يزيد يوصيه قبل موته: " انظر أهل الحجاز فإنهم أصلك، فأكرم من قدم عليك منهم..."
105 – أ-	رواية أخرى لما سبق
105 – ب-	رواية أخرى لما سبق
مجموع الرسائل الأصلية	16
مجموع الرسائل المكررة	08

الباب الثاني: رسائل الخلفاء الخاصّة بالمظالم والقضاء والشّفاعة والوساطة:

الفصل الأول : الرسائل الخاصة بالنّظر مظالم العمال ورد الحقوق على الرعية:

رقم الرسالة	عنوانها والجهة التي أرسلت إليها
أولا	**الرسائل المتعلقة بمعالجة مظالم القتل والأموال:**
106	رسالة عبد الملك للحجاج حين مثّل بابن الزبير: " فكتب إليه يلومه فيما صنع..."
106 – أ-	رواية أخرى لما سبق
107	رسالة عبد الملك إلى الحجاج يلومه في سوء مخاطبة أسماء بنت أبي بكر: " فكتب إليه يلومه في مخاطبة أسماء..."
108	رسالة عبد الملك إلى الحجاج في شأن عبد الرحمن بن مسعود ومظالم العراق: " أما بعد فقد بلغني

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

	كتابك في ابن مسعود..."
109	رسالة عبد الملك إلى الحجاج لمّا أسرف في القتل وأغدق الأموال على أصحابه: "أما بعد فقد بلغني سرفك في الدماء وتبذيرك في الأموال..."
109 – أ-	رواية أخرى لما سبق
110	رد عبد الملك على جواب الحجاج إليه حين لامه في الدماء والأموال: " الشاهد يرى ما لا يرى الغائب..."
110 – أ-	رواية أخرى لما سبق
111	رسالة عبد الملك إلى الحجاج يؤنّبه في تجاوزاته وينصحه: " بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عبد الملك بن مروان إلى الحجاج بن يوسف أما بعد، فقد أصبحت بأمرك برما..."
112	رسالة سليمان إلى الحجاج يذمه على تجاوزاته ويتهدّده: " بسم الله الرحمن الرحيم من سليمان بن عبد الملك إلى الحجاج بن يوسف سلام على أهل الطاعة من عباد الله أما بعد: فإنك امرؤ مهتوك عنك حجاب الحق..."
113	كتاب سليمان بإبطال مظالم الحجاج: " فما رأيت من مصلحة العامة فمر به فليُكتب..."
114	رسالة سليمان إلى يزيد بن المهلب في أمر وكيع الذي اتهم بقتل قتيبة: " إن قيسا زعموا أن قتيبة بن مسلم لم يكن خلع الطاعة..."
ثانيا	**الرسائل المتعلقة بالإساءة إلى أشخاص معينين:**
115	رسالة معاوية إلى بسر بن أبي أرطأة يأمره بإطلاق أبناء زياد: "أن خلّ من بين يديك من ولد زياد"
115 – أ-	رواية أخرى لما سبق
115 – ب-	رواية أخرى لما سبق
116	رد معاوية على زياد حين طلب منه الإساءة لابن عباس: "إنّ أبا الفضل وأبا سفيان كانا في الجاهلية في مسلاخ واحد..."
117	رسالة معاوية إلى زياد يؤنبه على إساءته في ردّه على الحسن وهدم دار سعيد بن سرح: " أما بعد فإن الحسن بن علي بعث بكتابك إليّ جواب كتابك إليه في ابن سرح..."
117 – أ-	رواية أخرى لما سبق

117 – ب-	رواية أخرى لما سبق
118	رسالة معاوية إلى الحسن في مظلمة سعيد بن سرح: " فقد كتبتُ إلى الحسن أن يخيّر صاحبه إن شاء أقام عنده..."
119	رسالة معاوية إلى روح بن زنباع حين أخطأ في جناية: " فكتب إليه بالقدوم "
120	رسالة عبد الملك إلى الحجاج يأمره بالكفّ عن التّدخّل في أمر صدقة علي: "فكتب إليه أن يمسك عنه"
121	رسالة عبد الملك إلى الحجاج يؤنّبه لمّا أساء إلى أنس بن مالك: " أما بعد يا ابن أم الحجاج فإنك عبد طمت بك الأمور فعلوت فيها..."
121 – أ-	رواية أخرى لما سبق
121 – ب-	رواية أخرى لما سبق
121 – ج-	رواية أخرى لما سبق
121– د-	رواية أخرى لما سبق
122	رسالة عبد الملك إلى أنس بن مالك يرفع عنه مظلمة الحجاج: "بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين إلى أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ أما بعد : فقد قرأت كتابك..."
123	رسالة عبد الملك إلى نافع بن علقمة ينهاه عن سب طلحة والزبير: "وكتب إلى نافع ينهاه عن مثل ما كان منه"
124	رسالة عبد الملك لابن هرمز ينزعه بسبب مظلمته:" وأرسل إلى ابن هرمز فنزعه "
125	رسالة سليمان إلى خالد القسري يرفع مظلمته عن الأعجم: "لا سبيل لك على الأعجم وولده"
ثالثا	**الرسائل المتعلقة برد حقوق الرعية وإنصافهم والعفو عنهم:**
126	رسالة معاوية إلى زياد بالعفو عن الجموح بن عمرو الفهمي: "إني قد عرفت زلته وغفرتها له لحلفه أبا سفيان"
127	رسالة معاوية إلى زياد يلومه في ظلمه ويأمره بإظهار كرامة الجموح: "لهممت أن أوجه إليك من يقتص منك"

128	رسالة معاوية إلى مروان ليرد عطاء ابن صهيب: "إنك حفظت على ابن صهيب ما كان من أبيه في أمر عثمان..."
129	رسالة معاوية إلى ابن أم الحكم ليطلق زوجة شاب ويعيدها إليه: "وكتب إلى ابن أم الحكم كتابا غليظا ، وكتب في آخره يقول: ركبت أمرا عظيما لستُ أعرفه..."
130	رسالة معاوية إلى الوليد بن عتبة يعاقبه على ضرب ابن سيحان ويرد مظلمته: "بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله معاوية أمير المؤمنين إلى الوليد بن عتبة أما بعد: فالعجب من ضربك ابن سيحان..."
130 – أ-	رواية أخرى لما سبق
130 – ب-	رواية أخرى لما سبق
130 - ج-	رواية أخرى لما سبق
131	رسالة معاوية إلى عبيد الله بن زياد في إطلاق سراح ابن مفرغ:" فكتب يزيد إلى ابن زياد ببناء داره ورد ماله..."
132	رسالة يزيد إلى ابن زياد يأمره برد مال عبد الرحمن بن أم برثن: "فكتب له من ساعته إلى عبيد الله بن زياد في رد المائتي ألف عليه "
133	رسالة عبد الملك إلى الحجاج برد مال محمد بن المنذر: " فأمر له بالكتاب في رده..."
134	رسالة عبد الملك إلى الحجاج يأمره أن يطلق سبيل زياد بن عمرو : " أما بعد فإنه بلغني أنك حبست زياد بن عمرو العتكي وليس مثل زياد حبس..."
135	رسالة عبد الملك إلى الحجاج يأمره برد مظلمة حمران بن إبان: "إنّ حمران أخو من مضى منا وعم من بقي..."
136	رسالة عبد الملك إلى ابن المسيب يعتذر إليه لمّا ضربه هشام بن إسماعيل: " أكتب أنت إليه عني تخيره برأيي فيه..."
137	رسالة عبد الملك إلى هشام بن إسماعيل يأمره بإطلاق سراح ثابت بن عبد الله بن الزبير: "أن أطلقوه فإنه إنّما شتم أهل الخلاف "
138	رسالة عبد الملك إلى دحمان الأشقر لقبض مال ابن مسجح: "أن اقبض ماله وسيّره"
139	رسالة عبد الملك إلى دحمان الأشقر بردّ مظالم ابن مسجح: "وكتب إلى عامله بردّ ماله عليه وأن لا

	يعرض له بسوء"
140	رسالة سليمان إلى عامله بإنصاف رجل: " فأمر فكتب بإنصافه "
مجموع الرّسائل الأصليّة	35
مجموع الرّسائل المكرّرة	14

الفصل الثاني: رسائل الأمان والـشفاعة والــوساطة:

رقم الرسالة	عنوانها والجهة التي أرسلت إليها
أولا	**الرسائل المتعلقة بإعطاء الأمان للمخالفين:**
141	رسالة معاوية إلى زياد يؤمّنه: "وكتب إليه معاوية أمانا على أن يأتيه..."
142	كتاب يزيد إلى محمد بن الحنفية يؤمّنه بعد مقتل الحسين: " أما بعد فإني أسأل الله لي ولك عملا صالحا..."
143	ردّ يزيد على عبد الله بن جعفر لـمّا شفع في جماعة: "فوقّع إليه: من عرفت فهو آمن"
144	كتاب مروان في تأمين أهل مصر : "فكتب مروان لهم كتابا بيده يؤمّنهم على جميع ما أحدثوه..."
145	رسالة عبد الملك لابن الحنفية يؤمّنه: "إنك عندنا محمود، أنت أحب وأقرب بنا رحما..."
145 – أ-	رواية أخرى لما سبق
146	رسالة عبد الملك إلى مصعب بن الزبير يعطيه الأمان: "إن ابن عمك يعطيك الأمان "
147	رسالة عبد الملك إلى الحجاج بأمان عروة بن الزبير: "إنه لم يهرب ولكنه أتاني مبايعا ، وقد آمنته..."
147 – أ-	رواية أخرى لما سبق
147 – ب-	رواية أخرى لما سبق
147 – ج-	رواية أخرى لما سبق

148	رسالة عبد الملك إلى ابن الأشعث يعده ويؤمّنه إن تخلّى عن خروجه: " وكتب إلى ابن الأشعث بالأمان له ولأصحابه..."
149	رسالة عبد الملك إلى الحجاج يؤمن عبيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة: "فأمنه وكتب بذلك للحجاج "
150	رسالة سليمان إلى قتيبة يؤمنه ويغريه بالولاية: " أما بعد فإن الناس قد اشتدّ عليهم البلاء في ولاية الحجاج..."
ثانيا	**رسائل الشفـــاعة والـــوساطة :**
151	رسالة معاوية إلى مروان يشفع لغلام مسجون: " أكتبوا لها بإخراجه"
152	رسالة يزيد إلى ابن زياد يشفع في عبد الله بن الحارث: "وكتب معه إلى زياد بتخلية سبيله..."
153	رسالة يزيد إلى ابن زياد حين شفع ابن عمر في المختار: "أما بعد فخل سبيل المختار بن أبي عبيد..."
153 – أ–	رواية أخرى لما سبق
154	رسالة يزيد إلى عبيد الله بن زياد لئلا يعرض لابن همام السلولي: "وكتب إلى زياد يأمره أن لا يعرض له وأوصاه به "
155	رسالة يزيد إلى عاصم بن عمر بن الخطاب يشفع في فضالة بن شريك: "وكتب إلى عاصم يخبره أن فضالة أتاه مستجيرا به..."
155– أ–	رواية أخرى لما سبق
156	ردّ عبد الملك على ابن عباس حين شفع في ابن الحنفية: "أما بعد فقد أتاني كتابك توصيني فيه بمن توجه إلى ما قبلي..."
156 – أ–	رواية أخرى لما سبق
157	رسالة عبد الملك إلى أخيه عبد العزيز بالإحسان إلى ذبيان بن نعيم: "فكتب إليه عبد الملك في أمره "
158	رسالة عبد الملك إلى الحجاج يتوسط لآل سعيد بن العاص: "أما بعد فإني قد بعثت إليك بنفر من آل سعيد بن العاص..."

159	رسالة عبد الملك إلى الحجاج يأمره بإطلاق سراح غضبان بن القبعثري: "فكتب بذلك إلى الحجاج..."
160	رسالة عبد الملك إلى الحجاج بأن لا يعرض للشاعر عبد الله بن الحجاج: "إني قد عرفت خبث عبد الله وفسقه مالا يزيدني علما به..."
161	رسالة عبد الملك إلى الحجاج يأمره بإطلاق سراح عبد الله بن فضالة: "إياك وإياه، أحسن جائزته..."
162	رسالة عبد الملك إلى الحجاج يأمره بإطلاق سراح مسمع بن مالك: "قد كان من بلاء مالك بن مسمع عندنا ما يعفي عن ذنب مسمع ابنه..."
163	رسالة الوليد إلى سليمان بأمره بتسليم يزيد بن المهلب لمّا استجار به: "فكتب الوليد إلى سليمان بذلك"
164	ردّ الوليد على سليمان يأمره أن يبعث إليه آل المهلب: "أما بعد فو الله لا أؤمّن يزيد ومن معه حتى تبعث بهم إلي"
165	ردّ الوليد على سليمان لمّا طلب منه القدوم مع آل المهلب: "والله لئن قدمت إلي معهم لا أؤمّنهم أبدا..."
166	رسالة الوليد إلى الحجاج بأن لا يعرض ليزيد بن المهلب وإخوته: "أما بعد فإن أمير المؤمنين لم يصل ليزيد وإخوته مع سليمان ، فلا تعرض لهم..."
مجموع الرسائل الأصلية	26
مجموع الرسائل المكررة	07

الفصل الثالث : الرسائل المتعلقة بالــحدود والقصاص وأحكام القضاء والسجون:

رقم الرسالة	عنوانها والجهة التي أرسلت إليها
أولا	**رسائل الــحدود والقــضاء والعــقوبات:**
167	رسالة معاوية إلى أخيه عتبة في العقوبات: "كتب معاوية بن أبي سفيان إلى أخيه عتبة وهو على

	مصر في أقوام يعاقبهم ولا يراجعه فيهم"
168	رسالة معاوية إلى مسلمة بن مخلد يسأله عن قول الرسول ﷺ في القضاء: " أن سل عبد الله بن عمرو بن العاص أسمع رسول الله ﷺ يقول : لا تقدس أمة لا يقضى فيها بالحق..."
169	رسالة معاوية إلى سعيد بن العاص ليجلد عبد الرحمن بن الحكم وعبد الرحمن بن حسان: "فكتب معاوية بن أبي سفيان إلى سعيد بن العاص أن يجلد كل واحد منهما مائة سوط "
170	رسالة معاوية إلى مروان ليضرب أخاه مائة سوط: "فكتب معاوية إلى مروان يعزم عليه أن يضرب أخاه مائة سوط"
171	رسالة معاوية إلى مروان في السّارق إذا أوجد سرقته: " إذا سُرق الرجل فوجد سرقته فهو أحق بها..."
172	رد معاوية على مروان يأمره بتنفيذ ما كتب به إليه:"إنك لست أنت ولا أسيد يقضيان علي فيما وُلّيت..."
173	ردّ معاوية على مروان لمّا سأله عن سكران قتل رجلا: "فكتب إليه معاوية أن أقتله"
174	رد معاوية على مروان لمّا سأله عن مجنون قتل:"أن أعقله ولا تقد منه..."
175	رسالة معاوية إلى زياد ليعاقب أبا العريان المخزومي:"ثكلتك أمك اقطع عنك لسان أعمى بني مخزوم"
175 – أ–	رواية أخرى لما سبق
176	رسالة معاوية إلى أبي العريان حين لم ينفّذ زياد حكمه فيه: "ما لبثتك الدنانير التي رشيت..."
177	رسالة معاوية إلى زياد لعقاب عبد الله بن هاشم بن عتبة: "من معاوية بن أبي سفيان أمير المؤمنين إلى زياد بن أبي سفيان أما بعد: فإذا أتاك كتابي هذا فاعمد إلي حيّ بني مخزوم ففتشه دارا دارا..."
178	رسالة معاوية إلى زياد بشان ميراث المسلم من الكافر: "ورّث المسلم من الكافر ولا تورث الكافر من المسلم"
179	رسالة معاوية إلى زيد بن ثابت يسأله عن ميراث الجد: "كتب إلى زيد بن ثابت يسأله عن الجد"
180	رسالة معاوية إلى زيد بن ثابت يسأله عن العدة:" فكتب معاوية إلى زيد بن ثابت يسأله عن ذلك"

181	رسالة معاوية إلى المغيرة بن شعبة يأمره بتعذيب عبد الرحمن بن أبي بكرة: "فكتب معاوية إلى المغيرة أن عذّبه"
182	رسالة معاوية بإهدار دم قيس بن ذريح لـمّا شبّب بزوجته المطلّقة: "فكتب معاوية إليه بإهدار دمه"
183	رسالة معاوية إلى روح بن زنباع ليتثبت في الحدود: "لا تعجلنّ بإقامة حد حتى تثبّت في أمره..."
184	رسالة معاوية إلى سمرة القاضي حين استشكل عليه القضاء: "أن زوجه امرأة جميلة وأصدقها من بيت المال"
185	رسالة يزيد على عثمان بن محمد يأمره بإقامة الحد على مسور:" فكتب إلى عاملة بالمدينة يأمره أن يضرب مسورا الحد"
186	ردّ يزيد على ابن زياد يأمره بإقامة حدّ القذف على ابن مفرغ: "إياك وقتله ، ولكن تناوله بما ينكّله ويشد سلطانه..."
187	رسالة يزيد إلى عامل البحرين يأمره بتغريم أهل دارين لمشاركتهم مع أهل الحرّة: "فكتب يزيد إلى عاملة بالبحرين ، فأغرم أهل دارين أربعمائة ألف درهم"
188	كتاب مروان إلى عامله بالمدينة لحد الفرزدق: "ثم كتب مروان إلى عامله يأمره فيه أن يحده ويسجنه"
189	رسالة مروان إلى نوفل بن مساحق لينظر في قضية رجل: " أن انظر أنت في ذلك"
190	رسالة عبد الملك إلى خالد بن عبد الله في عقوبة عباد بن الحصين: " مثل عباد لا يضرب إنّما كان ينبغي أن يُقتل أو يعفى عنه..."
191	ردّ عبد الملك على إبان بن عثمان حين همّ بمخالفة ما قضى به ابن الزبير: " إنّا لم ننقم على ابن الزبير ما كان يقضي به..."
192	رسالة عبد الملك إلى الحجاج ليمضي رأيه في الأقيبل بن شهاب: " إني قد صرفت إليك الأقيبل فاعمل فيه ما ترى..."
193	رسالة عبد الملك إلى الحجاج فيمن يولي القضاء والأحكام:"لا تولينّ الأحكام بين الناس جاهلا بالأحكام..."
194	رد عبد الملك على الحجاج حين استشاره في ميراث رجل من الموالي: " إن شهد ذو عدل أنه أخوه فورثه..."

195	رسالة عبد الملك إلى أخيه عبد العزيز يسأله عن نفقة المبتوتة: "إنه اختلف علي بدمشق في نفقة المبتوتة فاكتب إليّ بما عندك"
196	رسالة عبد الملك في المكاتب: " إذا قضى المكاتب شطر كتابته فهو غريم من الغرماء "
197	جواب عبد الملك إلى عامل مكة لما استشكل عليه القضاء:" أن أبدأ يديون الناس ثم أقضِ ما بقي من كتابته..."
198	رسالة عبد الملك إلى سليمان بن حبيب يسأله عن عقوبة اللواط:" كيف عقوبة اللوطي؟"
199	رسالة عبد الملك إلى قاض مرتشٍ: " إذا رشوة حلت ببيت توجّت..."
200	كتاب عبد الملك في الجارية التي بها عيب: " كتب عبد الملك في الجارية إذا كانت بكرا فبيعت فغشيها سيدها..."
201	رسالة عبد الملك إلى نائب القدس في شأن الحارث بن عبد الرحمن المتنبئ: " إن فلانا الأمير عليك حتى يخرج..."
202	كتاب الوليد إلى الحجاج يأمره أن يسأل عن حكم المفقود إذا رجع وقد تزوجت زوجته:" أن سل من قِبلك عن المفقود إذا جاء وقد تزوجت امرأته "
203	رسالة الوليد إلى عمر بن عبد العزيز يأمره بضرب خبيب بن عبد الله بن الزبير: " فكتب الوليد بن عبد الملك إلى عمر بن عبد العزيز – قبل أن يعزله – يأمره بجلده مائة سوط ويحبسه"
204	رسالة الوليد إلى ابن حزم يأمره بجلد الأحوص الشاعر: " فكتب إلى عامله بالمدينة يأمره يضربه مائة ، ويصبّ على رأسه زيتا..."
205	كتاب الوليد إلى عمّاله أن لا يقتلوا أحدا إلا بإذنه: " فكتب إلى أمراء الأمصار كلهم..."
206	رسالة سليمان إلى عامل المدينة بإخصاء المخنثين: " فكتب إلى عامله بالمدينة وهو أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم : أن إخصِ من قبلك من المخنثين"
206 – أ-	رواية أخرى لما سبق
206 – ب-	رواية أخرى لما سبق
207	رسالة سليمان إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم لحد عثمان بن حيّان: " فإذا رسول سليمان قد قدم على أبي بكر بتأميره وعزل عثمان وحدّه "

208	رسالة سليمان إلى داود بن طلحة بن هرم ليعاقب خالد القسري: "إن كان ضرب الشيخ بعدما قرأ الكتاب الذي أرسلته فاقطع يده..."
ثانيا	**الرسائل الـــــخاصة بتطبيـــق حكـــم الـقصاص:**
209	رسالة معاوية إلى سليم بن عتر في أمر القصاص في الجراح: "...أن معاوية كتب إلى القاضي سليم بن عتر يأمره بالنظر في الجراح..."
210	رسالة معاوية إلى سعيد بن العاص ليقتاد من هدبة بن خشرم: " فكتب لهم إلى سعيد بن العاص وهو عامله بالمدينة يأمره بإعدائهم على عتبة، وأن ينظر في دعواهم عليه..."
211	رسالة معاوية إلى سعيد بن العاص يأمره بالقصاص من هدبة: " فقضى بقوَد هدبة ، وكتب بذلك كتابا..."
212	رسالة معاوية إلى اليمانية ليقتصوا من عبد الله بن الحجاج: " إن القود ممن لم يجنِ محظورا..."
213	رسالة معاوية إلى عبد الرحمن بن عبد الله الثقفي يأمره بالقصاص من عمرو بن الحمق: " إنه يزعم أنه طعن عثمان بن عفان تسع طعنات..."
214	رسالة عبد الملك إلى بني كلب يحذرهم القصاص: " فكتب إليهم عبد الملك يقسم لهم بالله لئن قتلوا من بني فزارة رجلا ليقيدنهم به"
215	رسالة عبد الملك إلى الحجاج يأمره أن يحمل إليه رجلين من فزارة للقصاص: "وكتب عبد الملك إلى الحجاج بن يوسف وهو عامله على الحجاز يأمره بأن يحمل إليه سعيد بن عيينة وحلحلة بن قيس الفزاريّين"
216	رسالة الوليد بن عبد الملك إلى عمر بن عبد العزيز يأمره أن يوقف هشام بن إسماعيل للقصاص: "وكتب الوليد إلى عمر يأمره أن يقف هشام بن إسماعيل للناس..."
217	رسالة الوليد إلى عمر بن عبد العزيز يأمره بقطع يد رجُل قصاصا: " كتب الوليد بن عبد الملك إلى عمر أن يقطع يد رجُل ضرب آخر بالسيف "
مجموع الرسائل الأصلية	51
مجموع الرسائل المكررة	03

الباب الثالث : الـــرسائل المتعلـــقة بمنهجهم الإداري والسياسي:

الفصل الأول : الـــرسائل المتعلقة ببيان منهجهم الإداري وسياستهم للرّعيّة وتوجيه الولّاة ومراقبتهم في أعمالهم وعمّالهم:

رقم الرسالة	عنوانها والجهة التي أرسلت أليها
أوّلا	الرّسائل المتعلّقة بممارسة الرّقابة على الولّاة والعمّال وتوجيههم:
218	رسالة معاوية إلى زياد يحاسبه على أموال بلاد فارس: " إنّ في يديك مالا فأدّ مال الله..."
218 – أ-	رواية أخرى لما سبق
219	رسالة ثانية من معاوية إلى زياد ليقبل عليه ويحاسبه على ولايته: " أن اقبل إليّ ننظر فيما وُلّيت..."
219 – أ-	رواية أخرى لما سبق
220	رسالة معاوية إلى المغيرة بن شعبة لينظر في أموال زياد: "وبعث معاوية إلي المغيرة بن شعبة لينظر في أموال زياد "
221	رسالة معاوية إلى المغيرة في إتيان الحجاز: " إن شئت فأتِ الحجاز..."
222	رسالة معاوية إلى زياد يرشده إلى كيفيّة معاملة النّاس: "ليكن حبك وبغضك قصدا..."
223	رسالة معاوية إلى زياد يوصيه بالصبر على أذى بعض رجال قريش: "كتبت تشكو ما تلقى من سفهاء قريش فاصبر..."
224	رسالة معاوية إلى زياد حين سهى في كتابه: " ذكرت في كتابك عمران بن الفضل..."
225	رسالة معاوية إلى زياد يسأله عن عماله: "رأيت جل عمالك من بني الحارث بن كعب"
226	رسالة من معاوية إلى زياد يأمره بشيء يكرهه الناس: " كتب معاوية إلى زياد في أمر من الأمور يكرهه الناس"
227	ردّ معاوية على زياد ليختار رجلا ينوب عنه: "سم لي رجلا "
228	رسالة معاوية إلى عمرو بن العاص بالقدوم عليه لمحاسبته : "فكتب إليه فقدم "
229	رسالة معاوية إلى أخيه عتبة والي مصر يأمره أن ينتبه للذين يعيبون الولّاة: " إن قِبلك قوما يطعنون على الولاة ويعيبون على السلف"

230	رد يزيد على عبد الرحمن بن زياد يوجهه في عمله: " القرابة واشجة والأفعال متباينة..."
231	رسالة عبد الملك إلى أخيه بشر يأمره أن يجهّز عمر بن عبيد الله بما يريد: " وكتب له بذلك إلى بشر"
232	رسالة عبد الملك إلى الحجاج في الرفق بأهل المدينة: " والله لولا ما كان يأتيني من كتب أمير المؤمنين فيهم لجعلتها مثل جوف الحمار..."
233	رسالة عبد الملك إلى الحجّاج يوجهه في عمله : " أرهب أهل الخيانة وأرغب أهل الأمانة..."
234	رسالة عبد الملك إلى الحجاج يعاتبه في أمر سرّي فشا: "فكتب إليه كتابا عاتبه فيه وتمثل في كتابه: ألم تر أن وشاة الرجال..."
235	رسالة عبد الملك إلى الحجاج في النساء: " كيف أنت والنساء ؟ أحريص جاهد أنت..."
236	رسالة عبد الملك إلى الحجاج ينصحه: " إنك أعز ما تكون بالله أحوج ما تكون إليه..."
237	كتاب عبد الملك إلى الحجاج ليصف له الفتنة : "صف لي الفتنة "
238	رد عبد الملك إلى الحجاج لما وصف له الفتنة: "إنك قد أصبت وأحسنت الصفة..."
239	رسالة عبد الملك إلى الحجاج يسأله عن أمس واليوم وغد: " كتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج بن يوسف يسأله عن أمس واليوم وغد"
240	رسالة عبد الملك إلى أبي يعقوب ومحمد عمير يسألهما عن سيرة الحجاج: " إنكما من سراة أهل العراق فاكتبا إليّ بسيرة الحجاج..."
241	رسالة عبد الملك إلى الحجاج يلومه في سياسته: " أما بعد فإن أمير المؤمنين رآك مع ثقته بنصيحتك خابطا في السياسة خبط عشواء..."
242	ردّ عبد الملك على الحجاج حين استأذنه في قتل أشراف العراق: " إن من يُمن السائس أن يأتلف به المختلفون..."
243	رد عبد الملك على كتاب متنصّح: " وقّع في كتاب متنصّح: إن كنت صادقا أثبناك وإن كنت كاذبا عاقبناك، وإن شئت أقلناك "
244	رسالة الوليد إلى الحجاج يسأله عن سيرته: " أن صف لي سيرتك "
245	رسالة الوليد إلى واليه على قنسرين أن يقدّم ذبيان بن نعيم: " فكتب إلى عبد العزيز أن يقدّمه"

245 – أ-	رواية أخرى لما سبق
ثانيا	**الـــرسائل المتعلقة بتقدير الـــولاة والعمّال ورفع مكانتهم:**
246	رسالة معاوية إلى عمرو بن سعيد بأن لا سلطان لأحد عليه: " كتب له كتابا بأنه لا سلطان لأحد عليه غيره"
247	رسالة يزيد إلى عبيد الله بن زياد يرفع قدره: " أنت أحد أعضاء ابن عمك فاحرص أن تكون كلها"
248	رسالة عبد الملك إلى الحجاج يبيّن له مكانته عنده : " أنت عندي كسالم "
249	رسالة أخرى من عبد الملك إلى الحجاج يمدحه ويرفع مكانته: " أنت عندي قدح ابن مقبل"
249 – أ-	رواية أخرى لما سبق
250	رد الوليد على عمر بن عبد العزيز يثني عليه: " قد رأب الله بك الداء ، وأودم بك السقاء"
251	رسالة الوليد إلى الحجاج يستعفيه من المرور بالمدينة: " أن عمر بن عبد العزيز كتب إلي يستعفيني من ممرك عليه..."
ثالثا	**الـــرسائل المتعلقة بالموازنة بين التّـيارات والعصبيات والقبائل:**
252	رسالة معاوية إلى زياد يمدح بني بكر: " إن رسول الله ﷺ قال : إنّ العدو لا يظهر مع قوم لواؤهم مع رجل من بني بكر بن وائل "
253	رسالة معاوية إلى اليمنيّة يوضح لهم أمرهم ويتلطّفهم: " فبعث معاوية إلى اليمن فاعتذر منهم..."
254	رسالة معاوية إلى زياد في تعامله مع القبائل: "يا أبا المغيرة لقد كنت لهذا منك منتظرا، انظر أهل اليمن فاكرمهم في العلانية..."
254 – أ-	رواية أخرى لما سبق
255	رسالة معاوية إلى أهل الكوفة والبصرة أن يبعثوا إليه برجلين: " كتب معاوية أن يبعثوا إليه برجل من أهل الكوفة..."
مجموع الرسائل الأصلية	38
مجموع	05

الرسائل المكررة	

الفـــصل الثاني: الـــــــــــرسائل المتعلقة بالعـزل والتولية:

رقم الرسالة	عنوانها والجهة التي أرسلت إليها
أولا	**الـــرسالة الخاصة بتولية الولاة والعـمال:**
256	كتاب معاوية إلى المغيرة يوليه الكوفة: " فأتاه بعهده فكتب له"
257	رسالة معاوية إلى زياد يوليه البصرة: " أن سر إلى البصرة "
258	رسالة معاوية إلى زياد يضم إليه الكوفة بعد موت المغيرة: "فكتب معاوية إلى زياد بعهده على الكوفة والبصرة"
258 – أ-	رواية أخرى لما سبق
259	رسالة معاوية إلى زياد في توليه رجل على ثغر الهند: " انظر رجلا يصلح لثغر الهند فوجّهه "
260	ردّ معاوية على زياد لـمّا اقترح عليه الأحنف بن قيس لثغر الهند: " بأيّ أيام الأحنف يستحق ذلك ؟..."
260 – أ-	رواية أخرى لما سبق
261	رسالة معاوية إلى زياد يأمره أن يولي الحكم بن عمرو خراسان: " أن قِبلك رجلا من أصحاب رسول الله فولّه خراسان"
262	كتاب معاوية إلى مروان يوليه المدينة: " كتب له معاوية عهده على المدينة "
263	رسالة معاوية إلى أهل البصرة بتولية عبيد الله بن زياد: " قد ولّيت عليكم عبيد الله بن أخي زياد"
264	رسالة معاوية إلى ابنه يزيد بتولية عبيد الله بن زياد الكوفة: " فأخرج إليه عهداً من معاوية لعبيد الله بولاية الكوفة وعليه خاتمة"
265	رسالة يزيد إلى عبيد الله بن زياد يعلمه بولايته على الكوفة مع البصرة: "فكتب إليه برضائه عنه وأنه قد ولّاه الكوفة مع البصرة"
266	كتاب يزيد إلى ابن زياد يأمره أن يولّي كثير بن شهاب مناطق بفارس: " فكتب إلى عبيد الله بن زياد في توليته ما سبذان..."

267	رسالة عبد الملك إلى أخيه بشر يوليه البصرة: " وبعث إليه بعهده عليها "
268	رسالة عبد الملك إلى بكير بن وشاح يوليه خراسان إن قتل ابن خازم: "إن قتلته أو أخرجته من خراسان فأنت الأمير"
268 – أ-	رواية أخرى لما سبق
269	رسالة عبد الملك إلى الحجاج يوليه العراق: " أما بعد يا حجاج قد ولّيتك العراق صدقة..."
269 – أ-	رواية أخرى لما سبق
269 – ب-	رواية أخرى لما سبق
270	رسالة عبد الملك إلى أهل العراق حين ولّى عليهم الحجاج: "بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين إلى من بالعراق من المؤمنين والمسلمين..."
271	رسالة عبد الملك إلى محمد بن موسى بولاية سجستان: " وكتب له عهده عليها"
272	رسالة عبد الملك إلى المهلب بن أبي صفرة يوليه خراسان: "...حتى وافاه عهده من عند عبد الملك على خراسان "
273	رسالة عبد الملك إلى الحجاج يضم إليه خراسان: "فكتب إلى الحجاج بولاية الثغرين ، وبعث إليه بعهده عليها "
273 – أ -	رواية أخرى لما سبق
274	رسالة عبد الملك إلى الحجاج فيمن يولي خراسان: قد أكثرت في شأن يزيد وآل المهلب فسمِّ لي رجلا يصلح لخراسان"
275	رسالة عبد الملك إلى الحجاج لمّا اقترح عليه مجاعة بن سعد لولاية خراسان: "إن رأيك الذي دعاك إلى استفساد آل المهلب هو الذي دعاك إلى مجاعة بن سعد..."
276	رسالة عبد الملك إلى الحجاج يأمره بتولية قتيبة خراسان: "ولّه وبلّغ يزيد بن المهلب عزله"
277	كتاب عبد الملك إلى زهير بن قيس البلوي بولاية إفريقية: " فكتب إلى زهير بن قيس البلوي بولاية إفريقية "
278	رسالة الوليد بن عبد الملك إلى الحجاج يطلب منه أن يقترح عليه من يولّي المدينة: " أن أشر عليّ برجلين "

279	رسالة سليمان إلى يزيد بن المهلب يضم إليه خراسان: "...فكتب عهد يزيد على خراسان مع العراق..."
279 – أ-	رواية أخرى لما سبق
279 – ب-	رواية أخرى لما سبق
ثانيا	**الـــرّسائل الخاصة بعزل الولاة عن أعمـــالهم:**
280	رسالة معاوية إلى المغيرة يعزله عن الكوفة: " جاءني كتابك تذكر فيه أنه كبرت سنك..."
280 – أ-	رواية أخرى لما سبق
280 – ب -	رواية أخرى لما سبق
280– ج-	رواية أخرى لما سبق
281	رسالة معاوية إلى عبد الله بن عامر لمّا عزله عن البصرة: "كتب إليه معاوية يستزيره"
282	رسالة معاوية إلى زياد يأمره بعزل حريث بن جابر: " أما بعد فاعزل حريث بن جابر عن العمل..."
283	رسالة معاوية إلى مروان يعزله عن المدينة: " فكتب إليه يأمره أن يعتزل عمله..."
284	رسالة معاوية إلى عمرو بن العاص يعزله عن مصر: " فلما قدم عليه أخرج الكتاب بتسليم العمل إليه..."
285	رسالة عبد الملك إلى أخيه بشر بأن يعزل عبد الله بن إسحاق عن أصبهان: "فكتبتُ إليه أعزم عليه أن يقفلك ، ويعيدك إلى حالك"
ثالثا	**رسائل إقرار الولاة والعمال على أعمـــالهم :**
286	كتاب يزيد إلى مسلمة بن مخلد يقرّه على مصر: "وكتب إليه يزيد بن معاوية وأقره على عمل مصر"
287	رسالة يزيد إلى عبيد الله بن زياد يأمره بإقرار أشيم على رئاسة بكر: " فكتب له إلى عبيد الله بن زياد: أن ردّوا الرياسة إلى أشيم "
288	رسالة عبد الملك إلى عبيد الله بن زياد يقره على ما ولّاه عليه والده: "...وأتاه كتاب عبد الملك بن مروان يستعمله على ما استعمله عليه أبوه..."

289	رسالة عبد الملك إلى إبّان بن عثمان يقره على المدينة: "فأقر عبد الملك إبانا على المدينة وكتب إليه بعهده عليها"
290	رسالة عبد الملك إلى أخيه محمد بن مروان بإقرار الحجاج على ولايته: "وكتب إلى محمد وعبد الله بالسمع والطاعة له..."
مجموع الرسائل الأصلية	35
مجموع الرسائل المكررة	11

الباب الرابع: الرسائل المتعلقة بالعبادات والتعليم وتسيير حركة الفتوح والجهاد:

الفصل الأول : الـــرسائل المتعلقة بالعبادات والوعظ والتعليم:

رقم الرسالة	عنوانها والجهة التي أرسلت إليها
أولا	**الـــرسائل الـــــــخاصة بالعقود والعبادات:**
291	ردّ معاوية على مروان في النكاح: "هذا الشغار الذي نهى عنه رسول الله ﷺ "
292	كتاب عبد الملك في تحديد المهور : "فكتب أن لا يزاد في المهر على أربعمائة"
293	رسالة عبد الملك إلى الحجاج للإقتداء بابن عمر في المناسك : "أن لا تخالف عبدالله بن عمر في شيء من أمر الحج "
293-أ-	رواية أخرى لما سبق
294	رسالة عبد الملك إلى أبي سعيد يسأله عن الهدي : " أرسل عبد الملك بن مروان إلى سعيد بن سعد بن عامر بن مسعود الزرقي ويقال أنه لقي النبيﷺ فسأله عن الهدي "
295	رسالة الوليد إلى سعيد بن المسيب في الإحرام: " فأرسل الوليد إلى سعيد بن المسيب "
296	رسالة سليمان بإحياء الصلاة وردّها إلى وقتها: "...ومن ذلك كتابه أن الصّلاة قد كانت أميتت فأحيوها وردّوها إلى وقتها "
ثانـيا	**الـــــــــــــرسائل التـّـــــربويـة:**

297	رسالة معاوية إلى عبدالرحمن بن شبل ليعلّم الناس: "أن علّم الناس ما سمعت من رسول الله ﷺ"
298	رسالة معاوية إلى المغيرة بن شعبة يطلب منه أن يكتب إليه بشي سمعه عن رسول الله: "أكتب إلي بشيء سمعته من رسول الله ﷺ"
298-أ-	رواية أخرى لما سبق
299	رسالة ثانية من معاوية إلى المغيرة يطلب منه أن يكتب إليه بشيء سمعه عن رسول الله ﷺ: "أكتب إليّ بشيء سمعته عن رسول الله ﷺ"
300	كتاب معاوية إلى دغفل يسأله عن الأنساب: "أرسل معاوية إلى دغفل فسأله عن أنساب العرب"
301	رسالة معاوية إلى زياد يلومه على عدم تعليم ابنه رواية الشعر: " ما منعك أن تروّيه الشعر؟"
301 – أ-	رواية أخرى لما سبق
301 – ب-	رواية أخرى لما سبق
301 – ج-	رواية أخرى لما سبق
302	رسالة عبد الملك إلى أهل المدينة يسألهم عن تفسير آية: "كتب عبد الملك إلى أهل المدينة يسألهم"
303	رسالة عبد الملك إلى سعيد بن جبير ليكتب له تفسير القرآن: "كتب عبد الملك بن مروان إلى سعيد بن جبير أن يكتب إليه بتفسير القرآن"
304	كتاب عبد الملك يعظ الناس : "إن الله عز وجل جعل لعباده عقولا عاقبهم بها على معصيته..."
مجموع الرسائل الأصلية	14
مجموع الرسائل المكررة	05

الفصل الثاني: الـرسائل المتعلقة بالجهاد وتنظـيم حركة الفتوح وتولية قادتها :

رقم الرسالة	عنوانها والجهة التي أرسلت إليها
أولا	**الرسائل الـخاصّة بالفتوح والجـهاد على جبهة الروم :**
305	رسالة معاوية إلى جنادة بن أمية ليُغير على جزيرة رودس: "كتب إليه يأمره بالغارة على جزيرة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

	البحر بمن معه "
306	رسالة يزيد إلى أبيه معاوية لـمّا وجّهه إلى الصّائفة: " نجيّ لا يزال يعدّ ذنبا"
307	رسالة يزيد بن معاوية إلى جنادة يأمره بهدم حصن رودس: "كتب يزيد إلى جنادة يأمره بهدم الحصن والقفل عنها "
308	رسالة عبد الملك إلى سُحيم بن المهاجر يأمره بغزو من سيطر على طرابلس: " ثم كتب عبد الملك إلى سحيم بن المهاجر في مدينة أطرابلس يتواعده ويأمره بالخروج إليهم "
309	كتاب عبد الملك إلى أخيه محمد وابنه مسلمة يوجههما إلى الروم: "فكتب عبد الملك إلى أخيه محمد بن مروان وابنه مسلمة..."
310	رسالة عبد الملك لابنه مسلمة حين إستبطأه في مسيره إلى الروم: " لَمِن الظغائن سيرهنّ تزحّف ..."
311	ردّ سليمان على أخيه مسلمة حين أعلمه بنصره : "ذلك بالله لا بمسلمة "
ثانيا	**الـــرسائل الخاصة بالفتوح على المــغرب والأنــدلس:**
312	رسالة معاوية إلى علقمة بن يزيد الغطيفي يمده: "إنّي قد أمددتك بعبد الله بن مطيع في أربعة آلاف من أهل المدينة..."
312 – أ-	رواية أخرى لما سبق
313	رسالة معاوية إلى أبي المهاجر يأمره بتخلية عقبة: "فكتب إلى أبي المهاجر يأمره بتخليته..."
314	رسالة عبد الملك إلى زهير بن قيس يأمره بغزو إفريقيّة: "فوجّه إليه عبد الملك يأمره بالخروج على أعنّة الخيل فيمن معه من المسلمين لغزو إفريقيّة"
315	رسالة عبد الملك إلى حسان بن النعمان يأمره بالخروج إلى إفريقية: "ثم كتب إليه يأمره بالنهوض إلى إفريقية ويقول له : إني قد أطلقت يدك في أموال مصر..."
316	رسالة عبد الملك إلى حسان بن النّعمان يأمره بالإقامة: "إنّه قد بلغني أمرك وما لقيت وما لقي المسلمون فانظر حيث لقيت كتابي هذا فأقم ولا تبرح..."
317	رسالة عبد الملك إلى حسّان يأمره بمحاربة الكاهنة: "وصله كتاب عبد الملك يأمره بالنّهوض إلى إفريقيّة قبل أن تحرّبها الكاهنة"

318	رسالة عبد الملك إلى أخيه عبد العزيز حين أعلمه بفتوح حسان وموسى: " أما بعد فقد بلغ أمير المؤمنين كتابك ، وفهم المثل الذي مثلته في حسان وموسى..."
319	رسالة عبد الملك إلى أخيه عبد العزيز حين عزل حسان عن إفريقية: "أما بعد فقد بلغ أمير المؤمنين ما كان من رأيك في عزل حسان وتوليتك موسى مكانه..."
320	رسالة الوليد إلى عامله عبد الله بن مروان ليرسل موسى بن نصير إلى إفريقية: " أن ارسل موس بن نصير إلى إفريقية"
321	ردّ الوليد على موسى بن نصير لمّا أعلمه بفتح سفوما: "ويحك أظنها من بعض كذباتك..." "
322	رسالة الوليد إلى موسى بن نصير حين استأذنه في فتح الأندلس: "خضها بالسرايا حتى ترى وتختبر شأنها..."
323	ردّ الوليد على موسى بن نصير حين طمأنه في أمر الأندلس: "وإن كان فلا بد من اختباره بالسرايا قبل اقتحامه"
324	رسالة الوليد إلى موسى بن نصير لإيقاف فتوح الأندلس والقدوم عليه: "يأمره بالخروج عن الأندلس والاضطراب عن الوغول فيها ويأخذه بالقفول إليه"
325	رسالة ثانية من الوليد إلى موسى بن نصير يأمره بالقدوم ويوبخه: "كتب إليه الوليد يوبخه ويأمره بالخروج"
326	رسالة ثالثة من الوليد إلى موسى بن نصير يأمره بالسرعة في المجيء إليه: "وافاه كتاب الخليفة الوليد بأنه مريض ويأمره بشدّ السير إليه ليدركه في الحياة"
327	رسالة سليمان إلى موسى بن نصير يأمره بالتباطؤ عن الوليد: " وافاه كتاب سليمان بن عبد الملك ولي عهد أخيه الوليد يأمره بالتأني والتربص"
ثالثا	**الــرّسائل الخاصة بالفتوح على جبهة العـــراق والمشرق:**
328	رسالة يزيد إلى عبيد الله بن زياد يأمره بانتخاب رجال يبعثهم للغزو: "...وأعطاه كتاب يزيد بنخبة ألفي رجل ينتخبهم..."
329	رسالة يزيد إلى عبيد الله بن زياد يأمره بتوجيه عبد الله بن خازم إلى خراسان: "وكتب يزيد إلى عبيد الله بن زياد أن يوجه عبد الله بن خازم إلى خراسان لمعونة سلم بن زياد "
330	رسالة عبد الملك إلى الحجاج بإرسال جيش مع عبد الله بن كعب إلى خراسان: " أنفذ مع عبد الله

	بن كعب أربعة آلاف إلى خراسان "
331	ردّ عبد الملك على الحجاج يأمره بالإنتقام من رتبيل: "أما بعد فقد أتاني كتابك تذكر فيه مصاب المسلمين بسجستان..."
331 – أ-	رواية أخرى لما سبق
332	رسالة الوليد إلى قتيبة بن مسلم بعد موت الحجاج يقره في الغزو ويرفع شأنه: "قد عرف أمير المؤمنين بلاءك وجدك واجتهادك في جهاد أعداء المسلمين..."
333	رسالة سليمان إلى يزيد بن المهلب يأذن له في الغزو: " فكتب إلى سليمان يستأذنه في غزوه فأذن له "
334	كتاب سليمان إلى الجند يحمّرهم: "جاءنا كتاب سليمان أن ازرعو واحرثوا فلا شأم لكم"
مجموع الرسائل الأصلية	30
مجموع الرسائل المكررة	02

الباب الخامس: الرسائل المتعلقة بالسياسة الإقتصادية لـخلفاء الـدّولة الأموية:

الفصل الأول: الــرّسائل الخاصة بالاقتصاد والـمال:

رقم الرسالة	عنوانها والجهة التي أرسلت إليها
أولا	**الــرسائل الخاصة بمــوارد بيت المال والنـقود:**
335	رسائل معاوية إلى زياد ليصطفى له الغنائم: "كتب زياد: إن الأمير المؤمنين معاوية كتب إليّ اصطفي له صفراء وبيضاء و الروائع"
335-أ-	رواية أخرى لماسبق
335-ب-	رواية أخرى لماسبق
336	رسالة معاوية إلى مالك بن عبد الله وعبد الله بن قيس ليصطفيا له الخمس: "كتب معاوية إلى مالك بن عبد الله الخثعمي وعبد الله بن قيس الفزاري يصطفيان له الخمس"

337	رسالة معاوية إلى مغيرة ليبعث له أموالا: "إني قد احتجت إلى مال فأمدّني بمال"
338	رسالة معاوية إلى عبد الله بن دراج يأمره أن يحمل إليه ما فضل عن نفقات الإقليم: "إحمل إليّ من مالها ما أستغني به"
339	رسالة معاوية إلى عبد الرحمان بن درّاج يأمره بأن يستصفي صوافي كسرى: "أن أحصِ تلك الصّوافي واستصفها"
340	رسالة معاوية إلى ابن أبي بكرة في استصفاء صّوافي كسرى: "وكتب إلى ابن أبي بكرة مثل ذلك في أرض البصرة،وأمرهم أن يحملوا إليه هدايا النيروز و المهرجان"
341	رسالة معاوية إلى زياد يأمره أن يبعث رجلا حازما على خراج خراسان: "و كتب إليه يأمره أن يفرض لسعيد فرضا وأن يقويه بالمال والسلاح..."
342	رسالة معاوية إلى عمرو بن العاص يأمره أن يحمل له خراج مصر: "أما بعد فان سؤّال أهل الحجاز و زوّار أهل العراق قد كثروا عليّ وليس عندي فضل من أعطيات الجنود ،فاعنّي بخراج مصر هذه السنة"
343	رسالة معاوية إلى وردان يأمره أن يزيد على القبط قيراطا: "أن زد على كل امرئ من القبط قيراطا"
343-أ-	رواية أخرى لما سبق
344	كتاب عبد الملك إلى أخيه عبد العزيز يأمره بوضع الجزية عمن أسلم: "ثم كتب عبد الملك بن مروان إلى عبد العزيز بن مروان أن يضع الجزية عمن أسلم من أهل الذمة"
345	كتاب عبد الملك إلى الحجاج يأمره أن لا يستعمل ابن أبي بكرة على الخراج: "لا تستعمل عبيد الله بن أبي بكرة على الخراج والجباية فإنه أريحي"
346	رسالة عبد الملك إلى الحجاج يأمره بضرب الدراهم: "فكتب إلى الحجاج بن يوسف أن يضرب الدراهم على خمسة عشر قيراطا من قراريط الدنانير"
346-أ-	رواية أخرى لما سبق
347	رسالة الوليد إلى أسامة بن زيد بشأن صنم يصنعه فلوسا: "لا تنزله حتى أبعث إليك أُمناء يحضرونه"
ثانيا	**الــرسائل الخاصة بسياستهم تجاه الإنفــاق الــعام للدّولة:**

348	رسالة معاوية إلى الحسين بن علي لـمّا أخذ أموال اليمن: "من عبد الله معاوية أمير المؤمنين إلى الحسين بن علي سلام عليك، أما بعد فانّ كتابك ورد عليّ تذكر أنّ عيرا مرّت بك من اليمن تحمل مالا..."
348-أ-	رواية أخرى لما سبق
349	رسالة معاوية إلى النّعمان بن بشير يأمره بزيادة أعطيات أهل الكوفة: "فكتب إليه يأمره أن يلحق لأهل الكوفة في أعطياتهم زيادة عشرة دنانير عشرة دنانير"
350	رسالة معاوية إلى مروان بأن يكمل عطاء أهل المدينة من صدقة اليمن: "وقد كتب إليّ أن آخذها من صدقة مال اليمن إذا مرت علينا "
351	رسالة معاوية إلى زياد يأمره بقضاء دين عمرو بن الزبير: "...أن معاوية أمر لعمرو بن الزبير في معونته وقضاء دينه بمائة ألف درهم، وكتب بذلك إلى زياد بن سمية وهو على العراق"
352	رسالة معاوية إلى زياد في إنقاص أعطيات أهل الشرف: "وكتب معاوية إلى زياد بأنّ المال قد قل وكثر أهل العطاء فأنقص من أعطيات أهل الشرف خمسمائة"
352-أ-	رواية أخرى لما سبق
353	رسالة معاوية إلى معاوية بن خديج في قسمة غنيمة إفريقية: "إن العسكر رِدء للسرية فقسم ذلك بينهم"
354	رسالة معاوية إلى الوليد بن عقبة يأمره بالقدوم عليه في الإنفاق: "وكتب إليه أن أقبل إليّ"
355	رسالة معاوية إلى جبلة بن الأيهم الغساني يفرض له ولجماعته: "وكتب إليه معاوية يعطيه ذلك"
356	رسالة معاوية إلى الوليد بن عتبة لإعطاء آل أبي هريرة وإكرامهم: "انظر من ترك فادفع إلى ورثته عشرة آلاف درهم..."
357	رد معاوية على عبد الله بن عامر حين سأله مالا: "عش رجبا ترى عجبا"
358	ردّ معاوية على ربيعة بن عسل حين سأله أن يعينه في داره: "أدارك في البصرة أم البصرة في دارك؟"
359	رسالة يزيد بن زياد في زيادة أعطيات أهل الكوفة: "أما بعد فزد أهل الكوفة أهل السمع والطاعة في أعطياتهم مائة مائة"
360	رسالة يزيد إلى ابن زياد في قضاء حوائج ابن الزبير الأسدي: "...كتاب من يزيد بن معاوية إليه

	يأمره بصيانته وإكرامه وقضاء دينه وحوائجه..."
361	رسالة يزيد إلى ابن زياد في إجازة المنذر بن الزبير: "وأجاز المنذر بن الزبير بمائة ألف كتب له بها الى عبيد الله "
362	رسالة يزيد إلى أهل المدينة بالزيادة في أعطياتهم: "إن أمير المؤمنين يقرأ عليكم السلام ويقول: أنتم الأهل والعشيرة..."
363	رد يزيد على سلم بن زياد لمّا استبطأه في الخراج: "قليل العتاب يحكم مرائر الأسباب، وكثيره يقطع أواخي الإنتساب"
364	رسالة عبد الملك إلى عمرو بن سعيد الأشدق لإعطاء الناس أرزاقهم: "رُدّ على الناس أعطياتهم التي أخذتها من بيت المال"
364- أ-	رواية أخرى لما سبق
364- ب-	رواية أخرى لما سبق
365	رسالة عبد الملك إلى عبد الله بن عمرو بن عثمان لمّا طالبه بقضاء دينه: "قد أتاني كتابك وعمرو بن سعيد كان أقرب منك رحما..."
366	رد عبد الملك على علي بن الحسين يصوّغه مالا : "يا ابن عم خذها فقد طيبتها لك "
367	رسالة عبد الملك إلى الحجاج يأمره أن يترك خراج فارس للمهلب : "أما بعد فدع بيد المهلب خراج جبال فارس..."
368	رسالة عبد الملك إلى الحجاج يأمره أن يهب عبد الله بن الزبير الأسدي مالا: "فوهب له عشرين ألف درهم وكسوة ، وكتب إلى الحجاج بعشرة آلاف درهم أخرى "
369	رسالة عبد الملك إلى الحجاج يحثه على الإقتصاد في النفقات: أما بعد فقد بلغ أمير المؤمنين أنك تنفق في اليوم ما ينفق أمير المؤمنين في الجمعة..."
369 – أ-	رواية أخرى لما سبق
370	رد عبد الملك على الحجاج بأن يعمل برأيه في الإنفاق: "صدقت يا أبا محمد وبررت "
370 – أ-	رواية أخرى لما سبق
371	رسالة عبد الملك إلى الحجاج يأمره بالاستمرار في دفع عطاء من خرج مع ابن الأشعث: "كتب

	عبد الملك إليه أن يعطي الناس عطاءهم "
372	رسالة ثانية من عبد الملك إلى الحجاج لما أعلمه بحبس عطاء أهل العراق بسبب خروجهم: "إنا تجب طاعتنا عليهم بأن نعطيهم حقوقهم"
372 – أ-	رواية أخرى لما سبق
372 – ب-	رواية أخرى لما سبق
373	رسالة عبد الملك إلى الحجاج في فضل أموال السواد: "لا تكن على درهمك المأخوذ أحرص منك على درهمك المتروك..."
374	رسالة عبد الملك إلى الحجاج يأمره بالفرض لخارجي: " زد في عطائه دنانير أخرى "
375	رد عبد الملك على رجاء ويزيد بن سلام يهبهما ما تبقى من مال قبة الصخرة: " قد وهبته لكما "
376	رد عبد الملك على رجاء ويزيد بن سلام لما رفضا أخذ المال: " إذا أبيتما أن تقبلاه فأفرغاه على القبة والأبواب"
377	رسالة عبد الملك ليجري على عمر بن عبد العزيز عطاءه : "فكتب عبد الملك أن يجري عليه ألف دينار في كل شهر"
378	رد الوليد على الحجاج حين لامه في مخالفة أبيه: " لأجمعنّ المال جمع من يعيش أبدا، ولأفقرنه تفريق من يموت غدا "
379	رسالة الوليد إلى الحجاج بشأن أموال آل المهلب: " ليس للخائن حرمة تبعث الأحرار على ترفيههم..."
380	رسالة الوليد إلى الحجاج في مال أخيه محمد بن يوسف: " أما بعد فقد قرأ أمير المؤمنين كتابك فيما خلف محمد بن يوسف..."
مجموع الرسائل الأصلية	46
مجموع الرسائل المكررة	12

الفصل الثاني: الـــــرسائل الخاصة بخدمـــــة الأرض والبناء والتعـمير:

رقم الرسالة	عنوانها والجهة التي أرسلت إليها
أوّلا	**الـرّسائل الخاصّة بخدمة الأرض وإعـــمارها:**
381	رسالة معاوية إلى عامله بالمدينة في إجراء عين إلى أحد: " كتب معاوية إلى عامله بالمدينة أن يجري عينا إلى أحد"
382	رد معاوية على عامله يأمره بتنفيذ ما أمر به : " أن أنفذها "
382 – أ-	رواية أخرى لما سبق
383	رسالة عبد الملك إلى عامله في إصلاح أرضه: " أما بعد فلا تدع خقّا في الأرض ولا لقّا إلا سوّيته "
384	رسالة عبد الملك إلى عامله بمكة في أمر السيول: " فكتب عبد الملك إلى عبيد الله بن سفيان المخزومي ويقال بل كان عامله يومئذ الحارث بن خالد المخزومي الشاعر يأمره بعمل ضفائر الدور الشارعة..."
385	رسالة الوليد إلى عمر وبقية الأقاليم بتسهيل الثنايا وحفر الآبار: "كتب الوليد إلى عمر في تسهيل الثنايا وحفر الآبار بالمدينة..."
386	رسالة الوليد إلى عمر في إنشاء فوّارة بالمدينة: " كتب الوليد إلى عمر أن يعمل الفوّارة التّي عند دار يزيد..."
ثانيا	**الـــــرسائل الخاصة بالبـــــناء:**
387	رسالة معاوية إلى عامله بالمدينة بإقامة معالم الحرم: "كتب معاوية إلى عامله بالمدينة يأمره إن كان كرز حيا يكلفه إقامة معالم الحرم "
388	رسالة عبد الملك إلى الحجاج يأمره بإعادة بناء الكعبة: " كتب إليه عبد الملك يأمره ببناء الكعبة والمسجد الحرام "
388 – أ-	رواية أخرى لما سبق
388 – ب-	رواية أخرى لما سبق
389	رسالة عبد الملك إلى أخيه عبد العزيز أن يوجه لتونس ألفي قبطي يعمرون دار الصناعة: "فكتب

	عبد الملك إلى أخيه عبد العزيز أن يوجه إلى معسكر تونس ألفي قبطي..."
389 – أ–	رواية أخرى لما سبق
390	رسالة عبد الملك إلى حسان بن النعمان لبناء دار الصناعة: "وكتب إلى ابن النعمان يأمره أن يبني لهم دار الصناعة تكون قوة وعدة للمسلمين..."
391	رسالة الوليد إلى عمر بن عبد العزيز يأمره بهدم مسجد رسول الله وتوسعته: "يأمره بإدخال حجر أزواج رسول الله ﷺ في مسجد رسول الله..."
392	رسالة ثانية من الوليد إلى عمر بن عبد العزيز في هدم مسجد رسول الله وإعادة بنائه: "فأرسل إليه يأمره بالخراب وبناء المسجد..."
393	رسالة الوليد إلى ملك الروم يطلب منه أن يعينه في بناء مسجد رسول الله ﷺ: "وبعث الوليد إلى صاحب الروم يعلمه أنه أمر بهدم مسجد رسول الله ﷺ وأن يعينه فيه..."
394	رسالة الوليد إلى ملك الروم يطلب منه صناعا في بناء مسجد دمشق: "كتب إلى ملك الروم يطلب منه صناعا في الرخام وغير ذلك..."
395	كتاب الوليد إلى قرة بن شريك بالزيادة في المسجد: " ثم ورد كتاب الوليد بالزيادة في المسجد الجامع"
396	رسالة سليمان إلى خالد القسري ليجري عينا: " أن أجر لي عينا تخرج من الثقبة من مائها العذب الزلال..."
مجموع الرسائل الاصلية	16
مجموع الرسائل المكررة	04

الباب السادس: الرسائل الخاصة بمواقفهم من التيارات الفكرية والسياسية المعارضة وعلاقتهم بالملوك المجاورين:

الفصل الأول: الـرّسائل الخاصة بموقفـــهم من آل البيت وحلـفائهم:

رقم الرسالة	عنوانها والجهة التي أرسلت إليها
أولا	**الرسائل الخاصة بالـرّفق بآل البيت وحلفائهم وتقريبهم والإحسان إليهم:**
397	رسالة معاوية إلى قيس بن سعد حين عارض خلافته: "على طاعة من تقاتل وقد بايعني الذي أعطيته طاعتك؟ "
398	كتاب معاوية إلى قيس بن سعد ليشترط لنفسه ما شاء: " أكتب في هذا السجل ما شئت فهو لك"
399	رسالة معاوية إلى عامله بالكوفة ليبعث إليه الزرقاء بنت عدي ويكرمها: "أن أوفد علي الزرقاء بنت عدي، مع ثقة من محرمها..."
399 – أ-	رواية أخرى لما سبق
400	رسالة ثانية من معاوية إلى واليه بالكوفة يوصيه بالزرقاء وأهلها: " كتب إلى واليه بالكوفة بالوصية بها وبعشيرتها "
401	رسالة معاوية إلى واليه بالكوفة ليوفد إليه أم الخير بنت الحريش: " أن أوفد علي أم الخير بنت الحريش بن سراقة البارقية رحلة محمودة الصحبة..."
402	رسالة معاوية إلى عبد الله بن عامر ليدفع المهر عن عامر بن عبد قيس: "انظر عامر بن قيس فأحسن إذنه ومره أن يخطب إلى من شاء ، وأمهر عنه من بيت المال"
403	رد معاوية على الحسن يعطف عليه: "ليت طول حلمنا عنك لا يدعو جهل غيرنا عليك"
404	كتاب معاوية إلى عقيل بن أبي طالب يعتذر منه: " من معاوية بن أبي سفيان إلى عقيل بن أبي طالب: أما بعد يا بني عبد المطلب فأنتم والله فروع قصي..."
405	رسالة معاوية إلى المغيرة بمداراة حجر بن عدي: "إنك لست من رجاله فداره"
406	رسالة معاوية إلى المغيرة لأخذ أصحاب علي بالصلاة في الجماعة: "خذ زيادا وسليمان بن صرد وحجر بن عدي وشبث بن ربعي وابن الكواء وعمرو بن الحمق بالصّلاة في الجماعة "

407	رسالة معاوية إلى زياد ليرفق بحجر: " ترفق حتى تجد عليه حجة"
408	رسالة معاوية إلى زياد يأمره بحمل حجر إليه: "أن شدّه في الحديد ثم احمله إليّ"
409	جواب معاوية لزياد حين بعث إليه حجرا: " أما بعد فقد فهمت ما اقتصصت به من أمر حجر وأصحابه..."
410	رسالة معاوية إلى زياد بندمه على قتل حجر: "إنه قد تلجّج في صدري شيء من أمر حجر..."
411	رسالة مروان إلى معاوية باجتماع أهل الكوفة عند الحسين بعد مقتل حجر بن عدي: "فكتب إلى معاوية يعلمه أن رجالا من أهل العراق قدموا على الحسين بن علي..."
411 – أ-	رواية أخرى لما سبق
412	جواب معاوية إلى مروان بأن لا يتعرض للحسين: "لا تعرض للحسين في شيء فقد بايعنا..."
412 – أ	رواية أخرى لما سبق
413	رسالة معاوية إلى الحسين حين جاءه نفر الكوفة بعد مقتل حجر: "أما بعد فقد انتهت إليّ عنك أمور أرغب بك عنها..."
413 – أ-	رواية أخرى لما سبق
413 – ب-	رواية أخرى لما سبق
414	رسالة يزيد إلى ابن عباس حين خرج الحسين: " كتب يزيد إلى ابن عباس يخبره بخروج الحسين إلى مكة، ونحسبه جاءه رجال من أهل هذا المشرق فمنّوه الخلافة..."
415	كتاب يزيد إلى ابن زياد ليرسل إليه أهل الحسين: "فجاء البريد من يزيد يأمره بإرسالهم إليه"
416	رسالة يزيد إلى ابن الحنفية يدعوه إلى زيارته: "كتب يزيد إلى ابن الحنفية يعلمه أنه قد أحب رؤيته وزيارته..."
417	ردّ يزيد على عبد الله بن جعفر حين طلب مالا لخاصته: "أحكم لهم بآمالهم إلى منتهى آجالهم "
418	رسالة عبد الملك إلى الحجاج للرفق بابن الحنفية قبل أخذ بيعته: "قد عرفنا أنّ محمدا ليس عنده خلاف وهو يأتيك ويبايعك فارفق به"
419	رسالة عبد الملك إلى الحجاج يأمره بالإحسان إلى محمد بن الحنفية بعد بيعته: "إن محمد بن علي

	كتب إلي يستعفيني منك ، وقد أخرجت يدك عنه..."
420	كتاب عبد الملك لابن الحنفية يطلب منه القدوم إليه: "فكتب إليه عبد الملك يأذن له في أن يقدم عليه "
421	رسالة عبد الملك إلى الحجاج ليتجنب دماء آل أبي طالب: "جنبني دماء بني عبد المطلب فليس فيها شفاء من الحرب..."
421 – أ-	رواية أخرى لما سبق
421 –ب-	رواية أخرى لما سبق
421 – ج-	رواية أخرى لما سبق
ثانيا	**الرّسائل الخاصة بالشّدة على آل البيت ومن والاهم وقمعهم والتّضييق عليهم:**
422	كتاب معاوية إلى زياد يتوعده بعد توليه الخلافة: "كتب إليه يتوعده ويتهدّده "
423	رسالة معاوية إلى عماله في منع مدح علي: "أن برئت الذمة من روي شيئا من فضل أبي تراب وأهل بيته"
424	رسالة معاوية إلى عماله ألا يجيزوا شهادة شيعة علي: "كتب معاوية إلى عماله في جميع الآفاق ألا يجيزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة..."
425	رسالة معاوية إلى عماله في ذكر مناقب عثمان والحط من فضائل علي: "إن الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر وفي كل وجه وناحية..."
426	رسالة معاوية إلى عماله يأمرهم بمحو شيعة علي من الديوان: "انظروا من قامت عليه البينة أنه يحب عليا وأهل بيته فامحوه من الديوان..."
427	رسالة معاوية إلى زياد ليبعث له صعصعة بن صوحان: " ابعث إليّ خطباء أهل العراق، وابعث إليّ بصعصعة بن صوحان "
428	رسالة معاوية إلى الحسين يتهدده: "نحن الزمان من رفعناه ارتفع ومن وضعناه اتّضع"
429	رسالة معاوية إلى الحسن يأمره بقتل الخوارج: "فكتب إليه معاوية يدعوه إلى قتال فروة"
430	ردّ معاوية على مروان بن الحكم لمنع دفن الحسن مع النبيﷺ: "إذا مات الحسن فامنع من ذلك أشد المنع، كما منعنا من دفن عثمان مع النبيﷺ"

431	ردّ معاوية على مروان يشكر له منعه دفن الحسن مع رسول الله: "كتب معاوية إليه يشكر له ما صنع..."
432	رسالة معاوية إلى مروان يطلب منه شراء دار كثير بن الصّلت: "أن اشتر دار كثير بن الصلت منه "
433	رسالة معاوية إلى مروان لأخذ مال كثير بن الصلت: "أن خذه بالمال الذي عليه فإن جاء به وإلا بع عليه داره"
434	رسالة معاوية إلى ابن عباس وعبد الله بن جعفر ليغيّرا اسم ولديهما: "أن انقلا اسم أبي تراب وكنيته عن ابنيكما وسمياهما باسمي..."
435	رسالة معاوية إلى ابن عباس بنقل كنية ابنه: " فانقل كنيته عن كنيته ولك خمسمائة ألف درهم"
436	رسالة معاوية إلى عبد الله بن جعفر يأمره بالإقتصاد في المال: "لمال المرء يصلحه فيغني مفارقه أعف من القنوع..."
437	رسالة معاوية إلى عماله أن يلعنوا عليا على المنابر: "كتب إلى عماله أن يلعنوه على المنابر"
438	رسالة معاوية إلى المغيرة بن شعبة يأمره بشتم الإمام علي: "أظهر شتم علي وتنقصه"
439	رسالة معاوية إلى زياد يلومه في بعث الهدايا مع أخ الأشتر: "إنك رفعت عليّ راية الأشتر حين وضعها الله..."
440	رسالة معاوية إلى زياد يأمره بقتل عبد الرحمن بن حسان العنزي: "أما بعد فإنّ هذا العنزي شر من بعثت فعاقبه عقوبته التي هو أهلها واقتله شر قتلة "
441	رسالة يزيد إلى عبيد الله بن زياد يأمره بالسّعي في طلب مسلم بن عقيل: "أمّا بعد فإنه كتب إلي شيعتي من أهل الكوفة يخبرونني أنّ ابن عقيل يجمع الجموع لشق عصا المسلمين..."
441 – أ-	رواية أخرى لما سبق
441 – ب -	رواية أخرى لما سبق
442	رسالة يزيد إلى ابن زياد يشكره على قتل مسلم بن عقيل ويخبره بمسير الحسين: "أما بعد فإنك لم تعدُ أن كنت كما أحب ، عملت عمل الحازم .."
442 – أ-	رواية أخرى لما سبق
442 – ب-	رواية أخرى لما سبق

443	رسالة ثانية من يزيد إلى عبيد الله بن زياد في شأن الحسين لما خرج إلى الكوفة: "بلغني مسير حسين إلى الكوفة ، وقد ابتُلي به زمانك من بين الأزمان..."
443 – أ-	رواية أخرى لما سبق
443 – ب-	رواية أخرى لما سبق
444	رسالة عبد الملك إلى هشام بن إسماعيل بأن يحمل آل عليّ على سب علي: "أن أقم آل عليّ يشتمون علي بن أبي طالب..."
445	رسالة عبد الملك إلى هشام بن إسماعيل للتّحقق من أمر الحسن بن الحسن: "بلغني أن الحسن بن الحسن يكاتب أهل العراق..."
446	رسالة عبد الملك إلى علي بن الحسين يؤنبه في زواجه من جارية: "فكتب إليه يؤنبه"
446 – أ-	رواية أخرى لما سبق
447	رسالة عبد الملك إلى الحجاج يأمره أن يطلّق ابنة عبد الله بن جعفر: "وكتب إلى الحجاج يأمره بطلاقها وألا يراجعه في ذلك"
447 – أ-	رواية أخرى لما سبق
447 – ب-	رواية أخرى لما سبق
447 – ج -	رواية أخرى لما سبق
448	رسالة عبد الملك إلى الحجاج يأمره أن يختبر ابن الحنفية بتهديده: "أن اكتب إلى ابن الحنفية فتهدّده وتواعده..."
449	رسالة الوليد إلى عثمان المرّي لجلد الحسن بن الحسن: " انظر الحسن بن الحسن فاجلده مائة ضربة، وقفه للناس..."
450	رسالة الوليد إلى عامله بالمدينة في إشخاص أبي هاشم: "كتب الوليد إلى عامله بالمدينة في إشخاص أبي هاشم إليه"
451	كتاب الوليد إلى عمر بن علي يرفض طلبه ولاية صدقة أبيه: "إذا مالت دواعي الهوى وأنصت السامع للقائل ..."
452	رسالة سليمان إلى أبي بكر بن حزم يأمره بالتّحقيق في أمر زيد بن حسن: "أدع زيد بن حسن

	فأقرئه هذا الكتاب، فإن عرفه فاكتب إلي بذلك..."
453	رسالة سليمان إلى أبي بكر بن حزم بضرب زيد بن حسن: "كتب سليمان إلى أبي بكر أن يضربه مائة سوط ..."
مجموع الرسائل الأصلية	57
مجموع الرسائل المكررة	18

الفصل الثاني: الــرّسائل الخاصة بسياستهم تجاه الخــوارج والقــدرية:

رقم الرسالة	عنوانها والجهة التي أرسلت إليها
أولا	**الرسالة المتعلقة بالعفو عن الخوارج والقـدرية واللين معهم ومحاورتهم ومداراتهم:**
454	رسالة معاوية إلى عبد الله بن عامر لما أمّن أحد الخوارج: "تلك ذمة لو أخفرتها لا سئلت عنها"
455	رسالة معاوية إلى المغيرة ليسأل خارجيين عن موقفهما من الخليفة: "إن شهدا أني خليفة فخلّ سبيلهما إذا كانا لم يخرجا ولم يقتلا أحدا"
456	رسالة عبد الملك إلى إبراهيم بن عربي حين وجهه لقتال الخوارج: " أن سر إلى البحرين، فإن ظفرت بالمحاربي فلا تقتله وأحسن إليه..."
457	رسالة عبد الملك إلى نجدة بن عامر الحنفي يدعوه إلى الطاعة: "كتب عبد الملك إليه يدعوه إلى طاعته وبيعته على أن يهدر له ما أصاب من الدماء والأموال..."
458	رسالة عبد الملك إلى الحجاج بالإحسان إلى أسلم بن عبد البكري: "فإن كان الأمر كما ذكرت فأحسن إليه الصلة..."
459	كتاب عبد الملك إلى الحجاج في الرفق بأهل العراق: "إرفق بهم فإنه لا يكون مع الرفق ماتكره ن ومع الخرق ما تحب"
460	رسالة عبد الملك إلى الحسن البصري بشأن قوله في القدر: "من عبد الملك أمير المؤمنين إلى الحسن بن أبي الحسن سلام عليك، أما بعد: فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو .."

ثانيا	رسائلهم إلى الــولاة والأقاليم بقتال الخوارج والشــدة معهم:
461	رسالة معاوية إلى ابن عامر لقتال سهم بن غالب: "كتب إليه معاوية يأمره بقتلهم"
462	رسالة عبد الملك إلى المهلب يوليه قتال الخوارج: "ورد على المهلب كتاب عبد الملك بتوليته قتال الخوارج"
463	رسالة عبد الملك إلى أخيه بشر يأمره بإمداد خالد بن عبد الله في قتال الخوارج: "أما بعد فإني كتبت إلى خالد بن عبد الله آمره بالنهوض إلى الخوارج فسرح إليه خمسة آلاف رجل..."
463 – أ-	رواية أخرى لما سبق
464	رسالة ثانية من عبد الملك إلى أخيه بشر في الأمر السّابق: "أما بعد فابعث من قِبلك رجلا شجاعا بصيرا في الحرب في أربعة آلاف فارس فليسيروا إلى فارس في طلب المارقة..."
464 – أ-	رواية أخرى لما سبق
465	رسالة عبد الملك إلى خالد بن عبد الله لـمّا لم يبعث المهلب لقتال الخوارج: "إني عهدت إليك أن تولي المهلب قتال الخوارج، فلما ملكت أمرك آثرت هواك على طاعتي، فعزلت المهلب..."
465 – أ-	رواية أخرى لما سبق
465 – ب-	رواية أخرى لما سبق
466	رسالة عبد الملك إلى أخيه بشر يأمره أن يبعث المهلب لقتال الأزارقة: "أما بعد فابعث المهلب في أهل مصره إلى الأزارقة..."
466 – أ-	رواية أخرى لما سبق
466 – ب-	رواية أخرى لما سبق
466 – ج-	رواية أخرى لما سبق
467	رسالة ثانية من عبد الملك إلى أخيه بشر يعزم عليه تولية المهلب: "فكتب يعزم عليه أن يولي المهلب"
468	رسالة عبد الملك إلى الحجاج في قتال الخوارج: "أما بعد ك فإني أحمد إليك السيف وأوصيك بما أوصى به البكري زيدا"

469	رسالة عبد الملك إلى الحجاج بأن يفوض المهلب فيما كلف به: "لا تعارض المهلب فيما يراه ولا تعجله ودعه يدبّر أمره"
470	رسالة عبد الملك إلى الحجاج حين ذم آل المهلب: "إني لا أرى نقصا بآل المهلب طاعتهم لآل الزبير، بل أراه وفاء منهم..."
471	رسالة عبد الملك إلى الحجاج ليطلب صالح بن مسرح وشبيب: "كتب إلى الحجاج بعد انصرافه يأمره بطلبهم"
472	رسالة عبد الملك إلى الحجاج في تجهيز محمد بن موسى لقتال شبيب: "أما بعد فإذا قدم عليك محمد بن موسى ، فجهز معه ألفي رجل إلى سجستان..."
473	رسالة عبد الملك إلى الحجاج ليسير بنفسه إلى قتال شبيب: "ثم كتب إلى الحجاج يأمره بأن يخرج إليه بنفسه"
474	رسالة عبد الملك إلى الحجاج بقتل أسلم بن عبد البكري: " إذا ورد عليك كتابي هذا فابعث إلي برأس أسلم بن عبد البكري..."
475	رسالة عبد الملك إلى الحجاج ردا على رسالته بشأن ابن الجارود وأتباعه من العراق: " أما بعد فقد بلغني كتابك وأنت الناصح النجيب، الأمين بالغيب القليل العيب..."
476	رسالة الوليد إلى عثمان بن حيان للإمساك بأحد الخوارج: " فكتب إلى عثمان بن حيان فيه ووصف له صفته وحُلاه "
477	جواب الوليد إلى عثمان بمعاقبة الهيصم بن جابر: " أن اقطع يديه ورجليه واقتله..."
مجموع الرسائل الأصلية	24
مجموع الرسائل المكررة	07

الفصل الثالث: رسائلهم الخاصة بسياستهم تجاه الممتنعين عن البيعة والمعارضين من غير الشيعة والخوارج:

رقم الرسالة	عنوانها والجهة التي أرسلت إليها
أولا	**الرّسائل الخاصة بوقعة الحرة ومنهجهم في التعامل مع شخصيات معارضة لحكمهم:**
478	رسالة يزيد إلى أهل المدينة لـمّا خلعوه قبل وقعة الحرّة: "من عبد الله يزيد أمير المؤمنين إلى أهل المدينة أما بعد: فقد أنظرتكم حتى لا نظرة ، ورفقت بكم حتى عجزت عندكم..."
478-أ-	رواية أخرى لما سبق
478-ب-	رواية أخرى لما سبق
478-ج-	رواية أخرى لما سبق
479	رسالة يزيد إلى أهل المدينة مع مسلم بن عقبة المري: "إن أمير المؤمنين يزيد يزعم أنكم الأصل ويقول إني أكره إراقة دمائكم"
480	ردّ يزيد على مسلم بن عقبة لما كتب إليه بما صنع أهل المدينة: "فلا تأس على القوم الفاسقين"
481	رسالة يزيد إلى عاملة بالمدينة لحبس عبد الله بن مطيع: "كتب يزيد بن معاوية إلى عامله بالمدينة: يأمره بحبس عبد الله بن مطيع "
482	رسالة عبد الملك إلى إبّان بن عقبة يوجّهه لقتال زفر بن الحارث:"كتب عبد الملك إلى إبّان بن عقبة بن أبي معيط وهو على حمص يأمره أن يسير إلى زفر "
483	رسالة عبد الملك الى زفر بن الحارث يدعوه الى الطاعة: "كتب عبد الملك إلى زفر بن الحارث كتابا يدعوه فيه إلى الطاعة ولزوم الجماعة ويرغّبه ويرهبه"
484	رسالة عبد الملك إلى عمرو بن سعيد حين خرج عليه: "أما بعد فإن رحمي لك تصرفني عن الغضب عليك..."
484- أ-	رواية أخرى لما سبق
484- ب-	رواية أخرى لما سبق
485	رسالة عبد الملك إلى عمرو بن سعيد يستقدمه: "أن ائتني أبا أمية حتى أدبّر معك أمورا"

486	رد سليمان على قتيبة بن مسلم لمّا هدده بخلعه: "زعم الفرزدق أن سيقتل مربعا..."
487	جواب آخر من سليمان الى قتيبة في كتابه: "العاقبة للمتقين"
488	جواب آخر من سليمان الى قتيبة في أحد كتبه: "وإن تصبروا وتتقوا لا يضِركم كيدهم شيئا"
489	رسالة سليمان إلى يزيد بن المهلب في خروج قتيبة: "إعلم أن قتيبة قد خاف من ولايتك أرض خراسان خوفا شديدا..."
490	رسالة سليمان إلى صالح بن عبد الرحمان يأمره بالقبض على آل بني عقيل: "كتب سليمان بن عبد الملك إلى صالح بن عبد الرحمان أن يأخذ آل بني أبي عقيل ويحاسبهم "
491	رسالة سليمان إلى خالد القسري لشتم الحجاج: " ورد عليه كتاب سليمان بن عبد الملك يأمره فيه بشتم الحجاج ونشر عيوبه وإظهار البراءة منه "
ثانيا	**الرسائل المتعلقة بالصّراع الأموي الزبيري ومنهجهم في التعامل معه ومع شخصيات الصراع فيه :**
492	جواب معاوية إلى الزبير في اقتتال غلمانهما: "من عبد الله معاوية أمير المؤمنين إلى عبد الله بن الزبير أما بعد: فقد جاءني كتابك تذكر أنّا غلبناك بحُمراننا وسودانا..."
493	رسالة معاوية إلى بن الزبير لمّا رفض بيعة يزيد: "رأيت كرام الناس إن كفّ عنهم بحلم رأوا فضلا لمن قد تحلما "
494	رسالة يزيد إلى عبيد الله بن زياد بإنقاذ قطائع المنذر بن الزبير: "كتب يزيد بن معاوية للمنذر بن الزبير إلى عبيد الله بن زياد بإنقاذ قطائعه "
495	رسالة يزيد إلى ابن زياد في القبض على المنذر بن الزبير: "إن عبيد الله بن الزبير أبى البيعة وصار إلى الخلاف وقبلك أخوة المنذر فاستوثق منه وابعثه إليّ"
495- أ-	رواية أخرى لما سبق
495- ب -	رواية أخرى لما سبق
495- ج -	رواية أخرى لما سبق
496	رسالة يزيد إلى عمرو بن سعيد يأمره أن يرسل إليه ابن الزبير في جامعة: "إن أمير المؤمنين يقسم بالله لا يقبل من ابن الزبير شيئا حتى يؤتى به في جامعة"

497	رسالة يزيد إلى عبد الله بن الزبير لمّا رفض البيعة وتحصن بمكة: "إني قد جعلت عليّ نذرا أن يؤتى بك في سلسلة"
497-أ-	رواية أخرى لما سبق
498	رسالة يزيد إلى عبيد الله بن زياد يوجهه لابن الزبير :"أن اغزُ بن الزبير "
498-أ-	رواية أخرى لما سبق
499	رسالة يزيد إلى عمرو بن سعيد الأشدق يأمره أن يبعث جيشا لمقاتلة ابن الزبير: "أن استعمل عمرو بن الزبير على جيش، وابعثه إلى ابن الزبير...".
499- أ-	رواية أخرى لما سبق
499- ب -	رواية أخرى لما سبق
500	رسالة يزيد لابن الزبير حين وجه إليه جيشه الأخير : "استعدِ ربك في السماء فإنّني أدعو إليك رجال علكّ وأشعر .."
501	رسالة مروان إلى الحصين بن نمير ليواصل مهمته في قتال ابن الزبير: "لا يهولنك ما حدث وامضِ لشأنك "
502	رسالة عبد الملك إلى خالد بن عبد الله في قتال مصعب بن الزبير: "...وكتابه إلى خالد أنه لا يمكنه ورود العراق في عامة لما انتشر علية من الأمور"
503	رسالة عبد الملك إلى المروانية لمّا توجه لقتال مصعب: "كتب عبد الملك إلى شيعته بالبصرة أن يخرجوا على مصعب... "
504	رسالة عبد الملك إلى الأحنف بن قيس صاحب مصعب يدعوه لنفسه: "إنه قد بلغني تنكر صاحبك لك ، فهلمّ إلينا فلك عندنا ولاية الشام "
505	رسالة عبد الملك إلى مصعب بن الزبير في بيعته أخيه: "أقرىء ابن أختك السلام ، وقل له يدَع أن يدعو لأخيه..."
506	رسالة عبد الملك إلى عروة بن أنيق ليعود إلى الشام: "فكتب إليهم عبد الملك أن يُقبلوا إلى الشام "
507	كتاب عبد الملك إلى ابن الزبير يتوعده: " إني لعند الحرب تحمل شكّتي..."

508	رسالة عبد الملك إلى الحجاج يوجهه لابن الزبير: " أن سر إلى ابن الزبير فانزل معه واشغله"
509	ردّ عبد الملك على الحجاج حين استأذنه في قتال ابن الزبير: " افعل ما ترى"
510	رسالة عبد الملك إلى طارق بن عمرو يأمره أن يلحق بالحجاج: " وكتب إلى طارق بن عمرو يأمره أن يلحق بمن معه من الجند بالحجاج"
511	رسالة عبد الملك إلى أهل مكة بالأمان إن دخلوا في طاعته: "وكتب إليهم عبد الملك بالأمان إن دخلوا في طاعته"
512	كتاب عبد الملك إلى الحجاج ليدعو ابن الزبير إلى الطاعة: "أمّا بعد فقد بلغني ما كان من محاربتك لعبد الله بن الزبير فإذا ورد عليك كتابي هذا فابعث إليه واسأله الدخول في طاعتي..."
513	كاتب عبد الملك إلى الحجاج يأمره بتعاهد عروة بالرّعاية: "وكانت كتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج متصلة يأمره بتعاهد عروة وأن لا يسوءه في نفسه وماله"
514	رسالة عبد الملك إلى الحجاج يأمره أن لا يتعرض لعروة بن الزبير: "أعرض عنه ولا ترادّني فيه"
515	رسالة عبد الملك إلى هشام بن إسماعيل يأمره بإطلاق سراح ثابت بن عبد الله بن الزبير: "كتب عبد الملك في إطلاقه "
ثالثا	**الرّسائل الخاصة بالتصدي لفتنة ابن الأشعث ومنهج التعامل معه ومع أتباعه :**
516	رسالة عبد الملك إلى الحجاج لمّا أعلمه بخروج ابن الأشعث: "أما بعد فإني أجبت عدو الرحمان بلا حول ولا قوة إلا بالله..."
516-أ-	رواية أخرى لما سبق
516- ب -	رواية أخرى لما سبق
516- ج -	رواية أخرى لما سبق
516- د -	رواية أخرى لما سبق
517	جواب عبد الملك على كتاب الحجاج في فتنة ابن الأشعث :"كيف يرجون سقاطي بعدما شمل الرأس مشيب وصلع "
518	توقيع عبد الملك في كتاب الحجاج حين أعلمه بقوة ابن الأشعث: "بضعفك قوي وبخرقك طلع"

519	رسالة عبد الملك لابن الأشعث وأهل العراق يعرض عليهم عزل الحجاج وزيادة العطاء: "إن كان يرضيكم مني عزل الحجاج عنكم عزلته عنكم وبعثت إليكم أعطياتكم مثل أهل الشام..."
520	جواب عبد الملك إلى الحجاج حين استغاثه في حرب ابن الأشعث الأخيرة : "أما بعد فيالبّيك ثم يالبيك"
521	رسالة عبد الملك إلى الحجاج بقتل بعض الأسرى في حرب ابن الأشعث: "كتب عبد الملك يأمره بضرب أعناقهم ويقول في كتابه: لم أبعثك مشفّعا..."
522	رسالة عبد الملك إلى الحجاج في التعامل مع أصحاب ابن الأشعث: " أن ادع الناس إلى البيعة، فمن أقر منهم بالكفر فخلّ سبيله..."
522 – أ–	رواية أخرى لما سبق
523	رسالة عبد الملك إلى الحجاج يأمره أن يشغل أهل العراق بالغزو بعد فتنة ابن الأشعث: " أن جمّر أهل العراق وتابع عليهم البعوث..."
524	رسالة عبد الملك إلى قتيبة بن مسلم ليردّ إليه الشعبي : "فكتب عبد الملك إلى قتيبة بن مسلم في طلبه ورده إلى حضرته"
525	رسالة عبد الملك إلى خالد القسري فيمن هرب من العراق إلى مكة بعد فتنة ابن الأشعث : "إحملهم إلى الحجاج "
525 – أ–	رواية أخرى لما سبق
مجموع الرسائل الأصلية	48
مجموع الرسائل المكررة	18

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الرابع : رسائلهم إلى المـــلوك المـــجاورين:

رقم الرسالة	عنوانها والجهة التي أرسلت إليها
أولا	**الـرسائل الخـــاصة بالعلاقات والمصالح بين الأمويين والـروم:**
526	رسالة معاوية إلى ملك الروم في الهدنة: "أرسل معاوية إلى ملك الروم رسولا من أقاربه ، كان يعتمد عليه لتقرير أمر الهدنة ، واشترط معاوية شروطا غليظة..."
527	رسالة عبد الملك لموادعة ملك الروم: "وكتب معه إليه يسأله الموادعة على إتاوة..."
528	ردّ الوليد على ملك الروم بعد هدم كنيسة دمشق: "وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين "
429	كتاب الوليد إلى صاحب أرمينية يأمره أن يكتب إلى ملك الروم: "كاتب طاغية الروم بكتب أمر صاحب أرمينية أن يكتب بها إليه مما اجتمعت به خرز من غزوة..."
529 – أ-	رواية أخرى لما سبق
ثانيا	**رسائل تهـــديد وإجابات لملك الـــروم:**
530	جواب معاوية إلى ملك الروم حين سأله: " أمّا أحب الكلام إلى الله فسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر..."
530 – أ-	رواية أخرى لما سبق
530 – ب-	رواية أخرى لما سبق
531	ردّ عبد الملك إلى ملك الروم حين تهدّده وتواعده: "إن لله تعالى ثلاثمائة وستين لحظة في كل يوم إلى خلقه..."
531 – أ-	رواية أخرى لما سبق
532	كتب من عبد الملك إلى ملك الروم : "ضرب عبد الملك الدراهم وكان سبب ذلك : أنه كتب في صدور الكتب إلى الروم قل هو الله أحد..."
533	كتاب من عبد الملك إلى ملك الروم مع الشعبي: " ...فلما قدمت إليه ودفعت إليه كتابه جعل يسألني..."
مجموع الرسائل	08

الأصلية	
مجموع الرسائل المكررة	04

مـــلحق الرسائل المـــوضوعة:

رقم الرسالة	عنوانها والجهة التي أرسلت إليها
1	رسالة معاوية إلى زياد يضم إليه الحجاز : " وكتب له عهده مع الهيثم "
1 – أ–	رواية أخرى لما سبق
2	رسالة معاوية إلى عمرو بن العاص ليولي عقبة بن نافع إفريقية: "ورد كتاب من معاوية إلى عمرو يأمره بذلك"
3	رسالة معاوية إلى مروان بأخذ البيعة ليزيد من أهل المدينة بعد تزكية الوفود كما أوردها المسعودي (رواية أخرى للرسالة رقم 09): "كتب معاوية إلى مروان بن الحكم يعلمه باختيار يزيد ومبايعته إياه..."
4	رسالة معاوية إلى سعيد بن العاص يأخذ البيعة ليزيد: "يأمره أن يدعو أهل المدينة إلى البيعة..."
5	رد معاوية على سعيد بن العاص حين أخبره عن إبطاء الناس في البيعة ليزيد: "أما بعد فقد أتاني كتابك وفهمت ما ذكرت فيه من إبطاء الناس عن البيعة ولا سيما بني هاشم ..."
6	رسالة أخرى من معاوية إلى سعيد بن العاص ليأخذ البيعة بغلظة وشدة: "كتب إلى سعيد يأمره بأخذ أهل المدينة بالبيعة ليزيد أخذا بغلظة وشدة..."
7	رسالة معاوية إلى سعيد بن العاص أن لا يحرك النفر الثلاثة: "كتب له يأمره أن لا يحركهم إلى أن يقدم"
8	رسالة معاوية إلى عمرو بن العاص والمغيرة أن يقدما إليه بشأن ولايتهما: "كتب معاوية إلى عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة في القدوم"
9	رسالة معاوية إلى ابن عامر ليطلق زوجته: "إنك إن طلقتها زوجتك ابنتي هندا "
10	رسالة معاوية إلى مروان ليخطب له هند بنت سهيل بن عمر (رواية أخرى للرسالة رقم 69):

	"كتب معاوية إلى مروان بن الحكم وهو عامله على المدينة يأمره أن يخطبها عليه"
11	رسالة مروان إلى معاوية يطلب أمره في شأن الحسن : "وكتب إلى معاوية يعلمه أن الحسن تزوجها بغير علم قاض..."
12	ردّ معاوية إلى مروان بشأن زواج الحسن: " قد فهمت ما كتبت به من أمر الحسن وأمرها..."
13	كتاب معاوية إلى مروان بتخلية الحسن: " أما بعد فإنك كتبت إليّ تذكر من تزويج الحسن بغير حكم حاكم ولا علم سلطان..."
14	رسالة معاوية إلى جعدة بنت الأشعث لتسمم الحسن: " إنّي مزوجك بيزيد على أن تسمي الحسن بن علي..."
15	جواب معاوية إلى جعدة لما طالبته بما وعدها من تزويجها بيزيد : " أنا أضن بيزيد"
16	جواب معاوية إلى مروان حين أعلمه بشكاية الحسن: " أرقل المطيّ إلى بخبر الحسن "
16 – أ-	رواية أخرى لما سبق
17	رسالة معاوية إلى عبد الله بن سلام بالقدوم إليه لأجل زواج يزيد: " إن اقبل حين تنظر في كتابي هذا لأمر حظك فيه كامل..."
18	رسالة معاوية إلى ابنه يزيد يعلمه بطلاق أرينت بنت إسحاق: "كتب إلى يزيد ابنه يعلمه بما كان من طلاق أرينت بنت إسحاق عبد الله بن سلام"
19	رسالة معاوية إلى يزيد في اللّهو: "شمّر نهارا في طلّاب العلا..."
20	رسالة معاوية إلى ابنه يزيد يوصيه قبل موته كما جاء عند ابن أعثم (رواية أخرى للرسالة رقم 105): "بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد معاوية بن أبي سفيان أمير المؤمنين إلى ابنه يزيد..."
21	رسالة يزيد إلى الوليد بن عتبة في موت معاوية كما أوردها ابن الأعثم (رواية أخرى للرسالة رقم 12): "من عبد الله معاوية أمير المؤمنين إلى الوليد بن عتبة أما بعد: فإن معاوية كان عبد الله من عباده..."
22	رسالة يزيد إلى الوليد بن عتبة لأخد البيعة من النفر الثلاثة الذين عارضوا بيعته كما جاء عند ابن أعثم (رواية أخرى للرسالة رقم 13): " أما بعد فخذ الحسين بن علي وعبد الرحمن بن أبي

	بكر..."
22 – أ-	رواية أخرى لما سبق
22 – ب-	رواية أخرى لما سبق
23	رسالة ثانية من يزيد إلى الوليد بن عتبة بأخذ البيعة له بعد رفض أهل المدينة: "من عبد الله يزيد أمير المؤمنين إلى الوليد بن عتبة أما بعد: فإذا ورد عليك كتابي هذا فخذ البيعة ثانيا..."
24	رسالة يزيد بن معاوية إلى الوليد بن عتبة يعزله عن المدينة: "فبعث يزيد بن معاوية إلى الوليد فعزله"
25	رسالة يزيد بن معاوية إلى أبي المهاجر ليبعث له عقبة: "فكتب إليه يزيد يبعثه إليه"
26	رسالة مروان إلى النعمان بن بشير يطلب بيعته: " أما بعد فقد بلغني ما كان من معونتك للضحاك بن قيس..."
27	رسالة عبد الملك إلى ابن عمر يطلب بيعته: "كتب عبد الملك إلى ابن عمر أن يبايع الحجّاج..."
28	رسالة عبد الملك إلى الحجاج حين اقترح عليه تولية العهد للوليد بعده: "كتب عبد الملك إلى الحجاج يوبخه"
29	رسالة عبد الملك إلى أخيه عبد العزيز ليبعث بشرا واليا على البصرة: "إني قد وليت أخاك بشرا البصرة فاشخص معه موسى بن نصير..."
30	رسالة عبد الملك إلى الإصبع بن عبد العزيز ليطلق سكينة بنت الحسين: "اختر مصر أو سكينة"
31	رسالة عبد الملك إلى الحارث بن خالد حين أخر الصلاة يؤنبه: "ويلك أتركت الصلاة لعائشة بنت طلحة؟! "
32	رسالة عبد الملك إلى الحجاج يوليه العراق كما أوردها ابن قتيبة (رواية أخرى للرسالة رقم 269): " أن سر إلى العراق واحتل لقتلهم..." رواية أخرى لما سبق
33	جواب عبد الملك للحجاج حين طلب عزله عن العراق: " يا ابن أم الحجاج قد علمت الذي تغزو وإنك تريد أن تعلم رأيي..."
34	رسالة عبد الملك إلى أهل مكة بولاية خالد القسري: " بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين إلى أهل مكة أما بعد: فإني وليت عليكم خالد بن عبد اله القسري..."

35	رسالة عبد الملك إلى موسى بن نصير يكافئه عن الفتح: "كتب إليه يعلمه أنّه قد فرض لجميع ولده في ء مئة..."
36	رسالة الوليد بعزل أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن المدينة: "أكتب عهد عثمان بن حيّان المرّي على المدينة واعزل ابن حزم..."
37	رسالة الوليد إلى سليمان يعاتبه على تمنّي موته: "تمنّى رجال أن أموت وإن أمُت فتلك سبيل لستُ فيها بأوحد..."
38	ردّ الوليد على جواب أخيه سليمان بشأن ما سبق: "ما أحسن ما اعتذرت به..."
39	رسالة الوليد إلى موسى بن نصير لمّا أساء لطارق بن زياد وسجنه: "فكتب الوليد إلى موسى يقسم بالله لئن ضربته لأضربنّك..."
40	رسالة سليمان إلى أسامة بن زيد يأمره بالشّدة مع أهل مصر: " أحلب الدرّ حتّى ينقطع..."
41	رسالة سليمان إلى عبد الله بن موسى بن نصير ليبعث رجلا لأخيه عبد العزيز: "إنّي نظرت فإذا عبد العزيز بإزاء عدو..."
42	رسالة سليمان إلى عبد العزيز بن موسى بن نصير يُمدّه بالرّجال: "أمّا بعد فإنّ أمير المؤمنين قد علم ما أنت بسبيله من العدوّ..."
43	رسالة سليمان إلى بعض الرّجال ليقتلوا عبد العزيز بن موسى بن نصير: "إنّي قد بعثت إليكم بكتاب أهل الأندلس بالسّمع والطّاعة لكم، والغدر في قتله..."
44	رسالة سليمان إلى أخيه مسلمة يقفله من أرض الروم: " كتب إليه سليمان بن عبد الملك كتابا لطيفا يعزّيه في أبيه عبد الملك..."
45	نص الرسالة التي عهد فيها سليمان بن عبد الملك بالخلافة لعمر بن عبد العزيز كما أوردها ابن قتيبة (رواية أخرى للرسالة رقم 43): "بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد به عبد الله بن سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين وخليفة المسلمين..."

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهـــرس
الموضوعات

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

– مـــقدمـــــة.....**ص أ**

– تمهيـــــد: الخلفاء الأمويون الأوائل "41–99 هـ/661–717م".....**ص 1**

1– إنتقال الحكم إلى بني أمية

2– إطلالة عامة عن حياة الخلفاء الأمويّين و جهودهم في خدمة الإسلام.....**ص**

2–1 **نسب الأمويّين**.....**ص**

2–2 **خلفاء الفرع السّفياني:**

أ– معاوية بن أبي سفيان مؤسس الدولة.....**ص**

ب – يزيد بن معاوية : عهد الفتنة الأهلية.....**ص**

ج – معاوية بن يزيد : الرجل الزاهد في الخلافة.....**ص**

2–3 **خلفاء الفرع المرواني:**

أ– مروان بن الحكم : شيخ بني أمية.....**ص**

ب–عبد الملك بن مروان مجدّد الدولة.....**ص**

ج–الوليد بن عبد الملك عهد البناء و الفتوح.....**ص**

د– سليمان بن عبد الملك مفتاح الخير.....**ص**

***الباب الأول: رسائل الخلفاء الخاصة بالصّراع حول الخلافة و شخصياتهم و أفراد أسرتهم و آل بيتهم:**.....**ص**

الفصل الأول : رسائل الخلفاء الخاصة بالبيعة و شخصياتهم و أفراد أسرتهم:

أولا: الرّسائل المتعلّقة بالبيعة وولاية العهد.....**ص**

ثانيا: الرّسائل المتعلّقة بإيفاد شخصيات إليهم.....**ص**

ثالثا: الرّسائل المتعلقة بأحوالهم الشخصية وحاجاتهم و حاجات أبنائهم.....**ص**

رابعا: الرّسائل الخاصّة بسياستهم في الرعية.....**ص**

الفصل الثاني: رسائلهم إلى آل بيتهم :

أولا: الرّسائل المتعلقة بأوامرهم لآل بيتهم و مراقبة أفراد الأسرة الحاكمة.....ص

ثانيا: الرّسائل الخاصّة بالوصايا و النصائح لآل بيتهم.....ص

***الباب الثّاني: رسائل الخلفاء الخاصة بالمظالم والقضاء والشّفاعة و الوساطة:**

الفصل الأول: الرّسائل الخاصة بالنّظر في مظالم العمال ورد الحقوق على الرعية:

أولا: الرّسائل المتعلقة بمعالجة مظالم القتل و الأموال.....ص

ثانيا: الرّسائل المتعلقة بالإساءة إلى أشخاص معيّنين.....ص

ثالثا: الرّسائل المتعلقة برد حقوق الرعية وإنصافهم والعفو عنهم.....ص

الفصل الثاني: رسائل الأمان و الشفاعة و الوساطة:

أولا: الرّسائل المتعلقة بإعطاء الأمان للمخالفين.....ص

ثانيا: رسائل الشفاعة و الوساطة.....ص

الفصل الثالث: الرسائل المتعلقة بالحدود و القصاص وأحكام القضاء والسجون:

أولا: رسائل الحدود و القضاء و العقوبات.....ص

ثانيا: الرّسائل الخاصة بتطبيق حكم القصاص.....ص

***الباب الثالث: الرسائل المتعلقة بمنهجهم الإداري و السّياسي:.....ص**

الفصل الأول: الرسائل المتعلقة ببيان منهجهم الإداري وسياستهم للرعية وتوجيه الولاة و مراقبتهم في أعمالهم و عمالهم:

أولا:الرّسائل المتعلقة بممارسة الرّقابة على الولّاة والعمّال وتوجيههم.....ص

ثانيا: الرّسائل المتعلقة بتقدير الولاة والعمال ورفع مكانتهم.....ص

ثالثا: الرّسائل المتعلقة بالموازنة بين التيارات والعصبيات والقبائل.....ص

الفصل الثاني: الرسائل المتعلقة بالعزل والتولية:

أولا: الرّسائل المتعلقة بتولية الولاة والعمال .....ص

ثانيا: الرّسائل الخاصة بعزل الولاة عن أعمالهم.....ص

ثالثا: رسائل إقرار الولاة والعمال على أعمالهم.....ص

***الباب الرابع:الـــرسائل المتعلقة بالـعبادات والـتعليم وتسييـــر حـركة الفتوح والجهاد:**.....ص

الفصل الأول: الرسائل المتعلقة بالعبادات والوعظ والتعليم

أولا: الرّسائل الخاصة بعقد الزّواج والعبادات.....ص

أ-الرّسائل الخاصة بعقد الزّواج.....ص

ب- الرّسائل الخاصة بمناسك الحجّ والصّلاة.....ص

ثانيا: الرّسائل التربوية.....ص

الفصل الثاني: الرسائل المتعلقة بالجهاد وتنظيم حركة الفتوح وتولية قادتها:

أولا: الرّسائل الخاصة بالفتوح والجهاد على جبهة الروم.....ص

ثانيا: الرّسائل الخاصة بالفتوح على جبهة المغرب والأندلس.....ص

ثالثا: الرّسائل الخاصة بالفتوح على جبهة العراق والمشرق.....ص

***الباب الخامس: الرسائل المتعلقة بالسياسة الاقتصادية لخلفاء الدولة الأموية....ص**

الفصل الأول: الرسائل الخاصة بالإقتصاد والمال:.....ص

أولا: الرّسائل الخاصة بموارد بيت المال والنقود.....ص

أ- الرّسائل الخاصّة بموارد بيت المال.....ص

ب- الرّسائل الخاصّة بصكّ النقود.....ص

ثانيا: الرّسائل الخاصة بسياستهم تجاه الإنفاق العام للدولة.....ص

الفصل الثاني: الـرّسائل الخاصة بخدمة الأرض والبناء والتعمير:

أولا: الرّسائل الخاصة بخدمة الأرض و إعمارها.....ص

ثانيا: الرّسائل الخاصة بالبناء والتعمير.....ص

***الباب السادس: الرسائل الخاصة بمواقفهم من التيارات الفكرية والسياسية المعارضة**

وعلاقتهم بالملوك المجاورين:.....**ص**

الفصل الأول: الرسائل الخاصة بموقفهم من آل البيت وحلفائهم:

أولا: الرّسائل الخاصة بالرفق بآل البيت وحلفائهم وتقريبهم والإحسان إليهم .....**ص**

ثانيا: الرّسائل الخاصة بالشدة على آل البيت ومن والاهم وقمعهم والتضييق عليهم.....**ص**

الفصل الثاني: الـرسائل الخاصة بسياستهم تجاه الخوارج والقدرية:

أولا: الرّسائل المتعلقة بالعفو عن الخوارج والقدرية واللين معهم ومحاورتهم ومداراتهم.....**ص**

ثانيا: رسائلهم إلى الولاة والأقاليم بقتال الخوارج والشّدة معهم.....**ص**

الفصل الثالث: رسائلهم الخاصة بسياستهم تجاه الممتنعين عن البيعة والمعارضين من غير الشيعة و الخوارج:

أولا: الرّسائل الخاصة بوقعة الحرة ومنهجهم في التعامل مع شخصيات معارضة لحكمهم...**ص**

أ- الرّسائل الخاصّة بتعامل يزيد مع أهل المدينة ووقعة الحرة.....**ص**

ب- الـرّسائل الخاصة بمواجهة عبد الملك لتمرّد زفر بن الحارث.....**ص**

ج- الـرّسائل الخاصّة بتعامل عبد الملك مع عمرو بن سعيد الأشدق.....**ص**

د- الرّسائل الخاصّة بمنهج سليمان في التّعامل مع من أيّد الوليد في عزله.....**ص**

ثانيا: الرّسائل المتعلقة بالصراع الأموي الزبيري ومنهجهم في التعامل معه ومع شخصيات الصراع فيه.....**ص**

ثالثا: الرّسائل الخاصة بالتصدي لفتنة ابن الأشعث ومنهج التعامل معه ومع أتباعه.....**ص**

الفصل الرابع:رسائلهم إلى الملوك المجاورين:

أولا: الرّسائل الخاصة بالعلاقات والمصالح بين الأمويين و الروم .....**ص**

ثانيا: رسائل تهديد وإجابات لملك الروم.....**ص**

الخاتمة.....**ص**

ملحق الرّسائل الموضوعة.....**ص**

قائمة المصادر والمراجع.....ص

فهرس الرّسائل.....ص

فهرس المحتويات.....ص

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية